شرح همزيه

هذا شرح لطيف مسمى بافضل القرى للقصيدة ٥
الهمزية الموسومة بام القرى الذى الفه
الشيخ الامام العالم الربانى
ابن حجر المكى الشافعى غفر الله
له واحسن اليه وافاض
سجال الرحمة
عليه
م

T. C.
MİLLİ E... BAKANLIĞI
RAGIP P... ...LIĞI
MÜDÜRLÜĞÜ
Sayı: 988 / ١-٩

١١٤٩

طـ
٢٧

RAĞIP P.
Ka. N.
1138

ر ٢ ١١٤٩

الحمد لله الذى اختص نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم بكتاب اخرس الفصحا واعجز
البلغا عن التفوه بمثل اقصر سورة من سوره بل آية من آياته • وبجوامع الكلم
وبدايع الحكم وعظيم الخلق فى ساير اقواله وافعاله وحالاته • وخرق له
خوارق الوجود بمعجزات بهرت العقول وقصر عن احصايها استقصاء
المادحين لسيره وآياته • وبخصوصيات قطعت الخلايق عن ان يصلوا
لشأو علاه • وكمال شرفه وشرف كمالاته • وبامة سطع عليها بدر
وجوده فى افق سعوده • وفاض عليها فايض جوده فى عالم شهوده
فانار من اخلاقها وعقولها • وكمل من اقبالها وقبولها • وزين
من بديع فصاحتها • وعجيب بلاغتها • وراض من استصعب غرايبها
واغاض ما اشرأب من نوايبها • ما صارت به خير الامم • والعدول
الشهود على من عليهم تقدم • بنص القرآن القطعى البرهان القائم
لظهور المعاند وترهاته • واوجب على الكافة غاية تعظيمه
ومنه ذكر مناقبه ومآثره وبيان اوصافه السنية واحواله العلية
وخصايصه ومعجزاته • ولذلك ذهب الناس فى هذه الفنون كل
مذهب واظهروا تعظيمه نظما ونثرا • سرا وجهرا • كما وجب نجاتهم
بحفظه واسعافه وامداداته • واشهد ان لا اله الا الله وحده
لا شريك له شهادة انتظم بها فى سلك اهل عناياته • واشهد ان
سيدنا محمدا عبده ورسوله المحبو منه بخوارق هباته • والمفوض
اليه امداد الانبياء والمرسلين والملايكة المقربين بمعالى القرب
وجناته • صلى الله عليه وسلم وعلى آله واصحابه حماة الدين القويم
عن زيغ كل زايغ وتحريفاته • وهداة الخلق الى الصراط المستقيم
بايضاح كلياته وجزئياته • صلوة وسلاما دائمين بدوام نعم الله

على

على خواصه واهل طاعاته **وبعد** فمما يتعين على كل مكلف ان يعتقد
ان كمالات نبينا محمد صلى الله عليه وسلم لا تحصى • وان احواله وصفاته
وشمائله لا تستقصى • وان خصايصه ومعجزاته لم تجتمع قط فى مخلوق
وان حقه على الكمل فضلا عن غيرهم اعظم الحقوق • وانه لا يقوم
ببعض ذلك الا من بذل وسعه فى اجلاله وتوقيره واعظامه •
واستجلاء مناقبه ومآثره وحكمه واحكامه • وان المادحين لجنابه
العلى • والواصفين لكماله الجلى • لم يصلوا الا الى اقل من كل لا حد
لنهايته • وغيض من فيض لا وصول الى غايته • ومن ثم كان ابلغ
بيت هنا المطلع الآتى كما يعلم مما يأتى فيه وفى بردة المديح •
فان فضل رسول الله ليس له • حد فيعرب عنه ناطق بفم •
ثم يليه دع ما ادعته النصارى فى نبيهم • واحكم بما شئت مدحا
فيه واحتكم • ثم يليه فمبلغ العلم فيه انه بشر • وانه خير
خلق الله كلهم • فاق النبيين فى خلق وفى خلق • ولم يدانوه
فى علم ولا كرم • فهم مقصرون عما هنالك • قاصرون عن
اداء كل ما يتعين من ذلك • كيف وآى الكتاب مفصحة من علاه
بما بهر العقول • ومصرحة فى صفاته بما لا يستطاع اليه
الوصول ما ذا عسى الشعراء اليوم تمدحه • من بعد ما مدحت
لحم تنزيل • فعلم انه لو بالغ الاولون والآخرون فى احصائهم
لعجزوا عن استقصاء ما حباه به مولاه الكريم من مواهبه • ولكان
المآء بساحل بحرها • مقصرا عن حصر بعض فخرها • ولقد صح لمحبته
ان ينشد وافيه وعلى تفنن واصفيه لحسنه • يفنى الزمان
وفيه ما لم يوصف • وانه لحقيق بقول القايل

فما بلغت كف امرئ متناولا | من المجد الا والذى نال اطول
ولا بلغ المهدون فى القول مدحة | ولو حذقوا الا الذى فيه افضل
ولابن خطيب الاندلسى | مدحتك آيات الكتاب فما عسى
يثنى على علياك نظم مديحى | واذا كتاب الله اثنى مفصحا
كان القصور قصار كل فصيح • وقد رثى العارف المحقق السراج

ابن الفارض السعدى فى النوم فقيل له لم لا مدحت النبى صلى الله
عليه وسلم اى بالصريح والا فنظمه فى الحقيقة اما فى الحضرة الالهية
او فيه صلى الله عليه وسلم فقال ارى كل مدح فى النبى مقصرا
وان بالغ المثنى عليه واكثرا اذا الله اثنى بالذى هو اهله
عليه فما مقدار ما يمدح الورى قال البدر الزركشى ولهذا
لم يتعاط فحول الشعراء المتقدمين كابى تمام والبحترى وابن
الرومى مدحه صلى الله عليه وسلم وكان مدحه عندهم من اصعب
ما يحاولونه فان المعانى دون مرتبته • والاوصاف
وان كملت دون وصفه • وكل علو فى حقه تقصير • فيضيق على
البليغ النطاق فلا يبلغ الا قليلا من كثير • هذا وان من ابلغ ما
مدح به صلى الله عليه وسلم من النظم الرايق البديع • واحسن ما كشف
عن كثير من شمايله من الوزن الفايق المنيع • واجمع ما حوته قصيدة
من ماثره وخصايصه ومعجزاته • وافصح ما اشارت اليه منظومة
من بدايع كمالاته • ما صاغه صوغ التبر الاحمر • ونظمه نظم الدر
والجوهر • الشيخ الامام العارف الكامل الهمام المحقق • البليغ (المفتن)
الاديب المدقق • امام الشعراء واشعر العلماء • وبليغ الفصحاء
وافصح الحكماء • الشيخ شرف الدين ابو عبد الله محمد بن سعيد بن
حماد بن محسن بن عبد الله بن صنهاج بن هلال الصنهاجى كان احد ابويه
من بوصير الصعيد والآخر من دلاص فركبت النسبة فقيل الدلاصيرى
ثم اشتهر بالبوصيرى قيل ولعلها بلد ابيه فغلبت عليه ولد سنة
ثمان وستمائة واخذ عنه الامام ابو حيان والامام اليعمرى
ابن سيد الناس ومحقق عصره العز بن جماعة وابو الفتح وغيرهم
وتوفى سنة ست او سبع وتسعين وستمائة على ما قاله المقريزى
لكن صوب شيخ الاسلام العسقلانى انه سنة اربع وتسعين وكان
من عجايب الدهر فى النظم والنثر • ولو لم يكن له الا قصيدته المشهورة
بالبردة التى قيل انه اشتد عليه رمده بعد نظمها فراى النبى صلى
الله عليه وسلم فى النوم فقرا عليه شيئا منها فتفل فى عينيه فبرئ لوقته

لكفاه

لكفاه ذلك شرفا وتقدما كيف وقد زادت شهرتها الى ان صار
الناس يتدارسونها فى البيوت والمساجد كالقرآن وكان يعانى
صنعة الكتابة على الجبايات وباشر ببلبيس الشرقية ثم ترك ذلك
وصحب القطب ابا العباس المرسى رضى الله عنه وارضاه وجعل
جنات المعارف منقلبه ومثواه • فعادت عليه بركته • وساعده
لحظه وهمته • الى ان فاق اهل زمانه • ورزقه الله تعالى من الشهرة
والحظ ما لم يصل اليه احد من اقرانه • فرحمه الله تعالى ورضى عنه ومن
قصيدته الهمزية المشهورة العذبة الالفاظ الجزلة المبانى • العجيبة
الاوضاع البديعة المعانى • العديمة النظير • البديعة التحرير •
اذ لم ينسج احد على منوالها • ولا وصل الى علو حسنها وكمالها • حتى ان الامام
البرهان القيراطى المولود سنة ست وعشرين وسبعمائة والمتوفى
فى سنة احدى وثمانين وسبعمائة فانه مع جلالته وتضلعه من العلوم
النقلية والعقلية • وتقدمه على اهل عصره فى العلوم العربية و
الادبية • لا سيما علم البلاغة ونقد الشعر واتقان صنعته • وتمييز
حلوه من مره ونهايته من بدايته • اراد ان يحاكيها ففاته الشنب •
وانقطعت به الحيل عن ان يبلغ من معارضتها ادنى ارب • وذلك
لطلاوة نظمها • وحلاوة رسمها • وبلاغة جمعها • وبراعة صنعها
وامتلاء الخافقين بانوار جمالها • وادحاض دعاوى اهل الكتابين
براهين جلالها • فهى دون نظايرها الآخذة بازمة العقول •
والجامعة بين المعقول والمنقول • والحاوية لاكثر المعجزات •
والحاكية للشمايل الكريمة على سنن قطع اعناق افكار الشعراء عن
ان تشرئب الى محاكاة تلك الحكايات • والسالمة من عيوب الشعر
من حيث فن العروض كادخال عروض على اخرى وضرب على آخر ومن
حيث فن القوافى كالايطاء وهو تكرير لفظ القافية بمعناه قبل
سبعة ابيات وقيل عشرة وكالاكفاء وهو اختلاف حرف الروى
والاقواء وهو اختلاف حركته لكنها وان شرحت • وتعاورتها
الافكار وخدمت • تحتاج لشرح جامع • ودستور مانع يجلو

عرايس ابكارها على منصات الالباب مع الاختصار • ويظهر مخبآت
اسرارها ظهور الشمس في رابعة النهار • ويفتح مقفلات معمياتها
عما قد يوجب القصور والعثار • وينبه على نفايس فرائدها • وينوه
بجلالة عرايس فوائدها • ويعرب عن غرايب تعقيدها • ويفصح عن
فنون بلاغتها وبدايع تأنيقها وتشييدها • فاستخرت الله تعالى في
ذلك • وان كنت لست اهلا لما هنالك • راجيا ان اندرج به في سلك
خدمة جنابه صلى الله عليه وسلم • وان اطوق بسببه سوابغ مدده
ولحظه الاعظم • ومستعينا بالله تعالى ومتوكلا عليه • ومفوضا سائر
اموري اليه • وسائلا منه بدايع الطافه • وتتابع الحافه • وتيسير
هذا المطلب • وانجاح هذا المأرب • انه الجواد الكريم • الرؤوف
الرحيم • وسميته المنح المكية • في شرح الهمزية • ثم بلغني ان الناظم
سماها ام القرى تشبيها لها بمكة بجامع انها حوت بطريق التصريح
او الايماء ما في اكثر المدايح النبوية وحينئذ سميته افضل القرى
لقراء ام القرى • وقد بين شارحها الامام المحقق في العلوم الآلية
والشرعية الشمس الجوجري شيخ مشايخنا رحمه الله تعالى وشكر سعيه
بحرها وعروضها وضربها وقافيتها وما يدخلها من العلل والزحاف
بما اطال فيه لكنه ليس له كبير جدوى هنا لان من يعرف فن العروض
وتوابعه لا يحتاج اليه الا لمجرد التذكير • ومن لا يعرفه يستوي عنده
ذكر ذلك وحذفه اليسير منه والكثير • وخلاصة شيء منه انها من
بحر الخفيف وهو مركب من ستة اجزاء سباعية الحروف فاعلاتن
مستفعلن فاعلاتن وقد يدخل الخبن في مستفعلن فيصير
متفعلن فينقل الى مفاعلن لانه اخف بل وفي جميع اجزائه
فيحذف ثاني كل وهو حسن والكف وهو حذف سابعه من البعض
او الكل غير السابع اذ لا يوقف على متحرك وهو صالح وقد
يجتمعان وهو قبيح وقد يدخله التشعيث بان تفقد صورة الوتد
فيصير مفعولن على صورة ثلاثة اسباب خفيفة وقد وقع في
كثير من ابيات هذه القصيدة وهو من جملة الزحاف وان اجري مجرى

العلل

العلل وقافيتها من المتواتر وهو ما فصل بين ساكنيها حرف واحد
متحرك اذ ليس هنا بين الالف والواو الساكنين سوى الهمزة التي هي
الروي والقافية قيل آخر كلمة من البيت والاصح انها من آخر حرف
متحرك منه قبل ساكنين فقافية البيت الآتي على الاول لفظ سماء
وعلى الاصح من الميم منه وسترى كثيرا مما راعاه الناظم من انواع البديع
لاسيما الاقتباس القرآني لكن فيه كلام منتشر وخلاصته الحق منه انه
مجمع على جوازه كما قاله بعض المتأخرين المطلعين قال وقد استعمله
العلماء قاطبة في خطبهم وانشائهم واستنكره قوم جهلا منهم بالنصوص
والنقول فقد استعمله النبي صلى الله عليه وسلم في غير ما حديث
والصحابة والتابعون والعلماء قديما وحديثا ونصوا في كتب الفقه
على جوازه وزعم بعض المالكية امتناعه يرده استعمال مالك رضي الله
عنه له ونص على جوازه غير واحد منهم كابن عبد البر وعياض
وقد نقل الشيخ داود المنلاخلي اتفاق المالكية والشافعية على
جوازه وفي شرح مجمع البحرين لابن الساعاتي التصريح بجوازه ولا
فرق فيه بين ان يزاد على لفظ القرآن او ينقص منه او يغير
اعرابه وان لا قال السكاكي اعلم ان شأن الاعجاز عجيب يدرك
ولا يمكن وصفه كاستقامة الوزن وكالملاحة ولا طريق في تحصيله
لغير ذوي الفطر السليمة الا بالتمرن في علمي المعاني والبيان وقال
غيره لا يدرك معرفة الفصيح والافصح والرشيق والارشق الا بالذوق ق
ولا يمكن اقامة الدليل عليه كما ان التي ادون في المحاسن قد تكون احلى
منها في العيون والقلوب ولا يدرك سبب ذلك ولكنه يدرك
بالذوق والمشاهدة واهل الذوق ليسوا الا الذين اشتغلوا بعلم
البيان وراضوا انفسهم بالرسائل والخطب والكتابة والشعر
وصارت لهم بذلك دربة وملكة تامة فاليه يرجع في فضل بعض
الكلام على بعض ولكون علم المعاني والبيان والبديع بهذه المثابة
كان يسمى قديما صنعة الشعر ونقد الشعر ونقد الكلام وتسميته
بالمعاني والبيان والبديع حادثة من المتأخرين كما اشار لذلك

الكمال ابن الانبارى والعسكرى وغيرهما وقد حصلت لى رواية
هذه القصيدة وغيرها من شعر الناظم من طرق متعددة منها بل
اعلاها التى ارويها عن شيخنا شيخ الاسلام خاتمة المتاخرين ابى يحيى
زكريا الانصارى الشافعى عن العز ابى محمد بن الفرات عن العز ابى
عمر بن البدر بن جماعة عن ناظمها وعن حافظ العصر ابن حجر عن الامام
المجتهد السراج البلقينى والسراج ابن الملقن والحافظ زين الدين
العراقى عن العز بن جماعة عن ناظمها وارويها ايضا عن شيخنا عن الحافظ
السيوطى عن جماعة منهم الشمنى بعضهم قراءة وبعضهم اجازة عن عبد الله
ابن على الحنبلى كذلك عن العز بن جماعة عن الناظم • وقد راعى
الناظم رحمه الله تعالى امرين مهمين احدهما البداءة بالبسملة للحديث
الحسن او الصحيح كل امر ذى بال اى حال يهتم به لا يبدا فيه ببسم الله
الرحمن الرحيم فهو اجذم اى مقطوع البركة ولا ينافيه رواية الحمد لله
لان القصد البداءة باى ذكر كان كما افادته رواية لا يبدا فيه بذكر الله
فذكر البسملة والحمدلة لبيان افضل الذكر لا لغيره ومن ثم ابتدئ
القرآن بهما ولم ينظر الناظم الى ما قيل ان الشعر لا يبدا فيه بالبسملة
لان محله على ما فيه فى ما ليس كهذه القصيدة لانها اشتملت على
افضل العلوم والمعلومات فهى احق بالبداءة بالبسملة من كثير من
العلوم ثانيهما ما هو الاحق بالرعاية على كل بليغ من براعة المطلع
وهو سهولة اللفظ وصحة السبك ووضوح المعنى ورقة التشبيب
وتجنب الحشو وتناسب المعانى وعدم تعلق البيت بما بعده ويسمى
ايضا حسن الابتداء وقد اتى نوع اخص من هذا براعة الاستهلال فى النظم
والنثر بان يكون مبتدا الافتتاح دالا على ما بنى ذلك النظم
او النثر عليه من الغرض المسوق اليه كقول ابى تمام مصرع
السيف اصدق انباء من الكتب • لما كان غرضه ذكر الفتح والتحريض
على الحرب وما افتتح به الناظم هذه القصيدة فيه جميع تلك الشروط
وزيادة كما لا يخفى على متامل لغرضه وهو ذكر اوصافه صلى الله
عليه وسلم التى رقى فيها الى غاية لم يبلغها غيره ولذلك كان جميع

الحفاظ صح

ما

ما بعده من المدح الى آخر القصيدة كالشرح والبيان لما تضمنه
هذا المطلع فلله دره من مطلع جامع بديع لم يسبق ناظمه بمثله
كيف هى فى الاصل اسم مبنى لتضمنه معنى حرف الشرط او
الاستفهام على الفتح لخفته وترد للشرط وخرج عليها نحو ينفق
كيف يشاء وجوابه محذوف لدلالة ما قبله عليه وللاستفهام
وهو الغالب اما حقيقيا نحو كيف زيدا وغيره كما هنا اذ هى للانكار
المشوب بالتعجب المتضمن للنفى كما يعلم مما ياتى وكما فى الآيتين
الآتيتين وتقع خبرا قبل ما لا يستغنى نحو كيف انت وحالا قبل
ما يستغنى نحو كيف جاء زيد اى على اى حال جاء ومنه ما هنا فى
النظم اذ هى حال من ترقى اى على اى حالة ترقى الانبياء رقيك اى لا
يكون ذلك ولو كان وعن سيبويه انها ظرف فموضعها نصب دائما
وتقديرها فى وعلى اى حال وجوابها المطابق على غيره نحو وانكر
ذلك الاخفش والسيرافى فموضعها رفع مع المبتدا نصب مع غيره
وتقديرها فى نحو كيف زيد اصحيح زيد ونحو كيف جاء زيد اراكبا
جاء زيد ونحوه وجوابها صحيح ونحوه وقال ابن مالك لم يقل
احد ان كيف ظرف اذ ليست زمانا ولا مكانا ولكنها تفسر
بقولك على اى حال لكونها سؤالا عن الاحوال العامة سميت ظرفا
لانها فى تاويل الجار والمجرور واسم الظرف يطلق عليها مجازا قال
ابن هشام وهذا حسن انتهى وعلم من قوله لكونها الخ انه يستفهم
بها عن حال الشئ لا عن ذاته قال الراغب وانما يسال بها عما يصح
ان يقال فيه شبه وغير شبه ولهذا لا يصح ان يقال فى الله
كيف قال وكل ما اخبر الله به بلفظ كيف عن نفسه فهو استخبار
على طريق التنبيه للمخاطب والتوبيخ والانكار كما فى كيف تكفرون
بالله كيف يهدى الله قوما كفروا وفرق الزمخشرى بين كيف والهمزة
بان كيف سؤال تفويض لاطلاقه فكان الله فى الآية الاولى فوض
الامر اليهم فى ان يجيبوا باى شئ اجابوا ولا كذلك الهمزة فانه سؤال
حصر وتوقيت فانك تقول اجدك راكبا ام ماشيا فتوقت وتحصر

لما كانت صح

ومعنى الاطلاق ما قاله صاحب المفتاح كيف سؤال عن الحال وهو
ينتظم فيه الاحوال كلها والكفار حين صدور الكفر عنهم لابد ان
يكونوا على احدى الحالتين اما عالمين بالله او جاهلين به فاذا قيل
كيف تكفرون بالله افاد أفي حالة العلم تكفرون ام في حالة الجهل
هذا معنى التفويض في الاية **ترقى رقيك** ماضيه بكسر القاف
من رقي في السلم وهو رقيه صلى الله عليه وسلم ببدنه يقظة بمكة ليلة
الاسراء قبيل الهجرة الى السماء ثم الى سدرة المنتهى ثم الى المستوى الذي
سمع فيه صريف الاقلام في تصاريف الاقدار ثم الى العرش والرفرف
والرؤية وسماع الخطاب بالمكافحة والكشف الحقيقي وغير ذلك
مما لم يصل اليه ملك مقرب ولا نبي مرسل والمعنوي من رقي بالفتح
وهو التنقل من كل صفة كاملة وخلق عظيم الى صفة اخرى وخلق
آخر اكمل واعظم وهكذا الى ما لا غاية له ففي كلامه استعمال المشترك
في معنييه او الجمع بين الحقيقة والمجاز وهو الاصح عندنا في الاصول
وعلى مقابلة المنقول عن الاكثرين يكون هذا من عموم المجاز **الانبياء**
جمع نبي فعيل بمعنى فاعل او مفعول من النبأ يهمز وقد لا يهمز
تخفيفا وهو الخبر لانه مخبر عن الله تعالى او من النبوة فلا يهمز لانه
مرتفع او مرفوع الرتبة على غيره من الخلق وهو حر ذكر من بني آدم
سالم من منفر كعمى وما وقع ليعقوب وشعيب لم يكن عمى حقيقيا
اوحي اليه بشرع وان لم يؤمر بتبليغه فان امر فهو رسول ايضا وان لم يكن
له كتاب ولا نسخ لشرع من قبله على الاشهر فالرسول اخص مطلقا
من النبي ولا يطلق على غير الآدمي كالملك والجني الا مقيدا ومنه
جاعل الملائكة رسلا الله يصطفي من الملائكة رسلا ومن الناس على
ان معنى الارسال فيهما غيره في الاول اذ هو ايحاء ما يتعبد به هو
وامته وفيهما مجرد الارسال للغير بما يوصله اليه **فان قلت** نفي
رقي الانبياء رقيه لا يستلزم نفي رقي الرسل رقيه لتصريحهم بان
الاعم لا دلالة فيه على الاخص والمراد انما هو نفي رقي كل منهما
رقيه ولم تف به عبارته **قلت** ممنوع بل هي وافية بل مصرحة به

لان

لان قوله ما طاولتها سماء صريح في نفي رقي الكل رقيه كما يعلم
مما يأتي في شرحه لان النكرة في حيز النفي للعموم وفي انه اراد
بالانبياء هنا ما يشمل الرسل على ان المحقق الكمال بن الهمام نقل في
مسايرته ان المحققين على ترادف النبي والرسول فلعل الناظم ممن
يرى ذلك وان كنت رددته في شرح المنهاج لمخالفته للاحاديث الصريحة
الصحيحة في عدد الانبياء والرسل وسيأتي بعضها وايضا فنفي
الحقيقة مطلقا كالنبوة التي تضمنها لفظ الانبياء هنا يستلزم
نفيها مع قيدها ولا عكس كما صرحوا به فتعين ما ذكره الناظم
ولا يصح ذكر الرسل فتامل **تنبيهات** منها ما صرح به
كلامه كما مر في معنى كيف انه استفهام متضمن لنفي رقيهم رقيه
وللتعجب ممن يتشكك في ذلك وهذا اولى ممن قال والتعجب من
وقوعه لو وقع من اختصاص نبينا صلى الله عليه وسلم بذلك الرقي
بمعنييه السابقين وانه المنفرد بغاية كمال الشرف والرفعة اجماع
اما الاول فواضح واما الثاني فكذلك عند من تامل آي القرآن
وما اشتملت عليه اما تصريحا او تلويحا من الاشارة الى انافة قدره
العلي عنده وانه لا مجد يساوي مجده وقال المفسرون في ورفع
بعضهم درجات يعني محمدا صلى الله عليه وسلم قال الزمخشري في هذا
الابهام من تفخيم فضله واعلاء قدره ما لا يخفى لما فيه من الشهادة
على انه العلم الذي لا يشتبه والمتميز الذي لا يلتبس ومن تلك
الدرجات ان آياته اكثر وابهر اذ ما من معجزة لنبي قبله الا وله
مثلها او ابهر منها كما بينه الائمة وسيأتي بعضه وزاد عليهم بمعجزات
لم يقع نظيرها لاحد منهم وناهيك بكتابه القرآن فانه لا تتناهى
معجزاته ولا تنقضي آياته وان امته ازكى واكثر وخير واطهر من
بقية الامم بنص كنتم خير امة اخرجت للناس وخيرية الامة
تستلزم خيرية نبيها وافضلية دينها اذ لا شك ان خيريتهم بحسب
كمال دينهم المستلزم لكمال نبيهم وان صفاته اعلى واجل وذاته
افضل واكمل كما يصرح به قوله تعالى فبهداهم اقتده لانه تعالى وصف

الانبياء بالاوصاف الحميدة ثم امره ان يقتدي بجميعهم وذلك يستلزم
ان يأتي بجميع ما فيهم من الخصال الحميدة فاجتمع فيه ما تفرق فيهم وفي حديث
الشفاعة العظمى وانتهائها اليه بعد تنصل كل منها واعترافه بانه ليس
اهلا لها التصريح بذلك ايضا وكذا الحديث الصحيح انا سيد ولد
آدم وفي رواية انا اكرمهم على ربي وفي حديث الترمذي انا سيد
ولد آدم يوم القيمة ولا فخر وبيدي لوآء الحمد ولا فخر وما من نبي
آدم فمن سواه الا تحت لوائي وهو صريح في دخول آدم كحديث البخاري
وغيره انا سيد الناس يوم القيمة وحديث انا سيد العالمين صححه
الحاكم واعترض وبذلك يعلم افضليته على الملائكة لان آدم افضل
منهم بنص الآية ويؤيده الحديث الآتي على الاثر ليس احد من الملائكة
وحديث الترمذي الحسن كما بينه البلقيني في فتاواه زاد على الترمذي
وانا اكرم الاولين والآخرين وهذا صريح في شموله للانبياء والملائكة
جميعهم وحديث قال ــــــ آدم يا رب اسالك بحق محمد صلى الله عليه وسلم
لما غفرت لي الحديث وفيه انه تعالى قال يا آدم كيف عرفته ولم اخلقه
قال يا رب لما خلقتني بيدك اي قدرتك الباهرة ونفخت في
من روحك اي سرك العجيب الذي لا يعلم حقيقته احد غيرك رفعت
راسي فرأيت على قوائم العرش مكتوبا لا اله الا الله محمد رسول
الله فعلمت انك لم تضف الى اسمك الا احب الخلق اليك قال الله
صدقت انه لاحب الخلق الي واذ سألتني بحق محمد فقد غفرت يا آدم
لك ولولا محمد ما خلقتك صححه الحاكم واعترض لكن صح عن ابن عباس
وله حكم المرفوع ولولا محمد ما خلقت آدم ولولا محمد ما خلقت الجنة
والنار ولقد خلقت العرش على الماء فاضطرب فكتبت عليه لا اله الا
الله محمد رسول الله فسكن وفي روايات اخر لولاه ما خلقت السماء
ولا الارض ولا الطول ولا العرض ولا وضع ثواب ولا عقاب ولا
خلقت جنة ولا نارا ولا شمسا ولا قمرا وصح انا اول من تنشق
عنه الارض فالبس حلة من حلل الجنة ثم اقوم عن يمين العرش ليس احد
من الملائكة يقوم ذلك المقام غيري وفي رواية ذكرها السراج البلقيني

في فتاواه انه تعالى قال لقد مننت عليك بسبعة اشياء اولها اني لم
اخلق في السموات والارض اكرم علي منك وفي اخرى ذكرها
ايضا ان جبريل قال له ابشر فانك خير خلقه وصفوته من البشر حباك
الله تعالى بما لم يحب به احدا من خلقه لا ملكا مقربا ولا نبيا مرسلا
الحديث • وصح عن بحيرا وهو من علماء اهل الكتاب الذين لا يقولون
شيئا الا عنه هذا سيد العالمين • وصح ايضا عن عبد الله بن سلام
الصحابي الجليل امام اهل الكتاب بشهادته صلى الله عليه وسلم انه
ذكر بالمسجد يوم الجمعة امورا منها وان اكرم خليقة الله على الله
ابو القاسم صلى الله عليه وسلم فقيل له فاين الملائكة فضحك وقال
للسائل يا ابن اخي هل تدري ما الملائكة انما الملائكة خلق كخلق
السموات والارض والرياح والسحاب والجبال وسائر الخلق التي
لا تعصي الله شيئا وان اكرم الخلق على الله ابو القاسم صلى الله
عليه وسلم • وبين السراج البلقيني ان هذا له حكم المرفوع وهو
كذلك فانه من اجلاء الصحابة فلا يقول الا عنه صلى الله عليه وسلم
او عما يصح من التوراة قال واختيار الباقلاني والحليمي افضلية
الملائكة يمكن حمله على غير نبينا صلى الله عليه وسلم اي وبهذا جزم
بعض اجلاء تلامذته كالبدر الزركشي او على تفضيل في نوع خاص
اي لانه قد يوجد في المفضول مزية بل مزايا لا توجد في الفاضل
ثم قال ولا يظن باحد من ائمة المسلمين انه يتوقف في افضلية
نبينا على جميع الملائكة وكذا سائر الانبياء صلوات الله وسلامه
عليه وعليهم واطال الحط والرد على من توقف في ذلك وزعم
ان هذا ليس مما كلفنا بمعرفته ثم قال وهذا الزعم باطل فانه
من مسائل اصول الدين الواجبة الاعتقاد على كل مكلف والبيان
بسوق ادلتها وايضاحها على كل من تأهل لذلك وقد صح في الحديث
المشهور ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الايمان من كان الله ورسوله
احب اليه مما سواهما فتأمل قوله مما سواهما تجده ظاهرا بل صريحا
في كل ما ذكرناه ومنها ما افاده كلامه من جواز التفضيل بين

الانبيا فهو ما عليه عامة العلماء لما مر من الادلة الصريحة فيه • واما
قوله تعالى لا نفرق بين احد منهم فهو باعتبار الايمان بهم وبما انزل اليهم •
واما الاحاديث الصحيحة لا تفضلوني على الانبياء لا تفضلوا بين
الانبياء لا تخيروا بين الانبياء فهي اما قبل علمه بالتفضيل وانه
افضلهم واما محمولة على التواضع منه صلى الله عليه وسلم لتصريحه بالتفضيل
او على تفضيل يؤدي الى تنقيص او الى خفض من مقام احدهم وعليهما
يدل سياق الحديث او على التفضيل في ذات النبوة والرسالة فانهم
كلهم مشتركون في ذلك لا يتفاوتون فيه وانما يتفاوتون في زيادة
الاحوال والمعارف والخصوصيات والكرامات وزعم حملها على
التفضيل بآرائنا ليس في محله لان تفضيل ذلك بالرأي المحض
مجمع على منعه وبالدليل الدال عليه لا وجه لمنعه • واما الحديثان
الصحيحان ما ينبغي لاحد ان يقول انا خير من يونس بن متى ومن
قال انا خير من يونس بن متى فقد كذب فحكمة التخصيص فيهما
بيونس نفي توهم التفاوت بينهما في القرب من الحق لاختلاف محليهما
الصوري برفع نبينا صلى الله عليه وسلم الى قاب قوسين ونزول
يونس عليه السلام الى قعر البحار اي لا تتوهموا من هذا التفاوت الصوري
تفاوتا في القرب والبعد من الله تعالى بل نسبة كل اليه واحدة وان
تفاوت مكانهما المتعالية عن الجهة والمكان فهو نهي عن تفضيل مقيد
بالمكان لا مطلقا ومنها ان قوله الانبيا يشمل من عرف منهم
ومن لم يعرف قال تعالى منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم
نقصص عليك واختلفوا في عدد من عرف منهم والمشهور فيه
ما في حديث ابي ذر عند ابن مردويه في تفسيره قال قلت يا رسول
الله كم الانبياء قال مائة الف واربعة وعشرون الفا قلت
يا رسول الله كم الرسل منهم قال ثلاثمائة وثلاثة عشر جم غفير
قلت يا رسول الله من كان اولهم قال آدم ثم قال يا اباذر اربعة
سريانيون آدم وشيث ونوح واخنوخ وهو ادريس وهو اول
من خط بالقلم واربعة من العرب هود وصالح وشعيب ونبيك

يا

يا اباذر واول نبي من بني اسرائيل اي من اولاد اسرائيل وهو يعقوب
صلى الله عليه وعليهم وسلم موسى وآخرهم عيسى واول النبيين آدم على نبينا و
وآخرهم نبيك وروى هذا الحديث بطوله الحافظ ابو حاتم بن حبان
في كتابه الانواع والتقاسيم وصححه لكن خالفه ابن الجوزي فذكره
في موضوعاته واتهم به ابراهيم بن هشام قال الحافظ ابن كثير ولا
شك انه تكلم فيه غير واحد من ائمة الجرح والتعديل من اجل هذا
الحديث فالله اعلم وبينت في شرح المنهاج في الخطبة ان حديث
كون الانبياء مائة الف واربعة وعشرين الفا وحديث كون
الرسل ثلثمائة وثلاثة عشر صحيحان فاعلمه وروى ابو يعلى كان
في من خلا من اخواني من الانبيا ثمانية آلاف نبي ثم كان عيسى بن مريم
ثم كنت انا يا نداء للبعيد او القريب المنزل منزلته وهو هنا
اشارة الى بعد مرتبته صلى الله عليه وسلم عن ان تلحق وتسامى
سماء بالتنوين والنصب لانها نكرة موصوفة وهي من حيث
التشبيه بالمضاف فتنصب لا غير على الاصح وقال الكسائي يجوز
فيها النصب والضم وفصل الفراء فاوجب النصب اذا كان العائد
من الصفة اليها ضمير غيبة كما هنا وكيا رجلا ضرب زيدا والضم اذا
كان ضمير خطاب كيا رجل ضربت زيدا تنبيه لا يأتي هنا الخلاف
في النكرة غير المقصودة وهو قول الاصمعي لا تنادى مطلقا و
المازني لا يتصور نداؤها لانه يقتضي الاقبال او عدم قصدها
يقتضي عدمه قال وما جاء منونا منها فضرورة والكوفيين شرط
صحة ندائها ان تكون صفة في الاصل حذف موصوفها نحو يا ذاهبا
والمنع ان لم يكن كذلك وذلك لان محل هذه الاقوال الاربعة
حيث لم توصف النكرة بمفرد او جملة او ظرف والا جاز نداؤها
اتفاقا فان قلت ما هنا نكرة مقصودة قطعا كما يعلم مما يأتي
وموصوفة بجملة ما طاولتها سماء كما تقرر وحكمها متناف فان
قصدها يوجب بناءها على الضم ووصفها يوجب نصبها على الاصح
كما تقرر فما المغلب منهما حينئذ قلت لم ار للنحاة في مثل هذه

المصورة نصبًا وانما اطلقوا في المقصودة البناء وفي الموصوفة
النصب ومفهومهما متخالف اذ اطلاق الموصوفة يقتضي انه لا
فرق بين المقصودة وغيرها واطلاق المقصودة يقتضي انه لا فرق
بين الموصوفة وغيرها لان نقال الوصف يستلزم القصد ومع ذلك
لم ينظروا للقصد معه لانا نمنع استلزامه له اذ لا بدع ان الاعمى
يقول يا رجلا صالحا خذ بيدي من غير ان يقصد احدا بعينه ولكن
لا يبعد ان يدار الامر في نحو هذه الصورة على نظر الناظر فان اعتبر
الوصف اجرى عليه حكم التابع او القصد اجرى عليه حكمه ويجوز تنوينها
للضرورة ثم اختلفوا اهل الاولى بقاء الضم او الاولى النصب فالخليل
وسيبويه والمازني على الاول علما كان او نكرة مقصودة وعيسى بن
عمر والجرمي والمبرد على الثاني ردًا الى اصله كما رد غير المنصرف
الى الكسر عند تنوينه في الضرورة واختار ابن مالك في شرح التسهيل
ابقاء الضم في العلم والنصب في النكرة المعينة لان شبهها بالمعين
اضعف وبعض المتأخرين عكسه وهو اختيار النصب لعدم الالتباس
فيه والضم في النكرة المعينة لئلا يلتبس بالنكرة غير المقصودة اذ
لا فارق حينئذ الا الحركة لاستوائهما في التنوين اذا تقرر ذلك
فالاولى هنا على الاول والرابع الضم وعلى الثاني والثالث
النصب والذي اقوله ان الضم متعين هنا على الكل لان الظاهر
خلافا لما يوهمه الرأي الرابع ان محل الخلاف حيث لا التباس يتولد
منه محذور وهنا النصب يترتب عليه محذور لايهامه ان السماء
الاولى نكرة غير مقصودة وحينئذ يفسد المعنى لان النكرة غير
المقصودة لا يصح نفي مطاولة نكرة غير مقصودة ايضا لها بخلاف
ما اذا كانت الاولى نكرة مقصودة كما هو المراد هنا اذ هي اسم
جنس يشمل سائر الاجرام العلوية فان هذه بهذا المعنى هي التي
لا يطاولها سماء اي مرتفع غيرها الا انه لم يوجد في هذا الوجود
ارفع منها **ما** نافية **طاولتها** اي غالبتها في الطول والارتفاع
سماء وهذا الشطر الثاني كالدليل للشطر الاول اذ التقدير

هو انه ع

اجماعا ع

في العلم ع

لم يرق احد منهم ارتقاءك لانه لم يستطع مطاولتك في ارتقائك
الحسي ولا المعنوي وان كان درجاتهم كلها ومراتبهم وصفاتهم
باسرها ارفع الدرجات واكمل المراتب واجل الصفات قال تعالى
ولقد اخترناهم على علم على العالمين وهذه الآية صريحة في فضلهم
على جميع الملائكة بل الخلق اذ العالم ما سوى الله وانما جمع جمع
العقلاء تغليبا لهم وفيه استعارة لفظ السماء الاول لنبينا
صلى الله عليه وسلم والثاني لبقية الانبياء لان السماء اعلى ما يرى
من الاجرام الحسية كما انهم اعلى الخلق ورشح لذلك بذكر الارتقاء
الملايم للمستعار منه **لم يساووك** مستأنفة على ما يأتي فيكون
من اسلوب الحكيم او حال من فاعل ترقى **في علاك** جمع عليا تأنيث
الاعلى من علا بالفتح يعلو علوا في المكان وعلي بالكسر يعلى وعلى
بالفتح يعلى علاء في الشرف قال الشارح ولما كان نفي المطاولة
لا يلزم منه نفي المساواة وكان المعنى لا يتم الا بنفيها صرح
بذلك وتبعه غيره فقال لما لم يلزم من نفي المطاولة نفي المساواة
اشار الى نفيها وان كان يؤخذ مما تقدم لكن لا بطريق التصريح انتهى
وهذا عجيب مع ما مر في كيف انه افاد بطريق التصريح نفي رقي احد
منهم رقيه وهذا مساو لقوله لم يساووك فالحق انه تاكيد واطناب
فقط على ان لذكره فائدة اخرى هي البرهان عليه بطريق آخر حينئذ
يكون ما سلكه من ذكر الجملة الاولى في شطر البيت الاول والبرهان
عليها بما في الشطر الثاني ثم اعادتها بمعناها في اول البيت الثاني
والبرهان عليها بما في بقيته من بديع تحقيقه وكمال بلاغته **وقد
حال** اي حجز ومنع جملة مستأنفة او حالية من الفاعل والمفعول
وقد هنا واجبة الذكر او التقدير عند البصريين قالوا لتقرب
الماضي من الحال واعترضهم السيد المحقق الجرجاني وتبعه المحقق
الكافيجي وغيره بان هذا غلط منهم بسبب اشتباه لفظ الحال
عليهم فان الحال الذي تقربه قد حال الزمان والحال المبين
للهيئة حال الصفات وكذا رده بانهما وان تغايرا لكنهما متقاربا

كما هو شان الحال وعاملها وحينئذ لزم من ترتيب الاولى تقريب الثانية
المقارن لها في الزمن فتأمل فانه مهم اذ تغليط اولئك الائمة الذين
لا يحصرون مع امكان تأويل كلامهم تساهل واقتصار الشارح
على الاول بعيد لتخصيصه له بفاعل ترقى البعيد دون فاعل
يساووك القريب وان كان متحدا والاولى لما قدمته ان هذه الجملة
كالبرهان او التعليل لما قبلها كذا قيل وفيه نظر لان الحالية تفيد
ذلك هنا كذا ايضا على انها الظاهر المتبادر سنا بالقصر اي ضوء
عظيم ظاهر منك خصك الله به وهو مجاز عن علوم القرآن المحيط
بعلوم الاولين والآخرين وغيرها التي اختصه الله بها وامره ان
يسأله بان يزيده منها وهذا مقتبس من تسميته تعالى للقرآن نورا
في آيات كثيرة من كتابه نحو واتبعوا النور الذي انزل معه وعما
اختصه الله به من جمال الظاهر بما آتاه من الحسن في خلقه بما لم يلحقه
فيه يوسف عليه السلام فضلا عن غيره كما اخبر به صلى الله عليه وسلم وفي خلقه
بما ابان الله تعالى رفعته الى الغاية بقوله عز قائلا وانك لعلى خلق عظيم
وهذا مقتبس من تسميته تعالى لنبيه نورا في نحو قد جاءكم من الله نور
وكتاب مبين وكان صلى الله عليه وسلم يكثر الدعا بان الله تعالى
يجعل كلا من حواسه واعضائه وبدنه نورا اظهارا لوقوع ذلك
وتفضل الله تعالى عليه ليزداد شكره وشكر امته على ذلك كما امرنا
بالدعاء الذي في آخر البقرة مع وقوعه وتفضل الله به لذلك
ومما يؤيد انه صلى الله عليه وسلم صار نورا انه كان اذا مشى في
الشمس والقمر لا يظهر له ظل لانه لا يظهر الا لكثيف وهو صلى الله
عليه وسلم قد خلصه الله من سائر الكثائف الجسمانية وصيره نورا صرفا
لا يظهر له ظل اصلا خرقا للعادة كما خرقت له في شق صدره وقلبه
مرارا ولم يتأثر لذلك دونهم وسناء بالمد اي رفعة عظيمة اوتيتها
لم يبته اليها مخلوق اي انتفت مساواتهم له لمانع منعهم عن اللحوق
به وهو ما اختص به من ذلك النور وتلك الرفعة اللذين لم يصل احد
الى مبادي شأوهما فضلا عن كماله وفي جعله هذين استعارة تجريدية

حقيقية كما

كما ان في جمعهما الجناس المذيل ويعبر عنه بالمطرف لان الزيادة وقعت
ذيلا وطرفا وهو ان يتماثل اللفظان وينفرد احدهما بزيادة حرف
في آخره كقولهم العارذل العارف وهو احد اقسام الجناس الناقص نحو ومنها صح
الساق والمساق ويسمى بالمردوف لان حرف الزيادة مردوف بما
وقع فيه التجانس ونحو داء ودواء ويسمى بالمكتنف لان حرف الزيادة
مكتنف اي متوسط بين ما اكتنفاه وقد يقع الاختلاف باكثر من حرف
نحو من آمن ويسمى متوجا ونحو جاهد ومجاهد وجوى وجوانح سماه في
التلخيص مذيلا واهل البديعيات على ان الزائد من آخره حرفا او اكثر
يسمى مذيلا ومن اوله يسمى مطرفا تنبيه الجناس تشابه اللفظين
من حيث اللفظ وفائدته الميل الى الاصغاء اليه فان مماثلة الالفاظ
تحدث ميلا واصغاء اليها فلذا اكثر الناظم منه في هذه القصيدة
وربما تركت التنبيه على كثير منه في محله استغناء بظهوره او تقدم
التنبيه على نظيره ومع كون الجناس يوجب الميل والاصغاء فمحل
مراعاته ما لم يعارضه قوة المعنى وتمكنه مع فقده والا لم يراع ومن
ثم قال تعالى ما انت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين فلم يقل مصدقا لنا
رعاية لجناس الاشتقاق لان معنى قولك فلان مصدق لي انه قال
لي صدقت ومعنى مؤمن لي انه صدقني وآمنني والمقصود الثاني لا
الاول فترك الجناس وترك ايضا في اتدعون بعلا وتذرون احسن لذلك صح
الخالقين اما لان التجنيس تحسين وانما يستعمل في مقام الوعد و
الاحسان لا في مقام التهويل ولان يدع اخص من يذر لانه ترك
الشيء مع سبق الاعتناء به ولو قيل تدعون لتوهم انهم كانوا معتنين
بالاله الحق ثم تركوه وليس كذلك بل كانوا تاركين له مطلقا فتعين
تذرون مبالغة في التشنيع عليهم بانهم بلغوا الغاية في الاعراض
عن ربهم وامتنع تدعون لايهامه وبهذا يظهر غباوة بعض الادباء
في قوله لو قال وتدعون لراعى الجناس وبقيت اجوبة اخرى ليست بذاك
فلذا تركتها وفي قوله وقد حال الى آخره التذييل وهو ان يأتي بعد تمام
الكلام بجملة تشتمل على معناه تجري مجرى العلة لتؤكد ما قبلها تنغيم

كقوله تعالى وهل نجازي الا الكفور بعد ذلك جزيناهم بما كفروا وقول
النابغة اي الرجال المهذب بعد قوله ولست بمستبق اخا الى آخره •
تنبيه ثان سيمر بك استعارات بليغة تحتاج الى معرفتها في هذه
القصيدة فلا بأس بالاشارة الى بعض شيء مما يتعلق بها وحدها انها
مجاز يتضمن تشبيه ما عني به بما وضع له فهي مجاز لغوي لانها لفظ
استعمل في غير ما وضع له لعلاقة المشابهة ومن ثم احتاجت لقرينة كرأيت
اسدا يرمي ثم ما قصد اشتراك طرفيها المستعار له والمستعار منه فيه
اما داخل فيهما كاستعارة الطيران للعدو بجامع انه في كل قطع
المسافة او لا كاستعارة الاسد للشجاع اذ الشجاعة عارضة للاسد
وهي باعتبار طرفيها والجامع اقسام كثيرة باعتبار ان كلا اما عقلي
واما حسي ثم اللفظ المستعار ان كان اسم جنس ولو تأويلا كعلم
اشتهر بوصف سميت اصلية او فعلا او مشتقا منه بان يقصد به
المعنى القائم بالذات او حرفا فتبعية لان الاستعارة تعتمد التشبيه
المقتضي لكون المشبه موصوفا بوجه الشبه ومشاركا للمشبه به فيه
وانما يصلح للموصوفية الحقائق اي الامور الثابتة دون معاني الافعال
ونحوها ومتى لم تقترن بما يلايم احد طرفيها سميت مطلقة او بما يلايم
المستعار منه فترشيحية وهي ابلغ لان مبنى الاستعارة على تناسي التشبيه
وادعاء ان المستعار له نفس المستعار منه لا شيء يشبهه كما يقال للمتردد في
امر اني اراك تقدم رجلا وتؤخر اخرى ويبقى من اقسامها الاستعارة
بالكناية والاستعارة التخييلية وهما عند صاحب التلخيص معنويان
غير داخلين في تعريف المجاز فاذا اضمر التشبيه في النفس ولم يصرح
بشيء من اركانه سوى المشبه ودل على ذلك التشبيه بذكر شيء من خواص
المشبه به سمي ذلك التشبيه المضمر استعارة بالكناية واثبات تلك
الخاصة استعارة تخييلية لانه يخيل ان المشبه من جنس المشبه به •
انما الحصر عند الجمهور قيل بالمنطوق وقيل بالمفهوم ويقال له الاختصاص
والقصر خلافا لمن فرق وهو تخصيص امر باخر بطريق مخصوص ويعبر
عنه ايضا بانه اثبات الحكم للمذكور ونفيه عما سواه وينقسم الى قصر

الموصوف على الصفة وعكسه وكل اما حقيقي واما مجازي فالحقيقي
نحو ما زيد الا كاتب اي لا صفة له غير ذلك وهو كالمحال لتعذر ان يكون
لذات صفة واحدة فقط ولم يقع منه شيء في القرآن والمجازي نحو
وما محمد الا رسول اي مقصور على الرسالة لا يتعداها الى التبري
من الموت الذي استعظموه ذهولا عن كونه من شأن الاله وانكر
قوم افادة انما له ويرد عليهم آيات كثيرة نحو انما العلم عند الله
انما يأتيكم به الله ولعلم ان المحصور فيه هو الاخير ومن ثم كان
مفاد انما قام زيد اثبات القيام لزيد ونفيه عن غيره وانما زيد
قائم اثباته له ونفي غيره عنه مثلوا اي صور الانبياء او
الواصفون لشمائلك وهو الاقرب وان لم يجر له ذكر لانه معلوم
عليهن حتى تواردت بالحجاب صفاتك جمع صفة وهي ما دل
على معنى زائد على الذات محسوس كالابيض او معقول كالعالم
للناس من الانس فيختص ببني آدم فاصله الاناس حذفت همزته
تخفيفا لا لتعويض ال عنها للجمع بينهما او من نوس اذا تحرك فيعم
الجن كذا قيل والذي في القاموس الناس من الانس ومن الجن جمع انس
اصله اناس جمع عزيز ادخل عليه ال ثم قال وناس الابل ساقها و
اناسه حركه ك نعت لمصدر محذوف مفعول مطلق لمثلوا اي تمثيلا
مثل ما مصدرية مثل النجوم الماء اصله موه بالتحريك فهمزته بدل
من الهاء وهو جوهر قيل لا لون له وانما يتكيف بلون انائه ومقابله
والحق خلافه فقيل ابيض وقيل اسود والمعنى على ان الضمير للانبياء
ان ما شاركهم فيه من الصفات وان كملت لم يصل لادناها غيرهم
الا انها بلغت من الكمال ما لم يبلغه مخلوق فهي فيه حقيقة كالنجوم
الحقيقية المرئية من غير حائل وفيهم كصور النجوم التي ترى في الماء
دون حقيقتها وشتان ما بينهما واسناد ذلك التصوير اليهم على
هذا مجاز عقلي كقول الموحد انبت الربيع البقل ويحتمل انه لمح بذلك
الى ما علم من حال الانبياء انهم نعتوا صفاته الكريمة لاممهم وصوروها
لهم لكنهم مع ذلك لم يصلوا الى تصوير كنهها لعدم احاطتهم بها

وانما غاية ما وصلوا اليه تصوير صورها الحاكية لمباديها كما ان
الماء لم يحك من النجوم الا مجرد صورها لا غير وفي هذا من الابلغية
في المدح ما لا يخفى لان الانبياء مع كمالهم الاكبر اذا عجزوا عن ادراك
حقايق صفاته العلية كان غيرهم اعجز لا يقال هذا يستغنى عنه بما
ياتي في قوله الا بشرت قومها بك الانبياء لان ذلك في مطلق تبشيرهم
بانه سيوجد وهذا في بيان صفات ذلك المبشر به وعلى انه للواصفين
انهم وان كثروا الاوصاف وتفننوا في ايرادها على ابلغ انواع البلاغة
واكمل قوانين الفصاحة فغاية ما وصلوا اليه ان ادركوا لوايح منها
وعجزوا عن ادراك شيء من حقايقها كما ان غاية من يرى النجوم في الماء
انه يدرك مبادي اوصافها ويعجز عن ادراك حقايقها وقد شرح
الناظم هذا بقوله في بردة المديح اعيى الورى فهم معناه البيتين (المعنى)
وهذا البيت من جملة التذييل ايضا بناء على الاول لانه برهان ظاهر
على ما قدمه من نفي المساواة بل في الحقيقة القصيدة كلها برهان
على مطلعها وشرح وبيان له كما مر ولما قرر ان ما اوتيه من المزايا
لا تدرك غاياتها بل ولا حقايقها زاد ذلك تقريرا وتمكينا في النفوس
فقال **انت** ايها العلم الفرد الذي لا يساوى بل ولا يداني **مصباح**
اي سراج فهو مقتبس من قوله تعالى وسراجا منيرا **كل** اسم موضوع
لاستغراق افراد المنكر المضاف هو اليه كما هنا والمعرف المجموع نحو وكلهم
آتيه يوم القيمة فردا واجزاء المفرد المعرف نحو على كل قلب متكبر جبار
باضافة قلب الى متكبر اي على كل اجزائه وقراءة التنوين لعموم افراد
القلوب ثم ان لم تكن نعتا للنكرة ولا توكيدا للمعرفة بان تلاها العامل
كما هنا جازت اضافتها كما هنا وقطعها نحو وكلا ضربنا له الامثال
واعلم انها حيث اضيفت لمنكر وجب في ضميرها مراعاة معناها
نحو وكل شيء فعلوه وعلى كل ضامر يأتين او لمعرف جازت مراعاة
لفظها في الافراد والتذكير ومراعاة معناها وكذا اذا قطعت نحو
قل كل يعمل على شاكلته وكل اتوه داخرين وانها حيث وقعت في حيز
نفي بان سبقتها اداته او فعل منفي نحو ما جاء كل القوم وكل الدراهم

لم

لم آخذ لم يتوجه النفي الا لسلب شمولها فيفهم اثبات الفعل لبعض
الافراد ما لم يدل الدليل على خلافه نحو والله لا يحب كل مختال فخور
مفهومه اثبات المحبة لاحد الوصفين لكن لا نظر اليه للاجماع على
تحريم الاختيال والفخر مطلقا وحيث وقع النفي في حيزها كقوله صلى
الله عليه وسلم في خبر ذي اليدين كل ذلك لم يكن توجه الى كل فرد فرد
كذا ذكره البيانيون وانما سقت هذا جميعه هنا لنفاسته وكثرة
الاحتياج اليه مما ينبغي ان يستفاد ويحفظ **فضل** وكمال برز لغيرك
في الوجود لانك الخليفة الاكبر الممد لكل موجود وشاهده ما صح
من خبر آدم فمن دونه تحت لوائي وخبر انما انا قاسم والله يعطي
وخبر لو كان موسى عليه السلام حيا ما وسعه الا اتباعي وخبر ان ابرهيم
قال انما كنت خليلا من وراء وراء وآثر التشبيه بالسراج على القمرين
لانه يقتبس منه الانوار بسهولة وتخلفه فروعه فتبقى بعده ووجه الشبه
ان نوره صلى الله عليه وسلم يظهر الاشياء المعنوية كنور البصائر
ونور السراج يظهر المحسوسة كنور البصر ولا ريب ان المحسوس اظهر
من المعقول من حيث هو معقول فلذا شبه نوره صلى الله عليه وسلم
لكونه معقولا بنور السراج لكونه محسوسا فلا ينافي ذلك ان السراج
دونه صلى الله عليه وسلم بل لا نسبة ويمكن انه من التشبيه المقلوب
كما في قوله تعالى افمن يخلق كمن لا يخلق واذا تقرر ان كمالات غيره
المشبهة بالاضواء مستمدة من كماله الذي هو الضوء الاعلى **ف**بسبب
ذلك **ما يصدر** اي يبرز في الوجود ضوء ينشأ عن ضوء احد مطلقا
الا ضوء ك فانت المخصوص بانك الذي يبرز **عن ضوئك** الذي
اكرمك الله به **الاضواء** كلها من الآيات والمعجزات وسائر المزايا و
الكرامات وان تأخر وجودك عن جميع الانبياء لان نور نبوتك متقدم
عليهم بل وعلى جميع المخلوقات وشاهده حديث عبد الرزاق بسنده
عن جابر رضي الله عنه يا رسول الله اخبرني عن اول شيء خلقه الله قبل
الاشياء قال يا جابر ان الله تعالى خلق قبل الاشياء نور نبيك من نوره
فجعل ذلك النور يدور بالقدرة حيث شاء الله ولم يكن في ذلك الوقت

لوح ولا قلم ولا جنة ولا نار ولا ملك ولا سماء ولا ارض ولا شمس
ولا قمر ولا جن ولا انس فلما اراد الله تعلى ان يخلق الخلق قسم ذلك
النور اربعة اجزاء فخلق من الجزء الاول القلم ومن الثانى اللوح ومن
الثالث العرش ثم قسم الجزء الرابع اربعة اجزاء فخلق من الاول السموات
ومن الثانى الارضين ومن الثالث الجنة والنار ثم قسم الربع الباقى
اربعة اجزاء فخلق من الاول نور ابصار المؤمنين ومن الثانى نور قلوبهم
وهى المعرفة بالله ومن الثالث نور انسهم وهو التوحيد وهو مضمون
قول لا اله الا الله محمد رسول الله الحديث وصح حديث اول ما خلق
الله القلم وجاء باسانيد متعددة ان الماء لم يخلق شيء قبله ولا
ينافيان ما فى الاول فى نور نبينا لان الاولية فى غيره نسبية
وفيه حقيقية ولا تعارض وفى حديث عند ابن القطان كنت
نورا بين يدى ربى قبل خلق آدم باربعة عشر الف عام وفى الخبر
لما خلق الله تعلى آدم جعل ذلك النور فى ظهره فكان يلمع فى جبهته
فيغلب على سائر نوره الحديث وصح خبر متى كنت او كتبت نبيا
قال وآدم بين الروح والجسد وليس المراد من ذلك التقدير لان
غيره كذلك بل الاشارة الى كون روحه العلية ثبت لها ذلك الوصف
دون غيرها فى عالم الارواح اذ ورد ان الارواح خلقت قبل
الاجساد بالفى عام وفى حديث عبد الرزاق السابق تأييد
لما قيل انه تعلى خلق نور نبيه محمد صلى الله عليه وسلم امره ان ينظر
الى نور الانبياء عليهم الصلاة والسلام فغشيهم من نوره ما
انطقهم الله تعلى به وقالوا يا ربنا من غشينا نوره فقال هذا نور محمد
ابن عبد الله ان آمنتم به جعلتكم انبياء قالوا آمنا به وبنبوته فقال
الله اشهد عليكم قالوا نعم فذلك قوله تعلى واذ اخذ الله ميثاق النبيين
لما آتيتكم من كتاب وحكمة الى قوله من الشاهدين وفى هذه الآية كما قاله
النقى السبكى من التنويه بقدره العلى ما لا يخفى وفيها مع ذلك انه
على تقدير مجيئه يكون مرسلا اليهم والى اممهم فتكون رسالته عامة
لجميع الخلق فهو نبى الانبياء ولذا كانوا كلهم يوم القيمة تحت لوائه

صلى

صلى الله عليه وسلم واستعارة المصباح للفضل المبنى على تشبيهه
ببيت واسع يحتاج الناس الى دخوله وسراج فيه استعارة بالكناية
يتبعها التخييلية والضوء الذى هو اعلى من النور بدليل جعل الشمس استعارة
ضياء والقمر نورا الصفات الكمال استعارة مصرحة بجامع ان كلا من
الضوئين المعقول والحسى يهدى الى المقصود وايضا الكمالات
الدينية تنور الظاهر والباطن لك لا لغيرك ذات اصلها مؤنث
ذا المقتضية لموصوف ملازمة للاضافة غالبا كرجل ذى مال ثم
استعملوها استعمال الاسماء المستقلة فقالوا ذات قديمة ونسبوا
للفظها فقالوا ذاتى وقد تستعمل بمعنى نفس الشيء وحقيقته
كما هنا وكما فى قول ابن حبيب رضى الله عنه وذلك فى ذات الاله
العلوم جمع علم وهو هنا صفة يتجلى بها المذكور لمن قامت
به انجلاء تاما والادراك الجازم الذى لا يحتمل النقيض ومحدود
بحدود اخرى كلها مدخولة ايضا ويرادف المعرفة لكن لا يقال
الله عارف لانها تستدعى سبق جهل بخلاف العلم واليقين لكن
فرق بينهما بعض المحققين بان اليقين خاص بما من شانه ان
يتطرق اليه شك فلا يقال تيقنت ان الواحد نصف الاثنين وقال
الراغب اليقين من صفة العلم فوق المعرفة والدراية واخواتها
يقال علم اليقين ولا يقال معرفة اليقين وهو سكون النفس مع
ثبات الحكم حال كونها واصلة اليك على لسان الملك او بالالقاء فى
الروع او بخلق العلم الضرورى او سماع الكلام النفسى من فيض
عالم الغيب مصدر وصف به للمبالغة بمعنى اسم الفاعل اى
الغائب وهو ما لم يشاهد لكن بالنسبة الينا واما بالنسبة اليه
تعالى فالكل من عالم الشهادة لا المفعول اى المغيب خلافا لمن زعمه
لان غاب لازم وخص بالذكر على حد قوله تعلى عالم الغيب فلا
يظهر على غيبه احدا الآية لان العلم به افخم واظهر ولان اكثر
علوم نبينا صلى الله عليه وسلم تتعلق بالمغيبات بدليل فعلمت
علم الاولين والآخرين فى الحديث المشهور ولانه تعالى اختص

بل لكن من حيث الاحاطة والشمول لعلمه بالكليات والجزئيات فلا
ينافي ذلك اطلاع الله تعالى لبعض خواصه على كثير من المغيبات حتى من
الخمس التي قال فيهن صلى الله عليه وسلم في خمس لا يعلمهن الا الله لانها
جزئيات معدودة لا غير وانكار المعتزلة لذلك مكابرة فقد وقع
للانبياء والاولياء من ذلك ما لا يمكن عده لا سيما ما وقع لنبينا
محمد صلى الله عليه وسلم وسيأتي بسط جمل مما اخبر به صلى الله عليه
وسلم من المغيبات في شرح قوله وكم اخرج خباء له الغيوب خباء وجملة
مما يتعلق بانكار المعتزلة اواخر الكتاب ومنها اي العلوم بمعنى
المعلومات وهو متعلق بالاسماء لآدم ابي البشر صلى الله عليه وسلم
واصله أأدم لكنهم لينوا الثانية تخفيفا وجعلوها في التصغير
واوا نظرا للتليينها من الادمة بالسكون او الفتح ومنه اديم الارض
كما صح عن ابن عباس رضي الله عنهما وورد عن علي وابن مسعود رضي
الله عنهما واديم الارض ظاهر وجهها والادمة السمرة وهو مراد من قال
لونه يقارب السواد ومن قال يشبه التراب واستشكل بما ورد من
براعة جماله وان يوسف عليه الصلاة والسلام كان على الثلث من
جماله وقد يجاب بان الجمال لا ينافي السمرة لانها بين البياض والحمرة
قيل اشتقاقه مما ذكر يؤيد القول بانه عربي وبه صرح الجواليقي وغيره
ورد بان توافق اللغتين غير منكر وبانه لا دليل على ان الاشتقاق
من خواص كلام العرب واجيب بان الاصل عدم التوافق وبان وجه
الاشتقاق خاص بكلام العرب فقد اطبقوا على التفرقة بين اللفظ العربي
والعجمي بصحة الاشتقاق وصح خبر ان آدم كان يتكلم بكل لسان ولكن
الغالب انه كان يتكلم بالسريانية الاسماء مبتدأ مؤخر جمع اسم وهو
هنا ما دل على معنى فيشمل الفعل والحرف ايضا واحتاج الناظم الى
هذا التفصيل مع العلم به مما قبله لان آدم منزه الله على الملائكة
بالعلوم التي علمها له وكانت سببا لامرهم بالسجود والخضوع له بعد
استعلائهم عليه بزعمه ومدحهم انفسهم بقولهم اتجعل فيها من يفسد فيها
الى آخره فربما يتوهم ان هذه المرتبة الباهرة لم تحصل لنبينا اذ قد

يوجد في المفضول ما ليس في الفاضل فرد ذلك التوهم ببيان
ان آدم لم يحصل له من العلوم الا مجرد العلم باسمائها وان الحاصل
لنبينا هو العلم بحقائقها ومسمياتها ولا ريب ان العلم بهذا اعلى
واجل من العلم بمجرد اسمائها لانها انما يؤتى بها لتبيين المسميات فهي
المقصودة بالذات وتلك بالوسيلة وشتان ما بينهما ونظير ذلك
ان المقصود من خلق آدم انما هو خلق نبينا صلى الله عليه وسلم من صلبه
فهو المقصود بطريق الذات وآدم بطريق الوسيلة ومن ثم قال
بعض المحققين انما سجد الملائكة لاجل نور نبينا محمد صلى الله عليه وسلم
في جبينه ثم ما سلكه الناظم ان آدم انما علم اي باحدى الطرق التي بقة
آنفا الاسماء فقط اي الالفاظ الموضوعة بازاء الاعيان والمعاني
هو الوارد عن ابن عباس رضي الله عنهما وعليه فقيل علم الاسماء الموضوعة
بكل لغة وعلمها اولاده فلما تفرقوا في البلاد وكثروا اقتصر كل
قوم على لغة وهذا يقوي ما هو الاصح في الاصول ان اللغات كلها
توقيفية وقيل انما علم لغة واحدة لان الحاجة لم تدع الا اليها
واما بقية اللغات فبالتواضع ومقابلها ما سلكه الناظم قولان احدهما
انه انما علم مدلولاتها لان المزية في العلم انما تحصل بمعرفة مقاصد
المخلوقات ومنافعها لا بمعرفة ان اسماءها كذا وكذا قال بعض
المحققين هذا وان كان قريبا من المعنى فهو بعيد من اللفظ اي
لان قوله باسماء هؤلاء وما بعده ظاهر او صريح في الاسماء فقط
ومعنى ثم عرضهم اي الاعيان لانها هي التي تعرض دون الاسماء
انها برزت اليهم ليخبروا باسمائها فلا تأييد فيه لكون المعلم المسميات
خلافا لمن زعمه ثانيهما وهو الذي سلكه صاحب الكشاف انه علم
الامرين معا جمعا بين مقتضى اللفظ والمعنى ولما ذكر شرف ذاته
وترقيه صلى الله عليه وسلم بما يبهر العقول انتقل الى ذكر شرف نسبه كذلك تدالخفية مع
فقال مستأنفا لم تزل حال كونك في ضمائر الكون اي الوجود وضمائره مستودعا
من الاصلاب والارحام تختار اي تصطفى لك الامهات جمع ام وهي الوالدة
وان علت واصلها امهة لجمعه على امهات قيل امهات للآدميات

وامّات لغيرهن **والآباء** جمع اب واصله ابو بالتحريك حذفت واوه تخفيفا
اى كما طابت ذاتك بما اوتيته من الكمال الاعلى كذلك طاب نسبك فلم يكن
فى امّهاتك من لدن حوا الى امّك آمنة ولا فى آبائك من لدن آدم الى ابيك
عبد الله الامين هو مصطفى مختار وشاهد ذلك حديث البخارى بعثت
من خير قرون بنى آدم قرنا فقرنا حتى كنت من القرن الذى كنت منه وحديث
مسلم ان الله اصطفى كنانة من ولد اسمعيل واصطفى قريشا من كنانة
واصطفى من قريش بنى هاشم واصطفانى من بنى هاشم وحديث الترمذى
بسند حسن ان الله خلق الخلق فجعلنى فى خير فرقهم ثم تخير القبائل
فجعلنى فى خير قبيلة ثم تخير البيوت فجعلنى فى خير بيوتهم فانا خيرهم
نفسا اى روحا وذاتا وخيرهم بيتا اى اصلا وحديث الطبرانى ان
الله اختار الخلق فاختار منهم بنى آدم فاختار منهم العرب ثم اختارنى
من العرب فلم ازل خيارا من خيار الا من احب العرب فبحبى احبهم ومن ابغض
العرب فببغضى ابغضهم واعلم ان آدم اولد حوا اربعين ولدا فى
عشرين بطنا الا شيث وصيه فانه ولد منفردا كرامة له لكون
نبينا محمد صلى الله عليه وسلم من نسله ثم لما توفى وصى بنيه بوصية
ابيه له ان لا يضع هذا النور اى الذى كان بجبهة آدم الا فى المطهرات
من النساء ولم تزل هذه الوصية معمولا بها فى القرون الى ان وصل
ذلك النور بجبهة عبد المطلب ثم ولده عبد الله وطهر الله هذا النسب
الشريف من سفاح الجاهلية كما ورد فى الاحاديث كحديث البيهقى فى
سننه ما ولدنى من سفاح الجاهلية شئ ما ولدنى الا نكاح الاسلام
وسفاحهم بكسر السين زناهم كانت المرأة منهم فى الجاهلية تسافح الرجل
مدة ثم يتزوجها وروى ابن سعد وابن عساكر عن محمد بن السائب
الكلبى عن ابيه قال كتبت للنبى صلى الله عليه وسلم مائة ام فما وجدت
فيهن سفاحا ولا شيئا مما كان فى امر الجاهلية والطبرانى وابو نعيم
وابن عساكر خرجت من نكاح ولم اخرج من سفاح من لدن آدم الى ان
ولدنى ابى وامى لم يصبنى من سفاح الجاهلية شئ وابو نعيم لم يلتق
ابواى قط على سفاح ولم يزل الله ينقلنى من الاصلاب الطيبة

الى

ثم انتقل الى شيث

الى الارحام الطاهرة مصفى مهذبا لا تتشعب شعبتان الا كنت
فى خيرهما وابن مردويه قرأ صلى الله عليه وسلم لقد جاءكم رسول
من انفسكم اى بفتح الفاء وقال انا انفسكم نسبا وصهرا وحسبا وليس
فى آبائى من لدن آدم سفاح كلنا نكاح **تنبيه** كما ان تأخذ من كلام
الناظم الذى علمت ان الاحاديث مصرحة به لفظا فى اكثره ومعنى
فى كله ان آباء النبى صلى الله عليه وسلم غير الانبياء وامهاته الى
آدم وحواء ليس فيهم كافر لان الكافر لا يقال فى حقه انه مختار
ولا كريم ولا طاهر بل نجس كما فى آية انما المشركون نجس وقد صرحت
الاحاديث السابقة بانهم مختارون وان الآباء كرام والامهات
طاهرات وايضا فهم الى اسمعيل كانوا من اهل الفترة وهم فى
حكم المسلمين بنص الآية الآتية وكذا كان كل من هو بين رسولين
وايضا قال تعالى وتقلبك فى الساجدين على احد التفاسير فيه
ان المراد تنقل نوره من ساجد الى ساجد وحينئذ فهذا صريح فى
ان ابوى النبى صلى الله عليه وسلم آمنة وعبد الله من اهل الجنة لانهما
اقرب المختارين له صلى الله عليه وسلم وهذا هو الحق بل فى حديث
صححه غير واحد من الحفاظ ولم يلتفتوا لمن طعن فيه ان الله احياهما له
فآمنا به وهذه خصوصية لهما وكرامة له صلى الله عليه وسلم فقول
ابن دحية يرده القرآن والاجماع ليس فى محله لان ذلك ممكن شرعا
وعقلا على وجه الكرامة والخصوصية فلا يرده قرآن ولا اجماع
وكون الايمان لا ينفع بعد الموت محله فى غير الخصوصية والكرامة
وقد صح انه صلى الله عليه وسلم ردت الشمس عليه بعد مغيبها فعاد
الوقت حتى صلى العصر اداء كرامة له صلى الله عليه وسلم فكذا هنا
وطعن فى صحة هذا بعضهم بما لا يجدى ايضا وخبر انه تعالى لم يأ
لنبيه صلى الله عليه وسلم فى الاستغفار لامه اما كان قبل احيائها
له وايمانها به او ان المصلحة اقتضت تأخير الاستغفار لها عن ذلك
الوقت فلم يؤذن له فيه حينئذ فان قلت اذا قررتم انهما من اهل
الفترة وانهم لا يعذبون فما فائدة الاحياء قلت فائدته اتحافهما

على ع

ذن

بكما لم يحصل لاهل الفترة لان غاية امرهم انهم الحقوا بالمسلمين في مجرد
السلامة من العقاب واما مراتب الثواب العلية فهم بمعزل عنها فالحقا
بمراتب اهل الايمان زيادة في شرف كمالهما بحصول تلك المراتب لهما
و في هذا مزيد ذكرته في الفتاوى و لا يرد على الناظم آزر ابو ابرهيم
عليه السلام فانه كافر مع ان الله تعالى ذكره في كتابه العزيز انه ابو ابرهيم
عليه السلام وذلك لان اهل الكتابين اجمعوا على انه لم يكن اباه
حقيقة وانما كان عمه والعرب تسمي العم ابا بل في القرآن ذلك
قال تعالى حكاية عن يوسف عليه السلام وآبائي ابرهيم واسمعيل والآبا
ابرهيم واسمعيل مع انه عم يعقوب بل ولو لم يجمعوا على ذلك وجب
تاويله بهذا جمعا بين الاحاديث واما من اخذ بظاهره كالبيضاوي
وغيره فقد تساهل واستروح وحديث مسلم قال رجل يا رسول الله
اين ابي قال في النار فلما قفا دعاه فقال ان ابي واباك في النار متعين
تاويله واظهر تاويل له عندي انه اراد بابيه عمه ابا طالب لما تقرر ان
العرب تسمي العم ابا وقرينة المجاز فيه الاية الاية الشاهدة بخلافه
على اصح محامله عند اهل السنة وان عمه هو الذي كفله بعد جده عبد المطلب
او انما قصد بذلك ان يطيب خاطر السائل خشية ان يرتد لو قرع سمعه
اولا ان اباه في النار بدليل انه انما قاله بعد ان ولى او كان ذلك قبل
ان ينزل عليه وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا كما وقع له انه سئل عن
اطفال المشركين فقال هم مع آبائهم ثم سئل عنهم فذكر انهم في الجنة واما
قول النووي رحمه الله في حديث مسلم ان من مات في الفترة على ما كانت
عليه العرب من عبادة الاوثان فهو في النار وليس في هذا مؤاخذة
قبل بلوغ الدعوة فان هؤلاء قد بلغتهم دعوة ابرهيم وغيره انتهى
فبعيد جدا للاتفاق على ان ابرهيم ومن بعده لم يرسلوا للعرب ورسالة
اسمعيل انتهت بموته اذ لم يعلم لغير نبينا صلى الله عليه وسلم عموم بعثته اليهم صح
بعد الموت وقد يؤول كلامه بحمله على عبدة الاوثان الذين ورد
فيهم انهم في النار وبهذا يرد كلام الفخر الرازي القريب من كلام النووي
ثم رأيت الابي شارح مسلم بالغ في الرد على النووي بان كلامه متناف

لحكم

لحكمه بانهم اهل فترة وبان الدعوة بلغتهم ومن بلغتهم الدعوة ليسوا
اهل فترة لانهم الامم الكائنة بين ازمنة الرسل الذين لم يرسل
اليهم الاول ولا ادركوا الثاني ثم قال ـــــ ولما دلت القواطع على ..
ان لا تعذيب حتى تقوم الحجة علمنا ان اهل الفترة غير معذبين
انتهى وهو موافق لما ذكرته وما احسن قول بعض الموفقين في
هذه المسئلة الحذر الحذر من ذكرهما بنقص فان ذلك قد يؤذي
النبي صلى الله عليه وسلم لحديث الطبراني لا تؤذوا الاحياء بسبب
الاموات انتهى واما الذين صح تعذيبهم مع كونهم من اهل الفترة فلا
يردون نقضا على ما عليه الاشاعرة من اهل الكلام والاصول والشا فعية
من الفقهاء ان اهل الفترة لا يعذبون وسبب ذلك انا عهدنا في
الغلام الذي قتل الخضر انه حكم بكفره مع صباه لامر يعلمه الله ورسوله
فلا يرد على هؤلاء نقضا على ما استفيد من الآية ومشى عليه اولئك
الائمة ان اهل الفترة لا يعذبون وهذا الذي ذكرته في الجواب اولى
من الجواب بان احاديثهم اخبار آحاد فلا تعارض القطع بان اهل
الفترة لا يعذبون او بان التعذيب المذكور في الاحاديث مقصور
على من بدل وغير من اهل الفترة بما لا يعذر به كعبادة الاوثان و
تغيير الشرائع وكان قائل هذا ممن يرى وجوب الايمان بالعقل
والذي عليه اكثر اهل السنة والجماعة انه لا يجب توحيد ولا غيره الا
بعد ارسال الرسل اليهم ومن المقرر ان العرب لم يرسل اليهم رسول
بعد اسمعيل صلى الله عليه وسلم وان اسمعيل انتهت رسالته بموته فلا
فرق بين من غير وبدل وغيره ما عدا من صح تعذيبه فيقتصر ذلك
عليه لانه لا قياس في ذلك وقول ابي حيان ان الرافضة القائلين ان
آباء النبي صلى الله عليه وسلم غير معذبين مستدلين بقوله تعالى وتقلبك
في الساجدين فكذ رده بان مثل ابي حيان انما يرجع اليه في علم النحو
وما يتعلق به واما المسائل الاصولية فهو عنها بمعزل كيف والاشاعرة هم
ومن ذكر معهم فيما مر آنفا على انهم مؤمنون ونسبة ذلك للرافضة وحده
مع ان هؤلاء الذين هم ائمة اهل السنة قائلون به قصور اي قصور

فعية

لو من يعلمه الله وحده فكذا هؤلاء
لو يحكم بكفرهم بخصوصهم وان
لم تبلغهم الدعوة صح

وتناهل أى تناهل ما مضت فترة وهى ما بين موت الرسول وبعثة
الرسول الذى يليه كما بين عيسى ونبينا صلى الله عليهما وسلم واختلفوا
فى قدرها والمشهور انه نحو ستمائة سنة اى زمن خال من الرسل جمع
رسول ومر تعريفه اول الكتاب اى ما مضى زمن خال من الرسل نبى فيه
ذكرك الأجدد له وبشرت من البشارة وهى الخبر السار قومها
ليس فيه اضمار قبل الذكر لان مرجع الضمير الفاعل وهو متقدم الرتبة
وان تأخر لفظا على انه يحتمل على بعد ان الضمير للفترة اى الا بشرت الاقوام
الكائنين فى تلك الفترة بك اى بقرب بعثتك وبامر رسالتك وعظمتك
الانبياء اى الرسل الذين اتوا بعد تلك الفترة وفى هذا استدلال واضح
على كمال شرفه صلى الله عليه وسلم ورفعته على ألسنة الرسل وانه نبى الانبياء
المتقدم عليهم التابعون له واممهم وشاهد ذلك قوله تعالى عن عيسى هم ع
عليه الصلوة والسلام ومبشرا برسول يأتى من بعدى اسمه احمد ومن ثم قال
صلى الله عليه وسلم انا دعوة ابى ابرهيم اى فى آية ربنا وابعث فيهم رسولا منهم ع
وبشارة عيسى وقوله تعالى واذ اخذ الله ميثاق النبيين اى
واممهم وحذف الامم استغناء بذكر المتبوعين عن ذكر الاتباع لما
مفتوحة توطئة للقسم الذى تضمنه اخذ الميثاق ولتؤمنن به سد مسد
جوابه وجواب ما الشرطية ومكسورة اى لاجل ما آتيتكم من كتاب
وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم اى وهو محمد صلى الله عليه وسلم
لتؤمنن به ولتنصرنه الآية وقد اختلف المفسرون فيها والذى قاله
على وابن عباس والحسن وطاووس وقتادة رضى الله عنهم انه تعالى
اخذ على كل نبى بعثه من لدن آدم الى محمد صلى الله عليه وسلم لئن
بعث محمد صلى الله عليه وسلم وهو حى ليؤمنن به ولينصرنه ويلزم من هذا
ان الانبياء كانوا يأخذون الميثاق من اممهم بانهم ان ادركوا محمدا
صلى الله عليه وسلم آمنوا به ونصروه ودعوى ان هذا هو معنى
الآية دون الاول مردودة ولا ينافى الاول العلم بان الانبياء لا يدركون
حياته صلى الله عليه وسلم ولا الحكم فى آخر الآية بالفسق على من تولى عن ذلك
لان التعليق فى مثل ذلك لا يستلزم الوقوع الا ترى قوله تعالى لئن اشركت

ليحبطن عملك ولو تقول علينا بعض الاقاويل لاخذنا منه باليمين
ثم لقطعنا منه الوتين فالمقصود انه لو فرض انه بعث فيهم وهم
احياء لزمهم ذلك كما ان القصد من هاتين الآيتين الفرض والتقدير
ايضا ومن ثم قال الامام التقى السبكى دلت الآية على
انهم لو ادركوا زمنه كان مرسلا اليهم وتكون نبوته ورسالته عامة
لجميع الخلق الانبياء واممهم من لدن آدم الى قيام الساعة وحينئذ
يدخلون فى قوله وارسلت الى الناس كافة وحكمة اخذ هذا الميثا ق
على الانبياء اعلامهم واممهم بانه المقدم عليهم وانه نبيهم ورسولهم
وقد ظهر ذلك فى الدنيا بكونه امهم ليلة الاسراء ويظهر فى الآخرة
بانهم كلهم تحت لوائه صلى الله عليه وسلم بل وفى آخر الزمان يكون عيسى
ينزل حاكما بشريعة محمد صلى الله عليه وسلم دون شريعة نفسه
ثم بين الناظم بعض فوائد تلك البشارات فى تلك الفترات فقال
تتباهى اى تتفاخر بك اى بوجودك العصور اى الازمنة الطويلة
من لدن آدم الى يوم القيمة وما بعده فكل عصر يفتخر على العصر الذى
قبله لوجودك فيه بحال اعلى مما قبله ولو فى ضمن آبائك لكن اعظمها
افتخارا عصر بروزك الى هذا العالم ثم عصر نشأتك ثم عصر رضاعك
شق صدرك فتعبدك بحراء وغيره ثم عصر نبوتك ثم عصر رسالتك
ثم عصر دعائك الخلق الى الله تعالى ثم عصر اقبالهم عليك ثم عصر معراجك
ثم عصر هجرتك ثم عصر جهادك ثم عصر سراياك وبعوثك وفتوحك ثم
عصر دخول الناس فى دين الله افواجا ثم عصر حجك ثم عصر اتباعك على
تفاوتهم الى قيام الساعة كما دل عليه الحديث المشهور لا تزال طائفة من
امتى فمزاياه تتزايد فى كل عصر من اعصار حياته على ما قبله ويجب ذلك
يكون افتخار ذلك العصر على غيره وكذلك عصور اتباعه تتفاوت من ازمانهم
المستمدة من مزاياه يفتخر كل عصر على غيره بحسب اعمالهم المتضاعفة
له تضاعفا يفوق الحصر لان كل عامل يتضاعف له صلى الله عليه وسلم
بحسب عمله وكذلك كل واسطة بينه وبينه لانه الدال لكل ومن دل
على خير فله مثل اجر فاعله فكل دال يتضاعف له بحسب تضاعف من بعده

ويتضاعف للنبى صلى الله عليه وسلم تضاعف الجميع وهذا شئ يقصر
عن ادراك كثرته العقل ثم عصر مقامه المحمود وشفاعته العظمى فى فصل
القضاء ثم عصر بقية شفاعاته ثم عصر حوضه ثم عصر وسيلته وفضيلته
التى يعطاها فى الجنة مما لا تدرك غايته ولا تحد نهايته وكل هذه
العصور تفتخر به بحسب ما يقع فيها من كماله لان الازمنة والامكنة
تتشرف بشرف من يكون فيها وما يكون فيها من المزايا والكمالات ولذا قال
بعضهم ان ليلة مولده صلى الله عليه وسلم افضل من ليلة القدر وهو
صحيح لولا ان النص على ان ليلة القدر من خصوصياته فتفضيلها انما
هو لاجله ايضا **وتسمو** اى تعلو وترتفع من سموت وسميت كعلوت
وعليت **بك** اى بتلبسها بك **مرتبة علياء** تانيث الاعلى **بعدها** فى الزمان
والعلوم **مرتبة اخرى علياء** اى اعلى منها اى لك فى كل عصر من العصور
المذكورة مرتبة اعلى مما قبلها واعلى منها ما بعدها وهكذا الى ما لا
نهاية له ودليل تفاوت مراتبه كما ذكر قوله تعالى وقل رب زدنى
علما ولا شك ان علومه متزايدة متفاوتة الى ما لا نهاية له وقوله صلى
الله عليه وسلم انه ليغان على قلبى فاستغفر الله قال العارف القطب
ابو الحسن الشاذلى هذا غين انوار لا غين اغيار اى لانه صلى
الله عليه وسلم كان دائم الترقى فكان كلما توالت انوار العلوم والمعارف
على قلبه ارتقى الى مرتبة اعلى مما هو فيها ورأى ان ما قبلها دونها فيستغفر
تواضعا طلبا للتزايد كماله وفى قول الناظم وتسمو الى آخره من المدح
ما لا يخفى عظيم وقعه لانه جعل تلك المراتب هى التى تسمو وترتفع
به ولم يجر على ما هو المتبادر ان الذى يسمو ويرتفع بها انما هو والحق انه
تعالى خلقه فى عالم الامر على اكمل كمال لا يمكن ان يوجد لمخلوق ثم ابرزه فى
عالم الخلق بعد متدرجا فى تلك المراتب فتتشرف به لا هو بها لما علمت
انه كامل قبلها فتأمل ذلك فانه دقيق غفل عنه الشارح **وبدا** اى ظهر
للوجود اى لهذا العالم **منك كريم** اى سالم من كل صفة نقص جامع
لكل صفة كمال وهذا احد انواع التجريد الذى هو من ادق انواع البديع
وهو ان ينتزع من امر ذى صفة امر آخر مثله فى تلك الصفة مبالغة لكمالها فى ذلك الامر

[الحاشية: على خلافه — ومعارفه]

فى تلك الصفة مبالغة لكمالها فى ذلك الامر حتى كانه بلغ من الاتصاف
بتلك الصفة الى حيث يصح ان ينتزع منه موصوف آخر بتلك الصفة
وهو انواع منها ما يكون بمن التجريدية كما هنا نحو قولهم لى من فلان
صديق حميم اى قريب يهتم لامره اى بلغ فلان من الصداقة حدا يصح
معه ان يستخلص من فلان آخر مثله فى الصداقة فهو صلى الله عليه وسلم
لكماله فى صفة الكرم صح ان ينتزع منه شخص كريم مبالغة فى صفة كرمه
وكماله فيه ثم ذلك الكريم الذى ظهر وهو محمد صلى الله عليه وسلم وجد **من**
اصل اب وام كريم اى سالم من نقص الجاهلية فالكريم هنا وفيما بعده
غيره ثم كما علم مما مر ويأتى وهذا ظاهر فى اسلام ابويه صلى الله عليه وسلم
وتقدم ما فى ذلك كفاية **آباؤه** جميعهم كما افادته الاضافة من لدن آدم
عليه السلام واراد بالآباء ما يشمل الامهات لما قدمه ان النوعين
مختاران والاختيار والكرم مآلهما واحد **كرماء** اى سالمون
من سفاح الجاهلية ونقصهم تنبيـــه قال ابن دحية اجمع العلماء
والاجماع حجة على انه صلى الله عليه وسلم كان اذا انتسب لم يجاوز معد بن
ابن عدنان ثم يمسك كذب النسابون لكن قال السهيلى الاصح ان هذا
من قول ابن مسعود وقال غيره كان ابن مسعود اذا قرأ والذين من
بعدهم لا يعلمهم الا الله قال كذب النسابون اى لانهم يدعون علم
الانساب وقد نفى الله علمها عن الانسان وعن ابن عباس بين اسمعيل
وبين عدنان ثلاثون ابا لا يعرفون ومن ثم انكر مالك رضى الله عنه
على من يرفع نسبه الى آدم عليه السلام وقال من اخبره بهذا اى ان ذكره من كلام
المؤرخين الذى لا دليل عليه ولا ثقة به لما فيه من التخليط والتغيير
وقلة الفائدة هذا **نسب** عظيم بل لا اطهر ولا اجل منه فى الانساب
وهو اسم لعمود القرابة الذى يجمع متفرقها **تحسب** ايها المخاطب اى تظن
العلا جمع عليا تانيث اعلى كما من **بحلاه** بضم اوله وكسره وهو افصح
جمع حلية بكسر اوله اى بسبب حلا ذلك النسب **قلدتها** اى العلا
فى محل مفعول تحسب الثانى والاول العلا **نجوما** اى بنجومها
الجوزاء اسم لبرج فى السماء كما فى القاموس وعليه فنجومها هى الآتية

[الحاشية: بن عدنان وفى مسند الفردوس عن ابن عباس انه صلى الله عليه وسلم كان اذا انتسب لم يجاوز معد صح — ويقوليه]

وتطلق عرفا على النجوم المجتمعة المعروفة قيل وهي تشبه المرأة فلذا
نسب التقليد اليها وحينئذ لا بدع ان ينسب الى الشيء من حيث
هو مجموع انه قلد غيره كلا من تلك الافراد التي اشتمل عليها او يقال
ان المراد بنجومها هنا ما حواليها من النجوم التي تسمى نطاق الجوزاء كما قال القائل •
لو لم تكن قبة الجوزاء خدمته • لما رأيت عليها
عقد منتطق • اي من كمال هذا النسب وشرفه ان من تأمل فيه حسب
بسبب ما تحلى به من الكمالات ان معاليه قلدتها الجوزاء بنجومها اي
جعلت نجومها قلادة لها فعلم ان كلامه يفيد ان كل واحد من اولئك
الآباء الكرام قد ارتفع في زمانه حتى صار كانه النجم في الشرف وعلو
المرتبة والاضاءة والاهتداء به في ظلمات البر والبحر حتى يظن الظان
انه نجم من نجوم الجوزاء او ان مجموع هذا النسب كالعقد الثمين جدا الذي
تقلده عنق تلك المراتب العلية فعلم من هذا مع ما قدمته في مبحث الاستعارة
ما في هذين البيتين من انواعها البالغة الغاية في البلاغة كاستعارة
نجوم الجوزاء المتتابعة كتتابع ذلك النسب في الشرف وعلو المراتب
ولما قرر ان مجموع ذلك النسب كالعقد الثمين الذي تقلدته تلك
المراتب العلية اخذ في مدح ذلك العقد فقال **حبذا** وهي كنعم عملاً
ومعنى مع زيادتها عليها باشعارها بان الممدوح بها محبوب للقلب
واصله حَبُب بالضم اي صار حبيبا لا حَبَب بالفتح ثم ادغم فصار حب
والاصح ان ذا فاعله ويلزم الافراد والتذكير وان كان المخصوص بخلاف ذلك
لانه كالمثل والامثال لا تتغير ولان فيه حذفا تقديره في نحو حبذا هند
حبذا حسنها وحبذا زيد حبذا امره وشانه فالمقدر المشار اليه مفرد
مذكر دائما حذف واقيم المضاف اليه مقامه ولانه على ارادة جنس
شائع افاد والاكثرون على الاول وقيل حبذا كله فعل وفاعله المخصوص
وقيل الكل اسم واحد واختاره ابن عصفور فهو مرفوع اتفاقا ثم قيل
هو مبتدأ خبره المخصوص وعكسه قولان وعلى ان ذا هو الفاعل فالمخصوص
مبتدأ الجملة قبله خبره والرابط ذا وقيل مبتدأ محذوف الخبر وقيل عكسه
فكانه قيل من المحبوب فقال زيد اي هو وقيل بدل من ذا وقيل عطف بيان

له ولا يتقدم مخصوص حبذا عليها وان جاز تقديمه بقلة على نعم
لانها فرع عنها فلا توسع فيها في تصرفاتها وتحذف بقلة ويكون قبل المخصوص
او بعده نكرة منصوبة مطابقة نحو حبذا الصبر شيمة وحبذا الرجلين
الزيدان ثم ان اشتق اعرب حالا والا فهو تمييز على خلاف منتشر فيه
والناظم حذف هذا لدلالة المقام عليه والتقدير حبذا كمالا او قد
تدخل عليها لا فتساوي بئس في العمل والمعنى مع زيادة ما تقدم في
حبذا وهي غير متصرفة فلا مصدر لها ومن ثم عملت فيما عداه كالظرف
والتمييز والحال وان توقفا بحيان في الاخير ويجرد من ذا فيضم اولها
ويجوز بقاء فتحه وجرفا عليها بالباء كحبب بها وانما اطلت في هذه لان
كلام الشارح غير موف بالمراد فيها مع انه لا يخلو كالنظم في حذفه مع
ما مر من ايهام فتأمله **عقد** بكسر اوله وهو القلادة من الجوهر **سؤدد**
اي سيادة **وفخار** اي تمدح بالخصال الجميلة **انت فيه** اي في ذلك
العقد وفي نسخ فيها نظرا الى المعنى لما تقرر ان العقد القلادة
من الجوهر **اليتيمة** اي التي لا شبيه لها في حسنها **العصماء** من العصمة
اي الحفظ والمنع لان من شان هذه الدرة ان يبالغ في حفظها ومنعها
عن ان تصل اليها ايدي الاغيار وجملة انت وما بعده صفة للعقد او حال
منه لتخصيصه بالاضافة وهذا فيه غاية المدح له صلى الله عليه وسلم في نسبه
اي حبذا نسبك الذي اذا ذكرت وعددت معك آباؤك كانوا قلادة منتظمة
من جواهر ثمينة لها السيادة والفخار على جميع الجواهر وكنت انت اعظمها
وانفسها واغلاها بحيث تكون انت واسطتها العديمة النظير والمخصوصة
من الرعاية والحفظ والمنع بما لم يوجد لغيرها لتميزها بما بلوغها من صفات
الجمال ونعوت الجلال ما يبهر العقل ويفوق الوصف وشاهد هذا ما تكرر
من الاحاديث الصحيحة الصريحة في انه صلى الله عليه وسلم افضل المخلوقين
والخليفة الاكبر عن رب العالمين ولما تم مدح كماله ونسبه اخذ في مدح
ذاته فقال **وحبذا** ايضا **محيا** اي وجه **كالشمس منك** حال من محيا
مضيء مبتدأ خبره كالشمس والجملة صفة لمحيا او حال منه لتخصيصه
بمنك وشاهد هذا حديث البخاري عن الربيع بنت معوذ لو رأيته

لقلت الشمس طالعة وحديث احمد والترمذي والبيهقي وابن حبان
عن ابي هريرة رضي الله عنه ما رأيت شيئا احسن من رسول الله صلى الله
عليه وسلم كان الشمس تجري في وجهه وحديث مسلم من حديث جابر بن سمرة
وقال له قائل كان وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل السيف فقال لا
بل مثل الشمس والقمر وكان مستديرا وبين بذلك المراد على من شبهه بالسيف
في الطول وانه جمع صفة الشمس من الاشراق والاضاءة وصفة القمر
من الحسن والملاحة وفي حديث علي رضي الله عنه عند الترمذي والبيهقي
كان في وجهه تدوير اي قليل مع سهولة خديه وهو احلى ما يكون عند
العرب وعلم مما تقرر انهم لم يقصدوا بالتشبيه بالشمس والقمر الا ما ذكر
لا مطلقا فاندفع من عيب التشبيه بهما اخذا من قول ابي نواس

يتيه الشمس والقمر المنير — اذا قلنا كانهما الامير
لان الشمس تغرب حين تمسي — وان البدر ينقصه المسير

نعم قول ابن ابي هالة يتلألأ وجهه تلألؤ القمر ليلة البدر مما يفوق
التشبيه بالشمس من حيث ان القمر حينئذ يؤنس الارض احوج ما كانت
اليه ويونس كل من شاهده فهو مجمع النور من غير اذى ويتمكن الناس من
مشاهدته بخلاف الشمس فانها تغشي البصر وتمنع من تمكن الرؤية اليها
ولك ان تقول لا يفوقه لما علم مما قدمته ان وجه الشبه مراعى وحينئذ
فالتشبيه بالشمس مع رعاية وجه الشبه بها ابلغ منه بالقمر قال الله
تعالى هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا وشتان ما بينهما اسفرت
صفة او حال ايضا اي انحسرت وانقضت عنه اي عن ذلك الحيا واضاءت
متجاوزة عنه ليلة عظيمة غراء اي بيضاء بظهور نعم فيها وعقبها
وهذا اولى من جعل ذلك لظهور القمر فيها بناء على انها ليلة ثاني عشر
او كونها من الغرر بناء على انها ليلة ثاني الشهر لان الشهر غرته ثلاث
ليال لان كلا من هذين لا مدح فيه له صلى الله عليه وسلم بخلاف الاول
المأخوذ من الغرة وهي بياض في وجه الفرس وهي غرة في وجه الدهر ثم ابدل
منها قوله ليلة المولد بكسر اللام زمان الولادة وبفتحها مكانها
وكلاهما هنا بعيد فالاحسن انه مصدر ميمي اي ليلة الولادة

الذي

الذي كان اي دام واستمر على حد قوله تعالى وكان الله غفورا رحيما
للدين وهو لغة الجزاء واصطلاحا الشرع المبعوث به النبي الكريم
وحد ايضا بانه وضع الهي سائق لذوي العقول باختيارهم المحمود
سرور اي فرح عظيم بيومه واليوم في عرف الفلكيين ونحوهم من
طلوع الشمس وفي عرف الشرع من طلوع الفجر وازدهاء اي هذه
الليلة الغراء هي ليلة ولادتك وانت اشرف مولود فلاجل ذلك
سر الدين واهله باليوم الذي برزت فيه الى هذا الوجود على
الوجه الاكمل وافتخر به على سائر الاديان والايام تنبيه
اضاف الناظم كلا من الليلة واليوم الى المولد فاحتمل ان يكون من
القائلين بانه ولد ليلا واستدلوا بما رواه ابن السكن من حديث
عثمان بن العاص عن امه فاطمة بنت عبد الله الثقفية لانها شهدت
ولادة النبي صلى الله عليه وسلم ليلا قالت فما شيء انظر اليه من البيت الا
نور واني لانظر الى النجوم تدنو حتى اني لاقول ليقعن علي ورواه
البيهقي ولم يذكر فيه الا النور وتدلي النجوم وبتصريح عائشة رضي
الله عنها بذلك كما رواه الحاكم وان يكون من القائلين بانه ولد ايضا
نهارا وهو ما يصرح به قوله الآتي يوم نالت بوضعه ابنة وهب
وهذا هو الاصح كما صرح به حديث مسلم وغيره لكن بعيد الفجر
كما في حديث وان كان فيه ضعف لان الضعيف في الفضائل والمناقب
حجة اتفاقا فمن اطلق انه ولد ليلا اراد بالليل ما قبل طلوع الشمس
او اراد مجاز المجاورة وليس في رواية ان النجوم تدلت عنده ولا دنت
الآتية ما يدل على ان ذلك كان قبل الفجر لانها تكون بعيد الفجر فيمكن تدليها
حينئذ بل بعد طلوع الشمس خرقا للعادة للمبالغة في اكرامه صلى الله
عليه وسلم وعلى انه ولد ليلا قيل ان ليلة مولده افضل من ليلة القدر
واستدل قائله بوجوه كثيرة كلها مدخولة كما يعلمه الواقف عليها ان حقق
ودقق وعلى انه ولد نهارا فهو يوم الاثنين اتفاقا وصح به خبر
مسلم ثم قيل انه في شهر غير معين والمشهور انه معين وهو صفر
او ربيع الاول او الآخر او رجب او رمضان او يوم عاشوراء اقوال

ارجحها ثانيها

والاصح انه في شهر ربيع الاول وقيل ان اليوم الذي ولد فيه غير معين والاصح انه معين فقيل يوم الثلاثين منه وقيل لثمان واختاره اكثر اهل الحديث وغيرهم بل اجمع عليه اهل التاريخ وقيل لعشر وقيل لثنتي عشرة وهو المشهور وعليه العمل وقيل لسبع عشرة وقيل لثمان بقين منه وانما لم يكن في يوم الجمعة ولا في بعض الاشهر الحرم او رمضان لئلا يتوهم انه صلى الله عليه وسلم تشرف بذلك الزمن الفاضل فجعل في المفضول لتظهر مزيته على الفاضل ونظير ذلك دفنه صلى الله عليه وسلم بالمدينة دون مكة لانه لو دفن بها لكان يقصد تبعا لها فافرد بموضع مفضول هو عند اكثر العلماء ليتشرف به بل ليفوق به الفاضل عند كثير من العلماء كما قيل ان البقعة التي ضمت اعضاء رسول الله صلى الله عليه وسلم افضل من العرش وليقصد قبره ومسجده بطريق الاستقلال لا التبعية اظهارا لمزيد كرامته على ربه واختلفوا في عام ولادته صلى الله عليه وسلم فالاكثر انه عام الفيل بل حكي الاتفاق عليه والمشهور انه ولد بعده بخمسين يوما ووراء ذلك اقوال اخر خمسة وخمسون شهرا اربعون عشر سنين خمس عشرة سنة وايد كونها بعده بانه ارهاص لنبوة هذا الذي ولد بمكة قيل بالشعب وقيل بالردم والمشهور انه المسجد المشهور الآن بالمولد وزعم انه عسفان شاذ لا يعول عليه فقد صرح بعض ائمتنا ان اول واجب على الاولياء ان يعلموا صبيانهم ان نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم ولد بمكة ودفن بالمدينة بل قيل انكار ذلك كفر لاستلزامه انكار وجود النبي الذي هو محمد صلى الله عليه وسلم **وتوالت** اي تتابعت **بشرى** اي بشارة **الهواتف** للناس جمع هاتف وهو ما يسمع هتفه اي صوته وقيل صوته الخفي ولا يرى شخصه والمراد هنا اعم من ذلك لان البشارة به جاءت في كتاب الله والسنة والاخبار والكهان والجان كما استوعبه اهل السير وجمع اكثره ابن ظفر في كتابه البشر **ان** اي بان متعلق ببشرى **قد ولد المصطفى** اي المختار على الخلق كلهم **وحق** اي ثبت **الهناء** اي الفرح والسرور لكل الخلائق به قال تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين والبشارات به صلى الله عليه وسلم على الانواع المذكورة

كثيرة لا يحتملها هذا المحل لكن منها ما جاء انه حين ولد هتف هاتف على الحجون وقال

فاقسم ما انثى من الناس انجبت
ولا ولدت انثى من الناس واحدة … كما ولدت زهرية ذات مفخر
مجنبة لوم القبائل ماجدة

وهتف آخر على جبل ابي قبيس بابيات فيها معنى ذلك وزيادة ومنها ان سواد بن قارب الدوسي لما قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وحسن اسلامه اخبره ان رئيه انشده ابياتا ثلاث ليال متواليات وذكرها للنبي صلى الله عليه وسلم فيها حث قارب على المجيء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم والايمان به وعظيم مدحه ومنها ما جاء بسند ضعيف ان راهبا كان بمر الظهران يقول يوشك ان يولد منكم يا اهل مكة مولود اسمه محمد تدين له العرب ويملك العجم هذا زمانه فكان لا يولد بمكة مولود الا سأل عنه فجاءه عبد المطلب صبيحة ولادته صلى الله عليه وسلم فلما رآه قال لكانك اباه فقد ولد المولود الذي كنت احدثكم عنه فما سميته قال محمدا وقد طلع نجمه البارحة وروى الحاكم عن عائشة رضي الله عنها انه كان بمكة يهودي فصاح ليلة ولادته يا اهل مكة هل ولد فيكم الليلة مولود فقالوا لا نعلمه قال ولد هذه الليلة نبي الامة الاخيرة بين كتفيه علامة فيها شعرات متواترات كانهن عرف فرس فادخلوه على امه واخرج له فكشف عن ظهره فرأى تلك الشامة فخر مغشيا عليه فلما افاق قالوا مالك ويلك قال ذهبت النبوة والله من بني اسرائيل وذكر الحافظ ابو سعيد النيسابوري ان نور النبي صلى الله عليه وسلم لما صار الى عبد المطلب وكان يضيء في غرته ويفوح منه رائحة المسك الاذفر وكانوا يستسقون به فيسقون نام مرة في الحجر فانتبه مكحولا مدهونا وقد كسي حلة البهاء والجمال فتحير فيمن فعل به ذلك فانطلق به ابوه الى كهنة قريش فقالوا ان اله السموات قد اذن لهذا الغلام ان يتزوج ونام مرة اخرى في الحجر فرأى رؤيا وقصها على الكهان فقالوا لئن صدقت رؤياك ليخرجن من ظهرك من يؤمن به اهل السموات والارض وليكونن في الناس علما مبينا وذكر الحافظ ان نوم

كانت اندرست فرأى عبد المطلب مآله عليها فحفرها فآذاه سفهاء
قريش ولم يكن له الا ولده الحرث فنذر ان رزق عشرة بنين ليذبحن
احدهم لله تعالى فلما تموا عشرة رأى في منامه بوفاء نذره فانتبه فذبح كبشا
فرأى انه لا يجزيه فذبح ثورا فرأى انه لا يجزيه وهكذا حتى امر بذبح احد
بنيه كما نذر فاقرع بينهم فخرجت على عبد الله فجاء به ليذبحه عند الكعبة
فمنعه سادات قريش وامروه بمشاورة كاهنه فاشار انه يقرع بينه
وبين عشر من الابل وانه كلما خرجت القرعة عليه يزاد عشر فلما بلغت
مائة خرجت القرعة عليها فذبحها ولهذا قال صلى الله عليه وسلم انا ابن
الذبيحين وصح انه صلى الله عليه وسلم اقر من قال له ذلك والثاني اسمعيل
عليه السلام وعلى انه اسحق عليه السلام وعليه الاكثرون فقد مر ان العرب
تسمى العم ابا و من عجايب ولادته صلى الله عليه وسلم انه تداعى اى
تهادم اى اشرف على الهدم لانه انشق شقا بينا آل به الى الخراب ايوان
بكسر الهمزة ويقال فيه اوان ككتاب وفسره الجوهري بانه الصفة العظيمة
كالازج وغيره بانه بيت مؤزج اى مبنى طولا غير مسدود الوجه اى
فهو صفة طويلة واسعة باولها عقد واسع قال وهو فارسى وقيل
هو البيت وقيل بيت كبير مستطيل العالى ذو شرفات وقيل بيت الملك المعد
لجلوسه مع ارباب مملكته لتدبير ملكه والحاصل ان ذلك الايوان كان
من اعاجيب الدنيا سعة وبناء واحكاما كسرى انوشروان بفتح الكاف
وكسرها معرب خسرو اى واسع الملك وهو لقب لكل من ملك الفرس كقيصر
لملك الروم وتبع لملك اليمن والنعمان لملك العرب من قبل العجم والنجاشى
لملك الحبشة وفرعون لملك القبط والعزيز لملك مصر وجالوت لملك البربر
وخاقان لملك الترك ولولا حرف امتناع لوجود اى امتناع جوابها لوجود
تاليها آية صادرة منك اى الوجود اى علامة عظيمة على نبوتك و
رسالتك العامة وان كل من عاندك لا يرتفع له رأس وفيه التفات من
الغيبة الى الخطاب والاصل منه اى المصطفى ما تداعى البناء اى هذا البناء
المذكور مع ما هو عليه من العظم والاحكام الذى يظن به انه لا يهدمه
الا نفخة الصور فاذ قد تحرك وسقط منه اربع عشرة شرفة حينئذ

فليس

فليس ذلك الا محض آية منه صلى الله عليه وسلم للوجود على نبوته وانه لا
ملك ولا عز يبقى لاحد مع ملكه وعزه وسر تلك الاربع عشرة شرفة الاشارة
الى انه لم يبق من ملوكهم الا اربعة عشر ملكا فملك منهم عشرة فى اربع سنين
واربعة فى زمن عثمان رضى الله عنه وقد فتح فى زمن عمر رضى الله عنه
اكثر اقليم فارس وكسر كسرى واهانه غاية الهوان وتقهقر الى اقصى مملكته
ثم قتل فى زمان عثمان رضى الله عنه وزال ملكه بالكلية وصح انه صلى الله
عليه وسلم اخبر بانه اذا هلك كسرى فلا كسرى بعده وان اموالهم وكنوزه
تنفق فى سبيل الله فانقطع ملكه وزال من جميع الارض وتمزق ملكه كل
ممزق لانه صلى الله عليه وسلم دعا عليه بذلك لما جاءه كتابه فمزقه وقد بشر
صلى الله عليه وسلم امته فى حفر الخندق بملك بلاده وقال لسراقة وكان
من فقراء الصحابة كيف بك اذا البست سوارى كسرى فلما اتى بهما عمر رضى
الله عنه البسهما اياه اظهارا للمعجزة وذلك عندى صحيح وقال الحمد لله الذى
سلبهما كسرى والبسهما سراقة ولما رأى كسرى ما وقع بايوانه ورأى
تلك الليلة الموبذان اعلم علماء مملكته ابلا صعابا تقود خيلا عرابا
قطعت دجلة وانتشرت فى بلادها افزع كسرى ذلك فسأل الرائى فقال
حدث يكون من ناحية العرب فكتب الى النعمان بن المنذر ملك العرب
ان يرسل اليه اعلم من فى ارضه من العرب فبعث اليه عبد المسيح بن عمرو
الغسانى وكان معمرا فدلهم على خاله سطيح وهو بالشام فامره كسرى
بالذهاب اليه فجاءه فوجده مشرفا على الموت فاخبره سطيح به فقال
جاء عبد المسيح على جمل يسيح الى سطيح وقد وافى على الضريح بعثه
ملك ساسان لارتجاس الايوان اى تحركه وخمود النيران و
رؤيا الموبذان رأى ابلا صعابا تقود خيلا عرابا وقد قطعت
دجلة وانتشرت فى بلادها من غير مهلة يا عبد المسيح اذا كثرت
التلاوة وظهر صاحب الهراوة وفاض وادى السماوة اى قرية
بين الكوفة والشام وليست العواصم وغاضت بحيرة ساوة وخمدت
نار فارس فليس الشام لسطيح شاما ولا بابل للفرس مقاما يملك
منهم ملوك وملكات على عدد الشرفات وكل ما هو آت آت ثم قضى سطيح

مكانه وسمي رسول الله صلى الله عليه وسلم صاحب الهراوة لانه كان يمسك
في يده القضيب كثيرا وكان يمشي بين يديه بالعصا ليصلي اليها
قال القاضي عياض رحمه الله واراها العصا المذكورة في حديث
الحوض اذود الناس عنه بعصاي لاهل اليمن اي لاجلهم ليتقدموا
وسمي ايضا صاحب القضيب اي السيف كما في الانجيل فهو صاحب
العصا يحمي بها الاخيار والقضيب يبيد به الاشرار ومن العجايب
التي ظهرت ليلة ولادته لينتبهوا ويسألوا عن سبب ذلك انه غدا ايضا
اي صار في تلك الليلة كل بيت نار اي كل واحد من بيوت نار الفرس
التي كانوا يعبدونها ويشتد ايقادهم لها حتى ان لها الف سنة لم
تخمد ونار من ذوات الواو وانما جمعت على نيران لانكسار ما قبل الواو
المستلزم لقلبها ياء وهي الحال وفيه تأييد لما ذهب اليه الجمهور
وتبعهم ابن مالك ان المنصوب بعد غدا حال اذ لا يوجد الا نكرة
وخالفهم الزمخشري وابو البقاء والجزولي وابن عصفور فجعلوه
خبرا سواء كانت بمعنى صار او بمعنى وقع بقلة في وقت الغدو
والرواح وجعلوا من ذلك اغد عالما وحديث تغدو خماصا وغدا زيد
ضاحكا اي صار في حال الضحك فيه كربة بضم اوله اي غم يأخذ النفس وربما
اهلكها من اجل خمودها اي سكون لهبها من غير ان يطفأ لهبها او لا
قيل همدت وبلاء عظيم صبه الله عليهم صبا بازالة ما يعتقدونه
انه الههم ومتعبدهم لانهم مجوس فكان في اقليم الفرس من بيوت
النار الموقدة المئات من السنين على خلاف العادة انطفاؤها فاذا
انطفأت تلك النيران كلها في ساعة واحدة تلك الليلة علموا ان ذلك
لامر عظيم حدث في العالم وكان كذلك وسببا لازالة ملكهم وتمزقهم
كل ممزق ومن تلك العجايب ايضا عيون مبتدأ سوغه وصفه بقوله
للفرس بالضم ويقال فارس ومنه حديث وخدمتهم فارس والروم
وهم امة عظيمة كان مسكنهم في شمال العراق من الفراسة بالفتح اي
الشجاعة وكسرى من جملة ملوكهم غارت في الارض حتى لم يبق منها قطرة
ومنها بحيرة طبرية التي كان فيها من كثرة المياه وسعتها على خلاف العادة

غيضها

غيضها ولذا قيل طولها ستة اميال وعرضها مثل ذلك وتسمى عين ساوة
لبلد معروف بينها وبين الري اثنان وعشرون فرسخا وقيل موضع
بالشام فهل استفهام للتعجب من حالهم او لتوبيخهم وتقريعهم كان لنيرا نعم
نها اي بتلك المياه التي غارت اطفاء لا بل لم يطفئها الا سر وجود
نبينا صلى الله عليه وسلم وظهوره المضمحل به كل لهو وباطل ولذا قال
مولد عظيم بالجر بدل من المولد والرفع خبر مبتدأ محذوف كان اي
صار على الدوام منه اي من اجله او من لابتداء الغاية في طالع الكفر
اي في النجوم او الالهام الذي يطلع به على عواقب الكفر وغايات اهله
المرتبة عليه كرؤيا الموبذان والهام سطيح السابقين آنفا ويصح ان
يراد ان المولد نفسه طالع كل ذي بصيرة على ان الفرس او الكفار يحل
بهم وبال اي وخم عظيم عليهم اي على اهله الذين هم الفرس بدليل السيا ق
او اعم بدليل الواقع ووباء ويجوز قصره وهو المرض الشديد وهما فيما
الجناس اللاحق كنايتان عما اعتراهم بوجوده من اشراف ملكهم على الزوال
وما حل بهم من البوار والوبال والهوان والنكال فبسبب ما حصل بوجوده
صلى الله عليه وسلم في هذا الكون لهذه الامة من المزايا ولهم من العطايا
ولآبائه وامهاته صلى الله عليه وسلم من الشرف الاكبر والتميز الاظهر حق
ان يقال في شان امه هنيئا به لآمنة الفضل اي ثبت لك الفضل
اي الكمال والشرف والعلو حال كونه هنيئا اي لا آفة فيه ولا نكد فهو
حال عند الاكثرين مؤكدة لعاملها الملتزم اضماره اذ لم يسمع الا كذلك
وقال المبرد انه مصدر كالعافية واصله كذلك ثم انابوا عن المصدر صفات
كعائذا بك وهنيئا لك قال بعض المغاربة وهي موقوفة على السماع
وقال غيره انه مقيس عند سيبويه يقال لكل من لازمه صفة وهنيئا
اسم فاعل من هنئ او هنؤ كشريف من شرف وهو ما اتاك بلا مشقة
الذي شرفت به حواء فمن دونها من امهاته الى آمنة فان الولادة
منسوبة الى كل منهن لكن اليهن بواسطة ولآمنة بدونها فمن ثم خصها
من بينهن بذلك وزاد في مدحها بانها شرفت بما شرفت به ام البشر
وزيادة عدم الواسطة فذكرها لهذا والجمع بين طرفي الولادة الاولى

والاخرى ولينبه على ان حواء امتازت بابرازه الى وجود عالم الاصلاب
وآمنة امتازت بابرازه الى وجود عالم الاستقلال مع عدم الواسطة
ومن ثم قال مبينا تمييزها على حواء بذلك من استفهام استبعادى بمعنى
النفى لحواء اى ومن ذا الذى يفرح لها بانها او يشفع فى انها حملت احمد
بالتنوين للضرورة اى حملت به وهو من اسمائه صلى الله عليه وسلم
وقد سماه الله به على لسان موسى عليه الصلوة والسلام كما فى الحديث
وعيسى صلى الله عليه وسلم كما فى القرآن وهو منقول من الصفة التى
معناها التفضيل فمعناه احمد الحامدين لربه وكذلك هو فى
المعنى لانه يفتح عليه يوم القيمة عند سجوده تحت العرش ليسأل
فى الشفاعة العظمى وهى مقام المحمود بمحامد لم تفتح على احد قبله
فيحمد ربه بها ولذلك يعقد له لواء الحمد ويكون تحته آدم فمن
دونه او انها به نفساء اى اصابها نفاس وهو الدم الخارج
عقب الولادة سمى بذلك لانه اثر نفس اى وبانها ولدته بلا
واسطة اى لو قدر لها ان تحمل وتلده من غير واسطة لكان لها
به غاية الفخر لم يقدر ذلك لها بل لآمنة لما سبق فى علم الله انها
الفائزة بشرف الانتهاء وهو افضل مما فازت به حواء من شرف
الابتداء ولهذا قال يوم بدل من مولد اسم زمان نالت اى اعطيت
بوضعه اى بسببه آمنة ابنة وهب بن عبد مناف بن زهرة بن
كلاب بن مرة فهى تلتقى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من جهة
آبائه فى كلاب وكان وهب سيد بنى زهرة نسبا وشرفا وام آمنة
ابنة عبد العزى بن قصى بن عبد الدار بن قصى بن كلاب من بانية
فخار وهو التمدح بالخصال العلية والشيم المرضية كما مر ما لم تنله
النساء حتى حوا كما مر وهذا لا يقتضى افضليتها على حوا مطلقا
لانها انما فضلت من وجه واحد هو ولادتها له صلى الله عليه وسلم
بلا واسطة والتفضيل من حيثية مزية واحدة او مزايا لا يقتضى
الافضلية على الاطلاق وانما ذكرت ذلك لان الاجماع قام فى
حوا على ايمانها الكامل وآمنة وقع الخلاف فى ايمانها بل وفى نجاتها

ونقل

ونقل عن الاكثرين عدمهما لكن الاصح بل الصواب خلافه كما مر ومما
نالته ما اخرجه ابو نعيم والخرائطى وابن عساكر ان عبد المطلب لما خرج بعبد الله
ليزوجه للرؤيا التى رآها وقد مرت رأته كاهنة قرأت الكتب فرأت نور
النبوة فى وجهه ومن ثم كان اجمل رجل رئى فى قريش فسألته ان يقع عليها و
تعطيه مائة من الابل فأبى وقال اما الحرام فالممات دونه فمر به ابوه وهبا
حتى اتى به معه
ابا آمنة فزوجه بها وهى يومئذ افضل امرأة فى قريش نسبا وموضعا
فوقع عليها يوم الاثنين ايام منى عند الجمرة ثم خرج ومر على تلك المرأة
فلم تكلمه فسألها لم لا تعرضى نفسك الآن على فقالت فارقك النور الذى
سألتك لاجله وذكروا انه لما استقرت تلك النطفة الكريمة فيها اصبحت
اصنام الدنيا منكوسة واخضرت الارض وحملت الاشجار وكانت قريش
فى جدب شديد فسميت تلك السنة سنة الفتح ونودى فى الملكوت ان
النور المكنون قد انتقل الى بطن آمنة ذات العقل الباهر والفضل
الظاهر قد خصها الله تعالى بهذا الحسب لانها افضل قومها حسبا و
ازكاهم اصلا وفرعا وفى حديث ابن اسحق انها حدثت انها لما حملت به صلى
الله عليه وسلم قيل لها انك قد حملت بسيد هذه الامة وقالت ما شعرت
بحمله ولا وجدت له ثقلا ولا وحما اى فى ابتداء حمله لرواية انها وجدته
وحملت على الابتداء جمعا بين الاحاديث واتانى آت وانا بين النائمة
واليقظانة فقال هل شعرت انك حملت بسيد الانام ثم امهلنى حتى
دنت ولادتى فقال لى قولى اعيذه بالواحد من شر كل حاسد ثم سميه
محمدا وبعد هذا البيت ابيات اخر مشهورة ولا اصل لها كما قاله
الزين العراقى واخرج ابو نعيم عن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال
كان فى دلالة حمل آمنة برسول الله صلى الله عليه وسلم ان كل دابة
كانت لقريش نطقت تلك الليلة وقالت حمل برسول الله صلى الله عليه وسلم
ورب الكعبة وهو امام الدنيا وسراج العلما ولم يبق سرير ملك من
ملوك الدنيا الا اصبح منكوسا ومرت وحوش المشرق على وحوش
المغرب بالبشارات وكذلك اهل البحار بشر بعضها بعضا وله
فى كل شهر من شهور حمله نداء فى الارض ونداء فى السماء ان ابشروا

فقدأن ان يظهر ابو القاسم ميمونا مباركا وروى ابو نعيم ان آمنة أتاها
آت بعد ستة اشهر من حملها وقال يا آمنة انك حملت بخير الاولين والآخرين
فاذا وضعتيه فسميه محمدا واكتمي شانه ثم لما اخذها الطلق وكانت
وحدها رأت كأن طائرا ابيض قد مسح فؤادها فذهب عنها ثم أتيت
بشربة بيضاء فتناولتها فاصابها نور عال ثم رأت نسوة كالنخل
طولا فاحدقن بها فقالت من اين علمتن بي وفي رواية فقلن لها نحن
آسية امرأة فرعون ومريم بنت عمران وهؤلاء الحور العين ثم رأت
ديباجا ابيض مد بين السماء والارض ورجالا بايديهم اباريق فضة
وقطعة من الطير اقبلت حتى غطت حجرتها مناقيرها من الزمرد واجنحتها
من الياقوت ورأت مشارق الارض ومغاربها وثلاثة اعلام منصوبات
علما بالمشرق وعلما بالمغرب وعلما على ظهر الكعبة فاخذها النفاس فوضعته
صلى الله عليه وسلم فاذا هو ساجد قد رفع اصبعيه الى السماء كالمتضرع
المبتهل ثم رأت سحابة بيضاء عظيمة غشيته فغيبته عنها فسمعت مناديا يقول
طوفوا به مشارق الارض ومغاربها وادخلوه البحار ليعرفوه باسمه
ونعته وصورته ويعلمون انه سمي الماحي لانه لا يبقى شيء من الشرك الا محي في
زمنه صلى الله عليه وسلم ثم انجلت عنه في اسرع وقت وروى الخطيب البغدادي
بسنده انها لما وضعته رأت سحابة عظيمة لها نور عظيم يسمع فيها صهيل
الخيل وخفقان الاجنحة وكلام الرجال حتى غشيته وغيب عنها فسمعت
مناديا يقول طوفوا به جميع الارض واعرضوه على كل روحاني من الجن
والانس والملائكة والطيور والوحوش واغمسوه في اخلاق النبيين
ثم انجلت عنه وقد قبض على حريرة بيضاء مطوية طيا شديدا ينبع منها
ماء واذا بقائل يقول بخ بخ قبض محمد صلى الله عليه وسلم على الدنيا كلها
لم يبق احد من اهلها الا دخل طايعا في قبضته ثم رأت ثلاثة نفر بيد احدهم
ابريق فضة والثاني طست من زبرجد اخضر والثالث حريرة بيضاء فاخرج
منها خاتما يحار الناظرون دونه فغسله سبع مرات ثم ختم به بين كتفيه
ثم احتمله فادخله بين اجنحته ساعة ثم رده الى امه ويوم اتت آمنة
قومها اسم جنس للذكور وقد يدخل فيه النساء تبعا كما هنا بمولوده افضل

بالاجماع مما اوقع ما على العاقل وهو عيسى صلى الله عليه وسلم وان كان نادرا
لم يقع في القرآن نحو لما خلقت بيدي والسماء وما بناها الآيات ولا
انتم عابدون ما اعبد وكلام العرب سمع من كلامهم سبحان ما سخركن لنا
ولم يرد هذا وامثاله زعم قوم منهم ابن درستويه وابو عبيدة ومكي
وابن خروف وقوعها على احاد من يعقل كثيرا مطلقا وقال السهيلي لا
يقع على اولى العلم الا بقرينة وتقع على صفات من يعقل نحو فانكحوا
ما طاب لكم من النساء اي الطيبة منهن وعليه فما هنا نظير الآية لان من
صفات من يعقل الحمل المذكور في قوله حملت قبل اي قبل آمنة ومن بينهما
نحو ستمائة سنة امه مريم بنت عمران الصديقة بنص القرآن قيل هي
من ذرية سليمان صلى الله عليه وسلم وبينها وبينه اربعة وعشرون ابا
وفي صحيح مسلم خير نسائها مريم ولذا فضلت على جميع النساء للخلاف
في نبوتها وان كان شاذا ولما رفع عيسى عليه السلام الى السماء كان سنها
ثلاثا وخمسين سنة وبقيت بعد ذلك خمس سنين العذراء اي البكر
لانها لم تتزوج والعذرة البكارة وحملها العيسى انما هو من نفخ جبريل في جيب درعها مع
فحملت به ووضعته في وقتها على الاشهر كرامة لها ومعجزة له صلى الله
عليه وسلم وخصه بهذا مع تصريحه قبل بانه افضل الانبياء عليهم الصلاة
والسلام لانه ينزل من السماء على منارة جامع بني امية البيضاء شرقي
دمشق كما رواه مسلم في آخر هذه الامة ويقتل الخنزير والدجال ويبطل
وولادته من غير اب وان كان لنبينا مع
الجزية فربما يتوهم من ذلك مع باهر معجزاته عليه الصلاة والسلام ما هو مثلها
او ابهر منها كما يأتي انه الخاتم الافضل فنفى ذلك على الوجه الاكمل ونزوله
عليه السلام انما هو بشريعة نبينا ومنها ان الجزية لا تقبل بعد نزوله لانتفاء
ما لهم من نوع شبهة تمسك بكتاب بتكذيبه لهم فيكون من اتباعه ولاجل ذلك
يصلي وراء المهدي تارة ثم يتقدم بعد اعلاما بانه عليه الصلاة والسلام
لم ينزل مستقلا بل تابعا مؤيدا حاكما بشريعة محمد صلى الله عليه وسلم وخبر
البخاري انا اولى الناس بابن مريم في الدنيا والآخرة وليس بيني وبينه نبي
وبه يرد على من قال كان بينهما خالد بن سنان نبي اصحاب الرس وخبر
الصحيحين من شهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وان محمدا عبده

ورسوله وان عيسى عبد الله ورسوله وكلمته القاها الى مريم وروح منه
وان الجنة حق وان النار حق ادخله الله الجنة على ما كان منه من عمل وفي
خبر الصحيحين ان كل مولود ينخسه الشيطان فيصيح الا عيسى عليه السلام
قال ابو هريرة اقرؤا ان شئتم واني اعيذها بك وذريتها من الشيطان
الرجيم ولا ينافي هذا افضلية نبينا صلى الله عليه وسلم لان لنبينا من
المزايا ما ينغمر هذا في جنبه دونها وقد يكون في المفضول مزية او مزايا
ليست في الفاضل لكن فيه ما يخلف ذلك ويفوقه **شمتته** من التشميت
وهو ان يقال للعاطس يرحمك الله بالمعجمة والمهملة اى دعا له بالسلامة
من الشوامت او ببقاء سمته كما هو لان العاطس ربما كان سببا لتعوج
نحو العنق **الاملاك** جمع ملك وهذا هو القياس في جمعه كجمل واجمال
ولفظ الملك مشتق من الالوكة وهي الرسالة ويقال لها مالكة فالاول
فيه مألك ثم قلب فصار ملأكا على وزن معفل ثم خفف بعد قلبه
ونقلت حركة الهمزة الى اللام فصار ملكا وزن معل وحينئذ فقياس
هذا جمعه على افعال كما جرى عليه الناظم رحمه الله تعالى وانما جمع على ملائكة
لانهم راعوا ملأكا بعد القلب وقبل التخفيف وقولهم من الالوكة مصرح
بان ميمه زائدة وهو رأى الجمهور وذهبت طائفة الى انها اصلية ثم
اختلفوا هل هو من الملك بالفتح اى القوة لقوتهم او بالكسر بمعنى مملوك قولان
قيل واحسن من الجميع قول النضر بن شميل انه غير مأخوذ من شيء وهو التحقيق
الذى دلت عليه الآثار وقوله تعالى كان من الجن وزعم ان نوعا من الملائكة
يسمون بذلك ليس في محله لتوقفه على صحة خبرية ان ابليس ابو الجن كما ان آدم
ابو البشر وانه لم يكن من الملائكة طرفة عين وان الاصح للاستثنا في الآية التغليب
لكونه كان فيهم او هو منقطع وفي خبر مسلم خلقت الملائكة من نور وخلق
الجان من مارج من نار وخلق آدم مما وصف لكم وظاهره ان عنصرهما متمحض
من النور والنار وقيل هما من العناصر الاربعة كالثالث وانما غلب عليهما
ذلك وزعم تأويل الاولين بانه على التمثيل ليس في محله لانه يلزم عليه ان الثالث
كذلك ولانه مراد المعتزلة على هذه الطريقة فانهم اولوا احاديث السؤال
في القبر وعذابه والصراط والميزان والحوض والشفاعة ودابة الارض

ونحوها ولم يبالوا بمنابذتهم للسنة الغراء قبحهم الله تعالى **اذ وضعته** اى
وقت وضع امه له **وشفتنا** اى فرحتنا وسرتنا او من الشفاء لانها رقية
والرقية كثيرا ما يحصل بها الشفاء لان قولها الآتي يشفي العليل ويبرد
الغليل **بقولها الشفاء** بالفاء المشددة وهي ام عبد الرحمن بن عوف
احد العشرة رضي الله عنهم بنت عمرو بن عوف وقولها هو ما اخرجه ابو
نعيم عن ولدها عبد الرحمن قالت لما ولدت آمنة رسول الله صلى الله عليه
وسلم وقع على يدي فاستهل فسمعت قائلا يقول رحمك الله ورحمك ربك
قالت الشفاء واضاء لي ما بين المشرق والمغرب حتى نظرت الى بعض قصور
الروم قالت ثم البسته واضجعته فلم انشب ان غشيتني ظلمة ورعب و
قشعريرة ثم غيب عني فسمعت قائلا يقول اين ذهبت به قال الى المشرق
قالت فلم يزل الحديث مني على بال حتى بعثه الله تعالى فكنت في اول الناس
اسلاما وحمل الناظم قولها استهل على انه صلى الله عليه وسلم عطس حتى
عبر بشمتته الذي لا يطلق الا على ما يقال عند العطاس يحتاج فيه
لسند اذ حقيقة الاستهلال رفع الصوت عند الولادة وهذا هو الغالب
من احوال المولودين بخلافه لا يصار اليه الا بتصريح من يعتمد عليه ولم
أره وقولها فسمعت قائلا يقول على الملك هو الظاهر وجمعه مبالغة
واشارة الى ان عصمة الملائكة توجب ان الفعل المسند الى احدهم
كان مسندا الى الجميع وعلى ما قاله الناظم مع ما استقر من شرعه صلى الله عليه وسلم
ان التشميت انما يسن لمن حمد الله عقب عطاسه يحتمل انه صلى الله عليه وسلم
حمد فشمت فيكون من جملة من تكلم في مهده وان كان صلى الله عليه وسلم
عدهم ولم يذكر نفسه منهم **رافعا** حال من مفعول وضعته **رأسه**
الى السماء كما رواه ابو سعيد من حديث جماعة منهم عطاء وابن عباس
ان آمنة قالت لما فصل مني تعني النبي صلى الله عليه وسلم خرج لنور
اضاء ما بين المشرق والمغرب ثم وقع على الارض معتمدا على يديه ثم اخذ
قبضة من التراب فقبضها ورفع رأسه الى السماء **وفي ذلك الرفع**
الذي هو اول فعل وقع منه بعد بروزه الى هذا العالم وهو خبر مقدم
الى كل سودد اى رفعة وسيادة على الخلق وهو متعلق بالمبتدأ الذي

هو ايماء اى اشارة الى ان شانه وقدره يرتفع ويعلو فى الدنيا والآخرة
الى مراتب لا يصلها غيره من ملك ولا جن ولا انس رافعا حال بما منه الاول
وتعدد الاحوال جايز كتعدد الاخبار او من ضميره رافعا فهى من الاحوال
المتداخلة طرفا اى بصره السماء اى ناظرا الى جهتها نظرا حقيقيا كما علم
من حديث عطا وابن عباس المتقدم وروى الطبرانى انه لما وقع الى الارض
وقع مقبوضة اصابع يديه مشيرا بالسبابة كالمسبح بها وسبقت رواية
انها لما وضعته نظرت اليه فاذا هو ساجد قد رفع اصبعيه الى السماء
كالمتضرع وسر هذا الرمق الاشارة الى علو مراه اذ مرمى هو فى الاصل
غرض الرامى الذى يصيبه بسهمه وهنا ما انتهى اليه البصر عين من موصوله
شانه اى قصده العلو اى ارتفاع مكانه والجملة صلة وخبر مرمى العلاء
بالفتح والمد اى الرفعة والشرف ويجوز ضم عينه مع القصر اى كما انه
رفع رأسه ايماء الى هامه فكذلك رمقه الى الجهة العلو ايماء الى انه لا يقصد
الا اعلى المراتب اذ من شانه العلو لا يقصد الا جهاته وما يوصل اليها
دون غيرها مما لا يناسب قصده فعلم ان المترتب على الرفع والرمق
متحد بالذات مختلف بالاعتبار اذ التوجه الى الجهات العلو الذى هو
مفادهما له اعتبارات مختلفة ويوم تدلت اى قربت ودنت فهو
عطف على نالت زهر النجوم من اضافة الصفة الى الموصوف اى الكواكب
المضيئة اليه صلى الله عليه وسلم كرامة له وتعظيما لم يقع نظيره لغيره
كما رواه البيهقى وابن السكن عن عثمان بن العاص عن امه فاطمة الثقفية
انها قالت لما حضرت ولادة رسول الله صلى الله عليه وسلم رأيت البيت
حين وقع قد امتلأ نورا ورأيت النجوم تدنو حتى ظننت انها ستقع
على فبسبب هذا التدلى اضائت بضوئها اى تلك الكواكب المضيئة
الارجاء اى نواحى البيت او نواحى السماء او نواحى الوجود بأسره ويوم
تراأت من رأى بمعنى ابصر وليس المراد هنا حقيقة التفاعل بل اصل الفعل
كتخادعون الله وعاقبت اللص اى رؤيت قصور قيصر ومن انه لقب
لكل من ملك الروم بالروم اى فى بلاد الروم وهو ابن عيصو وبين
قيصر وقصور التجنيس المطلق وسماه قوم كالسكاكى وغيره تجنيس المشابهة

المبتهل

ببصره

وهو

وهو تماثل الكلمتين بحيث يشبهان المشتقين الراجع معناهما الى
اصل واحد كقوله تعالى ازفت الآزفة يا اسفى على يوسف اسلمت مع
سليمان فاقم وجهك للدين القيم وزعم الحلى ان هذا ليس من اصناف
التجنيس وان عده اكثر المؤلفين لا تجنيسا وانما قيدوه بتجنيس
المشابهة وبينوا انه اشبه التجنيس وليس فى الحقيقة تجنيسا و
سيتبين كثير منه معبرا عنه بنحو وفيه تجنيس شبه الاشتقاق وما
ذكر فى الاخير هو ما ذكره الحلى ولا ينافيه عد غيره له من تجنيس الاشتقاق
لانه نظر الى ان المراد من اقم وجهك للدين افرغ وسعك فى من جميع
ازمنتك فى نشره والعمل به وغيره نظر الى ان المراد استقم لتبليغه و
الدعاية اليه حال كون تلك القصور يراها رؤية كاملة من الذى داره
البطحاء اى مكة والابطح والبطحاء المسيل الواسع الذى فيه دقاق
الحصا واصل ذلك الحديث الصحيح انه صلى الله عليه وسلم قال انى عبد الله
خاتم النبيين وان آدم لمنجدل فى طينته وساخبركم عن ذلك انى
دعوة ابرهيم وبشارة عيسى ورؤيا امى التى رأت وكذلك امهات
الانبياء يرين وان ام رسول الله صلى الله عليه وسلم رأت حين
وضعته نورا اضاء له قصور الشام وفى رواية عنها قالت كانه خرج
من فرجى شهاب اضاءت له الارض حتى رأيت قصور الشام وفى اخرى
رأيت ليلة وضعه نورا اضاءت له قصور الشام حتى رأيتها وفى اخرى
لما ولدته خرج من فرجى نور اضاء له قصور الشام فولدته نظيفا ما به
من قذر وفى اخرى لما فصل منى خرج منه نور اضاء له ما بين المشرق
والمغرب وفى رواية الشفاء السابقة واضاء لى ما بين المشرق
والمغرب حتى نظرت الى بعض قصور الروم ولا تنافى هذه الروايات
رواية انها رأت مثل ذلك عند ابتداء وضعه لان تلك الاضاءة
وقعت مرتين عند حمله وعند ولادته زيادة فى البشارة بظهوره و
ظهور دينه وخصت الشام بالذكر فى اكثر الروايات لما اختصت
به من سبق نور نبوته اليها ومن ثم نقل كعب الاحبار عن الكتب السالفة انها
دار ملكه اى باعتبار التبعية اليها قبل نظرائها ولذا اسرى به

غلط وليس كما زعم لانهم لم يطلقوا كونه تجنيسا

ابى

رأيت

صلى الله عليه وسلم الى بيت المقدس منها كما هاجر اليها ابرهيم ولوط عليهما
السلام وبها ينزل عيسى عليه السلام وهي ارض الحشر والمنشر **فايـدة**
صح عند الضيا انه صلى الله عليه وسلم ولد مختونا مقطوع السرة حتى لا
يراحد سوئته زاد الحاكم ان ذلك تواترت به الاخبار واعترضوا التصحيح
بانها كلها ضعيفة والتواتر بانها اذا لم تصح كما تقرر فكيف تتواتر قيل
على ان كثيرا من الناس ولد مختونا فلا خصوصية فيه بل قال ابن الكلبي
ان آدم واثنى عشر نبيا بعده ولدوا مختونين وروى بعض الحفاظ
الى ابن عباس ان عبد المطلب ختنه يوم سابع ولادته وجعل له مادبة
وسماه محمدا وفي طريق منكر انه ختن عند حليمة حين شق قلبه ولما تم
الكلام على عجايب ولادته صلى الله عليه وسلم ومعجزاتها شرع في ذكر عجايب
الرضاع ومعجزاته فقال مستانفا او عاطفا عطف الجمل فقال
وبدت اي ظهرت لمن في عصره صلى الله عليه وسلم بطريق العيان ولمن بعدهم
بطريق البرهان **في** فعل وزمن **رضاعه** وهو امتصاص اللبن من
الثدي **معجزات** تسميتها بذلك مجازا وجرى على اصطلاح السلف
كالامام احمد فانهم يطلقون المعجزة على كل خارق ليس بسحر وجدت فيه الشروط
الآتية ام لا ولكن الاشهر الذي عليه اكثر اهل الكلام وغيرهم ان المعجزة
لا تطلق حقيقة الا على الامر الخارق للعادة المقرون بالتحدي الدال
على صدق الانبياء عليهم الصلاة والسلام فعلم ان لها شروطا احدها
خرقها للعادة بان تخيل وقوعها كانشقاق القمر ثانيها اقترانها بالتحدي
وهو طلب المعارضة والمقابلة مع امن معارضتها من تحديت فلانا
نازعته لاغلبه وهو مجاز اذ اصله الحدا يتعارض فيه الحاديان فيتحدى
كل الآخر اي يطلب حداه فخرج الخارق المتقدم على التحدي كاظلال
الغمام وشق الصدر الواقعين لنبينا صلى الله عليه وسلم قبل النبوة
فهي كرامات لا معجزات وتسمى ارهاصا اي تأسيسا للنبوة لا
يقال تخرج به ايضا الخارق المتاخر عن التحدي بما يخرجه عن المقارنة
العرفية لانه يلزم عليه اخراج اكثر آياته صلى الله عليه وسلم كنطق الحصا
والجذع والدواب ونبع الماء وتكثير الطعام لعدم تحديه بغير القرآن وتمنى الموت

وزعم

وزعم انه لا معجزة الآن هذيان اقرب الى الكفر منه الى البدعة فالحق
ان المراد بالتحدي ليس معناه الاصلي بل المراد به دعوى الرسالة
وكل معجزاته مقارنة لذلك والخارق الذي لا تؤمن معارضته كالسحر
سواء قلنا انه يمكن ان يظهر على يد مدعي النبوة كذبا قلب الاعيان واحالة الطبايع او
لا وان جوزنا ذلك فقد جرت العادة الالهية بانه لا يقع من مدعي النبوة
كذبا وانما يقع من مدعيها صدقا ما لم تنقل بذلك وهو ظاهر ولا
ينافي ذلك ما يظهر على يد الدجال من الخوارق العظيمة لانه ليس
مدعيا للنبوة بل للالوهية وقد دلت القواطع على كذبه وان يروى
تلك على يديه لمحض الفتنة لا غير ثالثها الا شهاد لا كونها على صدق المتحدي
فخرج الخارق المكذب له كان قال انى انطق هذه الدابة فنطقت
بكذبه كما وقع لمسيلمة الكذاب اللعين انه تفل في بير ليكثر ماؤها فغار
لا يقال كان ينبغي للناظم رحمه الله تعالى ان يقول آيات او بينات او
براهين لان هذه هي الواردة في القرآن والسنة دون المعجزة لانا
نقول هي وان لم ترد لكن صارت في اصطلاح المتاخرين ابين واظهر
ولذا اختصت بالذكر **ليس فيها** متعلق بخفاء **على العيون خفاء** لوضوحها
وهو اسم مصدر لاخفيته لانه بمعنى كتمته لا مصدر لخفيته
لانه بمعنى اظهرته وبين بدت وخفا الطباق **اذ** اي وقت او
لاجل انه **ابتدليتمه** اي لاجل موت ابيه وقد مضى له وهو حمل شهران
وقيل سبعة اشهر وقيل مات وهو في المهد وهذا قد ينافي ما في
المتن الا ان يقال يحمل على انه مات عقب الوضع قبل ان يرضع لكن
يرده ان موته انما كان بطيبة وهو آيب من تجارة الشام عند اخواله
ابيه عبد المطلب بني النجار وقد تقرر ان المرضعات عقب وضعه علمن
يتمه قيل انما سمي عبد المطلب لانه لما ولد بطيبة ذهب اليه عمه المطلب
ليأتي به الى مكة فكان كل من يراه معه يتوهم انه عبده فيناديه يا عبد المطلب
ثم اشتهر به وقيل دفن بالابواء محل قريب رابغ قال جعفر الصادق و
انما يتم صلى الله عليه وسلم لئلا يكون لمخلوق في عنقه حق **مرضعات** كن ياتين الى
مكة يلتمسن الرضعاء لان ارضاع المراة ولدها عار عندهم **قلن** انما

تركناه لانا انما نبغي الرضعاء رجاء المعروف من آبائهم واما الام والجد فما عسى ان يصنعا وما في هذا اليتيم بينه وبين يتمه جناس الاشتقاق عنا متعلق بقوله غناء بفتح المعجمة اي ليس فيه ليتمه وفقره نفع يغني عنا شيئا وبينهما الجناس المصحف المحرف الناقص على خلاف فيه منتشر فبعدان تركته لذلك اتته من آل سعد بن بكر ونسبت اليه مع انه الجد التاسع لانه اشهر وبه عرفت القبيلة فقول الشارح ان من بيانية بعيد في كونها حليمة السعدية من الفال الحسن والبشارة العظمى بحصول غايات الحلم والسعد لهذا الرضيع ما لا يخفى عظم وقعه وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يحب الفال الحسن فتاة قد ابتها لفقرها الرضعاء جمع رضيع اي اهلهم لان الفقر يستلزم قلة الاكل المستلزم عادة لقلة اللبن المضرة بالرضيع غالبا وما تعطاه من جعل ربما تصرفه في حوايجها الخارجة فلا يفيدها في دفع الجوع الذي هو المحذور واصل ذلك ما رواه ابن اسحق واسحق بن راهويه وابو يعلى والطبراني والبيهقي وابو نعيم عن حليمة رضي الله عنها انها قدمت مكة في نسوة من قومها يلتمسن الرضعاء في سنة مجدبة و معها صبيتها وشاة ما تبض بقطرة لبن ولا لبن بثديها فلا ينام صبيها من الجوع قالت فما علمت امرأة منا الا وقد عرض عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم فتأباه اذا قيل يتيم فوالله ما بقي من صواحبي امرأة الا اخذت رضيعا غيري فلما لم اجد غيره قلت لزوجي والله اني لاكره ان ارجع من بين صواحبي ليس معي رضيع لانطلقن الى ذلك فاخذنه فذهبت فاذا به مدرج في ثوب صوف ابيض من اللبن يفوح منه المسك وتحته حريرة خضراء راقد على قفاه يغط فاشفقت ان اوقظه من نومه لحسنه وجماله فدنوت منه رويدا فوضعت يدي على صدره صلى الله عليه وسلم فتبسم ضاحكا وفتح عينيه ينظر الي فخرج من عينيه نور حتى دخل خلال السماء وانا انظر فقبلته بين عينيه واعطيته ثديي الايمن فاقبل عليه بما شاء من لبن فحولته الى الايسر فابى وكانت تلك حالته بعد صلى الله عليه وسلم قال اهل العلم اعلمه الله ان له شريكا

وزوجها منهم ايضا

اليتيم

فالهمه

فالهمه العدل ثم اخذته فما هو الا ان جئت به الى رحلي فقام صاحبي تعني زوجها الى شاتنا تلك فاذا انها لحافل فحلب ما شرب وشربت حتى روينا وبتنا بخير ليلة من الخير والبركة حين اخذناه فلم يزل الله تعالى يزيدنا خيرا وفي رواية انها لما ودعت امه وذهبت به على اتانها سجدت نحو الكعبة ثلاث سجدات ورفعت رأسها الى السماء ثم مشت فسبقت دواب من قصرت يتعجبن ويقلن ما هذه اتانك التي كانت ترفعك طورا وتخفضك اخرى فتقول نعم فيقلن ان لها لشانا عظيما فسمعت الاتان تقول ان لي شانا عظيما بعثني الله بعد موتي وردّ لي سمني هل تدرين من على ظهري على ظهري خير الاولين والآخرين وابدل عن اتته قوله ارضعته لبانها بكسر اوله مفعول به ويجوز على بعد كونه مطلقا لان معنى لبانها رضاعها اذ يقال هو اخوه بلبان امه ولا يقال بلبنها فاللبان مختص بلبن الرضاع فبسبب هذا الارضاع لهذا المولود الافضل من سائر المخلوقات سقتهما اي حليمة وبنيها وقد كانوا اشرفوا على الهلاك من الجوع لما مر ان ارضهم كانت في غاية المحل والجدب البانا فيه استعمال اللبان في غير لبن الرضاع وكان الحامل عليه مقابلته بلبانها السابق فيكون من باب المشاكلة نحو ومكر ومكر الله تعلم ما في نفسي ولا اعلم ما في نفسك الشاء جمع شاة كرامة لذلك المولود عليه الصلاة والسلام وانما سقتهم مع ذلك المحل الا فضلا ببركته صلى الله عليه وسلم اصبحت فهو من اسلوب الحكيم ويجوز كونه حالا نظرا للصورة تعريفه وصفة نظرا لكون ال فيه جنسية نحو ولقد امر على اللئيم يسبني شولا بالتشديد جمع شائل وهي في الاصل الناقة التي تشول بذنبها للقاح ولا لبن بها اصلا فاستعمالها في الشاة مجاز علاقته المشابهة عجافا اي هزيلات وامست لم يرد باصبح وامسى معناهما بل انها كانت في حال فاعتراها نقيضه في اقرب زمن واسرعه فبينهما الطباق وان لم يرد بهما موضوعهما ما بها اي فيها شائل مبتدأ او فاعل الظرف ولا عجفاء اي هزيلة وبين اثبات الشول والعجاف ونفيهما طباق على حد قوله تعالى ولكن اكثر الناس

ما

يعلمون ظاهراً من الحيوة الدنيا وكذا ان نقول ليس ما هنا على حد انّ الآية
لانّ فيها نفى العلم عنهم واثبات بعضه لهم لا بقيد زمن ولا غيره وما
هنا فيه الاثبات فى زمن والنفى فى زمن آخر وهذا لا تضاد فيه حقيقة
ولا ايهاما وشرط الطباق التضاد او ايهامه ولو بمبادى الرأى كما هو
معلوم من استقراء امثلتهم وذكر الزمنين المختلفين يمنع من ذلك
ولا ينافيه عدّهم من الطباق قوله تعالى أَوَمَن كانَ مَيتاً فَأحييناه اذ
الفاء تأتى لغير التعقيب فالايهام موجود على انها معه قد لا تمنعه
ايضا لان ضمير احييناه للميت فكانه قال احيينا الميت وهذا فيه
ايهام للحيوة والموت فتأمله **اخصب** من الخصب بكسر الخاء وهو ضد
الجدب **العيش** اى كثر قوت الآدميين والدواب **عندها** اى حليمة
او الشياه ويرجحه منها الآتى **بعد محل** اى شدة جدب وهو انقطاع
المطر ويبس الارض من الكلأ والزرع **اذ** اى ذلك الاخصاب وقت
او لاجل ان **غدا** اى صار **للنبى** الاعظم **منها** اى من الشياه **غذاء** بالمعجمة
اى لبان تغتذيه وبين غدا وغذاء الجناس السابق فى عنا وغنا **يا لها**
كلمة تعجب من هذه الفعلة الجميلة من حليمة وهى ارضاعها له صلى الله عليه
وسلم من غير مقابل دنيوى ترجوه ونظير هذا التعجب قوله فى البردة
يا طيب مبتدأ منه ومختتم فالنداء فيه للتعجب اذ لا ينادى الا العاقل
او المنزل منزلته والعرب اذا استعظمت شيئا نادته على سبيل
التعجب وفيه مجاز التشبيه لتشبيه ما تعجب منه لعظمته بمنادى
يسمع ويعقل وزعم انه يا للتنبيه مردود بانهم لم يذكروا هذا
من محالها قيل والتقدير يا متعجبا تأمل طيب مبتدئه ونظيره هنا
يا متعجبا تأمل ما استقر لها **منة** تمييز اى نعمة منها عليه **لقد** اللام للقسم
او للتأكيد **ضوعف الاجر** اى كرر الثواب اذ تضعيف الشئ ان يزاد
عليه مثله او اكثر **عليها** اى تعالى وتتابع حال كونه مستوليا على حليمة
فعلى بمعنى الاستعلاء المجازى او على تلك المنة اى لاجلها على حد و
لتكبروا الله على ما هداكم اى لاجل هدايته اياكم وحال كونه **من جنسها**
كما علم من قوله فسقتها الى آخره **والجزاء** من عطف الرديف اذ هو الاجر وذلك

لانّ

لانّ الجزاء من جنس العمل فلما سقته صلى الله عليه وسلم لبنها سقتها وبنيها
شياههما مع انها كانت وقت اخذه من امه على غاية من الهزال وعدم
اللبن ولاجل ان غذاءه كان من البانها ازال الله عنها المحل والجدب
وابدلها منهما بالخصب والخير الكثير جزاء وفاقا واعلم ان ما حصل لحليمة
من هذه المزية الجليلة انما نشأ عن تسخير الله لها لهذا الفعل الجميل الصادر
منها الناشئ عن سبق سعادتها **و** قد تقرر فى المعقول والمنقول انه
اذا سخر اى ذلل ووفق **الاله اناسا** لغة فى الناس **لسعيد** اى لخدمته
ومحبته والقيام بشأنه **فانهم** بسبب ذلك **سعداء** جمع سعيد لانّ
بركة ذلك السعيد ويمنه وبره تتابع عليهم حتى يكونوا من سعداء
الدنيا والآخرة ولانّ المرء مع من احبه من الاكابر وان لم يعمل بعملهم
كما صح به الحديث ولانّ الارواح كما فى الحديث ايضا جنود مجندة
فما تعارف منها فى عالم الارواح ائتلف فى عالم الاجساد ومن اعظم
اجرها وسعادتها توفيقها للاسلام هى وزوجها وبنوها بل ورد ان صلى
الله عليه وسلم سبى هوازن اليهم بواسطة كونهم قومها وكانت تقدم
عليه صلى الله عليه وسلم فيكرم مثواها ولذلك زاد فى اكرام بنتها
الشيماء لما اعتقها من جملة من اعتق من سبيهم كما يأتى وهذا من فن
البديع المسمى بالكلام الجامع وهو ان يأتى الشاعر ببيت يكون جملته
حكمة او موعظة او تنبيها او نحو ذلك من الحقائق الجارية مجرى الامثال
كقول ابى الطيب ۝ واذا كانت النفوس كبارا ۝
تعبت فى مرادها الاجسام ۝ وهو كثير فى كلام الناظم واصل ما
ذكره بقوله ارضعته الى هنا ما رواه ابن اسحق وغيره من قولها
بعدما قدمناه عنها آنفا ثم قدمنا ارض بنى سعد ولا اعلم ارضا
اجدب منها فكانت غنمى تروح على شباعا لبنا فنحلب ونشرب وما
يحلب انسان غيرنا قطرة لبن ولا يجدها فى ضرع حتى تؤمر الرعيان
ان تسرح غنمها حيث تسرح غنمى فتروح اغنامهم جياعا ما تبض لبنا
بقطرة لبن وتروح اغنامى شباعا فلم نزل نتعرف من بركته الزيادة
والبركة حتى مضت سنتان وفطمته وكذا قررته ما حصل لها من الخصب بعد

الجدب ببركة ارضاعها له صلى الله عليه وسلم ومن الجزاء من جنس عملها
بكثرة لبن شياهها عقبه بما يتبين ان تلك المضاعفة فى قوله ضوعف
بلغت مراتب كثيرة حبة اى هذه الفعلة الصادرة من حليمة كما دل
عليه السياق وبه يعلم ان هذا ليس من الاستعارة لان شرطها طى ذكر
المستعار له بان لا يكون فى الكلام رمز اليه ولو تقديرا ومن ثم كان التحقيق
فى صم بكم الآية انه من التشبيه البليغ لدلالة السياق على المشبه الذى هو
هم وقوف البهاء السبكى انه استعارة رأى يخالف الجمهور فلا يعول
عليه بحبة واشار الى وجه الشبه الذى هو تضاعف الجزاء ليبين انه ليس
من التشبيه البليغ لان شرطه ان لا يذكر وجه الشبه (بقوله) انبتت سنابل كثيرة
جمع سنبلة وهى مجتمع الحب فى كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن
يشاء ففيه اقتباس وحذف لفظ سبع ليبين ان العرب قد يذكرونها
كالسبعين مريدين بها مطلق الكثرة لا خصوص العدد المعروف
والعصف اى والحال انه ورق النبات اليابس كالتبن لديه اى عنده
يستشرف اى يتطلع الضعفاء اى حصلت تلك المضاعفة الكثيرة فى
تلك السنابل والحال ان الوقت وقت عدم النبات بالكلية بحيث ان
الفقراء يتطلعون الى ورق النبات فضلا عن الحب كما ان حليمة حصل
لها ذلك الخصب واللبن والحال ان قومها يتطلعون الى ورقة حبة او
قطرة لبن فلا يجدونه و بعد ان انتهى مدة رضاعه لبلوغه سنتين اتت
به جده عبد المطلب الذى فى الرواية الآتية امه فلعل الناظم ذكر جده
لانه الاصل ولان امه ما كانت تفعل شيئا الا بعد مشاورة جده
نعم فى سيرة ابن هشام ان حليمة رضى الله عنها لما اتت به مكة اضلته
فى الناس فاتت جده واخبرته بذلك فدعا الله تعالى حتى وجده والحال
انها قد فصلته اى فطمته والحال انه لحق بها من اجل فصاله اى فطامه
البرحاء اى التألم الكثير لما شاهدت من توالى الخيرات وتتابع
البركات بسبب رضاعه واقامته عندها اذ اى اتت به وقت او لاجل
انه احاطت اى احدقت به ملائكة الله لاجل شق قلبه الآتى وهو ظاهر
على الرواية الآتية انهم ثلاثة وكذا على رواية انهم اثنان لانهما اقل

الجمع

الجمع عند جماعة فظنت حليمة بانهم الباء زائدة قرناء اى شياطين
يريدون ايذاءه فخافت عليه واسرعت به الى جده لتسلمه من تبعته ورأى
جده وامه حين ردته اليهما وجدها اى شدة محبتها له وتعلقها به
فرقة معها لذلك وليسلم من وباء مكة كما يأتى فى الرواية وهذا حذف من
الناظم لكن سياقه يدل عليه وهى الحال المبينة لعظمة ذلك الوجد الذى
رآه بها من اجل الوجد الذى بها لهيب اى نار تصلى اى تحترق به الاحشاء
جمع حشا وهى ما انضمت عليه الضلوع ويحتمل انها استينافية فى ابتدا
وحينئذ فهذا من ارسال المثل وهو جملة مفيدة ان شان الوجد
انه ينشأ عنه ذلك اللهيب الذى يحرق الاحشاء وان وجدها من هذا
القبيل فمن ثم رثى لحالها واطفا نار ذلك الوجد بردها اليها فارقته
بلا من انت كرها اى حال كونها ذات كراهية لفراقه لما شاهدت فى
اقامته عندها من الخيرات الكثيرة عليها وعلى زوجها وبنيها وسائر
متعلقاتها والحال انه كان لديها اى عندها ثاويا اى مقيما لا يمل
بالبناء للمجهول منه متعلق بقوله الثواء اى الاقامة ففى ثاويا
من جناس الاشتقاق اى لا تمل اقامته بل تحب وترغب فيها لما يترتب
عليها من الاحسان الواسع المجبولة على محبته النفوس ولما فرغ من قصة
رضاعه ذكر قصة شق صدره لانه السبب فى احضاره لجده وامه
المذكور آنفا ولذا ابدل من قوله احاطت قوله شق عن قلبه بالكيفية
الآتية فى القصة ويحتمل ان قوله شق عن قلبه استيناف لبيان مطلق
الشق الشامل للواقع فى زمن الرضاع وما بعده مما يأتى ويؤيده انه
ذكر فى قصته اشياء تكون الخاتم جبريل عليه الصلاة والسلام لم ترد فى
شقه الذى بعد ذلك كما يعلم بتأمل كلام الناظم مع القصة الآتى
بسطها وهو اى القلب مضغة فى الفؤاد معلقة بالنياط فهو اخص
من الفؤاد قاله الواحدى والذى فى الصحاح انهما مترادفان قال
البدر الزركشى والاحسن قول غيره الفؤاد غشاء القلب والقلب
حبته وسويداؤه ويؤيد الفرق قوله صلى الله عليه وسلم الين قلوبا و
ارق افئدة وفرق الزمخشرى بان الفؤاد وسط القلب سمى به لتفؤده

شقه عقب الرضاع بلغ مع

اى توقده والقلب مشتق من التقلب الذى هو المصدر لفرط تقلبه
كما فى الحديث ومثل هذا القلب كمثل ريشة ملقاة بفلاة يقلبها
الريح بطنا لظهر واخرج منه اى القلب مضغة اى قطعة لحم
قدر ما يمضغ عند غسله ظرف لاخرج سوداء صفة لمضغة
وانما خلقت هذه المضغة فيه ثم اخرجت لانها من جملة الاجزاء
الانسانية فعدمها نقص فى البدن وايضا فاخراجها بعد خلقها
على هذه الصورة البديعة ادل على مزيد الرفعة وعظيم الاعتناء
والرعاية من خلقه بدونها ويأتى فى رواية صحيحة انه اخرج منه
علقتان سوداوان ولا ينافى ما ذكره الناظم انها واحدة لان
المراد بها الجنس على ان الشق تكرر كما يأتى فلا بدع انه صلى الله عليه وسلم
اخرج منه واحدة ثم ثنتان لان المراد المبالغة فى تطهيره صلى
الله عليه وسلم وتكريمه وذلك يستدعى استقصاء تنظيف جوفه
ختمته اى ذلك الشق المفهوم من شق وهى استينافية او معطوفة
على شق بحذف حرف العطف اى ثم بعد شقه لأمته واعادته الى
ما كان عليه يمنى جبريل عليه الصلاة والسلام الامين على كتب الله ووحيه
والحال ان ذلك القلب الكريم قد اودع حالة الشق من الايمان
والحكمة والعلوم والاسرار الالهية ما اى الذى او شيئا لم تذع
بضم التاء وكسر الذال المعجمة اى تنشر له اللام زائدة اى ما لم تنشره
وتحط به انباء اى اخبار لانه لا يعلمه الا مولاه والمتفضل به
عليه قالت العلماء جعل الله تعالى القلب فى الانسان هو الذى
يعقل عنه وهو اصل وجوده وبه صلاحه وفساده وهو محل
اسراره التى يودعها قلب من يشاء فاول قلب اودعها قلب
محمد صلى الله عليه وسلم لانه اول الخلق وصورته آخر صور الانبياء
فهو اولهم وآخرهم فلذا حاز جميع كمالاتهم وزاد عليهم بما لا يعلمه
الا الله تعالى صان اى حفظ اسراره التى اودعت فيه وهو
مفعول مقدم ذلك الختام الواقع من جبريل وهو ما يختم به الكتاب
ونحوه من طين وبينه وبين ختمته جناس الاشتقاق فبسبب

ونحوه

هذه الصيانة لا الفض اى الكسر بالتفرقة ملم اى واقع به اى بذلك
الختم ولا الافضاء اى الاشاعة واقعة لذلك السر وبين الفض
والافضاء التجنيس المطلق ومر فى قيصر وقصور زيادة توضيحه
وجرى ذلك فى قوله يمنى الامين واصل قوله واتت جده الى آخره
قول حليمة رضى الله عنها بعدما قدمته عنها كما فى السير عنها لم نزل
نتعرف من الله الزيادة والخير حتى مضت سنتاه وفصلته فكان ٥
يشب شبابا لا يشبه الغلمان فلم يبلغ سنتيه حتى كان غلاما
جفرا فقدمنا به على امه ونحن احرص شىء على بقائه عندنا لما نرى
من بركته فقلنا لامه لو تركتيه عندنا حتى يغلظ فانا نخشى عليه وباء
مكة ولم نزل بها حتى ردته معنا فرجعنا به فوالله انه لبعد مقدمنا
به بشهرين او ثلاثة مع اخيه من الرضاعة لفى بهم لنا خلف بيوتنا
جاء اخوه يشتد فقال ذاك اخى القرشى قد جاءه رجلان عليهما ثياب
بيض فاضجعاه فشقا بطنه فخرجت انا وابوه نشتد نحوه فوجدناه
قائما منتقعا لونه فاعتنقه ابوه وقال اى بنى ما شأنك قال جاءنى
رجلان عليهما ثياب بيض فاضجعانى فشقا بطنى ثم استخرجا منه
شيئا فطرحاه ثم رداه كما كان فرجعنا به معنا فقال ابوه يا حليمة لقد
خشيت ان يكون ابنى قد اصيب فانطلقى فرديه الى اهله قبل ان يظهر
به ما نتخوف قالت فاحتملنا الى امه قالت ما ردكما به فقد كنتما
حريصين عليه قلنا نخشى الاتلاف والاحداث قالت ما ذاك بكما
فاصدقانى شانكما فلم تدعنا حتى اخبرناها خبره قالت اخشيتما عليه
الشيطان لا والله ما للشيطان عليه سبيل وانه لكائن لابنى هذا شأن
فدعاه عنكما وفى حديث عند ابى يعلى وابى نعيم وابن عساكر
كنت مسترضعا فى بنى ليث بن بكر فبينا انا ذات يوم فى بطن واد
مع اتراب لى من الصبيان فاذا انا برهط ثلاثة معهم طست
من ذهب مملوء ثلجا فاخذونى من بين اصحابى وانطلق الصبيان
هربا مسرعين الى الحى فعمد احدهم فاضجعنى على الارض اضجاعا لطيفا
ثم شق ما بين مفرق صدرى الى منتهى عانتى وانا انظر اليه فلم اجد

لذلك مسًا ثم اخرج احشاء بطني ثم غسلها بذلك الثلج فانعم غسلها ثم اعادها مكانها ثم قام الثاني وقال لصاحبه تنح ثم ادخل يده في جوفي واخرج قلبي وانا انظر اليه فصدعه ثم اخرج منه مضغة سوداء فرمى بها ثم قال اي اشار بيده اليمنى يمنة ويسرة كانه يتناول شيئا فاذا لخاتم من نور يحار فيه الناظر فختم به قلبي فامتلأ نورا وذلك النور نور النبوة والحكمة ثم اعاده مكانه فوجدت برد ذلك الخاتم في قلبي دهرا ثم قال الثالث لصاحبه تنح فامر يده بين مفرق صدري الى منتهى عانتي فالتأم ذلك الشق باذن الله تعالى ثم اخذ بيدي فانهضني من مكاني انهاضا لطيفا الحديث وفي رواية غير البيهقي ان احد الثلاثة في يده ابريق من فضة وبيد الثاني طست من زمرد خضراء وورد في خبر التابوت المذكور في الآية انه كان فيه الطست الذي غسلت فيه قلوب الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم وحكمة ختم قلبه المقدس الاشارة الى ختم الرسالة قيل وانما يسلم هذا ان اختص الختم به اما اذا لم يختص به كما مر فالحكمة انه من جملة علامات النبوة وانما شاركه فيه غيره على ان هذه الكيفية المذكورة في شق قلبه صلى الله عليه وسلم الظاهر انها من خواصه سيما تكرار الشق لان الوارد فيهم مجرد غسل قلوبهم وهو لا يستلزم هذه الكيفية المذكورة البديعة البالغة من خرق العادة والتعظيم مبلغا لا يدركه العقل وروي الشق ايضا وهو ابن عشر سنين ونحوها مع قصة له مع عبد المطلب ابو نعيم في الدلائل ورواها عبد الله ابن الامام احمد في زوائد مسند ابيه بلفظ قال ابو هريرة يا رسول الله ما اول ما ابتدئت به من امر النبوة قال اني لفي صحراء واسعة امشي ابن عشر حجج اذا انا برجلين فوق راسي يقول احدهما لصاحبه اهو هو قال نعم فاخذاني فاضجعاني لحلاوة القفا ثم شقا بطني وكان احدهما يختلف بالماء في طست من ذهب والآخر يغسل جوفي فقال احدهما لصاحبه افلق صدره فاذا صدري فيما ارى مفلوقا لا اجد له وجعا ثم قال اشقق قلبه فشق قلبي فقال

اخرج الغل والحسد منه فاخرج شبه العلقة منه فنبذ به ثم قال ادخل الرأفة والرحمة قلبه فادخل شيئا كهيئة الفضة ثم اخرج ذرورا كان معه فذره عليه ثم نقر ابهامي ثم قال اغد فرجعت بما لم اغد به من رحمتي للصغير ورأفتي للكبير وروي خامسة ولم تثبت وحكمة شق صدره الشريف في حال صباه واستخراج ما مر منه تطهيره من نقايص الصبا ليكون حينئذ على اكمل صفات الرجولية ولذلك نشأ على اكمل احوال العصمة قال بعض الائمة ولعل هذا الشق كان سببا لاسلام قرينه المروي عند البزار والاشارة الى حظ الشيطان المباين له كالعفريت الذي اراد ان يقطع عليه صلاته وامكنه الله منه واما توقف الرازي وقوعه في حال الطفولية مشكل لانه معجزة وهي لا يجوز تقدمها على النبوة لان الذي عليه اكثر اهل الاصول اشتراط اقتران المعجزة بالتحدي فمردود بان هذا من باب الارهاص لا المعجزة ونظيره كثير قيل وهذا الشق هو المراد بقوله تعالى الم نشرح لك صدرك تنبيه اول ثبت شق صدره الشريف مرة اخرى عند مجيء جبريل له بالوحي وهو بغار حراء كما يأتي وممن رواها الطيالسي والحارث في مسنديهما وكذا ابو نعيم ولفظه ان جبريل وميكائيل شقا صدره وغسلاه ثم قالا له اقرأ باسم ربك الآيات والحكمة فيه كمال التهيؤ والتقوي على ما يلقى اليه من القول الثقيل بقلب قوي في اكمل احوال التطهير وثبت مرة اخرى تواترت بها الروايات خلافا لمن انكرها ليلة الاسراء ففي البخاري وغيره انه صلى الله عليه وسلم شق قلبه فيها وهو بالمسجد قبل ان يخرج به الى ركوب البراق فشق من ثغره نحره الى عانته فاستخرج قلبه فغسل في طست ذهب لان تحريم الذهب انما كان بعد على ان الغالب في احوال تلك الليلة انها من احوال الغيب فتلحق باحكام الآخرة ثم حشي ايمانا و (حكمة وجه) تجسيم المعاني جائز ومنه الرواية الصحيحة بذبح الموت ثم اعيد وحكمة هذا الشق التهيؤ الى الرقي الى الملأ الاعلى والتقوي على اجتلاء ما شاهد تلك الليلة ولما لم يتفق هذا لموسى عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام

لم يطق الرؤية وجميع ما ورد من الشق واخراج القلب وغيرها يجب
الايمان به وان كان خارقا للعادة ولا يجوز تأويله لصلاحية القدرة
له ومن زعم ذلك وقع في اهوية المعتزلة في تأويلهم نصوص سؤال الملائكة
وعذاب القبر ووزن الاعمال والحوض وغير ذلك بالتشهي قبحهم الله
ومن تبعهم وقد رمي ابرهيم صلوات الله وسلامه عليه في النار فكانت
عليه بردا وسلاما وهذا الشق ابلغ في الصبر والكرامة مما وقع
لاسمعيل عليه الصلاة والسلام فانه من مقدمات ذبح لا حقيقته
كما هو رأي اهل السنة وبتقديره الذي ذهب اليه المعتزلة انه اضجعه وامر
السكين على حلقه فلم تقطع شيئا وبتقديره فذاك مقتل واحد
وهذه مقاتل عديدة شق الصدر ثم اخراج القلب ثم شقه ووقع
له صلى الله عليه وسلم من ذلك الشق الاول نوع مشقة لرواية فاقبل وهو
منتقع اي صار كلون النقع اي الغبار وهو شبيه بالوان الموتى
ومعنى قول ابن الجوزي غشقة وما شق عليه انه صبر صبر من
لم يشق قلبه ومما يدل على المشقة انه بعد ما فطمته مع انفراده عن
امه ويتمه من ابيه واختطافه من بين الاطفال ليكون تسهيلا لما يلقاه
في المآل ومنه لما شج وجرح وكسرت رباعيته يوم احد قال اللهم اغفر
لقومي فانهم لا يعلمون وفي رواية انه غسل ليلة الاسراء بماء زمزم اي
لانه يقوي القلب ويسكن الروع واخذ البلقيني من ايثار الملائكة له
على ماء الكوثر انه افضل منه وهو ظاهر خلافا لمن نازع فيه بما لا
يجدي كما بينته في شرح العباب وفي وضع الايمان والحكمة بالقلب
دليل لما عليه اكثر اهل السنة ان العقل في القلب كما دلت عليه الآيات
لا في الدماغ تنبيه ثاني قال عياض رحمه الله خاتم النبوة اثر
شق الملكين بين كتفيه وابطله النووي رحمه الله بان شقهما
كان في بطنه وصدره صلى الله عليه وسلم كما جاء في الروايات ومن ثم
صح عن انس رضي الله عنه كنت ارى اثر المخيط في صدره صلى الله عليه وسلم
فالصحيح او الصواب انه كان عند نغض كتفه الايسر وهو بنون
مضمومة وتفتح ومعجمتين اعلاه ورواية الايمن ضعيفة قيل

ولد

ولد به صلى الله عليه وسلم وروى ابو نعيم انه جعل عقب ولادته صلى
الله عليه وسلم والذي في حديث البزار وغيره عن ابي ذر انه قال
يا رسول الله متى علمت انك نبي وبما علمت حتى استيقنت قال اتاني
آتيان وفي رواية ملكان وانا ببطحاء مكة الحديث وفيه قال
احدهما لصاحبه شق بطنه فشق بطني فاخرج قلبي فاخرج منه مغمز
الشيطان وعلق الدم فطرحهما فقال احدهما لصاحبه اغسل بطنه غسل
الاناء واغسل قلبه غسل الملاء اي الثوب الذي يتغطى به ثم قال احدهما
لصاحبه خط بطنه فخاط بطني وجعل الخاتم بين كتفي كما هو الآن و
وليا عني فكاني ارى الامر معاينة وعند احمد وصححه الحاكم ثم استخرجا
قلبي فشقاه فاخرجا منه علقتين سوداوين فقال احدهما لصاحبه ائتني
بماء وثلج فغسلا به جوفي ثم قال ائتني بالسكينة فذراها في قلبي
ثم قال احدهما لصاحبه خطه فخاطه وختم عليه بخاتم النبوة
تنبيه ثالث اختلفت الروايات في كيفية تشبيه ذلك الخاتم
على انواع كثيرة بيضة الحمام شعر مجتمع بضعة ناشزة بندقة
سلعة شيء يختم به تفاحة شامة خضراء محتفرة في اللحم شامة سوداء
تضرب الى الصفرة حولها شعرات زر الحجلة اي البشخانة وزعم انها
هنا هي الطائر المعروف وزرها بيضها مردود وقال المحققون
ولا اختلاف في الحقيقة بل كل شبهه بما سنح له وكلها الفاظ مؤداها
واحد وهو قطعة لحم بارزة عليها شعر اذا اقل قيل كبيضة
الحمام واذا اكثر قيل كجمع الكف اي على هيئته لكنه اصغر منه وفي
المستدرك عن وهب ان شامات النبوة في ايمانهم فعليه وضعه
عند الكتف الايسر من خصوصيات نبينا صلى الله عليه وسلم فائدة
اخرج البيهقي والخطيب وابن عساكر وغيرهم عن العباس رضي الله عنه
قلت يا رسول الله دعاني الى الدخول في دينك امارة لنبوتك رأيتك
في المهد تناغي القمر وتشير اليه باصبعك فحيث اشرت اليه مال
قال اني كنت احدثه ويحدثني ويلهيني عن البكاء واسمع وجبته اي سقطته
حين يسجد تحت العرش قال البيهقي تفرد به مجهول وقال الصابوني هذا

حديث غريب الاسناد والمتن فى المعجزات حسن ولما فرغ من ذكر رضاعه
وما وقع عقبه من شق صدره ذكر حكم نشأته فى حال طفوليته وما
بعدها مبيّنًا ان إلفه الآتى نتيجة ما اودعه فى قلبه بعد شقه
من الاسرار والكمالات فقال **إلف النسك والعبادة** عطف
تفسير اى اعتادهما واستمر عليهما **والخلوة** عن الناس فى حال كونه
طفلا فما بعده كما فهم بالاولى واختلفوا هل كان يتعبد بشرع
من قبله والجمهور لا والا لنقل ولانه لو تعبد بشرع احد لطلع انه
من اتباعه ولاحتج اهله به عليه ولم يوجد وعلى الاول فقيل بشرع
لم يعرف وقيل بشرع نوح عليه السلام وقيل بشرع ابرهيم عليه السلام
وقيل موسى وقيل عيسى عليهما السلام ومعنى ان اتبع ملة ابرهيم
اى فى التوحيد وخص لانه الاب الاقرب المبشر به الداعى ببعثته
مع مدحه له بانه صاحب الكتاب والحكمة البالغين من كمال التزكية
ما لم يبلغه كتاب غيره على ان المراد فى كيفية الدعوة من الرفق
والحلم الذى لم يوجد كماله الا لابرهيم صلى الله عليه وسلم وعلى سائر
الانبياء والمرسلين وغايته الا لنبينا صلى الله عليه وسلم وعلى سائر
الانبياء والمرسلين وقد امرنا باتباع الكل فى قوله تعالى فبهداهم
اقتده مع اختلاف شرايعهم ومع هذا ان فيهم من ليس برسول
كيوسف على قول فتعين ان المراد اصول التوحيد والاخلاق فان
قلت لا يحتاج للجواب عن ذلك لان الكلام فى ما قبل النبوة والذى
فى الآية بعدها قلت بل يحتاج اليه كما صنعوه لان القائلين بانه
كان متعبدا بشرع غيره يستدلون به ناظرين الى انه امر باتباعه
فيما لم ينزل عليه فيه شىء فامره بذلك بعد النبوة يدل على انه كان يألفه
ويعمل به قبلها والا فكيف يؤمر باتباع ما لم يعرفه قال السراج البلقينى
ولم يجئ فى الاحاديث التى وقفنا عليها كيفية تعبده عليه الصلاة
والسلام لكن روى ابن اسحق وغيره انه كان يخرج الى حراء شهرا ... فى كل عام
يتنسك فيه وكان من تنسك قريش فى الجاهلية ان يطعم الرجل من جاءه
من المسلمين حتى اذا انصرف عن مجاورته لم يدخل فى بيته حتى يطوف

بالكعبة

بالكعبة انتهى والظاهر كما قاله غير واحد ان عبادته صلى الله عليه
وسلم كانت الذكر والفكر مع اكثاره للخلوة والانعزال عن الناس
بحراء وغيره **وهكذا النجباء** اى ومثل هذا الشان العلى شان
الكرام فما بالك باكملهم وسيدهم على الاطلاق ويليه فى ذلك
ابوه ابرهيم عليه الصلاة والسلام فانه اعتزل قومه وانقطع
الى الله تعالى ينتظر الفرج من مولاه فان انتظاره عبادة كما فى
الحديث وفى البيت من انواع البديع اقسام التناسب وهو تشابه
الاطراف بان تناسب معانيها اذ النجابة آخره يناسبها إلف ما
ذكر لانها السبب فى ذلك وثالث اقسامه ايضا وهو مناسبة اللفظ
للمعنى فى الرقة والسهولة والشدة والصعوبة ومنه حديث الا
اخبركم باهل الجنة كل ضعيف متضعَّف اغبر ذى طمرين لو اقسم
على الله لابره الا اخبركم باهل النار كل جعظرى جواظ متكبر فانى
فى اوصاف اهل الجنة بما يناسب حالهم فى الرقة والانكسار وفى اوصاف
اهل النار بما يناسب حالهم من الشدة والغلظة والاباء والترفع
عن قول الحق والفاظ البيت تناسب معناه فى السهولة وحسن
التنسك والانقطاع عن النظير وقوله وهكذا النجباء تذييل وهو
تعقيب الجملة باخرى تشتمل عليها للتأكيد وهو ضربان احدهما
وهو ما هنا ما خرج مخرج المثل نحو وهل نجازى الا الكفور كما مر
وانما كان هذا شان النجباء من الانبياء ثم صالحى اممهم لما هو المستقر
المعلوم انه **اذا حلت الهداية** وهى هنا بمعنى الوصول الى الحق
لا الدلالة عليه فقط من الاول انك لا تهدى من احببت اى لا توصله
ومن الثانى واما ثمود فهديناهم اى دللناهم ولم نوصلهم بدليل
فاستحبوا العمى على الهدى اذ لو وصلوا لم يستحبوا ذلك **قلبا نشطت**
للعبادة الاعضاء لان القلب هو رئيس البدن المعول عليه
فى صلاحه وفساده ومن ثم صح عنه صلى الله عليه وسلم انه قال ان
فى الجسد مضغة اذا صلحت صلح الجسد كله واذا فسدت فسد
الجسد كله الا وهى القلب وهذا من الكلام الجامع الذى عز نظيره

واعلم ان بين انتهاء رضاعه صلى الله عليه وسلم وما وقع له بعده و
بين مبعثه صلى الله عليه وسلم وقايع وقعت له لا بأس بالاشارة اليها
باختصار وذلك ان حليمة رضي الله عنها لما ردته الى امه وجده
كان في كلاءة الله تعالى وحفظه انبته نباتا حسنا وفقه لافضل
الاعمال والاحوال كما اشار الى ذلك الناظم بقوله الف النسك الى آخره
ولما بلغ صلى الله عليه وسلم اربع سنين وقيل اثنتي عشرة وشيئا وبين
ذلك اقوال اخر ماتت امه وكانت قد قدمت به المدينة تزور
اخوال ابيه فاقامت به عندهم شهرا ومعها مملوكته ام ايمن واخرج
ابن سعد انه صلى الله عليه وسلم لما رأى دار النابغة قال ههنا نزلت
بي امي واحسنت العوم في بئر بني النجار وكان قوم من اليهود يختلفون
ينظرون الي قالت ام ايمن فسمعت احدهم يقول هو نبي
هذه الامة وهذه دار هجرته فوعيت ذلك كله من كلامهم ولما
رجعت به امه ماتت بالابواء وفي رواية انها دفنت بالحجون وفي
اخرى في بعض دور مكة كما في القاموس وحضنته بعدها امته
ام ايمن بركة ثم مات جده كافله وله ثمان سنين وقيل اكثر وقيل
اقل فقيل ست وقيل ثلاث فكفله بعهده عمه ابو طالب شقيق والده
واخرج ابن عساكر عن عرفطة قال قدمت مكة وهم في قحط فقالت
قريش يا ابا طالب اقحط الوادي واجدب العيال فهلم فاستسق
فخرج ابو طالب ومعه غلام كانه شمس دجن تجلت عنه سحابة قتماء
وحوله اغيلمة فاخذه ابو طالب والصق ظهره بالكعبة ولاذ الغلام
باصبعه وما في السماء قزعة فاقبل السحاب من ههنا وههنا واغدق
الوادي واغدودق وانفجر له الوادي واخصب النادي والبادي
وفي ذلك يقول ابو طالب ~ وابيض يستسقى الغمام بوجهه
ثمال اليتامى عصمة للارامل ~ وهذا البيت من جملة قصيدة له فيها
مدح عجيب له صلى الله عليه وسلم حتى اخذ الشيعة منها القول باسلامه
ويوافقه رواية ضعيفة عن العباس انه اسر اليه الاسلام عند
موته ويؤيد ذلك ايضا ما في رواية البيهقي لا آية لله در ابي طالب

الى آخره لكن صرايح الاحاديث المتفق على صحتها ترد ذلك وهي اكثر
من ثمانين بيتا استوفاها ابن اسحق لكنه ذكر ان انشاءه لها كان بعد
المبعث وقد يجمع بانه ذكر هذا البيت اثر هذه الواقعة ثم كملها
بعد المبعث ثم رأيت في شرح المنهاج للكمال الدميري في باب
الاستسقاء عن الطبراني وابن سعد ان عبد المطلب استسقى بالنبي
صلى الله عليه وسلم فسقوا ولذلك يقول فيه عبد المطلب ويمدحه
صلى الله عليه وسلم وابيض يستسقى الغمام بوجهه البيت انتهى وفيه
مخالفة لما مر ان المستسقي به ابو طالب وانه القايل للبيت فاما
الاول فيمكن الجمع بين الروايات المختلفة فيه بتكرر الواقعة اذ واقعة
ابي طالب كان الاستسقاء به فيها عند الكعبة وواقعة عبد المطلب
كان اولها انهم امروا باستلام الركن ثم برقي ابي قبيس ليدعو عبد
المطلب ومعه النبي صلى الله عليه وسلم ويؤمن القوم ففعل فسقوا
لكن قال الحافظ بدر الدين الهيثمي شيخ الحافظ ابن حجر وتلميذ
الزين العراقي عن رواية الطبراني في سندها رجال لا اعرفهم
اي لكن لا يؤثر ذلك فيها لان الحديث الضعيف يعمل به في الفضائل
مطلقا قال بعض الحفاظ وكذا المناقب على ان صاحب
الروض ذكر روايتين عن ابن الاعرابي وغيره توافقانها وحينئذ
يتعين الجمع بما ذكرته واما الثاني فكون ابي طالب هو الذي انشأ
ذلك البيت هو ما درج عليه ائمة السير وغيرهم وغيرهم ثم جعله
السهيلي في روضه امرا مقررا ثم بنى عليه اشكاله وجوابه الآتي
في ردها واما قول الدميري انه من انشاء عبد المطلب فهو وهم
منه وسبب الوهم انه في آخر قصة عبد المطلب ان رقيقة بنت
ابي صيفي بن هاشم وهي التي سمعت الهاتف في النوم او اليقظة
لما تتابعت على قريش سنون اهلكتهم يصرخ يا معشر قريش ان هذا
النبي المبعوث قد اظلتكم ايامه وهذا ابان نجومه فحيهلا بالحياء
وللخصب ثم امرهم بان يستقوا به وذكر كيفية يطول ذكرها صلها
مامر فلما ذكرت الرواية وهي الرواية المذكورة في القصة انشأت

تمدح النبي صلى الله عليه وسلم بابيات آخرها ۞ مبارك الامر يستسقى الغمام به
ما في الانام له عدل ولا خطر   فكان الدميري لما رأى هذا البيت
في رواية قصة عبد المطلب التي رواها الطبراني وهو يشبه بيت
ابي طالب لعبد المطلب فوهم من وجهين نسبة هذا البيت لعبد
المطلب وانما هو لرقيقة والحكم بانه عين البيت المنسوب لابي
طالب وليس كذلك بل شتان ما بينهما فتأمل هذا المحل فانه مهم
وقد اغتر بكلام الدميري هذا من لا خبرة له بالسير المأخوذة من
الكتب المعتمدة ثم رأيت ما يقطع بغلط الدميري وهو ان النبي
صلى الله عليه وسلم نسب وابيض البيت لابي طالب كما اخرجه البيهقي
عن انس رضي الله عنه قال جاء اعرابي الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال
يا رسول الله اتيناك وما لنا صبي يغط ولا بعير يئط اي ما لنا
بعير اصلا لانه اذا وجد لابد ان يئط وانشد ابياتا فقام النبي
صلى الله عليه وسلم يجر رداءه حتى صعد المنبر فرفع يديه الى السماء
ودعا فما رد يديه الى نحره حتى القت السماء بابراقها وعاد ويضجون
فضحك صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه ثم قال لله در ابي طالب
لو كان حيا لقرت عيناه من ينشدنا قوله فقال علي رضي الله عنه يا
رسول الله كانك تريد قوله   وابيض يستسقى الغمام بوجهه
ثمال اليتامى عصمة للارامل   وذكر ابياتا اخر فقال صلى الله
عليه وسلم اجل فهذا نص صريح من الصادق بان منشئ البيت ابو طالب
فنسبته لعبد المطلب غلط صريح تنبيه برواية ابن عساكر هذه
يسقط قول السهيلي في روضه فان قيل كيف قال ابو طالب وابيض
البيت ولم يره قط استسقى انما كان استسقاؤه صلى الله عليه وسلم
بالمدينة في سفر وحضر وفيها شوهد ما كان من سرعة الاجابة من
الله تعالى فالجواب ان ابا طالب قد شاهد من ذلك في حياة عبد
المطلب ما دله على ما قال انتهى ووجه سقوطه ما تقرر ان ابا طالب
استسقى به صلى الله عليه وسلم فسقى فانشأ ذلك البيت حينئذ و
العجب من شيخ الاسلام ابن حجر انه غفل ايضا عن رواية ابن عساكر

وانشده صح
الحافظ

هذه

هذه فاجاب عن اشكال السهيلي بقوله ويحتمل ان يكون ابو طالب
مدحه لما رأى من مخايل ذلك فيه وان لم يشاهد ذلك اذ لو استحضر
رواية ابن عساكر هذه لم يبد هذا الاحتمال والثمال بكسر المثلثة
الملجأ والعصمة الحافظ من الضياع والارامل المساكين رجال
او نساء لكنه في النساء اكثر استعمالا ولما بلغ صلى الله عليه وسلم
اثنتي عشرة سنة خرج به ابو طالب الى الشام حتى بلغ فرآه بحيرا الراهب
فعرفه بصفته فقال هذا سيد العالمين انكم حين اشرفتم به من
العقبة لم يبق حجر ولا شجر الا خر ساجدا ولا يسجد الا لنبي واني
اعرفه بخاتم النبوة عند غضروف كتفه كالتفاحة ثم سأل عمه ان يرده
خوفا عليه من اليهود رواه ابن ابي شيبة وفيه انه صلى الله عليه
وسلم اقبل وعليه غمامة تظله وبحيرا بفتح فكسر مقصور ذكره جمع
في الصحابة بناء على ان الشرط رؤيته والايمان به ولو قبل البعث
وصح ان سبعة من الروم اقبلوا يريدون قتله صلى الله عليه وسلم
فمنعهم بحيرا ورده ابو طالب وبعث معه ابو بكر بلالا وقوله و
بعث معه ابو بكر الى آخره وهم من احد رواته لان ابا بكر اذ ذاك
لم يكن متأهلا لذلك ولا اشترى بلالا وفي حديث عند البيهقي
وابي نعيم انهم لما اقبلوا رأى بحيرا غمامة بيضاء تظله من بينهم
ثم نزل تحت شجرة فاخضلت عليه اغصانها حتى اظلته وروى ابو نعيم
وابن عساكر ان اخته الشيما بنت حليمة رأته في الظهيرة وغمامة
تظله اذا وقف وقفت واذا سار سارت ولما بلغ ثماني عشرة
سنة سافر الى الشام مرة اخرى لتجارة على ما ورد لكن بسند ضعيف
وفيه ان ابا بكر كان معه وان بحيرا قال هذا والله نبي وان ذلك
كان سبب ايمان ابي بكر به لما بعث قبل غيره ثم خرج وله خمس
وعشرون سنة مرة ثالثة في تجارة لخديجة ومعه غلامها ميسرة
فرأى في الهاجرة ملكين يظلانه من الشمس وكذا رأت خديجة ذلك
لما اقبلوا وهي في علية لها وفي هذه السنة تزوجها وكانت تسمى
بالطاهرة وكان سنها اربعين سنة ولما بلغ خمسا وثلاثين سنة

بذلك صح
بصرى صح
موضع بالشام
العلية الغرفة صحاح

خافت قريش ان تهدم البيت الكعبة لتشعثها فامروا يا قوم النجار القبطي مولى
احدهم بان يبنيها وحضر رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان ينقل
معهم الحجارة ثم لما تقارب بعثه صلى الله عليه وسلم تحدث بذلك
احبار اليهود ورهبان النصارى لما في كتبهم من صفته وصفة
زمانه وكهان العرب لان الشياطين من الجن كانت لا تحجب عن خبر
السماء لكن كانت العرب لا تلتفت لذلك بالا فلما دنا مبعثه صلى الله
عليه وسلم حجبت الشياطين عن السمع كما قال بعث اى ارسل الله
علم على الذات الواجب الوجود المستحق لجميع المحامد من الخلق عند
بتثليث العين اى قرب مبعثه اى زمن بعثه صلى الله عليه وسلم اى
ارساله الى الخلق كلهم كما قال في خبر مسلم وارسلت الى الخلق كافة و
بين بعث ومبعث جناس الاشتقاق الشهب على الشياطين الذين
يسترقون السمع فيخطف احدهم الكلمة ثم يضم اليها مائة كذبة
كما في الحديث ثم يلقيها للكاهن وهي جمع شهاب وهو شعلة نار تحرق
الشيطان الرجيم المسترق للسمع او تخبله حراسا اى جمع حارس على غير قياس
كنائم ونيام فهو حال او مصدر اى لاجل الحراسة لشريعته التى
سيأتي بها من الشياطين وان يخلطوا بها ما ليس منها وهو للمبالغة
والتاكيد لانه معلوم من قوله تطرد الى آخره ففيه التتميم كما في حبه
في ويطعمون الطعام على حبه و لكثرة تلك الشهب وعمومها للمسترقين
في نواحي السماء ضاق عنها الفضاء اى المفازات الواسعة فلم يبق
محل يجد ونه حتى يسترقوا السمع منه وبين ضاق والفضاء
الطباق تطرد حال من الشهب او صفة له كما في ولقد امر على اللئيم
يسبني لكن ظاهر المقام يرجح الحالية اذ رعاية التنكير هنا بعيد
الجن ومن انهم اجسام نارية تقدر على التشكل في الصور المختلفة
عن مقاعد اى امكنة قريبة من السماء يقعدون فيها للسمع اى ليسمعوا
شيئا من الملائكة المتكلمين بما سيقع في الارض من الاقضية والمغيبات
اما لكون رئيسهم يلقيه عليهم ليكتبوه فيتلقونه منه او ان بعضهم
ينسخه من كتب البعض الآخر زيادة في الاعتناء والظهور للملائكة

واصل

واصل هذا قوله تعالى قل اوحي الى انه استمع نفر من الجن الى قوله فمن
يستمع الآن يجد له شهابا رصدا فلما سمع الجن ذلك عرفوا الحق
فآمنوا ثم ولوا الى قومهم منذرين قائلين ما حكاه الله تعالى عنهم
اواخر سورة الاحقاف ويوافق هذا ما رواه اهل السير انه لما حيل
بينهم وبين خبر السماء قالوا ان ذلك لامر حدث فاضربوا مشارق
الارض ومغاربها وانظروا ما حال بينكم وبين خبر السماء فخرجت
طائفة منهم من جن نصيبين باليمن قبل تهامة فوجدوا النبي
صلى الله عليه وسلم بنخلة قرية على ليلة من مكة مع اصحابه يصلي الفجر
وهو يقرأ فاستمعوا له ثم قالوا هذا الذي حال بينكم وبين خبر السماء
فاسلموا وولوا الى قومهم منذرين وفي ذلك نزل قل اوحي الآيات
واذ صرفنا اليك نفرا من الجن الآية قال الحافظ ابن كثير ذكر ابن اسحق
انه صلى الله عليه وسلم خرج الى اهل الطائف يدعوهم الى الاسلام وانه
انصرف عنهم فبات بنخلة يقرأ تلك الليلة فاستمع جن نصيبين اى
مدينة بالشام انتهى وما ذكره صحيح الا قوله ان استماع الجن
كان تلك الليلة ففيه نظر فان استماعهم انما كان في ابتداء الوحي
كما يدل له حديث ابن عباس عند احمد كان الجن يستمعون الوحي
فيسمعون الكلمة فيزيدون فيها عشرا فيكون ما يسمعونه حقا
وما زادوه باطلا وكانت النجوم لا يرمى بها قبل ذلك فلما بعث
صلى الله عليه وسلم كان احدهم لا يأتي مقعده الا رمي بشهاب يحرق
ما اصاب منه فشكوا ذلك الى ابليس فقال ما هذا الا لامر اى عظيم
قد حدث فبعث جنوده فاذا بالنبي صلى الله عليه وسلم يصلي بين جبلي
نخلة فاخبروه فقال هذا الحدث الذي حدث في الارض رواه
النسائي وصححه الترمذي قال اعني ابن كثير واما خروجه صلى الله
عليه وسلم الى الطائف فانما كان بعد موت عمه ابي طالب وروى
ابن ابي شيبة عن ابن مسعود رضي الله عنه انهم هبطوا عليه صلى الله
عليه وسلم وهو ببطن نخلة يقرأ القرآن فلما سمعوه قالوا انصتوا
فانزل الله عز وجل واذ صرفنا اليك نفرا من الجن الآية فهذا مع

رواية ابن عباس رضي الله عنهما يقتضي انه صلى الله عليه وسلم لم يشعر
بحضورهم في هذه المرة وانما استمعوا قراءته ثم رجعوا الى قومهم ثم بعد
ذلك وفدوا اليه ارسالا قوما بعد قوم انتهى وصح ان الذي اذنه صلى
الله عليه وسلم بهم لما وفدوا اليه شجرة وانهم سألوه الزاد فقال كل
عظم ذكر اسم الله عليه يقع في يد احدكم اوفر ما يكون لحما وكل بعر
علف لدوابكم وفيه رد على من زعم ان الجن لا تاكل ولا تشرب والحاصل
ان ذهابه الى الطائف انما كان بعد موت ابي طالب سنة عشر
من البعثة ثم موت خديجة بعده بثلاثة ايام او خمسة ثم تزوج سودة
بعد ايام وكان خروجه الى الطائف بعد موت خديجة بثلاثة اشهر
في شوال لما نال من قريش وكان معه مولاه زيد بن حارثة
فاقام به شهرا يدعو اشراف ثقيف فلم يجيبوه واغروا به سفهاءهم
وعبيدهم يسبونه قال موسى بن عقبة ورموا عقبيه بالحجارة
حتى اختضبت نعلاه بالدم زاد غيره وكان اذا اذلقته الحجارة
قعد الى الارض فيأخذونه بعضديه فيقيمونه فاذا مشى رجموه
وهم يضحكون وزيد بن حارثة يقيه بنفسه حتى لقد شج في رأسه
شجاجا وفي الصحيحين انه لقي منهم اشد مما لقيه يوم احد
وان جبريل نزل عليه حينئذ ومعه ملك الجبال ليأمره في قومه بما شاء
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بل ارجوا ان يخرج الله من اصلابهم
من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئا وجاء عن ابن عباس ان
الشياطين كانوا لا يحجبون عن السموات وكانوا يدخلونها ويأتونه
باخبارها فيلقون على الكهنة فلما ولد عيسى منعوا من ثلاث
سموات فلما ولد محمد صلى الله عليه وسلم منعوا من السموات كلها
فما منهم من احد يريد استراق السمع الا رمي بشهاب وهو الشعلة
من النار فلا يخطئ ابدا فمنهم من يقتله ومنهم من يحرق وجهه ومنهم
من يخبله فيصير غولا يضل الناس في البراري قال الائمة وهذا لم
يكن ظاهرا قبل مبعثه صلى الله عليه وسلم ولم يذكر احد ذلك قبل
زمانه وانما ظهر في بدء امره تأسيسا للنبوة نعم جاء عن معمر انه قال

الزهري

ولكن لم يكن في شدة الحراسة مثله بعد مبعثه صلى الله عليه وسلم مع

للزهري اكان يرمى بالنجوم في الجاهلية قال نعم قلت افرأيت قوله تعالى
وانا كنا نقعد منها مقاعد للسمع الآية قال غلظت وشدد امرها
حين بعث صلى الله عليه وسلم وجرى على هذا ابن قتيبة فقال كان الرجم
قبل مبعثه صلى الله عليه وسلم وعلم من قول ابن عباس شعلة نار ان الكوكب
لا ينفصل عن محله وانما الذي ينفصل عنه تلك ـــ وقيل ينقض
ثم يرجع الى مكانه وطرد تلك الشهب لاولئك الشياطين طرد بالغ
جدا **كما** موصولة او مصدرية **تطرد الذئاب** جمع ذئب بالهمزة
وقد يخفف وتشبيه شياطين الجن بالذئاب صرح به الحديث الصحيح
الرعاء بضم اوله وكسره للغنم اذا ارادت العدو عليها عنها **ف**بسبب
ذلك الطرد البالغ للجن عن خبر السماء **محت آية الكهانة** مفعول
مقدم وهي بالفتح مصدر كهن بضم الهاء اذا صار كاهنا اي
مخبرا بالامور الخفية والمغيبات البعيدة اي علامتها وهي ما كانت
تأتي به الكهان وتذكره من المغيبات التي تلقيها اليهم الشياطين
بواسطة استراقهم لبعض كلام الملائكة ثم القائهم اليهم مع ما يضمنونه
اليه من الكذب كم من **آيات من جملة الوحي** وهي الكتابة والاشارة والرسالة
والالهام والكلام الخفي ولذلك كان الوحي الآتي اليه صلى الله عليه وسلم
على اقسام الرؤيا الصادقة فكان لا يرى رؤيا الا جاءت كفلق
الصبح وما يلقيه الملك في روعه وقلبه من غير ان يراه للحديث
الصحيح ان روح القدس نفث في روعي لن تموت نفس
حتى تستكمل رزقها فاتقوا الله واجملوا في الطلب تمثيل الملك
له رجلا فيخاطبه وصح انه كان يأتيه في صورة دحية لانه كان
جميلا جدا اذا قدم لتجارة خرجت الظعن لتراه وتشكل جبريل
عليه السلام مع عظم صورته وان له ستمائة جناح تسد الافق في
صورة رجل غير بعيد لان الاجسام النورانية تقبل الانضمام
حتى تصغر الصورة جدا كما ان القطن يقبل الانكباس فتصير (ظ الانكماش)
الصورة الكبيرة منه صغيرة وهذا اولى من قول بعضهم ان صورته
الاصلية باقية على حالها وتصوره في صورة رجل صورة اخرى له

وروحه متعلقة بهما اى كما فى الابدال الذين تتعدد صورهم فى النوم
وروحهم واحدة والتكليف حينئذ منوط باى صورة ارادها
الانسان يأتيه مثل صلصلة الجرس وهو اشد عليه ولذا كانت
ناقته صلى الله عليه وسلم تبرك به وكان رأسه الشريف على فخذ زيد
ابن ثابت فكادت ترتض من شدة الثقل حتى انه يقول لا امشى بعد
اليوم على رجلى ابدا يأتيه على صورته الاصلية ووقع له ذلك
مرتين كما فى سورة النجم كلام الله بلا واسطة كموسى واختص
بالكليم لان ذلك وقع له وهو بالارض ونبينا صلى الله عليه وسلم
انما وقع له ذلك وهو كقاب قوسين او ادنى وصح عن الشعبى انه
صلى الله عليه وسلم وكل به اسرافيل فكان يتراءى له ثلاث سنين
ويأتيه بالكلمة من الوحى والشىء ثم وكل به جبريل فجاءه بالقرآن ثم
وصف آيات الوحى بانهن ماحق الخناء من محا يمحو ويمحى ويمحا اى ما لها
ذهاب ولا تغير كيف وقد تكفل الله لهذه الشريعة الغراء بانها
باقية على مر الدهور الى ان ينزل الله عيسى عليه السلام فيحكم بها ثم
دق تضمحل عند قيام الساعة بموت الطائفة الذين اخبر الصا
بانهم لا يزالون قائمين بالحق لا يضرهم من خالفهم حتى يأتيهم
امر الله اى ريح لينة تقبض ارواحهم فحينئذ لا يبقى على وجه
الارض من يقول الله الله فتقوم الساعة وبين محق وانمحاء
جناس الاشتقاق ثم ذكر قصة زواجه صلى الله عليه وسلم
لخديجة رضى الله عنها ولو قدمها كما فعلت لتوافق الواقع لانها
قبل قوله بعث الى آخره لكان اولى فقال ورأته اى علمته وابصرته
لما سبق لها من الفضل الذى فاقت به سائر ازواج النبى امهات
المؤمنين رضى الله عنهن خديجة بنت خويلد بن اسد بن عبد
العزى بن قصى بن كلاب وكانت ذات شرف ظاهر ومال وافر
وحسب فاخر وهى الحال التقى هو البراءة من كل شىء سوى الله وهذا
غايته ومبدأه اتقاء الشرك واوسطه اتقاء المحارم وكذا يقال
فى التقوى وصح خبر ان اتقاكم واعلمكم بالله وخبر انى لاعلمكم

بالله واشدكم له خشية والزهد هو اخذ اقل الكفاية مما يتيقن
حله وترك الزائد على ذلك لله وقد صح خبر ما شبع آل محمد من
طعام ثلاثة ايام تباعا حتى قبض وخبر كان صلى الله عليه وسلم
يبيت الليالى المتتابعة واهله طاويا لا يجدون عشاء وانما كان
خبزهم الشعير وخبر النعمان بن بشير لقد رأيت نبيكم صلى الله عليه وسلم
يظل اليوم يلتوى ما يجد من الدقل ما يملأ بطنه وخبر انه كان
يمضى الشهران ولا يوقد فى ابياته نار وانما طعامهم التمر والماء
وخبر انه صلى الله عليه وسلم مات ودرعه مرهونة عند يهودى
على ثلاثين صاعا من شعير اخذها قوتا لاهله فيه كل منهما سجية
بالسين المهملة اى خلق غريزى طبيعى والاختلاف فى كون حسن
الخلق غريزيا او مكتسبا يتعين ان يكون محله فى غيره صلى الله
عليه وسلم وتمسك من قال انه غريزة بالحديث الصحيح ان الله قسم
ق بينكم اخلاقكم كما قسم بينكم ارزاقكم والتحقيق ان اصول الاخلاق
غرائز وملكات فى نوع الانسان وانما التفاوت فى ثمراتها وهذا
قة هو الذى به التكليف لان الغريزى لا تكليف به لانه ليس فى الطا
نعم من فيه غريزة منه اعانته على المكتسب حتى يكاد يكون غريزيا فيؤمر
بالمجاهدة فى الضعيف حتى يقوى وفى غير المحمود حتى يصير محمودا
وقد صح انه صلى الله عليه وسلم قال للاشج ان فيك لخصلتين يحبهما
الله الحلم والاناة قال يا رسول الله قديما كانا فىّ او حديثا فقال
قديما قال الحمد لله الذى جبلنى على خصلتين يحبهما فترديد السؤال
وتقريره عليه يشعر بان فى الخلق الجبلى والمكتسب وصح انه صلى الله عليه وسلم
كان يقول اللهم كما حسنت خلقى بفتح الخاء فحسن خلقى وكان يقول
فى دعاء الافتتاح واهدنى لاحسن الاخلاق لا يهدى لاحسنها الا انت
ولما اجتمع فى نبينا صلى الله عليه وسلم من صفات الكمال وخصال الجلال
كذا والجمال ما لا يحيط به احد اثنى الله تعالى عليه فى كتابه العزيز فقال مؤ
لذلك بذكره على الاستعلائية وانك لعلى خلق عظيم والخلق ملكة نفسانية
تحمل صاحبها على كل جميل ووصفه بالعظيم مع ان الغالب وصفه بالكريم

الدقل محركة اردأ التمر
قاموس

لان خلقه لا يقتصر على الكرم المقتضي للسماحة والدماثة بل يعم صفتي
الانعام والانتقام اذ كان رحيما بالمؤمنين شديدا غليظا على غيرهم
والحياء فيه بحيث ايضا على اكمل غاياته ففي البخاري من حديث ابي سعيد
كان صلى الله عليه وسلم اشد حياء من العذراء اي البكر في خدرها وقيد
به لان حياءها فيه اشد لانه مظنة ان يظفر بها طامع يدخل عليها
فيه بشيء بخلافها بحضرة الناس والحياء بالمد لغة تغير وانكسار
يعتري الانسان من خوف ما يعاب منه من الحياء ولذلك سمي المطر حيا
لكنه مقصور وشرعا خلق يبعث على اجتناب القبيح ومن التقصير
في حق ذي الحق ومن ثم صح انه لا يأتي الا بخير وانه من الايمان وجبل
منه وان كان غريزة لان استعماله على قانون الشرع يحتاج الى قصد
واكتساب وعلم واتاها الخبر بكرامتين عظيمتين وقعتا له صلى الله
عليه وسلم قبل النبوة وهما ان الغمامة وهي السحابة والسرح وهو كما
في القاموس شجر عظام او كل شجر لا شوك فيه او كل شجر طال انتهى
وقضية سياق القصة الآتية ان المراد الاول او الثالث واما
الثاني فلم ار ما يدل له اظلته منهما حال من قوله افياء جمع فيء
وهو ما بعد الزوال من الظل من فاء رجع لرجوعه من جانب الى
جانب وفرق بعضهم بين الظل والفيء بان الظل ما نسخته
الشمس والفيء ما نسخها ومر ذكرهما تين الآيتين قبيل قوله
بعث الله عند مبعثه الشهب وحاصلهما مع بعض زياده انها
ارسلته في تجارة لها ومعه عبدها ميسرة الى بصرى ونزل تحت
شجرة فاظلته فقال راهب ثم ما نزل تحتها الا نبي وسأل ميسرة
افي عينيه حمرة فقال نعم لا تفارقه فقال الراهب هو آخر الانبياء
ليتني ادركه اذ يؤمر بالخروج وقال له من خالفه في بيع وهو
بسوق بصرى احلف باللات والعزى فقال ما حلفت بهما قط
فقال خصمه لميسرة هذا نبي والذي نفسي بيده انه هو الذي
تجده احبارنا منعوتا في كتبهم فوعى ذلك ميسرة وكان ميسرة
يرى ملكين يظلانه في الهاجرة ورأت ذلك خديجة لما اقبل النبي

صلى

صلى الله عليه وسلم وهي في علية لها فارته نساء عندها فعجبن من ذلك
فلما جاء ميسرة اخبرته بما رأت فاخبرها بجميع ما رآه منه وبقول
الراهب السابق تنبيه ورد في تظليل الغمامة له صلى الله عليه وبقوله ما حلفت بهما قط صح
وسلم احاديث اصحها ما رواه جماعة وهو على شرط الصحيح الا
ان في رواية غرابة ان ابا طالب خرج به الى الشام في اشياخ من
قريش فمروا ببحيرا فخرج اليهم على خلاف عادته فجعل يتخللهم حتى
اخذ بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هذا سيد العا لمين
زاد البيهقي ورسول رب العالمين هذا يبعثه الله رحمة للعالمين
فقالوا له وما علمك قال انكم حين اشرفتم من الثنية لم يبق حجر
ولا شجر الا خر ساجدا ولا يسجدون الا لنبي واني اعرفه بخاتم
النبوة اسفل من غضروف كتفه ثم رجع فصنع لهم طعاما فلما اتاهم
به كان صلى الله عليه وسلم في رعية الابل فقالوا ارسلوا
اليه فاقبل وعليه غمامة تظلله فلما دنى الى القوم وجدهم قد
سبقوا الى فيء الشجرة فلما جلس صلى الله عليه وسلم مال فيء الشجرة
عليه فقال انظروا الى فيء الشجرة مال اليه رواه ابو موسى
الاشعري وهو اما ان يكون تلقاه عنه صلى الله عليه وسلم فيكون
ابلغ او عن بعض كبار الصحابة او كان مشهورا اخذه بطريق الاستفا ضة
وروى ابن اسحق معضلا والبيهقي في الدلائل موصولا انهم لما
نزلوا قريبا من صومعة بحيرا صنع لهم طعاما كثيرا لانه رأى رسول
الله صلى الله عليه وسلم حين اقبلوا وغمامة تظلله من بين القوم ثم
اقبلوا فنزلوا في ظل شجرة قريب منه فنظر الى الغمامة حين اظلت
الشجرة وتهصرت اغصانها اي مالت وانعطفت على رسول الله
صلى الله عليه وسلم حين استظل تحتها القصة وروي ان حليمة
رأت غمامة تظلله وهو عندها وورد ذلك ايضا عن اخيه
من الرضاعة واشار غير واحد الى ان تظليل الغمامة له صلى الله
عليه وسلم انما كان قبل النبوة ارهاصا وتأسيسا للنبوة كما يأتي
ومما يدل له على انقطاع ذلك ان الصديق رضي الله عنه اظله صلى الله عليه

حين قدما الى المدينة فى الهجرة لما اصابته الشمس فظلل عليه بردائه
وصح انه صلى الله عليه وسلم ظلل عليه بثوب وهو يرمى الجمرة وظلل
به مرة اخرى وهو بالجعرانة وانهم كانوا فى اسفارهم اذا اتوا
على شجرة ظليلة تركوها له صلى الله عليه وسلم وسيأتى فى شرح
قوله واذا ما مشى يحا نوره الظل الى آخره ما له تعلق بذلك
واتاها ايضا احاديث الاحبار والرهبان والكهان ان اى
بان وعد رسول الله مصدر مضاف للمفعول اى وعد الله له وهو
عند الاطلاق لا يستعمل الا فى الخير بالبعث اى الارسال الى الخلق كافة
حان اى قرب منه اى من رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو متعلق
بقوله الوفاء اى قرب وفاء الله سبحانه بذلك الوعد من رسول
الله صلى الله عليه وسلم فبسبب ما رأته منه وما بلغها عنه مما يحمل
من له ذرة من عقل على ان يغسل قدميه ويشرب ماء غسلهما
دعته اى خطبته الى الزواج اى الى ان يتزوج بها وعرضت نفسها
عليه فقالت يا ابن عم انى قد رغبت فى نكاحك لما رأيته وعرفته
منك وعمرها حينئذ كان اربعين سنة وسن رسول الله صلى الله عليه وسلم
خمسا وعشرين على الاشهر فيهما وكانت تزوجت قبله برجلين
وما احسن هذه احدى صيغتى التعجب ما مصدرية فتؤول
مع يبلغ بمصدر منصوب المحل على التعجب المنى اى الامانى جمع
امنية وهى ما يتمناها الانسان الاذكياء جمع ذكى كغنى والذكاء
بالمد حدة القلب ومزيد يقظته اى شئ عظيم حسن بلوغ الاذكياء
كل ما يتمنونه ومنهم بل من اجلهم خديجة رضى الله عنها فانها ادركت
بقوة ذكائها وتفرسها فيه صلى الله عليه وسلم منه وبر كل ما تمنته
وأملته مما لم تبلغه امرأة من هذه الامة اذ هى على الاصح افضل
امهات المؤمنين رضى الله عنهن وهذا من انواع البديع المسمى
بارسال المثل وهو ان يذكر الشاعر فى بعض بيت ما يجرى مجرى
المثل السائر من حكمة او نحوها كقول ابى الطيب

لان حلمك حلم لا تكلفه ... ليس التكحل فى العينين كالكحل

وهو

وهو كثير فى كلام الناظم ولما عرضت نفسها عليه صلى الله عليه وسلم
ذكر ذلك لاعمامه صلى الله عليه وسلم فخرج معه منهم حمزة حتى دخل
على ابيها خويلد فخطبها له صلى الله عليه وسلم فاجاب فتزوجها صلى
الله عليه وسلم واصدقها عشرين بكرة وحضر ابو بكر رضى الله عنه و
رؤساء مضر فخطب ابو طالب فقال الحمد لله الذى جعلنا من ذرية
ابرهيم وزرع اسمعيل وضئضئ بمعجمتين او مهملتين اصل
معد وعنصر مضر وجعلنا حضنة بيته اى الكافلين له وسوّاس
حرمه اى المتولين لامره وجعل لنا بيتا محجوجا وحرما آمنا وجعلنا
الحكام على الناس ثم ان ابن اخى هذا محمد بن عبد الله لا يوازن به
رجل الا رجح به فان كان فى المال قل فان المال ظل زائل وامر حائل
ومحمد من قد عرفتم قرابته وقد خطب خديجة بنت خويلد وبذل لها
من الصداق آجله وعاجله من مالى كذا وهو والله بعد هذا
له نبأ عظيم وخطر جليل فزوجها ابوها منه وذكر الدولابى
وغيره انه صلى الله عليه وسلم اصدقها اثنتى عشرة اوقية ذهبا
ونصف اوقية قالوا وكانت كل اوقية اذ ذاك اربعين درهما
ومما يدل على عظيم ذكائها وفرط معرفتها انه اتاه بعد النبوة
والرسالة فى بيتها جبريل كعندليب لغة فى جبرئيل الملقى اليه
ما امر به من الوحى وكان عندها من الايمان به علم اليقين فاحبت
ان تنتقل عنه الى عين اليقين كما وقع لابرهيم عليه الصلاة و
السلام فى قوله بلى ولكن ليطمئن قلبى وكيف لا تريد هذه
المرتبة العلية ولذى اى ولصاحب اللب اى العقل الكامل وخديجة
رضى الله عنها من اكمل اولى الالباب واذكاهم فى الامور اى الاحوال
التى قد تشتبه ارتياء اى استبصار من ارتأيته اى نظرته بالعين
او القلب كما فى القاموس وفراسة يقضى بها على تلك الامور
بتمييز حسنها من قبيحها فعلم ان هذه الجملة اعتراضية وان فيها
غاية المناسبة لما قبلها وما بعدها اذ الاعتراضية لا بد لها من
نكتة وهى هنا الاشارة الى كمال عقلها واستبصارها مع افادة ان

هذا

ام كلم جار مجرى المثل والحكمة فهو من ارسال المثل فبسبب تلك
المحنة مع ما عندها من كمال العقل اماطت اى ازالت عنها اى عن رأسها
الخمار وهو ما تخمر اى يغطى به الرأس لتدرى اى لكى تعلم عين اليقين
اهو اى هذا الذى عرض له صلى الله عليه وسلم حين اخرجه عن حالته
المألوفة منه الوحى اى حامله وامينه الذى كان يأتى به الانبياء
قبله ومن اقسامه ام هى معادلة الهمزة المطلوب بها وبام التعيين
ولها قسم ثان وهو ان تقع بعد همزة التسوية وسميت فيهما معادلة
لمعادلتها الهمزة فى افادتها الاستفهام فى الاول والتسوية فى الثانى
وتسمى فيهما متصلة لان ما قبلها وما بعدها لا يستغنى باحدهما
عن الآخر ويقابلها المنقطعة وهى ثلاثة اقسام مبسوطة فى محلها
هو الاغماء اى الذى هو من بعض الامراض العادية ومن ثم جاز
على الانبياء عليهم السلام دون الجنون فبسبب ازالتها الخمار
عن رأسها اختفى عند كشفها الرأس مفعول كشف المضاف
لفاعله جبريل فما عاد او اعيد الغطاء اى الى ان اعادت غطاء
رأسها فاعيد ماض مبنى للمفعول والغطا نائب الفاعل ووقع
للشارح هنا انه قال واعيد منصوب بان مضمرة بعد او التى
يصلح موضعها حتى والغطا فاعل اعيد انتهى وهو عجيب
لما تقرر ان اعيد ماض الى آخره وكان هذا الوهم سرى اليه مما
يصرح به كلام النحاة من او غير العاطفة التى بمعنى الى ان لا تدخل
الا على مضارع كما فى حتى الغائية المرادفة لاو المذكورة كما
صرحوا به وحينئذ فاضطره الامر الى ما ذكره غفلة عن ان اعيد
ماض لكن كان عليه ان يقول وقول الناظم اعيد صوابه يعاد
ويذكر ما اشرت اليه واما كونه يبقى اعيد على حاله ويجعله
منصوبا باو فهو جلى الفساد لا يقال هو ماض لفظا مستقبل
معنى فيجوز دخول او الناصبة عليه لما صرحوا به فى حتى المرادفة
لها ان شرط النصب بعدها ان يكون الفعل مستقبلا او ماضيا
فى حكم المستقبل نحو سرت حتى ادخل المدينة فهذا يؤول بالمستقبل

نظرا

نظرا الى انه غاية لما قبل حتى فهو مستقبل بالاضافة اليه لانا
نقول بمعنى قولهم او ماضيا فى حكم المستقبل ان لفظه لفظ الماضى
ومعناه ماض فكان قضية القياس ان لا تدخل عليه حتى الغائية
فاجابوا بان ما فيه من المضى يزول بالاستقبال نظرا الى انه غاية
كما تقرر واما ما لفظه ماض فلا تدخل عليه حتى الغائية اصلا
فان قلت كيف هذا مع قوله تعالى حتى اتاهم نصرنا حتى عفوا
حتى جاءهم العلم وفى البخارى حتى فجئه الحق وهو فى غار حراء
قلت حتى هنا ابتدائية لا غائية والناصبة انما تكون بمعنى حتى
الغائية لا غير وقد صرح بذلك الائمة ولخصه الجلال السيوطى فى
شرح جمع الجوامع له حيث قال ما ملخصه ان حتى الابتدائية تليها
الجملتان الاسمية والمضارعية والماضوية والمصدرة بشرط و
اما زعم ابن مالك انها جارة غائية قبل الفعل الماضى باضمار ان بعدها
على تأويل المصدر فغلطه فيه ابو حيان وتبعه ابن هشام فقال
لا اعرف له فى ذلك سلفا وفيه تكلف اضمار من غير ضرورة ورد
زعمه هو والاخفش انها جارة قبل اذا وان اذا فى موضع جر بها
بانه خلاف ما عليه الجمهور انها ابتدائية واذا فى موضع نصب
بشرطها او جوابها ثم قال الجلال قال بعض شيوخنا ضابط حتى
انها اذا وقع بعدها اسم مفرد مجرورا ومضارع منصوب
فحرف جر او اسم مرفوع او منصوب فحرف عطف او جملة ماضوية
دخلت عليها حتى فى القرآن او غيره تكون حتى حينئذ ابتدائية
ولا تكون جارة بمعنى الى ان وان صح لما مر ان ذلك يحتاج لتقدير
ما لا حاجة اليه فاذا تقرر ان حتى الغائية لا تدخل على الماضى فاو
التى بمعناها اولى فان قلت لم قست او على حتى الغائية فى منع
دخولها على الماضى ولم تقسها على الى وان اللذين بمعناها
قلت اما كونها بمعنى الى ان فهو ما ذكره ابن مالك وقدره
عليه حتى ولده ومن ثم قال ابو حيان قد اغنانا ولده عن الرد عليه
وعلى التنزل فالى ان لا تدخل على الماضى الا عند قوم بشرط ان يتقدم

المعنى مع

حرف ابتداء ولا محل لهذه الجملة انتهى وهذا الكلام صحيح كما ترى فان كل جملة ماضوية مع

فعلا وقد كما هو مقرر فی محله واما كونها بمعنی الی ان فوجهه ان حتی
انما امتنع دخولها علی الماضی لكونها غایة كما مر مبسوطا وهذا
المعنی موجود فی الی بطریق الاصالة فلیمتنع دخولها علی الماضی
بنص كلامهم لا بطریق القیاس • فان قلت تقرر ان او بمعنی
الی ان وهذه تدخل علی الماضی كما فی الحدیث قام الی ان تورمت
قدماه فلتكن او كذلك قلت هذا اشتباه لان ان المتضمنة
فی او هی الناصبة وهی خاصة بالمضارع فلم یتصور دخول او المتضمنة
لها علی الماضی واما ان الملفوظ بها بعد الی فهی التی لا یتصور لها
عمل وهی تدخل علی الماضی فلا جامع بین هذه وتلك فان قلت
بعضهم یقدر او بالی ان وبعضهم یقدرها بالی فقط وهذا یدل
علی انه لا نظر الیهما قلت لا یدل لذلك بوجه وانما سببه ذلك انهم
اختلفوا فی ناصب المضارع الداخل علیه او فالاصح انه ان مقدرة
بعدها وقال قوم هی الناصبة نفسها فعلی الاول تقدر بالی ان وعلی
الثانی بالی فقط • فان قلت قد ادخل الناظم او علی الماضی فی
موضع من البردة وسكت علیه شراحها قلت لا اعتراض علیه فی ذلك
ایضا واما الشراح فیحتمل انهم انما سكتوا علی ذلك نظرا للمعنی وانهم
غفلوا عن ما ذكرته من صریح كلامهم الدال علی ان الغائیة لا تدخل
علی الماضی ثم رأیت شارحها العلامة ابن مرزوق نبه لما ذكرته
فقال فی ادخلت البطائح بها ان او هنا عاطفة ثم جعلها بمعنی
الواو بل وانها علی حالها للشك او للتخییر وتكلف بیان ذلك ولم
یعرج علی انها الغائیة بوجه ولیس ذلك الا امتناع دخولها
علی الماضی والا كان معنی الغایة فی البیت اقرب مما تكلفه ولا
یتأتی نظیر ما تكلفه هنا بوجه والا لبادرت الیه ومما یصرح
بذلك ایضا ان النحاة لم یذكروا لاو الا قسمین عاطفة وناصبة
وهی الغائیة فالعاطفة امرها واضح ولا كلام فیها والناصبة
تختص بالمضارع فمن اثبت لها قسما ثالثا وهو دخولها علی الماضی
فلا یكون للعطف فعلیه البیان ولا یجد ذلك كما دل علیه كثرة

البحث والتتبع فتأمل ذلك كله فانه نفیس مهم غفل عنه الناظم
وغیره **فاستبانت خدیجة** قیل صرفها للضرورة ویرد بانه انما صرفها
وان كان الوزن صحیحا مع عدم الصرف لیسلم من قبح زحاف
الشكل وهو اجتماع الكف والخبن لان مستفعلن یحذف سینه
یسمی خبنا كما مر وهو علی انفراده غیر قبیح ویدخل مع الكف وهو
حذف الحرف السابع وهو النون فیصیر متفعل وهذا هو الشكل
القبیح الذی هو اجتماع هذین وان كان الاول وحده حسنا
والثانی وحده صالحا وهو من العجائب ان اجتماع الحسن والصالح
یصیر قبیحا عندهم ای ظهر لها اتم الظهور لانها علمت من ابن عمها
ورقة بن نوفل الاتی وعن غیره ان جبریل علیه الصلاة والسلام
لا یأتی محلا فیه امرأة مكشوفة **انه** ای ما یعرض للنبی صلی الله علیه وسلم
الذی طلبت الوقوف علی عین الیقین فیه **الكنز** ای الشیء النفیس
بل الذی لا انفس منه **الذی حاولته** ای اردت حیازته والظفر
به **وانه الكیمیاء** ای العلم البدیع الذی یقلب الاعیان الردیئة
الی الاعیان النفیسة واستعار الكنز وهو المال المدفون والكیمیاء
وهو العلم المعروف للوحی لانه بهما تحصل الذخائر النفیسة
المنتفع بها حالا ومآلا كما ان الوحی كذلك وایضا هما لا یظفر
بهما الا الفذ النادر كما ان الوحی لا یظفر به الا اكمل البشر وهم
فی غایة الندرة والقلة بالنسبة لبقیة الناس واشار بذكرهما
وقع لخدیجة الحبیب ذلك وهو ابتداء بعثه صلی الله علیه وسلم
وحاصلها انه لما بلغ اربعین سنة وقیل وكسرا بعثه الله یوم
الاثنین كما فی خبر مسلم لسبع عشرة من رمضان المبارك وقیل من
ثمان ربیع الاول وقیل كان فی رجب رحمة للعالمین ورسولا الی
كافة الخلق اجمعین كما قال صلی الله علیه وسلم فارسلت الی الخلق
كافة وروی البخاری وغیره اول ما بدئ به صلی الله علیه وسلم
من الوحی الرؤیا الصادقة فكان لا یری رؤیا الا جاءت مثل فلق
الصبح وابتدئ بها لان الملك لو فجأه بغتة لم تحتمله قواه البشریة

وكان يأتي حراء فيتعبد فيه الليالي الكثيرة ثم يرجع الى خديجة
فيتزود لمثلها حتى فجأه الحق اى جاءه جبريل وهو بغار حرا فقال
له اقرأ فقال ما انا بقارئ اى لست بقارئ قاله امتناعا لانه
كان اميا لا يقرأ ولا يكتب فغطه حتى بلغ منه الجهد ثم ارسله كذلك
وقال له اقرأ قال ما انا بقارئ اى ما الذى اقرأه فغطه وارسله كذ لك
وحكمة الغط ثم تكريره مزيد التأهل الى لقاء الملك لما بين البشرية
والملكية من التباين ثم الى التلقى منه ثم قال اقرأ باسم ربك حتى بلغ
ما لم يعلم فرجع بها يرجف فؤاده حتى دخل على خديجة فقال زملونى
زملونى فزملوه حتى ذهب عنه الروع فقال يا خديجة ما لى و
اخبرها الخبر ثم قال قد خشيت على اى قبل ان يحصل لى العلم
الضرورى بان الجائى جبريل او خشيت ان لا اقدر على حمل اعباء
الرسالة او ان يقتلنى قومى ولا بدع فانه بشر فقالت له كلا
ابشر فوالله لا يخزيك الله ابدا انك لتصل الرحم وتصدق الحديث
وتحمل الكل وتقرى الضيف وتعين على نوائب الحق ثم انطلقت
به الى ابن عمها ورقة بن نوفل وكان شيخا كبيرا قد عمى وهو ممن
تنصر من العرب وعرف الانجيل فقالت له اسمع من ابن اخيك
فاخبره صلى الله عليه وسلم ما رأى فقال له هذا الناموس الذى
انزله الله تعالى على موسى يا ليتنى فيها اى ليتنى جذعا اى شابا
لا بالغ فى نصرتك اذ يخرجك قومك قال أو مخرجى هم قال نعم
لم يأت رجل قط بما جئت به الا عودى وان يدركنى يومك انصرك
نصرا مؤزرا ثم لم ينشب ورقة ان توفى وفتر الوحى فترة حتى
حزن صلى الله عليه وسلم وتكرر ذهابه الى رؤس شواهق الجبال
ليرمى نفسه فيبرز له جبريل ويقول يا محمد انك رسول الله حقا
فيسكن لذلك جأشه واخرج الشيخان وغيرهما انه صلى الله عليه وسلم
قال جاورت بحراء شهرا اى لا اطلب النبوة فانها موهبة لا تنال بالكسب
الله اعلم حيث يجعل رسالاته فلما قضيت جوارى هبطت فنوديت
فنظرت فلم ار شيئا فرفعت رأسى فرأيت شيئا لم اثبت له فاتيت خديجة

فقلت

فقلت دثرونى دثرونى وصبوا على ماء باردا فنزلت يا ايها
المدثر الآية وهذا بعد نزول اقرأ وبعد فترة الوحى اذ اول ما
نزل اقرأ على الصواب وصح عن الشعبى انه قال نزلت عليه صلى
الله عليه وسلم النبوة وهو ابن اربعين سنة فقرن بنبوته اسرافيل
ثلاث سنين فكان يعلمه الكلمة والشئ ولم ينزل عليه القرآن على
لسانه فلما مضت ثلاث سنين قرن بنبوته جبريل فنزل عليه القرآن
على لسانه عشرين سنة وحكمة الفترة ذهاب الروع الذى وجده
صلى الله عليه وسلم ومزيد تيجه الى الاشتياق الى العود وروى عن اصحاب
السير انه صلى الله عليه وسلم لما اخبر خديجة الخبر قالت اتستطيع ان تخبرنى
بهذا الذى يأتيك اذا جاءك قال نعم فلما جاءه جبريل اخبرها به فقالت
له اجلس على فخذى الايسر ففعل فقالت اتراه قال نعم فالقت خمارها
ثم قالت اتراه قال لا قالت اثبت وابشر فوالله انه لملك ما هذا
شيطان ثم بعد تلك الفترة ونزول قوله تعالى يا ايها المدثر قم فانذر
بادر صلى الله عليه وسلم الى امتثال ذلك فحينئذ قام النبى يجد
ويجتهد فى حال كونه يدعو الى عبادة الله والايمان به وبرسوله
وترك ما هم عليه من عبادة الاصنام والاوثان وذلك لانه اول ما
وجب عليه صلى الله عليه وسلم الانذار والدعاء الى التوحيد ثم
فرض الله عليه من قيام الليل ما ذكره فى اول سورة المزمل ثم
نسخه بما فى آخرها ثم نسخه بايجاب الصلوات الخمس ليلة الاسراء
بمكة قاله النووى وقال فى فتح البارى كان صلى الله عليه وسلم
قبل الاسراء يصلى قطعا وكذلك اصحابه ولكن اختلف هل افترض
قبل الصلوات الخمس صلوة ام لا فقيل ان الفرض صلوة قبل طلوع
الشمس وقبل غروبها لقوله تعالى وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس
وقبل الغروب وروى ان جبريل بدا له صلى الله عليه وسلم فى
احسن صورة واطيب رائحة فقال يا محمد ان الله يقرئك السلام
ويقول لك انت رسولى الى الانس والجن فادعهم الى قول لا اله الا
الله ثم ضرب برجله الارض فنبعت عين ماء فتوضأ منها جبريل

فقال نعم فقالت تحول على الايمن فقال نعم فقالت اتراه فقال نعم فتحول فقالت فاجلس على حجرى ففعل قالت اتراه صح

ثم امره ان يتوضأ وقام جبريل يصلي وامره ان يصلي معه فعلمه
الوضوء والصلوة ثم عرج الى السماء ورجع صلى الله عليه وسلم لا يمر
بحجر ولا مدر ولا شجر الا وهو يقول السلام عليك يا رسول الله
حتى اتى خديجة واخبرها فغشي عليها من الفرح ثم امرها فتوضأت
فصلى بها كما صلى به جبريل فكان ذلك اول فرضها ركعتين للحديث
وهي الحال في اهل الكفر نجدة اي قوة تامة وتحزب عليه وإباء
اي امتناع عن اتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم والايمان به أمماً
مفعول يدعو اي جماعات هم امة الدعوة أُشربت بالبناء للمفعول
قلوبهم الكفر اي اختلطت به بتقدير تجسمه وتمكن فيها لحبه حتى
صارت لا تقبل على غيره ولا تلتفت اليه لامتزاجها به امتزاج المشروب
بها فاستعار لفظ الشرب للمخالطة وشدة الممازجة وحينئذ
فداء الضلال الذي استقر فيهم اي مرضه او الاضافة بيانية اي
فالداء الذي استقر فيهم وهو الكفر داء لا يرجى برؤه عياء بمهملة
مفتوحة فتحتية اي داء عضال اعيى الاطباء مداواته وحصول
شفائه ولما قام صلى الله عليه وسلم يدعو الى الله دخل في الاسلام
رجال ونساء حتى كمل السابقون الاولون واولهم على الاطلاق
خديجة ثم من الرجال ابو بكر ومن الصبيان علي وصح اسلامه
مع صباه لان الاحكام اذ ذاك منوطة بالتمييز ومن الموالي
زيد ومن الارقاء بلال وروي ان ورقة اسلم فان صح كان اول
من اسلم من الرجال وبهذا تجتمع الاقوال المتباينة في اول من
اسلم ثم دخل الناس في الاسلام ارسالا وكان صلى الله عليه وسلم
مخفيا امره الى ان امره الله باظهاره وامره بقوله فاصدع بما
تؤمر قالوا وكان ذلك بعد النبوة بثلاث سنين ولم يبعد
منه قومه ولا ردوا عليه حتى عاب آلهتهم سنة اربع من النبوة
فاجمعوا على عداوته الا من عصمه الله بالاسلام او صدق
المحبة كابي طالب فانه حدب عليه ومنع عنه وقام دونه واشتد
الامر وتضارب وتوامرت قريش على من اسلم منهم يعذبونهم

ومنع

ومنع الله رسوله منهم بعمه ابي طالب وبني هاشم غير ابي لهب فان
رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يطوف على الناس في منازلهم
ويقول اعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وابو لهب وراءه يحذر
منه ورموه بالسحر والشعر والكهانة والجنون وكان بعضهم
يحثوه بالتراب ويجعل الدم على بابه ووطئ عقبة بن ابي معيط
على عنقه وهو ساجد عند باب الكعبة حتى كادت عيناه تبرزان
وخنقوه خنقا شديدا وجذبوا رأسه ولحيته حتى سقط اكثر
شعره فقام ابو بكر ومنعه منهم ثم اسلم عمه حمزة رضي الله عنه سنة
ست من النبوة فعز به وكفت عنه قريش قليلا وسألوه ان يملكوه
عليهم ويبذلوا له من الاموال ما شاء ويترك ما هو فيه فابى وقال
أصبر لامر الله حتى يحكم الله بيني وبينكم وفي سنة خمس اذن الله
لاصحابه في الهجرة الى الحبشة فكان اولهم عثمان مع زوجته
رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم واسلم عمر بعد حمزة رضي
الله عنهما بثلاثة ايام فعز صلى الله عليه باسلامه كثيرا فاجتمعت
قريش على قتله صلى الله عليه وسلم فبلغ ذلك ابا طالب فجمع بني هاشم
والمطلب فادخلوه شعبهم ومنعوه ورأينا معشر امة الاجابة
اي ابصر الصحابة وعلم من بعدهم بطريق التواتر والشهرة ويصح
انها بمعنى علم في الكل وهو واضح وابصر في الكل وهو في من بعد
الصحابة بالنسبة لمشاهدة حروف القرآن الدالة على آيات لا
تحصى آياته اي معجزاته وخلقه وخُلقه من بديع صفاته فاهتدينا
اي وصلنا الى المطلوب منا من كمال الايمان والاتباع وانما بادرنا
الى ذلك لانا اصحاب عقول كاملة وقد رأينا الحق عيانا لا مرية
فيه فعلمنا انه اذا الحق جاء زهق الباطل وبين بجاء ان الحق فاعل
مثله المحذوف لان اذا لا تدخل على الجملة الفعلية على الارجح زال
المراء اي الضلال والجدال فيه وفي هذا ابلغ التعريض لكفار
قريش حيث لم يؤمنوا به صلى الله عليه وسلم مع ما شاهدوا من كماله
الاعظم خلقا وخُلقا وعلما وسيرة ومن معجزاته الدالة على صدقه

يا ربّ ان الهدى اى اتباع للحق ليس الا هداك اى ليس الا بتوفيقك
وهدايتك كما قلت فى كتابك فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره
للاسلام ومن يرد ان يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كانما يصعد
فى السماء من يهد الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادى له وان
آياتك التى اقمتها ادلّة على صدق انبيائك ويصح رفعه فعلى الاوّل
كل من الجملتين مؤكدة لما قبلها وعلى الثانى فهى مؤكدة ايضا لكن
فيها شبه اعتراض بناء على جواز وقوعه بعد تمام الكلام نور كما
قلت قد جاءكم من الله نور تهدى به من تشاء هدايته وتضل
عنها من تشاء غوايته ففى كلامه اقتباس من الآيتين المذكورتين
كما اشرت اليه وايماء الى ان الآيات لا تنفع مع سبق الشقاوة ولما
قرّر ان الهدى هدى الله وانه يهدى من يشاء ويضل من يشاء
ذكر ما يستغرب من ذلك ويقرّبه وهو ان غير العاقل قد يلهم كثيرا
مما يحرمه العاقل فقال كم مرّة اى مرارا كثيرة فهى خبرية ويجوز حذف
مميّزها كما فعله الناظم فان ذكر جرّ باضافتها اليه عند البصريين
وجوّز بنو تميم نصبه وافراده اكثر وافصح من جمعه فان فصل
نصب حملا على كم الاستفهامية رأينا اى علمنا وابصرنا نظيرها من
واستعمال المشترك فى معنييه واللفظ فى حقيقته ومجازه جائز وعلى
منعه الذى ذهب اليه الاكثرون هو من عموم المجاز ما اى شخصا ليس
يعقل اصلا كالحيوان والجماد قد الهم من المصالح وهذه فى موضع
ثانى مفعولى رأى ما اى كثيرا ليس يلهم العقلاء ظرف او علة
لرأى فابى اى امتنع الفيل المذكور فى الآية من ان يفعل ما الى
اى عزم عليه صاحب الفيل وهو ابرهة ملك صنعاء وهو دخوله
لحرم لهدم الكعبة وبين ابى والى الجناس المصحف ومنه قوله
تعالى وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا ولم ينفع الحجا اى العقل الوافر
والذكاء اللذان اتصف بهما فلم يوفّق لما وفق له الفيل مع ان
فرقان بينهما فى الذكاء والعقل فعلم ان الهداية والضلال ليسا
الا بتوفيق الله وهدايته او خذلانه وعدم رعايته وبسط هذه

القصة ان ابرهة ملك اليمن من قبل اصحمة النجاشى بنى كنيسة بصنعاء
وكتب الى النجاشى قد بنيت لك كنيسة واريد ان اصرف حج العرب
اليها فجاء رجل من بنى كنانة فاحدث فيها فسمع ذلك فغضب
وحلف ليسيرن الى كعبة العرب ويهدمها فامر الحبشة فتهيأت
ثم سار وخرج معه الف فيل وواحد يسمى محمودا وقيل اكثر فخرج
عليه ملوك اليمن فقهرهم واسرهم الى ان قرب من المغمس عند عرفة
فبلغ ذلك عبد المطلب فقال يا معشر قريش لا يصل لهدم
البيت ان له ربا يحميه ثم ارسل ابرهة خيلا فاستاقت ابل
قريش وغيرهم ولعبد المطلب منها اربعمائة ناقة فركب فى قريش
حتى بلغ جبل ثبير فاستدارت دائرة غرة رسول الله صلى الله
عليه وسلم على جبينه كالهلال واشتد شعاعها على الكعبة مثل
السراج فقال ارجعوا فقد كفيتم فوالله ما استدار النور
منى الا ان يكون الظفر لنا فرجعوا ثم ارسل ابرهة لسيدهم
وهو عبد المطلب ليخبر انه لا حاجة له بدمائهم وانما غرضه
تخريب الكعبة فان مكنتمونى نجوتم فقال له عبد المطلب لا طاقة
لنا بحربه والبيت بيت الله فان منعه فهو حرمته ثم حمل اليه فاكرمه
واجله ونزل عن سريره وجلس معه على بساط ثم قال له ما حاجتك فقال
ان ترد على ابلى فقال له كنت اعجبتنى ثم زهدت فيك تكلمنى فى
ابلك دون بيت هو دينك ودين آبائك فقال له اما الابل فانا
ربها واما البيت فله رب يحميه فرد اليه ابله فرجع فاخبرهم فتحرزوا
فى شعب الجبال والشعاب ثم اخذ عبد المطلب ومعه نفر من قريش
بحلقة باب الكعبة ودعوا واستنصروا وفى رواية ان رسول
ابرهة لما دخل مكة ورأى وجه عبد المطلب خضع وتلجلج لسانه
وخر مغشيا عليه وخار كما يخور الثور عند ذبحه فلما افاق خر ساجدا
لعبد المطلب وقال اشهد انك سيد قريش حقا وروى ان عبد
المطلب لما ذهب لابرهة احضر فيله الابيض العظيم فلما رأى عبد
المطلب خر ساجدا وقال السلام على النور الذى فى ظهرك يا عبد المطلب

ولما اصبح ابرهة بالمغمس هيّا فيله وجنوده لدخول مكة وهدم
البيت برك الفيل في محله بناءً على الاصح انهم لم يدخلوا الحرم وقيل
دخلوه وانما برك لما وصلوا الى وادي محسّر ولذا سمي بذلك لانه فيام
حسر اي اعيى فيه فضربوه في رأسه ومرقوا بطنه بالحديد فابى فوجهوه
نحو اليمن فقام ثم نحو الشام فمشى ثم نحو المشرق فمشى ثم نحو الكعبة فابى
ثم ارسل الله عليهم طيرا ابابيل كامثال الخطاطيف من البحر مع كل طائر
ثلاثة احجار حجر في منقاره وحجران في رجليه كامثال العدس لا يصيب
احدا منهم الا قتله فخرجوا هاربين يتساقطون بكل طريق واصيب
ابرهة في جسده فتساقطت انامله انملة انملة حتى وصل صنعا وهو
مثل فرخ الطائر وسال منه الصديد والدم ومامات حتى تصدّع
قلبه ورأى العذاب الاليم وقد ذكر الله هذه القصة في سورة الفيل
وافتتحها بالم تر مع انها قبل مبعثه بل قبل ولادته اشارة الى ان
المراد من الرؤية العلم والتذكير وان الخبر بذلك متواتر فكان
العلم به ضروريا مساويا للعلم الحاصل بالرؤية البصرية وقد
دلت هذه القصة على غاية شرف نبينا صلى الله عليه وسلم فانها كانت
ارهاصا وتأسيسا للنبوة ويجوز تقديم المعجزة على زمن النبوة
تأسيسا كما مر في تظليل الغمام والشجر والملكين بل جاء ان الشجرة و
الحجارة قرب مبعثه كان لا يمر منهما بشئ الا سلّم عليه سلاما يسمعه
باذنه صلى الله عليه وسلم وعلى شرف قومه وحماية الله لهم ولذا دانت
العرب لهم لعلمهم بان ابرهة لا قدرة للعرب باسرهم على قتاله
فاذا تولى الله نصرتهم عليه دل ذلك على عظيم اعتناء الله بهم و
لفقد معنى الارهاص بعد مجئ النبوة وثبوتها بالدلائل القطعية
املى للحجاج تبحّا الله حتى خرّب الكعبة ولم يعاقب بشئ. ولما ذكر
ما يتعلق بالهام الجماد فقال **والجمادات** وهي ما لا روح فيه
افصحت اي اظهرت ونطقت بكلام مبين فصيح لا تلعثم فيه قيل
يخلق الله فيها حينئذ نطقا من غير حيوة وان من شئ الا يسبح بحمده وقيل
بل يخلق الله فيها حيوة ولسانا وادراكا فتنطق مختارة عارفة بما تنطق

به ويدل لهذا ما يأتي في حنين الجذع وانينه فان ذلك يدل على ان
الله تعالى خلق فيه الحيوة والعقل والشوق حتى حنّ وانّ ولا يعارض
ان مذهب الاشعري ان خلق الصوت في محل لا يستلزم خلق الحيوة
والعقل فيه لانا لم نأخذ الحيوة من تصويته بل من اطلاق الصحابة عليه
انه حنّ وانّ ولذا عامله النبي صلى الله عليه وسلم معاملة الحي فالتزمه
كما يلتزم الغائب اهله اذا قدم **بالشهادة** بالانباء والارسال **الذي**
اخرس عنه لاحمد متعلق بافصحت **الفصحاء** نائب فاعل اخرس
وفيه الطباق اعان العرب قريشا وغيرهم مع كونهم ارباب الفصاحة
وفرسان البلاغة استغنت السنتهم من النطق له صلى الله عليه وسلم
بالايمان به والشهادة له بالرسالة اليهم وشهد له بذلك الجمادات
الصم بافصح لسان وابلغ بيان فمن ذلك تسبيح الحصا في يده
ثم في يد ابي بكر ثم في يد عمر رضي الله عنهما يسمع تسبيحهن من في
الحلقة رواه جماعة وهو مشهور لكن في سنده ضعف. وصح
عن ابن مسعود رضي الله عنه كنا نأكل مع النبي صلى الله عليه وسلم
الطعام ونحن نسمع تسبيح الطعام وفي سماعهم لذلك غاية
الكرامة لهم وصح ايضا اني لاعرف حجرا بمكة كان يسلم علي
قبل ان أبعث اني لاعرفه الآن قيل هو الحجر الاسود وقيل
البارز بزقاق المرفق لانه كان يمر به صلى الله عليه وسلم
من دار خديجة الى المسجد وعليه اهل مكة سلفا وخلفا وصح عن
علي كرم الله وجهه كنت امشي مع النبي صلى الله عليه وسلم بمكة فخرجنا
الى بعض نواحي مكة فما استقبلنا شجر ولا حجر الا قال السلام
عليك يا رسول الله وروى البزار وابو نعيم لما استقبلني
جبريل بالرسالة جعلت لا امر بحجر ولا شجر الا قال السلام عليك
يا رسول الله وللبيهقي وابن ماجة انه صلى الله عليه وسلم غطى
العباس وابنيه بملاءته فقال يا رب هذا عمي وصنو ابي و
هؤلاء اهل بيتي فاسترهم من النار كستري اياهم بملاءتي هذه
فقالت اسكفة الباب وحوائط البيت آمين آمين آمين.

مذهب الاشعري ان الذكر المعنوي والكلام النفسي يستلزمان الحيوة مع استلزام العلم لها

وصح انه صلى الله عليه وسلم كان هو وابو بكر وعمر وعثمان على احد
وصح ايضا على حرا فتحرك فقال اثبت وضربه برجله فما عليك الا
نبي او صديق او شهيد وصح انه صلى الله عليه وسلم طلب من رجل الايمان
فقال هل من شاهد فقال هذه الشجرة فدعاها صلى الله عليه وسلم
وهي على شاطئ الوادي فاقبلت تخد الارض خدا اي تشقها شقا
فقامت بين يديه فاستشهدها ثلاثا فشهدت ثم رجعت الى منبتها
وفي رواية قل لتلك الشجرة رسول الله يدعوك فمالت عن يمينها
وشمالها ومن بين يديها ومن خلفها فتقطعت عروقها ثم جاءت
تخد الارض تجر عروقها مغبرة حتى وقفت بين يديه فقالت السلام
عليك يا رسول الله قال الاعرابي مرها فلترجع الى منبتها فرجعت
فدلت عروقها في ذلك الموضع فاستقرت فقال الاعرابي ايذن لي
ان اسجد لك فقال لو كنت آمر احدا ان يسجد لاحد لامرت المرأة
ان تسجد لزوجها وصح ان اعرابيا قال بم اعرف انك رسول الله قال
بان ادعو هذا العذق من هذه النخلة ليشهد باني رسول الله فدعاه
فسقط اليه ثم قال ارجع فاسلم الاعرابي تنبيه علم من كلام الناظم
على مولده صلى الله عليه وسلم وما بعده ان من دلائل نبوته ما وجد
في كتب الله من نعته وخروجه بارض العرب وما ظهر بين يدي
مولده ومبعثه من العجايب المبطلة لسلطان الكفر والمنوهة بشرف
العرب كقصة الفيل وما حل باصحابه وخمود نار فارس وما ذكر
معها وما سمع من الهواتف الصارخة باوصافه صلى الله عليه وسلم
وانتكاس الاصنام المعبودة على وجوهها من محالها فيه من غير فعل
فاعل مع شدة ثباتها واحكامها وما سبق بعضه من العجايب التي
ظهرت ايام رضاعه وبعده الى مبعثه واتباع الخلق له مع انه لم
يكن له مال يطمع فيه ولا قوة يقهر بها الرجال مع ما كانوا عليه
من محبة الاصنام والمبالغة في الحمية لها بالمقاتلة وشن الغارات
لا تجمعهم الفة دين ولا يمنعهم عن سوء فعالهم النظر في عاقبة و
لا خوف لائمة فالف صلى الله عليه وسلم بين قلوبهم وجمع كلمتهم حتى

اتفقت الآراء واجتمعت القلوب فصاروا يدا واحدة على نصره وهم
وهجروا اوطانهم واهاليهم في محبته وبذلوا مهجتهم لنصرته ونصبوا
وجوههم لوقع السيوف في اعزاز كلمته بلا دنيا افاضها عليهم في العا جل
ولا عز في الآجل اطمعهم في نيله بتحصيله بل كان من شانه صلى الله عليه
وسلم ان يجعل الغني فقيرا والشريف اسوة الوضيع فهل يتاتى
مثل هذه الامور من قبل اختيار عقلي وتدبير فكري كلا والذي
بعثه بالحق انما ذلك امر الهي وتاييد سماوي يعجز عن بلوغه قوى
البشر ولا يقدر عليه الا من له الخلق والامر تبارك الله رب العالمين
وبهذا الذي ذكرته يتضح تعقيب الناظم لما مر بقوله ويح منصوب
بفعل محذوف او بحرف النداء اي يا ويح على حذف يا حسرتا على العباد
اي احضر هذا وقتك كذا قيل والذي صرح به الائمة انه حيث
كان المصدر بلا غير اللفظ بفعله وجب نصبه وحذف عامله
نعم بعض تلك المصادر يجوز رفعه كويح فقد قالوا ومما استعمل
مفردا ومضافا قولهم ويح فلان وويحا له قال ابن ظاهر متى
اضيف ويح وجب النصب وامتنع الرفع لانه مبتدا لا خبر له
ومتى افرد جاز كل منهما وكذا ويل والنصب فيه غير قوي لانه
مصدر لا فعل له بخلاف نحو حمدا وشكرا ومن ثم غلب على ويح
الرفع بل قال ابن ابي الربيع يجب رفعه دون ويل نعم ان عطف
ويح على تب تعين نصبه ومنع المازني رحمه الله عطف ويح
على تب وعكسه لتناقض معناهما ورد بان ويح اخرج مخرج الد عاء
وليس معناه الدعاء وتبا يستعمل كقاتله الله ما اشعره
نعم ان ويح وويل ونحوهما متى نصب فانما هو بعامله المحذوف
وجوبا وانه لا دخل للنداء هنا واعلم انهم اتفقوا على ان ويح
كلمة ترحم يقال لمن وقع في مهلكة لا يستحقها وويل كلمة عذا ب
وقيل هما بمعنى وعلى الاول فقد يستشكل اتيان الناظم بها في
هذا المحل لان الجافين له صلى الله عليه وسلم يستحقون الهلاك
الدائم وقد يجاب بان كثيرا منهم اسلم بعد ذلك فالترحم لهم

باعتبار ما آل اليه حالهم ورد بانهم بهذا الاعتبار لا يقال فيهم
ويح لانهم لم يقعوا في هلاك اصلا فالاحسن الجواب بان الترحم
من حيث النظر الى القرابة التي بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم
وانهم من عمود نسبه وجلدته والترحم لهم بهذه الحيثية لا محذور
فيه **قوم جفوا نبيا** بلغ من مراتب الجلالة والتعظيم ما لم يبلغه
نبي اي بغضوه وآذوه الايذاء البالغ بل قصدوا قتله كما مر آنفا
مبسوطا **بارض الفته ضبابها** جمع ضب وحديثه مشهور على
الالسنة ورواه البيهقي في احاديث كثيرة لكنه حديث غريب
ضعيف قال المزني لا يصح اسنادا ولا متنا وهو ان اعرابيا اصطاد
ضبا فلما رأى النبي صلى الله عليه وسلم طرحه بين يديه وقال لا او من
بك حتى يؤمن هذا فقال له يا ضب قال لبيك وسعديك قال من
تعبد قال الذي في السماء عرشه وكلمات اخر قال من انا قال
رسول رب العالمين فاسلم الاعرابي الحديث بطوله قيل وهو
موضوع ورد بان نهايته الضعف لا الوضع وفي معجزاته صلى
الله عليه وسلم ما هو ابلغ من هذا **والظباء** جمع ظبي وروي حديثه من
طرق البيهقي وابو نعيم والطبراني وساق الحافظ المنذري حديثه
في الترغيب والترهيب لكن ضعفه الائمة بل قال الحافظ ابن
كثير لا اصل له ومن نسبه الى النبي صلى الله عليه وسلم فقد كذب
ورد بانه ورد في الجملة في عدة احاديث يتقوى بعضها ببعض
بل بالغ بعض المحققين فزعم انه حديث صحيح قال التاج السبكي
وهو وان لم يتواتر اليوم فلعله استغنى عنه بغيره او لعله تواتر
اذ ذاك وهو بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم في صحراء اذا هاتف
يهتف يا رسول الله ثلاث مرات فالتفت فاذا ظبية مشدودة
في وثاق واعرابي نائم عندها فقال ما حاجتك قالت صادني
هذا الاعرابي ولي خشفان في ذلك الجبل فاطلقني حتى اذهب
فارضعهما وارجع قال وتفعلين قالت عذبني الله عذاب العشار
اي المكاس ان لم اعد فاطلقها فذهبت ورجعت فاوثقها

صلى

صلى الله عليه وسلم فانتبه الاعرابي فقال يا رسول الله الك حاجة
قال تطلق هذه الظبية فاطلقها فخرجت تعدو في الصحراء
فرحا وهي تضرب برجليها الارض وتقول اشهد ان لا اله الا الله
وانك رسول الله ولم يرد المصنف الحصر في هذين فقد صح ان الذئب
آلفه واخبر بنبوته صلى الله عليه وسلم كما جاء من طرق منها طريقان
صحيحان حاصلهما انه اخذ شاة فانتزعها الراعي منه فقال الا تتقي
الله تنزع مني رزقا ساقه الله الي فتعجب الراعي من كلامه له فقال
الا اخبرك باعجب من ذلك محمد بيثرب يخبر الناس بانباء ما قد
سبق وفي رواية صحيحة بما مضى وما هو كائن فاتى الراعي رسول
الله صلى الله عليه وسلم فاخبره بذلك فامر ان ينادى الصلوة جامعة
ثم امر الراعي فاخبرهم وفي رواية عند سعيد بن منصور في سننه
ان الذئب جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال هذا وافد الذئاب
جاء يسألكم ان تجعلوا له شيئا من اموالكم قالوا والله لا نفعل
واخذ رجل من القوم حجرا رماه به فادبر الذئب وله عواء فقال
صلى الله عليه وسلم الذئب وما الذئب وكلمه صلى الله عليه وسلم
الحمار ايضا على ما ورد في حديث طويل لكن قال ابن الجوزي انه
موضوع وكلمه ايضا الجمل كما جاء في عدة طرق بعضها سنده
جيد وبعضها سنده صحيح وحاصلها ان جماعة من الانصار
شكوا اليه صلى الله عليه وسلم جملهم وانه امتنع من العمل حتى عطش
النخل والزرع فقال لاصحابه قوموا فقاموا ودخل الحائط
فمشى اليه فقالوا يا رسول الله انه صار كالكلب الكلب فقال ليس علي
منه باس فلما نظر الجمل اليه اقبل نحوه حتى خر ساجدا بين يديه
فاخذ بناصيته اذل ما كان قط حتى ادخله في العمل الحديث وفي
رواية صحيحة انه صلى الله عليه وسلم دخل حائطا فرآه الجمل فحن اليه
وذرفت عيناه فمسح قريب رأسه من قفاه ثم قال لربه الا
تتقي الله في هذه البهيمة التي ملكك الله اياها فانه شكا الي انك
تجيعه وتدئبه اي تتعبه وجاء بسند ضعيف ان غنما سجدت له

صلى الله عليه وسلم وسلوه اي نفرت قلوبهم عنه حتى هجروه مع نشأته
فيهم وعلمهم بغاية نزاهته ونهاية كماله والحال انه قد حن جذع
اليه كما جاء من طرق كثيرة صحيحة وغيرها يفيد مجموعها التواتر
المعنوي الموجب لتيقن وقوع ذلك والقطع به وعلى التواتر
المعنوي يحمل قول التاج السبكي الصحيح عندي ان تحنينه متواتر
وسبقه لذلك عياض وحاصلها انه صلى الله عليه وسلم قبل ان
يعمل له المنبر كان يخطب مستندا الى جذع نخل من الجذوع المسقوف
عليها المسجد فلما صنع له المنبر ثلاث درجات وضعه موضعه
الآن بمسجده ثم تخطى الجذع يوم جمعة ليخطب على المنبر فصاح
الجذع حتى سمعه جميع من في المسجد وفي رواية انه خار كخوار الثور
حتى ارتج المسجد لخواره وفي اخرى خار حتى تصدع وانشق
وفي اخرى فجعل يئن انين الصبي وفي اخرى حن حنين الناقة التي
انتزع ولدها فنزل اليه صلى الله عليه وسلم وضمه اليه رحمة له حتى سكن
وفي رواية فمسحه بيده ولعله فعل به الامرين وفي اخرى ان هذا
بكى لما فقد من الذكر عنده وفي اخرى والذي نفسي بيده لو لم التزمه
لم يزل يصوت هكذا الى يوم القيمة تحزنا على رسول الله صلى الله
عليه وسلم وهذا من اكبر معجزاته صلى الله عليه وسلم بل اشار الشافعي
رضي الله عنه الى انه ابدع من احياء عيسى صلى الله عليه وسلم للموتى لانهم
عهدت لهم حيوة رجعت اليهم بخلاف هذا وفي رواية عند الدارمي
انه صلى الله عليه وسلم خيره بين ان يعيده الى مغرسه فيثمر كما كان
او ان يغرسه في الجنة ياكل اولياء الله من ثمره ثم اصغى اليه فقال
اختار دار البقاء على دار الفناء وامر به فدفن ومر في شرح
قوله والجمادات افصحت الى اخر ما له تعلق بذلك وقلوه اي ابغضوه
والحال انه قد وده اي احبه وبين السلو والحنين والقلى والود
الطباق كما هو بين الاخراج والايواء الآتيين الغرباء الذين هم
ليسوا من عشيرته ولا من قومه ولا عرفوا ما عرفته قريش من كماله
الاعظم كالانصار الاوس والخزرج وذلك انه صلى الله عليه وسلم

خرج

خرج في الموسم الذي اعتمر فيه يعرض نفسه على قبايل العرب كما كان
يصنع في كل موسم فلقي بعض الخزرج عند العقبة فقال من انتم فقالوا من
الخزرج قال افلا تجلسون اكلمكم فجلسوا فدعاهم الى الاسلام وتلى عليهم
القرآن وكان عندهم علم منه فعرفوا نعته لان يهود المدينة كانوا يقولون
لهم ان نبيا يبعث الآن نتبعه ونقتلكم معه فاجابوه لئلا تسبقهم
اليهود اليه واسلم منهم ستة نفر فقال لهم تمنعون ظهري حتى ابلغ رسالة
ربي فقالوا ندعوا قومنا الى ما دعوتنا اليه فان اجابوا فلا احد
اعز منك وموعدك موسم العام القابل فلما وصلوا المدينة
لم يبق دار الا وفيها ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم فلقيه في
العام القابل اثنا عشر خمسة من الستة والبقية من الخزرج ايضا
الا رجلين فمن الاوس وهذه هي العقبة الثانية فاسلموا وقبلوا
ما اشترطه عليهم ثم رجعوا فاظهر الله الاسلام فيهم فكان اسعد
ابن زرارة يجمع بالمدينة من اسلم ثم ارسلوا يطلبون من يعلمهم القرآن
فارسل اليهم مصعب بن عمير فاسلم على يديه جمع كثير منهم سيد
الاوس سعد بن معاذ واسيد بن حضير فاسلم باسلامهم جميع بني
عبد الاشهل في يوم واحد رجالهم ونساؤهم الا واحدا فيوم احد
ولم يكن فيهم اعني بني عبد الاشهل منافق ولا منافقة ثم قدم
في العام القابل في الموسم نحو سبعين رجلا وهي العقبة الثالثة
فبايعهم على انهم يمنعونه مما يمنعون منه نساءهم وابناءهم وعلى
حرب الاحمر والاسود وصح عن جابر مكث صلى الله عليه وسلم عشر سنين
يتبع الناس في منازلهم في الموسم بمنى وغيرها يقول من ينصرني
حتى ابلغ رسالة ربي وله الجنة حتى بعث الله من يثرب وذكر الحديث
وفيه وعلى ان تنصروني اذا قدمت عليكم يثرب فتمنعوني مما
تمنعون منه انفسكم وازواجكم وابناءكم ولكم الجنة وحضر العباس
رضي الله عنه هذه المبايعة فاكد عليهم لرسول الله صلى الله
عليه وسلم ذلك ثم امر صلى الله عليه وسلم من بقي معه بالهجرة الى المدينة فخرجوا
ارسالا واقام ينتظر الاذن له في الهجرة فاستاذنه ابو بكر فقال

لا تفعل لعل الله ان يجعل لك صاحبا فطمع ابو بكر في ان يهاجر
معه صلى الله عليه وسلم ولما بلغهم انه بويع وامر من معه ان يلحق
بالمدينة وانه ظهر امره بها اشتوروا بدار الندوة ثم اجمعوا
ان يحبسوه او يقتلوه او يخرجوه فاعترضهم ابليس في صورة
رجل جليل واظهر لهم انه يريد نصحهم وامرهم ان يعرضوا عليه
آراءهم ليختار انفعها لهم فقيل نحبسه فقال قد ينتزع منكم
فقيل نخرجه فقال يأتيكم بما لا طاقة لكم به فقال ابو جهل ارى
ان تأخذوا من كل قبيلة غلاما قويا ثم تعطوهم شفارا فيضربه
كل ضربة فيتفرق دمه في القبائل فلم يقدر اهله على حرب قومهم
فيأخذوا ديته فقال ابليس لله درك هذا هو الرأي فاجمعوا
عليه فاتاه جبريل فقال لا تبت الليلة على فراشك فاجتمعوا
في الليل ببابه يرصدونه لينام فيثبوا عليه فامر عليا بان ينام
مكانه ثم خرج عليهم فلم يبق احد منهم الا اخذ الله على بصره فلم
يره ونثر على رأس كل واحد منهم ترابا كان في يده وهو يتلو يس
الى لا يبصرون وصح انه ما اصاب احدا منهم تراب الا قتل
كافرا ثم اعلموا بخيبتهم فوضع كل يده على رأسه فوجد التراب
وفي هذا نزل قوله تعالى واذ يمكر بك الذين كفروا الآية ثم
اذن الله لنبيه في الهجرة كما قال اخرجوه منها بدل من جفوا
اي كانوا السبب في خروجه من تلك الارض التي هي مولده ومرباه
ووطنه ووطن آبائه واحب ارض الله الى الله والى رسوله كما صح عنه
صلى الله عليه وسلم ثم قال ولولا اني اخرجت منها ما خرجت
وبقولي كانوا السبب الى آخره اندفع ما يقال هو لم يخرج منها الا
باذن فهو السبب فقط ووجه اندفاعه ان تسببهم في خروجه
بما الحقوه في ايذائه وايذاء اصحابه لاسيما ضعفاؤهم هو الحامل
على انتظاره الاذن له في الخروج متى تحقق وجد فتسببهم سبب
للاستئذان ووقوع الاذن فاسناد الاخراج اليهم لذلك اظهر منه
للاذن تعويلا على سبق السببين مع كون الاول سببا للثاني

ايضا كما تقرر وكان ذلك بعد العقبة الثالثة بنحو ثلاثة
اشهر يوم الاثنين هلال ربيع الاول والخميس الذي يليه ووصل
المدينة يوم الاثنين ثاني عشر الشهر وجمع بان خروجه من مكة
يوم الخميس ومن الغار ليلة الاثنين وخلف عليا ليؤدي ما عنده
من الودائع وكان مجيئه بيت ابي بكر وقت الظهيرة فقال انه قد
اذن لي في الخروج قال الصحبة يا رسول الله قال نعم قال فخذ احدى
راحلتي قال بالثمن اي لتتمحض هجرته لله ولا يكون لاحد
فيها منة فخرجا ليلا الى غار جبل ثور فاستخفيا فيه كما قال
وآواه غار ولما فقدته قريش طلبوه بمكة اعلاها واسفلها
وبعثوا القافة اثره في كل وجه فوجد الذي ذهب قبل ثور
اثره هنالك فلم يزل يتتبعه حتى انقطع لما انتهى الى ثور وشق
عليهم خروجه وجزعوا منه وجعلوا لمن رده مائة ناقة
ولما دخل الغار قيل انبت الله على بابه شجرة ام غيلان فحجبت
عن الغار اعين الناس وارسل الله حمامتين وحشيتين فوقفتا
على فم الغار كما قال وحمته منهم حمامة فيه جناس سبق
نظيره ورقاء وهي ما في لونها بياض يخالطه سواد قيل وحمام
الحرم من نسلها ومعنى حمايتها له ان فتيان قريش من كل بطن لما
اقبلوا باسلحتهم جعل بعضهم ينظر في الغار فلم ير الا حمامتين
وحشيتين بفم الغار فرجع الى اصحابه فقالوا له ما لك قال
رأيت حمامتين وحشيتين فعرفت ان ليس فيه احد وقال
آخر ادخلوا الغار فقال اللعين امية بن خلف وما اربكم
في الغار ان فيه لعنكبوتا اقدم من ميلاد محمد وفي مسند
البزار ان الله عز وجل امر العنكبوت فنسجت على وجه الغار
ولذا قال الناظم وكفته بنسجها عنكبوت يقع على الواحد
والجمع والذكر والانثى ما اي الاعداء الذين كفته اياهم الحمامة
الحصداء اخذ من قولهم شجرة حصداء اي كثيرة الورق
فاستعاره للحمامة لكثرة ريشها ووصف الحمامة بورقاء وحصداء

لاجتماعهما فيها والممتنع انما هو الوصف بمتضادين او متماثلين
وروي ان الحمامتين باضتا في اسفل النقب ونسج العنكبوت
على اعلاه فقالوا لو دخلاه لتكسر البيض وتفسخ نسج العنكبوت
قال الائمة وهذا ابلغ في الاعجاز من مقاومة القوم بالجنود
وروي انه صلى الله عليه وسلم قال اللهم اعم ابصارهم فعميت
عن دخوله وجعلوا يضربون يمينا وشمالا حول الغار وظنهم
ان الحمام لا يحوم حوله وان العنكبوت لا تنسج عليه وفيه اخذ
لما جرت العادة انهما متوحشان مهما احسا بالانسان فرا منه
وما علموا ان الله يسخر ما شاء من خلقه لمن شاء من عباده وان
وقاية الله عبده بما اراده تغنيه عن التحصن بالامكنة و
الاسلحة وصح ان ابا بكر رضي الله عنه قال يا رسول الله لو ان
احدهم نظر الى قدميه لرآنا فقال ما ظنك باثنين الله ثالثهما
ولذا قال الناظم **واختفى** صلى الله عليه وسلم اي استتر والاحسن
عطفه على وآواه **منهم على** اعمى **قرب مرآة** اي محل رؤيته وفي
ذكر الناظم لهذا تعجيب للسامع وبيان لهذه المعجزة العظيمة
وحكمة استتاره منهم مع ظهوره لهم لو نظر احدهم الى تحت
قدميه كما تقرر ان **من جملة شدة الظهور** عليهم بالغلبة
والمعونة الالهية **الخفاء** عنهم الذي حصل لخرق العادة
ظفرا عليهم وخيبة لهم واستعمال الظهور فيما ذكر مع ان
مقابلته بالخفاء توهم انه اراد به ضده من النوع المسمى بالتورية
والايهام وهي ان يذكر لفظ له معنيان بالاشتراك او التواطي
او الحقيقة والمجاز احدهما بعيد فيقصد ويورى عنه بالقريب
ليتوهمه السامع من اول وهلة وهو هنا ضد الخفاء الموهم
له قوله واختفى قال الزمخشري لا نرى بابا ادق ولا الطف
من التورية ولا انفع (ولا اعون) على تعاطي تأويل المتشابهات في كلام
الله ورسوله نحو الرحمن على العرش استوى اريد الاستواء
معناه البعيد الذي هو الاستيلاء دون القريب الذي هو

الاستقرار

الاستقرار في المكان لاستحالته على الله تعالى انتهى ملخصا وهذه
تسمى مجردة لانها لم يذكر فيها شيء من لوازم المورى به و لا
المورى عنه والحق بها ما ذكر فيه لازم كل منهما لانهما تكافئا
حينئذ ومنه ما في البيت فانه ذكر فيه لازم كل منهما بذكر
اختفى وبالخفاء اذ المتبادر منه انه ليس المراد بالظهور ضد
الخفاء فان ذكر لازم احدهما سميت مرشحة نحو والسماء
بنيناها بايد فانه يحتمل الجارحة وهي المورى به ورشح بذكر
البناء ويحتمل القوة والقدرة وهو البعيد المقصود وزاد
بعضهم فيها التورية مع صحة كل من المعنيين و لا معنى لهذه
الزيادة كما علم مما تقرر في آية الاستواء والبناء ولعله زاد في
الجملة لا بالنظر الى الكلام فيه وعليه فوجه صحة الظهور الذي
هو ضد الخفاء هنا انه من المعلوم ان شدة قرب المرئي من العين
توجب عدم ادراكها له فكذلك هنا لما اشتد قربهم منه لم
يدركوه ولم يمنع منه ان الاول عادي والثاني خارق للعادة
وكالتورية في كونه اشرف انواع البديع الاستخدام بل فضله
بعضهم عليها ولهم في حده عبارتان اشهرها ان يؤتى بلفظ
له معنيان فاكثر يراد به احد معانيه ثم يؤتى بضمير يراد به المعنى
الآخر   وروي ان ابا بكر رضي الله عنه نظر الى قدميه صلى الله
عليه وسلم في الغار يقطران دما لانه لم يتعود الحفاء فبكى وانه
دخل قبله ليقيه بنفسه وانه رأى جحرا فيه فالقمه عقبه فجعلت
الحيات والافاعي تضربه وتلسعه فجعلت دموعه تتحدر وفي
رواية عن رزين فدخل صلى الله عليه وسلم وجعل رأسه في
حجره ونام فلدغ ابو بكر في رجله فلم يتحرك فسقطت دموعه
على وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما لك قال
لدغت فتفل عليه فذهب ما يجده وروي ان ابا بكر لما
رأى القافة اشتد حزنه وقال ان قتلت (انا فانما انا رجل واحد وان قتلت) انت هلكت الامة
فقال صلى الله عليه وسلم لا تحزن ان الله معنا اي بالمعونة والنصر

فانزل الله سكينته عليه اى ابى بكر لانه الذى انزعج وهى امنة تسكن
عندها القلوب وايده اى رسوله بجنود لم تروها اى ملائكة
يصرفون ابصار الكفار عنه وبين قول نبينا ان الله معنا وقول
موسى صلى الله عليه وسلم كلا ان معى ربى سيهدين ما بين مقاميهما اذ كمال
الامداد للاتباع ليس الا لنبينا فامده بالسكينة بجنود الملائكة وقصرها
موسى على نفسه وايضا فشتان بين معية الالوهية ومعية
الربوبية والمشهور انه صلى الله عليه وسلم مكث فى الغار ثلاث ليال
وكان عبد الله بن ابى بكر مع صغر سنه ياتيهما ليلا بخبر قريش
ثم يدلج من عندهما بسحر فيصبح كبائت بمكة وكان عامر بن فهيرة
مولى ابى بكر ياتيهما كل ليلة بما يغذيهما من لبن واستاجرا عبد الله
ابن الاريقط ليدلهما على الطريق ولم يعرف له اسلام فدفعا اليه
راحلتيهما وواعداه غار ثور بعد ثلاث ليال فاتاهما وسار معهم
عامر بن فهيرة فاخذ بهما طريق البحر **ونحا** اى قصد **المصطفى** على الخلق
كلهم محمد صلى الله عليه وسلم **المدينة** المسماة بطيبة لان الله طيبها
بهجرته اليها ووقعت فى طريق الهجرة غرائب منها انهم مروا بقديد على ام
معبد الخزاعية وكانت تسقى وتطعم من يمر بها وكانت فى سنة
فطلبوا منها لبنا ولحما يشترونه فلم يجدوه فنظر الى شاة خلفها الجهد
عن الغنم فسألها هل بها من لبن فقالت هى اجهد من ذلك فقال اتاذنين
لى ان احلبها فقالت نعم فدعا بها فاعتقلها ومسح ضرعها وسمى الله
فدرت وسقى القوم حتى رووا ثم شرب آخرهم ثم حلب فيه مرة
اخرى عللا بعد نهل وتركوه وذهبوا وجاء زوجها فعجب منه
فذكرت له القصة واوصافه صلى الله عليه وسلم فقال هذا
والله صاحب قريش ولو رأيته لاتبعته واخرج ابو نعيم وابن
سعد ان تلك الشاة بقيت عندهم يحلبونها ليلا ونهارا الى زمن
عمر رضى الله عنه ثم تعرض لهما بقديد سراقة كما يأتى وروى البيهقى
انه اجتاز بعبد يرعى غنما فاستسقياه لبنا فاتاهما بشاة لا لبن
فيها فحلبها صلى الله عليه وسلم بعد ان دعا وسقى ابا بكر ثم الراعى

ب

ثم شرب وهذا محمول على علمه برضا سيد العبد مع ظن رضاه والجواب
بان هذا مال حربى غير صحيح لان هذا قبل مشروعية الجهاد ومع
عدم مشروعيته لا يحل مال اهل الحرب كما لا يحل قتالهم لان الواجب
حينئذ مسالمتهم ولا يتم الا بترك التعرض لاموالهم كنفوسهم
ولما سمع المسلمون بالمدينة بمقدمه صاروا يخرجون كل يوم الى
الحرة ينتظرونه الى قرب الظهر فانتظروه يوما وعادوا الى
بيوتهم واذا يهودى على موضع عال قد رآه فصاح هذا جدكم
اى حظكم يا بنى قيلة اى الاوس والخزرج فخرجوا اليه سراعا بسلاحهم
فنزل بقباء فقام ابو بكر للناس وجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم
ساكتا فكانوا يحسبون ابا بكر رسول الله لانه اسرع اليه الشيب مع
انه اصغر سنا منه صلى الله عليه وسلم حتى اذا اصابته الشمس ظلل
عليه فعرفوه وكان ذلك يوم الاثنين قيل اول ربيع الاول وقيل ثانى
عشره وقيل غير ذلك وادركه على بقباء ولم يقم بعده بمكة الا ثلاثة
ايام ثم امر صلى الله عليه وسلم بالتاريخ فكتب من حين الهجرة واقام بقباء
اربع عشرة ليلة كما فى مسلم واسس مسجدها وهو اول مسجد بنى فى
الاسلام ولذا كان الاصح انه الذى اسس على التقوى من اول يوم بنيانه
ثم ركب من قباء يوم الجمعة وصلاها بمسجد الجمعة المشهور ثم ركب
فكان كلما مر بدار من دور الانصار سألوه النزول عندهم فيقول
خلوا سبيلها اى ناقته فانها مامورة وارخى زمامها فاستمرت الى ان بركت
موضع باب المسجد ثم ثارت وهو صلى الله عليه وسلم عليها حتى بركت
بباب ابى ايوب رئيس بنى النجار اخوال عبد المطلب ثم ثارت
منه وبركت مبركها الاول ثم صوتت فنزل صلى الله عليه وسلم عنها
وقال هذا المنزل ان شاء الله **واشتاقت** من الشوق وهو تحرك
النفس وهو هنا مجاز نحو واسأل القرية بل حقيقة اذ لا بدع فى
ميل الجمادات له حقيقة بان يخلق الله فيها ادراكا حقيقيا ومنه
وان من شىء الا يسبح بحمده لو انزلنا هذا القرآن على جبل الآية
وتسبيح الحصا وتامين اسكفة الباب وحنين الجذع ونحو ذلك

مما مر اذ الاصح فی مثل ذلک مما لا یحیله العقل ولا الشرع حمله
علی حقیقته کما فی حدیث ما بین منبری وقبری روضة من ریاض
الجنة ومنبری علی حوضی ولذا قال الجماعة ولختاره بعض المحققین
انه صلی الله علیه وسلم ارسل حتی الی الجمادات لتصریح خبر مسلم
بذلک فی قوله صلی الله علیه وسلم وارسلت الی الخلق کافة الیه من
مکة التی هی مولده وام القری وافضلها عند اکثر العلماء
الانحاء ای الجهات والنواحی لانها کانت معمورة بانفاسه صلی
الله علیه وسلم فاستوحشت لفقده وبین انحا والانحاء جناس الاشتقاق ق
ان قلنا ان الانحا جمع ناحیة بمعنی منحوة ای مقصودة ورد
العجز علی الصدر وکذا بین تغنت والغنا وناداه والنداء
الابیات وتغنت بمدحه ای اظهرت اوصافه الجمیلة فی صورة
الغناء الذی تولع به النفس ولا یصیر فیها متسع لغیره
الجن المؤمنون ومرت قصة ایمانهم وارساله صلی الله علیه وسلم
الی جمیع الجن امر معلوم من الدین بالضرورة فیکفر منکره کما
اجمع علیه الامة حتی اطرب الانس المؤمنین وغیرهم منه ای الجن
ذات الغناء الذی سمعوه والطرب خفة تعتری الانسان
عند شدة حزن او سرور وذکر اهل السیر عن اسما بنت ابی بکر
رضی الله عنهما انها قالت لما خفی علینا امر رسول الله صلی الله
علیه وسلم اتانا نفر من قریش فیهم ابو جهل فقال این ابوک
قلت والله ما ادری فلطم خدی لطمة تخرج منها قرطی و
لما لم ندر این توجه رسول الله صلی الله علیه وسلم اتی رجل
من الجن یسمعون صوته ولا یرونه وانشد هذه الابیات

جزی الله رب العرش خیر جزائه … رفیقین حلا خیمتی ام معبد
هما نزلا بالبر وارتحلا به … فافلح من امسی رفیق محمد
فیا لقصی ما زوی الله عنکم … به من فعال لا تجاری وسودد
لیهن بنی کعب مکان فتاتهم … ومقعدها للمؤمنین بمرصد
سلوا اختکم عن شاتها وانائها … فانکم ان تسألوا الشاة تشهد
دعاها بشاة حائل فتحلبت … له بصریح ضرة الشاة مزبد

والضرة لحمة الضرع والصریح بمهملتین اوله وآخره الخالص ای
بلبن خالص مزبد نازل من ضرة الشاة

فغادرها رهنا لدیها لحالب … یردّدها فی مصدر ثم مورد

ای خلف الشاة عندها مرتهنة بان تردّ قالت اسماء فلما سمعنا
قول الجنی هذا علمنا این توجه النبی صلی الله علیه وسلم ولما
وصل صلی الله علیه وسلم فی سفر هجرته الی قدید محل قریب من رابغ
اقتفی ای اتبع اثره سراقة بن مالک بن جعشم المدلجی قال جاءنا
رسل کفار قریش یجعلون فیهما ان قتلا او اسرا دیتین فرکبت
مستخفیا فلما دنوت منهما عثرت بی فرسی فخررت ثم قمت
ورکبته حتی اذا سمعت قراءة رسول الله صلی الله علیه وسلم
وهو لا یلتفت وابو بکر ملتفت فبکی ابو بکر وقال یا رسول
الله اتینا فقال کلا ودعا رسول الله صلی الله علیه وسلم بدعوات
فاستهوته فی الارض صافن ای طلبت ان تهوی به فیها هذا
مقتضی الصیغة ولیس مرادا بل السین لمجرد التأکید لان الذی
فی القصة انه صلی الله علیه وسلم لما دعا بتلک الدعوات غاصت
قوائم فرسه فی الارض حتی بلغت الرکبتین فخر عنها ثم زجرها
فنهضت ولم تکد تخرج یدیها فلما استوت قائمة اذا لاثر یدیها
غبار ساطع فی السماء کالدخان والصافن من الخیل الذی یقوم م
علی ثلاث قوائم ویقیم الرابعة علی طرف الحافر جرداء ای رقیقة
الشعر قصیرته وهذه صفة مدح للخیل واصله للشجرة
التی تلف ورقها فاستعیر للفرس ثم ناداه ای سراقة النبی صلی
الله علیه وسلم بعدما وصل الیه وقال الامان یا محمد بعدما
مصدریة سمت الفرس الخسف بفتح اوله وضمه قال الشارح
فی موضع الحولیته ذلا وقال فی آخر ای بعد اسامة الخسف
للفرس ای بعد حصول الذل للفرس المذکورة وکان الحامل له
علی هذا ان ظاهر النظم انه لم یخسف بالفرس حقیقة ولیس کذلک

لما علمت ان قوائمها غاصت فى الارض فحصل لها الخسف الحقيقى
لكن لبعضها فعبر الناظم بسميت الخسف بالنظر الى كلها اى سميت
ان يخسف بها كلها وحينئذ لا يحتاج لما قاله الشارح فتأمله
ثم رأيت بعضهم صرح بنحو ما ذكرته فقال يقال سمته خسفا
اوليته ذلا او كلفته مشقة ويحتمل ان يريد بعد ما قاربت
ان يخسف بها ومن الحكم المناسبة هنا لانها كالسبب لما قبلها فهو
تذييل انه قد ينجد الغريق النداء اى الدعاء لله بانكسار وتذلل
كما وقع ليونس صلى الله عليه وعلى نبينا وعلى سائر الانبياء والمرسلين
وسلم قال تعالى وذا النون اذ ذهب مغاضبا فظن ان لن نقدر
عليه اى نضيق عليه بسبب مغاضبته وفراقه لقومه لاباتهم عليه
فنادى فى الظلمات ان لا اله الا انت الاية والنداء رفع الصوت
لطلب تخليصه لانه قد لا يعلم او لا يعبا به احد فاذا نادى صلح
تنبه الناس له وانقذوه ولما طلب الامان قال انكما دعوتما على
فادعوا الى ولكما ان ارد الناس عنكما ولا اضركما قال فوفيا لى
فركبت فرسى حتى جئتهما قال ووقع فى نفسى حين لقيت ما لقيت
ان سيظهر امر رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبرتهما باخبار ما يريد
بهما الناس وعرضت عليهما الزاد والمتاع فلم يرزانى اى لم يأخذا
منى شيئا وقالا اخف عنا فسألته كتابا امن به فامر عامر بن
فهيرة فكتب لى فى رقعة من ادم ثم اخرجها له يوم حنين ففعل وامنه
ومن يلوذ به تنبيه ذكر الناظم الهجرة وبعض ما وقع من المعجزات
مع انه سيذكر وقائع وقعت له بمكة قبل الهجرة كالاسراء وكان
مقتضى الواقع ان يذكر هذه كلها قبل ذكر الهجرة ليوافق
الترتيب فى الذكر الترتيب فى الواقع ولعله اهتم بشان
الهجرة فقدمها لتنبه النفس الى حكمة ذلك وهى انه انقطع
بها عنه صلى الله عليه وسلم كل ايذاء كان يصل اليه من قريش وترتب
عليها الظفر بهم حتى استاصل شافتهم وقطع دابرهم
تطوى له الارض فى حال كونه سايرا عليها و هذا كما طويت له

قبل ذلك السموات العلى لما كان فوقها له اسراء ليلة الاسراء
الى ان جاوزها جميعها فى اسرع وقت فقطع مسيرة نحو ثمانية
آلاف سنة فى اسرع وقت اذ بين الارض والسماء خمسمائة سنة
وكذا سمك كل سماء وما بين كل سمائين هذا بالنسبة الى السماء
السابعة واما ما بينها وبين ما وصل اليه مما كان فيه قاب قوسين
او ادنى فلا يعلمه الا الله تعالى فيالهما من سيرين مسير فى
الارض ومسير فى السماء اظهر الله عليه فيهما عظيم قدرته فى سيره
واسرائه وافضليته وتقدمه على جميع خلقه فى ارضه وسمائه
قال بعض الائمة والمعاريج ليلة الاسراء عشرة سبع فى
السموات والثامن الى سدرة المنتهى والتاسع الى المستوى
الذى سمع فيه صريف الاقلام فى تصاريف الاقدار والعاشر
الى العرش والرفرف والرؤية وسماع الخطاب بالمكافحة
والكشف الحقيقى وقد وقع له صلى الله عليه وسلم فى سنى الهجرة
العشر ما كان منها مناسبات لطيفة لهذه المعاريج العشرة
ولهذا ختمت بوفاته التى فيها لقاء ربه والعروج بروحه الكريمة
الى الوسيلة وهى المنزلة التى لا ارفع منها كما ختمت معاريج
الاسراء باللقاء والحضور بحضرة القدس فصف ايها الناظر
فى شمائله صلى الله عليه وسلم وخصوصياته وما اكرمه الله به تلك
الليلة وهى ليلة الاثنين او الجمعة او السبت من رمضان
او شوال او رجب وبه جزم النووى فى الروضة او ذى الحجة
او ثالث عشرى ربيع الآخر وجرى عليه النووى فى فتاويه
او من ربيع الاول وجرى عليه فى شرح مسلم بعد البعث بخمس
سنين ورجحه النووى او بعشر او باحدى عشرة او ثنتى
عشرة اقوال رجح كلا قوم التى وقع ذلك الاسراء فيها من مكة
الى بيت المقدس ثم منه الى السماء ثم الى حيث شاء الله وما
رأى من آيات ربه الكبرى اى اذكر صفاتها الجليلة بما يمكنك
والا فمحال ان تستوعبها او ان تأتى بتفصيل ما يحيط بها كيف

وقصة الاسراء والمعراج من اشهر المعجزات واظهر البراهين
والبينات واقوى الحجج واصدق الانباء واعظم الآيات ومن ثم
قال بعض المفسرين انها افضل من ليلة القدر لكن بالنسبة
له صلى الله عليه وسلم لانه اوتي فيها ما لا يحيط به الحد ولذا كان
الاسراء بالجسم في اليقظة من خصايص نبينا صلى الله عليه وسلم
وخالف في كونه بالجسم وكونه في اليقظة من لا يعتد بخلافه و
زعم تعدد الاسراء لتباين الروايات فيه تباينا منتشرا ولا يمكن
الجمع بينها الا بدعوى التعدد بالجسم تارة والروح اخرى مردود
والاصح انه اسراء واحد بالجسم والروح في اليقظة وان ما خالف
الجادة من الروايات ان امكن تأويله تعين والا حكم عليه بانه وهم
كرواية ان الاسراء كان قبل البعثة فان الاجماع على انه بعدها
على انها اولت وكان للمختار صلى الله عليه وسلم فيها عجايب منها انه
جاءه جبريل وفي رواية وميكائيل وفي اخرى ذكر ثالث ولا مانع ان
جبريل نزل اولا ثم ميكائيل ثم الثالث بالحطيم او شعب ابي طالب
او بيته او بيت ام هاني بعد ان انفرج سقفه روايات جمع بينها
بانه بات في بيت ام هاني وبيتها عند شعب ابي طالب واضيف
اليه لانه كان يسكنه فاخرجه الملك منه الى المسجد فاضطجع لاثر
نعاس كان به ثم اخذه فاخرجه من المسجد فاركبه البراق فاستمرت
يقظته فرواية انه كان بين النايم واليقظان محمولة على ابتداء
الامر ورواية فلما استيقظت اي من شغل البال بمشاهدة الملكوت
وحكمة كونه لم يأته من باب البيت انه انصب من السماء انصبابة
واحدة بازاء محله الذي هو فيه فلم يعرج على غيره مبالغة في المفاجأة
وتنبيها على ان الطلب وقع على غير ميعاد لاظهار انه مراد ووقع
في موسى بميعاد تنبيها على انه مريد وشتان ما بينهما وايضا ففي
فرج سقف البيت والتيامه عقبه تنبيه على شق صدره الشريف
تلك الليلة وانه لا بأس عليه فيه ومرت قصة شقه هنا عند ذكر
الناظم لشقه عقب رضاعه عند حليمة ومنها ان الملك لما اخرجه

من المسجد اركبه **على البراق** فكان له عليه **استواء** اي استقرار وتمكن
مع انه لم يركبه قبل ذلك ولا هو من جنس ما يركبه الآدميون وهو كما
صح به الخبر دابة اي بينهما اذ هو ليس بذكر ولا انثى دون البغل
وفوق الحمار ابيض يضع خطوه عند اقصى طرفه وذكره باعتبار كونه
مركوبا وسمي بذلك من البرق لسرعة سيره او من البريق او من قولهم
شاة برقاء اذا كان في خلال بياضها سواد وقوله يضع خطوه الى
آخره معناه انه يضع رجله عند منتهى ما يرى بصره وقال ابن
المنير اي يقطع ما انتهى اليه بصره في خطوة واحدة قال فعلى
هذا يكون قطع من الارض الى السماء في خطوة واحدة لان بصره
الذي في الارض يقع على السماء فبلغ اعلى السموات في سبع
خطوات انتهى وهذا انما يأتي على رواية فحملت عليه اي على البراق
حتى انطلق بي جبريل الى السماء الدنيا اذ ظاهرها انه استمر
عليه حتى وصل الى السماء والمشهور انه استمر عليه الى بيت المقدس
ثم نصب له المعراج كما يأتي وفي رواية لابي يعلى والبزار اذا اتى
على جبل ارتفعت رجلاه واذا هبط ارتفعت يداه وفي رواية
شاذة له جناحان واخرى ضعيفة له خد كخد الانسان وعرف
كعرف الفرس وقوايم كالابل واظلاف وذنب كالبقر وكان صدره
ياقوتة حمراء وفي رواية صحيحة اتي به مسرجا ملجما فاستصعب
عليه فقال له جبريل ما حملك على هذا ما ركبك قط اكرم على الله
منه فارفض عرقا وظاهرها كصريح رواية النسائي وابن مردويه
وكانت تسخر للانبياء قبله اذ الانبياء كانوا يركبونها ولم يطلع
عليها بعضهم فنفى ركوب غيره صلى الله عليه وسلم لها فاستصعابه
ليس لعدم الفة الركوب لبعد عهده به او ليظهر جبريل له
مرتبته صلى الله عليه وسلم وانها علت على ساير المراتب وانما لم يكن
البراق على شكل الفرس اشارة الى ان ركوبه في سلم وامن لا حرب
وخوف والى ظهور المعجزة بوقوع هذا الاسراع الباهر منه دابة
على هذا الشكل وصح ان جبريل حمله على البراق رديفه قال ورواه

احمد بلفظ على ظهره هو وجبريل حتى انتهيا الى بيت المقدس
واوّل بعضهم ذلك بما لا حاجة اليه اذ ركوب جبريل معه لاينافى
كونه فى خدمته وصح انهما مرّا بيثرب فامره ان ينزل ويصلى
وبمدين فامره بذلك وببيت لحم الذى ولد فيه عيسى فامره
بذلك واراه عجايب اخرى الى ان وصلا الى بيت المقدس فنزلا
وربطه اى جبريل بحائط فى رواية لكن فى اخرى النبى صلى الله عليه
وسلم ويجمع باحتمال انهما ربطاه معا بالحلقة التى كانت الانبياء
تربطه بها ثم دخل وبعث له جماعة من الانبياء فصلى بهم
وصح فى رواية اتى بارواح الانبياء اى مع اجسادهم لرواية
ثم دخلت فعرفت النبيين ما بين قائم وراكع وساجد ثم اذن (المسجد)
مؤذن فاقيمت الصلوة فقمنا صفوفا ننتظر من يؤمنا
فاخذ بيدى جبريل فقدمنى فصليت بهم وفى رواية لاحمد
فاذا النبيون اجمعون يصلون معه وفيها زيادة على رواية جماعة
منهم فيؤخذ بتلك الزيادة وفى حديث ما يدل على انه صلى بهم فى
بيت المقدس بعد العروج ايضا وتلك الصلوة قيل الصبح اى
بناء على انه صلى فيه بعد العروج وقيل العشاء اى بناء على انه صلى
فيه قبله ولما فرغ من امامتهم نصب له المعراج كما فى رواية ابن هشام
والبيهقى وغيرهما ووضعت له مرقاة من فضة ومرقاة من ذهب
وعن يمينه ملائكة ويساره ملائكة ثم صعد فيه هو وجبريل حتى
انتهيا الى باب السماء الدنيا فاستفتحاه ففتح لهما وهكذا الى السماء السابعة (الدنيا)
ورأى فى السماء الاولى آدم وعن يمينه ارواح المؤمنين فاذا انظر
اليهم ضحك وعن يساره ارواح بنيه الكفار فاذا انظر اليهم بكى
اى انه يكشف له عنهم وهم فى النار التى هى مستقر ارواحهم والنيل
والفرات اى انتهاؤهما والا فابتداؤهما من سدرة المنتهى وفى
الثانية يحيى وعيسى وفى الثالثة يوسف وفى حديث البيهقى
وغيره فاذا انا برجل اى يوسف احسن ما خلق الله قد فضل الناس
بالحسن كالقمر ليلة البدر على سائر الكواكب والمراد غير نبينا صلى

الله عليه وسلم لخبر الترمذى ما بعث الله نبيا الا حسن الوجه حسن
الصوت وكان نبيكم احسنهم وجها واحسنهم صوتا على ان الاصو (ليتني)
تولا مشهورا اعتمده النووى وغيره فى موضع واعتمده آخرون
ايضا ان المتكلم لا يدخل فى عموم كلامه وجزم ثم قال بعض المحققين
المراد اعطى شطر الحسن الذى اوتيه نبينا صلى الله عليه وسلم وفى
الرابعة ادريس وفى الخامسة هرون وفى السادسة موسى و
فى السابعة ابرهيم وهذه مقدمة على رواية لم تضبط منازلهم
وعلى رواية ادريس فى الثانية وهرون فى الرابعة وابرهيم فى
السادسة وموسى فى السابعة لان سياقها يدل على انه لم يضبط
منازلهم كما صرح به الزهرى فالاولى التى فيها انه ضبطها اولى
على انه يجمع بين الروايات المختلفة فى ذلك بانه رآهم فى الصعود
على كيفيات وفى الهبوط على كيفيات اخر فلما جاوز موسى بكى
فقيل ما يبكيك قال رب هذا غلام بعثته بعدى يدخل من
امته الجنة اكثر مما يدخل من امتى وبكاؤه ليس بحسد حاشاه الله
من ذلك بل غبطة وحزنا على ما فاته من مضاعفة اجره نبينا بكثرة
اتباعه وصالحيهم الى ما لا نهاية له اورحمة لامته لما وقع منهم بعده
مما لم يقع نظيره لهذه الامة وذكره بغلام لانه اصغر منه سنا
ولان قوة الشباب معه الحسن الشيخوخة وحكمة تخصيص هؤلاء
بالتلقى الاشارة بكل الى ما سيقع له كالاخراج من الجنة ثم العود اليها
والهجرة من مكة ثم العود اليها وكمعاداة اليهود له اوائل الهجرة كما
عادوا عيسى وارادوا قتله ويحيى وقتلوه وكمعاداة اهله له و
كرجوع قومه اليه بعد محنته كما رجع قوم هرون اليه بعد محنته وكمعالجته لقو (مه)
كما عالج موسى قومه وكتمكنه من مكة والكعبة وتمتعه بهما كما وقع
لابرهيم وعن ثم رآه مسندا ظهره الى البيت المعمور الذى بحيال
الكعبة ويدخله من حين خلق الله الخلق الى الابد كل يوم سبعون
الف ملك فلا يعودون اليه ولاخذ منه ان الملائكة اكثر المخلوقات
واختلفوا فى رؤيته لهؤلاء الانبياء صلى الله على نبينا وعليهم على

سائر المرسلين صلى الله عليه وسلم فقيل لا برواحهم الا عيسى فانه رفع بجسده وكذا ادريس على قول واختلف قائلوا هذا في الذين صلوا معه في بيت المقدس فقيل الارواح ايضا وقيل بل الاجساد وقيل خرق الله الحجب لمصحى راى كلا في قبره من المحل الذي اخبر به وقيل رفعوا من قبورهم تلك الليلة لتلك المواضع اكراما له صلى الله عليه وسلم وبعد ان جاوز السماء السابعة رفعت له سدرة المنتهى فرآها وقد غشيها من امر الله تعالى ما غشي حتى تغيرت فما احد من خلق الله يستطيع ان ينعتها من حسنها ورأى النيل والفرات وسيحان وجيحان تخرج من اصلها وفي رواية انها من انهار الجنة لا تعارض ذلك لان ذلك الذي ينبع منه تلك الانهار في الجنة فلا ينافي ما قيل اصلها في السماء السادسة وعليه تحمل رواية انه رآها فيها واعلاها في السابعة وعليه يحمل ما مر انها فيها وسميت بذلك لانه ينتهي اليها علم الخلائق ولم يجاوزها احد الا نبينا صلى الله عليه وسلم قال النووي رحمه الله ويتعين حمله على انه لا يجاوزها من الملائكة الذين ينزلون الى الارض ويصعدون بالاعمال لما يأتي من انه صلى الله عليه وسلم جاوزها الى مستوى يسمع فيه صريف اقلام الملائكة ثم ادخل الجنة واحاط بها ثم عرج به صلى الله عليه وسلم كما في رواية البخاري حتى ظهر بمستوى اي محل عال يسمع فيه صريف الاقلام اي تصويت اقلام الملائكة بما يكتبونه من اقضية الله تعالى وفي رواية لم تثبت كما نبه ثم روايات الحجب ثم زج بي في النور فخرقت سبعين الف حجاب كل حجاب مسيرة خمسمائة عام ثم دلي لي رفرف اخضر ثم احتملني حتى وصلت الى العرش وهذه الحجب بفرض صحتها انما هي بالنسبة للمخلوقين واما هو تعالى فلا يحجبه شيء وصح عن انس عنه صلى الله عليه وسلم قال عرج بي جبريل الى سدرة المنتهى ودنى الجبار اي بقربه المعنوي كما اشار اليه قوله رب العزة جل جلاله فتدلى فكان قاب قوسين او ادنى كما قال الناظم رحمه الله **وترقى** اي صعد البراق

به **الى قاب قوسين** وقاب القوس ما بين مقبضه واخر وتره فلكل قوس قابان وعن ثم قيل فيه قلب اي قابي قوس ويرد بانه لا يتعين ذلك بل المراد تشبيه قربه صلى الله عليه وسلم المعنوي من ربه بقرب قاب القوس اذا الصق بقاب قوس آخر ثم رأيت بعضهم قال قاب قوسين اي مقدار قوسين وقاب قوس اي قدر طولها وقيل قدر العتر منها قال الجوهري تقول بينهما قاب قوس اي قدر قوس تنبيه ما افهمه كلام الناظم ان البراق ترقى به صلى الله عليه وسلم الى قاب قوسين هو ما دلت عليه رواية البخاري ولفظها فحملت عليه فانطلق بي جبريل حتى اتى السماء الدنيا فاستفتح ثم قال ثم صعد بي حتى اتى السماء الثانية وهكذا لكن صحت الاحاديث بانه استمر على البراق الى بيت المقدس ثم نصب له المعراج فارتقى فيه كما مر وظاهرها انه لم يركب البراق الا من مكة الى بيت المقدس لا غير ولهذا التنافي ذهب بعضهم الى ان الاسراء على البراق وقع مرتين مرة الى بيت المقدس ومرة من مكة الى السماء لكن رد هذا بان الاصح انه لم يتعدد وانه لا تنافي وانما الذي ذكره انه عليه من مكة الى السماء اختصر بيت المقدس وفيه نظر لان رواية البخاري السابقة صريحة في انه لا معراج وانه استمر راكبا البراق الى السماء الدنيا ثم التي بعدها وهكذا وجرى عليه الناظم كما علمت فالاولى الجواب جمعا بين الروايتين بان من ذكر بيت المقدس والمعراج معه زيادة علم فقدم وعليه فيكون لما وصل في المعراج الى السماء الدنيا ركب البراق واخترق به السموات وما فوقها وبهذا اعني رواية البخاري الظاهرة في ما في النظم والجمع بينها وبين الرواية الاخرى المشهورة التي عليها العمل يظهر عذر الناظم في ذكره انه ركبه الى منتهى وصوله لكن في جزمه به نظر ظاهر والحاصل انه بعد وصوله الى السماء الدنيا يحتمل انه استمر راكبا البراق على ظاهر الرواية الاولى وانه جيء له به ثانيا على الرواية الثانية ويحتمل

انه ذهب من غير ركوب شيء تعظيما للسموات اذ هن افضل من
الارضين عند الاكثرين وعلى مقابله المنصور لان الانبياء خلقوا
من الارض وهي مدفنهم ومستقرهم وهم افضل من الملائكة فتعظيما
لمن فيهن ممن اجتمع به من الانبياء والملائكة لا يقال السماء لم يعص
الله فيها بخلاف الارض لانا نقول هذه مزية وقد يكون في المفضول ل
مزايا على ان ذلك منتقض بما وقع لآدم وحواء وابليس وادعاء
انهم لم يكونوا في السماء يحتاج لدليل وعلى التنزل فكون المعصية
تقع في محل دون محل يقتضي افضلية الثاني لذاته غير مسلم فعلى
مدعيه اثباته بدليل يدل له وانما قلنا فالاولى الجواب الى آخره
ولم نقل بالتعدد لان مجرد اختلاف الروايات في هذا الامر الجزئي
لا يقتضيه على ان ما وقع في تلك الليلة من فرض الصلوة وغيره
ذكر في كل من رواية الى السماء ورواية الى بيت المقدس وهذا
صريح في اتحاد الاسراء وعدم تعدده فتامل ذلك كله فانه مهم
واعلم ان هذا التدلي والدنو المذكور في حديث انس وغيره
من احاديث المعراج غير الدنو والتدلي في اول سورة النجم فان
هذا في حق جبريل كما صح عنه صلى الله عليه وسلم وصح ايضا انه
لم يره في صورته التي خلق عليها الا في هذه المرة المذكورة في الآية
ومرة اخرى عند اوائل البعثة كما مر وتلك المرتبة التي وصل اليها
صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج هي السيادة القعساء اي الثابتة
الدائمة التي لا يطرقها تغير ولا زوال ولما وصل صلى الله عليه وسلم
الى ذلك القرب الذي لم يصل اليه مخلوق فرض الله عليه وعلى امته
في كل يوم وليلة خمسين صلوة فرجع فمر على موسى فسأله عما فرض
عليه وعلى امته فاخبره فامره ان يرجع الى ربه ويسأله التخفيف
لامته فانهم لا يطيقون ذلك فرجع وسأل فحط عنه خمسا ثم
رجع فامره بالرجوع ايضا فرجع فحط عنه خمسا وهكذا الى ان
بقيت خمسا فامره بالرجوع وقال له ان بني اسرائيل فرض عليهم
صلاتان فما قاموا بهما فقال استحييت من ربي وفي رواية

علمت

علمت انها عزمة من ربي فلا ارجعه فقال تعالى هن خمس اي في
الفرضية وهن خمسون اي في الثواب لا يبدل القول لدي
وحكمة فرضها في هذه الليلة انه صلى الله عليه وسلم لما شاهد
تعبد الملائكة فيها وان منهم مديم القيام ومديم الركوع ومد يم
السجود اعطاه الله ذلك كله لامته في ركعة يصليها الواحد
منهم بشروطها وادابها واختص موسى صلى الله عليه وسلم بامره
بتلك المراجعة لانه اطلع من صفات هذه الامة على ما حمله على
قوله اللهم اجعلهم امتي فقال الله تعالى تلك امة احمد فقال
اللهم اجعلني منهم وهو حديث مشهور وكان اعتناؤه بهم كما
يعتني بالقوم من هو منهم ومن ثم قال صلى الله عليه وسلم فمررت
بموسى ونعم الصاحب كان لكم وفي رواية كان اشدهم علي
حين مررت به وخيرهم لي حين رجعت فائدة اختلف
العلماء قديما وحديثا في ان نبينا صلى الله عليه وسلم راى ربه في
هذا المقام الذي وصل اليه دون غيره من الخلق بعيني راسه
او بعين قلبه فقط والذي صح عن ابن عباس في رواية انه
راه ببصره وفي اخرى انه راه بقلبه ولا تخالف لانه صح عنه
كما رواه الطبراني باسناد رجاله رجال الصحيح الا واحدا
فوثقه ابن حبان انه راه مرتين واحدة بالعين وواحدة بالقلب
بمعنى انه تعالى خلق فيه ادراكا كادراك البصر وليس المراد مجرد
العلم لانه حاصل له بل ولغيره فلا خصوصية ورواية ابن مردو ية
عنه لم يره بعينه لم تصح وبتسليمها فالاثبات مقدم على النفي
وجاء عن انس باسناد قوي راى محمد ربه واطلاق الرؤية
انما ينصرف لرؤية العين وكان الحسن البصري رحمه الله
يحلف انه راى ربه وبذلك قال عروة وسائر اصحاب ابن عباس
وجزم به كعب الاحبار والزهري ومعمر وآخرون وهو قول
الاشعري وغالب اتباعه وانكرت عائشة رضي الله عنها وابن
مسعود الرؤية قال النووي وكذا خالفها غيرها من الصحابة

والصحابي اذ الخلف لا يكون قوله حجة اتفاقا ولا حجة لها
فيما في مسلم عنها ان مسروقا قال لها لما انكرت الرؤية الم يقل الله
ولقد رآه نزلة اخرى فقالت انا اول الامة سأل رسول الله صلى
الله عليه وسلم عن هذا فقلت يا رسول الله هل رأيت ربك قال لا
انما رأيت جبريل وذلك لانها انما سألت عما في الآية فاجابها بانه
لم يره اي في قصة الآية وقد علم انها غير قصة المعراج وان
التدلي والدنو الذي في قصة المعراج غيرهما في الآية ولا حجة
لها في لا تدركه الابصار لان المراد لا تحيط بحقيقة ذاته
تعالى بدليل الى ربها ناظرة واذا جازت في الآخرة جازت في
الدنيا لتساويهما بالنسبة للمرئي وسؤال موسى اياها في الدنيا
اظهر دليل على ذلك اذ لا يجوز على نبي ان يسأل محالا وانكار المعتزلة
قبحهم الله لها حتى في الآخرة من بدعهم التي خالفوا فيها الكتاب
والسنة وعلى جوازها في الدنيا لم تقع الا لنبينا صلى الله عليه وسلم
وصح في مسلم واعلموا انكم لن تروا ربكم حتى تموتوا ومعنى خبر مسلم
عن ابي ذر انه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقال
نور اني اراه ان النور حال بينه وبين رؤيته ببصره فكيف يراه
مع ذلك وقد علم انه رآه مرة ببصره ومرة بقلبه فسبب هذه
حصول ذلك النور فلا ينافي وقوع الاولى وسئل احمد رضي الله عنه
عن قول عائشة رضي الله عنها من زعم ان محمدا رأى ربه فقد اعظم
على الله الفرية بم يدفع قولها قال بقول النبي صلى الله عليه وسلم
رأيت ربي قول النبي صلى الله عليه وسلم اكبر واذا تأملت ما وقع
له صلى الله عليه وسلم ليلة الاسراء من الكرامات التي تميز بها على سائر
الخلق علمت انها رتب جليلة تسقط الاماني جمع امنية حسرى
جمع حسير من حسر اعيا دونها ظرف لتسقط اي الجلالة هذه
الرتب وعزتها على الخلق سقطت امنياتهم وتخلفت طلباتهم
وآمالهم عن نيل الرتب فلم يستطيعوا التوجه اليها لكونها عاجزة
عن التأهل لها ولم لا وهي ما وراءهن وراء اي ما قدامهن قدام

يعني

يعني انه ليس بعدهن مرتبة ينالها مخلوق غيره صلى الله عليه وسلم ثم
لما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من سفر الاسراء مر بعير قريش تحمل
طعاما فيها جمل عليه غرارتان سوداء وبيضاء فلما حاذى العير نفرت
منه واستدارت وتصرع ذلك البعير فسلم عليهم فقال بعضهم
هذا صوت محمد ورأى بعيرا ضل وجمعه واحد منهم ثم ولى
مكة قبل الصبح فاصبح يحدث الناس بما رأى من تلك العجائب
والكرامات امتثالا لقوله تعالى واما بنعمة ربك فحدث شكرا
اي من جهة الشكر او لاجل قيامه بشكر ربه او حال كونه شاكرا
لانعمه اذ اي لاجل او وقت اتته من ربه النعماء في تلك الليلة
وحينئذ ارتد ناس كانوا اسلموا فذهب المشركون لابي بكر وذكروا
له انه يخبر انه ذهب الى بيت المقدس وجاء في ليلة فقال لصدق
فانكروا عليه فقال اني لاصدقه فيما هو ابعد من ذلك في خبر السماء
في غدوة وروحة فلذلك سمي الصديق رضي الله عنه وكرم وجهه
رواه الحاكم في مستدركه وابن اسحق وزاد ان ابا بكر جاءه
فقال يقولون انك الليلة اتيت بيت المقدس قال نعم قال صفه لي
فاني جئته فوصفه له كما هو لانه رفع اليه فجعل ينظر اليه ويصفه
وابو بكر يصدقه وقوله يصفه انما هو ليتدبر على من تشكك
في ذلك ورفعه له حتى ينظره رواه البخاري وكذا مسلم وزاد
انهم سألوه عن اشياء فيه لم يثبتها فكرب كربا ما كرب مثله
قط ورفعه له اما بحمله بشاله ووضعه قريبا منه وعليه
تحمل رواية فجيء بالمسجد اي بمثاله واما بحمل المسجد نفسه
اليه وهذا اظهر لما مر في واشتاقت اليه من مكة الانحاء و
نظيره مجيء عرش بلقيس الى سليمان صلى الله على نبينا وعليه
وسلم في طرفة عين واما بازالة الحجب بينه وبينه وبهذا ظهرت
الحكمة في الاسراء الى بيت المقدس ثم العروج منه الى السماء لما
تقرر ان فيهم من رأى بيت المقدس فوصفه لهم كما هو مع علمهم
بانه لم يذهب اليه قط اوضح آية على صدقه في جميع ما اخبر

من امر السماء ومما اخبرهم به انه قال لهم ان من آية ما اقول لكم
انه مرت بعيركم في مكان كذا و يأتونكم يوم كذا يقدمهم
جمل آدم عليه مسح اسود وغرارتان فلما كان ذلك اليوم اشرف
الناس ينظرون حتى كان قريب من نصف النهار اقبلت العير
كما وصف وفي رواية اخبرهم بقدوم العير يوم الاربعاء ففي
يومه كادت الشمس ان تغرب ولم يقدموا فدعا الله تعالى فحبس
الشمس حتى قدموا كما وصف وعطف على وافى قوله وتحدى
صلى الله عليه وسلم كفار مكة وغيرهم بما وقع ليلة الاسراء وما
تقدم من المعجزات كانشقاق القمر اي طلب منهم ان يعارضوا
ما جاء به شاهدا على نبوته بابداء نظيره والا كانوا كاذبين
مدحوضين فارتاب اي شك وخرس كل مريب فانقطع
عن المعارضة ولم يسعه الا التسليم فمنهم من اسلم ومنهم من مات
كافرا وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم ظلما وعلوا ويلزم
من انقطاعهم عن معارضته ايضاح امره وانه لم يبق فيه شك
ولا ريب ومن ثم قال منكرا على من يبقى عنده من ذلك شك
ايتضح ذلك الامر ويبقى معه ريب لا بل اتضح وما بقي منه شك
اصلا وكيف يبقى مع السيول حال من قوله الغثاء وهو بضم
المعجمة وبالمثلثة ما يحمله السيل مما يخف من النبات فكما ان هذا
الغثاء لا يبقى مع السيل بل يذهب به ويهلكه في اسرع وقت
فكذلك ما جاء به صلى الله عليه وسلم من الآيات البينات والبراهين
الواضحات لا يبقى معه لولا الخذلان الالهي شك بل يذهب
ويضمحل في اسرع وقت فعلم انه استعار السيول لما اتى به صلى
الله عليه وسلم لان بها الحيوة الحسية وجعلنا من الماء كل شيء حي
كما ان بما جاء به الحيوة المعنوية والغثاء لما تخيلوه لانه امر
حقير لا بقاء له كما ان الغثاء كذلك وفي فارتاب ومريب جناس س
الاشتقاق وفي الختم بالجملة الاستفهامية التذييل نحو وهل
يجازى الا الكفور تنبيه ما قدرته بعد همزة الاستفهام

هو

هو رأي الزمخشري ومن تبعه وهو التحقيق وان كان خلاف
ما عليه سيبويه والجمهور فيقدر في نحو اولم يسيروا في الارض
امكثوا ولم يسيروا وفي افلا تعقلون اتجهلون فلا تعقلون
وفي اثم اذا ما وقع اتكفرون ثم اذا ما وقع آمنتم به فالهمزة
في الكل في محلها الاصلي والعطف على جملة مقدرة بينها
وبين العاطف محافظة على اقرار حرف العطف على حاله
من غير تقديم ولا تأخير ورد ابو حيان لذلك بانه تقدير ما
لا دليل عليه وابن هشام بان فيه تكلفا وانه غير مطرد
فيه نظر بل لا حاجة وهي ان المعنى معه اقوم واوضح مع
رعاية قاعدة الهمزة وحرف العطف ودعوى عدم اطراده
ممنوعة لان السياق حيث وجد فيه ذلك يكون قاضيا بذلك
المحذوف واعلم ان الهمزة اصل ادوات الاستفهام ومن ثم
اختصت بجواز حذفها نحو هذا ربي في المواضع الثلاثة اي
اهذا ربي وفي وتلك نعمة تمنها علي اي اوتلك وبانها ترد
لطلب التصور تارة والتصديق اخرى وهل تختص بالثاني
والبقية بالاول وبانها تتقدم على العاطف كما هنا تنبيها
على اصالتها والبقية تتأخر عنه وبانها تدخل على الشرط
نحو افان مات او قتل وعلى الاثبات والنفي وهو يدعو
حال من فاعل تحدى اي يتحدى الناس والحال انه مع انكارهم
وارتيابهم لا يفتر عما امر به من التبليغ والدعاء الى الاله
اي المعبود بالحق الذي لا يعبد غيره وهو الله تعالى وفي الى
والاله الجناس الناقص ولم ينظر الناظم الى كون الاله اسم
جنس في الاصل لكل معبود لان الائمة اعرضوا عن هذا الا صل
واستعملوه في المعبود بحق فقط فصار علما بالغلبة ولم يزل
صلى الله عليه وسلم يجدد دعاؤه الى الله وان شق عليه
كفر به اي الاله او النبي وازدراء اي احتقار وانتقاص له
فهو مقيم لذلك الدعاء متحمل لمشقة انكارهم وقبيح كفرهم

وازدرائهم له ولما جاء به اخرج اهل السير انه صلى الله عليه وسلم
كان يطوف على الناس في منازلهم يقول لهم يا ايها الناس ان
الله يأمركم ان تعبدوه ولا تشركوا به شيئا وابو لهب عمه
وراءه يقول يا ايها الناس ان هذا يأمركم ان تتركوا دين
آبائكم ورماه الوليد بن المغيرة لعنه الله بالسحر وتبعه
قومه على ذلك وآذته قريش ورموه بالشعر والكهانة و
الجنون ومنهم من كان يحثو التراب على رأسه ويجعل الدم
على بابه ووطئ عقبة بن ابي معيط على رقبته الشريفة
وهو ساجد عند الكعبة حتى كادت عيناه تبرزان وخنقوه
خنقا شديدا وجذبوا رأسه ولحيته حتى سقط اكثر
شعره فقام ابو بكر دونه قائلا اتقتلون رجلا ان يقول
ربي الله وصح ان عقبة بن ابي معيط لف بعنق رسول
الله صلى الله عليه وسلم ثوبا وهو بفناء الكعبة فخنقه خنقا
شديدا فجاء ابو بكر ودفعه عنه وروى احمد في مسنده
اول من اظهر الاسلام سبعة رسول الله صلى الله عليه وسلم
وابو بكر وعمار وامه سمية وصهيب وبلال والمقداد
فاما رسول الله صلى الله عليه وسلم فمنعه الله تعالى اى عن القتل
بعمه ابي طالب واما ابو بكر فمنعه الله بقومه واما سائرهم
فاخذهم المشركون فالبسوهم ادراع الحديد وصهروهم في
الشمس وان بلالا هانت عليه نفسه في الله عز وجل وهان
على قومه فاخذوه واعطوه الولدان فجعلوا يطوفون به في
شعاب مكة وهو يقول احد احد اى يمزج مرارة العذاب
بحلاوة الايمان ومر اللعين ابو جهل بسمية ام عمار بن ياسر
وهي تعذب فطعنها بحربة في فرجها فقتلها واخرج البيهقي
عن عروة ان ابا بكر رضي الله عنه اعتق ممن كان يعذب في
الله سبعة منهم الزنيرة اى بكسر الزاى وتشديد النون المكسورة
فعميت فقالوا اما اعماها الا اللات فقالت كلا والله ما هو

كذلك

كذلك فرد الله عليها بصرها **و**هو مع ذلك ايضا **يد الورى**
اى الخلق وكان الناظم اخذ هذا من الحديث الصحيح وارسلت
الى الخلق كافة فاما الانس والجن فبالاجماع المعلوم من الدين
بالضرورة فيكفر منكره كما مر واما الملائكة فعلى الاصح عند
جمع محققين كما يصرح به هذا الحديث وقوله تعالى ليكون
للعالمين نذيرا يشهد بذلك اذ العالم ما سوى الله واستعماله
هنا في العقلاء انما هو لتغليبهم لفضلهم وقول الرازي
اجمعنا على ان المراد الانس والجن مردود واما بقية الجما دات
فعلى ما ذهب اليه بعض محققي المتأخرين ومعنى رسالته
للملائكة وهم معصومون انهم كلفوا بتعظيمه والايمان به
واشادة ذكره وللجمادات انه يركب فيها ادراكات لتؤمن به
وتخضع له وان من شيء الا يسبح بحمده اى حقيقة لا بلسان
الحال فقط خلافا لمن زعمه **على الله** اى على العلم بذاته واسما ئه
وصفاته وافعاله وبما يجب له من اثبات كل صفة كمال وسلب
كل صفة نقص بل وكل ما لم يصل الى اعلى غايات الكمال
وما يجوز له من ايجاد الخلق واعدامهم وبما يمتنع عليه من المحالات
التي لا تتعلق بها القدرة كما هو مقرر في محله **بالتوحيد** اى
تطلبه منهم توحيده تعالى بان يقروا بانه تعالى واحد في ذاته
فلا تعدد له بوجه وصفاته فلا نظير له بوجه وافعاله فلا
معين ولا شريك له فيها بوجه وظاهر المتن ان الباء في
بالتوحيد باء الآلة كتبت بالقلم ويوجه بان العلم بالتوحيد
كما ذكر ينشأ عنه العلم بما يليق بذات الله تعالى واسمائه وصفاته
وافعاله كما تقرر **وهو** اى العلم بكل ذلك والدلالة عليه
المحجة اى الطريقة الى رضاء الله تعالى التي امر بها ويثيب عليها
البيضاء اى النيرة المضيئة الواضحة التي لا يضل سالكها
ولا ينقطع ولا يخشى فيها من آفة وهذا مقتبس من قوله صلى الله
عليه وسلم تركتكم على الواضحة البيضاء ليلها كنهارها ونهارها

كليلها لا يزيغ عنها الا هالك ولما صبر صلى الله عليه وسلم على
تبليغهم مع ما حصل له منهم مما اشار اليه الناظم بقوله وان
شق عليه الى اخره اطاع الله له اكثرهم حتى صاروا من اكابر انبا عه
كما قال فبما هي زائدة رحمة واصلة اليه من الله وهي في الاصل
ميل وعطف نفسانى غايته التفضل والانعام او ارادتهما
والمراد هنا هذه الغاية لاستحالة العطف والميل على الله
تعالى وكذا كل صفة وردت في القرآن او السنة لله تعالى
واستحال عليه معناها يراد بها غايتها اى فبسبب رحمة الله
لهم وعطفه عليهم ببركة لين رسوله وصبره عليهم كما يشير
لذلك قوله تعالى فبما رحمة من الله لنت لهم الذى اقتبس الناظم
منه هذا ايقظ قلوبهم وازال ما فيها من كبر وغى فحينئذ
لانت صخرة هى الحجر العظيم من بيانية وجعل الشارح ذلك صفة
لصخرة مع كون من بيانية بعيد اباتهم اى امتناعهم صماء
اى صلبة لا يؤثر فيها معول على خلاف العادة وبه يظهر حسن
التقابل بين لانت وصماء وهو من الطباق ويسمى المطابقة
والتضاد ايضا وهو ان يجمع بين معنيين متقابلين في الجملة
بتضاد او نفى واثبات او عدم وملكة او نحو ذلك اى من اجل
امتناعهم عن طاعته فيما يأمرهم به فاطاعوه واتبعوه فعلم انه استعار
الصخرة التى في غاية الصلابة لاباتهم منه اولا اذ كانوا
على غاية النفرة عنه والبغض والايذاء له والليونتها من وال
صلابتها لاتباعهم له وانقيادهم لجميع اوامره ونواهيه اخرا
وبين ان ذلك كله انما هو بواسطة رحمة من الله وهدايته
لهم لا بحوله صلى الله عليه وسلم ولا بقوته انك لا تهدى من احببت
ولكن الله يهدى من يشاء وبعد ان لان لاولئك ببركة لينه لهم لم
يزل لينهم يتزايد حتى استجابت له اى اجابت دعوته وامتثلت
اشارته بنصر وفتح اى مع او بسبب ما اعطاه الله من النصر
على الاعداء بكثرة الاتباع والقاء الرعب في القلوب والفتح

لبلادهم

لبلادهم باخماد شوكتهم واستيصال شأفتهم بعد ذاك
اى الضعف الذى كان به صلى الله عليه وسلم وباتباعه لقلتهم
وتحريم قتال الاعداء وتصميمهم على مناواته ومعاداته لقوة
شوكتهم وكثرة عددهم وعددتهم الخضراء اى السماء سميت بذلك
لانها ترى كذلك فقد قال ابو القاسم بن الجبرة ليست السماء
مرتجة لكنها مقبوة يراها الناظر خضراء وبين الثورى سبب
ذلك فقال بلغنا ان صخرة تحت الارض اى خضراء كما في حديث
البزار وغيره منها خضرة السماء اى وليست في الحقيقة كذلك
للحديث انهم قالوا يا رسول الله ما هذه السماء قال هذه
موج مكفوف عنكم وعن ثم سئل ابن عباس رضى الله عنهما
السماء من اى شىء فقال انها من موج مكفوف ويوافقه قول
على كرم الله وجهه في حلفه والذى خلق السماء من ماء ودخا ن
وقال كعب السماء اشد بياضا من اللبن وقال الربيع بن انس
السماء الدنيا موج مكفوف والثانية زمردة بيضاء و
الثالثة حديد والرابعة نحاس والخامسة فضة والسادسة
ذهب والسابعة ياقوتة حمراء وجاء عن سلمان الفارسى رحمه
الله لكن بسند واه السماء الدنيا من زمردة خضراء والثانية
من فضة والثالثة من ياقوتة حمراء والرابعة من درة بيضاء
والخامسة من ذهب احمر والسادسة من ياقوتة خضراء والسابعة
من نور والغبراء اى الارض سميت بذلك لان جميع طبقاتها
من طين كما جاء عن ابن عمر رضى الله عنهما قال لما اراد الله ان يخلق
الاشياء اذ كان عرشه على الماء واذ لا ارض ولا سماء خلق الريح
فسلطها على الماء حتى اضطربت امواجه واثار ركامه فاخرج
من الماء دخانا وطينا وزبدا فامر الدخان فعلا وسما فخلق منه
السموات وخلق من الطين الارضين وخلق من الزبد الجبال و
بين الخضراء والغبراء ما مر في لانت وصماء لكن هذا يسمى التدبيج
لذكر الالوان فيه ومعنى استجابة السماء والارض له صلى الله عليه وسلم

استجابة أهلهما ويحتمل انه استعار السماء للرفيع من الناس والارض
للوضيع اى اجابه الرفيع والوضيع حتى لم يتخلف من اهل مكة و
غيرهم احد عنه اذ لم يبق الا مسلم او مسالم وعلى الاول فتقييد
الناظم استجابة اهل الارض بالنصر والفتح بتلك البعدية
ظاهر واما تقييد استجابة اهل السماء فهو بمعنى انه لم يزل
لنصرته الملائكة الابدية وما بعدها وذلك انما هو بعد قوته
والقاء رعبه فى القلوب والاذن له فى الجهاد والفتح عليه
ومن جملة استجابة اهل الارض له بعد ذلك انه اطاعت لامره
وهو القول الدال على الطلب بلفظ افعل ونحوه ولنهيه
وحذفه لفهمه مما ذكر العرب بضم فسكون او بفتحتين كما
هنا وهم ولد اسمعيل صلى الله عليه وسلم العرباء ويقال العاربة
وهم الخلص من العرب ويقال لغير الخلص العرب المستعربة
وفى القاموس والعُرب بالضم والتحريك خلاف العجم اى بالضم
والتحريك ايضا كما ذكره فى مادة ته وهم سكان الامصار
او عام والاعراب منهم سكان البادية لا واحد له ويجمع على
اعاريب وعرب عاربة وعَرِبة وعَرِبات وعرباء صرحاء و
متعربة ومستعربة دُخلاء ثم قال ويعرب بن قحطان ابو اليمن
قيل اول من تكلم بالعربية وفى النهاية الاعراب من العرب ساكنوا
البادية الذين لا يقيمون فى الامصار ولا يدخلونها الا فى
حاجة والعرب اسم لهذا الجيل من الناس اقام بالبادية او المدن
وفى الصحاح ليس الاعراب جمع عرب اى لان الجمع لا يكون اخص
من واحده وانما العرب اسم جنس وذكر ابن قتيبة ان الاعرابى
هو البدوى والعربى المنسوب الى العرب وان لم يكن بدويا
والاعجمى الذى لا يفصح وان كان بدويا والعجمى المنسوب
الى العجم انتهى وبين المبرد فى كتاب نسب عدنان وقحطان ان
جيع العرب ترجع اليهما وعدنان هو الجد الاعلى للنبى صلى
الله عليه وسلم وسائر العرب العرباء وبينه وبين اسمعيل ثمانية

رفع

بهما

بى

آباء وقحطان قال الكلبى هو الجيشع بن بنت اسمعيل والجاهلية
الجهلاء هو كالعرباء فى تجنيس الاشتقاق وشبه التاكيد اللفظى
كليل لائل وخص هذين لان تصميمهما على الكفر بلغ من القوة و
الشدة ما لم يبلغه تصميم غيرهما وتوالت اى تتابعت للمصطفى
صلى الله عليه وسلم متعلق بقوله الاية مفرد محلى بال فيكون فى معنى
الآيات وايضا فالتوالى انما يكون فى متعدد اى العلامات
الدالة على نبوته والمدحضة لما يقولوه وافتروه عليه وعلقه
الشارح بتوالت وهو وان كان هو الظاهر صناعة الا ان
المعنى فيه ان ما توالى له انما هو آياته الخاصة به لا آياته من
نقمه الكبرى عليهم كالقرآن وانشقاق القمر وتوالت عليهم
ايضا الغارة اى على بلادهم واموالهم ونفوسهم وذراريهم
وهى اسم مصدر لاغار الشعواء اى الفاشية المتفرقة المحيطة
بهم من سائر الجوانب التى لم تظفرهم بنفس ومال الا اهلكته وبعد
ان استجاب له اهل السماء والارض ودخل الناس فى دين الله
افواجا وكثرت اتباعه جدا حتى صار اذ اما زائدة تلا اى قرأ
كتابا انزل عليه من الله وهو القرآن تلته اى تبعته لاجل القراءة
معه او استماع قراءته الكتاب من دحمين عليه كتيبة بالفوقية
اى جيش خضراء اى يعلوها سواد السلاح والحديد ومن عكسه
سواد العراق لكثرة شجره وهو من بعيد يرى اسود وهى كتيبة
رسول الله صلى الله عليه وسلم التى دخل صلى الله عليه وسلم مكة وهو
فيها على ناقته القصوى بين ابى بكر واسيد بن حضير ولما
رآها ابو سفيان رأى ما لا قبل له به فقال للعباس لقد اصبح
ملك ابن اخيك ملكا عظيما فقال له العباس ويحك انه ليس بملك
ولكنها نبوة وروى البخارى عن عبد الله بن مغفل سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة على ناقته وهو يقرأ
سورة الفتح ويرجع وقال لولا ان يجتمع الناس حولى لرجعت
كما رجع وبين تلا وتلته وكتيبة تجنيس الاشتقاق اى شبهه وكفاه

افادة مع

لاستماع مع

لون مع

فجاءه

صلى الله عليه وسلم رتب فضلا منه وكرما النفر الاشقيا الذين
زادوا فى ايذائه والعتو عليه صلى الله عليه وسلم المستهزئين به كما
قال تعالى انا كفيناك المستهزئين وهم جماعة من قومه كانوا يسخرون ه
منه ويبالغون فى ايذائه والسخرية به اى تولى اهلاكهم من
كفيت فلانا المؤنة اذا توليتها له فلم تحتج اليها ومع توليه تعالى
اهلاك المستهزئين به سلاه واعلمه ان هذا ليس خاصا به بل
الانبياء قبله كذلك بقوله عز من قائل فاصبر كما صبر اولوا العزم
من الرسل ومن ثم اقتبس المصنف من هذا كقوله تعالى ولقد استهزئ
برسل من قبلك الاية قوله وكم مرات كثيرة ساء اى احزن نبيا
بينهما الجناس المصحف من قومه متعلق بقوله استهزاء اى سخرية
وايذاء ففيه اقتباس وتلميح وهو الاشارة الى قصة او شعر
او مثل سائر وذكرنا التلميح هنا مع كثرته فى كلامه لانه هنا
اظهر باعتبار ظهور قصة المستهزئين وشدة الاعتناء بها وفيه
ايضا التذييل والمثل السائر فى الجملة الاستفهامية فرماهم
اى اصابهم بدعوة منه عليهم وصلت اليهم فاهلكتهم كما يصل
السهم القاتل الى من رمى به فيهلكه من اى بدعوة كائنة فى فناء
البيت اى حوالى الكعبة وقيل انه شكاهم لجبريل فقال امرت
ان اكفيكهم ثم اشار الى كل بما اصابه وذلك لا ينافى دعاءه
عليهم لان دعاءه كان سببا لاشارة جبريل عليه السلام اليهم
بالهلاك ويجوز تعلق من برمى وانها لابتداء الغاية بعيد
لكن فيه دقة تنبيه وبلاغة ولعل الناظم قصد ذلك لاستقامة
الوزن مع كل فايثارها مع كونها خلاف المتبادر انما هو عن
قصد ثم وصف الدعوة ايضا بقوله فيها اى فى تلك الدعوة
للظالمين متعلق بما بعده والاصل لهم وعدل عنه ليبين ان
سبب هلاكهم ظلمهم وبغيهم عليه صلى الله عليه وسلم والظلم وضع
الشيء فى غير محله فناء اى استيصال لهم حتى لم يبق منهم احد و
بين فناء وفناء جناس محرف لاختلاف حركة الفاء خمسة بدل من

المستهزئين او الظالمين ويصح رفعه اى هم وخصهم مع ان من المستهزئين ئين
ابا لهب وزوجته وعقبة بن ابى معيط والحكم بن العاص لانهم
اشدهم ولذا عجلت عقوبتهم كلهم اصيبوا بداء عظيم والردى
اى الهلاك من جملة جنوده المعينة عليهم لادواء جمع داء وهو
المرض وهذا ساقه مساق الحكم لمناسبته لما قبله فانه كالتعليل
له اى انما اصيبوا بذلك الداء لانهم سعوا فى تحصيل اسباب الردى
لهم حتى وقعوا فيه ولم يجدوا منه مخلصا وبين داء وادواء
جناس ناقص كما مر ثم فصل ذلك الداء الذى اهلكهم الله به فقال
فدهى من الداهية وهى الامر العظيم المهلك الاسود بن مطلب
ابن اسد ابن عبد العزى فهو اسدى اى عمى عظيم لانه كما طمس اى عمى به
بصره طمس بصيرته حتى لم يبق له تمييز بين الحسن والقبيح
وليس العمى الا عمى البصيرة ميت به اى بسبب ذلك العمى
الاحياء فى حكم الاموات الذين لا ينظر اليهم ولا يعول عليهم
ويحتمل ان المراد عماه كان سببا لموته على خلاف العادة مبالغة
فى هلاك ذلك اللعين وانه قتل بما لا يقتل عادة لانه حقت
عليه الكلمة فمات فورا من غير سبب ظاهر لذلك وبما تقرر علم
ان ميت مبتدأ وما بعده سد مسد الخبر اى عن شان هذا
العمى انه لو وقع للاحياء صاروا فى حكم الموتى لا بصر لهم ولا
بصيرة فالجملة مؤكدة لما افاده تنوين عمى اى عمى بصر وبصيرة
ولم ينظر الناظم الى عدم اعتماد هذا المبتدأ جريا على مذهب
الكوفيين فانه قوى ومن ثم تبعهم الاخفش مع تقدمه وتحقيقه
وقال ابن مالك الاعتماد حسن لا واجب وكانه يريد ان يجمع
بين رأى البصريين والكوفيين لكنه خلاف ما صرحوا به فيكون
رأيا ثالثا لا يقال ميت خبر مقدم لانا نقول لو كان خبرا لقال
ميتون لوجوب المطابقة ولا حجة فى قولهم خبير بنو لهب انه خبير
خبر مقدم لان فعيل لا تلزم فيه المطابقة وبين ميت والاحياء
الطباق ودهى ايضا الاسود بن عبد يغوث بن وهب بن مناف

ابن زهرة فهو زهري ويغوث في الاصل صنم ان سقاه كاس
الردى الموت استقاء حصل له في جوفه واستمر به حتى اهلكه
وهو داء خبيث على انواع المراد منها هنا الزقي وهو امتلاء الامعاء
بالماء الفاسد المبطل للحرارة الغريزية المفضي الى الهلاك عن قرب
وبين سقى واستقاء جناس الاشتقاق وتشبيه الردى بالمشروب
حتى اثبت له ما هو من لوازم المشبه به من الكاس والسقي استعارة
بالكناية يتبعها الاستعارة التخييلية واصاب الوليد بن المغيرة
ابن عبد الله بن عمرو بن مخزوم فهو مخزومي خدشة سهم اي جراحة
باسفل رجله من شخص في يده نبل وقيل اصابت ذيله فتماسكت وبات
منها قبل وقعة بدر فكان سم ذلك الجرح اسرع اهلاكه واشنع
من سم الافاعي فلذلك قصرت عنها اي عن تلك الخدشة الحية
الرقطاء اي التي يخالط سوادها نقط بيض وهي اعظم الحيات
اذى ووجه قصورها عنها في الافضاء الى القتل ان الحية
قد يقع البرء من لسعتها بخلاف تلك الخدشة فانها كانت قاتلة له
حتما لانها اثر تلك الدعوة عليه المقبولة ثم رأيت بعضهم قال وانما
كان ما اصاب الوليد اعظم لان الحية انما تهلك بواسطة السم وهذا
بلا واسطة انتهى وما ذكرته اوضح واحسن كما لا يخفى وقضت
شوكة دخلت في اخمص رجل العاصي على مهجة العاصي بن وائل
ابن هشام بن سعد بن سهم فهو سهمي اي قتلته قتلا عجيبا ومن ثم
عقبه بما يفيد التعجب فقال فلله هذه النقعة من قولهم الناس
نقايع الموت اي يجزرهم كما يجزر الجزار النقيعة الشوكاء من قولهم
بردة شوكاء اي خشنة المس اي ما اعجب هذه القتلة الشديدة
التي حصلت له من تلك الشوكة القليلة التاثير عادة فلله درها
من شوكة نحرته في اسرع وقت وقضت على الحارث مولى الطلاطلة
بالموت الفظيع القيوح جمع قيح وهو المدة البيضاء التي لا يخالطها
دم والحال انه قد سال بها راسه وساء اي قبح ذلك الراس الذي
هو الوعاء لتلك القيوح القاتلة لصاحبه وبين سال وساء الجناس

الناقص

الناقص وفي الختم بساء الوعاء التذييل هؤلاء الملاعين
خمسة طهرت بقطعهم اي هلاكهم الارض اي مكة ونواحيها
او مطلقا لان ضررهم يسري الى جميع البلاد فكف الاذى
الذي كان يصل للناس لا سيما نبينا صلى الله عليه وسلم منهم
بهم اي بسبب فقدهم او مع فقدهم شلاء اي فاقدة الحركة
نعلم ان تشبيه الاذى بالانسان من باب تشبيه المعقول
بالمحسوس لافادة ان الاذى لو تجسم لكان انسانا يقدر
على ايصال ما يريده باي وجه كان ثم اثبت له ما هو من
لوازم المشبه به وهو الكف الذي يتناول بها سائر المضار
التي يريدها ووصفها بالشلل لبيان ان الاذى بفقدهم صار
معطلا لا حركة فيه ولا تاثير ففيه استعارة مكنية يتبعها استعا رة
تخييلية وذكر الشلل الملايم للمشبه به ترشيح فديت بالبناء للمفعول
يقال فدى لك بفتح اوله فيقصر وبكسره فيقصر ويمد وهو دعاء
متضمن للتعظيم فهو من حيز الانشاء اي لو امكن احدا ان يكون
فداء احد من الموت لسالت ان يكون هؤلاء فداءهم او المراد اللهم
اجعلهم فداءهم من الموذيات وقوله ان كان للكرام فداء الدال
على انه لا فداء لهم يدل على المعنى الاول خمسة الصحيفة الا ق
بيانهم بالخمسة الملاعين السابق ذكرهم اي جعلت هؤلاء جميعهم
فداء لكل واحد منهم او لكل منهم من كل مكروه فالمقابلة هنا ليست من
باب ركب القوم دوابهم ان جزاؤها محذوف لدلالة ما قبله
عليه كان للكرام فداء واولئك الخمسة الذين سعوا في نقض
الصحيفة من جملة الكرام الذين يتعين فداؤهم عند الحاجات
والشدائد ان نفع الفداء لانهم بذلوا نفوسهم في امر عظيم جدا
كما يعلم من ذكر قصتها وهي ان قريشا لما رأت عزة النبي صلى الله عليه
وسلم بامره في سنة خمس من النبوة بضعة عشر من اصحابه منهم عثمان
وزوجته رقية بنت النبي صلى الله عليه وسلم بالهجرة الى الحبشة واستقرا دهم
فيها وباسلام حمزة ثم عمر بعده بثلاثة ايام وبفشو الاسلام في القبا ئل

اجمعوا على ان يقتلوا النبي صلى الله عليه وسلم فبلغ ذلك اباطالب فاتوا
اليه بعمارة بن الوليد اعز فتى فيهم ليأخذه بدل ابن اخيه فابى
وجمع بني هاشم وبني المطلب فادخلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم
شعبهم ومنعوه ممن اراد قتله واجابوا الى ذلك حتى كفارهم
حمية على عادة الجاهلية فلما رأت قريش ذلك اجتمعوا وائتمروا
ان يكتبوا كتابا يتعاقدون فيه على بني هاشم وبني المطلب ان لا
ينكحوا اليهم ولا ينكحوهم ولا يبيعوا منهم شيئا ولا يتبايعوا
منهم ولا يقبلوا منهم صلحا ابدا حتى يسلموا لهم رسول الله صلى الله
عليه وسلم للقتل وكتبوا ذلك في صحيفة بخط بعضهم فشلت يده
وعلقوا الصحيفة في جوف الكعبة تأكيدا في حفظها وبقائها
وكان ذلك في هلال المحرم سنة سبع من النبوة فانحاز بنو هاشم ثم
وبنو المطلب الى ابي طالب فدخلوا معه في شعبه الا ابا لهب
فكان مع قريش فاقاموا على ذلك سنتين او ثلاثا حتى جهدوا لعنه الله
وكان لا يصل اليهم شيء الا سرا حتى ان حكيم بن حزام حمل غلامه
حبا يريد به عمته خديجة رضي الله عنها فلقيه ابو جهل اللعين فتعلق
به واراد ان يفضحه فانتصر له ابو البختري بن هشام بن الحرث
ابن اسد وقال خل سبيله فابى فاخذ له لحي جمل فضربه به فشجه و
وطئه وطأ شديدا فلما مضت تلك المدة قام اولئك الخمسة
في نقض تلك الصحيفة وكان رأسهم هشام بن الحرث لعزته بعمه
لامه الذي هو اخو عبد المطلب وغيرهم كان واصلا لبني هاشم
فكان يأتيهم ليلا بالبعير وعليه الطعام الى فم الشعب فيخلع خطامه
ويضربه حتى يدخل ولغرة هشام بعمه هذا مشى الى زهير بن عاتكة
بنت عبد المطلب فقال ارضيت ان تأكل الطعام وتلبس الثياب
وتنكح النساء واخوالك حيث علمت وشدد عليه حتى قال لو وجدت
رجلا معي لنقضتها فقال انا معك فقال ابغنا ثالثا فذهب الى
المطعم واستنجاه حتى قال لو وجدت رجلا قال ابغنا ثالثا قال قد قال انا معي
وجدت زهير بن ابي امية قال ابغنا رابعا فذهب الى ابي البختري

واستنجاه ايضا فقال وهل من معين فذكر له اولئك فقال ابغنا
خامسا فذهب الى ابي زمعة واستنجاه فقال هل من واحد فذكر له
القوم فاجتمعوا بالحجون واجمعوا على نقضها فقال لهم زهير وانا
اول من يتكلم فلما اصبحوا غدوا الى انديتهم وغدا زهير بحلة فطاف
سبعا ثم اقبل على الناس فقال يا اهل مكة انا ناكل الطعام ونلبس
الثياب وبنو هاشم في ما ترون والله لا اقعد حتى تشق هذه
الصحيفة الظالمة القاطعة فقال له ابو جهل كذبت والله لا تشق
فقال زمعة انت والله اكذب ما رضينا كتابتها حين كتبت
فقال ابو البختري صدق زمعة ما نرضى ما كتب فيها ولا نقربه
وقال المطعم صدقتما وكذب من قال غير ذلك نبرأ الى الله منها ومما
كتب فيها فقال ابو جهل هذا امر قضي بليل اتشور فيه بغير هذا
المكان وابو طالب جالس فقام المطعم الى الصحيفة ليشقها فوجد
الارضة قد اكلتها الا باسمك اللهم ولا يعارض ذلك ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قبل ذلك قال لابي طالب يا عم ان ربي سلط
الارضة على صحيفة قريش فلم تدع فيها اسما هو لله الا اثبتته ومحت
منها الظلم والقطيعة والبهتان فقال اربك اخبرك بهذا قال نعم
فاخبرهم ابو طالب بذلك وقال انزلوها فان صدق فانتهوا عن
قطيعتنا والا دفعته اليكم فنظروها فاذا هي كما قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم فازدادوا شرا وذلك لانه لا مانع انهم لما نظروا
ذلك وازدادوا شرا قام اولئك الخمسة في اذهابها من اصلها
فسعوا وبذلوا جهدهم فيه قال الشارح ويحتمل ان اباطالب
انما اخبر بعد سعيهم في نقضها انتهى ويبعده ان الاخبار بذلك
حينئذ ليس له كبير جدوى فالاولى بل المتعين ما قدمته اذا
تقرر ذلك علم انهم **فتية** اي كرام جمع فتى وهو السخي الكريم وفيه
تصريح بما اوحي اليه من وصفهم بمكارم الاخلاق **بيتوا** اي دبروا
واشتوروا بالحجون ليلا **على فعل خير** هو نقضها والمخاطرة دون
بالنفوس لشدة قريش في بقائها مع كثرتهم وعتوهم **حمد الصبح**

اى الفجر او الصباح وهو من الفجر الى الزوال ويدل على هذا مقابلته
بالمساء الذى هو من الزوال الى الغروب امره اى شانه وغايته والمساء
واسناد الحمد لهذين الزمانين مجاز دال على شدة المبالغة فى وقوع
الحمد وطلبه على فعل ذلك الخير لان الزمان اذا احمد على ذلك فاى
العقلاء اولى واحق بذلك وبين الصبح والمساء الطباق كالشدة
والرخاء والنقض والابرام فيما ياتى وجعل الشارح غير الاخير من
من المقابلة وهما من الطباق لايتاتى على تفسيرهم الطباق بانه الجمع
بين معنيين متقابلين فى الجملة كما مر مبسوطا يا لامر بفتح اللام وهى
نقضها وناداه على طريق الاستغاثة تنزيلا له منزلة العاقل مبالغة
فى تعظيمه ولذا كان مفيدا للتعجب من وقوعه كقولهم يا لله وللدواهى
اذا تعجبوا من كثرتها اتاه بعد هشام بن الحرث بن حبيب
ابن خزيمة بن مالك بن حسل بن عامر بن لوى من بنى عامر بن لوى وقدمه
لما مر انه اول الجمسة والسبب فى اجتماعهم زمعة بن الاسود
ابن المطلب انه بالكسر استيناف فيه معنى التعليل لانه اول من
كذبا بالجهل وبرة غير هشام كما مر الفتى اى الكريم فى قومه الاتاء
صيغة مبالغة من اتى ففيه مع اتاه جناس الاشتقاق كما فى فديت
وفداء وزهير بن ابى امية بن المغيرة وامه عاتكة بنت عبد
المطلب عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم والمطعم بن عدى وابو
البخترى والى هولاء الخمسة النقض لا عن غير اتفاق ومواطاة
بل انما اتوه ايتانا كائنا من حيث ظرف مكان حقيقة او مجازا و
جوز الاخفش كونها ظرف زمان ويجوز فتحها وجرها وحاث وحوث
واعرابها لغة قليلة وتلزم الاضافة لجملة وندرت لمفرد خلافا
للكسائى وعدم اضافتها بالكلية انه فتعوض ما وتصير فيها نادر
بل انكره ابو حيان والغالب كونها فى محل نصب على الظرفية او
خفض بمن ولا تقع اسم ان ولا مفعولا به على خلاف فيهما وزعم
الفارسى انها فى الله اعلم حيث يجعل رسالاته مفعولا به اذ المعنى
انه سبحانه يعلم نفس المكان المستحق لوضع الرسالة فيه لا شيئا فى المكان

ابن اسد

وناصبها

وناصبها يعلم المدلول عليه باعلم لا هو لان افعل التفضيل لا ينصب
المفعول به الا ان اول بعالم شاؤا اى من المكان الذى قصدوه
لتدبير امرهم وتشاورهم عليه فلذلك وقع فعلهم الموقع الذى
قصدوه ونجح الانتاج الذى دبروه نقضوا بدل من فعل خبر
من نقض العهد اى ابطله مبرم اى محكم واصله كالبريم الحبل
الذى جمع من مفتولين ففتلا حبلا واحدا الصحيفة التى
توافقت قريش على ابقائها على الدوام الى ان يسلم بنو هاشم
والمطلب رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهم اذ اى وقت او
لاجل ان شدت اى صممت عليه اى على ذلك الامر المبرم وهو عدم
نقض تلك الصحيفة من العدى بيان لقوله الاندآء جمع ناد وهى
العشيرة ومنه فليدع ناديه واصله المكان الذى يجلس فيه للتحدث
والسمر سمى من فيه باسمه اى نقضوا هذا الامر المبرم الذى قوّاه
عشايرهم وصمموا عليه اذكرتنا بعد نسياننا جملة استينافية لبيان
ان لاكل الارضة للصحيفة نظيرا هو اكلها لعصا سليمان باكلها
لتلك الصحيفة والضمير للارضة الآتية التى هى الفاعل فهو عائد
على متقدم رتبة وهو شايع اكل مفعول لاذكر الثانى منساة اى
عصا سليمان بن داود صلى الله عليهما وسلم لما مات وهو متكئ
عليها فصار كذلك سنة والجن يعتقدون حياته فيدأبون
فيما سخرهم فيه من الاعمال الشاقة وما علموا حينئذ ان لهم سنة
مسخرين فى العمل وانهم كاذبون فى ادعائهم علم الغيب ولذا
قال عز من قائل فلما قضينا عليه الموت ما دلهم على موته الا
دابة الارض تاكل منساته فلما خر تبينت الجن ان لو كانوا
يعلمون الغيب ما لبثوا فى العذاب المهين الارضة بفتح الراء وقد تسكن
كما هنا وهى دويبة تاكل حتى الخشب اكلا ذريعا الخرساء فيه
تجنيس من شانها اذ ليس من شان الاخرس التذكير واثبات الخرس
لها مجاز اذ حقيقته فقد النطق عما من شانه النطق وبها اى
وباكلها للصحيفة اخبر النبى صلى الله عليه وسلم عمه ابا طالب وهو

موته الى باكل الارضة لمنساته
فخر ساقطا وعلموا انهم

اخبر قريشا كما مر مبسوطا وكم مرات كثيرة اخرج صلى الله عليه وسلم اى
اظهر خبأ اى شيئا مخبأ له الغيوب خباء اى ساترة وبين خبأ وخباء
الجناس المحرف وفي كم الى آخره التذييل تنبيهان احدهما يجب على
كل احد ان يعتقد ان الله تعالى هو المختص بعلم الغيب وان ما حصل
لرسله واوليائه منه فهو اما بوحي او الهام والاستثناء في قوله من الله
تعالى فلا يظهر على غيبه احدا الا من ارتضى من رسول الى آخره منفصل
كما هو الاصل وذكر الرسول لا للاختصاص به بل لان كرامة اولياء
اتباعه من جملة كراماته ومعجزاته وفي الحديث انى لا اعلم الا ما علمني
ربي ثانيهما في بيان ما اشار اليه الناظم من كثرة ما اخبر به صلى
الله عليه وسلم من المغيبات وحاصل شئ من ذلك ان مما يدل على كثرة
ما اخبر به صلى الله عليه وسلم من الغيوب ما في القرآن منها
مما لا يحيط به حد وخبر الطبراني ان الله قد رفع لي الدنيا فانا انظر
اليها والى ما هو كائن الى يوم القيمة كانما انظر الى كفي هذه وخبر فيهما
ابى داود قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم مقاما فما ترك شيئا
الى قيام الساعة الا حدثنا به وفي الحديث الصحيح فعلمت علم الاولين
والآخرين وصح انه صلى الله عليه وسلم اخبر بموت النجاشي يوم موته
بالحبشة وصلى عليه باصحابه وانه وابا بكر وعمر وعثمان صعدوا
احدا فتحرك فضربه برجله وقال له اثبت فانما عليك نبي وصديق
وشهيدان فاستشهدا وان ملك كسرى وقيصر ينقطع بعدهما
من العراق والشام فكان كذلك في زمن عمر وانه قال لسراقة كيف
بك اذا لبست سوارى كسرى فالبسهما عمر له لما ازال ملك كسرى في
زمنه تحقيقا لذلك واخبر عمه العباس بدفنه ما تركه بمكة من المال
عند زوجته ولم يطلع عليه احد غيرهما واخبر بكتاب حاطب الى
اهل مكة وبموضع ناقته حين ضلت وتعلقت بخطامها في الشجرة
وبان قريشا بعد الاحزاب لا يغزونه وباستشهاد امراء الجيش الذى
ارسله لمؤتة بلد بارض الشام يوم قتالهم زيد بن حارثة فجعفر
ابن ابى طالب فعبد الله بن رواحة رضى الله عنهم وبان بنته فاطمة

رضى الله عنها اول اهله لحوقا به فعاشت بعده ثمانية اشهر او ستة
وبان اشقى الاولين والآخرين قاتل على كرم الله وجهه يضربه في
يافوخه فيبتل من دمه لحيته فضربه الشقي ابن ملجم ضربة كذلك
فمات منها وبان معاوية لا رضى الله عنه يلي امر امته وبانه لم يغلب
رواهما ابن عساكر ومن ثم قال على كرم الله وجهه يوم صفين لو
ذكرت هذا الحديث ما قاتلته وبان عثمان يقتل مظلوما وروا ية
تقتل وانت تقرأ البقرة فتقع قطرة من دمك على فسيكفيكهم الله
موضوعة وبوقعة الحرة من عسكر يزيد عامله الله بعدله بالمدينة
فاستبيحت نفوس اهلها وابضاعهم واموالهم وقتل سبعمائة
يحفظون القرآن منهم ثلاثمائة صحابي وافتض فيها الف عذراء
وبوقعة الجمل وصفين وقتال عائشة والزبير لعلى رضى الله عنهم
ولذلك قال على للزبير لما برز له يومئذ انشدك الله هل سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول تقاتله وانت له ظالم فانصرف الزبير
وقال بلى ولكن نسيت وبقوله في الحسن كرم الله وجهه ان ابنى
هذا سيد وسيصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المسلمين
وكان كذلك فانه بويع بعد ابيه فمكث خليفة ستة اشهر
ثم سار لمعاوية باربعين الفا فلما تراءى الجمعان علم كثرة الفريقين
وانه لا يغلب احدهما حتى يقتل الفريق الآخر فرق على المسلمين
ورحمهم ورفض الملك في جنب ذلك ابتغاء لوجه الله كما جاء عنه
كرم الله وجهه ثم ارسل لمعاوية يشترط عليه شروطا وينزل له
عن الخلافة فارسل اليه قرطاسا ابيض وقال اشترط ما شئت
فاشترط ونزل له عن الملك فصار معاوية من يومئذ خليفة
حقيقة وبقتل الحسين كرم الله وجهه بالطف واخرج بيده تربة
وقال فيها مضجعه وصح خبر استاذن ملك القطر ربه ان يزور
النبي صلى الله عليه وسلم فاذن له وكان في يوم ام سلمة فامرها
صلى الله عليه وسلم ان تحفظ الباب فجاء الحسين فاقتحم فقبله
صلى الله عليه وسلم فقال له الملك اتحبه قال نعم قال ان امتك ستقتله

وان شئت أريتك المكان الذى يقتل به فاراه فجاء بسهلة بالكسر رمل
خشن او تراب احمر فاخذته ام سلمة فجعلته فى ثوبها قال الراوى
كنا نقول انها كربلاء وفى رواية انه قال لها اذا صار دما فاعلمى انه
قد قتل واخبر ابن عمر بانه سيعمى لما رأى جبريل معه فى صورة رجل
واخبر ام عبد الله بن عباس رضى الله عنهم بانها ستلد ه وبانه ابو
الخلفاء وبانه منهم السفاح والمهدى واخبر بان الترك ستغلب
على العرب حتى تلحقها بمنابت الشيح والقيصوم وبقوله يوشك الناس
ان يضربوا اكباد الابل فلا يجدون عالما اعلم من عالم المدينة قال ابن
عيينة وغيره هو مالك بن انس ومن ثم كان الناس يزدحمون على بابه
لاخذ العلم حتى يقتتلون وممن روى عنه من الاكابر الزهرى والسفيان ناه
والشافعى والاوزاعى امام اهل الشام والليث امام اهل مصر وابو
حنيفة وصاحباه ابو يوسف ومحمد وذو النون المصرى والفضيل
وابن المبارك وابن ادهم وبعالم قريش وانه يملأ طباق الارض علما
قال احمد وغيره نراه الشافعى رحمه الله لانه لم ينتشر فى طباق الارض
لقرشى صحابى او غيره ما انتشر للشافعى اى والذى انتشر لعلى وابن عباس
ونحوهما مسائل قليلة جدا كما يعلم ذلك من سبر كلامهم واطلع عليه وزعم
الصغانى ان الحديث موضوع تقور منه وانما فيه نوع ضعف ذكروا
له شواهد تجبره وقد جمع الحافظ العسقلانى طرقه فى كتاب مستقل
واخبر بالخوارج الذين خرجوا على على كرم الله وجهه وان فيهم
رجلا اسود احدى عضديه مثل ثدى المرأة فقاتلهم على واخرج ذلك
الرجل حتى رآه الناس بالوصف الذى وصفه صلى الله عليه وسلم واخبر
بالرافضة وانهم يرفضون الاسلام وبالقدرية والمرجئة وبان امته
ستفترق على ثلاث وسبعين فرقة وبانها كلها فى النار الا الفرقة
التى على ما كان عليه هو واصحابه وهم الطائفة الذين اخبر عنهم
بانهم لا يزالون على الحق لا يضرهم من خالفهم الى قيام الساعة اى قربها
بقليل وبامارات للساعة الكثيرة جدا فوقع كثير منها وينتظر وقوع الباقى وتنتظر وقوع الباقى ومما وقع
منها النار التى قال عنها صلى الله عليه وسلم كما رواه الشيخان لا تقوم

على نحو مرحلة من المدينة المشرفة
وتقدمتها زلزلة عظيمة مع

الساعة حتى تخرج نار من ارض الحجاز تضئ لها اعناق الابل ببصرى
فخرجت نار عظيمة بعد عشاء الاربعاء ثالث جمادى الاخرة سنة
اربع وخمسين وستمائة ولم تزل تشتد وتغلى كغليان البحر
الى ان ارتجت منها الارض ومن عليها حتى يقن اهل المدينة بالهلاك
وكثرت الزلازل حتى وقع منها فى يوم واحد ثمانى عشرة زلزلة
لكن ببركته صلى الله عليه وسلم كان يغشى المدينة نسيم بارد ورئيت
من مكة جبال بصرى وانطفت ليلة الاسراء سابع عشرى رجب
وتداوس المؤرخون فى اخبارها بما يطول استقصاؤه واذا
تاملت ما اطلعه الله تعالى عليه من الغيوب لاسيما ما يتعلق بامر
الصحيفة علمت ان ذلك من تمام عناية ربه تعالى به وانه لا يضيعه
قط ومن ثم عقب الناظم ذلك بقوله لا تخل بفتح الفوقية والمعجمة
من خلت الشئ خيلا ومخيلة ظننته جانب هو فى الاصل الشق الا
واريد به هنا كله تعبيرا بالبعض عن الكل فالاضافة بيانية
النبى مضاما اى مضيعا حين وفى نسخة حيث والاول
اظهر اذ هو ظرف لمضاما مستر صلى الله عليه وسلم منهم متعلق
بقوله الاسواء اى الاذيات الكثيرة حال كونها صادرة منهم
كضربه وخنقه واغراء سفهائهم به فرموه حتى سال الدم على
قدميه وكشج وجهه وكسر رباعيته وغير ذلك مما لو حمل لجبل
لم يتحمله بل جانبه مع ذلك لم يزل يترقى فى مراتب النصر والفتح
حتى وصل الى الحضيض الذل والهوان قال تعالى اذا جاء نصر الله
الآيات ليظهره على الدين كله والله يعصمك من الناس ثم ما
اصابه صلى الله عليه وسلم من اذياتهم له فيه اسوة بالانبياء قبله
اذا اصابهم من اذيات اممهم مثل ذلك واكثر منه لكن كل امر من
الامور العظيمة ناب اى اصاب النبيين فالشدة فيه التى
تحصل لهم منه محمودة لانها لرفع درجاتهم العلية والرخاء اى
السعة فيه محمودة ايضا لانها لتكثير اتباعهم وتفنى اعدائهم ومما
بيتن ذلك ويوضحه ان من المقرر فى العقول انه لو من النضار

كـ

نسان

الى ان بلغ غاية الغنى فى الجلالة وجانبهم لم يزل يتقهقر ويضمحل مع

اى الذهب **هون** بالضم اى هوان **من** ادخاله الى **النار** لاختبار
خلوصه من الغش والنقص **لما اختير للنضار الصلاء** اى العرض
على النار لعزته على النفوس وتمحصها به من اداه نقص يصيبه فالانبياء
كالذهب والشدائد التى تنوبهم كاصابة النار للذهب فكما ان النار
لا تزيد الذهب الا حسنا فكذلك الشدائد لا تزيد الانبياء الا رفعة
وفى لا تحل الى هنا الكلام الجامع البالغ من الحكم والبلاغة ما لا
يخفى عظيم وقعه ولما ذكر ما يناسب قوله لا تحل جانب النبى ضاما
الى آخره برهن عليه بقوله **كم يد** اى جارحة **عن نبيه كفها الله** اى منعها
ونحاها فلم تصل اليه بسوء قصدته صلى الله عليه وسلم به **و** الحال انه قد
وجد **فى الخلق** اى المخلوقين الذين هم اعداؤه المريدون لاهلاكه **كثرة**
واجتراء اى شجاعة وتهور واقدام على فعل ما لخطر فى النفس من غير نظر
فى عاقبته **اذ** ظرف لكفها اى وقت ان **دعا** اى طلب حال كونه **وحده**
العباد كلهم الى عبادة الله وترك ما هم عليه من الجهالات والاباطيل
والضلالات **وان امست** اى حصلت اذ امسى يستعمل كثيرا فى
ذلك **منه** فى كل الازمنة **فى كل مقلة** منهم وهى شحمة العين التى
تجمع السواد والبياض **اقذاء** جمع قذى وهو ما يسقط فى العين مما
يؤلمها ويكدرها وذلك لانه صلى الله عليه وسلم فى ابتداء امره
مع وحدته وقلة عضده وناصره كان يدعوهم الى الايمان بالله
وحده وينادى عليهم فى انديتهم بتسفيه احلامهم وسب آلهتهم
ورميها بكل عيب وسوء فيبالغون حتى اقربا قاربه كعمه ابى لهب
فى اذيته والتجرى عليه لكثرتهم ووحدته وهو مع ذلك محروس
بحراسة الله مكلوء بكلاءته محفوظ بحفظه متماد على ما هو فيه غير ملتفت
لاذاهم بل صابر على الصبر الجميل وامره لا يزداد الا ظهورا وعلوا
واصحابه واعوانه يكثرون ويتقوون على اعدائهم شيئا فشيئا الى ان
امكنه الله من نواصى اعدائه فاذاق من بقى منهم على كفره الهوان واحل
من خضع منهم لعزته مأمن البقاء والامان ومما ينبئك بعظيم
اذيتهم له ونصره عليهم ما ذكره اهل السير ان عمرو بن العاص

قال

قال للزبير ما اكثر ما رأيت قريشا اصابوا من رسول الله صلى الله
عليه وسلم فذكر له ان اشرافهم اجتمعوا فى الحجر فذكروا ما يفعل بهم
من تسفيههم وسب آلهتهم فطلع عليهم صلى الله عليه وسلم فاستلم الركن
وطاف فلما مر بهم انتقصوه فساءه ذلك ثم مر بهم فساؤه ثم مر بهم
فساؤه فوقف ثم قال الا تسمعون يا معشر قريش اما والذى نفسى
بيده لقد جئتكم بالذبح فاخذتهم كلمته وارتعدت منها فرايصهم
فالانوا له القول وقالوا انصرف يا ابا القاسم فوالله ما كنت
جهولا فاجتمعوا له فى الغد فى الحجر وفعلوا معه مثل ما ذكر ثم وثبوا
اليه وثبة رجل واحد يؤنبونه بسب آلهتهم فاخذ بعضهم بمجمع
ردائه فقام اليه ابو بكر وحال بينه وبينهم كما مر **تنبيه**
قرينة سياق النظم مصرحة بان القذى فى العين مستعار لما
حصل لهم فى عيون بصائرهم من اذلاله صلى الله عليه وسلم لهم بما مر آنفا
واما قول بعضهم يحتمل ان يريد بالقذى ما على اعينهم من
الغشاوة المانعة من النظر فى امره الحاجبة لهم عن اتباعه او يريد
ما على قلوبهم من الران والصدأ الحاجب عن الايمان فيكون عبر
بالمقلة عن عين البصيرة عما يعلوها من الران والصدأ انتهى
فهو غفلة عن سياق المتن او عدم تأمل له بالكلية لانه انما حكم
بانه صلى الله عليه وسلم اسكن القذى لكل مقلة منهم وحينئذ فلا
يصح تفسير القذى بشىء مما ذكره وانما يصح تفسيره بما ذكرته
فتأمله والدليل على تلك الحراسة الباهرة انه **هم قوم** يدخل فيه
النساء تبعا **بقتله** بالسيف **فابى السيف** اى امتنع من الوصول
اليه والتأثير فيه **وفاء** اى لاجل وفائه بما اخذ عليه كبقية الخلق
من الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم واجلاله وتوقيره وتعظيمه و
ذلك الامتناع وقع غير مرة فقد جاء انه صلى الله عليه وسلم كان اذا
نزل منزلا اختار له اصحابه شجرة تظله فبينما هو تحتها اذ جاءه
اعرابى فاخترط سيفه ثم قال من يمنعك منى قال الله فرعدت يده
وسقط السيف وضرب برأسه الشجرة حتى سال دماغه كما روى

وصح ان غورث بن الحرث اخترط سيفه صلى الله عليه وسلم وهو
نائم فاستيقظ فوجده في يده صلتا فقال من يمنعك مني قال الله
فسقط من يده فاخذه صلى الله عليه وسلم وقال من يمنعك مني قال
كن خير آخذ فعفا عنه فرجع الى قومه فقال جئتكم من عند خير
الناس وروى انه صلى الله عليه وسلم وقع له نظير ذلك في غزوة بدر
مع منافق تبعه للمخرج لقضاء حاجته ووقع نظير ذلك مع رجل كان
سيدا لقومه ذا شجاعة اغروه على قتله فجاء ثم رجع مسلما فانكروه (اليهم)
عليه فقال نظرت الى رجل ابيض طويل دفع في صدري فوقعت لظهري
وسقط السيف من يدي فعلمت انه ملك واسلمت وفاءت اي رجعت
على رأسها وبين وفاء وفاءت الجناس اللاحق الصفواء اي رجعت
الحجارة عن اصابته بل جمدت في يد رأميها الذي هم ايضا بقتله
وهو ابو جهل بن هشام بن المغيرة المخزومي وكان من اشد
الاعداء على رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك انه اجتمع هو و
قريش يوما فجاءهم صلى الله عليه وسلم وبالغ في انذارهم وتسفيه احلا (مهم)
وسب آلهتهم فاظهروا الشدة والاباء والتعنت فانصرف عنهم
حزينا عليهم فقال لهم ابو جهل اللعين يا معشر قريش ان محمدا قد (ابى)
الا ما ترون واني اعاهد الله لاجلس له غدا بحجر لا يطيق حمله فاذا
سجد في صلاته رضخت به رأسه فاسلموني عند ذلك او امنعوني
فليصنع بي بنو عبد مناف ما بدا لهم فقالوا والله ما نسلمك
لشيء ابدا فلما اصبح اخذ حجرا كما وصف فلما سجد محمد صلى الله عليه وسلم
كعادته وقريش ينظرون فاحتمل اللعين الحجر ثم اقبل نحوه حتى اذا
دنا منه رجع منهزما منتقعا لونه مرعوبا قد يبست يداه على حجره
حتى قذفه فقاموا اليه فقالوا ما لك يا ابا الحكم قال قمت اليه لافعل
ما قلت لكم البارحة فلما دنوت منه عرض لي دونه فحل من الابل لا والله
ما رأيت مثل هامته ولا مثل قصرته وانيابه لفحل قط فهم بي ان
يأكلني ذكر انه صلى الله عليه وسلم قال ذاك جبريل لو دنا مني لاخذه
اذ ظرف لهم المقدر قبل ابو جهل لانه معطوف على قوم اي وهم ايضا

ابو جهل بقتله بالحجر الذي حمله وقت ان رأى عنق بسكون النون
وضمها الفحل وقد برز اليه كانه العنقاء اي الداهية العظيمة او
الطائر العظيم المعروف وبين عنق وعنقاء جناس الاشتقاق او
شبهه وما ذكر ان ابا جهل معطوف على قوم وان اذ ظرف لهم هو ما
جزم به الشارح وهو بعيد لانه يلزم عليه انه وقت رؤية الفحل
هم بقتله وذلك غير واقع بل حصل له حينئذ من الهيبة والخوف و
الذلة ما اذهله والحق انه معطوف على الصفواء اي رجعت الصفواء
عن الوصول اليه ورجع ابو جهل عن الرمي بها وقت رؤية الفحل فاذ
حينئذ ظرف لفاءت مع فاعلها وما عطف عليه واقتضاه معطوف
على هم قال الشارح وكانه على نزع الخافض اي اقتضى منه وظاهر
قول القاموس واستقضى فلانا طلب اليه ان يقضيه وتقاضاه الدين
قبضه انه متعد بنفسه اي طلب النبي صلى الله عليه وسلم من ابي جهل
ان يؤدي دين كهلة بن عصام بن كهلة بن اراش بن الغوث بن
عمرو بن الغوث الاراشي بكسر الهمزة لكونه لما قدم مكة بابل له
ليبيعها اشتراها منه ابو جهل ثم مطله باثمانها فوقف الاراشي على
نادي من قريش فقال من رجل يخلصني من ابي الحكم فاني غريب وابن سبيل
وقد غلبني على حقي فقالوا لا نخلصك منه الا ذلك الرجل اي محمد صلى
الله عليه وسلم قالوا له ذلك استهزاء به فجاء اليه صلى الله عليه وسلم فقال يا عبد (ذلك مع)
الله ان ابا الحكم قد غلبني على حقي وقد سألت اولئك القوم فاشاروا
اليك فخلصني منه يرحمك الله فقام معه ليخلصه منه كيف وقد ساء
بيعه ذكر مع ان الكلام ليس الا في الشراء لانه لا نظير له فهو من
مراعاة النظير والشراء اي شراؤه مع هذا الرجل وغيره ولما
ذهب اليه امروا واحدا منهم ان يتبعه لينظر ماذا يصنع فضرب
رسول الله صلى الله عليه وسلم بابه عليه فقال من ذا قال محمد فاخرج الى
فخرج اليه وقد انتقع لونه فقال اعط هذا الرجل حقه قال نعم لا
تبرح حتى اعطيه فدخل فاخرج اليه حقه فجاء الى اولئك واخبرهم بما وقع
فجاء ابو جهل فقالوا ويلك والله ما رأينا مثل هذا الذي صنعت قط

قال ويحكم والله ما هو الا ان ضرب على بابي وسمعت صوته فمليت
رعبا ثم خرجت اليه وان فوق رأسه لفحلا من الابل ما رأيت مثل
هامته ولا قصرته ولا انيابه لفحل قط والله لو ابيت لاكلني
ومن ثم رأى ابو جهل المصطفى صلى الله عليه وسلم وقد اتاه بها اى
بفحل الابل لم ينج بفتح ثم ضم وبضم ثم كسر مع تخفيف الجيم ويجوز
هنا لاجل الوزن تشديدها من نجا ينجو وانجى ينجي فهو ناج ومنج
منه دون الوفاء لذلك الدين الذى للاراشي النجاء بوزن الفراب ب
مبالغة في ناج فالوفاء مقصور ويجوز تخفيف الجيم مصدرا
فالوفاء ممدود وفي القاموس نجا نجوا ونجاء ونجاة ونجاية تخلص
كنجى واستنجى وانجاه الله ونجاه وعلى هذا الوفا مقصور وعلى
كل هو فاعل ينج ونظيره في المصدر قول الحاجري ملأ الوجد
فؤادي وبرح التبريح اى ذلك الفحل لا ينجو منه النجاء المبالغة
اى من تكررت نجاته من الامور الصعبة الا ان وفي ذلك الدين
او لا ينجو منه النجا بالتخفيف اى النجاة الا بعد ذلك الوفاء هو
اى الفحل المرئي في هذه الواقعة ما اى الفحل الذى قد رآه من
قبل اى في الوقعة السابقة في قوله وفاة الصفواء الى آخره لكن
لا استغراب في ذلك لان هذا اللعين ما على مثله في العتو والتمرد
السالبين لادراكه والموجبين لهلاكه وهو ابلغ من عليه لان اثبات
الحكم عليه بتنبيه على حد شكل لا ينجل يعد الخطاء لان خطاه لا ينحصر
فلا يعد ومد الخطاء لغة شهيرة تنبيه قد يسأل عن الحكمة
في كون ابي جهل منع في هاتين الواقعتين من ان ينال رسول الله
صلى الله عليه وسلم بسوء مطلقا اشد المنع ولم يمنع من القى سلا الجزور
على ظهره صلى الله عليه وسلم وهو يصلي قلت كان سر ذلك ابهاله حتى تنفذ
دعوة النبي صلى الله عليه وسلم فيه وفي امثاله ممن كان اشد الناس
عليه صلى الله عليه وسلم فيظهر عزه صلى الله عليه وسلم ونصره عليهم للناس
باهلاكهم بدعوته والقائهم في القليب على اخس حالة واقبحها ولو
منع اللعين من ذلك لم تحصل هذه الكرامات فكان تمكينه من ذلك الفعل

هو عين اهلاكه واهلاك نظرائه ومختصر تلك القصة انه صلى الله
عليه وسلم كما في البخاري كان يصلي عند الكعبة وجمع من قريش في مجالسهم
اذ قال قائل منهم الا تنظرون الى هذا المرائي ايكم يقوم الى جزور آل
فلان فيعمد الى دمها وفرثها وسلاها فيجيء به ثم يمهله حتى اذا سجد
وضعه بين كتفيه فانبعث اشقاهم واتى به فلما سجد وضعه
بين كتفيه وثبت صلى الله عليه وسلم ساجدا اى لانه لم يعلم بخصوص ما
وضع ولهذا لم ينقل انه اعاد لاحتمال انه كان في نافلة بل هو الواقع لان
هذه الواقعة قبل فرض الخمس ولم يكن فرض من الصلوة يومئذ الا ما
في سورة المزمل وهو صلوة الليل فلما راوا ذلك ضحكوا حتى مال
بعضهم على بعض فانطلق منطلق الى فاطمة وهي جويرية رضي الله
عنها فاقبلت تسعى صح وثبت النبي صلى الله عليه وسلم ساجدا حتى القته عنه و
اقبلت عليهم تسبهم فلما قضى صلى الله عليه وسلم صلاته قال اللهم عليك
بقريش ثم سمى اللهم عليك بعمرو بن هشام وهو ابو جهل وقدمه لانه
اشقاهم واشدهم اذية وبغضا للنبي صلى الله عليه وسلم وعتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة والوليد بن عتبة صح
وامية بن خلف وعقبة بن ابي معيط وعمارة بن الوليد قال
عبد الله فوالله لقد رأيتهم صرعى يوم بدر ثم سحبوا الى القليب قليب
بدر ثم قال صلى الله عليه وسلم واتبع اصحاب القليب لعنة وظاهر
السياق انه صلى الله عليه وسلم قال ذلك عقب هذا الدعاء فيكون من
تمامه وفيه علم من اعلام نبوته ويحتمل على بعد انه انما قال ذلك عند
القائهم في القليب وقول عبد الله بن مسعود رايتهم صرعى بالقليب
مراده اكثرهم فان عمارة انما مات بالحبشة لكن على اشر قتلة فانه
تعرض لزوجة النجاشي فامر ساحرا فنفخ في احليله من سحره عقوبة
له فتوحش وصار مع البهائم الى ان مات في خلافة عمر رضي الله عنه
وايضا عقبة بن ابي معيط انما قتل صبرا بالصفراء بعد بدر وامية
ابن خلف وان قتل ببدر لم يطرح في القليب واعدت عطف على
هم اى هيأت ام جميل بنت حرب بن امية حمالة الحطب لقبت به
لانها كانت تحمل الشوك وتطرحه في طريق رسول الله صلى الله عليه وسلم

اوصاءاً لن وجها لعنهما الله الفهر اى الحجر الذى يملأ الكف لما انزل
الله فيهما وفى زوجها تبت يدا ابى لهب السورة والحال انها جاءت اليه
وهو فى المسجد وابو بكر عنده بذلك الحجر لترميه به وهى فى غاية
السرعة والعجلة كانها الحمامة الورقاء اى شديدة الاسراع اى حال
كونها شبيهة بها فى ذلك فهى حال متداخلة يوم ظرف لا عدت
جاءت اليه فى حال كونها غضبى من شدة ما سمعت من ذمها فى تلك السورة
وفى نسخة غيظا فهو تمييز والغضب نار كامنة فى طى الفؤاد توقدها
طروق السبب المحرك لها فان لم تقدر على انفاذ شئ فى المغضوب عليه
سمى غيظا كذا قيل وفى القاموس الغيظ الغضب او اشده او سورته
اوله وحال كونها تقول انى مثلى وانا بنت سيد بنى مخزوم متعلق بنال
من احمد حال من الهجاء يقال الهجاء اى السب والذم ونسبة القول اليه
اما حقيقة وهو الظاهر لانهم لا يعتقدون الهاً غير آلهتهم فمن ابتدائية
نعم فيهم فرقة يعتقدون الاله وان اصنامهم تقربهم اليه فان كانت
من هؤلاء فمن تعليلية اى يقول ذلك لاجله وتولت عطف على عدت
والحال انها ما رأته وكيف تراه وهو فى ظهوره للقلوب السليمة
والعقول المستقيمة كالشمس وهى اعنى تلك المرأة فى غاية من عمى
البصيرة وفساد السريرة وهل ترى الشمس مقلة عمياء
ولما رآها ابو بكر قال يا رسول الله انها امرأة بذية فلو قمت قال
انها لن ترانى فجاءت فلم تره فقالت يا ابا بكر اين صاحبك كيف
يهجونى فوالله لو وجدته لضربت بهذه الفهر فاه والله انى
لشاعرة وذكرت هجوا قبيحا فقلت لا وهو لا يقول الشعر فقالت
انت عندى بصدق وانصرفت فقلت يا رسول الله لم تركـ فقال
لم يزل ملك يسترنى منها بجناحه وفى رواية قد اخذ الله ببصرها عنى
فكان صلى الله عليه وسلم يقول اما تعجبون لما يصرف الله عنى من اذى
قريش يسبون ويهجون مذمما وانا محمد تتمة قرأ رسول الله صلى
الله عليه وسلم سورة النجم حتى بلغ افرأيتم اللات والعزى ومناة
الثالثة الاخرى فحينئذ القى الشيطان فى امنيته تلك الغرانيق

العلى

العلى وان شفاعتهن لترتجى وفى رواية القى الشيطان على لسانه
تلك الغرانيق فعند سجوده آخر السورة سجد المشركون معه لتوهمهم
انه مدح آلهتهم وفى رواية قالوا ما ذكر آلهتنا بخير قبل اليوم فسجد
وسجدوا فنزلت هذه الآية وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبى الا
اذا تمنى القى الشيطان فى امنيته الآية ففشا ذلك فى الناس واظهره
الشيطان حتى بلغ المسلمين بالحبشة فاقبلوا اسراعا ثم لما تبين للمشركين
خلاف ذلك رجعوا الى اشد ما كانوا عليه والغرانيق جمع غرنوق
او غرنيق وهو طير الماء شبهت الاصنام لاعتقادهم انها تقربهم
من الله تعالى بطيور الماء لكونها تعلو فى السماء وترتفع تنبيه
كثر كلام العلماء فى هذه القصة فمن منكر لوقوعها ومبالغ فى
بطلانها وانه لا يجوز لاحد القول بها كعياض والفخر الرازى و
سبقهما الى نحو ذلك البيهقى وايدوا بان البخارى وغيره رووا انه صلى
الله عليه وسلم قرأ سورة النجم وسجد معه المسلمون والمشركون والانس
والجن ولم يذكروا فيها قصة الغرانيق وبان من جوز على نبى تعظيم
وثن فقد كفر وبانها من وضع الزنادقة والحق خلاف ذلك كله بل
لها اصل اصيل فقد اخرجها من طرق كثيرة جدا ابن ابى حاتم والطبرى
وابن المنذر وابن مردويه والبزار وابن اسحق فى السيرة وموسى
ابن عقبة فى المغازى وابو معشر كما نبه على ذلك الحافظ ابن كثير
وغيره لكن قال ان طرقها كلها مرسلة وانه لم يرها مسندة من وجه
صحيح انتهى ورد عليه وعلى عياض وغيره الحافظ شيخ الاسلام
ابن حجر بان طرقها كثيرة جدا ثلاثة منها رجالها رجال الصحيح
وباقيها اما ضعيف واما منقطع وبعضها مفرد بوصله امية
ابن خالد وهو ثقة مشهور فزعم ابن العربى وعياض ان روايا
لا اصل لها ليس فى محله اذ لا يتمشى على القواعد فان الطرق اذا
كثرت وتباينت مخارجها دل ذلك على ان لها اصلا قال وقد ذكرنا
بان لها ثلاثة اسانيد منها على شرط الصحيح هى مراسيل يحتج بمثلها
من يحتج بالمرسل وكذا من لا يحتج به لاعتضاد بعضها ببعض وحينئذ

يتعين تأويل ما وقع فيها مما يستنكر كقوله القى الشيطان على لسانه
تلك الغرانيق الى آخره فلا يجوز حمله على ظاهره لانه صلى الله عليه وسلم
يستحيل عليه ان يزيد في القرآن عمدا او سهوا واختلفوا في تأويله
فاخرج الطبري عن قتادة انه اصابته سنة فجرى على لسانه ولم
يشعر به فلما علم اظهر بطلانه واحكم ربه آياته واعترض بانه لا ولا ية
للشيطان عليه في النوم ويجاب بان هذا لا يثبت للشيطان
ولاية عليه وانما غايته ان الشيطان لما رآه اصابته تلك السنة
حاكى قراءته بصوت يشبه صوته ثم بين الله للناس على لسان رسوله
صلى الله عليه وسلم بطلان ما وقع من الشيطان حتى لا يغتر به احد
ثم رأيت من اجاب بما يؤيد ما ذكرته وهو انه صلى الله عليه وسلم كان
يرتل قراءته فارتصد الشيطان سكتة ونطق بتلك الكلمات محاكيا
نغمة النبي صلى الله عليه وسلم بحيث يسمعه من دنا اليه منهم فظنها من
قوله واشاعها واستحسن هذا الجواب غير واحد من المحققين كعيا ض
وابن العربي وايده بما جاء عن ابن عباس من تفسير تمنى بتلا فمعنى
في امنيته اي في تلاوته وفي ذلك اخبار منه تعالى بان رسله اذا
قالوا قولا زاد الشيطان فيه من قبل نفسه محاكيا له ثم بين الله تعالى
بطلانه فعلم ان هذا نص في ان الشيطان زاد في قول نبينا صلى
الله عليه وسلم لا ان نبينا قاله وقد سبق الى هذا المعنى الامام
المجتهد ابن جرير الطبري مع جلالة قدره وسعة علمه وشدة
ساعده في العلوم فصوبه وارتضاه واما الجواب بان الشيطان
الجأه الى التلفظ بذلك من غير اختياره فمردود بان الشيطان لو قدر
على ذلك لم يبق احد من طاعته او بانه علق بحفظه ما كان يسمعه
منهم من مدح آلهتهم فجرى على لسانه سهوا فهو افسد مما قبله او بانه
قاله توبيخا للكفار فهو بعيد وان ارتضاه عياض كالباقلاني
فقال هذا جائز مع قرينة تدل على المراد لا سيما والكلام في الصلوة
اذ ذاك كان جائزا او بانه لما وصل الى قوله الثالثة الاخرى خشوا
ان يأتي بذم آلهتهم فبادروا بذلك الكلام فخلطوه بتلاوته صلى الله

عليه

عليه وسلم على عادتهم في قولهم لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه
ونسب للشيطان لانه الحامل لهم عليه وفيه نوع بعد او بان المراد
بالغرانيق الملائكة وكان منهم من يعبدهم زاعمين انهم بنات الله
تعالى فرد ذكر الكل ليرد عليهم بقوله الكم الذكر وله الانثى فلما
سمعوه حملوه على الجميع وقالوا قد عظم آلهتنا فنسخ تلك الكلمة
واحكم آياته فهو ابعد مما قبله ثم بعدما وقع له من هذه الكرامات وقع
له كرامة اخرى في غزوة خيبر سنة سبع من الهجرة هي انه سمت له زينب
بنت الحرث امرأة سلام بن مشكم اليهودية الشاة اي جعلت فيها سما
قاتلا لوقته لانها شاورت يهود في سموم فاجتمعوا لها على هذا السم
بعينه فسمت به الشاة جميعها لكنها اكثرت منه في الذراع والكتف
لما قيل لها انه صلى الله عليه وسلم يحب الذراع وكم مرات كثيرة سام من
السوم الذي هو مقدمة الشراء او الذي هو الرعي وبين سام وسمت
تجنيس شبه الاشتقاق الشقوة اي ثابر عليها وتحلى بها الاشقياء
الذين صاروا كالانعام بل هم اضل سبيلا ومنهم تلك المرأة وبينهما
تجنيس الاشتقاق وقول الشارح ان سام وسمت من هذا تساهل وفي
البخاري انه صلى الله عليه وسلم لما علم ان فيها سما قال اجمعوا الي من ههنا من
اليهود فجمعوا له فسألهم عن اشياء منها من ابوكم قالوا فلان قال كذبتم
ابوكم فلان قالوا صدقت وبررت ثم سألهم عن اهل النار قالوا نكون
فيها يسيرا ثم تخلفوننا فيها فقال اخسؤا فيها والله لا نخلفكم ابدا ثم
قال لهم هل جعلتم في هذه الشاة سما قالوا نعم قال وما حملكم عليه
قالوا ان كنت كذابا استرحنا منك وان كنت نبيا لم يضرك وروى ابو داود
انها سمت شاة مصلية ثم اهدتها اليه صلى الله عليه وسلم فاكل منها واكل
رهط من اصحابه فقال صلى الله عليه وسلم ارفعوا ايديكم فارسل الى
اليهودية فقال سممت هذه الشاة فقالت من اخبرك قال اخبر تنى
هذه الذراع ومن ثم قال فاذاع اي اظهر له صلى الله عليه وسلم الذراع
ما فيه من شر اي سم بنطق معجزة له صلى الله عليه وسلم كما يصرح بذلك
اعني انه اخبره بالنطق قوله صلى الله عليه وسلم اخبرتني هذه الذراع

لخفاوه عن الحاضرين ابدا له صلى الله عليه وسلم اى هو ان خفي
عليهم ظهر له صلى الله عليه وسلم وفيه طباق ولما قال لها ذلك صدقته
ثم قالت قلت ان كان نبيا فلن يضره وان لم يكن نبيا استرحنا منه
فعفا عنها ولم يعاقبها وتوفى اصحابه الذين اكلوا من الشاة واحتجم
صلى الله عليه وسلم على كاهله من اجل الذى اكل منها وفى رواية غير ابى
داود انها جعلت تسأل اى الشاة احب اليه فقيل لها الذراع فعمدت
الى عنز لها فذبحتها وصلتها ثم عمدت الى سم موح اى يقتل لوقته
فسمتها به واكثرت منه فى الذراع والكتف ثم وضعتها بين يديه
ومن حضر من اصحابه وفيهم بشر بن البراء فتناول صلى الله عليه وسلم
الذراع فانتهس منها وتناول بشر عظما آخر فانْدَرَدَا لُقمتيهما
واكل القوم فقال صلى الله عليه وسلم ارفعوا ايديكم فان هذه الذراع ع
تخبرنى بانها مسمومة وفيه ان بشرا مات وانه صلى الله عليه وسلم
دفعها الى اوليائه فقتلوها رواه الحافظ الدمياطى ومن رواية انه
قتلها يعارضها رواية البيهقى عن ابى هريرة رضى الله عنه وجابر انه لم
يعاقبها وعن ثم قال **وبخلق من النبى كريم** بل لا اكرم منه قال تعالى
له وانك لعلى خلق عظيم اى بسبب ما تحلى به من كمال الحلم والعفو و
الصفح **لم تقاصص بجرحها** بواطنهم بذلك السم اذ هو بجرح الباطن
كالجرح بالحديد الظاهر **العجماء** اى المرأة ويقال ايضا للبهيمة وقال
الزهرى اسلمت فتركها وفى مغازى سليمان التيمى نحوه وانها قالت
استبان لى الآن انك صادق وانى اشهدك ومن حضر انى على دينك
وان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله وجمع البيهقى بانه يحتمل ان يكون
تركها اولا فلما مات بشر قتلها به وبذلك اجاب السهيلى وزاد انه تركها
لانه كان لا ينتقم لنفسه ثم قتلها ببشر قصاصا ويحتمل انه تركها لاسلامها سهما
فلما مات بشر تحقق وجوب القصاص عليها فقتلت وقوله انه قتلها
قصاصا وانما الوارد انه قتلها وهو محتمل لكونه قتلها بنقضها العهد
بما فعلته ويدل عليه ما جاء فى رواية انه صلبها اذ لو قتلت قصاصا
لم تصلب بل لو فرض انه لم يصلبها لم يكن قتلها بالسيف دليلا للقصاص

لان المماثلة فيه معتبرة فقياسها ان يقتلها بمسموم كما ان اليهودى
الذى رض رأس الجارية بحجارة امر به صلى الله عليه وسلم فرض رأسه بمثل ذلك
الحجارة ايثارا للمماثلة المقصودة من شرعية القصاص لا يقال الصلب
لا يدل لانتفاء القصاص لان للامام ان يصلب من يريد قتله اذا رأى
ذلك زجرا وتنكيلا لانا نقول ليس للامام الصلب فى قتل القصاص
كما يصرح به كلام ائمتنا لما تقرر ان المدار فيه على المماثلة ما امكن
فلا يجوز للامام الزيادة عليها ولا النقص عنها ولم نر احدا من ائمتنا
ولا من غيرهم جوز الصلب فى غير قاطع الطريق فمن ادعاه فعليه البيان
بغير محل النزاع الذى نحن فيه • **فان قلت** هو يرد على هذا الحصر
لان هذه غير قاطعة الطريق وصلبت **قلت** الذمى اذا انقض العهد
يلحق بقاطع الطريق فى احكام لا يبعد ان هذا منها على ان ذاك ضار
كحربى واحكام الحربيين لا يقاس بها احكام المعصومين **فان قلت** ان
قولكم لان المماثلة الى آخره انما يأتى على القول بتعيينها فى القود •
اما المخير بينها وبين السيف فى القتل بمسموم فلا يأتى عليه ذلك البحث
قلت بل يأتى على المخير ايضا لان القتل بالسيف لا يعين القود
لانه يحتمله ويحتمل انه لنقض العهد والمدعى انما هو ان قتلها بالسيف
لا يدل على خصوص كونه قودا وتأخير قتلها الى موت بشر لا يدل
على القود ايضا لاحتمال انه ليتحقق عظيم جنايتها وبهذا كله
يعلم ان ما فى هذه القصة من قتلها بتقدير صحته لا يرد على قول
ائمتنا من اضاف انسانا فقدم له طعاما مسموما فاكل منه فمات
لا قود عليه لانه تناوله باختياره والضيف لم يلجئه الى اكله و
ذلك لانه لم يثبت انه قتلها بقيد كونه قودا وبهذا الذى قررته
يعلم تحقيق الناظم حيث نفى القصاص مع اطلاعه على الروايات
المتخالفة فى ذلك • **فان قلت** لا نسلم ان نفيه لذلك بل لان ثبوته
لم يصح والاصل عدمه **قلت** هذا يحصل منه مدعانا ايضا لان
ثبوته اذا لم يصح من اصله او بذلك القيد فلا دلالة فيه للخصم بوجه
وبخلق من النبى كريم **مع** فهو معطوف على لم تقاصص خلافا لما يوهمه

كلام الشارح انه استينافا اى انعم نعمة عظيمة **فضلا** مفعول مطلق
كفرحت جذلا او مفعول لاجله وهو الاولى لان المراد بالمن هنا ما ذكره
الله تعالى بقوله عز قائلا فاما منا بعد واما فداء من تخلية سبيلهم بعد
ان ملكهم المسلمون اى رفع الرق عنهم لاجل فضله اى احسانه العام عليهم
وعلى غيرهم بلا عوض وعلى هذا فمعنى هذه العلة والعلة التى قبلها
المستفادة من اذ انه منه معلل بشيئين عموم احسانه عليهم وعلى غيرهم و
خصوص كونه قولا فيهم وعليه فحرف العطف مقدر الثبوت ويصح
ان يكون الثانية علة للاولى وايهامه قصر فضله عليهم غير موثر
لانه لم يرد مطلق الفضل بل فضلا يتعلق بهم سواء علق على هوازن
بمن او بفضلا اكتفاء بقرينة السياق **على هوازن** قبيلة حليمة
السعدية رضى الله عنها وهم اهل حنين المذكور فى القرآن وهو
واد قريب من ذى المجاز السوق المشهور من اسواق الجاهلية بناحية
عرفة بين ذلك الوادى وبين مكة نحو ثلاث ليال غزاهم صلى الله عليه
وسلم عقب فتح مكة لما اتفقت اشراف هوازن وثقيف على
حربه صلى الله عليه وسلم فخرج اليهم سادس شوال سنة ثمان فى اثنى
عشر الفا عشرة جاء بهم واثنان من طلقاء مكة ولما هزمهم صلى الله
عليه وسلم قصد الطائف وامر ان يجعل سبى هوازن وغنايمهم
بالجعرانة حتى ياتى اليهم وكان السبى وهو النساء والذرارى ستة
الاف راس والابل اربعة وعشرون الفا والغنم فوق اربعين الفا
واربعة الاف اوقية فضة ولما رجع صلى الله عليه وسلم من الطائف
انتظر هوازن بضع عشر يوما ليقدموا عليه مسلمين ثم اخذ
فى قسمة الغنايم فجاؤا مسلمين فقالوا يا رسول الله لنا اهل و
عشيرة وقد اصابنا من البلاء ما لم يخف عليك فامنن علينا من الله
عليك وقام رجل من نحو حليمة فقال يا رسول الله انما فى الحظائر
عماتك وخالاتك اى من الرضاع لانهن قرابات حليمة وحاضناتك
التى كن يكفلنك ولو انا ارضعنا الحرث بن ابى سمرة او النعمان
ابن المنذر ثم نزل بنا بمثل الذى نزلت فيه رجونا عطفه وانت خير

المكفولين

المكفولين فقال لهم صلى الله عليه وسلم ان احسن الحديث اصدقه ابناؤكم
ونساؤكم احب اليكم ام اموالكم فقالوا ابناؤنا ونساؤنا فقال
اما ما كان لى ولبنى عبد المطلب فهو لكم واذا صليت الظهر
بالمسلمين فقوموا وقولوا انا نستشفع برسول الله صلى الله عليه وسلم
الى المسلمين وبالمسلمين الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ابنائنا و
نسائنا فاعطيكم عند ذلك واسال لكم ففعلوا ذلك فقال صلى
الله عليه وسلم اما ما كان لى ولبنى عبد المطلب فهو لكم فقال المهاجرون
وما كان لنا فهو لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقالت الانصار مثل
ذلك وامتنع بنو تميم وبنو فزارة وعباس بن مرداس من بنى
سليم فوعدهم صلى الله عليه وسلم من اول سبى يصيبه بما طابت
به نفوسهم فردوا ولم يبق عندهم ومن صلى الله عليه وسلم عليهم كذلك
اذ اى لاجل انه صلى الله عليه وسلم **كان له قبل ذاك** اى وهو طفل
فيهم رباء بفتح الراء والمد اى تربية من ربوت فى بنى فلان و
ربيت فيهم اذا انشات بينهم او طولا باعتبار ما وصل اليه من لبن
حليمة وتربيتها **تنبيه** جعل الناظم اذ تعليلية خلاف ما
عليه الجمهور قالوا ولا دليل فى ولن ينفعكم اليوم اذ ظلمتم الاية
لان التقدير بعد اذ ظلمتم وعلى الاول هل هى حينئذ حرف بمنزلة
لام العلة او ظرف بمعنى وقت والتعليل مستفاد من قوة الكلام
لا من اللفظ قولان المنسوب الى سيبويه الاول وعلى الثانى فى
الاية اشكالات ليس هذا محل بسطها وترد اسما للزمن الماضى وهو
الغالب ثم قال الجمهور لا تكون الا ظرفا او مضافا اليها الظرف
نحو يومئذ تحدث اخبارها وقال الاقلون تكون مفعولا بها
نحو واذكروا اذ كنتم قليلا وكذا المذكورة اوايل القصص
كلها بتقدير اذكروا وبدلا منه بدل اشتمال او كل من كل ورده
الجمهور بان المفعول او المضاف اليه محذوف وزعم الزمخشرى
انها تكون فى محل المبتدا مما تفرد به وجوز كثيرون ورودها
للمستقبل نحو فسوف يعلمون اذ الاغلال فى اعناقهم لاستقبال

يعلمون لفظا ومعنى واجيب بانه من تنزيل المستقبل الواجب الوقوع
منزلة الواقع وانى ذلك السبى لصلة الاسر والمراد هنا المسبيات اى
المأسورون الى الجعرانة بامره صلى الله عليه وسلم كما مر ليقسمه فيها
على المسلمين وفى ذلك السبى كائنة فيه اخت النبى صلى الله عليه وسلم من
رضاع واسمها الشيما كما مر ولما شقوا عليها عند سبيها قالت
والله انى لاخت صاحبكم فاتوا بها رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقالت يا رسول الله انى اختك قال وما علامة ذلك قالت عضة
منك فى ظهرى فعرفها لكن وضع اى خفض الكفر القائم بها قدرها
وكذلك وضع قدرها السباء اى الاسر القائم بها ايضا فانمحل
فى جنب ذلك هذين ما فيها من الاخوة صلى الله عليه وسلم كما انمحل
فى جنب الكفر ما فى نحو ابى طالب من العمومة والتربية ومنع الاعداء
بكل طريق امكنه ثم من الله عليها بالاسلام وبمعرفته صلى الله
عليه وسلم فحباها اى اعطاها ما لم يكن فى حسابها وجاد على قومها
لاجلها برا اى لاجل بره لها اذ رحم الرضاع كرحم النسب ويجوز
ان يكون هو المفعول الثانى ويؤيده انه ابدل منه قوله بسط الى
آخره كما يأتى ولما بسط لها رداءه واجلسها عليه ثم خيرها وقال
ان احببت فعندى محببة مكرمة وان احببت ان امتعك وترجعى
الى قومك فعلت فاختارت قومها فمتعها وزاد فى الاحسان اليها
كما هو شانه ورحلها الى قومها واعطاها غلاما يقال له مكحول
وجارية فزوجته بها فلم يزل فيهم من نسلهما بقية توهمت الناس
الذين رأوا ذلك البر اى وقع فى وهمهم اى ذهنهم واسناد
ذلك اليهم باعتبار ما من شانه به اى بسبب ذلك البر الذى وصل
اليها منه انما بفتح الهمزة اداة حصر لكونها النساء اللواتى معها
وبينه وبين الناس الجناس المقلوب هداء بالكسر مصدر هديت
المرأة الى زوجها اى مهديات كرجل عدل والجملة فى محل مفعول
توهمت الثانى اى توهموا ان النسوة اللواتى معها فى السبى لم يبين
لعظيم ما قابلت من الاكرام وانما جئن لاهداء عروس وجلائها عليه

صلى

صلى الله عليه وسلم لا لكونهن مسبيات تنبيه استعمال الناظم لانما
هنا فى الحصر تبع فيه الزمخشرى والبيضاوى وغيرهما وجعل الاولان
منه قوله تعالى قل انما انا بشر مثلكم يوحى الى انما الهكم اله واحد فقالا
انما لقصر الحكم على شئ ولقصر الشئ على حكم نحو انما زيد قائم وانما
يقوم زيد وقد اجتمعا فى هذه الآية لان انما يوحى الى مع فاعله
بمنزلة انما يقوم زيد وانما الهكم اله واحد بمنزلة انما زيد قائم
وفائدة اجتماعهما الدلالة على ان الوحى اليه صلى الله عليه وسلم
مقصور على استيثار الله بالوحدانية وقول ابى حيان يلزم ان
انحصار الوحى فى الوحدانية مردود بانه حصر مجازى باعتبار
المقام ومن جملة ذلك البر انه بسط فهو بدل من البر الخ ويصح كونه
بدلا من حباها المصطفى صلى الله عليه وسلم لها من الظاهر انها زائدة
على مذهب الاخفش وجماعة رداء كان عليه اى نشره وجعله لها
فراشا لتجلس عليه ويصح جعل من للتبعيض فيكون صلى الله عليه وسلم
بسط لها بعضه لتجلس عليه والاول اقرب وعلى كل هنيئا لها
ذلك الاكرام كيف وهو رداء اى فضل اى شرف عظيم لا غاية
لحواه اى جمعه ذلك الرداء لمماسته لجسده الشريف صلى الله عليه وسلم
وما افهمه هذا التقرير من ان اى فضل الى آخره جملة نعت
لرداء ومن زائدة او تبعيضية هو المتبادر كما لا يخفى ويصح ان
اى مفعول لبسط وان فضل بمعنى فضيلة ومن تبعيضية وانه
على حاله ومن تعليلية داخلة على مضاف اى نشر لها من اجل فرشه
رداءه لها فضلا عظيما حواه ذلك الرداء اى تمييزا ظاهرا على بقية
نساء هوازن وفى الرداء رد العجز على الصدر فغدت اى
صارت مندرجة فيه اى ذلك الفضل والحال انها هى سيدة
اولئك النسوة اللواتى معها من سبى هوازن لما حصل لها من التمييز
الباهر عليهن وان اولئك النسوة اللواتى هن السيدات قبل
اسرهن فيه اى فى ذلك الفضل اماء اى صارت كانها سيدتهن و
كانهن مع كونهن سيدات اماء لها وبين السيدات والاماء طباق

لان ذلك الاكرام انما يفعل مثله لنساء يهدين عروسا لا لنساء مسبيات مخ

محشى

وهذه مؤكدة للجملة الاولى التي هي حال من فاعل غدت كما علم مما مر
ولما ذكر ما اختص به صلى الله عليه وسلم من الرفعة والترقي الى ما لم
يصل اليه مخلوق وما يتعلق بذلك من صفات تنقطع اعناق الاطماع ع
عن ان تمتد اليها وخصال لم تعول امال الكمل الا عليها طلب من كل
سامع فاته رؤيته ان ينزه سمعه بالاصغاء الى صفات ذاته و مشاهد
معانيه فقال فتنزه قال الشارح هو من قولهم خرجنا نتنزه في
الرياض انتهى وكان جرى في ذلك على العرف اذ التنزه كما في القاموس
التباعد ثم قال وارض نزهة بعيدة عن الريف الخصب والزرع
وعين المياه وذباب القرى ومد البحار وفساد الهوى ثم قال
واستعمال التنزه في الخروج الى البساتين والخضر والرياض غلط
قبيح في اوصاف ذاته من الكلام عليها في لذات العلوم و
معانيه اي صفاته الخارجة عن اوصاف ذاته استماعا اي من
جهة اصغائك الى استماع اوصاف ذاته وجميل صفاته الاتية
في هذا النظم الجامع البديع وبين ذاته ومعانيه جناس المقابلة
كالاستماع والاجتلاء الاتي ان عز اي فقد منها متعلق بقوله
اجتلاء من جلوت العروس جلاء وجلوة واجتليتها اذا نظرت
اليها مجلية اي مكشوفة مزينة اي ان فاتك رؤية ذاته الكريمة
ومشاهدة صفاته العلية فلا يفتك تفريغ سمعك لكل ما يتلى
عليك من اوصاف ذاته وعلى صفاته وبه يظهر ان من زائدة في
الايجاب وهو ما اجازه جماعة وخرجوا عليه قوله تعالى ولقد جاءك
من نبأ المرسلين يحلون فيها من اساور ومن ذهب من جبال فيها من
برد يغضوا من ابصارهم وفيه نظر لامكان نحو التبعيض فلا زيادة
فتأمله ولا تقتصر على سماعك لقليل من ذلك بل املأ السمع بان
تكثر من سماع ذلك حتى لو فرض انك تسمعه شيء محسوس وان سمعك
اناء واسع لملأه ذلك المسموع من محاسن اشتمل عليها صلى الله عليه وسلم
لا يلحق احد اثارها ولا يسبق كامل غبارها وهو جمع على غير قياس
لان مفرده حسن لا محسن الا تقديرا عليها من امليته الكتاب بمعنى

املته عليك من هذه القصيدة وغيرها الانشاد لها من
شجي الصوت فانهم الاعراب فقد قالوا من اقوى الاسباب الباعثة
على محبته صلى الله عليه وسلم سماع الاصوات المطربة بالانشادات
بالصفات النبوية المعربة اذا صادفت محلا قابلا فانها تحدث
للسامع سكرا واريحية وطربا وذلك يحدث عنها بسببين احدهما
انها في نفسها توجب لذة قوية ينغمر فيها العقل الثاني انها تحرك
النفس الى جهة محبوبها فيحصل بتلك الحركة والشوق وتخيل المحبوب
واحضاره في الذهن وقرب صورته من القلب واستيلاؤها على
الفكر وفي هذا من اللذة ما يغمر العقل لاجتماع لذة الالحان وكثرة
الاشجان فيحصل للروح ما هو اعجب من سكر الشراب واقوى في اللذة
من عناق الشواب وقد ذكر الامام احمد رضي الله عنه وغيره ان الله
تعالى يقول لداود في الجنة مجدني بذلك الصوت الذي كنت تمجدني
به في الدنيا فيقول كيف وقد اذهبته فيقول انا ارده عليك
فيقوم عند ساق العرش ويمجده فاذا سمع اهل الجنة صوته استفرغ غ
نعيم اهل الجنة واعظم من ذلك اذا سمعوا كلام الرب جل جلاله و
خطابه لهم لا سيما ان انضم الى ذلك رؤية وجهه الكريم فان لذة
ذلك تغني عن الجنة ونعيمها بما لا تدركه العبارة ولا تحيط به
الاشارة كل وصف له من صفاته الذاتية والمعنوية ابتدأت
انت وانا به في الذكر وابتدأت بذكره لتحيط بغايته استوعب
اخبار الفضل مفعول مقدم اي جميع اخبار الفضائل والكمال
منه متعلق بقوله ابتداء اي كلما ابتدأت بوصف له صلى الله
عليه وسلم وتأملت ما اشتمل عليه صريحا وايماء جمع ذلك الوصف
المبتدأ به جميع انواع الفضل وغايات الكمال ولا يستبعد ذلك
فان كل وصف من اوصافه صلى الله عليه وسلم اخذ بحجز بقية تلك
الاوصاف اذ لا يتحقق كمال وصف من صفات الانسان كالحلم
مثلا الا ان كمل في بقية اوصافه كالعلم والكرم والشجاعة
والخلق الحسن وغيرها وحينئذ فكل صفاته صلى الله عليه وسلم

والانشاء من ناظمها واسناد الاملاء اليها مجاز
وفناء جمالك على استفراغ وسعك في ذلك التنزه
واملاء السمع من تلك المحاسن انه يجب
عليك ان تعتقد ان محاسن ذاته وكمال
صفاته لا يمكنك ان تحيط بها كيف
صح

تدل على ما وضع له مطابقة وعلى ما عداه منها ايماء واستلزاما
كما لا يخفى على من تدبر ذلك وتأمله وبهذا التحقيق الذي تنبه له
الناظم يعلم انه سقى الله عهده ثاقب النظر كامل المعرفة متضلع
من العلوم والمعارف وليس ذلك بكثير على من حل عليه نظر القطب
الكبير والعالم الشهير سيدي ابي العباس المرسي ووارث ابي
الحسن الشاذلي قدس الله سرهما ونور ضريحهما وبما قررته
في شرح هذا البيت تعلم انه من غرر ابيات هذه القصيدة
وانه لا تعقيد فيه خلافا للشارح وانه يجب عليك ان تعتقد
ايضا ان من تمام الايمان به صلى الله عليه وسلم الايمان بان الله
تعالى اوجد خلق بدنه الشريف على وجه لم يظهر قبله ولا بعده
في آدمي مثله وسر ذلك ان محاسن الذوات دليل على ما بطن
فيها من بدايع الاخلاق وجلائل الصفات ونبينا صلى الله
عليه وسلم قد بلغ الغاية التي لم يصل اليها غيره في كل من ذينك
ومن ثم قال الناظم في بردة المديح ٭ فهو الذي تم معناه و
صورته البيتين فتبين ان حقيقة الحسن الكامل كملت فيه
وحده ولم تنقسم بينه وبين غيره لانه الذي تم معناه دون
غيره ولو شورك لم يتم معناه وما احسن قول بعضهم لم يظهر
لنا تمام حسنه والا لما اطاقت اعيننا النظر اليه وبين ابتدات
وابتدا جناس الاشتقاق تنبيه شرح الناظم بيان تمام
معناه بما مر ويأتي ولم يشرح تمام حسن ذاته كذلك وانما اشار
لذلك بقوله برؤية وجه الى آخره ضحكه التبسم الى آخره او بتقبيل
راحة الى آخره فتعين علينا ان نشير الى شيء من ذلك فنقول اما
وجهه الشريف فصح عن البراء كان احسن الناس وجها واحسنهم
خلقا وعن ابي هريرة ما رأيت شيئا احسن منه كان الشمس تجري
في وجهه وعن البراء انه قيل له اكان وجه رسول الله صلى الله عليه
وسلم كالسيف قال لا بل كالقمر اي لم يكن كالسيف في الطول
ولا في اللمعان بل كالقمر في التدوير وفوق لمعان السيف وصح

عن

عن جابر بن سمرة لم يكن كالسيف بل كالشمس والقمر وكان مستديرا
فنبه بهذا انه جمع بين الحسن والاشراق والملاحة والاستدارة
وجاء عن علي رضي الله عنه لم يكن بالمكلثم اي شديد استدارة الوجه
بل فيه تدوير قليل وهو احلى عند العرب وهو معنى قول ابي هريرة
كان اسيل الخدين اي فيهما طول وسلامة من ارتفاع الوجنة
وتشبيه غيره وجهه بشقة القمر اي عند التفاتة وقيل احترازا وجهه
عما في القمر من السواد ويرده تشبيه ابي بكر رضي الله عنه وغيره له
بدارة القمر وفي النهاية انه كان اذا سر صار وجهه كالمرآة فيرى
خيال الجدر فيه وفي رواية يتلألأ وجهه تلألؤ القمر ليلة البدر
وانما كان الاكثر تشبيهه بالقمر دون الشمس لان من شاهده
ينظره كمال النظر ويتانس به ولا يتاذى منه بخلاف الشمس في
الكل ولذا كان من اسمائه صلى الله عليه وسلم البدر ومن ثم قال
الخارجون لملاقاته مرجعه من تبوك طلع البدر علينا من ثنيات
الوداع ثم هذه التشبيهات جرت على عادة العرب والا فلا
محدث يعادل صفاته الخلقية كالخلقية ٭ واما بصره فيكفيه
ما زاغ البصر وما طغى وصح عن ابن عباس رضي الله عنهما كان
يرى بالليل في الظلمة كما يرى بالنهار في الضوء وصح انه كان
في الصلوة يرى من خلفه كما يرى من امامه اي رؤية ادراك
كهي بالبصر اذ الرؤية الواقعة على جهة الكرامة لا تتوقف
عليه ولا على شعاع ولا على مقابلة عند اهل السنة وما قيل
ب كان له عينان بين كتفيه كسم الخياط يرى بهما ولا يحجبهما الثياب
لم يثبت ما يدل عليه والاصل عدمه كزعم ان صورهم كانت
تنطبع في قبلته وانها رؤية قلب او ان المراد بها العلم بوحي او
الهام وحديث اني لا اعلم ما وراء جداري لم يعرف له سند
وانما ذكره ابن الجوزي في بعض كتبه بلا اسناد وبفرض وروده نيه
فهذا غير ما نحن فيه لان المنفي علم الغيب بما وراء الجدار حيث لم يعلم
به بوحي او الهام ومن ثم لما ضلت ناقته وقال بعض المنافقين

هو يزعم علم الغيب والله انى لا اعلم الا ما علمنى ربى وقد
دلنى ربى عليها وهى فى موضع كذا احتبستها شجرة بخطامها فذهبوا
فوجدوها كما اخبر صلى الله عليه وسلم وبفرض التعارض فهما مر فى
حالة الصلوة وهذا خارجها وجاء انه كان اذا التفت التفت
جميعا اى لا يسارق النظر ولا يلوى عنقه يمنة ولا يسرة
كالطايش الخفيف وان جل نظره النظر بالملاحظة وهو جانب العين
الذى يلى الصدغ وانه عظيم العينين والشكلة الحمرة فى بياض
العين وهى محمودة والشهلة حمرة فى سوادها وفى رواية ادعج
العينين اى شديد سوادهما اهدب الاشفار اى طويلهما
واما سمعه فحسبك فيه خبر الترمذى انى ارى ما لا ترون واسمع
ما لا تسمعون اطت السماء وحق لها ان تئط ليس فيها موضع اربع اصابع
الا وملك واضع جبهته ساجدا لله تعالى وفى رواية لابى نعيم او
حاتم واما شعره فصح انه كان بين شعرين لا رجل اى بفتح فكسر
وهو ما ينكسر قليلا ولا سبط ولا جعد قطط كان بين اذنيه
وعاتقه وانه رجل ليس بالسبط ولا الجعد ولا تخالف لان فيه
رجولة قليلة فالاولى لنفى كثيرها وانه الى شحمة اذنيه وانه الى
اسفلها وانه الى الكتفين ولا تخالف ايضا لانه ربما ترك تقصيره
فيطول وربما تداركه فيقصر وكان ان انفرق بنفسه والا
تركه معقوصا ولعل هذا كان اولا والا فالذى صح انه كان
يسدل اى يرسله ثم فرق ثم رأيت ان العلماء قالوا ان الفرق
سنة لانه الذى رجع اليه صلى الله عليه وسلم وكان فى عنفقته
وصدغيه شعرات بيض دون العشرين وانما لم يكثر فيه مع انه
نور فى رواية ما شانه الله بالشيب اى لان النساء يكرهنه غالبا ومن
كره منه صلى الله عليه وسلم شيئا فقد كفر واختلفت الروايات
فى تغييره صلى الله عليه وسلم لشيبه فى الحناء ولا تخالف لانه فعله
كثيرا وتركه اكثر ومن ثم كان سنة عندنا وصح انه كان كثير
شعر اللحية وجاء انه كان يكثر دهن رأسه وتسريح لحيته وكان

اشعر

اشعر الذراعين والمنكبين واعالى الصدر ولم يرد انه حلق رأسه
فى غير حج وعمرة وفى رواية انه كان يأخذ من عرض لحيته وطولها غريبة
بخلاف رواية اعفوا اللحى ومن ثم اخذ بها ائمتنا وزادوا انه كان
ينظر فى المرآة اذا سرح لحيته وانه كان له مكحلة يكتحل منها
بالاثمد فى كل عين ثلاثا قبل النوم واما جبينه وحاجباه
وانفه ورأسه فقد جاء انه واضح الجبين ومقرون الحاجبين
اى شعرهما متصل وانه غير متصلهما وانه ابج اى الاثيل وقد يجمع
بانهما كانا كثيرى الشعر كما فى رواية سابغين كما فى اخرى دقيقين
كما فى اخرى فهما مع كثرة شعرهما فيهما سبوغ الى اخر العين و
دقة فى طرفيهما فلكثرة شعرهما يريان من بعيد كانهما متصلان
وليسا فى الحقيقة كذلك وصح انه ضخم الرأس ضخم الكراديس
اى رؤس العظام وجاء انه اقنى الانف اى طويله مع دقة ارنبته
وحدب فى وسطه وعبر بعضهم بانه سائل يرتفع وسطه
وانه دقيق العرنين اى اعلى الانف وان من لم يتأمله يحسبه
اشم اى طويل قصبة الانف واما فمه فقد صح انه واسعه يفتتح
ويختمه باشداقه اى لسعة فمه والعرب تمدحه وتذم ضده
وانه اشنب اى لاسنانه غاية البريق واللمعان وانه اذا تكلم
رئى كالنور يخرج من ثناياه وانه مفلج الاسنان اى متفرقها
وفى رواية مفلج الثنيتين اى اكثر من البقية واما ريقه فقد
صح انه يوم خيبر تفل فى عينى على رضى الله عنه وكرم وجهه
وكان به رمد فبرئ منه لوقته واعطاه الراية ففتح الله
على يديه وجاء انه مج فى بئر ففاح منها رايحة المسك وانه بزق
فى اخرى فلم يكن فى المدينة اطيب ماء منها وانه كان يوم عاشوراء
يبصق فى فم رضعائه ورضعاء فاطمة وينهى عن رضاعهم فيجزيهم
ريقه الى الليل وانه مضغ قطعة لحم واعطاها لخمس نسوة
فمضغنها كل منهن ولم يوجد لافواههن ريح خلوف واما فصاحة
لسانه وجوامع كلمه وبديع بيانه وحكمه فامر اظهر من ان يذكر

واشهر من ان ينشر كيف وقد ارتقى فى ذلك الغاية التى لم يدركها
مخلوق حتى قال بعض العلماء ان كلامه معجزة كالقران واما
صوته فروى ابن عساكر خبر ما بعث الله نبيا قط الا بعثه
حسن الوجه حسن الصوت والبيهقى خطبنا صلى الله عليه وسلم رسول الله
حتى اسمع العواتق فى خدورهن وابو نعيم انه صلى الله عليه وسلم
قال للناس يوم الجمعة على المنبر اجلسوا فسمعه عبد الله بن رواحة
وهو فى بنى تميم فجلس مكانه وابن سعد انه خطب بمنى ففتح الله
اسماعهم فسمعوه وهم بمنازلهم واما ضحكه صلى الله عليه وسلم
فهو انه سيد للعالمين الاولين والآخرين كما مر مبسوطا
اول الكتاب ضحكه الذى يظهر سروره وهو التبسم كما رواه
البخارى عن عايشة رضى الله عنها ما رأيته مستجمعا قط ضاحكا
اى مقبلا على الضحك بكليته انما كان يتبسم ولا ينافيه خبر البخارى ري
ايضا فى المواقع اهله فى رمضان فضحك حتى بدت نواجذه
وهى بالجيم والذال المعجمة الاضراس وهى لا تكاد تظهر الا عند
المبالغة فى الضحك لان عايشة انما نفت رؤيتها وذلك لا ينافى
وقوع غير التبسم منه نعم الذى دل عليه مجموع الاحاديث ان
اكثر اوقاته هو التبسم وربما ضحك والمكروه انما هو الاكثار
او الافراط من الضحك سواء كان معه قهقهة ام لا ومن ثم روى
البخارى فى ادبه وابن ماجة النهى عن كثرته وانه يميت القلب
والفرق ان التبسم مبادى الضحك من غير صوت والضحك انبساط
الوجه حتى تظهر الاسنان من السرور مع صوت خفى فان كان فيه
صوت يسمع من بعيد فهو القهقهة واما بكاؤه فكان من جنس
ضحكه لم يكن بشهيق ولا برفع صوت ولكن تدمع عيناه حتى تهملان
ويسمع لصدره ازيز اى غليان يبكى رحمة لميت وخوفا على امته
وشفقة من خشية الله تعالى وعند سماع القران واحيانا فى صلوة
الليل وجاء انه صلى الله عليه وسلم حفظ من التثاوب لما جاء ان كل
نبى كذلك واما يده فقد وصفه غير واحد كما فى عدة طرق بانه

شثن

[illegible]

شثن الكفين اى غليظ اصابعهما وبانه عبل الذراعين رحب الكفين
ووصف ايضا بانه الين من الحرير والديباج واطيب ريحا من المسك
ولا ينافى هذا اللين ما مر آنفا لانه جمع مع لين الجلد غلظ العظام
وقوتها وتفسير الاصمعى الشثن بغلظ فى خشونة مردود بل نقل ابن
خالويه عنه انه قيل له ورد فى صفته صلى الله عليه وسلم انه لين
الكفين فاقسم انه لا يفسر شيئا فى الحديث وتسليمه فهو صلى الله
عليه وسلم كان ربما حصلت له خشونة فى كفيه من جهاد او عمل فى
مهنة اهله وتفسير ابى عبيد له بغلظ الاصابع مع قصرها يرده
ما جاء انه كان سائل الاطراف فالتحقيق ان الشثن الغليظ من
غير خشونة ولا قصر وروى الحاكم وغيره انه صلى الله عليه وسلم
مسح بيده الدم عن وجهه وصدره من جرح فى وجهه فكان اثر يده
غرة سائلة كغرة الفرس وصح انه مسح رأس ولحية ابى زيد الانصارى ري
ثم قال اللهم جمله فبلغ بضعا ومائة سنة وما فى لحيته بياض ولا
فى وجهه انقباض وروى احمد وغيره انه مسح رأس حنظلة
بيده وقال بورك فيك فكان يمسح بمحل يده صلى الله عليه وسلم
الورم فيذهب واما ابطاه فكانا ابيضين كما جاء عن عدة من
الصحابة رضوان الله عليهم لكن يعارضه الرواية الصحيحة
كنت انظر الى عفرة ابطيه والعفرة بياض ليس بالناصع وقد يجمع
بحمل البياض فى الاول على البياض غير الناصع وذكر بعضهم انه لا شعر
بابطيه ورد بانه لم يثبت بوجه وكان يسيل منهما مثل ريح المسك
وكانت له مسربة وهى خيط الشعر الذى بين الصدر والسرة بل فى
رواية له شعرات من لبته الى سرته تجرى كالقضيب ليس على صدره
ولا بطنه غيره واما بطنه وظهره فجاء انه مفاض البطن اى واسعه
وقيل مستوى الظهر مع الصدر وان بطنه كالقراطيس المثنى
بعضه على بعض وانه بعيد ما بين المنكبين اى عريض الصدر
واما قلبه فهو اول قلب اودع الاسرار الالهية والمعارف الربانية
لانه اول الخلق كما مر وصورته آخر صور الانبياء صلى الله عليه وسلم

فهو اولهم وآخرهم لحيازة اعلى الكمالات الخلقية والخلقية ومما
ينبئك بان قلبه اودع مالم يودع غيره تكرر شقه وملؤه ايمانا
وحكمة واخراج حظ الشيطان منه كما مر ذلك مبسوطا في بحث رضاعه
صلى الله عليه وسلم ومحاسنه الظاهرة التي هي اعلام على الاخلاق
الباطنة فكما ان تلك لم يساوه فيها مخلوق فكذلك هذه واما جماعه
فقد صح عن انس كنا نتحدث انه اعطى قوة ثلاثين رجلا في الجماع و
روى الاسماعيلي قوة اربعين زاد ابو نعيم عن مجاهد كل من رجال
اهل الجنة والرجل في الجنة يعطى قوة مائة كما صححه الترمذي وقال
غريب واربعون في مائة باربعة آلاف ومع ذلك كان على غاية
من تقليل الغذاء ليخرق الله له العادة في الامرين ولم يحتلم قط وكذا
الانبياء لانه من الشيطان لكن ظاهر قول عائشة يصبح صايما
جنبا من جماع غير احتلام انه يحتلم وبتسليمه فالاولى حمله على ما
اذا كان عن رؤية وجماع لان هذا هو الذي من الشيطان بخلاف
مجرد نزول المني في النوم واما قدمه فجاء عن غير واحد انه شثن
القدمين اي غليظ اصابعهما وكانت سبابة قدميه اطول من بقية
اصابعهما ومر وصف ذلك في اليد فقد غلط كما بينه غير واحد
وكانت خنصرهما متظاهرة وكانا لاخمص لهما اي ليس في باطنهما
كثير انخفاض بحيث يطأ به كله فهو معتدل الخمص ومعنى رواية
مسيح القدمين ان فيهما مع ذلك لينا وملاسة دون تكسر
وتشقق واما طوله فكان ربعة لكنه الى الطول اقرب كما جاءت
به الاحاديث الكثيرة وفي حديث ما يفيد ان هذا ان مشى
وحده او مع قصير والا طال على من ماشاه وهو ينسب الى الطول
بل لو اكتنفه طويلان طالهما فاذا فارقهما نسب الى الربعة اذا
مشى تكفا تكفيا كانما ينحط من صبب وفي رواية عنه كان اذا
مشى تقلع والتقلع والانحدار من الصبب قريب واذا كان
يستعمل التثبت ولا يتبين منه في هذه الحالة استعجال ومبادرة
بالمشي وهذا هو مراد الناظم بقوله والمشي الكائن منه الهوينا

تصغير

[illegible]

تصغير الهوني وهو السكينة والوقار للتعظيم نحو وكل اناس
سوف تدخل بينهم دويهية تصفر منها الانامل وقد مدح تعالى
من يمشون كذلك فقال عز قائلا وعباد الرحمن الذين يمشون على
الارض هونا ولا ينافي ذلك رواية الترمذي عن ابي هريرة رضي
الله عنه ما رأيت احدا اسرع من مشية رسول الله صلى الله عليه
وسلم كانت الارض تطوى له انا لنجهد انفسنا وهو غير مكترث
لان عجزهم عن لحوقه ليس لانه كان يجهد نفسه في المشي كما يدل
عليه قوله غير مكترث بل لانه كان يبارك له في مشيه كما يدل عليه قوله
كانت الارض تطوى له فهو مع هون مشيه لا يلحق ومعنى رواية
ذريع المشي اي واسع الخطوة وقال ابن القيم في رواية كان اذا
مشى تقلع التقلع الارتفاع من الارض بجملته كحال المنحط في صبب
وهي مشية اولي العزم والهمة وهي اعدل المشيات واروحها للاعضاء
فكثير من الناس يمشي قطعة واحدة كانه خشبة محمولة فهي مذمومة
كالمشي بالانزعاج كالجمل الاهوج وهذه تدل على قلة عقل صاحبها
لاسيما ان اكثر فيها الالتفات وكان صلى الله عليه وسلم اذا مشى
معه اصحابه قدمهم امامه وقال خلوا ظهري للملائكة وكان اذا
مشى في قمر او شمس لا يظهر له ظل ويشهد له قوله صلى الله عليه وسلم في دعائه
واجعلني نورا واما لونه فقد وصفه جمع من اصحابه بالبياض كما
صح عنهم من طرق متعددة ولا ينافيه رواية مشرب بحمرة لانه
مع ذلك يسمى ابيض نعم قد ينافيه رواية ابيض شديد البياض
الا ان يحمل المشرب بالحمرة على الوجه فقط وما عداه شديد
البياض كما دل عليه رواية فنظرت الى ظهره كانه سبيكة فضة
وعلى الوجه يحمل رواية امهق اي احمر ليس بابيض وقول عياض
رحمه الله انها وهم غير صحيح وكذا رواية ليس بالابيض ولا
بالآدم اي ليس شديد البياض ولا شديد الادمة وانما يخالط
بياضه حمرة والعرب تطلق على من هو كذلك انه اسمر الوارد في روا
وتوافقها رواية ابيض بياضه الى السمرة ورواية احمر الى البياض

اي وقول عياض ان هذه ليست بصواب مع وجود بان المراد مع
يه

او المراد انه كان يحصل له التمرة اذا سافر لتأثره من الشمس وتظليل
الغمام وغيره له انما كان ارهاصا وقد انقضى وقته وذهب بعض
المالكية الى ان من زعم انه كان اسود يقتل اى لان السواد يشعر
بالنقص واما طيب ريحه وعرقه وفضلاته فكان فى ذلك الغاية
العليا وان لم يمس طيبا كما صح عن انس وغيره وروى ابو يعلى و
الطبرانى ان رجلا استعان به فى تجهيز بنته فاستدعى بقارورة ره
وسلت من عرقه وقال مرها فلتطيب به فكانت اذا تطيبت به
شم اهل المدينة ذلك الطيب فسموا بيت المطيبين ومن انه كان
اذا مر بطريق فمر الناس منه وجدوا ريحه وعرفوا بذلك انه
مر منه وحديث خلق الورد من عرقه او من عرق جبريل او من
عرق البراق موضوع وجاء من وجه غريب ان ما كان يخرج
منه صلى الله عليه وسلم تبتلعه الارض وايده الحافظ عبد الغنى
بان احدا من الصحابة لم يذكر انه رآه بخلاف البول فانهم كانوا
يستشفون به كدمه ومن ثم اختار جماعة من ائمتنا طهارة
جميع فضلاته واما نومه فهو الاغفاء اى اخف النوم بحيث لا
يستغرق لان الاستغراق انما يتولد عن نوم القلب وغفلته المتولد ين
عن الشبع المفرط وهو صلى الله عليه وسلم كسائر الانبياء كان تنام
عينه ولا ينام قلبه كما صح عنه صلى الله عليه وسلم ومن ثم لم ينتقض
وضوءه بالنوم وسر ذلك كمال حياة قلبه ويقظته ودوام شهوده
لربه ومن ثم كان صلى الله عليه وسلم اذا نام لا يوقظ لانه لا يدرى
ما هو فيه ولا ينافيه نومه صلى الله عليه وسلم بالوادى عن صلوة الصبح
حتى حميت الشمس لان رؤيتها من وظيفة العين والقلب انما يدرك
نحو الحدث والالم مما يتعلق به دون العين فهى نائمة والقلب
يقظان وكانه انما لم يدرك شعور الوقت الطويل فانه نام قبل
الفجر الى ان حميت الشمس لانه كان مستغرقا فى شهود ربه وما
يفيضه عليه من معارفه وانما لم يتنبه على ذلك ليقع التشريع بتلك
الاحكام الكثيرة جدا التى استفيدت من تلك الواقعة كهو فى الصلوة

وقيل

وقيل كان له نوم ينام فيه قلبه ايضا وهو الذى كان حينئذ ورد
بانه لم يثبت فهو مردود على قائله كتأويل بعضهم قوله لا ينام قلبى
بما يخرجه عن ظاهره من غير دليل واذ قد انتهى الكلام على شيء من محاسن
ذاته التى لم يخلق الله تعالى ذاتا اشرف منها ايضا فنقول ماسوى

فلنذكر شيئا مما يتعلق بمحاسن اخلاقه وصفاته التى لم يخلق الله تعالى اشرف منه صح

اى ليس غير خلقه النسيم اى الريح التى فى غاية اللطافة واللين و
الطيب يعنى لا يشبهها خلق احد الا خلقه الكريم وهذا مقتبس من
قول ابن عباس رضى الله عنهما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
اجود الناس بالخير ثم قال فلرسول الله اجود بالخير من الريح المرسلة
فان قلت صريح هذا ان خلقه افضل من النسيم بل لا نسبة
بينهما فكيف هذا التشبيه المؤذن بشرفها عليه قلت
هذا الاعتبار انما هو باعتبار الغالب والا فقد يشبه الافضل
بالمفضول لنكتة كما فى صليت على ابرهيم الخ فكذا هنا تشبيهه
بها البليغ انما هو باعتبار ما فيها مما يقيت الروح ويحيى القلب
ويجلو صدأ النفس وغير ذلك مما لا قيام لحقيقة الحيوان الا به
وانما قلت يعنى لا يشبهها الى آخره لابين ان هذا المراد من العبارة
لا تفى به وذلك لان نفى مشابهة غير خلقه لها لا يفيد انه لا
يشبهها الا خلقه لان هذا الحصر لا دليل عليه فى الكلام بل صريح
كلام الراغب انه لا مفهوم للنفى بغير وعبارته غير يقال على
اوجه الاول ان تكون للنفى المجرد من غير اثبات معنى به نحو
مررت برجل غير قائم وقال تعالى ومن اضل ممن اتبع هواه بغير
هدى من الله وقال وهو فى الخصام غير مبين انتهى المقصود
منه وسيأتى فى شرح قوله وما سواء هو العاصى ماله بما هنا
تعلق فاستحضره والخلق بضم فضم او سكون قال الراغب وهو
والمفتوح فى الاصل بمعنى واحد لكن خص المفتوح بالهيأت
والصور المبصرة والمضموم بالسجايا والقوى المدركة بالبصيرة تسم صح
ثم قيل المضموم غريزة لخبر البخارى ان الله قسم بينكم اخلاقكم
كما قسم ارزاقكم والحق ان اصله غريزى وتمامه مكتسب لما صح

انه صلى الله عليه وسلم قال للاشج ان فيك لخصلتين يحبهما الله الحلم
والاناة قال يا رسول الله قديما كانا فى او حديثا قال قديما قال
الحمد لله الذى جبلنى على خلقين يحبهما فترديده السؤال وتقرير النبى
صلى الله عليه وسلم له على ذلك يدل على ان بعضه غريزى وبعضه
مكتسب ويدل له ايضا الحديث الصحيح اللهم كما حسنت خلقى
فحسن خلقى وما صح انه كان يقول فى دعاء الافتتاح واهدنى
لاحسن الاخلاق ولا يهدى لاحسنها الا انت فهو جبلة فى نوع
الانسان وهم متفاوتون فيه فمن عديم حسنه او كماله امر بالمجاهدة
والرياضة حتى يقوى ويصير محمودا وقد عرف الخلق الحسن بانه
ملكة يسهل على ربها فعل الجميل وتجنب القبيح ولما اجتمع فيه صلى الله
عليه وسلم من خصال الكمال وصفات الجلال والجمال ما لا يحصره حد
ولا يحيط به عد اثنى الله عليه فى كتابه الكريم فقال عز قائلا وانك لعلى
خلق عظيم فوصفه بالعظم وزاد فى المدحة باتيانه بعلى المشعرة
بانه صلى الله عليه وسلم استعلى على معالى الاخلاق واستولى عليها
فلم يصل اليها مخلوق غيره ووصفه بالعظم دون الكريم الغالب
وصفه به لان كرمه يراد به السماحة والدماثة وخلقه صلى الله
عليه وسلم غير مقصور على ذلك بل كما كان عنده غاية الرحمة للمؤمنين
عنده غاية الغلظة والشدة على غيرهم فاعتدل فيه الانعام
والانتقام ولم تكن له همة سوى الله تعالى فعاشر الخلق بخلقه و
باينهم بقلبه وعزمه وورد بسند فيه ضعف ان الله بعثنى بتمام
مكارم الاخلاق وكمال محاسن الاعمال وفى رواية الموطا بلاغا
بعثت لاتمم مكارم الاخلاق فكل خلق حميد اندرج تحت خلقه
ومن ثم قالت عايشة رضى الله عنها كان خلقه القرآن قال
السهروردى رحمه الله ونفع به فى عوارفه فى قولها ذلك
رمز غامض وايماء خفى الى الاخلاق الربانية فاحتشمت الحضرة
الالهية ان تقول متخلقا باخلاق الله تعالى فعبرت عن المعنى
بقولها كان خلقه القرآن استحياء من سبحات الجلال وسترا للحال

بلطف

بلطف المقال وهذا من وفور عقلها وكمال ادبها انتهى وقال
بعض العارفين لما كان خلقه اعظم خلق بعثه الله الى جميع العالمين
وعلم من كلام عايشة رضى الله عنها ان كمالات خلقه لا تتناهى كما
ان معانى القرآن لا تتناهى وان التعرض لحصر جزئياتها غير
مقدور للبشر ثم ما انطوى صلى الله عليه وسلم من كريم الاخلا ق
لم يكن باكتساب ورياضة وانما كان فى اصل خلقته بالجود الالهى
والامداد الرحمانى الذى لم يزل تشرق انواره فى قلبه الى ان
وصل لاعظم غاية واتم نهاية واعلم ان كمال الخلق انما ينشأ
عن كمال العقل لانه الذى به تقتبس الفضايل وتجتنب الرذا يل
والعقل لسان الروح وترجمان البصيرة فهو جوهر الانسان
ولكن جوهره الصبر وفى القاموس بعد الاشارة الى الخلاف
فى تعاريفه والحق انه نور روحانى به تدرك النفوس العلوم
الضرورية والنظرية وابتداء وجوده عند اجتنان الولد ثم
لا يزال ينمو الى ان يكمل عند البلوغ انتهى والحديث المشهور اول
ما خلق الله العقل قال له اقبل الى آخره موضوع وعقل نبينا
صلى الله عليه وسلم وصل فى الكمال الى غاية لم يصل اليها ذو عقل
ومن ثم روى ابو نعيم وابن عساكر عن وهب انه وجد فى احد
وسبعين كتابا ان الله لم يعط جميع الناس من ابتداء الدنيا الى انقضا يها
من العقل فى جنب عقله صلى الله عليه وسلم الا كحبة رمل من بين ما
لجميع الدنيا ومما يقطع بصحة ذلك سياسته صلى الله عليه للعرب
الذين هم كالوحوش الشاردة وصبره على طباعهم المتنافرة
المتباعدة حتى قاتلوا دونه واهاليهم وهجروا فى رضاه اوطانهم
واحباءهم مع انه لم يطلع على سير الماضين ولا تعلم من العقلاء
المحنكين وفهمنا ما فى الذى قبله مما مر آنفا ولا غير محياه اى
وجهه الروضة الغناء اى الكثيرة النبات والازهار والثمار
اى ليست الروضة الغناء الا وجهه لانه احسن الخلق وجها
كما مر مبسوطا رحمة وهى عطف وميل نفسانى غايتها التفضل

والانعام اى عينها مبالغة او ذوها هو خبر مقدم ولخبر بعده و
بما بعدها بلفظ المصدر اشارة الى انها قد امتزجت بذاته وتحا
انفصالها عنه حتى كانها هو وكانه هى اى تركب منها وطبع عليها فخلق
منها كله كما قال تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين يجوز نصب
رحمة على الحال على انها اسم فاعل ومفعولا لاجله وعلى حذف
مضاف اى ذا رحمة والعالمون قيل الجن والانس وعليه الجمهور
وقيل والملائكة وعليه غير واحد من المحققين ويدل عليه ايضا ليكون للعالمين
نذيرا ونقل الرازى وغيره الاجماع على انه لم يرسل للملائكة مردود
بل اخذ بعض متاخرى ائمتنا المحققين بظاهر خبر مسلم وارسلت
الى الخلق كافة وعلى كل فهو رحمة للمؤمنين بالهداية وبالامان من
القتل وللكافرين بتأخير العذاب ولسائر الحيوانات لان به
يستسقى الغمام وبدعائه ينزل قطر السماء فينبت النبات ويكون
لها سقيا ورعيا وللمنافق وقال ابن عباس رحمة للبر والفاجر
لان كل نبى اذا كذب اهلك الله من كذبه ومحمد صلى الله عليه وسلم
اخر من كذبه الى الموت او الى القيمة واما من صدقه فله الرحمة فى
الدنيا والاخرة فعلم ان ذاته رحمة للمؤمن والكافر كما قال
تعالى وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم وروى الدارمى والبيهقى
حديث انما انا رحمة مهداة وقال بعضهم زينه ربه بزينة الرحمة
فكان وجوده وجميع شمائله رحمة على الخلق وقال اكثر الانبياء
خلقوا كلهم من الرحمة ونبينا صلى الله عليه وسلم عين الرحمة لا يقال
كيف هو رحمة وقد جاء بالسيف واستباحة الاموال لانا نقول
انما ذلك لمن ادبر واستكبر ولم ينفع فيه وعظ ولا ارشاد
وعزاه وصافه تعالى الرحمن الرحيم والجبار المنتقم وفى الشفاء وحكى
انه صلى الله عليه وسلم قال لجبريل هل اصابك من هذه الرحمة شئ فقال
نعم كنت اخشى العاقبة فامنت ولما شج وجهه وكسرت رباعيته يوم
احد قالوا له لو دعوت عليهم فقال انى لم ابعث لعانا ولكن
بعثت داعيا ورحمة اللهم اغفر لقومى فانهم لا يعلمون اى اغفر لهم

هذا

هذا الشئ المخصوص لا مطلقا والا لاسلموا كلهم ذكره ابن حبان
واما دعاؤه عليهم يوم الخندق بان الله يملأ بطونهم نارا لانهم
شغلوه عن الصلوة الوسطى فكان الدعاء لله لا لحظ نفسه وحزم
كله اى جميع احواله التى تصدر منه انما تصدر على غاية الضبط
والقوة والشدة الباطنة والظاهرة لان منشأ ذلك العقل
الكامل وقدمر انه لا اكمل من عقله بل لا مساوى له من نبى ولا ملك
وعزم كله من عزم على الشئ قطع برأيه جميع ما يفعله بوحى او
اجتهاد انما يفعله مع امضائه والقطع به من غير اعراض عنه ومن
ثم كان من خصائصه صلى الله عليه وسلم انه اذا فعل خيرا لزمه
ادامته كما وقع له ان ناسا شغلوه عن سنة الظهر البعدية حتى
دخل وقت العصر فصلاهما حينئذ واستمر يصلى ركعتين بعد
العصر الى وفاته ووقار كله لان الله تعالى القى عليه من المهابة ما
لا غاية له ومن ثم قال لخارجة بن زيد كما رواه ابو داود كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم اوقر الناس فى مجلسه وعن ابى سعيد الخدرى
كان اذا جلس فى المجلس احتبى بيديه وكان كثير السكوت لا يتكلم
فى غير حاجة وكان ضحكه تبسما وكلامه فصلا لا فضولا ولا تقصيرا
وكان ضحك اصحابه عنده التبسم مجلسه مجلس علم وحياء وخير و
امانة لا ترفع فيه الاصوات ولا تنتهك فيه الحرم اذا تكلم اطرق جلساؤه
كانما على رؤسهم الطير جاء اليه رجل فقام بين يديه فاخذته
رعدة شديدة ومهابة فقال له هون عليك فانى لست بملك
ولا جبار انما انا ابن امرأة من قريش تأكل القديد بمكة فنطق
الرجل بحاجته فقام صلى الله عليه وسلم فقال يا ايها الناس انى
اوحى الى ان تواضعوا الا فتواضعوا حتى لا يبغى احد على احد
ولا يفخر احد على احد وكونوا عباد الله اخوانا ورأته قيلة بنت
مخرمة فى المسجد قاعدا القرفصى فارعدت من الفرق رواه ابو
داود وروى مسلم عن عمرو بن العاص رضى الله عنه قال صحبت
رسول الله صلى الله عليه وسلم فما ملأت عينى منه قط حياء منه وتعظيما

ولو قيل لحصنه لما قدرت واذا كان هذا وهو من اجلاء الصحابة
كذلك فما بالك بغيره فعلم انه صلى الله عليه وسلم لولا انه كان يباسطهم
ويمزح معهم ومع ذلك لا يقول الا حقا ويتواضع لهم ويوانسهم
لما قدر احد منهم ان يجالسه ولا يحادثه لما القى الله عليه من المهابة
والجلالة وقد خير صلى الله عليه وسلم بين ان يكون نبيا ملكا او نبيا
عبدا فاشار لجبريل يستشيره فاشار اليه ان تواضع فاختار
العبودية **وعصمة** كله اى حفظ يستحيل شرعا وقوع خلافه من
سائر الذنوب صغيرها وكبيرها عمدها وسهوها قبل النبوة
وبعدها فى سائر حركاته وسكناته فى باطنه وظاهره سره و
علانيته جده ومزحه رضاه وغضبه والخلاف فى بعض ذلك
لا يعول عليه كيف وقد اجمعت الصحابة رضوان الله عليهم على
اتباعه والتاسى به فى كل ما يفعله من قليل وكثير وصغير وكبير
لم يكن عندهم فى ذلك توقف حتى اعماله فى السر والخلوة يحرصون
على العلم بها وعلى اتباعها علم بهم اولم يعلم ومن تامل احوالهم
معه استحيى من الله كما قاله الامام المجتهد التقى السبكى ان يخطر
لذلك فى انه معصوم فى كل ما ذكرناه وكذلك الانبياء كلهم ... معصومون
كما ذكر وحكى فى عصمتهم قبل النبوة خلاف ومحله فى غير الجهل بالله
وصفاته اما هو فهم معصومون منه اجماعا بل لم ينشأوا الا على
اكمل الاحوال من الايمان بالله ومعرفته كما ينبغى وحكى فى عصمتهم
من الصغاير بعد النبوة خلاف ايضا وهو فى غاية الضعف بل الزم
قائلوه بخرق الاجماع وبما لا يقول به مسلم ومحله فى غير صغاير الخسة
كسرقة لقمة وفى غير ما يتعلق بطرق التبليغ اما هذان فهم معصومون منهما
اجماعا واما قوله تعالى ووجدك ضالا فهدى فللمفسرين فيه
اقوال كثيرة احسنها ما جاء عن ترجمان القرآن ابن عباس رضى الله عنهما
وآخرين من اصحابه وتابعيهم انه معناه وجدك ضالا عما الآن من معالم
النبوة فهداك اليها ويؤيده قوله تعالى ما كنت تدرى ما قبل الوحى
ما الكتاب اى القرآن ولا الايمان اى الدعاء اليه ولا الفرايض

والاحكام اذ الايمان يطلق عليها حقيقة نحو وما كان الله ليضيع
ايمانكم اى صلاتكم الى بيت المقدس كما يصرح به سبب النزول ومما
جاء مرفوعا اى وجدك ضالا عن جدك عبد المطلب حتى كاد الجوع
يقتلك فردك الله او هو من ضل الماء فى اللبن اذا انغمر فيه اى وجد ت
مغمورا بين كفار مكة فنصرك الله عليهم واما قوله ووضعنا
عنك وزرك الذى انقض ظهرك فاختلف المفسرون فيه على
اقوال كثيرة بها يبطل الاحتجاج به للقول الساقط السابق آنفا
ومن احسنها ان المعنى خففنا عنك اعباء النبوة التى اثقلت
حقوقها والقيام بموجباتها ظهرك حتى كاد ان يكون له نقيض
اى صوت او المراد عصمناك من الوزر الذى لو تحملته صوت ظهرك
من ثقله فسمى العصمة وضعا مجازا او رفعنا عنك اوزار امتك
التى اثقل ظهرك خوف غائلتها حتى آمنك الله ذلك فى العاجل
بقوله عز قائلا وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم واعطاك الشفاعة
فيهم فى الآجل واما قوله ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر
فاختلفوا فيه كذلك واحسن ما فيه ايضا قول ابن عباس رضى الله
عنهما انك مغفور لك غير مؤاخذ بذنب انه لو كان او المراد بالذنب ...
ذنوب امته على حذف مضاف او ترك الاولى والاحرى كما قيل
حسنات الابرار سيئات المقربين وعليه قوله تعالى عفا الله عنك
لم اذنت لهم اى محا عنك ما ارتكبته من خلاف الاولى ووقع لبعض
مشاهير المفسرين فى بعض هذه الآيات ما لا ينبغى من التساهل
وسوء الادب فاحذره وحفظ صلى الله عليه وسلم ايضا من اعدائه الحريصين
على قتله فكان اصحابه يحرسونه حتى نزل والله يعصمك من الناس فاخرج
رسول الله صلى الله عليه وسلم راسه من القبة وقال يا ايها الناس انصرفوا
فقد عصمنى ربى وتواعد جماعة على قتله فلما هموا به سمعوا صوتا
مهولا فغشى عليهم ثم تواعدوا مرة اخرى فلما راوه جاءت الصفا
والمروة ففرقتا بينه وبينهم وواعد ابو سفيان قريشا ان راه ليطأن
على عنقه فاعلموه به فذهب اليه فولى هاربا فقيل له فقال لما دنوت

منه اشرفت على خندق مملوء نارا فكدت ان اهوى فيه وابصرت هولا
عظيما وخفق اجنحة قال صلى الله عليه وسلم تلك الملائكة لو دنا لاختطفته
عضوا عضوا وعند عليه عامر بن الطفيل وزيد بن قيس ليقتلاه فشغله
عامر فاراد زيد قتله فلم ير الا عامرا وحياء كله كما يصرح به خبر البخاري
عن ابي سعيد رضي الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اشد
الناس حياء من العذراء اي البكر في خدرها قيل ذكره من باب التتميم
لان العذراء في خدرها يشتد حياؤها اكثر مما تكون فيه خارجة عنه
لان الخلوة مظنة وقوع الفعل بها وقيل الظاهر ان المراد تقييده
بما اذا دخل عليها في خدرها لا حيث تكون وحدها فيه والحياء بالمد
لغة تغير يعتري الانسان من خوف ما يعاب به وشرعا خلق يبعث
على اجتناب القبيح ويمنع من التقصير في حق ذي الحق من الحياة وكذا
الحيا المقصور وهو المطر وقوته وضعفه بقوة حياة القلب وضعفه
وهو اقسام ثمانية يطول استقصاؤها منها حياء الكرم كحيائه صلى
الله عليه وسلم ممن دعاهم الى وليمة زينب فطولوا عنده المقام ان يقول
لهم انصرفوا ومن ثم كان لا يواجه احدا بما يكره بل اذا بلغه عن احد شيء
قال ما بال اقوام ولم يقل ما بال فلان قالت عائشة رضي الله عنها
ما رأيت منه ولا رأى مني ومنها حياء المحبة وهو ما يخطر بقلب
المحب في غيبة محبوبه فيهيجه اليه ومنها حياء العبودية وهو ممتزج
بين محبة وخوف وغايته شهود عدم صلاح عبوديته لمعبوده
فيستحيي منه لا محالة ومنها حياء المرء من نفسه ان رضيت بالنقص
او قنعت بالدون حتى كان له نفسين يستحيي باحدهما من الاخرى
وهذا اكمل ما يكون من الحياء وهو حياء النفوس الشريفة الرفيعة
وهو الذي قال فيه صلى الله عليه وسلم الحياء لا يأتي الا بخير والحياء
من الايمان رواهما البخاري وجعل من الايمان مع انه غريزة لان
استعماله على قانون الشرع يحتاج الى قصد واكتساب وعلم فالحياء
المكتسب هو الذي جعله الشارع من الايمان وهو المكلف به دون
الغريزي غير ان من كان فيه غريزة منه بانها تعينه على المكتسب حتى

يكاد ان يكون غريزيا وهو صلى الله عليه وسلم جمع الله له النوعين
فكان في الغريزي اشد حياء من العذراء في خدرها ومن ان عقله
صلى الله عليه وسلم اوسع العقول ولذلك اتسعت اخلاق نفسه الكريمة
اتساعا لا يحد ومن ذلك اتساع خلقه العظيم في الحلم والعفو مع
القدرة وصبره على ما يكره لا سيما في الشدائد حتى انه لا تحل
البأساء اي الشدة وان افرطت لا سيما في الحروب وقد اسعرت
نيرانها واصطلمت عقول شجعانها منه متعلق بما بعده من
المضاف والمضاف اليه او بتحل عرى الصبر وهو حبس النفس
على ما يكره اي اسبابه من الحلم والعفو والصفح المشبهة في اشتمالها
على من قامت به حتى منعته من وقوع بادرة منه عند ثوران
نار الغضب بحبال ربطت على شيء واحكمت في عرى فاستمسكت
عليه ولم يمكن حلها ولا نقضها فذكر العرى استعارة تخييلية
رة وتشبيه الصبر بالثوب السابغ ذي الازرار والعرى المحكمة استعارة
بالكناية وذكر لا تحل ترشيح وحسبك صبره على من جارحوه يوم
احد في اشد ما نالوه من كسر رباعيته وشج وجهه فسال الدم
على وجهه الشريف وشق ذلك على اصحابه فقالوا يا رسول الله
لو دعوت عليهم فقال اللهم اغفر لقومي واهد قومي فانهم لا
يعلمون اي لا تعاجلهم بالعقوبة من اجلي فانهم لا يعلمون تفاصيل
ما يترتب عليهم في ذلك من انواع العذاب واصناف العقاب
وروي عن عمر رضي الله عنه انه قال بابي وامي يا رسول الله
لقد دعا نوح على قومه فقال رب لا تذر على الارض الآية
ولو دعوت علينا مثلها لهلكنا من آخرنا فلقد وطئ ظهرك
وادمي وجهك وكسرت رباعيتك فابيت ان تقول الا خيرا
فقلت اللهم اغفر لقومي فانهم لا يعلمون وانما قال صلى الله عليه وسلم
يوم الخندق حين شغلوه عن صلاة العصر اللهم املأ قلوبهم نارا
لان الحق لله وهو صلى الله عليه وسلم لم يكن يغضب لنفسه وانما يغضب
ان انتهكت حرمات الله امتثالا لقوله سبحانه جاهد الكفار والمنا

فقيه

واغلظ عليهم وغير ذلك ثم غضب صلى الله عليه وسلم في اماكن متعددة لا
مختلفة لكن مرجعها الى انه لم يغضب لنفسه بل لربه وقد صح عن
زيد بن سعنة بمهملة ونون مفتوحتين وهو اجل احبار اليهود الذين
اسلموا انه قال لم يبق من علامات النبوة شيء الا وقد عرفته في
وجه محمد صلى الله عليه وسلم حين نظرت اليه الا اثنتين لم اخبرهما
منه يسبق حلمه جهله ولا تزيده شدة الجهل عليه الا حلما فكنت اتلطف
له لان اخالطه فاعرف حلمه فابتعت منه تمرا الى اجل فاعطيته الثمن فلما كان
قبل محل الاجل بيومين او ثلاثة اتيته فاخذت بمجامع قميصه وردائه
ونظرت اليه بوجه غليظ ثم قلت الا تقضيني يا محمد حقي فوالله يا بني
عبد المطلب مطل فقال عمر اي عدو الله اتقول لرسول الله صلى الله عليه
وسلم ما اسمع فوالله لولا ما احاذر فوته لضربت بسيفي راسك
ورسول الله صلى الله عليه وسلم ينظر الى عمر في سكون وتؤدة وتبسم
ثم قال انا وهو كنا احوج الى غير هذا منك يا عمر فلمرني بحسن الاداء
وامره بحسن التقاضي اذهب به يا عمر فاقضه حقه وزده عشرين
صاعا مكان ما روعته ففعل فقلت يا عمر كل علامات النبوة قد
عرفتها في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم الا اثنتين وذكرهما ثم
وقد عرفتهما فاني اشهدك اني قد اسلمت وروى ابو داود ان
اعرابيا جاء اليه صلى الله عليه وسلم فجذب برداء وكان خشنا حتى
اثر في عنقه الشريف وقال له احملني على بعيري هذين فانك لا
تحملني من مالك ولا من مال ابيك فقال صلى الله عليه وسلم لا واستغفر
الله وكررها ثلاثا حتى تقيدني من جذبتك التي جذبتني كل ذلك
والاعرابي يقول لا اقيدكها ابدا ثم امر له بحمل بعير تمرا وبعير شعيرا
وروى البخاري ان رجلا استاذن عليه فلما راه قال بئس اخو العشيرة
وبئس ابن العشيرة فلما جلس اليه الان له القول وانبسط اليه فلما مضى
سألته عائشة رضي الله عنها عما قال وعما فعل فقال من عهدتيني و
العشيرة القبيلة وانبساطه اليه تالفه له لانه رئيس قومه وتعليم للامة
وفيه جواز المداراة اتقاء الشر وهي بذل الدنيا لصلاح الدين والدنيا

او هما بخلاف المداهنة فانها بذل الدين لصلاح الدنيا وهو صلى الله عليه وسلم
انما بذل له من دنياه حسن عشرته ولم يمدحه فكان قوله فيه حقا وفعله
معه حسن عشرة وهذا الرجل بين بعضهم انه عيينة بن حصن
الفزاري وقد كانت منه امور في حياة النبي صلى الله عليه وسلم وبعد
موته تدل على ضعف ايمانه بل ارتد في زمن الصديق رضي الله عنه
وحارب ثم اسلم في زمن عمر رضي الله عنه فما قاله صلى الله عليه وسلم فيه من
علامات النبوة ولا ينافي ما مر انه لم ينتقم لنفسه امره بقتل عقبة بن
ابي معيط وعبد الله بن خطل وغيرهما ممن كان يؤذيه صلى الله
عليه وسلم لانهم كانوا مع ذلك ينتهكون حرمات الله تعالى فاستحق
ايمانهم وغير ذلك ثم لما طمع في ايمان المنافقين امهلهم مع شدة ايذائهم
له بما لا يصبر عليه بشر وصبر على من اعلم بعدم ايمانه للمصلحة العامة
كما اشار لذلك صلى الله عليه وسلم بقوله لمن قال له اقتلهم لا يتحدث الناس
ان محمدا يقتل اصحابه وصح عن انس كان النبي صلى الله عليه وسلم
احسن الناس واجود الناس واشجع الناس وان اهل المدينة
فزعوا ليلة فخرجوا فراوه راجعا من جهة الصوت متقلدا سيفه
على فرس لابي طلحة فقال لهم لن تراعوا اما وابناء من باس وصانع
رسول الله صلى الله عليه وسلم ابطالا معروفين بانهم لا يقصرون عن عنهم
وفي البخاري عن البراء انه قيل له افررتم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
يوم حنين فقال لكن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يفر كانت هوازن رماة
وانا لما حملنا عليهم انكشفوا فاكببنا على الغنائم فاستقبلونا بالسهام
ولقد رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم على بغلته البيضاء وان ابا
سفيان بن الحرث اخذ بزمامها وهو يقول انا النبي لا كذب
انا ابن عبد المطلب وثباته حينئذ نهاية الشجاعة كيف وقد فر
جيشه عنه ولم يبق معه الا بضعة عشر رجلا فوقف في نحو الوف
مؤلفة على بغلة لا تصلح لكر ولا فر وهو مع ذلك يركضها الى
وجوههم وينوه باسمه ليعرفه من جهله وغير ذلك ثم قال الصحابة كنا اذا احمر
الباس اتقينا برسول الله صلى الله عليه وسلم اي جعلناه بيننا وبين العدو

وقتنا خلفه مجتمين به ولما قال اللعين ابن خلف يوم أحد اين محمد لا
نجوت ان نجا تناوله صلى الله عليه وسلم الحربة من الحارث بن الصمة وقال
لاصحابه بعد أن أرادوا التعرض له خلوا سبيلي فطعنه في عنقه
طعنة كان فيها اتلاف نفسه الخبيثة اللعينة ولا تستخفه اي تخرجه
عن ثباته وتواضعه ووقاره السراء اي الرخاء والسعة في الجيوش
والفتوح التي فتحها في اواخر حياته بل هو معها كهو قبلها لم يزدد
الا تواضعا وحلما وعفوا وصبرا ومن ثم لما دخل صلى الله عليه وسلم
مكة يوم الفتح في تلك الجيوش الهائلة التي لما رآها ابو سفيان
قال للعباس رضي الله عنه لقد اصبح ملك ابن اخيك ملكا عظيما
فقال له ويحك انه ليس بملك ولكنها نبوة قال نعم وهو على ناقته
القصواء في كتيبته الخضراء بين ابي بكر واسيد بن حضير جاء انه
وضع رأسه تواضعا لله لما رأى ما اكرمه الله تعالى به من الفتح حتى
ان رأسه ليكاد يمس رحله شكرا وخضوعا لعظمته ان احل له
بلده ولم يحله لاحد قبله وانما اتصف صلى الله عليه وسلم بهذه الكمالات
التي لم توجد في غيره لانه كرمت نفسه لانه تعالى لما اراد ايجاد
خلقه ابرز الحقيقة المحمدية من انواره الصمدية في حضرته الاحدية
ثم سلخ منها العوالم كلها علوها وسفلها على ما اقتضاه كمال
حكمه وسبق في ارادته وعلمه ثم اعلمه الله تعالى بكماله وبنبوته وبشره
بعموم دعوته ورسالته وبانه نبي الانبياء وواسطة جميع الاصفياء
وابوه آدم بين الروح والجسد بل ولا روح ولا جسد ثم انبجست
منه عيون الارواح فظهر بمدّ الها في عالمها المتقدم على عالم الاشباح
وكان هو الجنس العالي على جميع الاجناس والاب الاكبر لجميع
الموجودات والناس فهو وان تأخر وجود جسمه متميز على العوالم
كلها بر فعته وتقدمه اذ هو خزانة السر الصمداني ومحتد نفوذ الامداد
الرحماني فبسبب كرامة نفسه وتشريفها عن كل رذيلة ونقيصة
ما يخطر السوء على قلبه ولا الفحشاء كيف وقلبه قد طهره الله
بشق الملائكة المرات المتعددة عند تنقله في الاطوار المختلفة كما مر

بيانه والخراج ما فيه مما جبل عليه النوع الانساني مما يقتضي ذلك
ثم طهره وغسله وحشي من الحكم والعلوم ما لا يحيط به الا المانح به
عليه وذكر الفحشاء مع العلم بانتفائها بالاولى من انتفاء السوء
لانها السوء الذي جاوز حده لان المقام مقام اطناب
واذا تأملت ما آتاه الله تعالى لنبيه مما مر من تلك الكمالات
التي لا تحد ولا تعد علمت انه قد عظمت نعمة الاله عليه
تطلعت سائر الخلق عن ان يصل احد منهم الى مبادي غاياتها
ومقاصد نهاياتها فبسبب هذه العظمة المذكورة استقلت
لذكره اي عند وقت ذكرها انعم الله به عليه ونظيره اقم الصلوة
لذكري العظماء اي جميع ما انعم به عليهم لانهم اوتي غايات
الكمالات الباهرة التي لا يدرك شأوها مخلوق ولو عرضنها
على ذوي العقول الكاملة جميع النعم والفضائل التي اوتيها غيره
من المخلوقات لاستقلوها وعدوها دون كمالاته وقطعوا بان
ما عنده اعظم واجل وافخم واعدت ضمير ذكره وجعلت العظماء
على ما ذكرته لان المتن صريح في ذلك باعتبار انه فرع الاستقلال
على ما هو المتبادر منه عرفا الاحتقار للعظماء الشامل لبقية
الانبياء والمرسلين والملائكة المقربين لا سيما وقد استعمله
الناظم فيه بعد بيتين حيث قال مستقل دنياك ولا نظر مع
ذلك الى قول ذلك الايهام للمنع بان يقال استقلال الشيء
عده قليلا حتى في العرف ولا شك ان ما عداه صلى الله عليه وسلم
بالنسبة اليه كنسبة القليل الى الكثير فان قلت يلزم على
تسليم ذلك الايهام ان الاحتقار متبادر حتى على ما ذكرت
لان اضافة الاستقلال الى النعم توهم احتقارها وهو محذور
ايضا قلت ممنوع لان النعم الواصلة للعظيم وغيره توصف
بالقلة تارة والكثرة اخرى فلم يوهم ذكر الاستقلال فيها احتقارا
اصلا بخلاف الذوات فان وصفها بانها استقلت يوهم احتقارها
اذ لا يحتمل الاستقلال فيها الا هذا المعنى غالبا نعم قرينة

عظمة صح

ابن صح

لات

مداد

ل على عظم النعمة وجعل ذا من انى لي ل لم افعل ذلك لاوهم ذكر الاستقلال صح

رها

المقام لاسيما مع مراعاة وصفهم بالعظمة تدفع ذلك الايهام
كما هو جلى وبين عظمت والعظما تجنيس الاشتقاق وكان صلى
الله عليه وسلم من الحلم على عظم آذاه وزيادة الاحتمال لاعدائه و
فرط الحلم عليهم والاغضاء عنهم بالغاية التى لم يصل اليها غيره
ومن ثم جهلت قومه اى قريش وغيرهم عليه اذ آذوه أذًى لا
يطاق فضربوه وخنقوه واغروا به سفهاءهم وصغارهم فضربوه
ورجموه بالحجارة الى ان ادموا رجليه فسال منهما الدم على نعليه
وشجوا وجهه وكسروا رباعيته ورموه بالسحر والكهانة والجنون
وتواعدوا على قتله مرات وحصروا لاجله بنى هاشم وبنى المطلب
فى منعهم سنتين حتى كادوا ان يهلكوا من الجوع كما مر جميع ذلك
فى البخارى ومسلم من حديث عايشة رضى الله عنها انها قالت للنبى
صلى الله عليه وسلم هل اتى عليك يوم اشد من يوم أحد قال لقد
لقيت من قومك وكان اشد ما لقيت منهم يوم العقبة وذكر ما مر
من ذهابه الى ثقيف فاغروا به سفهاءهم وصبيانهم فضربوه ورجموه
فاغضى عنهم حلما وتكرما لاسيما وقد جاءه لما اشتد ايذاؤهم له ملك الجبال
كما رواه البخارى ومسلم من حديث عايشة السابق آنفا فانه قال
بعد ان ذكر ما آذاه به ثقيف لما خرج اليهم بعد موت ابى طالب
يدعوهم الى الله ويستنصر بهم على قريش فانطلقت وانا مهموم على
وجهى فلم استفق الا وانا بقرن الثعالب اى ميقات اهل الحجاز فرفعت
رأسى فاذا انا بسحابة قد اظلتنى فنظرت فاذا فيها جبريل فنادانى
فقال ان الله قد سمع قول قومك وما ردوا عليك وقد بعث اليك
ملك الجبال لتامره بما شئت فنادانى ملك الجبال فسلم على ثم قال
يا محمد ان الله قد سمع قول قومك وانا ملك الجبال وقد بعثنى ربك
اليك لتأمرنى بامرك ان شئت ان اطبق عليهم الاخشبين فقال
صلى الله عليه وسلم بل ارجو ان يخرج الله من اصلابهم من يعبد الله وحده
لا يشرك به شيئا فكان الامر كما رجى صلى الله عليه وسلم واخو الحلم
اى التأنى فى الامور وعدم الانتقام ممن اتى بمكروه وان عظم اى

الذى

الذى طبع عليه حتى صار غريزة له مختلطا بلحمه ودمه دأبه اى شانه
وعادته المستمر هو عليها الاغضاء اى التغافل عن ان يلتفت الى
اذى او ذى غضا فضلا عن ان ينتقم ممن آذاه وفى كلامه المقابلة لما
قررته ان المراد بالجهل لازمه من ايذائه بما لا يطاق ومن ثم لما
آذوه يوم احد بشج وجهه وكسر رباعيته قيل له ادع عليهم فقال
اللهم اغفر لقومى فانهم لا يعلمون اى علما ينتفعون به اما لجهلهم اى
اعتقادهم الشئ على خلاف ما هو عليه وكثير منهم كانوا كذلك
فكانوا يعتقدون حل ايذائه ومقاتلته غفلة عما لو التفتت قلوبهم
اليه ادنى التفاتة من معجزاته لعلموا الحق واتبعوه من فورهم واما
لعنادهم وهم الاكثرون قال تعالى وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم
ظلما وعلوا اى فنزل علمهم منزلة الجهل بل هو اضر منه كما لا يخفى ومنه
تعلم ان فى تعبير الناظم بالجهل تضمينا لجملة قوم لا يعلمون وان المراد د
بالحلم لازمه من عدم الانتقام وكذا بين الامساك والاعطاء
والتحقق والظن الآتيان وفيه ايضا جناس الاشتقاق بين
اغضى والاغضاء والتذييل بالمثل السائر واصل الاغضاء اطباق
العين عن رؤية المكروه فاستعير لما ذكر بجامع الاعراض عن
المكروه فيهما واذا كان اخو الحلم دأبه ذلك فكيف بنبينا صلى
الله عليه وسلم وهو الذى وصل من الحلم الى غاية لم يصل اليها مخلوق ق
لان الله تعالى هو الذى تولى تأديبه بنفسه وافاض عليه من حقايق
حلمه وقدسه حيث قال له خذ العفو وأمر بالعرف واعرض عن
الجاهلين وفسرها جبريل للنبى صلى الله عليه وسلم حين سأله فقال
يا محمد ان الله يأمرك ان تصل من قطعك وتعطى من حرمك وتعفو
عمن ظلمك وكل من اثر له حلم واحتمال عرفت له زلة او هفوة الا فى
الحلم الا نبينا صلى الله عليه وسلم فانه لا يزيد على كثرة الاذى الا
صبرا وعلى جهل الجاهلين وان بلغ الغاية الا حلما ولقد قالت
عايشة رضى الله عنها ما رأيته منتصرا من مظلمة ظلمها قط الا
ان تكون حرمة من محارم الله اى المتعلقة به تعالى كما مر ذلك

مستوفى في شرح قوله لا تحل البأساء منه عرى الصبر ومنه قصة الاعرابي
الذي جذبه بردائه حتى اثر في عنقه الشريف وقال له اعطني من مال
الله لا من مالك ومال ابيك فقال صلى الله عليه وسلم المال مال الله وانا
عبده ثم طلب منه القود فقال لا قال لم قال لانك لا تكافي بالسيئة
السيئة فضحك وامر له بحمل بعير بر وتمر وفي قصة اليهودي الذي
اسلم ان من علامات نبوته ان حلمه يسبق غضبه وانه لا تزيده
شدة الجهل عليه الا حلما ولما دخل في غزوة فتح مكة على قريش وقد
جلسوا في المسجد الحرام واصحابه ينتظرون امره فيهم من قتل او غيره
فقال لهم ما تظنون اني فاعل بكم قالوا خيرا اخ كريم وابن اخ
كريم فقال لا اقول لكما قال اخي يوسف لا تثريب عليكم اليوم اذهبوا
فانتم الطلقاء **وسع** بالكسر **العالمين** جمع عالم وللمحققين فيه
في الاية كلام منتشر لا باس بتلخيصه وتحريره هنا فهو مع اشتقا قه
من العلامة اسم لما يعلم به كالخاتم اسم لما يختم به مع كونه مشتقا
من الختم ثم غلب فيما يعلم به الخالق تعالى فصار اسما لكل ما سواه
تعالى من الجواهر والاعراض فانها لامكانها وافتقارها الى مؤثر وا جب
لذاته تدل على وجوده وجمع ليشمل ما تحته من الاجناس المختلفة
ولا يعارض ان المفرد هو العالم ادل على الشمول والاستغراق
اذ الجمع قد يحتمل غير الشمول لان الغرض هنا افادة ان له
اجناسا مختلفة كالجن والانس والملائكة والافلاك والدواب
والجماد وغير ذلك واستغراق جميعها بطريق المطابقة ولو قيل
العالم لاوهم استغراق بعض افراد تلك الاجناس فقط في اصحاب
حواشي الكشاف فهنا كلام متباين هذا احسنه وغلب في جمعه
بالواو والياء والنون العقلاء لشرفهم وجمع جمع قلة مع ان
الظاهر مستدع للاتيان بجمع الكثرة تنبيها على ان العالم و
ان كثرت قليلة في جنب عظمة الله وكبريائه وقيل العالم
اسم وضع لذوي العلم وهم الانس والملائكة والجن وتناوله
لغيرهم على سبيل الاستتباع فهو مشتق من العلم وقيل عني به الناس

فان

فان كل واحد منهم عالم من حيث انه يشتمل على نظائر ما في العالم
الكبير من الجواهر والاعراض التي يعلم بها الصانع ولذلك سوى
بين النظر فيهما فقال تعالى وفي انفسكم افلا تبصرون وقد بين حجة
الاسلام في كتابه الانتصار لما في الاحياء من الاسرار وجه اشتمال
الانسان على نظير ما في العالم بما فيه طول فراجعه فانه بديع
ومنه ان العالم انقسم الى عوالم عالم الملك وهو الظاهر للحواس
وعالم الملكوت وهو المدرك بالعقل وعالم الجبروت وهو
المتوسط الذي اخذ بطرف كل عالم منها والانسان كذلك فالمشار
به للاول اجزاء بدنه وللثاني نحو روحه وعقله وارادته و
للثالث الادراكات الموجودة بالحواس والقوى الموجودة
باجزاء البدن **علما** تمييز اي وسع علمه علوم العالمين الانس والملا ئكة
والجن لان الله اطلعه على العالم فعلم علم الاولين والاخرين
ما كان وما يكون كما مر وحسبك في ذلك القرآن الذي اوتيه و
مثله معه كما صح عنه وقد قال تعالى ما فرطنا في الكتاب من شيء
ويلزم من احاطته صلى الله عليه وسلم بالعلوم القرآنية ومثلها
الذي اوتيه ايضا انه احاط بعلوم الاولين والاخرين وان
علومهم مندرجة ومنغمرة في علومه صلى الله عليه وسلم وبينه و
بين ما قبله الجناس المضارع **وحلما** تمييز اي وسع حلمه حلم العالمين
باسرهم كما عرف مما سبق انه ما من حليم قط الا وقد عرفت له
زلة او هفوة تخدش في كمال حلمه الا نبينا صلى الله عليه وسلم فانه
لا تزيده شدة الايذاء له والجهل عليه الا حلما وعفوا وصفحا
فهو بسبب جمعه تلك المعالي التي لم تجتمع لغيره **بحر** اي واسع العلم و
الحلم وغيرهما من اخلاق نفسه الزكية وصفاتها العلية فهو تشبيه
بليغ واستعارة على قول لمن رده اي كالبحر الذي هو خلاف البر
والنهر سمي بحرا لاتساعه وعمقه **لم تعيه** من اعيا فلان في
مشيه اي تعب ووقف **الاعباء** جمع عبء بكسر اوله وبالموحدة
والهمز وهو الحمل والثقل من اي شيء كان اعلم نكتة بجنب علمه شك

ولا شبهة وبحرحلمه ايذاء ولاجهالة فاستعار الإعياء للكدورة
والاعياء للشبه والجهالات واذا انا أملت ما تقدم من اوصاف كماله
الباهرة وعصمته ونزاهته الظاهرة وانه البحر الذى اندرجت البحار
كلها فى يمّه والحليم الكريم الذى دخل كل كريم تحت حيطة كرمه وحلمه وحليم
علمت انه لعصمته عن التلفت لما سوى الله تعالى **مستقل** اى محتقر **دنياك**
اى الاموال التى هى من جملتها اذ هى فى الاصل اسم لما بين السماء والار ض
ان ينسب الانسان منها اليه وان ينسب اليه ايضا الاعطاء منها لانها
لفنائها وكثرة الاشتغال بها عن المعالى حقيقة بمزيد الاعراض عنها
وعدم الالتفات الى مساكنها واخراجها ولو استحقها احتقارا لشانها
وتعليما للامة عدم الاعتداد بها ودليل اعراضه صلى الله عليه وسلم عنها
اشدّ الاعراض خبر الترمذى انه صلى الله عليه وسلم قال عرض علىّ ربى ان يجعل عرض
لى بطحاء مكة ذهبا فقلت لا يا رب ولكن اشبع يوما واجوع يوما
فاذا جعت تضرعت اليك وذكرتك واذا شبعت شكرتك وحمدتك
وحكمة هذا التفصيل الاستلذاذ بخطابه تعالى والا فهو عالم بالاشياء
جملة وتفصيلا وروى الطبرانى باسناد حسن انه صلى الله عليه وسلم
كان هو وجبريل على الصفا فقال يا جبريل والذى بعثك بالحق
ما امسى لآل محمد سفة من دقيق ولا كف من سويق فلم يكن كلامه
باسرع من ان سمع هدة من السماء افزعته فقال صلى الله عليه وسلم
امر الله القيمة ان تقوم قال لا ولكن امر اسرافيل ان ينزل اليك حين
سمع كلامك فاتاه اسرافيل فقال ان الله سمع ما ذكرت فبعثنى
اليك بمفاتيح خزائن الارض وامرنى ان اعرض عليك اسير معك
جبال تهامة زمردا وياقوتا وذهبا وفضة فعلت فان شئت
نبيا ملكا وان شئت نبيا عبدا فاومأ اليه جبريل ان تواضع
فقال بل نبيا عبدا ثلاثا فانظر الى همته العلية كيف عرضت عليه
خزائن الارض فاعرض عنها واباها مع انه لو اخذها لم ينفقها
الا فى طاعة الله لكنه اختار العبودية المحضة فيا لها من همة شريفة
رفيعة ما اسناها ونفس زكية كريمة ما ابهاها وقد اشار الناظم

الى

الى ما هنا بقوله فى بردة المديح وراودته الجبال الشم من ذهب
الابيات الثلاثة ومعنى البيت الثالث كيف تدعو ضرورة سيد
المعصومين الى زخرف الدنيا وزينتها وهى وما فيها انما خلقت
لاجله كما صرح به الخبر السابق **تنبيه** قوله هنا مستقل
الى آخره احسن من قوله ثم واكدت زهده فيها ضرورته لان بعض
العلماء انكر وصفه صلى الله عليه وسلم بالزهد ويؤيده قول
محمد بن واسع وقد قيل له فلان زاهد فقال وما قدر الدنيا
حتى يزهد فيها واذا انكر وصفه بالزهد فالضرورة من باب
اولى وفى السيف المسلول للتقى السبكى عن الشفاء واقره ان فقهاء
الاندلس افتوا باراقة دم من وصفه صلى الله عليه وسلم فى اثناء
مناظرته باليتيم ثم زعم ان زهده لم يكن قصدا ولو قدر على
الطيبات كلها وذكر البدر الزركشى عن بعض الفقهاء المتاخرين
انه كان يقول لم يكن النبى صلى الله عليه وسلم فقيرا من المال قط
ولا حاله حال فقير بل كان اغنى الناس بالله قد كفى امر دنياه
فى نفسه وعياله وكان يقول فى قوله صلى الله عليه وسلم اللهم
احينى مسكينا ان المراد به استكانة القلب لا المسكنة التى هى ان
لا يجد ما يقع موقعا من كفايته وكان يشدد النكير على من
يعتقد خلاف ذلك انتهى واما خبر الفقر فخرى وبه افتخر
فموضوع وقد صح انه استعاذ من فتنة الفقر كما استعاذ من
فتنة الغنى **فائدة** مهمة اكثر القرآن مشتمل على ذم الدنيا
وصرف الخلق عنها ودعوتهم الى الآخرة بل هذا هو المقصود
بالذات من سائر الشرائع كيف وهى عدوة لله لقطعها طريق
الوصلة اليه ولذلك لم ينظر اليها مذ خلقها وعدوة لاوليائه
لانها تزينت لهم بزينتها حتى تجرعوا مرارة الصبر فى مقاطعتها
وعدوة لاعدائه لانها استدرجتهم بمكرها واقتنصتهم بشبكتها
حتى وثقوا بها فخذلتهم احوج ما كانوا اليها وروى جماعة
فى قصة ثعلبة بن ابى حاطب الذى انزل الله فيه ومنهم من عاهد الله

لئن اتانا من فضله لنصدقن الآيات انه سأل رسول الله صلى الله
عليه وسلم ان يدعو له بان الله يرزقه مالا فقال له قليل تؤدى شكره
خير من كثير لا تطيقه فاعاد السؤال فقال له صلى الله عليه وسلم اما لك
فى اسوة اما ترضى ان تكون مثل نبى الله اما والذى نفسى بيده لو
شئت ان تسير الجبال معى ذهبا لسارت الحديث بطوله وصح انه
صلى الله عليه وسلم رأى شاة ميتة فقال والذى نفسى بيده للدنيا
اهون على الله عز وجل من هذه الشاة على اهلها ولو كانت الدنيا
تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافرا منها شربة ماء وفى
الخبر الحسن الدنيا ملعونة ملعون ما فيها الا ذكر الله وما والاه وعالم
او متعلم وصح ان ابا بكر رضى الله عنه دعا بشراب فاتى بماء وعسل
فبكى حتى ابكى اصحابه ثم بكى ومسح عينيه فسألوه فقال كنت مع
رسول الله صلى الله عليه وسلم فرأيته يدفع عن نفسه شيئا ولم ار معه
احدا فقلت يا رسول الله ما الذى تدفع عن نفسك قال هذه الدنيا
مثلت لى فقلت لها اليك عنى ثم رجعت فقالت انك ان افلت منى
لم يفلت منى من بعدك وصح من جملة الحديث المشهور فوالله ما الفقر
اخشى عليكم ولكن اخشى عليكم ان تبسط عليكم الدنيا كما بسطت على
من كان قبلكم فتنافسوها كما تنافسوها وتهلككم كما اهلكتهم ∴

تنبيهات اولها المراد بالدنيا المذمومة فى الاحاديث
وغيرها ما فى قوله تعالى زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين
الآية ويجمع ذلك كل ما لك فيه عاجل حظ او شهوة من غير ان يعين
على عمل الآخرة ولا يقصد به ثانيها تعارضت الاحاديث فى ذم
المال ومدحه لانه تعالى مع ما سبق من ذم الدنيا سمى المال خيرا
وفى الحديث نعم المال الصالح للمرء الصالح وكل ما جاء فى ثواب الصدقة
والضيافة والاحسان والزكوة والحج ونحوها فهو ثناء على المال لانه
يتوصل به اليه وفى حديث البيهقى وغيره كاد الفقر ان يكون كفرا
وهو ثناء على المال وصح على نزاع فيه ولذلك قال بعض الحفاظ انه
حسن وزعم بطلانه غلط صريح خبر اللهم من آمن بى وصدقنى

على

وعلم ان ما جئت به الحق من عندك فاقلل ماله وولده وحبب اليه
لقاءك وعجل له القضاء ومن لم يؤمن بى ولم يصدقنى ولم يعلم
ان ما جئت به الحق من عندك فاكثر ماله وولده واطل عمره قد ورد من طرق
كثيرة مختلفة منها وهى صحيحة على شرط الشيخين ان اباذر اتى
النبى صلى الله عليه وسلم فقال انى احبكم اهل البيت فقال له النبى
صلى الله عليه وسلم الله قال الله قال فاعد للفقر تجفافا فان الفقر
اسرع الى من يحبنا من السيل من اعلى الاكمة الى اسفلها مع دعائه صلى
الله عليه وسلم لخادمه انس بان الله يكثر ماله وولده رواه الشيخان
ووجه الجمع ان المدعو به فى الاول من قلة المال والولد المراد منه
قلة فتنتهما لان الغالب فيهما الفتن كما هو واضح من الآيات و
الاحاديث وفى الثانى من كثرتهما المراد به كثرة فوائدهما وثمراتهما
الاخروية فالمال ليس خيرا محضا من كل وجه ولا شرا محضا من وجه
وانما هو كالسيف فى يد القاتل يقتل به معصوما تارة ومهدرا
اخرى وكحية فى يد انسان فيها سم وترياق لكن سمها اكثر واغلب
واوحى للنفوس واذهب واذا تأملت ايضا ما تقرر من كمالاته
العلية علمت انه شمس سماء العلوم والكمالات باسرها كيف
وكل فضل تحلى به كامل فانما هو بواسطة استمداده من فضله
واذا كان الامر كذلك تحقق من حق بمعنى ثبت الظن يعنى الاعتقاد
الجازم المطابق للواقع فيه اى فى ذاته وصفاته انه بالنسبة
الى بقية الكمل فى اشراقه ورفعته عليهم الشمس المشرقة على هذا
العالم الثابتة بعيني رفعة فلا يصل اليها احد منهم وانه الضياء
المفيض عليهم اضواء الكمالات وخوارق الامدادات وبين
الشمس والضياء تجنيس مراعاة النظير وفيهما التشبيه البليغ
او الاستعارة الاصلية المطلقة على القول الذى مر رده ومر
اوائل الكتاب ما للبلغاء فى التشبيه بالشمس فراجعه لكن ليس
كون المشبه به اعلى من المشبه امرا مطردا بل قد ينعكس الحال كما فى
صلاة التشهد كما صليت على ابرهيم على احد الاجوبة فيه وما هنا من

ذلك كما تنبه الناظم رحمه الله لذلك حيث بين انه صلى الله عليه وسلم
اعلى شانا في الضياء من الشمس فقال عاطفا بفاء السببية اشعارا
بالنكتة التي ذكرنا انه تنبه لها **ف**بسبب ان المشبه قد يكون اعلى
من المشبه به كان شانه صلى الله عليه وسلم **اذا ما** لم يتكلم الجمال بن هشام
على هذه في المغني مع انها في القرآن في غير موضع وتكلم على اذ ما مع
كونها ليست فيه وتكلم على تلك ايضا السبكي في عروس الافراح في ادوا ت
الشرط لكنه لم يتعرض الى ان زيادة ما لحوقها الى الحرفية اولا قال
الجلال السيوطي يحتمل ان يجري فيها قولا اذ ما قول سيبويه انها حرف
وغيره انها باقية على الظرفية ويحتمل ان يجزم ببقائها على الظرفية
لانها ابعد عن التركيب بخلاف اذ ما انتهى وفي ما علل به الجزم نظر
لانه قابل المنع فالذي يتجه جريان الخلاف وان الاصح بقاؤها
على الظرفية لان ما تزاد في نحو ذلك كثيرا وحينئذ فيجري فيها
احكام اذا غير الفجائية من ان الغالب انها ظرف للمستقبل متضمنة
معنى الشرط وتختص بالجمل الفعلية ولو مقدرة كاذا السماء انشقت
وتحتاج لجواب وتقع في الابتداء عكس الفجائية وجوابها اما فعل
كما هنا او جملة اسمية مقرونة بالفاء او باذا الفجائية نحو اذا هم
يستبشرون او فعلية طلبية كذلك وقد يقدر الجواب لدلالة
السياق او المقام عليه ثم المحققون على ان ناصبها شرطها فالاكثر ون
على انه ما في جوابها من فعل او شبهه ولا تخرج عن الظرفية عند الجمهور
وزعم الاخفش في حتى اذا جاؤها انها مجرورة بحتى وابن جني
في اذا وقعت الواقعة بناء على نصب خافضة رافعة ان اذا
الاولى مبتدأ والثانية خبر والمنصوبان حالان وكذا ليس
ومعمولاها نعم قد تخرج عن الاستقبال فترد للحال نحو والليل
اذا يغشى وللماضي نحو واذا راوا تجارة الآية فانها نزلت بعد
الرؤية والانفضاض وعن الشرطية نحو واذا ما غضبوا هم يغفرون
فهي ظرف لخبر المبتدأ وزعم انها جوابها بتقدير فهم غفلة عن ان حذف
الفاء ضرورة وان هم تاكيد للواو في يغفرون الذي هو جوابها تعسف

وان

وان جوابها محذوف تكلف بلا ضرورة وقد تستعمل لاستمرار الازمنة
نحو واذا قاموا الى الصلوة قاموا كسالى وقد ينظر فيه بان الاستمرار
هنا وفي نظائره التي استدلوا بها انما اخذ من قرينة السياق دون
موضوع اذا وتفارق ان في احكام كثيرة منها ان اذا للمتيقن
والمظنون الكثير الوقوع كما هنا في اذا ما وان للمشكوك او
الموهوم النادر ولا يرد نحو ولئن متم لان الموت لكثرة الغفلة
عنه والجهل بوقته نزل منزلة الموهوم ولا نحو واذا مس الانسا ن
الضر لانه لتخويفهم واخبارهم بانه لا بد ان يمسهم شيء من العذاب
ضحا اي مشى عقب طلوع الشمس وهذا ليس لتقييد الجزاء به اذ محو
نوره الظل يكون في هذا الوقت وغيره لكنه في هذا الوقت
اظهر لقوة ضياء الشمس ومحو نورها حينئذ **محا نوره** وبين
هذا وضحا التجنيس اللاحق وهذا والضحا تجنيس الاشتقاق ٭
الظل مفعول اي ظل ذاته الكريمة او مطلق الظل مبالغة بل
حقيقة لان نوره صلى الله عليه وسلم اصل كل نور وهو لا يبقى
معه ظلمة ومنها الظل والمراد بالظل كل ضلالة ونقص و
بنوره ما جاء به صلى الله عليه وسلم من الكتاب والسنة والعلوم و
الآداب **و**الحال انه **قد اثبت الظلال** جمع ظل وهو ما تنسخه
الشمس وينسخها هو واخص منه الفيء لانه اسم لما بعد الزوال
من الظل فهو ما نسخ الشمس وقيل كل ما نسخته فهو فيء وظل
وكل ما لم تنسخه فهو ظل لا فيء **الضحاء** اي ارتفاع الشمس ومده
لضرورة النظم فنبينا صلى الله عليه وسلم اكمل من الشمس رفعة وضوءا
لان نورها يثبت الظل ونور نبينا يمحوه ويدل على المعنى الاول
ان من خصايصه صلى الله عليه وسلم انه اذا مشى في الشمس لا يظهر
له ظل لطهارة ذاته ويصح عن كل بعض ولان الله تعالى استجاب
له دعاءه المشهور انه يجعله كله نورا فكان بدنه في غاية الاضاء ة
التي لا تحجب ما يقابلها قيل مد الضحاء لضرورة النظم انتهى ٭
وفيه نظر بل الذي في القاموس ان الممدود ما قرب من انتصاف

النهار كما مر ثم ذكر ان المقصور الشمس وحينئذ ان اريد بالضحاء
الشمس كان مده ضرورة او قرب انتصاف النهار كان مده
صحيحا لا ضرورة فيه تنبيه كان تستشكل تركيب قوله
شمس فضل الى آخره بان حمله عليه بانه شمس الفضل يغني عن
قوله تحقق الظن الى آخره لانه اذا اثبت اولا انه شمس الفضل
الذي هو اسم لكل كمال علم انه الشمس في الرفعة وانه الضياء
فقوله تحقق الى آخره لا حاجة اليه وجوابه ما اشرت اليه
في حله من ان جملة تحقق الظن فيه حال مؤكدة لما قبلها او صاحب
الحال الضمير العائد عليه اذ مستقل وشمس فضل معطوف
على بحر بحذف حرف العطف او مقدر الكل مبتدأ استينافا
لتعدد شمائله صلى الله عليه وسلم اشارة الى ان كلا مستقل كامل
في ذاته لتضمنه للبقية كما مر في شرح قوله كل وصف له ابتدأت
الى آخره ولما ورد على ظاهر ما قرره ان نوره يمحو الظل ما سبق
له صلى الله عليه وسلم ان الغمامة كانت تظله بان يقال كيف يمحو
نوره الظل والغمامة اظلته فلم يمح نوره ظل الغمامة ولم يحتاج [اليه]
مع انه الضياء الاعظم من ضياء الشمس اشار الى جواب ذلك
لكن بما قد تقصر عنه عبارته ببادي الرأي فقال في بسبب محو
نوره الظل الحسي على ما مر صار صلى الله عليه وسلم هو الظل المعنوي
الاعظم على جميع اتباعه حتى كان كانت الغمامة لما اظلته قبل
النبوة ارهاصا وتأسيسا لما سيصير اليه امره اعلمته بانها [استودعته]
الامة باسرها لكن اصحابه وهم الدفقاء ومن بعدهم بواسطة
استمداد الاولين من ظله وامدادهم لمن بعدهم من ذلك الظل
بالدين بواسطتهم من اي الذين اظلت هم من بعض ظله
الاعظم الدفقاء جمع داف كعلماء جمع عالم وهم جيوش سمي
الجيوش بذلك لانهم يدفون نحو العدو اي يسيرون اليه لدفعه
واستيصاله وحاصل الجواب ان ذلك التظليل الذي كان
قبل النبوة كان لحكمتين احداهما الارهاص كما تقرر وثانيهما

اعلامه صلى الله عليه وسلم بما سيؤول اليه امره من ان الله سيجعل
له امة اكثر الامم وانهم قرون متفاوتون وان كل قرن مستمد
من القرن الذي قبله وان الكل مستمدون وممدون من ظله
فسائر القرون مستمدون وممدون من اصحابه واصحابه
مستمدون من ظله وممدون من ظله وحينئذ فلا تنافي
بين محو نوره الظل وبقاء الظل مع نوره عند تظليل
الغمام له لان المحو هو الاصل المستمر والبقاء انما كان على
خلاف الاصل لحكمتين المذكورتين احداهما الارهاص
والثانية الاعلام له بعموم ظله المعنوي على الامة من اولهم
الى آخرهم فتأمل ذلك فانه مهم بل انغلق معنى هذا البيت
على الشارح فقال انه وجد هذا البيت في نسخة وانه غير
مفهوم المعنى بسبب انغلاقه عليه جعله الضمير المفعول
في استودعته للظل لا يقال بل مما قاله من رجوعه للظل
يتضح به المعنى لكن ان جعلنا الدفقاء الطيور يكون في
البيت حينئذ التلميح الى القصة هي ان الطيور كانت
تظل الانبياء قبله كداود وسليمان بل بني اسرائيل ظللنا
عليهم الغمام وحينئذ فكانه يقول الغمامة لما اظلته
استودعته الظل الانبياء الذين اظلتهم الطيور من ظله
لانا نقول هذا المعنى لا يطابق اللفظ سلمناه مع ما فيه
من البعد والتكلف فوزن دفقاء فعلاء وهو انما يكون
جمعا لفعيل اذا كان وصف مذكر عاقل بشروط اخرى او لما
دل على سجية حمد او ذم بشروط كشجاع وشجعاء وصالح [اخرى مع]
وصلحاء وشاعر وشعراء وجاهل وجهلاء فعلم انه لا يصح
حمله على الطيور اصلا لانه انما يكون جمعا لصفة عاقل
مذكر او سجية حمد او ذم بشرطهما على ان الذي سمع في الطير
دفوف في العقاب وفعلاء لا يجمع عليه اصلا ودا في
فيما يطير بجناحيه ولا يصف وهو وصف لغير عاقل

ودفيف وهو ليس وصفا للطائر بل للحركة بتسليم انه وصف لم
هو غير عاقل فان قلت المعنى الصحيح ان الغمامة لما اظلته
استودعت الظل الطيور التى اظلت الانبياء من ظله فهلا يحمل
النظم عليه قلت يعارضه ما تقرر فى قاعدة جمع فعلاء وتسليمه
تجوزا فى الجمع فالنظم ينبو عن هذا المعنى بكل وجه كما هو واضح •
فان قلت ظاهر كلام الناظم فى البردة انه احتاج لتظليل الغمامة
ليقيه حر الشمس فينافى ما مر ان تظليلها للحكمتين السابقتين
قلت ما افهمه كلامه لم يعارضه ان تظليلها لم يكن الا قبل
النبوة ارهاصا كما مر ولو كان لما ذكره لكان بعد النبوة ايضا
فان قلت قد ظلل عليه صلى الله عليه وسلم عند رمى الجمرة بثوب فهو
يشعر بالاحتياج قلت هذا من ضرورة الجبلة البشرية وما
نحن فيه من حيث الحقيقة والامور الاصلية فتامله وايضا فهو صلى
الله عليه وسلم برز للشمس فى عرفة ولم يظلل اشارة الى ان السنة
للمحرم ان يبرز للشمس وظلل عند الرمى اشارة الى انه لا يسن
البروز للشمس هنا كذا ذكروه وعليه فلا اشكال اصلا ومرت
قصة تظليل الغمامة ورواياتها فى شرح قوله • واتاها ان الغمامة
والسرح اظلته منهما افياء • واذا تقرر ان كل فضل مستمد من فضله
وان نوره يمحو الظل على ما سبق فى معناه علم انه قد خفيت
عنده اى بجنب ما اوتيه الفضائل التى اوتيها غيره من الانس
والملائكة والجن وانه قد انجابت اى انكشفت به اى بسبب
ما بثه فينا من علومه وآدابه واخلاقه عن عقولنا معشر امة
الاجابة والعقل لغة المنع واصطلاحا غريزة يتبعها العلم
بالضروريات عند سلامة الآلات وفيه خلاف طويل اشار اليه
فى القاموس وعبارته العقل العلم بصفات الانسان حسنها
وقبيحها وكمالها ونقصانها او العلم بخير الخيرين وشر الشرين
او يطلق لامور لقوة بها يكون التمييز بين القبيح والحسن
ولمعان مجتمعة فى الذهن تكون بمقدمات تستتب بها الاغراض

والمصالح او لهيئة محمودة للانسان فى حركاته وكلامه والحق
انه نور روحانى به تدرك النفس العلوم الضرورية والنظرية
وابتداء وجوده عند اجتنان الولد ثم لا يزال ينمو الى ان يكمل
عند البلوغ انتهت الاهواء اى الضلالات والنقايص فلم
نقع فى ورطة شئ منها كما وقع فيها من اعرض عن الهدى وسلك
سبيل الردى ثم استدل على ذلك الخفاء والكشف الهوى بما افاده
الاستفهام الانكارى فقال على طريق اللف والنشر المرتب
ايوجد مع الصبح للنجوم تجل ام يوجد مع الشمس للظلام بقاء
اى انما خفيت الفضائل عنده لانه الفجر الصادق وغيره من ساير
الكمل كالنجوم فكما ان النجوم لا يبقى لها نور مع الفجر فكذلك ساير
الكمل وانما كشفت عن عقولنا الاهواء لانه الشمس كما مر والاهوية
والنقايص كالظلام فكما ان الظلام لا يبقى مع الشمس فكذلك
الاهوية والضلالات لا تبقى مع اشراق الشمس من غير حائل بينهما
وبين ما اشرقت عليه وبين الصبح والنجوم والشمس والظلام
تجنيس التقابل وفى البيت الكلام الجامع ولما قرر ما يتعلق بقوله
شمس فضل بما بعده الى هنا لانه مناسب له عطف بحذف حرفه
واستانف نظير ما مر فقال معجز القول لان الله تعالى امتن عليه
بجوامع الكلم التى اوتيها دون غيره ومن ثم قال بعض العلماء ان
كلامه معجز كالقرآن وكان الناظم رحمه الله اعتمد هذا القول
حيث عبر بما يوافقه وان احتمل ان يريد ما يوافق مذهب
الاكثرين ان كلامه غير معجز ومعجز الفعال فلا يقدر مخلوق
ان يوجد فعلا مطابقا لساير المصالح الظاهرة والباطنة فى
ذلك الوقت الذى اوجد فيه ذلك الفعل غيره صلى الله عليه وسلم
وهذه هى مرتبة وارث الحضرة الالهية التى لا يدخل احد اليها الا
باذنه كريم الخلق كما يعلم مما قدمته مبسوطا فى شرح قوله فتنزه
فى ذاته وكريم الخلق بضم اوله كما مر مبسوطا فى شرح قوله ما سوى الى آخره ع
خلقه النسيم وبين القول والفعل والخلق والخلق تجنيس التقابل

مع تجنيس التحريف في الثاني **مقسط** اي عادل في احكامه واقواله
وافعاله فلا يصدر منه شيء قط الا على غاية العدل باطنا وظاهرا
باتفاق كل من رآه وعلم احواله حتى اعدائه ومما روي ان
قريشا لما بنوا الكعبة والنبي معهم قبل النبوة فوصلوا الى موضع الحجر
الاسود اختلفوا فيمن يضعه في محله ثم اجمعوا على انهم يحكمون اول
داخل المسجد فكان النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا هذا الامين فحكموه
فامر بوضعه بثوب وامر كل رئيس قبيلة ان يمسك بطرف الثوب
ثم يرفعوه ففعلوا الى ان بلغوا به محله فاخذه صلى الله عليه وسلم ووضعه
في محله وصح ان رجلا قال وهو يقسم اعدل فقال ويلك فمن يعدل
ان لم اعدل لخبت وخسرت ان لم اعدل وكان يقول ابلغوا حاجة
من لا يستطيع ابلاغي فانه من ابلغ حاجة من لا يستطيع ابلاغها امنه الله
يوم الفزع الاكبر وكان لا يؤاخذ احدا بقول احد ولا يصدق
احدا في احد **معطاء** اي كثير العطاء الذي يعجز عن ادناه الملوك
فقد صح عن انس كان صلى الله عليه وسلم احسن الناس واشجع الناس
واجود الناس واقتصاره على هذه الثلاثة من جوامع الكلم التي
منحها من امداده صلى الله عليه وسلم لانها امهات الاخلاق اذ في
كل انسان ثلاث قوى الغضبية وكمالها الشجاعة والشهوانية و
كمالها الجود والعقلية وكمالها اكتساب الفضائل واجتناب الرذائل
وصح عنه ايضا ما سئل صلى الله عليه وسلم شيئا الا اعطاه فجاءه رجل
فاعطاه غنما بين جبلين فرجع الى قومه فقال اسلموا فان محمدا
يعطي عطاء من لا يخاف الفقر واعطى صفوان بن امية يوم حنين
حتى اسلم اعطاه مائة من الغنم ثم مائة ثم مائة وصح عن جابر
ما سئل صلى الله عليه وسلم عن شيء قط فقال لا اي لا ينطق بالرد
بل ان كان عنده المسؤول وساغ الاعطاء بان لم يرضوا ما عنده
لما هو اهم اعطاه والا سكت كما في حديث مرسل فحينئذ لا ينافي
الحديث الآية قلت لا اجد ما احملكم عليه فهو لا يقولها منعا للعطاء
بل اعتذارا حيث لا ينفع السكوت لنحو جهل السائل وفي حديث الترمذي

انه

انه حمل اليه سبعون الف درهم فقام اليها فما رد سائلا حتى
فرغ منها وقال لسائل ما عندي شيء ولكن ابتع علي فاذا جاءنا
شيء قضيناه فقال له عمر ما كلفك الله ما لا تقدر فكره منه ذلك
فقال انصاري انفق يا رسول الله ولا تخف من ذي العرش اقلالا
فتبسم صلى الله عليه وسلم وعرف البشر في وجهه وقال بهذا امرت
وقوم ما اعطاه يوم حنين فكان خمسمائة الف الف قيل هذا نهاية
الجود الذي ما سمع لاحد مثله وصح انه اتى بمال من البحرين فامر بصبه
في المسجد وكان اكثر مال اتي به صلى الله عليه وسلم وفي رواية مرسلة
كان مائة الف فخرج الى الصلوة فلم يلتفت اليه ثم بعدها جلس اليه
ففرقه ومع هذا الجود الواسع الذائع كان صلى الله عليه وسلم يعيش
عيش الفقراء ويأتي عليه الشهران لا يوقد في بيته نار وربما ربط
الحجر على بطنه الشريف من شدة الجوع وجاءه سبي فسألته فاطمة
في خادم يكفيها مؤنة بيتها فامرها ان تستعين بالتسبيح والتكبير
والحمد وقال لا اعطيك وادع اهل الصفة تطوى بطونهم من الجوع
فاذا علمت اتصافه صلى الله عليه وسلم بهذه الاوصاف الجليلة التي
لم يوجد مثلها ولا ما يقاربها في مخلوق غيره علمت ان من الواجب
على كل من عرف ذلك ان يقول لمن لم يعرف حق معرفته **لا تقس**
من قست الشيء بغيره قدرته على مثاله اي لا تشبه **بالنبي** الموصوف
بما ذكر وهو نبينا صلى الله عليه وسلم **في الفضل** الجامع لتلك الصفات
بل ولا في كل وصف منها على حدته لان كل وصف من اوصافه
وصل فيه الى غاية لم يلحقه فيها مخلوق **خلقا** نبيا او ملكا او غيرهما
اي لا تعتقد ان مخلوقا يساويه او يقاربه في وصف من اوصاف
كماله لما مر اول الكتاب في شرح قوله لم يساووك في علاك الى اخره
فهو لا غيره **البحر** الجامع لكل وصف من اوصاف الكمال البالغ النهاية
فيه **والانام** هو كما في القاموس كسحاب والآنام بالمد والانيم
كامير الخلق والجن والانس او جميع ما على وجه الارض انتهى
والمراد هنا الاول بدليل قوله الآتي في العالمين **اضاء** بالكسر والمد

جمع أضاة كقناة وهي الغدير وتجمع ايضا على أضًا كقناً وشتان
ما بين البحر والغدير ففيه مراعاة النظير وكيف لا وكل فضل
وجد في العالمين الانس والملائكة والجن فهو كائن من فضل
ذلك النبي الاكرم على رتبة من سائر الانبياء والمرسلين والملائكة
المقربين وبين فضل والفضلاء تجنيس الاشتقاق استعارة
حال من ضمير الظرف المستقر الفضلاء لانه الممد لهم اذ هو الوارث
للحضرة الالهية والمستمد منها بلا واسطة دون غيره فانه لا
يستمد منه الا بواسطة فلا يصل منها الكامل شيء الا وهو من
بعض مدده وعلى يديه فآيات كل نبي انما هي مقتبسة من نوره
لانه كالشمس وهم كالكواكب فهي غير مضيئة بذاتها وانما هي
مستمدة من نوره الفائض ومدده الواسع افلا ترى ان ظهور
خلافة آدم واحاطته بالاسماء كلها انما هو مستمد من جوامع الكلم
المخصوص به نبينا صلى الله عليه وسلم ثم توالت الخلائق الى زمن
بروز جسمه فلما كان كالشمس اندرج في نوره كل نور وانطوى
تحت منشور آياته كل آية لغيره من الانبياء فلم يعط احد منهم كرامة
او فضيلة الا وقد اعطي مثلها او اعظم منها كما سبره الائمة وصحح
ومنه ان آدم لما اعطي خلق الله تعالى بيده اعطي نبينا انه شق
صدره وملأه ذلك الخلق النبوي فتولد من آدم الخلق الجسمي ومن
نبينا الخلق النبوي ولذا كان هو المقصود من خلق آدم ومن ثم
لم يكن سجود الملائكة الا للنور محمد الذي في جبهة آدم كما قاله
الفخر الرازي وادريس لما اعطي المكان العلي اعطي نبينا الافق
الاعظم ونوح لما نجا هو وقومه اعطي نبينا ان الله لم يهلك امته
بعذاب عام ووقع في تفسير الرازي انه اعطي مكان السفينة انه
دعا بحجر وهو على شط ماء فانقلع وسبح الى ان جاء اليه وشهد
له بالرسالة وابرهيم لما نجا من النار نجا نبينا من نار الحرب اطفأها
الله وروى النسائي انه احترق جلد طفل كله فمسحه صلى الله عليه وسلم
فصار صحيحا ولما اعطي مقام الخلة اعطي نبينا ذلك وزاد بمقام المحبة

الارفع

الارفع من كل مقام ومن ثم يقول ابرهيم في الموقف لما يسأل في
الشفاعة العظمى انما كنت خليلا من وراء وراء ولما اعطي بناء
الكعبة اعطي نبينا وضع الحجر الذي هو روحها في محله لما بنته
قريش ولما اعطي موسى قلب العصا حية اعطي نبينا حنين الجذع
الذي هو ابهر واغرب وذكر الرازي ان ابا جهل راد ان يرميه
بحجر فرأى على كتفه ثعبانين فانصرف مرعوبا واليد البيضاء التي
بياضها يغشي البصر اعطي نبينا انه كان عنده عباد بن بشر
واسيد بن حضير ليلا فخرجا وبيد كل عصا فاضاء لهما عصا احدهما
فمشيا في ضوءها فلما افترقا اضاءت عصا الآخر صححه الحاكم واخرج
البخاري في تاريخه والبيهقي وابو نعيم عن حمزة الاسلمي قال كنا مع
النبي صلى الله عليه وسلم فتفرقنا في ليلة ظلماء فاضاءت اصابعي حتى
جمعوا عليها ظهرهم وما هلك منهم وان اصابعي لتنير وانفلاق
البحر اعطي نبينا انشقاق القمر الذي هو ابهر لانه تصرف في العالم
العلوي على انه نقل ان بين السماء والارض بحرا يسمى المكفوف
وبحر الارض بالنسبة اليه كقطرة من البحر المحيط فعليه يكون انفرق
لنبينا صلى الله عليه وسلم ليلة الاسراء وتفجير الماء من الحجر
اعطي نبينا تفجيره من بين اصابعه وهو ابلغ لان الحجر من جنس
الارض التي ينبع منها الماء والكلام نبينا مثله ليلة الاسراء
وزيادة الدنو والرؤية بعين البصر وشتان ما بين جبل الطور
الذي نوجي موسى عليه وما فوق العرش الذي نوجي نبينا
عليه وهرون الفصاحة اعطي نبينا ابلغ منها وابهر على انها
في العبرانية والعربية افصح منها ومن ثم لم تكن فصاحته معجزة
بخلاف فصاحة نبينا فانها معجزة عند بعضهم وكذا عند الكل
لكن بالنسبة لما اشتملت عليه من الاخبار بالمغيبات ولم يتحدث
نبي بها الا نبينا ولقد قال له بعض اصحابه ما رأينا الذي هو
افصح منك فقال وما يمنعني وانما نزل القرآن بلسان عربي مبين
ويوسف شطر الحسن وتأويل الرؤيا اعطي نبينا الحسن كله كما

في الحديث وعبر عن المرائي فوقعت كما عبر مما لا يدخله الحصر تعبير
يوسف انما كان في ثلاث مرائي كما في سورته وداود تليين الحديد
أعطي نبينا ان العود اليابس اخضر بين يديه وان شاة ام معبد
درت ببركته ولم تلد قط كما مر وسليمان كلام الطير أعطي
نبينا انه كلمه الحجر وسبح في كفه الحصا وكلمه ذراع الشاة المسمومة
والضب وشكا اليه البعير والريح التي غدوها شهر ورواحها
شهر أعطي نبينا البراق وهو اسرع من الريح بل من البرق الخاطف
فحمله من الفرش الى العرش في لحظة واحدة واقل مسافة ذلك سبعة
آلاف سنة وما فوق العرش الى المستوى والرفرف لا يعلمه الا الله
تعالى وايضا الريح سخرت لسليمان لتحمله لنواحي الارض ونبينا
صلى الله عليه وسلم زويت له الارض اي جمعت حتى رأى مشارقها
ومغاربها وفرق بين من يسعى الى الارض ومن تسعى له الارض
وتسخير الجن أعطي نبينا ان الله مكنه من شيطان تفلت عليه في
صلاته فاراد ان يربطه بسارية وسخر له الجن حتى اسلموا ولم يسخروا
لسليمان الا في العمل وعد الطيور من جملة جنوده اعجب منه
حمامة الغار وعنكبوته بل هذا اعجب لان فيه الحماية من العدد
الكثير بالشيء القليل وعيسى ابراء الاكمه والابرص واحياء
الموتى أعطي نبينا رد العين الى محلها بعد ما سقطت فعادت
احسن ما كانت وذكر الرازي انه صلى الله عليه وسلم مسح برصى
فشفيت والبيهقي ان رجلا قال لا او من بك حتى تحيي لي ابنتي
فاتى قبرها فخاطبها فاجابته وتسبيح الحصا وحنين الجذع ابلغ
من تكليم الموتى لان هذا من جنس من يتكلم وبالجملة فقد اوتي صلى
الله عليه وسلم مثلهم وزاد بخصايص لا تحصى اعلاما بانه الممد لهم
دائما وفيه تجنيس الاشتقاق وعدل عن استعارة ليصفهم بالفضل
اي انهم مع كونهم فضلاء كاملين على بقية العالم انما يستمدون
من محمد صلى الله عليه وسلم لا على وجه الاصالة والاستقلال بل
على وجه الاستعارة المستحقة الرد اذا اراده المعير ولم لا

يكون كذلك وقد شق عن صدره وفي نسخة عن قلبه وكل منهما
صحيح لانه شق صدره اولا ثم قلبه المرة بعد المرة الى ان تكرر
ذلك الشق اربع مرات وخمسا مبالغة في التطهير والتخليص
من الاغيار ولم يحصل لاحد من الكمل نظير ذلك ولا ما يقاربه
وقد مر الكلام على ذلك مستوفى في بحث رضاعه صلى الله عليه وسلم
فراجعه فانه نفيس وشق له اعلاء لجلاله البدر اي القمر بمكة قبل
الهجرة بنحو خمس سنين لما كذبه كفار مكة وبالغوا في عناده
فطلبوا منه آية يريها اياهم تدل على صدقه وهي ان يشق لهم
القمر نصفين رتبة فانشق له كذلك كما نص عليه القرآن وتواترت
به الاحاديث كما حققه التاج السبكي وغيره واجمع عليه المفسرون
واهل السنة إعلاما بصدقه في دعواه الرسالة والوحدانية
لله تعالى وان ما يعبدونه باطل لا يضر ولا ينفع ولم يقع انشقاق ق
القمر لغيره صلى الله عليه وسلم وهو من امهات معجزاته لا يكاد يعدلها
شيء من آيات الانبياء لظهوره في ملكوت السموات خارجا عن
جملة طباع ما في هذا العالم المركب من الطباع فلم يطمع لاحد في
الوصول اليه بحيلة وفي روايات ما يوهم تعدد الانشقاق
مرتين وظاهر كلام بعضهم حكاية الاجماع عليه لكن رد بان
احدا من ائمة الحديث لم يجزم بذلك وبان من قال مرتين اراد فر قتين
كما في روايات او فلقتين كما في اخرى وفي روايات ان فرقة كانت
فوق جبل حراء واخرى كانت اسفله وفي رواية انه كان بمكة المراد
منها ان ذلك كان وهو بمكة قبل الهجرة فلا دليل فيه على انه صلى الله
عليه وسلم كان بمكة ليلتين وفي رواية لاحمد فصار فرقتين فرقة
على هذا الجبل وفرقة على هذا الجبل وفي روايات انه قال لهم
اشهدوا فقالوا سحرنا محمد ثم اتفقوا على ان يسألوا السفار فجاؤا
من كل جانب واخبروا به فقال بعضهم لبعض لا يستطيع محمد ان
يسحر الناس كلهم وانكار جمهور الفلاسفة ومن وافقهم من المبتدعة
ذلك مبني على انكارهم خرق الاجرام العلوية والتئامها وذكر من جملة

كفرهم وتعوّلهم بمقتضى عقولهم معاندين للشرايع فيما وردت به
واما قول بعض الملاحدة لو وقع هذا لنُقل متواترا واشترك أهل الارض
كلهم في معرفته ولم يختص بها اهل مكة لتوفر الدواعي على نقل
العجايب فهو من تهوّراته لانّ ما قاله انما يتوجه لو كان نهارا او
اول الليل والناس مستيقظون اما اذا وقع لحظة والناس الا
الفذّ قد ناموا ومن لم ينم لم ينظر للسماء فلا يلزم ما ذكره بوجه
على انّ الاجماع الموافق للقرآن والسنة لا يخدش فيه مثل
هذه التخيلات الفاسدة وكان هذا لم يسمع بما هو الواقع البديهي
انّ الكسوف قد يدركه اهل قطر دون قطر آخر وما قيل انّ
القمر دخل في جيبه صلى الله عليه وسلم وخرج من كمّه باطل لا اصل له
تنبيه البدر القمر ليلة اربعة عشر وظاهر تعبير الناظم
به دون القمر انّ الشق كان ليلة اربعة عشر ولم ار له في ذلك
سلفا ولعله اراد بالبدر مطلق القمر سمي بذلك لانه يبادر
الشمس بالطلوع كانه يعجلها المغيب قبل اتمامه ويناسب
هذه المعجزة ردّ الشمس له صلى الله عليه وسلم بعدما غابت حقيقة
لما نام صلى الله عليه وسلم ورأسه في حجر علي بالصهباء قرب خيبر
حتى غابت ولم يمكنه ايقاظه لاحتمال انه يوحى اليه فلما استيقظ
سأله أصلى العصر قال لا فدعا الله ان يردّها عليه لانه كان في
طاعة الله ورسوله فردّت ليصلي العصر اداء اكرامة له صلى الله
عليه وسلم وهذا الحديث اختلف في صحته جماعة بل جزم بعضهم
بوضعه وصححه آخرون وهو الحق وقولُ اسماء في الرواية الصحيحة
فرأيت الشمس بعدما غربت حتى وقعت على الجبال وعلى الارض
وقام علي فتوضأ وصلى العصر ثم غابت ردّ لزعم انها انما وقفت
ولم تردّ وزعم ان حركتها انما ابطأت فقط وفي رواية سندها حسن
امر صلى الله عليه وسلم الشمس فتأخرت ساعة من نهار ومرّ انها ردّت
عليه بعد الاسراء لما اخبرهم بعيرهم ولا يعارض ذلك كله الحديث
الصحيح لم تحبس الشمس على احد الا ليوشع بن نون حين قاتل الجبابرة

يوم الجمعة فلما ادبرت الشمس خاف ان تغيب قبل ان يفرغ منهم
ويدخل السبت فلا يحل له قتالهم فيه فدعا الله فردّ عليه الشمس حتى
فرغ من قتالهم وذلك لانّ المراد على احد غيري على انّ كثيرين او الا كثرين
من الاصوليين انّ المتكلم لا يدخل في عموم كلامه وروي حبسها
يوم الخندق حين شُغل عن صلوة العصر وذكر البغوي في
تفسير رُدّوها عليّ انها حبست لسليمان صلى الله عليه وسلم ورُدّ
بانّ المراد الصافنات لانها المذكورة دون الشمس وبين شق
وشُق الجناس التام وهو ان يتفق اللفظان حروفا وعددا و
هيئة ومنه قوله تعالى ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا
غير ساعة واعترض بانّ الساعة في الموضعين بمعنى واحد وشرطه
اختلاف المعنى وان لا يكون احدهما حقيقة والآخر مجازا الحقيقتين
وزمان الساعة وان طال لكنه عند الله في حكم الساعة الواحدة فاطلاق
الساعة على القيمة مجاز وعلى الآخر حقيقة وذلك يخرج الكلام عن
التجنيس كما لو قلت ركبت حمارا ولقيت حمارا يعني بليدا انتهى
فان قلت هذا يأتي هنا لانّ الشق في الموضعين بمعنى
واحد وبتسليم الاختلاف فهو في احدهما حقيقة وفي الآخر مجاز
قلت يمكن ان يقال انه فيهما مختلف وحقيقي اذ شق الاجرام
الجمادية غير شق الاجرام الحيوانية من حيث الصورة والآلة وايضا
فشق القمر شق جرمه كله وشق الصدر ازالة غشاوة لا غير
وكفى بهذا اختلافا ثم المتبادر من كل منهما انه حقيقي كما لا يخفى
قيل ليس في القرآن من الجناس التام غير هذه الآية واستدرك
عليه شيخ الاسلام ابن حجر بآية يكاد سنا برقه يذهب بالابصار
فانه استعمل الابصار اولا بمعنى العيون وثانيا بمعنى البصائر
وقد ينظر فيه بانّ استعمال الابصار في البصائر مجازي وقد
تقرر انه لا يكفي وقد يجاب بادعاء انه حقيقة عرفية وعلى كل
فاقول في القرآن آية اخرى اظهر من تينك وهي يلوون ألسنتهم
بالكتاب لتحسبوه من الكتاب فالاول ما كتبوه بايديهم المذكورة في

فويل للذين يكتبون الكتاب بايديهم والثاني التوراة والانجيل و
الثالث الجنس الشامل لكتب اسكلها اي ما هو شيئ من كتب الله فان قلت
هذا اعم من الثاني فليس مغايرا له من كل وجه قلت بل يسمى
مغايرا لحقيقة كما صرحوا به وعلى التنزل وان هذا التغاير
لا يكفي هنا فيكفي التغاير بين اللفظين الاولين فيتحقق الجناس
التام فيهما فان قلت لم لم يعد وامنا ان النفس بالنفس الى آخره .
قلت كانه لكون هنا مميزا يمنع تمام التجنيس وهو الباء الدالة
على المقابلة فتأمله فان قلت لم اكتفوا في التورية بكون احدهما
مجازا لا هنا قلت لوضوح الفرق اذ مبنى التورية على قصد المعنى
البعيد والمجاز قد يكون كذلك ولا كذلك الجناس التام فلم يكف فيه
كون احدهما مجازا ومن ثم اقر بعض المحققين بشرط كونهما حقيقتين
وعليه يحتمل ان يقال لا بد ان يكون كل حقيقة في الشرع او في العرف
او في اللغة فلا يكفي كون احدهما حقيقة شرعية والآخر حقيقة
لغوية مثلا لان هذين كالحقيقة والمجاز وقد تقرر انهما لا
يكفيان ويحتمل ان يقال يكفي ذلك ويؤيده اطباقهم على الاكثر فيهما
الجناس التام مع ان حقيقة الساعة لغة او عرفا او شرعا شيئ
واحد وانما الاختلاف من حيث انها في مطلق الزمن حقيقة لغوية
وفي القيمة حقيقة شرعية وهذا الثاني اقرب ومما يؤيد اشترا ط
كونهما حقيقتين انه ما من لفظ غالبا او دائما الا وله حقيقة
ومجاز فلو قلنا بانه يكفي كون احدهما مجازا لزم وجود التجنيس
في غالب الالفاظ او كلها وهو بعيد جدا وكذا ان تأخذ من قولهم
ليس في القرآن جناس تام الا ما مر مع ما فيه من نحو النفس بالنفس
الذين قال لهم الناس ان الناس الحر بالحر ونحو ذلك ان شرط الجناس
التام ان لا يكون في اللفظ قرينة ظاهرة تدل على مغايرة معنى
اللفظ المتحد وهو متجه لانه مع فهم التغاير ليس فيه تعمية اصلا ومبنى
الجناس التام انما هو التعمية على السامع ما امكن نظير التورية
ولم ار لاحد من اهل البديع في هذا البحث ما يشفي فتأمله .

فان قلت ما ذكر في شق من الاختلاف انما هو بالنظر المتعلق الشيئين
دون موضوعهما وذلك لا يكفي قلت هذا وان كان ظاهر
كلامهم لا يمنع من ان يلحق به اختلافهما من حيث المتعلق اذ انا قضت
به صورتهما وانما شق له القمر لانه شق عن صدره حتى اخرج قلبه
ثم شق وطهر فجوزي على ذلك اذ من شرط كل شرط وقع في البدء
لغرض مقصود ان يكون له جزاء من بر من مرض وغيره فكذا
هنا لما روع صلى الله عليه وسلم بشق قلبه المرة بعد المرة وبما حصل
له من الخوف والتألم جوزي على ذلك بجزاء عظيم مشابه لنفي الصورة
هو شق القمر الذي هو اظهر معجزاته وابهرها بعد القرآن وفي
كلامه الجناس التام بين شرط وشرط اذ هما مختلفان معنى و
حقيقتان ولا يقدح فيه كون الاول حقيقة نحوية والثاني
حقيقة عرفية على ان الاول يحتمل ان يكون بمعنى العلامة فيكو ن
مع كون الثاني بمعنى الجرح كل منهما حقيقة لغوية فجاء التجنيس
التام اتفاقا وبفرض ان احدهما مجاز يكون فيه التورية او حقيقة
ايضا ولكنه يمهد فيهما من اللفظ يكون فيه الجناس التام و
التورية ومر الكلام فيهما مستوفى اذ الشرط المراد به في الاول
ما علق بحصوله حصول شيئ آخر يسمى جزاء وفي الثاني شق
الجلد واللحم والجزاء فيه تورية ايضا اذ هو يطلق على الجزاء
النحوي والجزاء العرفي وهو المجازاة على صنع وقع منه ومنه
جزيته وجازيته بما صنع جزاء ومجازاة ومن معجزاته صلى
الله عليه وسلم ايضا انه في غزوة بدر وغزوة حنين رمى اعداء ه
بالحصا فاقصد اي اصاب فاهلك فعلى القاموس اقصد السهم
اصاب فقتل مكانه جيشا عظيما كانوا تألبوا عليه حتى ظن ظان
انهم لا يبقون احدا من المسلمين وبيان ذلك انه لما التقى الجمعان
يوم بدر تناول صلى الله عليه وسلم كفا من الحصا فرمى به في وجوههم
وقال شاهت الوجوه اي قبحت وانهزمت فلم يبق مشرك مع كثرتهم
وقلة ذلك الا دخل في عينيه ومنخريه منها شيئ فانهزموا فقتل الله... من قتل منهم

الحصا

من صناديد قريش وأسر من أسر من اشرافهم قال عبد الرحمن
ابن زيد بن اسلم في قوله تعالى وما رميت اذ رميت ولكن الله
رمى قال هذا يوم بدر اخذ صلى الله عليه وسلم ثلاث حصيات
فرمى بحصاة في ميمنة القوم وبحصاة في ميسرة القوم وبحصاة
بين اظهرهم وقال شاهت الوجوه فانهزموا وكذا ذكره
غير واحد انها نزلت في رميه يوم بدر وان كان رمى في غيره
ولاهل الجبر في هذه الآية غلط لا بأس بذكره ثم رده قالوا
فيها سلب فعل النبي صلى الله عليه وسلم عنه واضافته الى ربه وهو عين
الجبر وابطال نسبة افعال العباد اليهم وليس كما زعموا والا
لزمهم ان لا تكليف ولا عقاب ومرها في الآية ان تلك الرمية
من البشر لما لم تبلغ هذا المبلغ كان منه صلى الله عليه وسلم مبدؤها
وهو الحذف ومن الرب تعالى نهايتها وهو الايصال فاضاف
اليه رمي الحذف الذي هو مبدؤه ونفى عنه رمي الايصال
الذي هو نهايته ونظير هذا في الآية نفسها فلم تقتلوهم
ولكن الله قتلهم فاخبر تعالى انه المنفرد بالتأثير وان غيره
ليس منه الا اسباب تظهر للناس مثل رميهم بالحصا يوم الاحزاب
وفيه نظر وانما الذي نقل انه صلى الله عليه وسلم لما بلغت القلوب
الحناجر دعا عليهم فقال اللهم منزل الكتاب سريع الحساب اهزم
الاحزاب اللهم اهزمهم وزلزلهم فارسل الله عليهم الريح
فرمتهم بالحصا وسفت عليهم التراب وقلعت اوتاد خيامهم
فسقطت وكفأت قدورهم وسمعوا في ارجاء معسكرهم التكبير
وقعقعة السلاح فارتحلوا خائبين آيسين ومن ثم اخبر صلى الله عليه وسلم
انهم لا يغزونهم بعد اليوم فكان كذلك ولما التقى الجمعان
يوم حنين استقبل المسلمين من هوازن ما لم يروا مثله في
السواد والكثرة فحملوا حملة واحدة فانهزم المسلمون ولم يبق
معه صلى الله عليه وسلم يومئذ الا اناس قليلون من اهل بيته
العباس وابي سفيان بن الحرث وعلي والفضل واصحابه ابي بكر

وعمر والآخرين رضي الله عنهم فامر صلى الله عليه وسلم ان ينادي
في الناس ليرجعوا فلما سمعوا نداءه اقبلوا كانهم الابل اذا حنت
على اولادها يقولون يا لبيك يا لبيك فاقتتلوا مع الكفار و
اشتد القتال حتى قال صلى الله عليه وسلم حمي الوطيس وهو التنور
يخبز فيه اي اشتد حر الحرب حتى اشبهت التنور وحينئذ تناول
صلى الله عليه وسلم حصيات من الارض ثم قال شاهت الوجوه ورمى
بها في وجوه المشركين فما خلق الله منهم انسانا الا ملأ عينيه من
تلك القبضة وفي رواية لمسلم قبضة من تراب والجمع انه يحتمل انه رمى
بكل مرة او انها قبضة واحدة لكنها مختلطة وفي رواية عند احمد
وغيره ان المسلمين لما ولوا قال صلى الله عليه وسلم يا عبيد الله
انا عبد الله ورسوله ثم اقتحم عن فرسه واخذ كفا من تراب فضرب
وجوههم وقال شاهت الوجوه فلم يبق منهم احد الا امتلأت
عيناه وفمه ترابا ولاحمد والحاكم عن ابن مسعود فحادت به
بغلته فقلت ارتفع رفعك الله فقال ناولني كفا من تراب فضرب
وجوههم وامتلأت اعينهم ترابا وجاء المهاجرون والانصار
سيوفهم بايمانهم كانها الشهب فولى المشركون الادبار واذ قد
علمت ما ترتب على رميه صلى الله عليه وسلم بالحصا من تشتيت جمعهم
وافتراق شملهم وهزيمتهم آن لك ان تقول لمن قال لك ان القاء
موسى لعصاه والسحرة لحبالهم وعصيهم يعادل الرمي بالحصا
لا تقل ذلك **ما** استفهام انكاري **العصا** التي القاها موسى على
حبال سحرة فرعون وعصيهم حتى ابتلعت ذلك **عنده** اي الحصا
المرمي **وما الالقاء** لتلك العصا على تلك الحبال والعصي الذي
فعله سحرة فرعون اي لا يقاس معجزة نبينا صلى الله عليه وسلم في القاء
ذلك الحصا بمعجزة موسى صلى الله عليه وسلم في القائه عصاه على
ما ذكر لان معجزة نبينا اظهر وابهر اذ القاء موسى لعصاه
حاكى القاء السحرة لحبالهم وعصيهم ومعجزة نبينا لم تحاك قط
ووصول تلك الحصيات القليلة الجميع ذلك الجيش الذي

هو الوف مؤلفة حتى هزمهم عن آخرهم وشتت شملهم ابهر من قلب
العصا ثعبانا وابتلاعها لتلك الحبال العرحيث انها مع ذلك لم
تقهر العدو ولا شتتت شمله بل زاد بعدها طغيانه وعتوه
على موسى وقومه وجانس بين الحصا والعصا وتفنن بين رمى
والالقاء. تنبيه اكثر معجزات بنى اسرائيل كانت حسية
لبلادتهم وعمى ابصارهم واكثر معجزات هذه الامة عقلية
لفرط ذكائهم وكمال افهامهم ولان هذه الشريعة لما كانت
باقية على صفحات الدهر الى يوم القيمة خصت بالمعجزة العقلية
الباقية ليراها ذووا البصائر كما قال صلى الله عليه وسلم فى حديث
البخارى ما من الانبياء نبى الا اعطى ما مثله آمن عليه البشر وانما
كان الذى اوتيته وحيا اوحاه الله الى فارجوا وفى معناه
قولان غير متنافيين اذ يرجع حاصلهما الى ان المراد ان معجزات
الانبياء انقرضت بانقراض اعصارهم مع كونها حسية تشاهد
بالابصار كعصا موسى وناقة صالح فلم يشاهدها الا من حضرها
ومعجزة القرآن تشاهد بالبصيرة وتستمر الى القيمة لا يمر عصر
الا ويظهر فيه شئ اخبر بانه سيكون فكان من يتبعه لاجلها
اكثر اذ ما يدرك بالعقل يشاهده كل من جاء بعد الاول ومن
معجزاته ايضا انه دعا للانام مر تفسيره لكن المراد به هنا
غير ثم اذ هم هنا اهل المدينة وعرضا هاهم اذ اى وقت او
لاجل ان دهمتهم اى غشيتهم سنة من اجل محولها متعلق بما
بعده اى شدة جدبها وقحطها شهباء اى لا خضرة فيها ولا مطر
والسنة زمن الجدب والمحل ومطلق الزمن المخصوص فعلى
الاول شهباء تاكيد وعلى الثانى تأسيس وسبب دعائه ما فى
الصحيحين ان الناس اصابتهم سنة على عهده صلى الله عليه وسلم
فقام اعرابى وهو صلى الله عليه وسلم يخطب يوم الجمعة فقال
يا رسول الله هلك المال وجاع العيال فادع الله لنا فرفع
يديه وليس فى السماء قطعة سحاب فما وضعها حتى صار
السحاب امثال الجبال فلم ينزل حتى اصابه المطر واستمر الى الجمعة

الاخرى فقام ذلك الاعرابى او غيره فقال يا رسول الله تهدم
البناء وغرق المال فادع الله لنا فرفع يديه فقال اللهم حوالينا
ولا علينا فاقلعت السحاب وخرجوا يمشون فى الشمس وسال
وادى قناة شهرا ولم يجئ احد من ناحية الا حدث بالجود وهو
بفتح الجيم المطر الواسع الغزير ف بسبب دعائه استهلت
بالغيث اى صبت المطر بشدة سبعة ايام كوامل لما علمت
انه من خطبة الجمعة الى خطبة الجمعة الاخرى بالغاء الكسر عليهم
سحابة فاعل استهلت وطفاء اى مسترخية الجوانب لكثرة
مائها حال كونها تتحرى اى تقصد تلك السحابة بمائها و
اسناد ذلك اليها مجاز نظير ما يأتى فى جدارا يريد ان ينقض
الا ان يريد الملائكة الموكلين بها مواضع الرعى اى الكلاء
الذى يرعى ومواضع السقى التى يجمع الماء فيها ليشرب
منها البهايم وفى الرعى والسقى مراعاة النظير والسقى والسقاء
تجنيس شبه الاشتقاق وتتحرى ايضا حيث العطاش اى
مواضعهم التى يوهى بالبناء للمفعول اى يخرق السقاء منهم
فيها اى ان تلك السحابة عمت جميع الاماكن بمائها حتى انها
تتحرى الامكنة المعطشة التى تتخرق اسقية العطاش فيها
فيحتاجون الى الغدران للشرب منها وهذا اظهر واولى
مما سلكه الشارح كما يعرف بتأملهما لا يقال مواضع تشمل
مواضع الشرب فلا يحتاج لقوله وحيث الى آخره لانا نقول قرينة
السقى بالرعى تصرفه الى سقى البهايم فاحتاج فى افادة عمومها الى
التصريح بمواضع شرب العطاش ايضا قال الشارح ايضا وفى
قوله وحيث العطاش الخ اقتباس المثل وهو قولهم خل سبيل من
وهى سقاؤه ومن هريق فى الفلاة ماؤه يضرب لمن لا يستقيم
امره فضرب به المثل هنا فى المحل والجدب انتهى ملخصا وفيه نظر
لبعد معنى المثل مما نحن فيه الا بتكلف لما تقرر ان مراد الناظم
ما دلت عليه عبارته من ذلك النص على عموم ذلك الغيث لجميع الاماكن

ولما استمرت عليهم سبعة ايام وكادت ان تهلكهم اتى الناس اليه صلى الله عليه وسلم وهو على المنبر كحال اليوم سألوه ان يدعو بما يشتكون اذاها اى تلك السحابة اى الماء النازل منها لقطعه السبل وتعطيله المعاش وتخريبه البيوت وذكر الناس مع ان الشاكى واحد لان ما به بهم فكان الكل شاكين بلسان الحال فلذا اسند الى الكل ونظيره قوله تعالى الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم اذ المراد بالناس الاول واحد كما هنا ورخاء اى سعة من المطر يؤذى الانام غلاء اى شدة عظيمة واصله ارتفاع السعر المؤدى الى الشدة وبين اذاها ويؤذى جناس الاشتقاق والرخاء والغلاء جناس التضاد فبسبب ان هذا الرخاء الذى المقتضى منه حياة النفوس انتقل الى ضده وهو اهلاكها دعا صلى الله عليه وسلم ربه ان يكشفه عنهم فانجلى الغمام اى السحاب عقب دعائه وخرجوا يمشون فى الشمس كما مر واذا تقرر هذا فقل ايها العالم بهذه الواقعة ما شئت من الكلام الدال على التعجب فتعجب فى وصف غيث اقلاعه اى انكشافه استسقاء اى ذو استسقاء على خلاف المتعارف اذ الاستسقاء غالبا انما يكون لطلب وجوده لا لطلب رفعه وبهذا يندفع قول الشارح الاحسن ان الاستسقاء بمعنى السقى لانه يلزمه فوات هذه النكتة التى هى سبب التعجب ثم بعد ذلك الغيث الواسع النافع ببركة دعائه صلى الله عليه وسلم اثرى الثرى اى كثر المطر الواقع عليه حتى كثرت فوائد التراب لكثرة انباته الزرع والثمار المؤدية الى كثرة الاموال من اثرى الرجل كثر ماله فبسبب هذه الكثرة قرت اى فرحت واطمأنت من اقر الله عينه اى اعطاه حتى لا تطمح عينه الى من هو فوقه عيون لاهل المدينة بسبب ما زال عنهم من الكرب وحصل لهم من الخصب وبسبب عمارة قراها اى العيون او المدينة وبلادها بتلك الفوائد الكثيرة بعد خرابها واحييت بعد ما حصل لها من الجدب والشدة ما صيرها

كالموتى

كالموتى من احياه الله فحيى بالفك وحى بالادغام وهو الاكثر احياء جمع حى اى قبائل العرب بواسطة احياء نفوسها ومواشيها وفيه تجنيس الاشتقاق فى اثرى الثرى وقرت قراها واحييت احياء فترى انت لو شاهدت تلك الواقعة الارض عقبه اى عقب ذلك الغيث المتولد عنه ما يدهش الابصار من النبات والزهور كسماء حال ان جعلت ترى بصرية وهو الظاهر او مفعول ثان ان جعلت علمية اشرقت اى التمعت من اجل نجومها الظلماء ففيه تجوز اذ الاشراق انما يستعمل للنور ووجه الشبه ما حصل من الارض باصابة الغيث والسماء من النجوم من زوال الظلمة الحقيقية فى السماء والمجازية فى الارض وبين الارض والسماء والاشراق والظلمة الطباق وتراها ايضا تخجل اى تحير وتدهش الدر اى اللؤلؤ واليواقيت وهى فارسى معرب واسناد الخجل اليهما مجازا وهو على حذف مضاف اى اهلهما بمعنى ان من بايديهم تلك الجواهر يشاهدونها ليلا ونهارا لا يملكون نفوسهم عن رؤية تلك الازهار الغريبة والاعشاب العجيبة من نور بفتح النون اى زهر وهو بيان لفاعل تخجل الآتى رباها بضم الراء اى الجبال المرتفعة منها وخصت لان ما بها انضر وابهى من بقيتها البيضاء راجع للدر والحمراء راجع لليواقيت اى تخجل نورها الابيض الدر ونورها الاحمر اليواقيت ففيه اللف والنشر المرتب ومراعاة النظير بذكر المعدنين والتقابل بذكر الضدين ويسمى التدبيج لانه الوان وما تقرر ان الناظم انما اراد القصة المذكورة التى كانت بالمدينة وصحت بها الاحاديث هو الظاهر ويجوز ان يريد بها ايضا ما وقع بمكة على ما ورد ان قريشا لما ابطأوا عن الاسلام ودعا عليهم صلى الله عليه وسلم بالقحط فاخذتهم سنة حتى هلكوا فيها واكلوا الميتة والعظام جاء ابو سفيان فقال يا محمد جئت تأمر بصلة الرحم وان قومك هلكوا فادع الله

فدعا فسقوا الغيث فاطبق عليهم سبعا فشكا الناس كثرة المطر
فسأل الله رفعه ولما ذكر من صفاته صلى الله عليه وسلم الباهرة ما
يُشوّق كل سامع لشيء منها الى رؤيته وجهه الكريم تمنى ذلك
فقال ليته هي كلمة تمنٍّ ما لا طمع في حصوله او ما فيه عسرٌ خصّني
برؤية وجه اي ليتني ادركت زمنه لاكون من اصحابه اذ هم
افضل من جميع من جاء بعدهم عند الاكثرين وذهب ابن عبد
البر الى انه يمكن ان يكون فيمن بعدهم من هو افضل من بعضهم
للخبر الحسن بل قيل انه يرتقي الى درجة الصحة مَثَلُ امتي مثل
المطر لا يُدرى أوله خير ام آخره والخبر الحسن ايضا ليدركن
المسيح اقواما انهم لمثلكم او خيرٌ ثلاثا وفي حديث ابي داود
والترمذي يأتي ايام للعامل فيهن اجر خمسين قيل منهم او منا
قال منكم ويجاب عن الاول باحتمال انه قبل ان يعلم افضلية
اصحابه ثم لما علمها صرح بها بقوله لو انفق احدكم مِلْءَ الارض
ذهبا لم يبلغ مُدّ احدهم ولا نصيفه وبقوله خير القرون
قرني وعن الثاني بان اوْ فيه تحتمل ذلك ايضا وعن الثالث
بانهم صرحوا بان مجرد زيادة الثواب لا يقتضي الافضلية
على ان فضيلة الصحبة لا يُعادِلها عمل ومن ثم لما سئل ابن
المبارك عن عمر بن عبد العزيز ومعاوية رضي الله عنهما
ايهما افضل قال الغبار الذي دخل في انف فرس معاوية
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم خير من مائة مثل عمر بن عبد
العزيز واشار بعضهم الى ان محل الخلاف في صحابي لم يحصل
له الا مجرد الرؤية واما من زاد على ذلك بنحو رواية او غزو
فلا نزاع فيه او ليتني اراه في الموقف وعلى الحوض وفي الجنة
شافعا نافعا او ليتني اراه في النوم لِاخباره صلى الله عليه وسلم
في الاحاديث الصحيحة بان من رآه فيه رآه حقا وان الشيطان
لا يتمثل بصورته ولا يتشبه بها وبان من رآه فيه فقد رآه
في اليقظة اي كانه رآه في اليقظة لما تقرر ان الشيطان لا يتشبه

به فهو وان تمكن من التصور باي صورة اراد لم يتمكن من التصور
بصورة نبينا صلى الله عليه وسلم مطلقا وقال جمع ان رُئي بصورته
التي كان عليها وقال بعضهم ان رُئي بصفته التي قبض عليها
حتى عددِ شيبه وصحح هذا عن ابن سيرين وعن ابن عباس
رضي الله عنهما ما يُفهمه وفي حديث ضعيف اني أُرى في كل صورة
وصحح النووي وغيره انه يُرى حقيقةً ولو على غير صفته
قال ابن العربي وغيره لكن رؤيته على غير صفته مثال
فرؤيته مقبلا او بصورة حسنة كاملة تدل على خير وعكسه
بعكسه وقال عياض في رواية مسلم من رآني فسيراني في اليقظة
يحتمل ان المراد رؤيته على صفة موجبة لرؤيته في الآخرة
على نوع مخصوص من قربه منه او شفاعتِه له وفي هذا اقوال
اُخر كثيرة وقال الغزالي في رؤيته على صفته ليس المراد رؤية
ذاته حقيقة بل مثالٍ يحكيها على التحقيق كما في رؤية الله تعالى
اذ لا صورة له تُرى بل من قسطها من نور او غيره او ليتني اراه
في يقظتي بناء على امكان ذلك وهو ما حكاه ابن ابي جمرة
والبارزي واليافعي وغيرهم عن جماعة من التابعين ومن
بعدهم انهم رأوه في المنام فرأوه بعد ذلك في اليقظة و
سألوه عن اشياء غيبيةٍ فاخبرهم فكانت كما اخبر قال ابن
ابي جمرة وهذه من جملة كرامات الاولياء فيلزم منكرها الوقوع
في ورطةِ انكار كراماتهم وفي منقذ الغزالي ان ارباب القلوب
في يقظتهم يشاهدون الملائكة وارواح الانبياء ويسمعون
منهم اصواتا ويقتبسون منهم فوائد وقال البدر حسين
الاهدل وقوعها للاولياء تواترت باجناسها الاخبار
وصار العلم بذلك قويا انتفى عنه الشك وما تواترت عليه
اخبارهم لم يبق فيه شبهة ثم اخذ يُبطل ذلك ويُفسده ويُعظم
النكير على مجوزه بما لا حجة فيه ومما يُبطل جميع ما ذكر فيه
وجاوز فيه الحد ان من المعلوم انه صلى الله عليه وسلم حي في قبره وانه

لا يراه في اليقظة الرؤية النافعة الاولى وانه لا يبعد ان من
اكرم برؤيته ان يكرم بازالة الحجب بينه وبينه فهو صلى الله عليه وسلم
مع كونه في قبره يراه الاولياء في اليقظة في قبره ويجاد ثونه
وان بعدت ديارهم واختلفت مراتبهم في الحالة الواحدة ولا
يلزم من وقوع ذلك لهم على جهة الكرامة الباهرة انهم اصحابه لان
الصحبة انقطعت بموته صلى الله عليه وسلم واذا كان من رآه
بعد موته وقبل دفنه غير صحابي فهؤلاء كذلك بالاولى فاندفع
قول فتح البارى هذا مشكل جدا ولو حمل على ظاهره كانوا صحابة
انتهى ومما يؤيد ان الناظم يحتمل انه اراد ذلك انه تلميذ القطب
ابى العباس المرسى فهو الذى حلت عليه بركته حتى وصل الى النظم
البالغ الذروة العليا والقطب وارث القطب الاكبر ابى
الحسن الشاذلى وكل منهما حفظت عنه رؤية النبى صلى الله
عليه وسلم يقظة بل قال ابو الحسن لو حجب عنى النبى صلى الله عليه
وسلم طرفة عين ما عددت نفسى مسلما والقطب على من القطب محمد
ابن ابى الوفا وهما من جملة المنتسبين الى القطب الشاذلى ومن ثم
قالوا طريقة الوفائية خلاصة طريقة الشاذلية ممن حفظت
عنه رؤية النبى صلى الله عليه وسلم يقظة مرارا لا سيما عند قبر
والده بالقرافة كما هو مسطور فى كراماته فكون الناظم منسوبا
لهؤلاء الواقعة لهم الرؤية يقظة يقرب انه سأل فى وقوع ذلك له
كما وقع لهم ولقد كان شيخى وشيخ والدى الشمس محمد بن ابى
الحمائل يرى النبى صلى الله عليه وسلم يقظة كثيرا حتى يقع له انه
يسأل فى الشيء فيقول حتى اعرضه على النبى صلى الله عليه وسلم ثم يدخل
رأسه فى جيب قميصه ثم يقول قال النبى صلى الله عليه وسلم فيه
كذا فيكون كما اخبر لا تتخلف ذلك ابدا فاحذر من انكار ذلك	ايضاح
فانه السم الموحى **زال** اى تحول فزال هنا تامة لا ناقصة **عن كل**
من رآه مؤمنا فى حياته او بعد موته فى يقظة الرائى لان ذلك
لا يقع الا لاكابر الاولياء او فى النوم على صفته التى كان عليها

لما مر ان ذلك يدل على الخير ورؤيته المخصوصة فى الآخرة
الشقاء اى جميع انواعه لان الصحابة رضوان الله عليهم كلهم
عدول كما يشهد له الكتاب والسنة نحو اصحابى كالنجوم بايهم	اقتديتم
اهتديتم وما وقع لبعضهم مما يخالف ذلك تداركه الله فيه برحمته
فوفقه للتنصل من وصمته وحباه بجعله من جنته ببركة حلول
نظر نبيه صلى الله عليه وسلم ولما ذكر ذلك الوجه الكريم وزوال
الشقاء عن كل من رآه اتبعه بذكر صفات وخصوصيات له
ذاكرا مع كل ما يناسبه كما هو شان البلغاء فقال **مسفر**
ذلك الوجه حسنا اى مشرق نوره الذى يكاد يخطف الابصار
يلتقى ذلك الوجه ايضا **الكتيبة** اى الجيش بالمثلثة او المثناة
من تكتب بنو فلان اذا اجتمعوا لحال كونه **بساما** متبسما يفتر
عن مثل سنا البرق او مثل حب الغمام **اذا اسهم** اى غير من سهم
بفتح عينه او ضمها وجهه اذا ضمر وتغير **الوجوه اللقاء** للعدو
فهو فى الحالات التى فيها ينزعج غيره ويضطرب ويتغير وجهه
على غاية من الطمانينة والثبات والتبسم لعظيم ما آتاه الله من
الشجاعة التى لم يصل غيره الى ادناها وقد صح كما من عن انس
انه كان اشجع الناس وان صيحا وقع بالمدينة ليلا فخرج
صلى الله عليه وسلم الى ان ابعد فلم ير شيئا فلما رجع رأى الناس
خارجين فقال لن تراعوا اى لا روع عليكم فى حقيقة ما رأينا من شيء
وصح انه صرع ركانة مرات ولم يصرع قط قال له متعجبا ان
شانك لعجيب وصرع آخر بلغ من شدته انه كان يقف على جلد
البقرة ويتجاذب اطرافه عشرة لينتزعوه من تحت قدميه
فيتفرى الجلد ولم يتزحزح عنه وصح انه فى غزوة حنين
لما تفرق عنه اصحابه ولم يبق معه الا بضعة عشر ثبت على بغلته
مع انها لا تصلح لكر ولا فر وهو مع ذلك يركضها الى وجه
العدو وينوه باسمه ليعرفه من لا يعرفه قائلا انا النبى لا
كذب انا ابن عبد المطلب ولا شجاعة وراء ذلك ومن ثم قال

الصحابة رضي الله عنهم كنا اذا احمر البأس اتقينا برسول الله
صلى الله عليه وسلم اي جعلناه امامنا واستقبلنا العدو به وقمنا
خلفه وذهب بعض المالكية الى ان من قال ان النبي صلى الله عليه وسلم
هُزم يُستتاب فان تاب والا قتل لانه ينقصه اذ لا يجوز ذلك
عليه في خاصته نفسه لعلمه بان الله ناصره وحافظه واعترضه
بعض المالكية بالحاصل بحيث انه كان ذلك تنقيصا لم يُستتب
ولم تُقبل له توبة انتهى وقياس مذهبنا خلافا لمن اخطأ فيه انه
ان نوى بذلك تنقيصه كفر والا فلا واذا قلنا بكفره فذهب
بعض ائمتنا انه لا تقبل توبته وحكى فيه الاجماع والمعتمد قبولها
منه جعلت مسجدا له اي لذلك الوجه المكرم ولامته بطريق
التبع له الارض كلها كما اخبر بذلك صلى الله عليه وسلم في الاحاديث
الصحيحة حيث قال أُعطيت خمسا لم يُعطهن احد قبلي نُصرت بالرعب
مسيرة شهر وجُعلت لي الارض مسجدا وطهورا فايما رجل من امتي
ادركته الصلوة فليصل الحديث والمراد بقوله مسجدا موضع
سجود اي ان السجود لا يختص بموضع منها دون غيره قيل
ويمكن ان يكون مجازا عن المكان المبني للصلوة وهو من مجاز
التشبيه لانه لما جازت الصلوة في جميعها كانت كالمسجد في ذلك
وقيل المراد جُعلت لي الارض مسجدا وطهورا ولغيري مسجدا
لا طهورا لان عيسى صلى الله على نبينا وعليه وسلم كان يسيح
فيها ويصلي حيث ادركته الصلوة وقيل المراد ان الصلوة لم
تُبح الا في محل يتيقنون طهارته بخلاف هذه الامة ابيحت لها
في كل الارض الا ما يتيقنون نجاسته والاصح الاول وهو انها
لم تُبح لمن قبلنا الا في اماكن مخصوصة كالبيع والكنائس و
الصوامع للخبر المصرح بذلك وكان من قبلي انما يصلون في
كنائسهم ويوافقه رواية ولم يكن في الانبياء احد يصلي
حتى يبلغ محرابه وبهذين يُرد الاحتجاج بقضية عيسى
المذكورة بمنع ما ذكر فيها لدلالة هذين على خلافه وبفرض

صحته

صحته فهو لا ينافي الخصوصية لانها ثابتة لنبينا وامته بخلاف
عيسى فبسبب هذا الجعل اهتز اي تحرك طربا وفرحا به
صلى الله عليه وسلم للصلوة اي لاجلها فيها اي الارض حراء
بالكسر والمد وهو الجبل الذي كان صلى الله عليه وسلم يتعبد فيه
قبل النبوة وهو مشهور ودليل ذلك انه صلى الله عليه وسلم
كان على حراء هو وابو بكر وعثمان وعلي وطلحة والزبير
فتحركت الصخرة فقال صلى الله عليه وسلم اسكن حراء فما عليك
الا نبي وصديق وشهيد وفي رواية وسعد بن ابي وقا ص
ولم يذكر عليا اخرجهما مسلم واخرجه الترمذي وذكر انه
كان عليه العشرة الا ابا عبيدة وقال اثبت حراء وفي رواية
اهدأ حراء ورواه البخاري في احد بلفظ انه كان معه
ابو بكر وعمر وعثمان فرجف بهم فضربه صلى الله عليه وسلم
برجله وقال اثبت احد فانما عليك نبي وصديق وشهيدا ح
ورواه النسائي والترمذي في ثبير وهو جبل مقابل لحراء
انه صلى الله عليه وسلم كان عليه ومعه ابو بكر وعمر وعثمان
فتحرك حتى تساقطت حجارته بالحضيض اي التي في قراره واسفله
فركضه صلى الله عليه وسلم برجله وقال اسكن ثبير فانما عليك
نبي وصديق وشهيدان ومما اشار اليه الناظم بتعبيره باهتز
من ان ذلك التحرك انما كان للطرب والفرح لا للغضب نقله
شارح البخاري ابن التين في احد فقال قيل الحكمة في ذلك
انه لما رجف اراد صلى الله عليه وسلم ان يبين ان هذه الرجفة
ليست من جنس رجفة الجبل بقوم موسى لما حرفوا الكلم وان
تلك رجفة الغضب وهذه هزة الطرب ولهذا نص صلى الله
عليه وسلم على مقام النبوة والصديقية والشهادة التي توجب
سرور ما اتصلت به لا رجفانه فاقر الجبل بذلك فاستقر
انتهى واستشكل ما ذكر بان الهز طربا فرع العلم بمن فوقه و
قوله الى اخره يقتضي ان تحركه لغير السرور ويجاب بانه علم

من الاحاديث الصحيحة التي منها أحد يحبنا ونحبه أن أحداً اهتز وهو
علما به صلى الله عليه وسلم ومحبته له وميلا اليه فاذا اهتز لاجل
ذلك دل على نوع طيش وخفة فناسب ان يركضه صلى الله عليه وسلم
برجله الكريمة وان يذكره بان مقام النبوة والصديقية والشهادة
كل منها يقتضي الرزانة وعدم التحرك فلما علم الجبل ذلك سكن
وخضع فكان ما منه اولا هزة الطرب وآخرا سكون الحياء والامتثال
والادب ويحتمل انه ارتعد هيبة واجلالا له صلى الله عليه وسلم فامره
صلى الله عليه وسلم بترك ذلك وذكره بان ما عليه من المقامات
الثلاثة السابقة يقتضي هزة الجمال واللقاء المنبئين عن غاية
الفرح والسرور قال الطبري وغيره واختلاف الروايات يحمل على
انها قصص تكررت وهو واضح لان كلا منها صحيح فلا وجه
الا التعدد وايده شيخ الاسلام الحافظ العسقلاني بعد ما
توقف فيه بان الذين معه صلى الله عليه وسلم ازيد ممن معه باحد فان قلت
ما وجه التعليل في قول الناظم للصلوة فيما قلت كانه يشير
الى ان الله تعالى لما اقطع نبيه الارض وجعلها كلها مسجدا له و
شرفها بصلاته فيها دخل في ذلك جبالها فاذا اسعد بعضها
تذكر الجبل ذلك الجعل وتلك الصلوة اللذين حصل بهما للجبل
كبقية الارض غاية الشرف فحينئذ تحرك اعلاما للامة بما
حصل له مما يوجب السرور والطرب ثم رايت بعضهم جعل
ضميرفيها للجبل وجعل المراد بالصلوة صلاته صلى الله عليه وسلم
فيه لما كان يختلي فيه قبل البعثة وهذا كلام ساقط لانه لم يعرف
انه صلى الله عليه وسلم صلى قبل النبوة ولان هذا الاهتزاز بعد
النبوة بكثير لروايات ان العشرة الا واحدا كانوا معه سيظهر
ذلك الوجه الكريم **شجة الجبين** اي جرح جبينه وهو المنحرف
عن الجبهة فوق الصدغ وفي تعبيره به مسامحة وتجوز لما ياتي
ان الذي شج جبهته وفي رواية وجنته والجبين غيرهما فالتعبير
بالجبين من مجاز المجاورة **على البرء** اي فيها ومعه من برئ من المرض

بالكسر برءا بالضم وبرأ برءا بالفتح فيهما وهذه الشجة كانت
يوم احد اخرج ابن هشام عن ابي سعيد الخدري ان عقبة
ابن ابي وقاص اخا سعد بن ابي وقاص اول من رمى بسهم في
سبيل الله وكان صلى الله عليه وسلم يناوله السهام يوم احد
ويقول له ارم فداك ابي وامي قال فلم يجمع ابويه لغيره وكان
يفتخر به ويقول هذا سعد خالي اي لانه زهري فليرني امرؤ خاله
فشتان ما بين هذين الاخوين رمى صلى الله عليه وسلم يوم
احد كسر رباعيته اليمنى السفلى وجرح شفته السفلى وان
عبد الله بن هشام الزهري شجه في جبهته وان ابن قميئة جرح
وجنته فدخلت حلقتان من المغفر فيها ووقع صلى الله عليه وسلم
في حفرة وفي رواية وهشموا البيضة على راسه ورموه بالحجارة
حتى رموه لشقه في حفرة الحديث وروى الطبراني وغيره ان
عبد الله بن ابي قميئة رمى رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم احد
فشج وجهه وكسر رباعيته فقال خذها وانا ابن قميئة فقال
صلى الله عليه وسلم وهو يمسح الدم عن وجهه اقماك الله فسلط الله
عليه تيس جبل فلم يزل ينطحه حتى قطعه قطعة قطعة ولاحمد
والترمذي والنسائي عن انس كسرت رباعيته صلى الله عليه وسلم
يوم احد وشج وجهه فجعل الدم يسيل على وجهه وجعل يمسحه
ويقول كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم وهو يدعوهم الى
ربهم فانزل الله تعالى ليس لك من الامر شيء او يتوب عليهم او
يعذبهم فانهم ظالمون وفي مرسل قوي ان وجهه صلى الله عليه وسلم
ضرب يومئذ بالسيف سبعين ضربة وقاه الله شرها كلها
كما مصدرية **اظهر الهلال البراء** بفتح الموحدة وهو اول ليلة
من الشهر اي ان وجهه المكرم اظهر آثار تلك الشجة مع برئها
ظهورا واضحا ليس فيه نقص وشين بل فيه غاية الجمال كظهور
الهلال ليلة استهلاله لحكمتين ليتذكر الواقف لذلك والراوون
عنهم ما وقع له صلى الله عليه وسلم من المحنة وعظيم الصبر عليها

حتى يقتدى به فى ذلك وليعلموا ان تلك الشجة لم تشنه شيأ
من ذلك بل زاده ترجالا على جماله لانها صارت بعد البرء كالهلال
فى وجهه الاحسن من الهلال كما قال ستر ذلك الوجه الحسن
الاصلى منه بالحسن العارض من الشجة فاعجب لجمال اصلى له
الجمال العارض وفى هذا كالذى قبله الجناس التام المتماثل بناء
على ما مر مع الكلام عليه فى شرح شق عن قلبه وشق له البدر واما
جزم الشارح بانه من ذلك مع اختلاف موضوعه باعتبار الاصلى
والعارض كما تقرر لا من حيث الوضع فغير صحيح ولو حصل
تمام التجنيس من اللفظين مع اتفاق الوضع واختلاف المراد
لعدوا منه الذين قال لهم الناس ان الناس ان النفس بالنفس
الى آخره نعم يمكن ان يقال قد يقاس اختلاف المراد باختلاف
الوضع حيث لا قرينة تميز كما هنا بخلاف ما فى الآيات
فان قرينة التغاير فيها ظاهرة مع التجنيس ولو عبر الشارح
بيحتمل ونحوه لسلم من الجزم بما كلامهم كالصريح فى رده وفى
البرء والبراء الجناس المطرف وقاه وسبب ذلك ان الله تعالى
اعطى نبيه غاية الجمال التى لم يعطها لمخلوق كما مر بدليله فى
باطنه وظاهره فكان جلده ساتر الجمال الباطن فاذا ازالته
الشجة ظهر من انواره الباطنة ما صيرها كالهلال فى وجهه
وصار حينئذ حسن ظاهره مستورا بما ظهر من حسن باطنه
فهما جمالان عظيمان صار باطنهما وقاية لظاهرها وهذا مما
يستغرب ويتعجب منه ولذلك شبهه بتشابيه توضح ذلك وتكشفه
فقال فهو اى ما ظهر بالشجة من باطن بدنه كالزهر اى نور النبات
اذا لاح اى ظهر من سجف بفتح اوله وكسره اى ستر الاكمام
هى الاكمة جمع كم بالكسر وهو غطاء النور المشبه به هنا ظاهر البدن
وهو ايضا مثل العود الذى يتطيب به اذا شق عنه اللحاء وهو
قشر الشجر من نحو قشره لحوم قشرته باللحاء فظاهر الجلد كاللحاء وباطنه
كالعود وفى هذين التشبيهين ما يعلم به ان جمال باطنه ربما فاق

جمال

جمال ظاهره ومن ثم قال كاد ما ظهر بالشجة ان محو ما بعدها
سدت مستعر فوع كاد وخبرها يغشى بالغين المعجمة اظهر من المهملة
العيون اى يغطى عليها سنا بالقصر اى ضوء عظيم خارج منه لسر
عظيم وفى نسخة بسر فيه اى فى ذلك الباطن الذى ظهر فصير كله
ضياء اعظم من ضياء الشمس ومن ثم كان اصل ذلك السر لا كماله
حكته اى شابهته ذكاء بضم المعجمة وعدم واستناع دخول ال
عليها اى الشمس وذكرها بعد سنا من مراعاة النظير وبما تقرر
علم ان من اسباب عدم شينه بتلك الشجة ما اوتيه من الحسن
الذى لم يؤته غيره ومن ثم صانه ذلك الحسن لو انفرد فكيف
وقد انضم اليه السكينة اى وقار الظاهر مع طمانينة القلب
وعدم تحركه مما يمتحن به من المؤذيات التى لا يبقى عندها غيره
ان تظهر فيه آثارها هو ضمير الفاعل المتقدم رتبة وهو
الباساء اى الشدائد فلذلك لم يظهر عليه من تلك الشجة الا غاية
الطمانينة ونهاية الجمال كما مر فعلم انه لما اودعه الله فيه من
كمال الجمال وتمام البهاء فى حالة السراء فهو فى حالة الباساء فلا تؤثر
فيه الباساء البتة وتخال اى تظن انت الوجوه ان قابلته اى
عاينته وجواب ان محذوف لدلالة ما قبله عليه خجلت من
فرط جماله وتلونت بالالوان المختلفة كما يشاهد ممن قوى
خجله حتى كان تلك الوجوه عند ذلك التلون البستها الوانها
ضمير الفاعل المتقدم رتبة وهو الحرباء المشهور من شانها
انها تستقبل الشمس وتدور معها كيف دارت وتتلون
بالالوان العجيبة المختلفة فبسبب هذا الجمال الباهر المتلبس
لباهر الافضال والاحسان اذا شمت بالمعجمة من شمت
البرق نظرت الى سحابه بشره اى طلاقة وجهه ونداه اى جوده
اى اذا تطلعت الى مخايله ببصرك منتظرا اليه اذهلتك اى
انستك ما انت بصدده الانوار الباهرة التى تحصل لك
من بشره عند رؤية وجهه والانواء جمع نوء وهو ما تضيف

العرب الامطار اليه من النجم او وقته نحو مطرنا بنوء الثريا
وهى هنا كناية عن الخيرات الواصلة منه صلى الله عليه وسلم
لمن نداه وامله ففيه لف ونشر لرجوع الانوار للبشر
والانواء للندى وفيهما الجناس اللاحق ونوع من مراعاة النظير
يسمى تشابه الاطراف وهو ان يختم الكلام بما يناسب ابتداءه
فى المعنى نحو لا تدركه الابصار الآية فاللطيف يناسب
لا تدركه الابصار والخبير يناسب وهو يدرك الابصار
ولما تمنى رؤية الوجه المكرم واستتبعه باوصافه العلية
اخذ فى تمنى تقبيل راحته الكريمة ووصفها باوصافها العلية
فقال او ليته خصنى بتقبيل راحة اى بالتمنى فى اليقظة
او النوم نظير ما تقدم كفه التى كان لله اى لاجله ابتغاء
لوجهه دون غرض آخر وبالله اى بسبب شهود اعانته وقد
اخذها والعطاء اسم مصدر بمعناه اى واعطاؤها
لبراءتهما من كل غرض ينافى الكمال الاعظم فلم يقع تصرف
منها فى شىء منذ افاض الله عليها انوار وجوده الا وشهود
سلبه كل حول وقوة عما سواه تعالى ولهذا الشهود الاعظم
فى تصرفها كانت تتقى بفتح التائين اى تخاف وتحذر بأسها
اى شدتها فى الحرب الملوك كقيصر وكسرى والمقوقس الى
ان ظفرها الله بجميعهم وكانت تحظى اى تفوز بالغنى الحسى
والمعنوى من بعض نوالها اى عطائها الفقراء لانه كان
اجود الناس فيعطى عطاء يعجز عنه الملوك ومع ذلك يعيش
عيش الفقراء لايثاره على نفسه وعياله وكان جوده
كله لله وفى ابتغاء مرضاته يبذل المال تارة للفقير والمحتاج
وتارة ينفقه فى سبيل الله وتارة يتألف به من يقوى اسلامه او من
يسلم باسلامه نظراؤه وبين الاخذ والعطاء والملوك
والفقراء وتتقى وتحظى تجنيس لتقابل لا تسل اصله بالهمز
ثم خفف بحذفه كما قرئ به فى سال سائل سيل هو الماء

الكثير الجارى وبينهما تجنيس التحريف والتصحيف جودها
بفتح الجيم وهو المطر الغزير اى لا تسأل هذا الامر المكنى
به عن سعة عطائه وجوده فان هذا شىء لا يقدر احد
من البشر قدره بل انما الذى يليق بك ان تسأل ما يكفيك
وهو ان يصل اليك من وكفا اى قطر سحبها جمع سحاب
الانداء جمع ندى وهو البلل على ان بلل هذا القطر فيه الغنى
الكافى فمن وصلت اليه بلة من قطرة منه كان سببا لغناه
فى الدنيا والآخرة ومن اوصاف تلك الراحة العلية ايضا انها
درت الشاة اى ارسلت لبنها الغزير حين مرت عليها فبسبب
ذلك صار لها بعد فقد اللبن منها بالكلية اذ لم يكن طرقها
فحل قط ثروة اى كثرة اللبن بها اى بسبب تلك الراحة الكريمة
ونماء اى زيادة فى تلك الكثرة وهذه القصة وقعت له صلى
الله عليه وسلم لما خرج من غار ثور مهاجرا الى المدينة ومعه ابو بكر
ومولاه عامر بن فهيرة فاخذ بهم الدليل طريق الساحل فمروا
بقديد قريب رابغ على ام معبد عاتكة بنت خالد الخزاعية
وكانت برزة تسقى وتطعم وكانوا فى غاية القحط والجهد
فطلبوا منها لبنا ولحما يشترونه فلم يجدوا عندها شيئا
فنظر صلى الله عليه وسلم الى شاة فى كسر الخيمة تخلفت عن الغنم
لشدة الجوع فسألها هل بها من لبن فقالت هى اجهد من ذلك
والله ما ضربها من فحل قط فقال اتأذنين لى ان احلبها قالت نعم
ان رأيت بها حلبا فاحلبها فدعا بالشاة واعتقلها ومسح
ضرعها وسمى الله ففاضت ودرت ودعا باناء يشبع
الجماعة فملأه من حلبها وسقى القوم حتى رووا ثم شرب آخرهم
ثم حلب فيه مرة اخرى عللا بعد نهل ثم تركه عندها وذهبوا
ذكر ذلك اصحاب السير وغيرهم ومن اوصاف تلك الراحة الجليلة
ايضا انه نبع الماء بها اى بسببها وعدل اليها عن منها المتبادر
ليفيد انه نبع تارة منها وتارة ببركتها من غيرها اما الاول

فقال القرطبي قصة نبع الماء من بين اصابعه قد تكررت منه
صلى الله عليه وسلم في عدة مواطن في مشاهد عظيمة ووردت
من طرق كثيرة يفيد مجموعها العلم القطعي المستفاد من التواتر المعنو ى
ولم يسمع بمثل هذه المعجزة من غير نبينا صلى الله عليه وسلم حيث
نبع الماء من بين عظمه ولحمه وعصبه ودمه وذكر المزني صاحب
الشافعي رضي الله عنهما ان هذا ابلغ من نبع الماء من الحجر بضرب موسى
صلى الله على نبينا وعليه وعلى سائر الانبياء والمرسلين الا ان الحجر
يؤلف منه خروج الماء ولا كذلك البدن فمن جملة تلك المواطن ما في
الصحيحين عن انس ان الناس احتاجوا لصلوة العصر فلم يجدوا
الماء فاتي صلى الله عليه وسلم بوضوء فوضع يده في ذلك الاناء فنبع
الماء من بين اصابعه حتى توضؤا كلهم زاد البخاري كانوا ثمانين
وان الماء نبع من بين اصابعه واطراف اصابعه وفي رواية لابن
شاهين انه وقع نظير ذلك في تبوك لما شكوا اليه فطلب فضلة غزوة
ماء فاتي بها فصبها في صحفة ثم وضع راحتيه فيها فتخللت عيون
بين اصابعه فرواهم وابلهم وتزودوا منه وفيهما عن جابر انه
صلى الله عليه وسلم كان يتوضأ من ركوة فجاؤه يشكون العطش فوضع
يده في الركوة فجعل الماء يفور من بين اصابعه كامثال العيون
فتوضؤا كلهم وكانوا الفا وخمسمائة بل قال جابر لو كنا مائة الف
لكفانا وفي رواية لاحمد عنه فوالذي ابتلاني ببصري لقد رايت
العيون عيون الماء تخرج من بين اصابعه وظاهر الروايات
ان الماء نبع من نفس اللحم الكائن في الاصابع وهو ما صححه النووي
وجزم به غيره وانما استدعى قليل ماء تادبا مع ربه فانه المنفرد
بايجاد المعدومات من غير اصل نعم في رواية عند جماعة انه فعل
ذلك مرة من غير ماء لكن استدعى بشن يابسة ووضع يده فيها
فنبعت عيون الماء واما الثاني ففي مسلم انكم ستاتون غدا ان شاء
الله عين تبوك وانكم لن تاتوها حتى يضحي النهار فمن جاءها فلا
يمس من مائها شيئا حتى آتي فسبق رجلان ومثاه قبل ان يأتي

فسهما

فسبهما ثم اغترفوا له قليلا فغسل به وجهه ويديه ثم صب الغسالة
في العين فجرت العين بماء كثير ثم قال يا ابا معاذ يوشك ان طالت
بك حياة ان ترى ما ههنا قد ملئ بساتين وعمرانا وفي رواية
الموطا وغيره فانخرق من الماء ما له حس كحس الصواعق وصح
على ما قال في بعض رواية ان العطش اشتد بهم في غزوة تبوك حتى
كادت تلوبهم تنقطع وكان الرجل ينحر بعيره فيعصر فرثه فيشر به
ويجعل الباقي على كبده فسأله ابو بكر رضي الله عنه ان يدعو لهم
فقال اتحبون ذلك قال نعم فرفع يديه فلم يرجعهما حتى قالت السماء
فانسكبت حتى ملؤا ما معهم من آنية ثم ذهبوا ينظرون فلم يجدوها
جاوزت العسكر وفي البخاري في غزوة الحديبية نحوه لكن مرتين
مرة امرهم بوضع سهم من كنانته في محل الماء ففاض ومرة بوضع يده
في الركوة فجعل الماء يفور من بين اصابعه ومن اوصافها ايضا
انه **اثمر النخل في عام** اي في سنة غرسه **بها** اي بسبب مس تلك
الراحة الكريمة لذلك النخل في قصة سلمان الفارسي رضي الله عنه
التي ذكرها اصحاب السير ابن هشام وابن سيد الناس وغيرهما
وحاصلها انه صلى الله عليه وسلم لما قدم المدينة اتاه سلمان
وآمن به وكان مسترقا فامره صلى الله عليه وسلم ان يكاتب سيده
فكاتبه على غرس ثلثمائة ودية وتعهدها حتى تثمر واربعين
اوقية ذهبا ثم اخبره صلى الله عليه وسلم بذلك فامر اصحابه
ان يعينوه بالودي فاعانوه به ثم وضعه صلى الله عليه وسلم
بيده فما ماتت منها واحدة بل اثمرت كلها في عامها وفي رواية
توقفت منها واحدة فقلعها صلى الله عليه وسلم واعادها فا وت
البقية فاداها وبقي عليه الذهب فجاء النبي صلى الله عليه وسلم
مثل بيضة دجاج من ذهب من بعض المعادن فاعطاها له
فقال واين تقع هذه مما علي قال خذها فان الله سيؤدي
بها عنك فوزنت لهم منها اربعين اوقية ومن اوصافها ايضا
انه **سبحت بها** اي في راحته **الحصباء** اي الحصا كما رواه البزا ر

والطبرانى فى الاوسط وغيرهما انه صلى الله عليه وسلم كان عنده
ابو بكر وعمر فقبض حصيات فسبّحن فى كفه حتى سمع لهن حنين
كحنين النحل فناولهن ابا بكر فسبحن فى كفه كذلك ثم عمر كذلك
ثم عثمان كذلك ثم اخذها الحاضرون فلم تسبح مع احد منهم قال
الحافظ شيخ الاسلام والحافظ العسقلانى ليس لحديث تسبيح الحصا
الا طريق واحدة مع ضعفها لكنه مشهور عند الناس انتهى نعم اخرج
البخارى من حديث ابن مسعود كنا نأكل مع النبى صلى الله عليه وسلم
الطعام ونحن نسمع تسبيح الطعام وفى فتح البارى عن الشفاء
انه صلى الله عليه وسلم مرض فاتاه جبريل بطبق فيه رمان وعنب
فاكل منه فسبح تنبيه تسبيح الجماد كالطعام والحصا معناه
ان الله تعالى خلق فيه اللفظ الدال على التنزيه حقيقة خرقا للعادة
ومع ذلك اضافة التسبيح اليه مجاز لان اللفظ انما يضاف حقيقة
لمن قام به ومن اوصافها العلية ايضا انها احيت المرملين اى
الذين نفد زادهم من القحط حتى اشرفوا على الموت فتسميتهم موتى
حتى وصفوا بالحياة مجاز كما ان اسناد الاحياء الى الراحة مجاز
ايضا فهو استعارة تبعية من موت جهد اى قحط شديد والا لاضافة
بيانية مبالغة بادعاء ان ذلك الجهد لما كان سببا قريبا للموت
اطلق عليه اسمه اعوز القوم عدل اليه عن اعوزهم الذى هو
القياس لازالة لفظ المرملين انه خاص بذكورهم وان كان — إيهام؛
التغليب فى مثله شايعا ذايعا فان قلت شمول القوم للاناث
انما هو بطريق التبع فساوى المرملين قلت الفرق بينهما واضح
لان شمول القوم للاناث لفظى وان قلنا بالتبعية ومن ثم لم
يحتج لقرينة بخلاف المرملين فافاد القوم ما لم يفده المرملين
فيه اى فى ذلك الجهد زاد وماء من اعوز الشئ اذا احتاج
اليه وعبر بزاد مع انه يقال فى طعام المسافر اشعارا بانهم لما
حصلت لهم تلك الشدة التى ادت بهم الى الاشراف على الموت
صاروا كالمسافرين المشرفين على الهلاك وبين الموت والاحياء

والزاد

والزاد والماء الطباق كالرى والشبع المفهومين مما يأتى فبسبب
احيائها لهم كثر الله تعالى كرامة ومعجزة له الطعام والماء القليل جدا
حتى تغدى بالدال المهملة اى اكل وقت الغداء وهو ما قبل الزوال
بالصاع الواحد وهو قدحان بالكيل المصرى تقريبا الف جياع
وتروى بالصاع الف ظماء جمع ظامئ اى عاطش اما تروى
الالف الظماء بالماء القليل النابع من بين اصابعه تارة وببركة
دعائه اخرى فتقدم الكلام فيه مستوفى والتعبير بالصاع فيه
المراد به الماء القليل جدا كما يعلم مما مر وانما ذكره على جهة
مجاز المشاكلة لما قبله نحو وجزاء سيئة سيئة ومكروا ومكر
الله تعلم ما فى نفسى ولا اعلم ما فى نفسك وبالالف المراد به العدد
الكثير ففى بعض المواطن كالحديبية كانوا الفا واربعمائة او خمسمائة
وفى بعض المواضع كانوا ثلثمائة وفى بعضها كانوا اقل وفى غزوة
تبوك كانوا الوفا مؤلفة واما تغدى الالف الجياع بالصاع
فهو ما فى الصحيحين عن جابر رضى الله عنه انه رأى بالنبى فى غزوة
الخندق جوعا شديدا فذهب لامرأته واخبرها فاخرجت صاعا
من شعير وشاة داجنا اى سمينة فذبحتها وطحنت الشعير فلما وضعت
اللحم فى البرمة ذهب للنبى صلى الله عليه وسلم واخبره وطلب ان
يأتى بنفر معه فصاح النبى صلى الله عليه وسلم يا اهل الخندق ان
جابرا صنع سورا فحى هلا بكم ثم امره ان لا ينزل البرمة ولا يخبز
العجين حتى يجئ فلما جاء بصق فى العجين وبارك ثم فى البرمة وبارك
لها — ثم امرها ان تدعو خابزة تخبز معها وان تغرف من برمتها ولا تنزل
فاكلوا وهم الف حتى تركوه وان عجينهم وبرمتهم كما هما وفيهما
ايضا الا بعض زيادات ففى مسلم عن انس رضى الله عنه فى غزوة
الخندق ايضا ان عمه زوج امه ابا طلحة عرف جوع رسول الله
صلى الله عليه وسلم فى صوته فذكر ذلك لام سليم زوجته فاخرجت
اقراصا من شعير ولفتها بالخمار واعطتها لانس ولفت طرف الخمار على
رأسه مرتين كالعمامة وارسلته الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجده

بالبيداء الموضع الذي اعده لمحاصرة الاحزاب ومعه الناس فقال
له ارسلك ابو طلحة قلت نعم قال للطعام قلت نعم فقال لمن معه
قوموا فتقدمتهم انس فاخبر عمه فقال يا ام سليم قد جاء رسول
الله صلى الله عليه وسلم بالناس وليس عندنا طعام نطعمهم فقالت
الله ورسوله اعلم فتلقى ابو طلحة رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال صلى الله عليه وسلم هلمي يا ام سليم ما عندك فاتت بذلك الخبز
فامر به رسول الله صلى الله عليه وسلم ففت وعصرت عكة فادمته ثم
قال صلى الله عليه وسلم فيه ما شاء الله ان يقول ثم قال ايذن لعشرة
فاكلوا حتى شبعوا فخرجوا فقال ايذن لعشرة وهكذا فاكلوا و
شبعوا وهم ثمانون ثم اكل صلى الله عليه وسلم واهل البيت وتركوا
بقية وفي طرق هذه القصة ما يقتضي تعددها وادخلهم عشرة
عشرة لاتحاد القصعة وصغرها وقول انس نعم اما للاستحياء من كثرة
الناس فقال ذلك ليتبعه النبي صلى الله عليه وسلم وحده واما
لان من ارسله ذكر له انه اذا رأى كثرة الناس دعاه وحده
وفي رواية ان ابا طلحة قال انما ارسلت انسا يدعوك وحدك ولم
يكن عندنا ما يشبع من ارى فقال ادخل فان الله سيبارك في
ما عندك وفي رواية انه صلى الله عليه وسلم مسح القرص فجعل
ينتفخ ويتسع في الجفنة وفي اخرى ان ابا طلحة رأى رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقرئ اصحاب الصفة سورة النساء وقد ربط
على بطنه حجرا وروى مسلم انهم في غزوة تبوك جاعوا فسأل عمر
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يدعو بفضل ازوادهم ثم يدعو الله
لهم عليها بالبركة ففعل فاجتمع شيء يسير فدعا صلى الله عليه وسلم
بالبركة ثم قال خذوا في اوعيتكم فما تركوا في العسكر وعاء الا
ملؤه فاكلوا حتى شبعوا وفضلت فضلة فقال صلى الله عليه وسلم
اشهد ان لا اله الا الله واني رسول الله الحديث وفيهما ايضا
عن انس ان امه ارسلته الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
بحيسة في تور وهو عروس بزينب فامره ان يدعو من لقي فدعا

ومنه حديث انس وعصرت عليه ام سليم عكة لها فادمته اي خلطته وجعلت فيه اداما يؤكل من النهاية لابن الاثير

من لقي فكانوا زهاء ثلثمائة فوضع صلى الله عليه وسلم يده على تلك
الحيسة وتكلم بما شاء الله ثم دعا عشرة عشرة فاكلوا حتى شبعوا فما
ادري حين وضعت كانت اكثر ام حين رفعت وصح عن سمرة
ابن جندب انهم تداولوا قصعة من غدوة الى الليل تقوم عشرة
وتقعد عشرة قيل فما اذا كانت تمد قال ما كانت تمد الا من ههنا
واشار الى السماء ومنها انه **وفي قدر بيضة** اي بيضة دجاج **من
نضار** اي ذهب **دين سلمان** الفارسي رضي الله عنه الذي
كان من جملة ما كاتب عليه سيده وهو اربعون اوقية من الذهب
كما مر آنفا مع صغر تلك البيضة وعظم ذلك الدين ببركة مسه
صلى الله عليه وسلم لتلك البيضة براحته الكريمة **حين حان** اي
قرب **الوفاء** اي حلول الاجل وبين وفى والوفا الجناس الناقص
ورد العجز على الصدر وحين ودين وحين وحان الجناس
اللاحق وسبب هذا الدين على سلمان انه **كان يدعى قنا**
اي رقا بالباطل وملخص قصته كما حكاه هو من نفسه انه
من اصبهان واجتهد في المجوسية حتى صار رئيسها فمر بكنيسة
للنصارى فاعجبوه فذكر لابيه فقيده وقال له دينك ودين
آبائك خير من دينهم وكان سألهم عن اصل دينهم فقالوا
بالشام فارسل اليهم اذا جاء كم احد من الشام فاخبروني ففعلوا
فحل القيد وتوجه اليها فسأل عن اعلمهم فدل عليه فخدمه الى
ان مات ثم خدم من اقيم مقامه فلما احتضر قال له من توصيني
قال بفلان بالموصل فجاءه فاخبره وخدمه فلما احتضر ذكر ذلك
له قال بفلان بعمورية من ارض الروم فلما احتضر قال له يا بني
ما اعلم احدا على ما كنا عليه آمرك ان تأتيه وانه اظل زمان نبي
وهو مبعوث بدين ابرهيم يخرج من ارض العرب مهاجره الى ارض
بين حرتين به علامات لا تخفى يأكل الهدية ولا يأكل الصدقة
بين كتفيه خاتم النبوة فان استطعت ان تلحق بارضه فافعل ثم مات
فمر بي نفر من كلب فقلت لهم احملوني الى ارض العرب واعطيكم ما عندي

فلما احتضر قال ابن توصيني قال بفلان بنصيبين فجاءه فخدمه صح

فحملوني فلما بلغوا وادي القرى ظلموه فباعوه من يهودي فباعه من ابن
عم له من بني قريظة بالمدينة قال فحملني اليها فعرفتها فبعث صلى
الله عليه وسلم بمكة فلم اسمع له ذكرا ثم هاجر الى المدينة فبينا انا اجني
لسيدي تمرا جاءه ابن عمه فقال له قاتل الله بني قيلة وهما الاوس
والخزرج انهم الآن لمجتمعون بقباء على رجل قدم اليهم من مكة اليوم
يزعمون انه نبي فاخذتني رعدة شديدة حتى ظننت اني ساقط
فنزلت فقلت لسيدي ماذا قال لك هذا فغضب ولطمني لطمة
شديدة وقال ما لك ولهذا اقبل على عملك فلما امسى اخذ شيئا جمعه
وذهب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بقباء فقال له هذا صدقة
فامر اصحابه باكله ولم ياكل فجمع شيئا آخر واخبره وهو بالمدينة فقال
له هذا هدية فاكل هو واصحابه ثم جاءه بالبقيع وقد تبع جنازة
فجعل ينظر الى ظهره فعرف انه يتأمل الشيء وصف له فالقى رداءه
عن ظهره فرأى خاتم النبوة فقصّ عليه حديثه واسلم فامره صلى الله
عليه وسلم ان يكاتب فكاتب نظرا الى الحالة الراهنة والا فهو من جملة
الاحرار الذين هم اتباع حواري عيسى عليه السلام على غرس ثلثمائة
نخلة وتعهدها حتى تثمر واربعين اوقية ذهب فغرس له النخل
فاثمرت من عامها واعطاه مثل بيضة من ذهب فوفت الاربعين
فاعتق باداء النجوم **لما ينعت** اي **بنعت من لخيل** حال من قوله
الاقتا جمع قنو وهو العذق اي العرجون ولاجل ما ذكر عن سلمان
انه بمجرد سماعه لذكر النبي صلى الله عليه وسلم اخذته الرعدة والشدة
وهو على راس نخلة يجنيها لسيده وشاهده سيده منه ومع ذلك
الدال على نبوة محمد وانه بلغ امره ونعته الاباعد والاقارب
لما انهم ان لم تلتفت الى سماع خبر النبي صلى الله عليه وسلم لطمه لطمة
شديدة لانه كان من جملة اليهود الذين كانوا يفتخرون على الانصار
بانه قرب زمن نبي عربي فنكون اول من يتبعه ويقتلكم معه
قتل عاد وارم فلما جاءهم المدينة كفر به اكثرهم كما قال فلما جاءهم
ما عرفوا كفروا به عرّض الناظم رحمه الله لوالى سلمان منكرا عليهم

اذ لم يؤمنوا بنبينا صلى الله عليه وسلم مع ما شاهدوه من حال سلمان
بل زادوا في الطغيان بضربه فقال **ا** تلطمون سلمان وتمنعونه
من الاجتماع بمحمد صلى الله عليه وسلم حتى لا يؤمن به **فلا تعذرون**
سلمان اي ترون له عذرا يمنعكم من ايذائه ومنعه وقد وضح
الدليل عندكم على نبوته **لما** اي حين **ان عرته** اي غشيته **من اجل**
ذكره اي ذكر اليهودي لقرب النبي صلى الله عليه وسلم واجتماع الناس
به في قبا **العرواء** اي قوة الحمى وشبهها في اول اخذها للانسان بالشدة
والرعدة وما ذكرته في تقرير هذا البيت المطابق لما في قصة سلمان
والذي فيه غاية المناسبة للمقام وغاية الانكار على اليهود ورميهم
بالعناد والبهتان اولى مما وقع للشارح في تقريره على ما فيه من النظر
كما يعلم بتأمله وبين عرته والعرواء تجنيس شبه الاشتقاق **و** من
اوصاف تلك الراحة ايضا انه **ازالت بلمسها** المبرئ به امراضا اعيت
الاطباء **كل داء** به **اكبرته** اي استعظمته وعجزت عن برئه **اطبة**
جمع طبيب وهو العالم بعلم الطب الذي هو حفظ صحة الانسان
بمنع الوصل ودفع الحاصل **واساء** بكسر الهمزة اي مرضى جمع آسٍ
كراع ورعاء روى الدارمي ان امرأة جاءت الى النبي صلى الله عليه
وسلم فقالت يا رسول الله ان ابني به جنون وانه ليأخذه عند
غدائنا وعشائنا فمسح صلى الله عليه وسلم صدره فقاء من جوفه
مثل الجرو الاسود فشفي فائـــدة روى البخاري ان سلمة
اصيب يوم خيبر بضربة في ساقه فنفث فيها صلى الله عليه وسلم
ثلاث نفثات فما اشتكى قط **و** من اوصافها ايضا انه برئ بها
عيون ناظرة **مرت بها** تلك الراحة **وهي رمد** اي معطلة الابصار
فارقها اي تلك الراحة تلك العيون **ما** اي الشيء البعيد الذي
لم تر فيه معارة بها لجناس الاشتقاق **الزرقاء** المشهورة بزرقاء
اليمامة التي كانت ترى من مسيرة ثلاثة ايام روى البخاري في
غزوة خيبر انه صلى الله عليه وسلم قال لاين علي اي ليعطين الراية
ويكون الفتح على يديه كما في رواية اخرى قالوا يشتكي عينيه قال

ارسلوا اليه فاتى به فبصق صلى الله عليه وسلم فى عينيه ودعا له فبرأ
حتى كان لم يكن به وجع وعند الطبرانى عن على فما رمدت ولا صدعت
منذ دفع الى صلى الله عليه وسلم الراية يوم خيبر وعند الحاكم
عنه فوضع صلى الله عليه وسلم رأسى فى حجره ثم بزق فى راحته فدلك
بها عينى وعند الطبرانى فما اشتكيتهما حتى يومى هذا فائدة
روى ابن ابى شيبة والبغوى والبيهقى والطبرانى وابو نعيم
انه صلى الله عليه وسلم نفث فى عينى فديك وكانتا مبيضتين
لا يبصر بهما شيئا وكان وقع على بيض حية فكان يدخل الخيط
فى الابرة وانه لابن ثمانين سنة وان عينيه لمبيضتان ومنها
ايضا انها اعادت على قتادة بن النعمان عينا له ذهبت فهى
حتى اى الى مماته النجلاء اى الواسعة والمراد واسعة النظر وقصته
ان عينه اصيبت يوم احد فوقعت على وجنته فاتى بها الى النبى
صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ان لى امرأة احبها واخشى ان
رأتنى تقذرنى فاخذها صلى الله عليه وسلم بيده وردها الى موضعها
وقال اللهم اكسها جمالا فكانت احسن عينيه واحدهما نظرا وكانت
لا ترمد اذا رمدت الاخرى وقد وفد على عمر بن عبد العزيز رضى
الله عنه رجل من ذريته فقال له عمر من انت فقال

ابونا الذى سالت على الخد عينه	فردت بكف المصطفى ايما رد
فعادت كما كانت لاول امرها	فيا حسن ما عين ويا حسن ما خد

فوصله عمر واحسن جائزته قال السهيلى وفى رواية اصيبت
عيناى يوم احد فسقطتا على وجنتى فاتيت بهما النبى صلى الله
عليه وسلم فاعادهما مكانهما وبصق فيهما فعادتا تبرقان قال الدار
قطنى هذا حديث غريب تفرد به عمار بن نصر عن مالك وهو ثقة
واخرج الطبرانى وابو نعيم عنه كنت يوم احد اتقى السهام بوجهى
دون وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان آخرها سهما ندرت
منه حدقتى فاخذتها بيدى وسعيت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فلما رآها فى كفى دمعت عيناه فقال اللهم قه قتادة كما وقى وجه نبيك

بوجهه فاجعلها احسن عينيه واحدهما نظرا وبجمع بين رواية
الواحدة ورواية الثنتين على تقدير صحتهما بان لاحد الرواة
ظن ان الساقط واحدة وبعضهم علم انه ثنتان فاخبر كل بحسب
علمه ومن قواعدهم ان زيادة الثقة مقبولة وبها يترجح
رواية الثنتين او ليته خصتنى فى اليقظة او النوم نظيرها
مرتبتها اى تقبيل التراب المنفصل من قدم له موصوفة باوصاف
جليلة كسابقتها منها انها كانت اذا مشت على حجر لانت حياء
اى لاجل ومن جهة استحيائها منها واجلالها لها من اجل مشيها
اى تلك القدم الكريمة الصفواء اى الحجارة الصلدة فاعل لانت
واعيد ضمير مشيها وما بعده عليها لتقدمها رتبة ونبه بذلك
على انه ينبغى لك ايها العاقل ان تستحى من مخالفتك لما جاء عن
نبيك لانك اذا علمت ان الحجر الاصم استحيى منه ان يبقى على
صلابته مع مشيه عليه فتشق عليه صلابته فلان له حتى
يسهل عليه مشيه عليه فانت اولى بالاستحياء منه ان تبقى
على مخالفته مع علمك بجليل اوصافه وعلى اخلاقه ثم هذا الذى
ذكره الناظم ذكره غيره ممن تكلم على الخصائص لكن بلا اسند
موطئ بدل من التراب الاخمص بفتح الميم والمراد به الجنس اى
الاخمصين وهو من التعبير بالبعض عن الكل اذ الاخمص من
القدم الموضع الذى لا يلتصق بالارض منها عند الوطئ و
الخمصان المبالغ فيه ولا يرد على كلامه ما رواه البيهقى
عن ابى هريرة كان صلى الله عليه وسلم اذا وطئ بقدمه وطئ بكلها
ليس له اخمص وابن عساكر عن ابى امامة كان صلى الله عليه وسلم
لا اخمص له يطأ على قدمه كلها لان المراد اخمصه معتدل الخمص
ومن ثم قال ابن الاعرابى اذا كان خمص الاخمص بقدر لم يرتفع
جدا ولم يستو اسفل القدم جدا فهو احسن ما يكون وان استوى
او ارتفع جدا فهو ذم الذى نعت للمضاف ولا يصح كونه نعتا
للمضاف اليه الا بتكلف منه صفة للمبتدأ الذى هو وطاء تقدمت

عليه فصارت حالا للقلب خبر المبتدأ وهو الفؤاد وقد يعبر به
عن العقل ومن المراد بالقلب وللخلاف فى العقل وذكر القلب
بعدا لاخص فيه تجنيس مراعاة النظير اذا مضجعى اى جنبى الذى
اضطجع عليه اقض بالقاف والمعجمة اى اصابه القضض وهو التراب ب
الذى يعلو الفراش كما فى القاموس وطآء اى فراش ووصف
ذلك التراب الذى هو موطئ القدمين الشريفين بانه لو فرض
ان مضجعه اصاب تراب فراشه الذى هو من جملة ذلك التراب
سرى سر ذلك التراب الاكبر الى قلبه فاناره وارلحه من الاغيار
وصيره على اكمل الاحوال وصانه من قبائح الخطرات والاقوال
كما ان الفراش يصون من فرش له عن ذلك وهذا اولى واظهر
مما حل به الشارح هذا البيت فتأمله ومن اوصافها ايضا انه
حظى المسجد الحرام يعنى جميع حرم مكة اذا المسجد الحرام يراد
به ذلك كثيرا كما فى القرأن فى مواضع كثيرة بل كل ما ورد فيه
من ذلك المراد به مكة الا فى نحو فول وجهك شطر المسجد
الحرام بممشاها اى بمشى تلك القدم فيه اى فضل حرم مكة
سائر البقاع ماعدا موضع قبره المكرم كما عليه اكثر العلما لواسطة
ولادة النبى صلى الله عليه وسلم وتربيته ونشأته فيه ومن ثم
صح من غير نزاع فيه لاحد انه صلى الله عليه وسلم قال لمكة والله
انك لاحب ارض الله الى الله ولولا انى اخرجت منك كرها ما خرجت
والحديث المعارض لذلك الذى رويه مفضلوا المدينة المنورة
موضوع كما اعترف به امام المالكية ابو عمر بن عبد البر وصرح بان
افضلية مكة هى الحق عند من الهم رشده وبرئ من التعصب
ولم يبش حظه منه ايلياء اى بيت المقدس بل شرفه ايضا فى بمشيه فيه
صلاته فيه بالانبياء ليلة الاسراء كما جاء ذلك فى الاحاديث
الصحيحة ولم يذكر المدينة لانه الذى انشأ شرفها كما قال
فى الحديث الصحيح اللهم ان ابرهيم حرم مكة وانى حرمت
المدينة لحديث فقوله حرمت المدينة اى نزل تحريمها على لسانى

ولم يسبق زمنى بخلاف مكة فان تحريمها من يوم خلق الله السموات
والارض كما فى حديث البخارى وغيره فحديث البخارى وغيره
ايضا ان ابرهيم حرم مكة معناه اظهر حرمتها لا غير جمعا بين
الحديثين فانه متعين ما امكن وليس الكلام فى ما انشأ حرمته
وانما هو فى ما عرفت حرمته من قبله على لسان غيره من الانبياء
عليهم الصلوة والسلام لكن ازدادت حرمته بركة حلوله به و
مشيه فيه ففضل غيره حينئذ ففضل مكة وبيت المقدس ليس
لتقدم حرمتهما قبله صلى الله عليه وسلم بل لاجل حلوله ومشيه
فيهما وبين حظى وحظه كورمت ورمى تجنيس شبه الاشتقاق
ومن اوصافها ايضا انها ورمت كما فى حديث الصحيحين انه
صلى الله عليه وسلم قام من الليل حتى تورمت قدماه فقيل له
اتتكلف هذا وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر فقال
افلا اكون عبدا شكورا وفى رواية لهما عن عائشة رضى الله عنها
قام نبى الله صلى الله عليه وسلم حتى تورمت قدماه وفى رواية
حتى تفطرت قدماه فقلت له لم تصنع هذا وقد غفر الله لك
ما تقدم من ذنبك وما تأخر فقال افلا اكون عبدا شكورا
فلما بدن وكثر لحمه صلى جالسا فاذا اراد ان يركع قام فقرأ ثم
ركع والفاء للسببية والتقدير اترك تهجدى فلا اكون عبدا
شكورا والمعنى ان المغفرة سبب لكون التهجد لمحض الشكر فكيف
اتركه قال ابن بطال شارح البخارى فى هذا الحديث
اخذ الانسان على نفسه بالشدة فى العبادة وان اضر ذلك ببدنه
لانه صلى الله عليه وسلم اذا فعل ذلك مع علمه بما سبق له فكيف بمن
لم يعلم بذلك فضلا عمن لم يأمن انه استحق النار انتهى قال
بعض المفسرين قام صلى الله عليه وسلم لطول ليلة على قدميه لا وقليلا
فلما تورمت قدماه كان يقف على اطراف اصابعه فانزل الله
عليه طه اى طاء الارض بكل قدمك واسترح مما انت فيه من
التعب فانا ما انزلنا عليك القرأن لتشقى اذ اى وقتا ولاجل

الله رمى بها ظلم الليل ففيه استعارة بالكناية شبه القدم الشريفة
بسهم صائب من حيث ان قيام القدم في طاعة الله وحينئذ يزيل
ظلمة الليل ووحشته كما ان رمي السهم في طاعة الله يزيل سورة
عدوه ووطأته فتشبيه القدم بالسهم في ذلك استعارة بالكناية
لبنائها على هذا التشبيه المكني في النفس واثبات الرمي لها
استعارة تخييلية وبهذا التقرير البديع المبقي للباء على حالها
يندفع زعم الشارح انها بمعنى من او عن وانه لا يصح
بقاؤها على حالها ولما كان قيام الليل كذلك ينشأ اما عن مزيد
خوف او سعة رجاء بين الناظم رحمه الله ان قيامه صلى
الله عليه وسلم لم يكن لاجل ذلك وانما كان لمحض الشكر كما افا ده
قوله افلا اكون عبدا شكورا مع التلذذ بمناجاة الله تعالى
والقيام بين يديه وان خوفه ورجاءه اللذين وصل فيهما
الى الغاية لم يصل اليها غيره انما كانا لمحض التقرب بهما الى
الله تعالى فقال الى الله خبر مقدم خوفه منه قال
صلى الله عليه وسلم انا اعلمكم به واخوفكم منه والرجاء اي
وسعة امله فيما عنده لا الى غرض آخر لان الله تعالى عصمه
عن ان ينظر او يميل الى غيره طرفة عين بل هو دائم التوله
في حضرات الشهود الاقدس والتملي بمعاني القرب لا لانفس
ووقع للشارح رحمه الله حل هذا البيت على خلاف ما ذكرته
وما ذكرته اولى وانسب بمقامه صلى الله عليه وسلم كما لا يخفى
على متأمل ثم رأيت القرطبي اشار الى ما ذكرته حيث قال ظن
من سأله في حديث الصحيحين المذكور عن سبب تحمله المشقة
في العبادة انه انما يعبد الله خوفا من الذنوب وطلبا للمغفر ة
والرحمة فمن تحقق انه غفر له لا يحتاج الى ذلك فافادهم ان
هناك طريقا آخر للعبادات وهو الشكر اذ هو الاعتراف بالنعمة
والقيام بالخدمة فمن كثر ذلك منه سمي شكورا لكنه قليل
كما قال تعالى وقليل من عبادي الشكور وفي الحديث بيان ما كان

عليه صلى الله عليه وسلم من الاجتهاد في العبادة والخشية من ربه
قال العلماء انما الزم الانبياء انفسهم بشدة الخوف لعلمهم
بعظيم نعمة الله عليهم وانه ابتدأهم بها قبل استحقاقها
ق فبذلوا مجهودهم في عبادته ليؤدوا بعض شكره مع ان حقوق
الله اعظم من ان يقوم بها العباد انتهى وقيام الليل
كان في اول الاسلام واجبا عليه صلى الله عليه وسلم
وعلى امته كما ذكره الله في اول سورة المزمل ثم نسخ بما في
صح آخرها ثم نسخ عن الامة بالصلوات الخمس وكذا عنه على الا
كما نص عليه الشافعي رضي الله عنه ولكن اكثر اصحابه على انه لم ينسخ
عنه لقوله تعالى ومن الليل فتهجد به نافلة لك اي عبادة زائدة
في فرائضك لان الامر للوجوب وقيل معناه زيادة خالصة
لك لان تطوع غيره يكفر ذنبه وتطوعه خالص له لكونه لا ذنب
عليه فسائر تطوعاته صلى الله عليه وسلم لمحض زيادة الدرجات
والقرب واما حديث اللهم اني اسألك الجنة وما قرب اليها
من قول وعمل واعوذ بك من النار وما قرب اليها من قول وعمل
فيها فهو تعليم لامته وبين الخوف والرجاء المقابلة ومن اوصافها
ايضا انها دميت اي خرج دمها في الوغى قال الشارح هو الصوت
والجلبة ويقال للحرب لما فيها من الصوت والجلبة وكثرة اختلاط
الاصوات وهو المراد هنا انتهى لتكسب هي طيبا ما اي الذي
اراقت من الدم بيان لما الشهداء جمع شهيد فعيل بمعنى فاعل
لانه يشهد الجنة وما اعد الله له فيها عند طلوع روحه او مفعول
لان ملائكة الرحمة تشهده عند ذلك وهو فاعل اراقت اي
من حكم خروج الدم من رجله الشريفة ان يعود طيب ذلك الدم
وبركته على جميع دم الشهداء حتى يكون ريح دمهم كريح المسك
كما اخبر صلى الله عليه وسلم عن دمهم بانه كذلك وكان ينبغي للناظم
ان يذكر هنا من اوصاف يده الكريمة لان الذي في البخاري انه
صلى الله عليه وسلم خرج الى ثقيف يدعوهم الى الله فابوا واغروا به سفهاء

هم انه صلى الله عليه وسلم دميت اصبعه فقال
هل انت الا اصبع دميت وفي سبيل الله
ما لقيت وقد يحمل كلام الناظم
على ما سبق
صح

فرموه بالحجارة الى ان ادموا رجليه فجلس من شدة الالم وزيد مولاه
يحميه منهم فان قلت ليس هنا حرب والناظم قيد ذلك بالوغى
قلت قد علمت ان اصل الوغى الصوت والجلبة وهذا موجودها
على ان لنا ان نمنع قولك ليس هنا حرب وسند المنع انه اقام عندهم
شهرا يدعوهم وهم لا يجيبونه بل يغرون به سفهاءهم وعبيدهم يسبونه
قال موسى بن عقبة ورجموا عراقيبه بالحجارة حتى اختضبت نعلاه
بالدماء زاد غيره وكان اذا اذلقته الحجارة قعد الى الارض فيأخذ ونه
بعضديه فيقيمونه فاذا مشى رجموه وهم يضحكون وزيد بن حارثة
يقيه بنفسه حتى لقد شج فى راسه شجاجا وهذا حرب واى حرب
لان من قام بين ظهرانى العدو وفى اجمعهم بما يكرهونه من غير اذن يزجرهم
بزجرهم ولا ينفك عنهم بضربهم محارب لهم اى محارب ويدل لذلك
ان المتباعدين وامر المتحاربين الصفين اذا التقيا بلا بحيث يصل
سلاح كل الى الآخر وان لم يقع قتال بل ولا سل سيف ولا رمى
سهم تنزيلا لما بالقوة منزلة ما بالفعل فكذلك هنا بل فى صرفه
الوغى عن معناه الحقيقى الى معناه المجازى وقال انه المراد هنا
اى كما يقضى به سياق النظم لكن كان عليه ان يبين ما يشهد
لذلك المراد من كتب السير او غيرها واذا تقرر انه صلى الله
عليه وسلم قام على قدميه حتى تورمت وانها دميت فى الحرب
لتكسب طيب دمها دم الشهداء طيبا فهى حينئذ قطب المحراب
وقطب الحرب اى انتهى اليهما الثبات فى الصلوة والحرب فى
حالة لم توجد فى غيرها لانه صلى الله عليه وسلم لا اتقى ولا اخشع
لله منه ولا اشجع كما مر فهى قطب العبادات والجهاد فى سبيل
الله لا تتحرك ولا تنتقل من مكانها فلذا دارت عليها قبائل العرب
الذين اكرمهم الله بطاعة الاقتداء به والمجاهدة معها كما
قال كم اى مرات كثيرة دارت عليها فى طاعة لله حال من قوله
ارحاء اى قبائل وهذا تذييل وقطب الرحا ما يدور عليه ويسمى
امير الجيش قطب رحا الحرب لانها انما تدور عليه واستفيد من

ذلك

ذلك انها مركز دائرة الوجود فهى نقطة الكون المخلوق لاجلها ابتداء
والمتصرف فيه انتهاء وبين المحراب والحرب تجنيس الاشتقاق واراه
اى اعلم انه صلى الله عليه وسلم لو هى مع شرطها وجوابها سدت مسد
المفعول الثانى ويصح ان ما جنت هو المفعول وجواب لو محذوف
دل عليه ما جنت واعلم ان الكلام على لو كثر اختلاف العلماء فيه
وقد اردت هنا ايراد خلاصته لانه مما يضطر الى معرفتها
فاقول هى شرط للماضى غالبا واختلفت عبارات النحاة
فى معناها حتى قيل انهم لم يفهموه قال سيبويه هى حرف لما
ع كان سيقع لوقوع غيره وقال البصريون حرف امتناع لامتناع
واختلف فى مرادهم بذلك فقال ابن الحاجب مرادهم امتناع
الشرط لامتناع الجواب لا عكسه لان انتفاء السبب لا يدل
على انتفاء مسببه لجواز ان يكون للشئ اسباب واستدل
لذلك بقوله تعالى لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا لانها سيقت
منها لنفى تعدد الآلهة بامتناع الفساد لا عكسه اولا يلزم من انتفائها
انتفاؤه اذ المراد فساد نظام العالم عن حالته وذلك جائز
ان يفعله الاله الواحد سبحانه انتهى ورد واعليه واطالوا و
صوبوا ان المراد امتناع جوابها لامتناع شرطها كما هو
المتبادر للافهام واعترض ذلك بان الجواب قد لا يمتنع فى
اماكن كثيرة نحو ولو ان ما فى الارض من شجرة اقلام الآية وقول
عمر رضى الله عنه نعم العبد صهيب لو لم يخف الله لم يعصه
لان عدم النفود محكوم به وجد الشرط ام لا وكذلك عدم
العصيان وجد الخوف ام لا فلذلك حرر جمع محققون العبارة
عن معناها فقالوا انها حرف يقتضى امتناع ما يليه واستلزامه
لتاليه من غير تعرض لنفى التالى فقيام زيد من لو قام زيد
قام عمرو محكوم بانتفائه ويكون مستلزما ثبوته لثبوت قيام
عمرو وهل لعمرو قيام آخر غير اللازم عن قيام زيد او ليس له
عا لا تعرض لذلك ثم ان ناسبه بان لزم الثانى الاول عقلا او شرعا

او عادة ولم يخلف المقدم في ترتيب التالي عليه غيره لزم انتفاؤه
بانتفائه كلو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا ففسادهما لازم
لتعدد الآلهة على وفق العادة عند تعدد الحاكم من التمانع في
الشيء ولم يخلف التعدد في ترتيب الفساد غيره فينتفي الفساد
بانتفاء التعدد المفاد بلو وان خلفه لم يلزم كلو كان انسانا
لكان حيوانا فالانسان لازم للحيوان عقلا لانه جزؤه ويخلف
الانسان في ترتيب الحيوان غيره كالحمار ويثبت الثاني مع انتفاء
الاول ان لم ينافي انتفاءه وناسبه اما بالاولى كاثر عمر رضي الله عنه
والمرتب فيه عدم العصيان على عدم الخوف وهو بالخوف المفاد
بلو انسب للترتيب عليه ايضا في قصده والمعنى انه لا يعصي الله
مطلقا لا مع الخوف وهو ظاهر ولا مع انتفائه اجلالا له تعالى
عن ان يعصيه او المساوي لقوله صلى الله عليه وسلم في بنت ام سلمة
لو لم تكن ربيبتي في حجري ما حلت لي انها لابنة اخي من الرضاعة
رواه الشيخان اي لا تحل لي اصلا لان لها وصفين متساويين
المصاهرة والرضاع لو انفرد كل منهما حرم او الادون كلو انتفت
اخوة الرضاع ما حلت للنسب الادون منه الرضاع لم يسكن
هو بها اي بقدمه قبل بالبناء على الضم حراء مفعول يسكن
بالصرف هنا لا غير لئلا يلزم زحف الوزن وفي غير هذا يجوز كل
منهما بالاعتبارين المعروفين ماجت اي تحركت واضطربت
به اي القدم او النبي صلى الله عليه وسلم وفي نسخة بها الدأماء
اعلم ان الشارح تكلم على هذا البيت بما فيه خفاء ونظر لانه جعل
مفعول اراه الثاني ماجت ولو لم يسكن شرط جوابه محذوف
لدلالة الكلام عليه وقال في الذاماء هي بالمعجمة كانه اراد بها
سرعة الحركة وقال في حله ومن اوصافه انه لو لم يسكن بالقدم
المذكورة حراء لما اراد التحنث فيه ماجت بسرعة الحركة واستمر
اضطرابه به صلى الله عليه وسلم كما انه لما صعد احد تحرك به فقال اثبت
احد فذاك تسكين بالقول وهذا بالفعل انتهى ولم يظهر من هذا

الحل مع ما قبله من الاعراب معنى مطابق للنظم وجعل سرعة
الحركة فاعل ماجت في غاية الخفاء مع عدم المناسبة لما قبله على
انه في القاموس لم يذكر الذأماء بالمعجمة اصلا ولا الذأم بالمعجمة
معنى مناسبا لسرعة الحركة ولا مقاربا لها اصلا وانما ذكر لذأم
ما قد يناسب سرعة الحركة وهو الرعب وعبارته في ذأمه بالمعجمة
كمنعه حقره وذمه وطرده وخزاه والاذأم الرعب وما
سمعت له ذأمة كلمة انتهت وانما ذكر الدأماء في المهملة فقال
دأم الحائط كمنع دعمه وتدأم الماء الشيء غمره والفحل الناقة تجللها
وتدائمه الامر كتفاعله تراكم عليه وتزاحم والدأماء البحر ثم قال الجوهري
مدام كمنبر ركب كل شيء انتهى والذي يتجه في حله ان ماجت جواب
لو وان الدأماء بالمهملة وانها البحر وان فيها الاستعارة المصرحة
لانه شبه الجبل بالبحر لانه لما تحرك به صلى الله عليه وسلم اشبه
تحركه حينئذ تحرك البحر براكبه وان ماجت استعارة مرشحة
لانها تناسب المشبه به وهو البحر اذ لا يستعمل ماج الا في الماء
كما يصرح به كلام القاموس وحينئذ فالمعنى واعلم انه لو لم
يسكن بقدمه حراء قبل اي عند ابتداء تحركه به بقوله له اثبت
حراء الى آخر ما مر في شرح قوله فاهتز به للصلوة فيها حراء لماج
اي استمر اضطرابه وتحركه الى آخر الدهر لما مر انما هزة الطرب
والسرور برقيه صلى الله عليه وسلم وكان القياس لو لم يسكن
بقدمه قبل حراء ماج لكن لما احتاج الى تشبيه الجبل بالبحر من
البلاغة المبنية على الاستعارتين المذكورتين فان قلت
الذي في حراء انه انما قال له اثبت ونحوه ولم يضربه بقدمه و
انما الذي ضربه بقدمه احد وثبير فمن اين للناظم قوله
لو لم يسكن بها قبل حراء قلت كانه نظر الى ما في بعض الطرق
في مسند الحرث بن ابي اسامة اذ فيها احدا وحراء بالشك وصحح وفي
رواية لحن فاقتضى ذلك ان الضرب بالقدم الكريمة في حراء كما
انه في احد وكذا يحمل النظم على ان المراد لو لم يسكن حراء قبل

فيما ذكر عدل عن ذلك الى ماجت الدأماء
لو فادتها في تشبيه الجبل بالبحر مع

في رواية حراء مع

اى قبل طلوعه عليه هو واصحابه بقدمه اى مشيه عليه واقامته
فيه للتعبد قبل النبوة لاستمر توجه واضطرابه حتى طلع عليه
ثانيا هو واصحابه وحينئذ لا يرد على الناظم شئ الا ان يقال
السكنى له كلا من قدمه وقوله له اثبت اواهدأ حراء فلا وجه
لتخصيص القدم بالذكر وقد يجاب بانه لا مانع اذا السكنى له
كل من الامرين فنسبته الى القدم لا ينافى انه لا مسكن غيرها
وكذا لا يجعل اليد اماء الارض تسميه المحل باسم الحال وحينئذ
فالمعنى لو لم يسكن بقدمه حراء اى بتعبده فيه قبل النبوة
لمات به الارض بعد النبوة فرحا وطربا الى آخر الدهر وخص
حراء لانه صلى الله عليه وسلم خصه بتعبده فيه دون غيره
تنبيه اشار صلى الله عليه وسلم فى احد الى ان سبب تحركه
بمحبته له فقال احد يحبنا ونحبه رواه الشيخان قال
الخطابى والمراد بحب احد حب اهل المدينة نحو واسأل القرية
ورده البغوى وتبعوه بانه لا مانع من حمله على ظاهره ولا
ينكر وصف الجمادات بحب الانبياء والاولياء واهل الطاعة
نظير ما مر فى حنين الجذع لما فارقه صلى الله عليه وسلم وحديث
ان حجرا كان يسلم على قبل النبوة وروى البزار وابو نعيم
حديث لما اوحى الى جعلت لا امر بشجر ولا حجر الا قال السلام
عليك يا رسول الله ولما ذكر جملة كثيرة من معجزاته صلى الله
عليه وسلم التى من شاهدها آمن بها من فوره بين ان الكفار
الذين شاهدوها ولم تزدهم الا ضلالا لاحقيقون بان يقال
فى شانهم عجبا بدل من اللفظ بفعله وهو الامر المستغرب
الخارج عن قياس العقول للكفار اى منهم حال كونهم زادوا
ضلالا بالمعجزة القرآن وغيره الذى فيه اى فى كل من فرد
افراده للعقول السليمة الخلية عن العناد والخذلان و
الحسد والغل ومن الكلام على العقل وما فيه من الخلاف
اهتداء الى الدين الحق الذى جاء به محمد صلى الله عليه وسلم

والى صحة ما تحدى به ويصح ان يراد العقول لا بالقيدين
المذكورين حملا للاهتداء على ما يشمل ما بالقوة وما بالفعل
اذ المعجزة فيها الاهتداء بالقوة وان قارنها عنادا وخذلان
وبين الضلال والاهتداء والجن والانس الطباق ووجه الآيتين
التعجب منهم واضح فانهم كانوا مع ما شاهدوه من الآيات
والمعجزات التى ترشد العقول الى الحق لا يزدادون لما عندهم
من الحسد والتلبيس على الضعفاء منهم الا اباء وكفرا وتردا
كما قال تعالى عنهم وان يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر
وعجبا ايضا من الذى يسألونه منه على جهة التعنت
والعناد وهى كثيرة منه كتاب منزل معه عليهم من السماء
قد اتاهم به وهم يشاهدونه وارتقاء منه اليها وغير ذلك
مما حكاه الله تعالى عنهم بقوله وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر
لنا من الارض ينبوعا او تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر
الانهار خلالها تفجيرا او تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا
او تأتى بالله والملائكة قبيلا او يكون لك بيت من زخرف
او ترقى فى السماء ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا
نقرؤه وقالوا له ايضا لقد علمت انه ليس احد من الناس
اضيق بلدا ولا اقل ماء ولا اشد عيشا منا فاسأل ربك
فليسير عنا هذه الجبال التى ضيقت علينا وليبسط لنا فى
بلادنا وليخرق فيها انهارا كانهار الشام وليبعث لنا من
مضى من آبائنا وليكن فيهم قصى بن كلاب فانه كان شيخ
صدق فان صدقوك صدقناك وما قررته فى هذا البيت
اولى مما قرره الشارح فيه من ان الذى مبتدأ خبره كتاب
وارتقاء معطوف عليه لانه حينئذ لا تعلق له بما قبله ولا
بعده مع ما فيه من غموض المعنى بخلاف ما ذكرته فان مناسبته
لما قبله واضحة وكذا لما بعده كما يدل عليه الاستفهام التعجبى
الانكارى عليهم فى قوله ايقولون ذلك كله ويتعنتون به

ولم يكفهم عن ذلك كله من الله حال من فاعل يكف وهو ذكر
واصل اليم وتسميته ذكراً جاءت في آية مراداً به الشرف كما في
رواية لذكر لك ولقومك وفي اخرى مراداً به تذكر لكل ما ينفع
ومحذر عن كل ما يضر فيه للناس والجن بل والملائكة رحمة
باهتداء المؤمنين به وتأخير عذاب الاستيصال عن الكافرين
ببركة كونه بين ظهرانيهم وشفاء من كل داء ظاهر وباطن حسي
او معنوي كما قال تعالى قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء وتخصيص
المؤمنين لانهم المقصودون بذلك بالذات وغيرهم بطريق اكابر
التبع وانما قلت والملائكة لقول بعض ائمتنا ان الملائكة
لم يعطوا فضيلة حفظ القرآن لكنهم حريصون على استماعه
من غيرهم قال العلماء لم ينزل الله من السماء شفاء قط اعم ولا
انفع ولا اعظم ولا انجع في ازالة الداء من القرآن فهو للداء شفاء
ولصدأ القلب جلاء كما قال تعالى وننزل من القرآن ما هو شفاء
ورحمة للمؤمنين قال الفخر الرازي وغيره ومن ليست للتبعيض
بل للجنس والمعنى وننزل من هذا الجنس الذي هو القرآن شفاء
من الامراض الروحانية كالاعتقادات الفاسدة في الالهية و
النبوة والمعاد وفي القرآن من النصوص القاطعة بفساد
تلك ما يكفي ويشفي وكالاخلاق المذمومة وفيه اوضح بيان
لانواعها وحض على اجتنابها ومن الامراض الجسمانية بالتبرك
بقراءته عليها لكن مع الخلوص وفراغ القلب من الاغيار واقباله
على الله تعالى بكليته وعدم اكل الحرام وعدم رين الذنوب
وعدم استيلاء الغفلة على القلب وصح حديث ان الله لا
يقبل الدعاء من قلب غافل لاه وقراءته مع هذه حالته
على اي مرض كان مبرئة له وان اعيا الاطباء ومن ثم قال
بعض الائمة متى تخلف الشفاء فهو اما لضعف تأثير الفاعل
او لعدم قبول المحل المنفعل او لمانع قوي فيه يمنع ان ينجع
فيه الدواء كما يكون ذلك في الادوية والادواء الحسية وقد

روى

روى حديث من لم يستشف بالقرآن لا شفاه الله نعم روى
ابن ماجة انه صلى الله عليه وسلم قال خير الدواء القرآن
وعن العارف الامام الكبير ابي القاسم القشيري رحمه الله
ان ولده اشتد به مرض فانزعج عليه فرأى النبي صلى الله عليه
وسلم فشكا اليه ما بولده فقال له اين انت عن آيات
الشفاء اي وهي ست آيات مشهورة فكتبها ومحاها بماء و
سقاها له فكانما انشط من عقال ثم استطرد بذكر شيء مما
اشتمل عليه القرآن العزيز من المعجزات الباهرة والآيات
الظاهرة فمن ذلك بل ابهر في قمع المعارض وادحاض الجاحد
انه اعجز قيل علم اعجازه ضروري والاصح ان محله في من
شاهد النبي صلى الله عليه وسلم او علم وجوه الاعجاز وظاهر
ان المشاهد يحصل له العلم الضروري باعجازه وان لم يعلم
وجوه الاعجاز ولا يستبعد ذلك لان من كشف عن قلبه
الغطاء عند المشاهدة يحصل له قطعا العلم الضروري
انه رسول الله وما جاء به من عند الله وانه معجز للخلق عن
محاكاته لان هذا امر يدركه الذوق السليم وان لم يمكن
صاحبه ان يعبر عنه بل لو ادعى مدع ان ذلك قد يحصل لبعض
حذاق العوام لم يبعد لا سيما وكل يدرك فرقا بديهيا بين
القرآن وغيره عند سماعهما الانس آية عبر بها تبعا
للقاضي ولم يبال بان الذي عليه الجمهور ان اقل ما وقع به
التحدي اقصر سورة منه وهي ثلاث آيات ومثلها طلب
منهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يأتوا بمثله فعجزوا
فطلب ان يأتوا بعشر سور من مثله فعجزوا فطلب منهم ان
يأتوا بسورة من مثله فعجزوا فكان اقل ما طلب منهم قدر اقصر
سورة من سوره وذلك لان في دليل الجمهور شيئا اذ يلزم
من كونه لم يطلب منهم دون السورة انهم قادرون على اقل
منها لان المشاهدة قاضية بانهم عجزوا حتى عن بعض الآية

المفيد كما يفيده النظم الآتى او بعضها لان فى ارتباطها بما قبلها
وبعدها انواعاً من بديع الحكم لا يحيط بها غيره صلى الله عليه وسلم
فالحق انهم عاجزون عن محاكاة آية من آياته حتى ثم نظراً او بعضها
المفيد لكن مع النظر لمناسبتها لما قبلها وما بعدها واما التصريح
بانه لم يقع العجز الا عن ثلاث آيات فيرده المشاهدة الخارجية
اذ لم يسمع من احد قط انه حاكى شيئاً منه وا عجز الجن آية منه
ايضا وذكرهم كالآية لان التحدى وقع لهم ايضا لانه صلى الله عليه
وسلم مبعوث اليهم اجماعاً ومن زعم انهم انما ذكروا تعظيما لاعجازه
لانهم ليسوا من اهل اللسان العربى يرده بان الآية تقتضى انهم يحسنون
اللسان العربى فادعاء خلافه يحتاج لدليل قيل ولم يذكر الملائكة
لانه صلى الله عليه وسلم ليس مرسلا اليهم ويرده بان الاصح خلافه ومن
ثم قال بعضهم انهم مستوون فى الآية ايضاً وانهم لا يقدرون
على معارضته اى وكان حكمة عدم ذكرهم عصمتهم عن المخالفة
فلم يحتج لتحديهم وعلى كل فلم يستطع احد من الفريقين بل الثلاثة
فى زمنه صلى الله عليه وسلم ولا بعده ان يأتى بمثل آية او سورة
منه على نظمه البديع وتأليفه المنيع وعذوبة منطقه وما
فيه من الامثال والاخبار بالمغيبات ودلائل البعث والنبوة
والاخلاق الكريمة وضدها وهذا مقتبس من قوله تعالى
قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون
بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً وحينئذ فهلا هى فى اصلها
للتحضيض والمراد بها هنا التهكم ونظيره من حيث ان لولا بمعنى
هلا فيثبت لهذه ما لتلك فلولا نصرهم الذين اتخذوا من دون
الله الآية فهى هنا للتوبيخ والتنديم فكذلك هلا هنا التوبيخ من
يزعم امكان المعارضة كبعض اهل الضلال والالحاد يأتى
بها اى الآية والمراد بعضها المفيد البلغاء جمع بليغ والفرق
بين الفصاحة والبلاغة ان الاولى لخلوص اللفظ من تنافر
الحروف والغرابة ومخالفة القياس اللغوى ويوصف بها الكلام

والمتكلم والكلمة والثانية مطابقة الكلام لمقتضى الحال بان يدل
على ما يقتضيه حال المتكلم او المخاطب او المحكى عنهم من تنكير او اطلاق
او تقديم او اضمار او ايجاز او فصل وضدها ويوصف بها ما عدا
الكلمة وبلاغة المتكلم ملكة يقتدر بها على ايراد الكلام البليغ غير
محتاج الى تعقب واستدراك وافاد الناظم رحمه الله بهذا
ان البلغاء فضلاً عن غيرهم مع انهم العرب الفصحاء والخطباء
البلغاء والشعراء الفهماء فى قريش وغيرها والمتقدمون فى اللسن
والتبيان والرؤساء فى قوانين المعانى والبديع والبيان و
الفرسان فى ميادين الفصاحة والشجعان فى مهامه البلاغة
اظهروا اعواز عجزهم عن ذلك اعجب فى الآية واوضح فى الدلالة
من احياء الموتى وابراء الاكمه والابرص لان قوم عيسى لم يكونوا
يطمعون فى ذلك ولا يتعاطون علمه وقريش كان اعلى اربهم
ومنتهى طلبهم التفنن فى افنية الفصاحة والتنزه فى رياض
البلاغة والتقدم فى عاجيب الخطابة واساليب البراعة فدل
عجزهم عنه مع ذلك على انه انما هو لكونه من اعلام نبوته وبراهين
رسالته وهذه حجة قاطعة ومحجة ساطعة اذ محال ان يلبثوا
ثلاثا وعشرين سنة على السكوت عن معارضة آية منه المستلزم
لنقض امره وتفريق اتباعه وزوال شوكته وحيازة مرتبته
مع قدرتهم عليها وطلبها منهم وقتل اكابرهم وسبى ذراريهم
وهو لا يزداد الا تقريعاً لهم بعجزهم حتى يكشف عن نقصهم ما كان
مستوراً وقال لهم ان زعمتم انى افتريته لعلمى باخبار الامم
فأتوا بمفترى مثله فلم يرم ذلك خطيب ولا طمع فيه شاعر
ولا تكلفه مصقع والا لظهر ووجد من يستجيده ويحامى عليه
ويزعم بمجرد الدعوى انه عارض وناقض فاذا لم يوجد ذلك
مع ان كثيراً منهم هجاه وعارض شعراء اصحابه وخطباء امته
قطع بعجزهم وتحيرهم وانقطاعهم ومن ثم قال الخطابى وقد
كان صلى الله عليه وسلم اعقل خلق الله وقد قطع القول فانه ما اتى

عن المعارضة وغاب عقلهم عن المناقضة ومن ثم كان عجزهم صح

بعجز عند ربه وانهم لا يأتون بمثل اقصر سورة منه فلولا انه
على بينة واضحة من ربه والا لم يقطع بشيء من ذلك على انه لم يزل
ينادي عليهم بالعجز عن معارضته وبالتقصير عن بلوغ الغرض
في مناقضته فلم يستطع احد منهم ان يناديه ولم يرفع راسه الى
ان يباديه بل رضيت هممهم السرية وانفسهم الابية اذ كانوا انف
شيء واشده حمية بسفك الدماء وهتك الحرم ولذلك قال العلماء
من اعلى وجوه اعجاز القرآن ان فصاحته وبلاغته خرقت عادة
العرب مع انهم اوتوا منهما ما لم يؤته غيرهم لانهم كانوا يأتون
منهما على البداهة بالامر الاعجب ويدلون به الى كل سبب
فيحيطون بهما عند شدة الخطب ويرتجزون به بين الطعن
والضرب ويترسلون في اودتهما فيأتون منهما بالسحر الحلال
ويتطوقون من دررها الجمل من سمط الجمال فلا يشك عاقل
انما طوع مرادهم وسلك قيادهم فما راعهم الا رسول كريم
بكتاب قديم لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل
من حكيم حميد بهرت بلاغته العقول وظهرت فصاحته على
كل مقول وهم افصح ما كانوا في هذا الباب مقالا واشهر ما وجدوا
في الخطابة والشعر مثالا صارخا فيهم في كل حين مقرعا لهم على
رؤس الملأ اجمعين فأتوا بسورة من مثله والا فانتم المردودون
الى اسفل سافلين ثم لم يزل يقرعهم ويوبخهم ويسفه احلامهم
ويحط اعلامهم ويسب آلهتهم ويستبيح نفوسهم واموالهم
وهم لا يزدادون الا تقهقرا عن المعارضة لم يأتوا بمقال
صابرون على الجلاء والقتل والصغار والاذلال ناكصون
عن معارضته مجموعون عن مماثلته مخادعون انفسهم
بالتشغيب والتكذيب والاعتراف بالافتراء في قولهم
ان هذا الا سحر يؤثر وسحر مستمر وافك افتراه واساطير الاولين
والمباهتة والرضا بالدنية كقولهم قلوبنا غلف وفي اكنة
مما تدعونا اليه وفي آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب

والادعاء مع ظهور غاية العجز عليهم بقولهم لو نشاء لقلنا
مثل هذا وقد قال لهم تعالى ولن تفعلوا فما فعلوا وما
قدروا اذ لو اطاقوا ادنى معارضة لبادروا اليها وافحموا
الخصم الذين كانوا محافظين على اطفاء نوره واخفاء اموره
مع طول الامد وكثرة العدد وتظاهر الوالد وما ولد بل ابلسوا
فأيسوا وقطعوا فانقطعوا هذا كله والآتي اليهم به مكث بين
ظهرانيهم اربعين سنة اميا لا يحسن نظم كتاب ولا عقد
حساب ولا تعلم سحرا ولا انشد شعرا ولا تحفظ خبرا ولا روى
اثرا حتى اكرمه بالوحي المنزل والكتاب المفصل قال تعالى وما
كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك اذا لارتاب
المبطلون روى البيهقي وغيره ان عتبة بن ربيعة قام من جمع
قريش الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جالس في المسجد وحده
فعرض عليه المال وغيره ليكف عما هو فيه فقال اسمع مني وقرأ
بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل من الرحمن الرحيم الى ان بلغ السجدة
فسمع ما ابهره فقال له النبي صلى الله عليه وسلم انت وذاك فقام
الى اصحابه فقال بعضهم لبعض لقد جاءكم بغير الوجه الذي
ذهب به فقالوا ما وراءك قال سمعت قولا ما سمعت مثله
قط فوالله ما هو شعر ولا سحر ولا كهانة اطيعوني معشر
قريش وخلوا بينه وبين ما هو فيه فليكونن له نبأ ولما بلغ
فقل انذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود امسكت فمه
وناشدته الرحم ان يكف وقد علمتم انه اذا قال شيئا لم يكذب
فخفت ان ينزل بكم العذاب وروى ابن اسحق والبيهقي ان الوليد
ابن المغيرة وكان زعيم قريش في الفصاحة طلب منه ان يقرأ
عليه فقرأ عليه ان الله يأمر بالعدل والاحسان الآية فاستعاده
اياها فما اعادها فقال والله ان له لحلاوة وان عليه لطلاوة
وان اعلاه لمثمر وان اسفله لمغدق وانه ليعلو وما يعلى وما
يقول هذا بشر وما فيكم اعلم مني بالشعر واجمعوا فيه رأيا

قبل حضور وفود العرب في الموسم لئلا يكذب بعضكم بعضا
فقالوا نقول كاهن قال ماهو بزمزمته ولا بسجعه قالوا
مجنون قال ماهو بخنقه ولا بوسوسته قالوا شاعر قال قد
عرفنا الشعر كله رجزه وهزجه وقريضه وبسيطه ومقبوضه
ماهو بشاعر قالوا ساحر قال ماهو بنفثه ولا بعقده وما
انتم فاعلون من هذا شيئا الا وانا اعلم انه باطل • وروى
الحاكم ان هذا الشقي لما رق لقراءة القرآن عليه جاءه ابو جهل
فقال يا عم ان قومك يرون ان يجمعوا لك مالا لانك اتيت
محمدا للمال فقال قد علموا اني من اكثرهم مالا قال فقل فيه ما يعلم
قومك انك كاره له فقال ماذا اقول وذكر ما مر من مدح
القرآن قال لا يرضى عنك قومك حتى تقول فيه قال فدعني
حتى افكر فلما فكر قال هذا سحر يؤثر اي ينقله عن غيره فتامل
قضاءه هو لاء الاشقياء على انفسهم بالعناد المحض والسفساف
القبيح والتقول الباطل ومع ذلك لم يزدادوا الا ضلالا
وعنادا وطغيانا وفسادا وما احسن ما قيل لو وجد مصحف
بفلاة لشهدت العقول السليمة بانه من عند الله فكيف وقد
جاء على يدي اصدق الخلق وقال انه من عند الله وتحداهم باقصر
سورة منه فعجزوا هذا وقد علم مما تقرر وجوه اعجازه اجمالا
واما تفصيلها فقد بينها الائمة وحاصله انه ينحصر مقصود اعجازه
في امور اربعة وعدها بعضهم اكثر من ذلك وهو يرجع الى
ما قلناه احدها ما فيه من الايجاز والبلاغة والتراكيب
بحيث وصل في كل منها ومن مراتب البلاغة فيها الى المرتبة العليا
لفظا ومعنى لصدوره ممن احاط علمه بجميع مراتب الالفاظ ومعانيها
فلا يضع لفظة عقب لفظة الا اذا لم يوجد غيرها ابلغ ولا انسب
منها وغيره ليس كذلك ومن ثم لما سمع اعرابي فاصدع بما تؤمر
سجد وقال سجدت لفصاحة هذا الكلام ولما سمع نصراني
قوله تعالى ومن يخش الله ويتقه الآية قال جمعت هذه الآية

ما انزل على عيسى من امر الدنيا والآخرة ولقد رام بعض سخفاء
العقول محاكاة بعض قصار المفصل فاتى من الهذيان بالعجب
العجاب كقول مسيلمة الكذاب اللعين يا ضفدع كم تنقين اعلاك
في الماء واسفلك في الطين لا الماء تكدرين ولا التراب تمنعين
وقوله محاكاة للنازعات والزارعات زرعا والحاصدات
حصدا والذاريات قمحا والطاحنات طحنا والخافزات خفزا
والثاردات ثردا واللاقمات لقما لقد فضلتم على اهل الوبر
وما سبقكم اهل المدر وقال آخر الم تر كيف فعل ربك
بالحبلى اخرج من بطنها نسمة تسعى من بين شراسيف واحشا
وقال آخر الفيل وما الفيل وما ادراك ما الفيل له ذنب
وبيل وشعر طويل فان ذلك من خلق ربنا القليل • ثانيها
انه مع كونه من جنس كلام العرب خارج عن سائر فنونه
من النظم والسجع والخطب والشعر ونحوها فحيرت عقولهم حتى لم
يهتدوا الى مثل شيء منه اذ لا امثال له عليه ولا امام يرجع
عند الاشتباه اليه ولقد رام قوم من المتأخرين انتهت اليهم
فصاحة وقتهم شيئا من محاكاته فاعترتهم هيبته فقطعتهم عن ذلك
ومنهم من فصل كلاما وجعله سورا فسمع صبيا يقرأ وقيل
يا ارض ابلعي ماءك ويا سماء اقلعي وغيض الماء وقضي الامر
فتاب ومحا ما عمل • ثالثها تاثيره في النفوس والقلوب
بحيث تجد من اللذة والحلاوة عند سماعه ما لا تجد عند سماع
غيره ومن ثم كان ان قارئه وسامعه لا يمله بل كلما زاد تكريره
زادت حلاوته واتضحت طلاوته • رابعها ما فيه من الاحاطة
بعلوم الاولين والآخرين ما فرطنا في الكتاب من شيء ومن الاخبار
بالمغيبات مما كان ويكون نحو ولن تفعلوه ولا يتمنونه ابدا
فما فعل مثله مخلوق ولا تمنى يهودي الموت وهذه ايضا من ابهر المعجزات
قال بعض المحققين اعجازه من وجهين اما اللذات من حيث
لفظه ومعناه المخصوصان اذ تأليفه ليس على هيئة ما يتعاطاه

البشر اذ لا يصح ان يقال له رسالة ولا خطابة ولا سجع وفنون
كلام العرب لا تخرج عن ذلك واما الصرف الناس عن معارضته
والاعجاز فى هذا ظاهر ايضا اذا اعتبر وذلك ان ما من صناعة
محمودة او مذمومة الا وبينها وبين قوم مناسبة خفية واتفاق
جلى لتوجه ولذا تجد هذا يؤثر حرفة لانشراح صدره لها وذاك
يكرههما وينشرح لاخرى وهكذا فلما ادعى اليه اهل البطالة الذين
يهيمون فى كل واد من المعانى بسلاطة لسانهم الى معارضة القرآن
فعجزوا عن الاتيان بمثله ولم يتصدوا لمعارضته لم يخف على
اولى الالباب ان صارفا الهيا صرفهم عن ذلك واى اعجاز ابلغ
من ذلك انتهى ملخصا وحاول بذلك توجيه القول بالصرفة مع
انه للنظام من المعتزلة لكن افسدوه بان قوله تعالى قل لئن
اجتمعت الانس والجن الآية دليل ظاهر على عجزهم مع بقاء
قدرتهم ولو سلبوا القدرة لم تبق فائدة لاجتماعهم لانه حينئذ
بمنزلة اجتماع الموتى وليس عجز الموتى مما يحتفل بذكره هذا مع
ان الاجماع منعقد على اضافة الاعجاز الى القرآن والقول
بالصرفة يلزمه اضافته الى الله لا الى القرآن وحينئذ يلزمه
زوال الاعجاز بزوال زمان التحدى وفيه خرق لاجماع الامة
ان معجزة الرسول العظمى باقية ولا معجزة له باقية اظهر من
القرآن ويلزم الصرف ايضا انه لا فضيلة للقرآن على غيره
فان قلت القول بعجزهم مع بقاء قدرتهم فيه جمع بين النقيضين
وهو محال قلت معنى قدرتهم ان هممهم توجهت الى المحاكاة
لظنها القدرة عليها فعجزت وعلى القول لم يتوجهوا للمعارضة
اسهل لقطعهم من نفوسهم بعجزها وانه لا قدرة لها عليها البتة
فان قلت توجه الهمم اليها مع العجز فى نفس الامر لا يسمى
قدرة قلت ممنوع بل يسمى قدرة باعتبار العرف وقطع
النظر عن الغايات ولا شك ان اهل فن البلاغة لا يقطعون
بسلب القدرة عن المحاكاة ابتداء بل بعد الاختبار فتأمله

لتعلم سقوط ما قيل كيف يخاطبون بالتحدى مع القطع بعجزهم عنه
ونظير ذلك خطاب من علم الله منه عدم الايمان بالايمان كابى
جهل وابى لهب نظرا لقدرتهما عليه باعتبار الظاهر واعراضا
عن النظر للغايات والعواقب ومن المفاسد ايضا قول
فريق ضلوا ان الكل قادرون على الاتيان بمثله وانما تأ
عنه لعدم العلم بوجه ترتيب لو يعلمون لوصلوا اليه به وآخر
ان العجز انما وقع من الموجودين واما من بعدهم ففى قدرتهم
الاتيان بمثله ومما يرد عليهم ان جماعة ممن انتهت اليهم
الرياسة فى الفصاحة تعرضوا لمعارضته كابن المقفع والمعرى
والمتنبى ونظرائهم فلم يأتوا الا بما تمجه الاسماع وتنبو عنه
الطباع ونادى عليهم بالخزى والانقطاع وصيرهم مثلة
وسخرية وضحكة الى ان تاب اكثرهم واظهر ندمه ونسكه
ولاشتمال القرآن على ما لا يحصى من العلوم والمغيبات واحوال
العالم الدنيوى والاخروى ونحو غير ذلك من العجايب **كل يوم** اى
وقت **تهدى** فاعله القرآء اى توصل وافاد التعبير به تشبيه
المعجزات بالتحف المهداة فهو استعارة بالكناية استعارة تخييلية
الى سامعيه معجزات من بيان المعجزة بما يتعين الوقوف عليه
ليعلم منه ان المراد بها هنا الامر الغريب وان لم يصدق عليه
حد المعجزة السابق مبتدأة **من لفظه** كعذوبته وانسجامه و
جزالة معناه وغاية ايجازه مع غاية بلاغته وبيانه مع فصاحته
وخروجه عن جنس كلام العرب حتى صار جنسا آخر متميزا
عنه مع اتحاد الحروف والاصطلاح وكثرة اخباره الصادقة
تارة عن الامم الماضية واخرى عن المغيبات وما فيه من العلوم
التى لا يمكن حصرها ونقل الامام ابن سراقة من اصحابنا ان كل
واحد من هذه رأى قوم انه سبب اعجاز القرآن ثم اعترضهم بان
كلهم ما بلغوا فى وجوه اعجازه جزءا واحدا من عشر معشاره وتبعه
البدر الزركشى فقال اهل التحقيق على ان الاعجاز وقع بجميع ما سبق

لاشتماله على الكل فنسبته الى احدها اى وحده تحكم بل فيه غير ذلك
كلونه لا يزال غضا طريا على الالسنة وفى الاسماع وجمعه صفتي
الجزالة والعذوبة وهما كالمتضادين اذ لا يجتمعان غالبا فى كلام
البشر وكونه مستدركا على جميع الكتب قبله فهى مفتقرة اليه
وهو غنى عنها ومن ثم كان ابين فى الاعجاز من سائر معجزات
الانبياء بل ومعادلا للكل لان سبيلها واحد وهو مخالفة
العادة وهى كثيرة كما تقرر فى وجوه اعجازه وسئل بعضهم
ما موضع الاعجاز من القرآن فقال هذا شبيه بقولك ما موضع
الانسان من الانسان ومعناه انه ليس الا الانسان بل متى اشرت
الى الجملة فقد حققته ودللت على ذاته كذلك القرآن لشرفه
لا يشار الى شيء منه الا وكان ذلك المعنى آية فى نفسه ومعجزة
لمحاوله وهدى لقائله وليس فى قدرة البشر الاحاطة باسرار
الله من كتابه فلذلك طارت العقول وتاهت البصائر عنده
ولكن اختلفوا فى تفاوته فى مراتب الفصاحة بعد اتفاقهم على بلوغه
الذروة العليا كما مر فاختار القاضى المنع وانما المتفاوت
ادراك الناس له واختار ابو نصر القشيرى وغيره تفاوته
وتبعهم ابن عبد السلام ولم يأت كله بالافصح لئلا يخرج عن
نمط كلام العرب فجاء على نمط كلامهم ليتم ظهور بقاء
العجز عن معارضته القرآن لان من سمع الفاظ القرآن وتدبرها ها
حق تدبرها علم ان كل لفظ منها باعتبار ما دل عليه امر
معجز لا يعارض ولا يناقض واذا بلغ القرآن فى الجلالة التى
مرت الاشارة اليها ما لم يبلغه غيره كان حقيقا بانه تحلى به
اى بسماعه المسامع من التحلية بالفاظه وتحلى بالفاظه
الافواه من الحلو وهو الحلى راجع للاول والحلواء بالفاظه راجع
للثانى رق اى حسن لفظا اى من جهته فلا تجد لفظا منه
فيها ما ينافى كمال الرقة الموجبة للفصاحة من تنافر او تعقيد
وراق اى تصفى من شوائب النقص اعجب كل ناظر فيه معنى

اى من جهته فلا تجد معنى من معانيه الا وهو واصل فى الاحكام
ووضوح المراد الغاية القصوى وفى رق وراق والحلى
والحلو الجناس كحلاها وحليها وسور وصور والنظائر و
النظراء والصفا والآيات والحروف والهجاء الآتيات وفيما
بعدهما اللف والنشر المرتب فبسبب كون سوره رقت و
راقت جاءت فاعله الخنساء وما قبله حال منه اى جاءت
كونها فى حلاها اى صفاتها الجميلة وحليها اى زينتها الخنساء
بنت عمرو وخصها من بين كثيرات تميمين بذلك لانها كانت شا
مغلقة كما يأتى بسط فى ترجمتها شبه سور القرآن فى صفاتها
العلية وترتيبها بما اودعته من الاسرار البهية بامرأة بلغت
من الزينة واوصاف الحسن ما لا يمكن التعبير عنه وارتنا اى
اوضحت لنا وفاعله رقة الآتى فيه اى القرآن غوامض اى
خفايا فضل كالعلوم والمعارف المستنبطة منه التى لا حد لها
ولا غاية ومن ثم جاء عن على رضى الله عنه لو شئت ان اوقر
بعيرا من تفسير سورة الضحى لفعلت رقة كائنة من زلالها
الزلال ماء فى غاية الحلاوة والبرودة يوجد فى اجواف صور
توجد فى نحو الثلج تشبه الحيوان وليست فى الحقيقة بحيوان
كما قاله بعض اكابر ائمتنا وصفاء من ذلك الزلال شبه اى
القرآن فى محاسن اساليبها وصفاء مواردها الموجبين لمن
حدق فى خفاياها احديد نظره وحقق فى غور مهاد فيق
فكره برد اليقين وصفاء القلب عن كل سوء حتى اطلع على سائر
الغوامض من العلوم الالهية والمعارف الاختصاصية و
المواهب الرحمانية والمآرب الروحانية بماء فى غاية العذوبة
والبرودة وصفاء الجوهرية ورقتها بحيث لا يمنع من رؤية
ما تحته مما من شأنه ان يخفى وبهذا التقرير تعلم من برد اليقين
وصفاء القلب يعلم ان ذلك انما يحصل لمن انصقلت مرآة فكره
كما اشار لذلك بكلام جامع بديع على عادته فقال انما تجتلى الوجو

الآتيات والمسامع والافواه واللفظ والمعنى مراعاة النظير كالوقد ح

عرة

الكلام مع

اى تظهر ظهورًا واضحًا لاخفاء معه نوجه اذا قوبلت بالمرآة
اذا ما زائدة جليت اى ازيلت وبين هذا وتجتلى تجنيس الاشتقاق
عن مرآتها بكسر الميم والمد الاصداء فكذلك مرآة القلوب لا تجتلى
لها العلوم والمعارف من القرآن الا اذا جليت عنها اصداء
الاغيار واذابت قواها فيما هى بصدده آناء اطراف النهار (الليل)
سور جمع سورة وهى الطائفة المخصوصة المسماة باسم مخصوص
توقيفى منه لبيان الجنس لان ما يأتى ليس خاصًا ببعض سوره
بل يشملها كلها اشبهت لاشتمال كل منها على ما فى الاخرى ومن
ثم وقع التحدى باقصر سورة منه صورا جمع صورة وصورة
الشئ شكله منا فى اشتمال كل منهما على عقل وادراك وفهم
وخلق لا يشارك فيه غيره ولا يتوقف على ما فى غيره وكان
الناظم قصد بهذا التشبيه الرد على من زعم ان الاعجاز انما هو
بمجموع القرآن لا بكل من سوره لان ما فيه من انواع الاعجاز البليغة
انما يستفاد من مجموعه وهذه مقالة فاسدة لا يعول عليها لمنافاتها
لقوله تعالى فأتوا بسورة من مثله كما مر بيانه فالصواب خلاف
هذه المقالة بل قائلوها معتزلة لا يقام لهم وزن ومثل النظاير
جمع نظير النظراء جمع نظير ايضا وهو المثل والمناظر ويطلق
النظاير على الاماثل والافاضل وكل منهما يصح ان يكون مرادا هنا
خلافا للشارح وهذا ساقه كالمثل المقابلة فيكون من التذييل
اى ومثل تلك السور التى هى نظاير كما قال ابن مسعود لقد عرفت
النظاير التى كان يقرأ بها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهى عشرون
سورة الاماثل والافاضل الذين يتناظرون فى التحلى بالفضائل
والتخلى عن الرذائل والاقاويل جمع قول والمراد به هنا اللفظ المفيد
عندهم اى الكفار ظرف للمبتدأ او للخبر كالتماثيل جمع تمثال وهو
الصورة يعنى ان تقولهم فى القرآن وافتراءهم عليه بما يقدح فى حقيته
امر مزخرف مموه بالاباطيل كما ان التصاوير التى يخترعها المصور ون
كذلك فكما ان هذه لا وجود لها فى الحقيقة ولا اعتبار بها فكذلك

تقولهم المذكور واذا انقرر لك ان جميع ما قالوه فى القرآن باطل
قطعى البطلان فلا توهمنك الخطباء اى فاحذر ان يوقع
مزخرفوا الكلمات بتشدقهم وتفاصحهم فى ذهنك ادنى ريب
او شك فى شئ من اوصاف القرآن التى مر بيان بعضها وما
ينبه على ما بقى منها كم اى مرات كثيرة ابانت اى اوضحت آياته
جمع آية وهى لغة العلامة واصطلاحا قرآن مركب من جمل
ولو تقديرا ذو مبدأ او مقطع مندرج فى سورة قال الجعبرى
ويشكل عليهم نحو ثم نظر فى المدثر آية اذ ليس فى هذه جمل
ولا تقديرا فالاولى قول غيره طائفة من القرآن منقطعة
عما قبلها وما بعدها لكن قوله من القرآن الاولى ان يعوض
بدله من السورة وسميت الآية بذلك لانها علامة على صدق
الآتى بذلك وعلى عجز المتحدين بها ويأتى قريبا عد آى القرآن
من زائدة فى الاثبات كما هو رأى جماعة علوم لا غاية لها
كما قال تعالى ما فرطنا فى الكتاب من شئ وقال ونزلنا عليك
الكتاب تبيانا لكل شئ وفى حديث الترمذى وغيره
سيكون فتن قيل وما المخرج منها قال كتاب الله فيه نبأ
ما قبلكم وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم واخرج سعيد بن منصور
عن ابن مسعود قال من اراد العلم فعليه بالقرآن فان فيه خبر
الاولين والآخرين قال البيهقى يعنى اصول العلم و
اخرج عن الحسن انزل الله مائة واربعة كتب واودع علومها
اربعة منها التورية والانجيل والزبور والفرقان ثم اودع
علوم الثلاثة الفرقان اى مع زيادات لا تحصى ومن ثم
قال الشافعى رضى الله عنه جميع ما تقوله الامة شرح
للسنة وجميع السنة شرح للقرآن وقال ايضا جميع ما حكم
به النبى صلى الله عليه وسلم فهو مما فهمه من القرآن وما ثبت ابتداء
بالسنة فهو فى الحقيقة مأخوذ منه لانا وجب علينا اتباعه
صلى الله عليه وسلم ولهذا قال مرة بمكة سلونى عما شئتم اخبركم عنه

من كتاب الله فامتحن بدقايق فاستنبطها من القرآن منها لو قتل
محرم زنبورا هل عليه جزاء فاستنبط لهم منه انه لا جزاء عليه لان
عمر رضي الله عنه امر بقتله والنبي صلى الله عليه وسلم قال اقتدوا
باللذين من بعدي ابي بكر وعمر والله تعالى يقول وما آتاكم
الرسول فخذوه الآية وتبعه اعني الشافعي العلماء على ذلك
فقال واحد ما قال صلى الله عليه وسلم شيئا او حكم او قضى بشيء
الا وهو واصله في القرآن قرب او بعد وقال آخر ما من شيء
في العالم الا وهو فيه فقيل له فاين ذكر الخانات فيه فقال في
قوله ليس عليكم جناح ان تدخلوا بيوتا غير مسكونة فيها متاع
لكم فهي الخانات وقال آخر ما من شيء الا يمكن استخراجه من
القرآن لمن فهمه الله تعالى حتى ان عمره صلى الله عليه وسلم ثلاثا وستين
استنبط من آخر سورة المنافقين لانها رأس ثلاث وستين سورة
وعقبها بالتغابن لظهوره بفقده صلى الله عليه وسلم وقال آخر
لم يحط بالقرآن الا المتكلم به ثم نبيه صلى الله عليه وسلم فيما عدا
ما استأثر تعالى بعلمه ثم ورث عنه معظم ذلك اعلام الصحابة
مع تفاوتهم فيه بحسب تفاوت علومهم كابي بكر فانه اعلمهم
بنص ابن عمر وغيره وكعلي كرم الله وجهه لقوله صلى الله عليه وسلم
في الحديث الحسن خلافا لمن زعم وضعه انا مدينة العلم وعلي
بابها ومن ثم قال ابن عباس رضي الله عنهما جميع ما اثرته لكم
من التفسير فانما هو عن علي كرم الله وجهه وكابن عباس
رضي الله عنهما حتى قال لو ضاع عقال بعير لوجد في كتاب الله
ثم ورث عنهم التابعون معظم ذلك ثم تقاصرت الهمم عن حمل ما
حمله اولئك من علومه وفنونه فنوعوا علومه انواعا ليضبط
كل طائفة علما وفنا فتوسعوا فيه بحسب مقدرتهم ثم افرد غالب
تلك العلوم وتلك الفنون التي كادت ان تخرج عن الحصر
وقد بين هذا القائل وجه استنباط غالبها منه بتأليف لا
يحصى وقال آخر علومه خمسون علما واربعمائة علم وسبعة آلاف

علم وسبعون الف علم على عدد كلم القرآن مضروبة في اربعة
اذ لكل كلمة ظهر وبطن وحد ومقطع ويضم لذلك اعتبار
تركيب ما بينها من روابط لكن هذا لا يحصيه الا المتكلم به
نعم ام علومه ثلاثة توحيد ووعظ وحكم ومن ثم سميت
الفاتحة امه لاشتمالها على هذه الثلاثة والاخلاص ثلثه
لاشتمالها على الاول وقال ابن جرير الثلاثة التوحيد و
الاخبار والديانات وقال آخر اشتمل القرآن على كل شيء كما قال
تعالى ما فرطنا في الكتاب من شيء اما العلوم فلا تجد مسئلة هي
اصل الا وفي القرآن ما يدل عليها وفيه عجائب المخلوقات
وملكوت السموات والارض وما في الافق الاعلى وتحت
العرش وبدء الخلق واسماء مشاهير الانبياء والملائكة و
عيون اخبار الامم السابقة وشانه صلى الله عليه وسلم
وغزواته واخباره الى مماته ثم شان امته من بعده
وبدء خلق الانسان الى موته وامارات الساعة وجميع
احوال البرزخ والحشر والجنة والنار وزعم الجاحظ انه
لا يوجد فيه شيء من المذهب الكلامي الذي هو احتجاج
المتكلم على ما يريد اثباته بحجة تقطع الخصم على طريقة
ارباب الكلام ولا من النوع المنطقي الذي تستنتج منه
النتائج الصحيحة من المقدمات الصادقة وردوا عليه
بانه مشحون من ذلك اذ ما من برهان ولا دلالة وتقسيم
وتحديد ينبني منه كليات العلوم العقلية الا وكتاب
الله قد نطق به وقد بين الاسلاميون من اهل هذه العلوم
كثيرا من ذلك منه ان من اول سورة الحج الى قوله وان الله
يبعث من في القبور خمس نتائج تستنتج من عشر مقدمات
بل فيه الاشارة حتى لعلم الهندسة بل لاشكال ما فيه وهو
الشكل الثاني بقوله الى ظل ذي ثلاث شعب الآية فان
الآية وانما اوردت حججه على عادة العرب دون دقايق

المتكلمين لقوله وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه ولان
من استطاع ان يفهم غيره بالاوضح الذي يفهمه الاكثرون
لا ينبغي له ان ينحط الى الاغمض الذي لا يفهمه الا الاقلون و
الا كان ملغزا ومن ثم اخرج تعالى في مخاطباته في محاجة خلقه
في اجلى صورة واوضحها ليفهم العامة ما يقنعهم وتلزمهم الحجة
بسببه وللخاصة ما يليق بهم من دقايق المعارف التي هي منتهى
كل ومبلغ اربة ومن عجيب تلك الايات انها ابانت تلك العلوم
التي لا غاية لها حال كونها متولدة عن بينها وبين من الجناس
اللاحق حروف قليلة بالنسبة اليها اخرج ابن الضريس عن
ابن عباس قال جميع حروف القرآن ثلثمائة الف حرف وثلاث
وعشرون الف حرف وستمائة حرف واحدى وسبعون حرفا
وهذه الحروف ليس المراد بها حروف التهجي بل مسمياتها فحروف
التهجي اسماء كاشفة عن تلك المسميات كما قال ابانه اي كشف
عنها الهجاء اي التهجي وهو تعديد الحروف بذكر اسمائها
فانك اذا قلت ضرب مركب من ض ر ب فقد عددت الحروف
البسيطة التي هي مادة الكلمة قبل ان تحصل صيغة والمراد
انه يتهجى بالاسماء عن المسميات حتى يتبين موضوع كل وبيانه
ان الحرف الذي اول زيد مثلا له مسمى هو ز والخطاء فيه
بحذف هاء السكت لا يؤثر لانه للتعليم ولذا سمي هو الزاء
لانه تعتريه ساير علامات الاسم وغيرهم قال سيبويه قال
الخليل يوما وسأل اصحابه كيف تقولون اذا اردتم ان تلفظوا
بالكاف التي في ذلك والباء التي في ضرب فقيل نقول باكاف
فقال انما جئتم بالاسم ولم تلفظوا بالحرف وقال اقول كه به
فحروف القرآن من الاول وحروف التهجي من المراد من الثاني
ودليل تسميتها حروفا الخبر الصحيح من قرأ حرفا من كتاب الله
فله حسنة والحسنة بعشر امثالها لا اقول الم حرف بل الف حرف
ولام حرف وميم حرف فتسميته كل حرفا اما لغة او مجازا باعتبار

مدلوله وحينئذ فهي اي حروف القرآن وان غزرت معانيها و
كثرت احكامها لا يستبعد منها ذلك وان كانت قليلة جدا بالنسبة
لما يستفاد منها لان لها مثلا لا يقربها نوع قرب كحروف اسماء
الاعداد والافتنان ما بينهما اذ ما يأتي له امد معلوم يفنى فيه
عن قرب وهذه مستمرة النمو والزيادة على مر الاعصار
وتوالي الازمان في هذه الدار بل وفي دار القرار كما يدل عليه
الحديث الصحيح انه يقال للقارئ في الجنة اقرأ وارق كما كنت
ترتل في الدنيا ويأتي ذلك قريبا بزيادة وذلك المثال هو اما
انها كحروف اسماء الاعداد فانها مع كونها الفاظا محصورة لا ينتهي
الوهم الى المعدود بها واما انها كالحبت الذي يلقيه الزارع والنوى
الذي يلقيه الغارس بالارض فينشأ من الاول من السنابل والحبوب
ما يكاد ان لا يحصى ولا يتناهى ومن الثاني من الثمر ما هو كذلك
وفي هذه الحالة اعجب فاعله يأتي فقول الشارح ان فيه ضميرا
للحبت والنوى وان فاعله سنابل سهو منه اذ كيف يتصور
في فعل ان له فاعلين ضميرا وظاهرا في حالة واحدة
الزارع والغارس كما يدل عليه ذكر النوى فهو اكتفاء كسرابيل
تقيكم الحر اي والبرد وفيه ايضا اللف والنشر المرتب
لعود الزارع للحبت والغارس للنوى وعود السنابل
للاول والزكا لهما منها اي تلك الزروع والاشجار
سنابل وزكاء اي نمو يفوت الحصر بحيث لو اجتمع اهل الارض
على استقصاء عددها لما اطاقوه فقد علمت ان المتناهي هنا
كما يحصل منه ما لا يتناهى فكذلك حروف القرآن هي متناهية
ويحصل منها من العلوم والمعارف ما لا يتناهى وهذا المثل
المراد به التقريب لا غير كما عرف مما مر والافتنان ما بين
الامرين الاتري ان عدم تناهي تلك الحبوب والثمار انما هو
في مدة قليلة ثم يفنى عن قرب واما تلك الحروف فان معانيها
لا تتناهى في الدنيا ولا في الآخرة ففي الحديث انه يقال للقارئ

الصحيح

فى الجنة اقرأ وارق ورتّل كما كنت ترتّل فى الدنيا وبه يعلم انه يقرأ
ويتلذذ بالقراءة من اداء ثم ذلك تلذذه بمعانيها وما يفتح الله به
على القرّاء من انواع المعارف اللائقة بتلك الدار وتلك اللذوات
التى تم فيها التأهل وذلك امر لا يتناهى ابدًا ومن عجيبات
الكفار انهم مع هذه المعجزات والآيات البينات كلها
استمروا على ما هم عليه من غاية الاعراض والانكار فاطالوا
فيه التردد والريب اى الشك عطف مرادف فقالوا
كما حكاه الله عنهم فى كتابه فهو تلميح مرة انه سحر اى تمويه لا حقيقة
له واصل السحر لغة كل ما لطف مأخذه ودق وقالوا مرة
اخرى انه افتراء اى كذب ومرة اساطير الاولين الى غير
ذلك من افترائهم واقتراحهم ومباهتتهم وتلبيسهم وضلوا
فيما قالوا بل هو والله المتفضل بانزاله قرآن مجيد فى لوح
محفوظ لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من
حكيم حميد وكل ذلك ينادى عليهم بالبوار والعناد وان لا
عقل لهم ولا رأى ولا استعداد ولكن ليس فى ذلك كبير عجب على من
عدم التوفيق ولم يبصر سواء الطريق لما هو المقرر فى العقول
السليمة من الحكم البديعة الجامعة انه اذا كانت البينات
اى الحجج القاطعة البرهان الواضحة البيان لم تغن هم اى
تفدهم شيئا من الهدى فالتماس الهدى بغيرها اى طلبه منهم
بتلك الحجج بعد اليأس من ايمانهم عناء اى تعب لا يفيد
شيئا واذا ضلّت عن طرق الحق العقول جمع عقل وسبق
الكلام عليه مستوفى على اى مع علم منها بتلك الطرق اى
اضلها باريها فماذا تقول اى فاى قول تقوله الانبياء النصحاء
وقولهم حينئذ لا يفيد شيئا والبيت الاول مقتبس من قوله
تعالى وما تغنى الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون والثانى
من قوله تعالى افرأيت من اتخذ الهه هواه واضله الله على علم
وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه

من بعد الله افلا تذكرون وبما قررت كلامه تعلم ان هذين
البيتين من الكلام البديع الجامع تنبيه لا يتوهم من النظم
انه مخالف لقول الائمة اجمعت الامة على التكليف بالمحال .لغيره صح
كتكليف ابى جهل مثلا بالايمان مع علم الله بانه لا يؤمن وذلك
لان التكليف بذلك انما هو بالنظر للحالة الراهنة المنطوى عنا
عاقبتها فهم بالنسبة اليها مكلفون بالايمان لقدرتهم عليه ظاهرا و
ان كانوا عاجزين عنه باطنا لعلم الله بانهم لا يؤمنون لان هذا
لا نظر اليه والا لارتفع الاختيار وثبت القول بالجبر المنابذ
للحكمة بل الشرائع فاحذر ان تميل اليه فتزل قدمك ويحق
ندمك واستحضر قوله تعالى لا يسأل عما يفعل وهم يسألون
فوائد منها قيل حكمة تنزيه القرآن من الشعر مع ان الوزن
يورث الكلام عذوبة ان قصارى امر الشاعر التخييل بتصوير
الباطل فى صورة الحق والافراط فى الاطراء والمبالغة فى الذم
والايذاء دون اظهار الحق ولهذا نزه الله نبيه عنه ومن ثم
قال بعض الحكماء لم ير متدين صادق اللهجة مغلقا
فى شعره اى غالبا وما وقع فيه على صورة الشعر لا يسماه لان شرطه
القصد ومن ثم لم تعارضه العرب ولو اعتقدوه شعرا
لعارضوه وقيل دون البيتين ليس شعرا وقيل الرجز كذلك
ومنها سئل الغزالى عن قوله تعالى لوجدوا فيه اختلافا كثيرا
فقال الاختلاف مشترك بين معان وليس المراد نفى اختلاف
الناس فيه بل نفى الاختلاف عن ذات القرآن فليس نظمه مختلفا
ولا بعضه يدعو للدين وبعضه يدعو للدنيا بخلاف كلام
البشر لاختلاف قواهم واغراضهم واحوالهم فيها ومنها ان سائر
كتب الانبياء لا اعجاز فيها من حيث النظم والتأليف لان السنتهم
لا تفى بذلك بخلاف الاخبار بالغيوب فان الكل جميعها اشترك
فيه ولكون السنتهم كذلك كان كل ما فى القرآن حكاية عنهم
انما هو حكاية لمعنى الفاظهم ذكره ابن جنى وغيره . ومنها

وقع في القرآن آيات متشابهات من حيث النظم كايراد القصة الواحدة
في صور وفواصل مختلفة كوكلا فكلا ويذبحون ويذبحون سنزيد
وسنزيد وذلك كثير وقد افرد خلايق الجواب عن ذلك
بتأليف مستقلة ومن حيث ايهام التعارض عند عدم التأمل
نحو ولا يتساءلون واقبل بعضهم على بعض يتساءلون واول
من تكلم في الجواب عن ذلك ابن عباس رضي الله عنهما ثم تبعه
الائمة حتى افرد بعضهم ذلك بالتأليف كما الفوا في مختلف
الحديث وبيان الجمع بين الاحاديث المتعارضة ومن حيث
انها من المتشابه الذي استأثر الله بعلمه او علمه ايضا
الراسخون في العلم وهو بحث طويل فلا بأس بذكر خلاصته
وهي قيل القرآن كله محكم كما في آية وقيل كله متشابه
كما في آية والاصح انقسامه اليهما والمراد بالمحكمات آياته
أتقنت وتنزهت عن نقص يلحقها وبمتشابهها انه يشبه
بعضه بعضا في الحق والصدق والاعجاز ثم المحكم ما عرف
المراد منه قيل ولو بالتأويل والمتشابه ما استأثر الله
بعلمه والحروف المقطعة اوائل السور وفيهما اقوال اخر
ثم المتشابه هل علم فيه قولان ومنشاؤهما هل الوقف على
في العلم وعليه طائفة قليلة كمجاهد والضحاك وهو رواية
عن ابن عباس وقال النووي انه الاصح لانه يبعد ان
يخاطب الناس بما لا سبيل لاحد من الخلق الى معرفته وابن
الحاجب انه المختار والاكثرون من الصحابة فمن بعدهم
خصوصا اهل السنة ان الوقف على الله وهو اصح الروايات
عن ابن عباس وعد ابن السمعاني اختيار الاول هفوة
وجمع بعضهم بان من المتشابه ما يمكن الوقوف عليه ومنه
ما لا يمكن فصح الوقفان بهذا الاعتبار ومن المتشابه ذكر
آيات الصفات التي فيها نحو الاستواء واليد والعين وجمهور
اهل السنة منهم اكثر السلف واهل الحديث على تفويض

ذكره

معناها المراد منها الى الله تعالى مع تنزيهه عن ظواهرها وذهب
الخلف الى تأويلها بما يليق بجلال الله تعالى وكان امام الحرمين
يميل الى هذا ثم رجع عنه فقال والذي نرتضيه دينا وندين الله
به عقدا اتباع سلف الامة فانهم درجوا على ترك التعرض
لمعانيها وتبعه ابن الصلاح فقال على ذلك مضى صدر
الامة وساداتها واياها اختار ائمة الفقهاء وقاداتها
واليها دعا ائمة الحديث والفخر فقال واحسن فيما قال
لا يصرف اللفظ عن ظاهره الا بدليل منفصل وهو اما
لفظي وهو لا يعتبر هنا لانه مظنون اذ القطع به يتوقف
على انتفاء الاحتمالات العشر وهو مظنون واما عقلي وهو
انما يفيد صرف اللفظ عن ظاهره لاستحالة الظاهر دون اثبات
المعنى المراد لانه ترجيح مجاز على مجاز وتأويل (على تأويل وجه) وذلك انما
يكون بلفظي وقد تقرر انه لا يفيد الا الظن وهو لا يعول
عليه في المسائل الاصولية القطعية قال فلهذا اختار
الائمة المحققون من السلف والخلف بعد اقامة الدليل
القاطع على ان حمل اللفظ على ظاهره محال ترك الخوض
في تعيين التأويل (انتهى) وتوسط ابن دقيق العيد فقال
التأويل ان قرب في لسان العرب نحو على ما فرطت في
جنب الله اي في حقه وما يجب له لا ان بعد كتأويل
استوى باستولى ولما فرغ من الحجاج مع المشركين وبين
ما آل اليه امرهم ايضا فقال **يا قوم** وحذف
حرف النداء جائز الا في الندبة والاستغاثة ومع الضمير
وكذا مع اسم الاشارة واسم الجنس على قول فيه **عيسى**
المدعوين بالنصارى **عاملتم قوم موسى** وهم اليهود
بالتصديق بكتابهم وهو التوراة **الذي عاملتكم** بنظيره
وهو التصديق بكتابكم الذي هو الانجيل **الحنفاء** اي المسلمون
جمع حنيف وهو المائل عن كل دين الى دين الحق ثم بين

شرع في الكلام مع اهل الكتابين مع ما آل اليه امرهم

ما ابهمه قوله بما بقوله صدقوا اى قوم عيسى كتبكم وهو التورية
وما بعدها كالزبور وكذبتم كتبهم وهى الانجيل وجمعه
للمشاكلة او لتنزيله منزلة كتب متعددة وفى هذا التفات لان
قوم عيسى خوطبوا اولا واعيد عليهم ضمير الغيبة وقوم موسى
بالعكس وبين موسى وعيسى الجناس اللاحق كقابيل وهابيل
الآيتين والتصديق والتكذيب الطباق اذ ذا الذى فعلتموه
معشر اليهود لبيس البواء اى الصنيع الذى جئتم به القهقرى
هذا مقتبس من قوله تعالى وباؤا بغضب من الله لو جحدنا من الجحد
وهو الانكار عن علم جحودكم اى مثله بان انكرنا كتابكم كما انكرتم
كتابنا وكتاب عيسى لاستوينا نحن وانتم اى يكون ذلك منا لا
يتصور ذلك كيف وليس المحق وهو ما نحن عليه من التصديق بجميع
كتب الله ورسله بالضلال وهو ما هم عليه من التصديق بالبعض
والكفر بالبعض استواء اى مساواة بل بينهما غاية التضاد فالحاصل
اننا لم نجحد شيئا من كتب الله وانما وقع الجحد من اليهود لكتاب
النصارى ومن النصارى لكتاب اليهود خلاف ما يوهمه النظم
قال تعالى وقالت اليهود ليست النصارى على شئ وقالت النصارى
ليست اليهود على شئ وهم يتلون الكتاب اى المكذب لهم وكان
الشارح اخذ من هذا قوله وانما وقع التجاحد بين اهل الكتاب
اذ التعبير بالتفاعل مصرح بما ذكر مما يخالف النظم ويوافق
ظاهر الآية انتهى وقد يقال لا يلزم من ادعاء كل فرقة فى
الاخرى ما ذكر انكار كتبهم اذ لا مانع ان النصارى قائلون
فى اليهود ذلك مع قولهم انهم ليسوا على شئ اى باعتبار تبديلهم
وتغييرهم فصح ما فى النظم ويحتمل رجاع ضمير صدقوا وكتبهم
الى الحنفاء وضمير الخطاب فى كتبكم وكذبتم للفريقين اليهود
والنصارى ويكون ذلك تفسير العاملتكم للحنفاء وفى السياق
ما يؤيد كلا من الاحتمالين لكن الاول اقرب ولما كان من المعلوم
المستقر ان اليهود اشد الناس حسدا قال تعالى ام يحسدون الناس

على ما آتاهم الله من فضله وانهم حسدوا عيسى حتى قتلوه فى
زعمهم الفاسد واستمر حسدهم للنصارى من بعده حتى قالوا
ليست النصارى على شئ الموجب لقول النصارى فيهم ذلك
ايضا وان الطائفتين حسدوا محمدا صلى الله عليه وسلم
وامته حتى وقع منهم من العناد ما لا يصدر عن سخفاء العقول
فضلا عن غيرهم شرع الناظم فى بيان ذلك كله منهم على وجه
بديع فقال مالكم اى اى حال حصل لكم معشر الفريقين يا اخوة
الكتاب المراد به الجنس الشامل للكتابين انما سماهم بذلك لانه
لما جمعهم ما فيه من التكاليف والاحكام صاروا مستوين فيه
كاستواء الاخوة فى الانتساب الى الاصل ولحد حال كونكم اناسا
ليس شانكم ان يرعى للحق منكم اخاء بكسر الهمزة نائب فاعل
يرعى ويجوز انه اسم ليس ونائب فاعل يرعى ضميره اى مواخاة
اى ليس يصدر منكم مراعاة للدين للحق بالقيام بما يجب من
الحقوق التى منها تصديق محمد صلى الله عليه وسلم عملا بما فى
كتبكم من التصريحات الكثيرة بنبوته وعموم رسالته وفى اخاء مع
اخوة رد العجز على الصدر وبين الاخوة والاخاء جناس الاشتقاق
كالشهادة والشهداء الآتيتين ومن عدم رعايتكم لذلك انه يجحد
الاول الاخير كما وقع لليهود انهم حسدوا عيسى صلى الله عليه وسلم
حتى زعموا انهم قتلوه وصلبوه وما درى الملاعين انه شبه لهم
مثله فقتلوه ونجاه الله منهم ثم رفعه الى السماء لينزل آخر الزمان
حاكما بشريعة محمد صلى الله عليه وسلم مصليا وراء المهدى اول
نزوله ليعلم انه نزل تابعا لهذه الامة عاملا بشريعة نبيهم
ومنها انه لا يقبل الجزية بل يقتل كل يهودى ونصرانى فى الارض
لان نوعا من الشبهة المجوزة لقبول الجزية منهم ارتفع بنزوله و
تكذيبه لهم وما زال كذا اى كهذا المذكور من حسد الاول
للاخير المحدثون والقدماء من لدن آدم الى اليوم قد سمى
للتحقيق علمتم يا اهل الكتاب بظلم قابيل من اضافة المصدر الى فاعله

وهو اول اولاده وهم اربعون جاؤا له من حواء في عشرين بطنا في
كل بطن ذكر وانثى وبارك الله في نسله في حياته حتى بلغوا اربعين
الفا **هابيل** بشدخه رأسه بين حجرين وهو ثاني اولاد آدم صلى
الله عليه وسلم حسدا له على الدين من اجل كون الله تعالى قبل قربان
هابيل ولم يقبل قربانه فحينئذ قال لاقتلنك فاجابه بانه يتسلم
لقضاء الله ولا يجزي بالسيئة السيئة كما افاد ذلك ما حكاه الله تعالى
عنه بقوله عز قائلا لئن بسطت الي يدك لتقتلني الآية ولذلك
قال صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح كن خير ابني آدم كن عبد الله
المقتول ولا تكن عبد الله القاتل وجاء ان سبب حسده له انه تزوج
اخت هابيل وكانت ليست بجمال اخته التي تزوجها هابيل وكان
من شريعة آدم ان اختلاف بطون حوا بمنزلة اختلاف الانساب
فكان يزوج ذكور كل بطن لاناث الاخرى وبالعكس وهو مع
مخالفته لظاهر الآية يمكن تأويله بانه لا مانع انه حسده بسببين
اخروي وهو ما في الآية ودنيوي وهو ما ذكر على انه جاء في القصة
ان آدم عليه الصلاة والسلام لما امر قابيل ان يزوج اخته لهابيل
فامتنع امرهما ان يقربا قربانا لله وكانت العلامة على قبوله
اذ ذاك نزول نار من السماء تأكله فقرب كل منهما قربانه فتقبل
قربان هابيل فزاد حسده الى ان قتله وبين الاول والاخر والحدث ن
والقدماء جناس الطباق كوفيتم وخانوا ولحسنتم وساؤا والآ باء
والابناء **ومظلوم الاخوة** الاضافة فيه بمعنى من ويصح بتكلف
كونها بمعنى في والخبر عنه بالجمع لانه للجنس الصادق بالجمع
وقيميه **الاتقياء** لانهم الذين يصبرون على تحمل الاذى ولا ينتقمو ن
لانفسهم وهذا فيه نحو ارسال المثل للاستدلال به على ما قبله
وكذا وما زال الى آخره وعلم من قولي وهذا فيه الى آخره انه ليس
المراد بالاخوة هنا خصوص قابيل وهابيل حتى يجاب عنه
بانه اراد بالاخوة الاخوين بناء على القول بان اقل الجمع
اثنان **و**قد **سمعتم** هو للتفنن لان المراد في كل العلم **بكيد**

ابناء يعقوب المسمى في القرآن باسرائيل اي عبد الله بن اسحق
الذبيح عند الاكثرين لكن الاشهر انه اخوه اسمعيل بن ابرهيم
الخليل صلى الله عليه وسلم **اخاهم** يوسف صلى الله عليه وسلم
كما هو مبسوط في قصته المصدرة بقوله تعالى نحن نقص عليك
احسن القصص اي لانها سيقت على اسلوب لم يسبق عليه
غيرها من بقية القصص **و**لا يتوهم من كيدهم له المحكي عنهم
في قصتهم ولا من ذكرهم اثر قابيل الكافر اللعين ان ذلك
ينافي صلاحهم لاتفاق العلماء على انهم **كلهم صلحاء** عدل اليه
من انبياء لانه الامر المتفق عليه كما تقرر اولقوة الخلاف عنده
في عدم نبوتهم بخلاف يوسف فانه لا خلاف بنبوته لكن الحق
انها ظاهر الآية او صريحها وهي قوله تعالى قولوا آمنا بالله وما
انزل الينا وما انزل الى ابرهيم واسمعيل واسحق ويعقوب
والاسباط اذ الاسباط هم اولاد يعقوب وقد ذكرت الآية
انهم انزل عليهم شيء يجب الايمان به غير ما انزل على آبائهم
وذلك الشيء هو الوحي كما هو المتبادر بل صرحت به آية
واوحينا الى ابرهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط
يح وحينئذ فنفي نبوتهم المستلزم لنفي الوحي اليهم مناقض لصر
الآية فتأمله ولا ينافي نبوتهم ما حكي عنهم في تلك القصة لانه
انما صدر منهم عن تأويلات تراها شريعتهم ومما يقرب ذلك
ان العلماء اتفقوا على صلاحهم وان تلك الامور التي جرت
قبل النبوة صح منهم لم تؤثر في صلاحهم فكذا في نبوتهم على ان في عصمة الانبياء
خلافا محل بسطه كتب الاصول **حين** ظرف لكيد **القوه في غيابة**
جب هو البئر التي لم تطو وغيابته قعره وكادوه بذلك خوفا
من تقدمه مع كونه اصغرهم عليهم الذي ابانت عنه رؤياه
المذكورة اول السورة اذ الاحد عشر كوكبا مثال لهم لانهم
احد عشر والشمس والقمر ابوه وخالته وسجود الكل له خضوعهم
تحت امره وطاعته وكان الامر كذلك كما في آخر السورة فانهم

للجاؤا اليه مع ابيهم وخروا له سجدا قال يا ابت هذا تاويل
رؤياي من قبل قد جعلها ربي حقا وقد احسن بي اذ اخرجني
من السجن وجاء بكم من البدو من بعد ان نزغ الشيطان بيني و
بين اخوتي وليس في التعبير بنزغ الشيطان بينه وبينهم ما
يقدح في نبوتهم على القول بها قال تعالى لافضل خلقه واما
ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله لان معناه واما
يستخفنك غضب يحملك على ترك الاعراض عن المكذبين والنزغ
ادنى حركة امره تعالى انه متى تحرك عليه ادنى غضب على عدوه و
اراد الشيطان القاء ادنى وسوسة اليه ان يستعيذ به تعالى
ليكفيه امره وهذا من تمام عصمته لانه لم يسلط عليه بالكثير من التعرض ص
له بهذا الامر الذي لا تاثير له من غير قدرة عليه ومن كيدهم له
ايضا انهم رموه بالافك بحيث قالوا ان يسرق فقد سرق اخ
له من قبل يريدون يوسف وهو براء اي بريء منه وفي تسميته هذا الناظم
افكا نظر ظاهر بل لا يصح كيف وقد اخرج ابن مردويه عن ابن
عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى
ان يسرق فقد سرق اخ له من قبل قال سرق يوسف صنما لجده
ابي امه من ذهب وفضة فكسره فالقاه على الطريق فعيرته
اخوته بذلك واخرج ابن جرير عن قتادة قال سرقته التي عابوه
بها الخذ صنما لابي امه وانما اراد بذلك الخير وروي نحو ذلك
جماعة عن زيد بن اسلم وسعيد بن جبير وابن جريج وزاد
ان امه امرته بذلك لانها كانت مسلمة قال الشافعي رضي
الله عنه كان زيد هذا من العالمين بالقرآن فالحاصل انه وقع منه
صورة سرقة فذكروها تعيينا له فهم لم يكذبوا وانما الذي
وقعوا فيه انهم عيروه بما لا عار فيه بل بما فيه غاية
الرفعة والمدحة كما ذكرته في كتابي سعادة الدارين في صلح
الاخوين وذكرت فيه ايضا نحو ما سبق . وملخصه اعلم ان
واقعة يوسف مع اخوته واقعة عجيبة تشتمل على غرايب وعجايب

وحكم واحكام وعبر وامثال وذل وانخفاض وعلو وارتفاع و
على حسن عاقبة الصبر وخشية عاقبة الحسد وعلى نصر المحق
وان لم يكن له اعوان ولا انصار وعلى خذلان المبطل وان كان ن
اعوانه وانصاره الوزراء والملوك فضلا عن غيرهم وعلى ان
التباغض والتحاسد بين الاخوة امر قديم قلما يسلم منه خيم او
ادم وان كملوا وجلوا وعلت مراتبهم وزكت معادنهم ومذاهبهم
كما ان اخوة يوسف وقع منهم ما وقع مع كونهم صلحاء بل انبياء
بنص قوله تعالى قولوا آمنا بالله الاية اتفقوا على ان المراد بالاسباط ط
اولاد يعقوب فكوننا امرنا بالايمان بما انزل اليهم وبما انزل ل
اليهم ظاهر او نص في انه انزل عليهم ما يجب علينا الايمان به
اجمالا وهذا صريح في نبوتهم وعليه فقد يستشكل ما وقع منهم
في هذه القصة من الامور الكثيرة التي ظواهرها يجب تنزيه
الانبياء صلى الله عليهم وسلم عنها بناء على الاصح بل الصواب
ان الانبياء جميعهم الرسل وغيرهم معصومون قبل النبوة و
بعدها من صغاير المعاصي وكبايرها سهوها وعمدها ويجاب
بان ذلك يتاتى على مذهب كثيرين بل نقل عن الاكثرين ان
العصمة انما هي بعد النبوة لا قبلها والاولى ان يجاب بان هذه
الامور انما تستشكل على قواعد شرعنا اما على شرعهم فنحن لا
ندريه وبفرض انه موافق شرعنا في ذلك فيحتمل ان لهم تاويلا
سوغ لهم ارتكاب ما فعلوه وتعبير كثيرين كالناظم ببغضهم
وحسدهم ونحو هذا من العبارات التي ظاهرها لا يليق بهم انما
هو بناء على عدم نبوتهم كما هو قول فيهم واخرج ابن جرير وابن
المنذر ان ابا عمرو قيل له كيف تقرأ نرتع ونلعب بالنون وهم انبياء
فقال لم يكونوا يومئذ انبياء والحاصل انه يجب علينا الايمان
بنبوتهم وبراءتهم من كل ما لا يليق بهم انتهت عبارة الكتاب
المذكور واذ قد علمتم معشر المسلمين ما وقع لمن قبلكم من الشدايد
والمحن وصبروا عليها ففازوا برضاء الله ومحبته فتاسوا اي تعزوا

اذ التأسّي التعزّي من تأسّيت بفلان تعزّيت به اى حملت حالى على
حاله ففى التأسّي تسكين النفس على الامر المشق و تصبيرها عليه و
التعزّي الحمل على الصبر بوعد الاجر فمعنى التأسّي والتعزّي واحد
او متقارب وساغ ذكرهما على الاوّل لاختلاف لفظهما بمن
مضى قبلكم من الكمّل فى ذلك اذا اى وقتا او لاجل ان ظلمتم من الكفار
بما رموكم به من الحسد والبغضاء والعداوة والقتال فالتأسّي
فى المصائب لاسيما بالكمّل للنفس فيه عزاء اى تسلّ وتصبّر لحملها
على ان لا يصدر منها الا كمال الاخلاق والاعراض عن النظر الى
ما يصدر من اهل النفاق والشقاق وهذا من التذييل اتراكم
الفاعل لاهل الكتاب والمفعول للمسلمين اى اتظنكم اهل الكتاب
وفيتم بما عاهدتم الله عليه فاظهرتم الحق ودمتم على العمل به حين
ظرف لوفيتم الواقع موقع المفعول الثانى خانوا ما عاهدوا الله عليه
فكتموا الحق وابوا قبوله من غيرهم ام متصلة لانها معادلة الهمزة
احسنتم فى اتباع نبيكم فى ما جاء به فلم تغيّروا منه شيئا قط ولم
تبدّلوا فى حياته ولا بعد وفاته اذا ساؤا الطوية فلم يستمروا على
العمل بما جاءتهم به رسلهم بل بدّلوه وغيّروه ايثارا لما نالوه
من اتباعهم من الحظوظ الدنيوية بل لا يرون شيئا من ذلك
وانما الذى حملهم على عدم اتباع الانبياء صلى الله عليهم وسلم انه
تمادت اى تتابعت واستمرت على التجاهل الموجب لرفض
الحق واتباع الباطل اى اظهار الجهل من نفوسهم مع علمهم بالحق وانهم
على خلافه وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم ظلما وعلوا فاظهرتم
الحق ودمتم على العمل به اباء بينه وبين الابناء الطباق تقفّت اى
اتبعت آثارها الباطلة الابناء انا وجدنا آباءنا على امة وانا على
آثارهم مقتدون بينة اى الحق الذى من جملته نبوة محمد صلى
الله عليه وسلم وعموم رسالته توراتهم المنزلة على موسى عليه الصلاة و
السلام من اورى الزند قدحه لتخرج ناره والتوراة تستلزم النور
والانجيل المنزل على عيسى عليه الصلاة والسلام من نجل الشيء

اخرجه النبى كما حكاه الله تعالى عنهما بقوله عز قائلا الذين يتبعون
الرسول النبى الامى الذى يجدونه مكتوبا عندهم فى التورية
والانجيل ولاجل انا فى هذا جمع الناظم له لانه باعتبار افراده وهذا
من اعظم الادلة على صحة نبوته وعموم رسالته وعلى انه صلى
الله عليه وسلم على البينة الواضحة من امره لانه صرح بذلك على
رؤس اهل الكتابين ولم يخش ان احدا منهم يقول ليس ذلك
فى كتابنا فاذ قد صرح بذلك ولم يتعرضوه كانوا عالمين به وكان ٥
تخلفهم عن اتباعه لمحض العناد والحسد قال تعالى يكتمون الحق
وهم يعلمون يحرفون الكلم عن مواضعه يعرفونه كما يعرفون ابناءهم
ليطفؤا نور الله بافواههم ويأبى الله الا ان يتم نوره ولو كره
الكافرون ومبشرا برسول يأتى من بعدى اسمه احمد فلما جاءهم
ما عرفوا كفروا به واخرج ابن عساكر فى تاريخ دمشق ان ابن سلام ٣
لما سمع بخروج النبى صلى الله عليه وسلم بمكة ذهب اليه فقال له
انت ابن سلام عالم يثرب قال نعم قال انشدك الله الذى انزل
التورية على موسى اتجدنى فى التورية قال انسب ربك فارتج
النبى صلى الله عليه وسلم فقال له جبريل قل هو الله احد الى آخرها
فقرأها فقال ابن سلام اشهد انك رسول الله وان الله مظهرك
ومظهر دينك على الاديان وانى لاجد صفتك فى كتاب الله اى
التورية يا ايها النبى انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا انت
عبدى ورسولى سميتك المتوكل ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب
فى الاسواق ولا يجزى بالسيئة مثلها ولكن يعفو ويصفح ولن يقبضه
الله حتى تستقيم به الملة المعوجة حتى يقولوا لا اله الا الله يفتح
بها اعينا عميا وآذانا صما وقلوبا غلفا واخرج البيهقى وابو نعيم
عن كعب والبخارى عن عمرو بن العاص رضى الله عنهما انهما نقلا
عن التورية والانجيل نحو ذلك وزيادة عليه وفى التورية تجلى
الله من طور سيناء اى بتكليمه موسى عليه واشرق من ساعير
اى بتكليمه عيسى عليه واستعلن من جبال فاران اى جبال بنى هاشم

ثم

المطلة على شعبهم بمكة بارسال محمد منهما الى جميع الخلق كما يشير اليه
تعبيره باستعلى وفى الانجيل كالتورية مزذلك ما يضيق عنه
هذا المحل وهم اى اليهود والنصارى فى جحوده اى ذلك الحق الذ ى
بينه كتابا هما وهو الانكار بعد العلم شركآء اى اشتركو ن
فلعنة الله عليهما ان شرطية تقولوا يا اهل الكتاب ما نافية
بينته اى التورية والاناجيل الحق المذكور فما زالت بها
اى التورية والانجيل عن عيونهم عشواء بالمعجمة والمهملة اى
عن بصائرهم ظلمة مانعة لهم من ابصارهم للحق من قولهم
ركب فلان العشواء اذا كان قد خبط امره على غير بصيرة و
قولهم ركب متن عمياء وخبط خبط عشواء وهى الناقة التى لا تبصر
امامها فهى تخبط بيديها كل شئ ففيه الاشارة للمثل المذكور
والاستعارة بالكناية لانه العيون بالبصائر والعشو بالظلمة
المذكورة والاستعارة التخييلية فى اثبات الظلمة للعيون و
الترشيحية فى قوله ما بينته لانه يناسب المشبه به او تقولوا
قد بينته كما هو الحق فما اى فاى شئ حصل للاذن اى الآلة
سمعكم حتى انها عما تقوله التورية والاناجيل واسناد القول
اليهما فيه الاستعارتان السابقتان آنفا وكذا فى قوله الآتى
من طحنتهم الى آخره وقوله كساهم الى آخره صماء اى غير سامعة
له سماع قبول اى فلا موجب للاعراض عن ذلك الا محض
العناد والحسد عرفوه اى الحق السابق معرفة يقينية
ببواطنهم وانكروه بظواهرهم كما قال تعالى عنهم يكتمون الحق
وهم يعلمون وبين عرفوه وانكروه طباق وذلك نتيجة الالزام
السابق وظلما مفعول لاجله كتمته اى الحق المذكور الشها دة
بدل اشتمال من كتمته اى كتمت الشهادة به الشهداء الذين
هم اهل الكتابين لانهم عرفوا صفة النبى صلى الله عليه وسلم
وصفة دينه معرفة قطعية ثم انكروا ذلك اما حسدا وعنا دا
ومباهتة او تلبيسا على ضعفائهم لسعى ما بنا لو نه منهم ونكتة

ايقاع الظاهر موقع المضمر اذ الاصل كتموا الشهادة به التسجيل
عليهم بما قررته انهم بلغوا من العلم به صلى الله عليه وسلم وبحقية دينه
مبلغ رؤية الشمس ومع ذلك كتموه ومما يدل للقوة علم الشاهد اشترا ط
اتيانه بلفظ الشهادة لانها ابلغ من العلم كما يفيده الحديث الصحيح
على مثل هذه اى الشمس فاشهد ومن ثم لم يكف قوله اعلم ا تكتمون
ذلك وتظهرون الضلال ونور الاله الذى هو النبوة والرسا لة
والاله المعبود بالحق تطفئه من اطفأت النار اذهبت حرها .
الافواه الالسنة المتقولة بالباطل وهذا من الكلام البديع الجامع
لا يكون ذلك يريدون ان يطفئوا نور الله بافواههم ويابى الله
الا ان يتم نوره وكيف يطفأ ذلك النور الالهى وهو الذى به
يستضاء ظاهرا وباطنا اى يبصر الحق من الباطل والصادق
من الكاذب ا يستمرون على ضلالهم وادعاء انهم محقون وينكر ون
نبوته ولا ينكرون من طحنتهم رحاها اى اسلحتها
عن امر الهيجاء اى حربه صلى الله عليه وسلم لا ينبغى ذلك بل الذى
ينبغى لهم الرجوع عن الضلال والاعتراف بانهم ان استمروا
عليه طحنتهم صلى الله عليه وسلم برحا حربه كما طحن آباءهم و
ابناءهم واهاليهم بجلاء بنى النضير الى ارض الشام والزمهم ان لا يحمل
كل واحد منهم الا حمل بعير من غير السلاح وقيل قريظة ولشدة
باسه وظهور نصرته صلى الله عليه وسلم عليهم كساهم ثوب
الصغار اى الذل كما ضربه بالرق على غير المقاتلين من بنى قريظة
استعار اللباس للصغار على حد فاذاقها الله لباس الجوع والخوف
ثم قرنه بما يلائم المشبه به وهو الكسوة وبما يلائم المشبه وهو طلو ل
دماء وصون دماء فالاولى ترشيحية والثانية تجريدية والحال
انه قد طلت اى دفقت دماء منهم كبنى قريظة وصينت دماء
منهم كبنى النضير والمراد دماء المسلمين ان الله جعل لهم الغلبة
والدائرة على اعدائهم واذا تقرر اتصاف اهل الكتابين بتلك القبا ئح
الشنيعة حق لهم ان يقال فى حقهم كيف يهدى الله منهم قلوبا

حشوها اى ملؤها من هى بمعنى اللام المعدية حبيبه صلى الله عليه وسلم
البغضاء اى شدة البغض لحبيبه ويصح على بعد انها للتعليل
اى من اجله او البدل اى حشوها بغضه بدل محبته وفى هذا
الاستعارتان السابقتان ايضا خبرونا اى اعلمونا يا اهل
الكتابين التورية والانجيل من اين استفهام انكارى اتاكم
تثليثكم اى ادعاؤكم معشر النصارى ان الله ثالث ثلاثة
الاب والابن وروح القدس ومن اين لكم معشر اليهود البداء
بالموحدة والمهملة من بدا اظهر وهو كما ياتى ظهور مصلحة بعد
خفائها وسواء على ذلك امتناع النسخ اى لم ياتكم واحد من هذه
عن دليل صحيح بل عن محض سفهكم وعنادكم تنبيه
حكى ابن الصلاح عن بعضهم ان لفظ البداء غير صحيح لغة
لانه من بدا يبدو ثم رده بان ابن دريد ذكره قال التبريزى
هو بالمد من قولهم بدا لى فى الامر اى تغير رأيى فيه عما كان
ونقله الزركشى عن صاحب المحكم عن سيبويه وقال
التسهيلى الاسم البداء ولا يقال فى المصدر قال ومن اجل
ان البدو الظهور كان البداء فى البارى سبحانه محالا لانه
لا يبدو له شىء كان غائبا عنه ويجئ بدا بمعنى اراد كما فى
حديث الاقرع والاعمى والابرص بدا لله ان يبتليهم اى
اراد لا ظهر لانه كفر كما ياتى ما اتى بالعقيدتين المذكورتين
كتاب من كتب الله تعالى ابدا واعتقاد وهو جزم الذهن
بالحكم ثم ان طابق ذلك الحكم ما فى نفس الامر كاعتقادنا
فصحيح والا كاعتقادهم فباطل لا نص فيه اى فى اثباته
وعبر بالنص وهو ما لا يحتمل لفظه غير معنى واحد معين
بان خلا عن الاحتمالات العشر المقررة فى محلها دون الدليل
الاعم من ذلك لان الاعتقاديات لا يكفى فيها الدليل الظنى
ادعاء اى باطل لانه اختراع فى الدين بمجرد التشهى وكالنص
حكم العقل القطعى فالاعتقاد المستند اليه صحيح وان لم يرد

فيه نص بل لو ورد النص بخلافه وجب تأويل النص اليه كآيات
الصفات واحاديثها اذ ظاهرها محال على الله عقلا فوجب صرفها
عنه بتأويلها بما يوافق العقل وانكر جمع متأخرون من الحنابلة تأويلها
لزمهم باعتقاد ظواهرها من التجسيم او الجهة واطالوا فى ذلك
بما كان سببا لحمقهم وسحقهم فى الدنيا والآخرة والدعاوى التى
تقولون بها معشر اليهود والنصارى بفتح الواو وكسرها
كالفتاوى ما مصدرية ظرفية لم تقيموا عليها بينات اى
ادلة قطعية لان الكلام فى الاعتقاديات وهى لا يفيد فيها
الظنى ابناؤها اى نتائجها ادعياء اى باطلة والدعى فى الاصل
من ينتسب الى شخص بالكذب ومن يتبناه الانسان وليس بابن
له وان عرف نسبه شبه دعاويهم بوطئ الزنا الجامع فساد كل بـ
قبحه وعدم الاعتداد بما ينشأ عنه لانه ناشئ عن اصل فاسد وهذا
استعارة بالكناية ثم خيل لها بذكر ما هو من لوازم المشبه به الذى
الدعاوى هو وطئ الزنا وهم الابناء الذين هم نتيجته ثم رشح لها بذكر الادعياء
المناسب للمشبه به وبين الادعاء والادعياء تجنيس الاشتقاق
وشبهه كخاطوها والخاطاء والصفات ووصفه الآيات وفى
النظم القياس الاقترانى المركب من مقدمتين حمليتين المنتج
انتاج الشكل الاول فالاولى الاعتقاد الذى لا نص فيه
دعوى والثانية الدعوى بلا بينة باطلة تنتج الاعتقاد الذى
لا نص فيه باطل تنبيه فرق النصارى ثلاثة نسطورية
ويعقوبية وملكية ولكل فرقة اعتقاد معروف وقد اشار
الناظم للبحث مع الكل والرد عليهم اجمالا واكثر الكلام
مع القائلين بالتثليث لانهم اكثر واشد كفرا ومن ثم خصوا
بالذكر فى قوله عز قائلا لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث
ثلاثة الآية ليت حرف تمن شعرى اى علمى اى ليتنى علمت
لما تقولونه انضباطا لاحقا تكلم معكم فى رده بابلغ مما هنا
وهو ذكر الثلاثة الصادر منكم تارة حيث قلتم ان الله ثالث ثلاثة

الاب والابن وروح القدس وذكر الواحد الصادر منكم تارة
اخرى حيث ادعيتم توحيده نقص في عدكم ام نماء اى زيادة
فحيث ذكرتم التثليث كان ذكركم الواحد نقصا وحيث
ذكرتم الواحد كان ذكركم التثليث زيادة وهذا تناقض
عجيب لا يصدر عن عاقل لانكم تارة تثبتون تعدد الاله
وتارة تثبتون عدم تعدده ولذا قال متعجبا منهم كيف
وحدتم ايها القائلون بالتثليث الها نفي التوحيد عنه
الاباء والابناء اللذان اثبتموهما في دعواكم التثليث أيمكن
ان يوجد اله مركب من ثلاثة اجزاء او اقل او اكثر لا لانا ما
سمعنا باله لذاته اجزاء اوجزأن اى يوجد اله كذلك
بل ولا تعقلناه لانه مما يحيله العقل بالبديهة كما انه يحيل
تعدده كما يدل عليه برهان التمانع المذكور في قوله تعالى
لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا وبيان احالة العقل لما ذكر انه
لو فرض اله مركب من اجزاء او متعددة قيل لهم الكل منهم نصيب
اى جزء من الملك فان قالوا نعم قيل لهم فهلا وفي نسخة فلم لا وجد نت
الف هلا الاستفهامية لدخول الجار عليها نحو عم يتساءلون تميز بالبناء
للفاعل اى تميز او للمفعول الانصباء اى نصيب كل من الالهة حتى
يكون ذلك التميز دليلا على ما زعمتموه ولا تميز فلا تعدد كما هو بديهي
وبين الثلاثة والواحد والنقص والنماء تجانس التقابل كالحاجة و
الاضطرار والاماتة والاحياء الآتيات فان قالوا الكل انصباء
لكنهم خلطوها قيل لهم ام تراهم اى ام تظنهم لحاجة اى احتياج و
اضطرار وهو شدة الحاجة الى الشيء بحيث لا يجد مندوحة عنه
خلطوها خلطا يمنع تميزها فان قالوا نعم قلنا الاله لا يحتاج
ولا يضطر لشيء مطلقا لانه غني بذاته عن غيره فلاحتياجه
او اضطراره دليل قطعي على عدم الوهيته فان قالوا لم خلطوها
لا لحاجة ولا لاضطرار قلنا أيتصور وجود شركة دائمة بين
شريكين فاكثر والحال انه ما نافية بغى اى ظلم الخلطاء اى الشركاء

اى بعضهم على بعض لا يتصور ذلك بل متى وجدت شركة وجد خراب ح
التمانع والتنازع المستلزم كل منهما لخراب هذا العالم المشاهد لانهما
ان استويا في القوة تمانعا ولم يقع فعل من احدهما وان تفاوتا
م وقع مراد الغالب وتخلف مراد المغلوب فيلزم ان لا يتم نظام
هذا العالم لان الفرض وقوع الشركة وعدم التميز ولحتمل
توافقهما دائما الذي يجوزه العقل لا نظر اليه لانه مما تحيله العادة
التي هي مناط الادلة القرآنية والسلايق العربية فليس ذلك
دليلا اقناعيا خلافا لمن وهم فيه بل الزم قائله الكفر بعض
المتأخرين والف فيه لكنه الزام باطل كما هو جلي وكون العادة
تحيل ذلك لا يحتاج لبيان لان كل من عرفهما حكم ان شريكين
في الايجاد والامداد لا يتصور دوامهما على الموافقة لان
من شان النفس ان لا تريد بقاء شريك معها وكل ذلك باطل
لانا نشاهد هذا العالم باقيا على اكمل وجوه الاتقان والحكم وقواعد
الشروط والاركان ويلزم من ذلك انتفاء الشريك مطلقا وان
الاله لا شريك له وبيان التعدد من وجه آخر وبيان ان بطلان ح
عيسى صلى الله عليه وسلم كان يركب الحمار كما عرف ذلك بالتواتر
عنه وحينئذ يقال لهم اتقولون في حال ركوب عيسى هو اى
الاله الراكب الحمار فان قلتم انه هو فركوبه يستدعي حدوثه
وتعبه وهو يستدعي عجزه والاله لا يكون عاجزا ولا حادثا
وما زعمتموه يلزم عجزه وحدوثه وحينئذ فيا عجزا له تعجب
من دعواهم المستلزمة ذلك عيية الاعياء اى التعب ام
متصلة لمعادلتها للهمزة تقولون الثلاثة الذين زعمتموهم
آلهة جميع على الحمار فيقال لكم لقد جل حينئذ حمار بجمعهم اى
الالهة اى بمجموعهم مشاء صيغة مبالغة من مشى وقبح اله
يحتاج الى ان يمشي به حمار فالجملة الخبرية في النظم تفيد التعجب
مما يترتب على ما فيها ام متصلة لمعادلتها للهمزة تقولون
سواهم اى الثلاثة الذين على الحمار هو الاله فبسبب ذلك

ما استفهامية نسبة عيسى اليه خبر نسبة والانتماء هو الانتساب فهو عطف مرادف على نسبة اى الخبر ونحو انتماء عيسى وانتسابه الى الاله حينئذ هل يوجب التثليث الذى زعمتموه وكل عاقل يجزم بانه لا يوجبه بل ولا يقتضيه وقوله فيا عجز اله وما بعده تذييل متكرر ام متصلة كذلك اردتم بها اى بالثلاثة التى زعمتم انها آلهة الصفات القائمة بذات الاله والصفة ما دل على معنى زائد على الذات فلم مرّ آنفا الكلام عليها خصت ثلاث بالصرف للوزن بوصفه اى الاله وثناء بضم اولهما معدولين عن ثلاث ثلاث واثنين اثنين والمراد هنا ليس ذلك التكرير بل نفس الثلاثة فقط عند من ينظر الى مجموع الثلاثة والاثنين فقط عند من ينظر الى الاله الحقيقة والاله بالتجوز فان الاول واحد فقط والثانى اثنان فقط وعلى كل فالصفات لا تنحصر فى اثنين ولا فى ثلاث فادعاء التثليث تحكم صرف وهو لا يقول به عاقل ام تقولون هو اى عيسى ابن الله فيقال لكم لم اختص عيسى بذلك حتى انه ما نافية شاركته فى معانى النبوة الانبياء بل عيسى وبقية الانبياء فى ذلك سواء فادعاء النبوة لعيسى تحكم باطل ايضا قتلته اى عيسى اليهود حال كون قتلهم له انما هو فيما اى فى القول الذى زعمتم معشر النصارى والزعم اصله وموضوعه قول كذب ومن ثم قالت العرب زعموا مطية الكذب وقد يستعمل بمعنى قال مجردا عن التكذيب كقول ام هانى للنبى صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة زعم ابن امى اى على كرم الله وجهه انه قاتل من اجرت فقال لها النبى صلى الله عليه وسلم قد اجرنا من اجرت يا ام هانى وكيف تزعمون ذلك والحال انه لاموانكم به اى بسبب عيسى احياء وهو رد الروح الى الجسد بعد مفارقتها له لانه كان فيكم يحيى الموتى فكيف يحيى الموتى فيمكن منه من يقتله فتصديقكم لليهود فى ذلك شاهد صدق على سخافة عقولكم وانه لا مسكة لها ولا

تثبت لانكم تقعون فى التناقض الصريح ولا تنتبهون له وعلى كل حالة ان قولا مما حكى عنكم كقولكم بالتثليث اطلقتموه على الله تعالى عما تقولون انتم وامثالكم علوا كبيرا ذكرا اى ثناء وتعظيما له فى قولكم الله ثالث ثلاثة لقول هراء بضم الهاء من هرأ الكلام اذا اكثر فى الخطأ وفى نسخ بالزاى من قولهم هزئ به بالتسكين اى هزئ به ويصح ان ذكرا تمييزا عن تعالى اى تعالى ذكره وهذا من القول البديع الجامع مثل يجوز نصبه حالا اى لقول هراء حال كونه مثلا ونعتا لمصدر محذوف ورفعه خبر مبتدأ محذوف اى هو مثل ما قالت اليهود اى قولهم بالبداء فالتشبيه من حيث مطلق الكفر وان تباين تفصيل كل من المقالتين وكل من الفريقين لزمته اى لازمت دعواه مقالة شنعاء اى قبيحة جدا اذ هم استقروا البداء اى تتبعوه حتى قالوا اما عند العيسوية منهم لا يجوز عقلا ولا سمعا على الله نسخ ملة بملة لايهام البداء وهو ظهور مصلحة له بعد خفائها حتى نسخ ما مضى لاجلها ووافقهم بعض غلاة الرافضة ومنهم من جوزه عقلا ومنعه شرعا واما قول بعض المسلمين الحكم الثابت لا يرتفع بل ينتهى فلا يكون نسخا ممنوع بل هو نسخ وحينئذ فالخلاف لفظى واعلم ان شريعة نبينا صلى الله عليه وسلم ناسخة لجميع الشرائع اجماعا واختلفوا فى شريعة عيسى صلى الله عليه وسلم هل هى ناسخة لشريعة موسى صلى الله عليه وسلم او مخصصة والاظهر انها مخصصة لا ناسخة لقوله تعالى ولاحل لكم بعض الذى حرم عليكم قال الامام فى تفسيره ورواة الرسل تبقى بعد موسى كلهم على شريعته الا شريعة عيسى تنبيه ذكر الامام ايضا فى المطالب العالية فى الحكمة فى نسخ الشرائع كلاما حسنا فقال الشرائع منها ما يعرف نفعه بالعقل معاشا ومعادا فهذا يمتنع طرق النسخ عليه كمعرفة الله تعالى وطاعته ابدا ومجامع هذه الشرائع

العقلية امران التعظيم لامر الله والشفقة على خلق الله ومنها
سمعية لا يعرف الانتفاع بها الا من السمع وهذا يمكن طرق نسخه و
تبديله وحكمة نسخه ان الاعمال البدنية اذا واظب عليها الخلف
عن السلف صارت كالعادة وظن انها مطلوبة لذاتها فيمتنع
الوصول بها الى ما هو المقصود من معرفة الله وتمجيده بخلاف ما اذا
تغيرت تلك الطريق وعلم ان المقصود من الاعمال انما هو رعاية
احوال القلب والروح في المعرفة والمحبة فان الاوهام تنقطع
عن الاشتغال بتلك الصور والظواهر الى تطهير السرائر وقال
غيره حكمته ان الخلق طبعوا على الملال لتمر الشيء فوضع في عصر كل
رسول شريعة جديدة لينشطوا في ادائها واعظم حكمه اظهار شرف
نبينا صلى الله عليه وسلم فانه نسخ بشريعته شرايعهم وشريعته
لا ناسخ لها ومن حكم النسخ ايضا ما فيه من حفظ مصالح العباد
كطبيب يأمر بدواء في يوم وبآخر في يوم ثان وهكذا بحسب
المصلحة وان كان الثاني ابعد تنبيه آخر ما زعمه اليهود
ان النسخ يستلزم البداء باطل لما تقرر ان المصالح الداعية
للنسخ ترجع اما لاحوال المكلفين او الازمنة وذلك لا يستلزم
بل ولا يقتضي ان الله تعالى ظهر له شيء بعد ان لم يكن وزعم
اليهود انه يستلزمه فمنعوا النسخ وزعم كفرة الرافضة انه
يجوز البداء عليه لوقوع النسخ منه وهذا اغلظ في الاولين
من كفر اليهود فعلم الجواب عن قولهم الفعل اما حسن فيستحيل
النهي عنه او قبيح فيستحيل الامر به فالنسخ محال على التقديرين ين
وبيانه ان التحسين والتقبيح العقليين باطلان وتسليمهما
فالعلم العادي قاطع بان الفعل قد يكون مصلحة في وقت
مفسدة في وقت آخر وكذا بالنظر للمكلف يكون مصلحة في
حق واحد مفسدة في حق آخر ولا مانع ان علمه تعالى يتعلق
بان حرمة كذا تنتهي بوقت وفعل كذا قالوا والسمع يمنع
النسخ ايضا لان اللفظ الدال على شرع موسى اما ان يدل

على الدوام فان ضم اليه ما يقتضي نسخه فهو تناقض وان لم ينضم
له ذلك كفى في العمل به مرة فلا يتصور فيه نسخ قالوا ومما يمنعه ايضا
ما علم بالتواتر من قول التورية تمسكوا بالسبت ابدا وجوابه
انهم في زمن بخت نصر قتلوا حتى لم يبق منهم الا دون عدد التوا تر
قيل لم يبق منهم الا ستة اطفال على ان الابد كثيرا ما يراد به الزمن
الطويل كما في التورية في صور كثيرة وكم اعترات كثيرة ساق
وبالا اي عذابا اليهم استقراء وفي هذين كمالات ومقالة
التابع جناس الاشتقاق ورد العجز على الصدر وفي النسخ وحالفوهم
والمسخ ونسخ ومسخ الجناس اللاحق وحالفوهم الجناس
المضارع لقرب المخرج والمصحف وقوله وكم الى آخره من التذ ييل
البديع واراهم اي اعلم انهم لقولهم بذلك اعني امتناع النسخ
لئلا يلزم البداء لم يجعلوا اي يعتقدوا الواحد في ذاته و
صفاته وافعاله فلا شريك له بوجه ما القهار في الخلق اي
للخلق على نفوذ ما اراده فيهم ويصح تعليقه بفاعلا وفي
على حالها فاعلا ما يشاء لان امتناع النسخ عليه يستلزم
قهره وعجزه جوزوا النسخ جواب لو الآتية تجويزا مثل ما
مصدرية جوز المسخ عليهم لو انهم فقهاء اي فهماء ولا
فهم لهم اذ لا ابلد في الفرق منهم والنسخ لغة الازالة والتغيير
والنقل كنسخت الشمس الظل والريح التراب ونسخت
الكتاب وشرعا بيان انتهاء حكم شرعي بخطاب آخر شرعي و حكمه
زيد فيه متراخ ليخرج نحو الاستثناء ورد بان الكلام لا يعرف
الا بانتهائه فلا يحتاج للاحتراز عن ذلك بهذا القيد على
ثبت انهم فقهاء لجوزوا النسخ لانه كما علم من حده لا يلزم
عليه محذور البتة وزعمهم البداء باطل لا يعول عليه ومما
يدل على جوازه ووقوعه ما علمه اليهود من وقوع المسخ وهو
تحويل الصورة الى اقبح منها في كثيرين منهم في زمن موسى
لما خالفوه في السبت فمسخهم الله قردة وخنازير كما قص الله تعالى

علينا في كتابه العزيز وكيف ينعون النسخ وهو ليس فيه الآن
برفع الحكم الشرعي اى استمراره وتعلقه فعلم ان المراد بالحكم
تعلقه بالمكلف بعد ان لم يكن او نفسه لكن من حيث دوامه
بمعنى تكرره لا ذاته التي هي خطاب الله المتعلق بفعل المكلف
من حيث هو مكلف اقتضاء او تخييرا لانه قديم وما ثبت قدمه
استحال عدمه ثم النسخ يكون الى بدل فان كان الى بدل يزيد
في الحد بالحكم الشرعي وان كان لا الى بدل لم يزد ذلك وخلق
اى ايجاد فيه اى المسخ للصورة الثانية بعد اذهاب الصورة
الاولى وامر اى تصرف برفع الحكم الاول وايجاد الثاني سواء
لما تقرر ان المسخ فيه الصورة الاولى وخلفها الصورة
الثانية والنسخ فيه رفع الحكم الاول وخلفه الحكم الثاني فاذا
جوزتم الاول لزمكم ان تجوزوا الثاني والا فانتم سفهاء
معاندون لا يلتفت اليكم وكيف تستبعدون النسخ و
انما غايته ان كان لبدل ان فيه حكمين المنسوخ وهو المراد
بقوله وحكم من الزمان انتهاء والناسخ وهو المراد بقوله
وحكم من الزمان ابتداء ولا ينافي هذا تفسير النسخ بالرفع
لما علمت ان المراد رفع تعلقه بالمكلف ودوامه وهو
الانتهاء المذكور هنا وقول الشارح انه اشارة الى
تفسيرين في النسخ غير صحيح لان حقيقة الرفع مستحيلة
فوجب تأويل التعبير به بما قلناه كما هو المقرر في محله
فتأمله وعلى كل فجواز النسخ اولى من جواز المسخ لان ذاك
في الاحكام وهذا في الذوات سواء جعلنا النسخ رفعا
ام بيانا وسواء جعلنا المسخ في صورهم حتى صارت
آقا بهم من المؤمنين لا يعرفهم وهم يعرفونهم اذ يجئ
القرد الى قريبه ويتمسح به وتدمع عيناه فيقول له الم
ننهكم عن المخالفة فيشير برأسه ان نعم ام في قلوبهم فقط
على ما ذكره والنظم مشير الى هذه القصة ففيه تلميح وبي

بالهدى

ابتداء وانتهاء طباق واذا اردتم ايها المسلمون المبالغة في
ادحاض حجتهم فسلوهم قائلين لهم اكان في مسخهم التفت
عن خطابهم مبالغة في تحقيرهم اى جعلهم قردة في الصورة
كما هو المشهور او في قلوبهم وجعلها كقلوب القردة لا تقبل
هداية مع بقاء ذواتهم على ما زعم مجاهد نسخ لآيات الله
وهو الصورة الاولى مع احكامها او للادراك الاول على
قول مجاهد ام انشاء لايجاد صورة مستقلة وحكم مستقل
يتعلق بها او لادراك كذلك فان قالوا بالاول فقد
ناقضوا انفسهم ولزمتهم الحجة او بالثاني فهو مكابرة للحس
والحق ان المسخ متردد بين انشاء الخلق وبين النسخ لانه
بالنسبة للصورة الاولى نسخ وبالنسبة الى الصورة الثانية
المتجددة القبيحة انشاء لا يقال قد لا يعترفون بطرو التغيير
على قلوبهم بناء على قول مجاهد لانهم اعترفوا به في قلوبهم
قلوبنا غلف اى مغطاة باغشية خاصة لا يصل اليها ما جئت به
وبداء بالمد وسبق معناه وهو مبتدأ خبره في قولهم الثابت
عنهم ومقولهم ندم الله على خلق آدم ام خطاء المشهور فيه
القصر ويجوز مده كما جرى عليه الناظم وهو عطف على بداء اى
سلوهم عن قولهم هذا اهو عن قصد منهم او عن خطأ منهم
فان قالوا عن قصد كان عين البداء الذي انكروه لانه
يستلزم جهل الله تعالى بعواقب الامور وحينئذ فكيف ينعون
النسخ فرارا من لازمه عندهم وهو البداء هذا تناقض
قبيح وان قالوا انه خطأ منهم فيكفيهم الاعتراف به على نفوسهم
وانهم في غاية السفاهة والغباوة وسبيلهم الاعتراف بالبداء
او بالخطأ فاتضح بطلان زعمهم استحالة النسخ حذرا من البداء
وسلوهم ايضا عما لا يمكنهم انكاره لانه امر محسوس ورد القرآن
على طبقه فقولوا لهم علامة الليل والنهار كل منهما باقية فلا
تزول احداهما بالاخرى ام محا اى اذهب الله آية اى علامة الليل

اسم جنس جمعي واحده ليلة كتمر وتمرة واتى بالنهار بدله و
هكذا الى يوم القيمة ذكرا بضم الذال تمييزا عن الذكر اى
العلم والتعبد بعد سهو ليوجد الامساء اى الدخول فى المساء
وهو ما بعد الزوال والمناسب ان يراد به هنا ما بعد الغروب
اى سلوهم هل هذا المحو واقع ام لا وبفرض وقوعه فهل هو عن
عمد بعد سهو او عن سهو ابتداء فان قالوا بالاول لزمهم
القول بالنسخ لانه بمنزلته او بالثانى لزمهم القول بالبداء
لان من يجوز السهو يجوز البداء لانه بمنزلته فلم منعوا النسخ
حذرا منه وقد بين الله تعالى حكمة اختلاف الليل والنهار
فقال قل ارايتم ان جعل الله عليكم الليل سرمدا الآيات وقال
وهو الذى جعل الليل والنهار خلفة اى يخلف احدهما
الآخر لمن اراد ان يذكر او اراد شكورا وقال وجعلنا
الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار
مبصرة لتبتغوا فضلا من ربكم ولتعلموا عدد السنين و
الحساب والحاصل ان الحكمة كما تقتضى دوام اشياء بلا تبدل
ولا تغير تقتضى تبدلها وتغيرها وفى ذكرا بعد سهو جناس
التطابق كحرم والتحليل وجحدوا وامر الآيات ام بدا للاله
فى ذبح اسحق والحال انه قد كان الامر فيه اى بذبحه من الله
تعالى لخليله ابرهيم صلى الله عليه وسلم فى النوم مضاء اى ماضيا
نافذا وفى نسخ قضاء بالقاف اى حتم وذلك لان رؤيا الانبياء
وحى اى سلوهم فيما وقع للخليل انه امر بذبح ولده امرا جازما
ثم عند ارادته له لما اضجعه على جنبه نسخه الله تعالى فامره بتركه
وفداه بذبح عظيم وما يقال ان الرقبة كسيت نحاسا وانه مر
بالسكين عليها فلم تؤثر ونحو ذلك مما يذكره الخطباء والقصاص
فكله لم يثبت فيه شئ فان قالوا ان الامر بالفداء وترك الذبح
نسخ للامر بالذبح لزمهم القول بالنسخ مطلقا او غير نسخ لزمهم
الجهل المفرط والغباوة الشنيعة تنبيه ماجرى عليه الناظم

ان الذبيح اسحق هو ما عليه الاكثرون قيل واجمع عليه اهل الكتابين
لكن سياق الآية والمشاهدة بان اسمعيل هو الذى كان بمكة
ومنى ولم ينقل قط ان اسحق حج ولا اتى تلك الاماكن قاضيان
بانه اسمعيل وهو التحقيق كيف وقد صح ما يصرح بذلك روى
الحاكم فى المستدرك ان الصالحى قال حضرنا مجلس معاوية رضى
الله عنه فتذاكر القوم اسمعيل واسحق ابنى ابرهيم عليهم الصلاة و
السلام فقال بعضهم الذبيح اسمعيل وقال بعضهم الذبيح اسحق
فقال معاوية سقطتم على الخبير كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم
فاتاه اعرابى فقال يا رسول الله خلفت البلاد يابسة والماء
يابسا وضاع العيال فعد على مما افاء الله عليك يا ابن الذبيحين
فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم ينكر عليه فقلنا
يا امير المؤمنين وما الذبيحان قال ان عبد المطلب لما امر
اى فى المنام بحفر زمزم نذر لله ان سهل له امرها ان ينحر بعض
ولده فاخرجهم فاسهم اى اقرع فخرج السهم لعبد الله فاراد
ذبحه فمنعه اخواله من بنى مخزوم وقالوا ارض ربك وافد
ابنك ففداه بمائة ناقة فهو الذبيح الاول واسمعيل الثانى
وهكذا رواه ابن مردويه والثعلبى فى تفسيرهما وسلوهم
ايضا فقولوا لهم اتنكرون النسخ وتقولون ما حرم الاله
نكاح الاخت بعد التحليل فى زمن آدم صلى الله عليه وسلم اى
تقولون حرمه بعد ان حلله وعليه فهو اى نكاحها الزناء موجب
للرجم ومد الزنا لغة فان قالوا حرمها بعد ان حللها فهذا صريح
فى النسخ الذى انكروه وان قالوا لم يحرمها ولم يحللها فهو عناد
محض وقائله لا يخاطب ولا يكالم واذ قد بان لك قبيح جهلهم
وتناقضهم وعنادهم فامسك عن حجاجهم ولا تكذبن آت
اليهود والحال انهم قد زاغوا اى مالوا عن الحق من وجوه عديدة
سفها وحسدا معشر اى قوم لؤما جمع لئيم وهو فى الاصل
الشحيح النفس جحدوا بدل من زاغوا المصطفى اى المختار

من الصفوة او المصطفى من كل نقص اى انكر وا نبوته ورسالته
بعد علمهم بها علما يقينيا قال تعالى وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم
والحال انه قد آمن بالطاغوت اى الشيطان وكل ما عُبد من دون
الله او صُدّ عن عبادته فعلوت من الطغيان قوم هم عندهم شرفاء
هذا كالذى بعده بيان لعظم لؤمهم وزيغهم عن الحق اذ جحدوا
للحق الاظهر من الشمس واقروا من آمن بالباطل ومدحوهم على
ذلك بل عدوهم مع ذلك من شرفائهم ثم ظاهر النظم ان المؤمن بالطاغوت
فرقة من اليهود لا كلهم وليس كذلك بل كلهم آمنوا به كما يصرح به قوله
تعالى عز قائلا الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب قال المفسرون
هم اليهود يؤمنون بالجبت والطاغوت ويقولون للذين اى
عن اشرافهم او كفار العرب هؤلاء اهدى من الذين آمنوا سبيلا
والعجيب من الشارح حيث اخذ النظم على ظاهره واستدل له بالآية
مع انها انما تدل على الكل لا البعض ويصح ان المراد وآمن
بالطاغوت قوم من قريش عندهم شرفاء ومعنى الآية حينئذ
ويقولون اى اليهود للذين كفروا اى عن كفار العرب الذين
آمنوا بالجبت هؤلاء اهدى من الذين آمنوا سبيلا ويدل
على هذا ان حيى بن احطب لما ذهب لقريش وغيرهم
ليحرضهم على قتاله صلى الله عليه وسلم ومعه اشراف اليهود سألوهم انحن
خير دينا من محمد قالوا نعم ففرحوا وخرجوا لقتاله صلى الله عليه وسلم
تنبيه جعل الواو للحال لا للعطف الدال عليه جذفها من
قتلوا الآتى اولى من قول الشارح انها عاطفة وان المسوغ
للعطف وصف قوم بالجملة بعده اى لما قررته فيه ان مدحهم
للمؤمنين بالطاغوت مع جحدهم لنبوة نبينا فيه غاية الغباوة
واللؤم ولحوجه الى ذكر المسوغ قولهم شرط قبول عطف الجملة على
الاخرى ان يكون بينهما مناسبة لجهة جامعة نحو زيد يكتب ويشعر
وقد يقال فى النظم دلالة لما فعله الشارح لانه اتى باربع جمل
ثنتين بلا واو وثنتين بواو نظرا للمناسبة المعتبرة فى ذلك

وبيانه ان ايمانهم بالطاغوت مع جحدهم نبوة نبينا فيه ما مر وكذلك
اتخاذهم العجل مع قتلهم الانبياء واما قتلوا مع ما قبله فلا مناسبة
ظاهرة بينهما فلم يعطف عليه قتلوا بدل بعد بدل او عطف بحذف
حرف بناء على انه يمكن مناسبته لما قبله الانبياء كزكريا ويحيى و
غيرهما جاء انهم قتلوا فى يوم واحد سبعين نبيا ثم اقاموا سوق
بقلهم ومعاشهم واتخذوا العجل الها ومعبودا مع ان السامرى
هو الذى صاغه لهم بحضرتهم من الحلى الذى استعاروه من القبط
قبل غرقهم والقى فيه قبضة من تراب اخذه من تحت حافر فرس جبريل
الذى جاء به لفرعون حتى دخل وراءهم البحر لما اغرقهم لانه كان
احجم عن دخوله فبمجرد ان القى فيه تلك القبضة خار فقال لهم
هذا الهكم واله موسى فراج على عقولهم السخيفة كلامه فاعتقد
الها ومعبودا كما قصه الله تعالى مبسوطا فى القرآن ومن ثم كان
فى كلامه اقتباس كقوله الا حرف تنبيه لاستفراغ وسع السامع
فى القاء سمعه لما بعدها انهم هم السفهاء ولكن لا يشعرون لجهلهم
المركب فلا اسفه ولا اغبى منهم جمع سفيه وهو من زاد نقص عقله
حتى حصلت له خفة وطيش وسخافة رأى وانطماس بصيرة ومن
ثم لم ينظروا الى كونه محدثا بحضرتهم من جماد ولا اله لا يكون كذلك
عند من له ادنى عقل وتمييز ثم بين ادنى انواع سفههم بقوله
ملمحا لما وقع فى سفيه خبر مقدم او مبتدأ وسوغ الابتداء به
وقوعه بيانا لما قبله كما تقرر اساءه اى احزنه المن وهو نوع
من الحلوى كان ينزل عليهم وهم فى التيه فى غاية الاضطرار
والسلوى وهو السمانى طير من اشهى الطيور لحما وانفعها و
اطيبها غذاء كان يأتيهم الى محالهم فرقا ليمدوا ايديهم اليه و
يأخذوا منه ما شاؤا وارضاه الفوم اى الثوم كما قرئ به
وقيل الحنطة وهو بعيد من السياق لان الحنطة ليست من الادنى
والقثاء بل سأل فيهما وفى نظائرهما قال تعالى تبكيتا لهم بعدما
ذكر انه انزل عليهم المن والسلوى واذ قلتم يا موسى لن نصبر

على طعام واحد فادع لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الارض من بقلها
وقثائها وفومها وعدسها وبصلها قال اتستبدلون الذى هو
ادنى بالذى هو خير ففى كلامه اقتباس وطباق بين اساءه و
ارضاه ومراعاة النظير فى المن والسلوى والفوم والقثاء
ملئت بالخبيث وهو ما سألوه من الفوم وما معه منهم ضعفة
تقدمت فصارت حالا بطونهم لينا سب ما انطوت عليه من
الغل والحسد والغباوة والسفاهة او المراد ملئت بطونهم بالداء
الخبيث اى العضال الذى لا دواء له وهو الغل وما بعده والى
هذه يرشد ما رتبه عليه بقوله فهى نار اى مشتملة على ما يؤدى
الى النار او سماها نارا باعتبار المآل كما فى ارانى اعصر خمرا اطباقها
اى النار الامعاء اى المصارين اى معا فوقه نار ثم معا فوقه نار
وهكذا والى الاول يرشد قوله ملئت بالخبيث المشعر بان بطونهم
صارت كنار ذات طباق وطباقها هى امعاؤهم النجسة ويصح ان
المراد بطونهم صارت كنار ذات طباق بعضها فوق بعض فطباقها
امعاؤهم اذ الخبيث الذى ملئت به هو نحو الربا والسحت فاذا اخلطهما
جذبته المصارين اليها وبعضها فوق بعض وايضا الخبيث بعضه
اشد عذابا من بعض فبعضه فوق بعض لتفاوت عذابهم
بالنسبة الى كلهم واكتسابهم هذا على الاصح عندنا فى الاصول
انهم مخاطبون بفروع الشريعة يعاقبون عليها بخصوصها
فى الآخرة وعلى مقابله هم كفروا ان وجوه بعضها اشد من بعض
لو شرطية اريدوا فى حال سبت مصدر سبتت اليهود اى عظموا
سبتهم بالسكون فيه عما عدا العبادة واصل السبت القطع خيرا
الباء زائدة للتاكيد كما هو رأى جماعة وكل من الظرفين متعلق
بأريدوا وعلى ان الثانى مفعول ويصح كون الاول حالا من
خيرا اى لو اراد الله لليهود فى حال سبتهم الذى فرض عليهم
تعظيمه خيرا كان سبتا لديهم اى عندهم الاربعاء هذا
من حيث ترتبه على ما قبله بطريق الملازمة المستفادة

من لو فى غاية الاشكال ولم ينتبه الشارح على ذلك كما لم ينتبه له
وانما تكلم على بعض مفرداته فقط ومنها قوله والسبت آخر الاسبوع
والاربعاء رابعه وقيل السبت اوله والاربعاء خامسه وقد يقال
كان الناظم نظر الى ان السبت القطع كما مر والى ان الاربعاء
محل النور الحسى لما يأتى ان الله خلق النور فيه فيكون محلا للنور
المعنوى الذى هو الوصل فكانه يقول لو اريد بهم الخير لجعل
قطعهم وصلا ولا ينافى ذلك قوله هو يوم مبارك لانه باعتبار
ما فرض عليهم من تعظيمه وتخصيصه بالعبادة وما نحن فيه
باعتبار انه لو اريد بهم تمام الخير جعل محل عبادتهم مؤذنا
بقطعهم باعتبار اصل مدلوله فهذا مما يؤذن بنقصهم وانهم
لا يريد بهم كمال الخير ومما يوضح هذا ان الله ادخر لهذه الامة
يوم الجمعة المؤذن بغاية الوصل اذ مقام الجمعية هو مقام
الوصل الذى هو اكمل المقامات وافضلها وجعل لليهود السبت
المؤذن بقطيعتهم وحرمانهم وللنصارى الاحد المؤذن بوحدتهم
وتفردهم عن مواطن الخيرات والسعادات فكان فيما خصت
به كل امة من الايام دليل على احوالها وما يؤل اليه امرها فانتبه
الناظم رحمه الله على هذه الحقيقة العرفانية والحكمة الربانية
زيادة فى مدح هذه الامة وذم غيرهم او يقال ان الناظم
اراد بذلك انهم لو اريد بهم الخير لكانت الايام كلها سبتا
عندهم لتحيرهم جميعها بالعبادة واما تخصيص يوم منها بالعبادة
دون بقية الاسبوع فهو من جملة ما اريد لهم من خلاف الخير وعلى
هذا مع ما فيه من البعد والتكلف يكون معنى حال سبت شانه ان
يكون ذكر الاربعاء للمثال لا للتقييد ويكون قوله هو يوم الى آخره
رجوعا الى مدح ما شرع لهم ولا ينافى ما قبله لان بركته لا تنافى
ان تعطلهم عن العبادة بقية الاسبوع غير خير واعلم ان قوله
الشارح والسبت الى آخره عجيب منه اذ ما حكاه بقيل هو الذى صح
به الخبر وعليه الاكثرون وهو مذهبنا كما فى الروضة واصلها

ع وهذا هو الاصح مح

...بوصولهم الذى من شانه ان ينشأ عن العبادة واما اذا جعل محل عبادتهم مؤذنا مح

ونقله فى شرح المهذب عن الاصحاب بل قال السهيلى فى روضه
لم يقل بان اوله الاحد الا ابن جرير واستدل له فى شرح المهذب
بخبر مسلم عن ابى هريرة قال اخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم
بيدى فقال خلق الله التربة يوم السبت وخلق فيها الجبال يوم
الاحد وخلق الشجر يوم الاثنين وخلق المكروه يوم الثلاثاء وخلق
النور يوم الاربعاء وبث فيها الدواب يوم الخميس وخلق
آدم بعد العصر من يوم الجمعة فى آخر الخلق فى آخر ساعة من
النهار فيما بين العصر الى الليل ولهذا الخبر صوب الاسنوى كالسهيلى
وابن عساكر ان اوله السبت وجرى النووى فى موضع على ما يقتضى
ان اوله الاحد فقال يوم الاثنين سمى به لانه ثانى الايام الا
ان يجاب بانه جرى فى توجيه التسمية المكتفى فيه بادنى مناسبة
على القول الضعيف نعم اشتهر كون اوله الاحد الذى جزم به
القفال من اصحابنا بان الخبر السابق تفرد به مسلم وقد تكلم فيه
الحفاظ على بن المدينى والبخارى وغيرهما جعلوه من كلام كعب
وان ابا هريرة انما سمعه منه ولكن اشتبه على بعض الرواة فجعله مرفوعا
ويجاب بان من حفظ الرفع حجة على من لم يحفظ والثقة لا يرد حديثه
بمجرد الظن ولاجل ذلك اعرض مسلم عما قاله اولئك واعتمد الرفع وخرج
طريقه فى صحيحه فوجب قبولها الا ان تأييد ابن جرير لكون اوله الاحد
بان هذا العالم خلق فى ستة ايام وآدم خلق يوم الجمعة انما يصح
بتقدير ان يوم الجمعة دخل فى الستة التى فيها خلق العالم ولم يصح
ذلك لانه صلى الله عليه وسلم فرق خلق الاشياء وجعل خلق آدم فى
اليوم السابع وهو الجمعة ولم يثبت انه خلق آخر الايام وانما اخبر
تعالى انه خلق العالم فى ستة وآخرها الخميس وخلق آدم بعد
الفراغ من خلقها اشارة لكونها خلقت لمصلحته كبنيه وسياق
خبر مسلم المذكور ظاهر فى ذلك ويؤيده ايضا الخبر الصحيح ان الله
هدانا ليوم الجمعة واضل عنه اليهود والنصارى اى لان اليهود لما
اعتقدوا ان اول الاسبوع الاحد كان الجمعة سادسا فاخذوا

السابع وهو السبت والنصارى لما اعتقدوا ان اوله الاثنين
اخذوا الاحد واما هذه الامة فاعتقدوا ان اوله السبت
فاخذوا السابع وهو الجمعة قال ولا حجة فى اشتقاق يوم الاحد
من الواحد وهكذا لان التسمية لم تثبت بامر من الله ولا
من رسوله فلعل اليهود وضعوها على مذهبهم فاخذتها العرب
عنهم ولم يرد فى القرآن الا الجمعة والسبت وليسا من اسماء العدد
انتهى على ان التسمية لو ثبتت لم يكن فيها دليل لان العرب
تسمى خامس الورد اربعا وهكذا وهذا هو الذى اخذ منه ابن
عباس رضى الله عنهما قوله الذى كاد ان ينفرد به ان يوم عاشوراء راء
هو تاسع المحرم وتاسوعاء ثامنه وهكذا هو اى يوم السبت
يوم مبارك لان الله ابتدأ فيه خلق هذا العالم كما مر خلافا
لما زعمه اليهود انه ابتداه يوم الاحد وفرغ منه يوم الجمعة
واستراح يوم السبت قالوا فنحن نستريح فيه كما استراح الرب
فيه وهذا من جملة غباوتهم وسفاهتهم ومن ثم رد الله تعالى
عليهم بقوله عز قائلا وما مسنا من لغوب اى تعب تعالى الله عن
ذلك علوا كبيرا اذ لا يتصور التعب الا من حادث مفتقر للغير
فى الاسباب والله تعالى بخلاف ذلك انما امرنا لشئ اذا اردناه
ان نقول له كن فيكون اى نوجده فورا فلا يتخلف عن الارادة
فقوله كن كناية عن ذلك قيل بناه للمجهول لضيق النظم فلا يتوهم
انه قول ضعيف للتصريفا اى التصرف فيه ببيع او نحوه عن اليهود
اعتداء اى ظلم وعدوا اى كان سببا لمسخ كثيرين منهم قردة
وخنازير وذلك انهم لما امروا ان يجردوه للعبادة اعتدى
فيه ناس منهم فى زمن داود صلى الله عليه وسلم اثنا عشر الفا
فاصطادوا فيه وكانوا بايلة قرية على جانب البحر فابتلاهم
الله بان الهم السمك يوم السبت انه ما يبقى حوت فى البحر الا ابرز فخ
خرطومه او خرج فاذا مضى السبت تفرق السمك ولزم قعر فاجمع رأى
جماعة منهم على حيلة يمسكون بها السمك وتمنعهم عن الاصطياد

يوم السبت تحفروا يوم الجمعة حفرا بجانب البحر وجعلوا فيها جداول
من البحر فصارت تمتلئ منه يوم السبت ويأخذونه يوم الاحد
فشووا واكلوا فشم جيرانهم فسألوهم فاخبروهم بالحيلة فقالوا
ان الله معذبكم ثم لما لم يعاجلوا بالعقوبة تبعهم جماعة ثم جماعة
حتى صاروا اقدر الثلث وسكت قدر الثلث واعتزلهم الثلث
الباقي فبنوا بينهم حائطا فاصبحوا وقد مسخ الثلث الاول قردة
وخنازير وكذا الثاني على خلاف فيه اى لان الآية فيهم محتملة
ومن ثم قال ابن عباس لا ادري ما فعل الله بالساكتة نجاها ام مسخها
كذلك قال مالك فى هذا تحريم الحيلة ووجوب سد الذرايع انتهى
ويرد بان المقرر فى الاصول ان شرع من قبلنا ليس بشرع لنا فان
ورد فى شرعنا ما يوافقه بالدليل هو شرعنا لا غيره فبظلم متعلق
بعدتهم منهم وهو وضع الشئ فى غير محله كحيلتهم فى السبت واكلهم
الربا واخذهم اموال الناس بالباطل وكفر من عطف الاخص لزيادة
الاهتمام به عدتهم اى فاتتهم طيبات من الرزق حرمها الله عليهم
وهذا مقتبس من قوله تعالى فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم
طيبات احلت لهم الآية ومن شانه انه يوجد فى تركهن الذي يحتم
الامر به ابتلاء اى اختبار ومحنة للعبد يكون سببا للفلاح او
هلاك خدعوا اى يهود المدينة وما قرب منها بدليل لعن زاغوا لكن
ذاك عام وهذا خاص لتقييده بالظرف بعده بالمنافقين من الاوس
والخزرج الذين قهرهم الاسلام فاظهروه واتخذوه جنة من
القتل مع بقائهم على كفرهم باطنا وكان هؤلاء مع اليهود لانهم
مثلهم باطنا فكانوا يدسون اليهم المكر والخديعة وكانت احبار
اليهود هم الذين يتعنتون على النبي صلى الله عليه وسلم فينزل
القرآن مكذبا لهم تارة ومجيبا عن شبههم اخرى ومنبها على احوال
المنافقين الذين هم معهم باطنا اخرى ومعنى كونهم خدعوا بهم
انه اريد بهم المكر من حيث لا يعلمون بسبب المنافقين الذين
كانوا يصدونهم عن النبي صلى الله عليه وسلم فيخدعونهم لغباوتهم

وسفاهتهم كما قال وهل ينفق الا على السفيه الشقاء اى وما
ينفق الشقاء الا على السفهاء وهم اليهود لا غير شبه الشقاء الحاصل
لهم بدراهم تصرف وتخرج فى الشر نفى استعارة بالكناية واثبت
لها ما هو من لوازم المشبه به وهو الانفاق تخييلا وجعل
الشارح نفق من النفاق اى الرواج فعليه شبه الشقاء بالسلعة
المعروضة للبيع واثبت لها النفاق تخييلا وترشيحا وجرد
بذكر السفه الملائم للمشبه والمشبه به واطمأنوا فى زعمهم
مما كانوا يترقبون من النبي صلى الله عليه وسلم بسبب قول
الاحزاب اى طوائف اهل مكة وغيرهم كان معهم من قبائل العرب
الذين تجمعوا لحربه صلى الله عليه وسلم بعد وقعة احد اخوانهم
فى الكفر لهم انا لكم اولياء اى متوالون ومتفقون على حرب محمد
صلى الله عليه وسلم وسبب ذلك ان جماعة من اليهود منهم اللعين
حيى بن اخطب لما ازدادت عداوتهم له صلى الله عليه وسلم حتى
قدموا على قريش بمكة فدعوهم لحربه صلى الله عليه وسلم وقالوا
نكون معكم عليه حتى نستاصله فوافقوهم ثم ذهبوا لغطفان
وذكروا لهم ذلك فوافقوهم فخرجت قريش وقائدها ابو
سفيان رضى الله عنه وغطفان ومن معهم من اهل نجد وقائدها
عيينة بن حصن فاجتمعوا فى عشرة الاف واليهود قاطعون
بانهم بذلك يستاصلون المسلمين فلما سمع بهم النبي صلى الله عليه وسلم
اشار سلمان بحفر الخندق لان العرب لم تكن تعرفه فاجتهد
فيه صلى الله عليه وسلم هو واصحابه فلما وصل العدو اليه خرج
اليهم فى ثلاثة آلاف فمكثوا نحو عشرين يوما او خمسة عشر وهو
الاشهر لا قتال بينهم الا الرمي بالنبل والحصا ثم اشتد الحرب
فجاء نعيم بن مسعود الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال له انى
اسلمت ولم يعلم بى قومي فمرني بما شئت فامره ان يخذل عنهم
ما استطاع فان الحرب خدعة فذهب الى بنى قريظة وكان
نديمهم فى الجاهلية فحسن لهم التخلف عن معاونة قريش الا ان

اخذوا

منهم رهنا وخوفهم على اموالهم واولادهم فقالوا اشرت بالرأي
ثم ذهب للعرب وقال لهم عن اليهود مثل ذلك وانهم ندموا
على ذلك وارسلوا الى محمد بذلك فارسلوا رسلهم لقريظة فذكروا ما
لهم ذلك فاعتقدوا اصدق نعيم وانحل عزمهم فخذلهم الله وارسل
عليهم الريح في ليال شديدة البرد فكفأت قدورهم وطرحت
خيامهم وبلغه صلى الله عليه وسلم تخالفهم وما هم فيه فقال
لحذيفة بن اليمان اذهب فانظر ما يفعل القوم ولا تحدث
شيئا حتى تأتينا فدخل بينهم فسمع ابا سفيان يقول لينظر
الرجل منكم من جليسه قال حذيفة فاخذت بيدي جنبي فقلت
من انت فقال فلان بن فلان ثم قال ابو سفيان والله يا معشر
قريش ما اصبحتم بدار مقام لقد هلك الكراع والخف واخلفتنا
بنو قريظة ثم امرهم بالرحيل وارتحل ولولا عهد النبي صلى الله
عليه وسلم ان لا تحدث شيئا لقتلته بسهم ثم سمعت غطفان
ما وقع لقريش فرجعوا ايضا فلما اصبح النبي صلى الله عليه وسلم
رجع الى المدينة وقال لا يغزونكم قريش بعدها ابدا ولكن انتم
تغزونهم وكان كذلك ولما وضعوا السلاح جاء جبريل
معتجرا بعمامة من استبرق على بغلة عليها قطيفة ديباج
وفي رواية البخاري انه لما وضع السلاح اغتسل فاتاه جبريل
فقال قد وضعت السلاح والله ما وضعناه اخرج اليهم اي بني
قريظة فاني عامد اليهم ومزلزل بهم وفي رواية ثم فشد عليك
سلاحك فوالله لادقنهم دق البيض على الصفا فبعث صلى الله
عليه وسلم مناديا يا خيل الله اركبي فذهب اليهم في ثلاثة آلاف
مقاتل وستة وثلاثين فرسا فحاصرهم خمسا وعشرين ليلة او خمس
عشرة وقذف في قلوبهم الرعب فعرض عليهم رئيسهم الايمان
وحلف لهم انه نبي مرسل وانه الذي يجدونه في كتابهم فابوا فقال
الليلة السبت فلعلهم امنونا فانزلوا لعلكم تصيبون منهم
فقالوا انفسد سبتنا ونحدث فيه ما لم يحدث فيه من قبلنا

الا من علمت فاصابه ما لم يخف عليكم من المسخ ثم اشتد عليهم الحصار
فنزلوا على حكم النبي صلى الله عليه وسلم فحكم فيهم سعد بن معاذ
سيد الاوس فحكم فيهم بان تقتل رجالهم وتقسم اموالهم وتسبى
ذراريهم فقال النبي صلى الله عليه وسلم لقد حكمت فيهم بحكم الله
الذي حكم به فامر النبي صلى الله عليه وسلم بهم فادخلوا المدينة
وحفر لهم اخدود في السوق وجلس النبي صلى الله عليه وسلم
ومعه اصحابه واخرجوا اليه فضربت اعناقهم وكانوا ما بين
ستمائة الى سبعمائة ولا ينافيه الرواية الصحيحة انهم كانوا
اربعمائة مقاتل لان الباقين اتباع وبما تقرر علم ان الاحزاب
حالفوهم اي اليهود اي عاهدوهم مع الايمان المغلظة على حرب
رسول الله صلى الله عليه وسلم **وخالفوهم** في ذلك فرحلوا عنهم و
اسلموهم للنبي صلى الله عليه وسلم حتى قتلهم عن آخرهم **ولم ادر**
لماذا تخالف الحلفاء واراد بنفي الدراية على طريق تجاهل
العارف اغراء السامع على البحث عن سبب ذلك وان كان ظاهرا
وهو ان الله تعالى اراد خذلانهم بتفريق كلمتهم واستيصال
شأفتهم **تنبيه** تجاهل العارف سماه السكاكي سوق المعلوم
مساق غيره وهو سؤال المتكلم عما يعلمه على سبيل التعجب او
الانكار او التوبيخ كما هنا او التقرير نحو وما تلك بيمينك يا موسى
اسلموهم اي المنافقون عبد الله بن ابي واصحابه اليهود من المسلمين
بني النضير **لاول الحشر** المقتبس من قوله تعالى هو الذي اخرج
الذين كفروا من اهل الكتاب من ديارهم لاول الحشر ما ظننتم
ان يخرجوا وظنوا انهم مانعتهم حصونهم من الله فاتاهم الله
من حيث لم يحتسبوا وقذف في قلوبهم الرعب يخربون بيوتهم
بايديهم وايدي المومنين اي في اول حشرهم واجلائهم من جزيرة
العرب الى الشام او من محالهم الى محل آخر وانما كان اولا لانهم لم
يصبهم قبل نظير ذلك او لحشرهم الى القتال لما يأتي في قصتهم انهم
عزموا على القتال ففشلوا والقى الله الرعب في قلوبهم واخرجتهم

اجلاء عمر لمن بخيبر من هؤلاء ومن اهلها الى الشام او في اول حشر
الناس الى الشام لانها فتحت بعد ذلك بقليل وقصدها الناس
للاقامة بها وعليه فآخر حشرهم بها عند قيام الساعة لانها
ارض المحشر لاميعادهم اي المنافقين لليهود انهم ينصرونهم على النبي
صلى الله عليه وسلم صادق لانهم سولوا لهم قتاله وانهم يعينونهم
ثم تخلفوا عنهم ولا الإيلاء اي الحلف منهم لهم صادق ايضا سكن
الرعب اي هيبة النبي صلى الله عليه وسلم وخشية انتقامه منهم و
ظفره عليهم والخراب الآتي لدورهم قلوبا من اليهود المحصورين
وغيرهم وهذا راجع للاول وبيوتا منهم راجع للثاني ففيه لف ونشر
مرتب نعاها اي افنى تلك البيوت بموت اهلها المعنوي من نعاه
نعوا ونعيا ونعيانا اخبر بموته الجلاء اي خروجهم من ديارهم
شبهه في كونه معلما بفقرهم وزوال شوكتهم المشبه بالموت بانسان
مخبر بما ينفع ويضر فهي استعارة بالكناية وذكر النعي الملائم للمشبه
استعارة تخييلية وعجيب من الشارح حيث لم يتكلم على هذه الجملة
مع ما علمته فيها من الاستعارتين المذكورتين بل فيها استعارة ثالثة
كما اشرت اليها بقولي المشبه بالموت وظاهر النظم ان واقعة بني
النضير هذه بعد الخندق المشار اليها بقوله السابق واطمأنوا الى آخره
وهو ما اوهمه كلام بعض الشراح لكنه مردود بان بني قريظة هم الذين
ظاهروا الاحزاب واما بنو النضير فلم يكن لهم في الاحزاب ذكر
بل كان من اعظم الاسباب في جميع الاحزاب وما وقع من اجلائهم
فانه كان من رؤسهم حيي بن اخطب وهو الذي حسن لبني قريظة
الغدر وموافقة الاحزاب حتى كان من اهلاكهم ما كان فكيف يصير
السابق لاحقا وخلاصة ما قاله اهل السير في واقعة بني
النضير انه صلى الله عليه وسلم خرج اليهم يستعينهم في دية قتيلين
قتلهما بعض حلفائهم فاظهروا له الاجابة ثم تواعدوا وهو صلى
الله عليه وسلم جالس الى جانب جدار لبعض بيوتهم على ان يصعد احد
منهم ويلقي عليه صخرة ليستريحوا منه فنهاهم بعضهم وقال والله

ليخبرنه بما هممتم به وانه لنقض العهد الذي بيننا وبينه فلما
صعد الرجل لذلك اخبر به صلى الله عليه وسلم فقام مظهرا انه يقضي
حاجة وترك اصحابه في مجالسهم ورجع مسرعا الى المدينة يطلبه
فاخبرهم ونزل في ذلك يا ايها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم
اذ هم قوم ان يبسطوا اليكم ايديهم الآية فامر صلى الله عليه وسلم
بالتهيؤ لحربهم والسير اليهم فسار وحاصرهم ست ليال فتحصنوا بالحصون
فقطع النخل وحرقها وخرب ولما وقع في نفوس بعض المسلمين
من ذلك شيء نزل ما قطعتم من لينة او تركتموها الآية واللينة
اصناف التمر ما عدا العجوة والبرني ففي الآية انه صلى الله عليه وسلم
لم يحرق من نخلهم الا ما ليس بقوت وكانوا يقتاتون العجوة وفي الحديث
العجوة من الجنة وتمرها يغذو احسن غذاء والبرني ايضا كذلك
وكان رهط من بني عوف بن الخزرج منهم ابن ابي بعثوا اليهم
ان اثبتوا وتمنعوا فانا لن نسلمكم ان قوتلتم قاتلنا معكم وان
اخرجتم خرجنا معكم فتربصوا فقذف الله في قلوبهم الرعب
فسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يجليهم عن ارضهم ويكف
عن دمائهم وفي رواية ابن سعد انهم لما هموا بالغدر ارسل
اليهم محمد بن مسلمة ان اخرجوا من بلدي وقد اجلتكم عشرا فمن
رئي منكم بعدها ضربت عنقه فشرعوا في التجهيز فارسل اليهم
ابن ابي بانهم يمتنعون ويمدهم بمن ينصرهم فارسلوا لرسول الله
صلى الله عليه وسلم يقولون لا نخرج فاظهر التكبير وكبر المسلمون
بتكبيره فسار اليهم وعلي يحمل رايته فلما رأوه قاموا على حصونهم
يرمون بالنبل والحجارة وخذلهم ابن ابي وغيره فحاصرهم خمسة
عشر يوما ثم قال لهم اخرجوا ولكم دماؤكم وما حملت الابل الا الدرع
فنزلوا على ذلك فكانوا يخربون بيوتهم بايديهم فلحقوا بخيبر
ثم الى الشام والحيرة على ستمائة بعير ولكون القاهر لهم مجرد الرعب
كان ما بقي من اموالهم له صلى الله عليه وسلم يقسمه بين المهاجرين
ليرفع مؤنتهم عن الانصار وخدعوا ايضا اي بنو قريظة منهم

بيوم الاحزاب اذ زاغت الابصار منهم وضلت الارآء
وذلك ان الاحزاب لما اقبلوا ونزلوا حوالى المدينة وخرج صلى
الله عليه وسلم والمسلمون فجعلوا ظهورهم الى سلع والخندق بينه و
بين القوم خرج عدو الله حيى بن اخطب حتى اتى كعب القرظى صاحب
عقد بنى قريظة وعهدهم فاغلق كعب دونه باب حصنه وقال
له انك رجل مشئوم وانى عاهدت محمدا فلست بناقض ما بينى
وبينه فانى لم ار منه الا وفاء وصدقا فقال ويلك افتح ولم يزل به
حتى فتح فقال يا كعب قد جئتك بعز الدهر جئتك بقريش انزلتهم
بمجتمع الاسيال وعز دونه غطفان وقد عاهدونى على ان لا يبرحوا
حتى يستأصلوا محمدا ومن معه ولم يزل به حتى نقض عهده وبرئ
مما كان بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم فبلغه ذلك فعظم
البلاء واشتد الخوف واتاهم عدوهم من فوقهم ومن اسفل
منهم حتى ظن المؤمنون كل ظن ونجم النفاق فى بعض المنافقين و
انزل الله تعالى واذ يقول المنافقون والذين فى قلوبهم مرض الآيات
وقال رجال ممن معه يا اهل يثرب لا مقام لكم فارجعوا ثم وقع
ما مر من ان الله خذل الاحزاب وبدد شملهم وجعل الدائرة عليهم
والغلبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين واهلك بنى قريظة
عن آخرهم كما مر وبما تقرر علم ان فى كلام الناظم فى هذا البيت
والذى قبله تلميحا من وجوه عديدة وتعدوا ظاهر سياق ان الضمير
للنصارى واليهود والمنافقين ويجوز عوده لمطلق الكفرة
الشامل لكفار العرب وغيرهم اى تجاوزوا حتى وصل ايذاؤهم
الى النبى صلى الله عليه وسلم حدودا احدها الله لهم ومنعهم عن
مجاوزتها فلم يقفوا عندها فلذلك كان فيها اى فى مجاوزتها
عليهم احد الظرفين حال والآخر خبر العدواء اى بعدهم عن
النجاة ووقوعهم فى الهلاك الابدى وفى هذا تلميح الى قوله تعالى
ومن يتعد حدود الله فاولئك هم الظالمون وبين تعدوا و
العدواء جناس شبه الاشتقاق وهو او شبهه بينهم وانتهت

عنه

والبذى والبذاء والخيل والخيلاء واكدى وكدا وعفا وعفو وسواء
وسواه والجمت والجبن والحلم والحليم الآيات ونهتهم اى اولئك
المعتدين قوم منهم عن استمرارهم على ما هم عليه من مخالفة النبى
صلى الله عليه وسلم وايذائه قائلين لهم ان لرسول الله حقا وما انتهت
عنه اى عن مخالفة النبى صلى الله عليه وسلم وايذائه قوم بل استمروا
على ما هم عليه من ايذائه والامر به فبسبب ذلك ابيد اى اهلك
الآمار منهم بايذائه والنهاء عن اتباعه لبقاء كل من الفريقين على
ضلالته ومر ان عتبة بن ربيعة لما اشتد ايذاء قريش له صلى الله عليه
وسلم ذهب اليه لينهاه فقرأ عليه فصلت فرجع الى قومه ومدح
القرآن وامرهم ان يخلوا بينه وبين ما هو فيه وبين لهم ان القرآن
ليس بسحر ولا شعر ولا كهانة وانه صلى الله عليه وسلم ليس بمجنون
وانه ليكونن لقوله نبأ فقالوا له سحرك محمد بلسانه فقال افعلوا
ما بدا لكم فلم يزدهم الا طغيانا وايذاء له بالقول والفعل وقتل
عتبة يوم بدر مشركا وبين الآمار والنهاء جناس الطباق
كنهتهم وما انتهت وكالغدو والعشاء والقطع والوصل والتقريب
والاقصاء والملام والاطراء والتباين والوفاء الآيات
وتعاطوا فى احمد نبينا صلى الله عليه وسلم وخصه بالذكر لانه لم
يسم به احد قبله كما رواه مسلم واما محمد فتسمى به قبله خمسة
عشر نفسا كما بينه الحافظ العسقلانى منكر القول اى القول المنكر
اى الذى ينكره سامعه بل المتلفظ به لعلمه بقبحه وفساده وان
الحامل عليه انما هو محض عناد وحسد فقالوا مرة ساحر ومرة كاهن
ومرة مجنون كما سبق ذلك مبسوطا فى اعجاز القرآن وطاف صلى الله
عليه وسلم هو وابو بكر وعثمان رضى الله عنهما فلما مر بابى جهل و
عقبة بن ابى معيط وامية بن خلف اسمعوه بعض ما يكره ثم اراد
ابو جهل الاخذ بمجامع ثوبه صلى الله عليه وسلم فدفعه عثمان على
استه ودفع ابو بكر امية والنبى صلى الله عليه وسلم عقبة ثم قال
والله لا تنتهون حتى يحل بكم عقابه عاجلا فما منهم الا اخذته رعدة

بيان ع

وجعل صلى الله عليه وسلم يقول لهم بئس القوم انتم لنبيكم ثم قال
لاصحابه ابشروا فان الله مظهر دينه ومتم كلمته وناصر نبيه ان هؤلاء
الذين ترون مما يذبح الله بايديكم عاجلا قال عثمان فو الله
لقد رأيتهم ذبحهم الله بايدينا ومن ايذاء المنافقين قولهم يوم الخندق ق
محمد يعد اصحابه ان ينفق كنوز قيصر وكسرى واحدنا اليوم لا يأمن
على نفسه ان يذهب الى الغائط وقد حقق الله ما قاله نبيه صلى
الله عليه وسلم فانال الله المسلمين كنوز كسرى وقيصر في زمن عمر وعثمان ن
ثم ذيل بجملة مشتملة على معنى ما قبلها جارية مجرى الامثال فليس
تتميما خلافا للشارح لانه المأتي به لمجرد المبالغة والتأكيد ولا
تكميلا لانه المأتي به لدفع الايهام نعم في ذلك اضطراب بين اهل
البديع فقال ونطق اي منطوق الاراذل اي الاسفال الاخساء الذين
لا مروة لهم ولا عقل الكلمة العوراء اي القبيحة الساقطة اي
شانهم النطق بالفحش وهؤلاء كذلك كيف و كل رجس اي قذر
وغضب قام بهم يزيده ما جبلوا عليه وهو الخلق السوء بفتح السين
وضمها اي القبيح سفاها بفتح السين من سفه بالضم سفاها
وسفاهة ومصدر المكسور سفها وهو ضد الحلم وسببه خفة
العقل وطيشه و يزيده سفاهة ايضا وبعدا عن الخير الملة اي
الشريعة سميت بذلك لانها تملى وتكتب العوجاء اي الباطلة
بطريق عوجاء لا تهدي سالكها الى المطلوب بل يتوه ويضل فيها على
سبيل الاستعارة المكنية ثم اثبت لها العوج تخييلا واولئك
الاراذل اجتمع فيهم الوصفان الخلق السوء والتمسك بالملة الباطلة
فتضاعفت سفاهتهم فبسبب ازدياد هم في السفاهة والجهل انظروا
ايها العقلاء كيف هي وما بعدها سدت مسد مفعولي انظروا
واما قول الشارح كيف في موضع المفعول الثاني وعاقبة القوم
المفعول الاول فهو انما يصح بفرض زيادة كان ولا محوج لذلك
فين كما عرفت ثم قررته كان تامة عاقبة اي مآل ومصير القوم المعرو
بما ذكر وهي خزي الدنيا وعذاب الآخرة ثم كان عاقبة الذين اساؤا

٥

السوأى الآية ففيه اقتباس وانظروا ما هو بصلته سد مسد
المفعولين ايضا وعجيب من الشارح حيث لم يبين اعرابه مع احتمال
وجه آخر فيه غير ما ذكر لكن ما ذكرته اولى كما هو واضح ساق
للبذخ اللسان كهؤلاء البذاء بالمعجمة اي بذاؤهم اي فحشهم وهو
بنة تخلفهم عن عز الدنيا وسعادة الآخرة وفيه تشبيه البذخ بدابة
مسوقة والبذاء سائقها وهما استعارتان مكنيتان واثبات
السوق للبذاء على جهة كونه فاعله وللبذخ على جهة كونه
واقعا عليه تخييل وجد البذخ السب اي الشتم فيه اي النبي صلى
الله عليه وسلم سما اي مهلكا اي مهلك وبين السب والسم الجناس
المضارع ولم يدر البذخ ان سبه عين السم القاتل لوقته لفظا
اذ الميم في مواضع حال من الخبر وهو باء كقولهم في بنيد منيد وهي
لغة مازن قال المازني دخلت على الخليفة الواثق فقال لي ممن
الرجل قلت من بني مازن قال بااسمك يريد ما اسمك وهي لغة
قومي يبدلون الميم باء ثم قال اجلس فاطبئن يريد فاطمئن
وقال ابن جني في سر الصناعة اخبرنا ابو علي باسناده الى الاصمعي
قال كان ابو سوار الغنوي يقول بااسمك يريد ما اسمك فهذه
البا بدل من الميم انتهى ومعنى لانه اهلكهم كما يهلك السم ... بل هو ابلغ من السم صح
لان اهلاك السم في الدنيا وله ادوية تزيله واهلاك السب
في الدنيا والآخرة ولا دواء له كان من اجل ما صدر من فيه
اي فم البذخ حال من الضمير المستقر في الخبر وهو بيديه قتله
لنفسه بيديه وقتل الانسان لنفسه اشنع من قتل غيره له فبسبب
ذلك هو اي البذخ القاتل لنفسه المذكور في الاتصاف بما وقع
منه سوء فعله بنفسه المرأة المشهورة بالملك القاهر في العرب
التي هي الزباء بفتح الزاي وتشديد الموحدة اي شبيهها فانها
تناولت خاتما مسموما فمصته حتى قتلت نفسها وقالت بيدي
لا بيد عمرو فكان قتلها لنفسها بسبب ما تناولته بفمها من ريد
لما ظفر بها عمرو ابن اخت جذيمة الابرش لما كان بينهما من فاس

تغنيه ايّاها وحاصل القصّة وهي طويلة ذكرها الاخباريون
وابن هشام وابن الجوزي وغيرهم انّ جذيمة بن عامر التنوخي
وقيل الازدي وهو اوّل من ساس العرب واوّل من اتّخذت له
الشموع واوقدت بين يديه واوّل من اجتمع له الملك بارض العرا ق
من قبل ازدشير وكان ابرص فكنّوا عن ذلك بالابرش والوضّا ح
قيل كان لا يأنف من الابرص لانّ في العرب من يفتخر بذلك و
كان له اخت اسمها رقاش فاحبّها نديمه عدي بن نصر الايادي فوافقته على
ان يخطبها منه اذا غلب السكر عليه فسأله حينئذ في ذلك فانكحه
ايّاها واشهد عليه ودخل بها فلمّا اصبح وعلم بذلك تغيّب عدي
فلم يعرف له اثر فولدت له ولدًا سمّي عمرًا فاحبّه جذيمة و
اختطفته الجن ثمّ ردّوه فزاد حظًّا عند خاله وكان ابو الزبّاء
سمّيت بذلك لكثرة شعرها اذ كان يجلّلها ويسحب من ورائها ملكًا
ما بين الفرات والروم فغزاه جذيمة وقتله قبل بعثة عيسى
صلى الله عليه وسلم وطردها فلحقت بالروم وجمعت الجيوش
واستخلصت من جذيمة ملك ابيها وابتنت لها بجانب الفرات
قصرًا حصينًا فحدّثت جذيمة نفسه بخطبتها لانها ابكر واجمل
اهل عصرها وطمع في ملكها فارسل لها فاظهرت غاية الفرح
وارسلت له بهديّة سنيّة فاستشار في السير اليها فبالغ قصير
ابن سعد في منعه وفي انّ ذلك مكيدة منها فلم يصغ له وسار
وكانت امرت لمكرها اذا وصل ان يحيطوا به ويمنعوه ممن معه
ففعلوا وقصير معه فلمّا رأى ذلك ركب فرس جذيمة التي
تسبق الريح وفرّ بها ثمّ ادخل جذيمة عليها ليس معها الاجوا دى
وكانت ربّت شعر عانتها حولا فكشفته له وقالت امتاع
عروس ترى فقال بل متاع امة بظراء ثمّ قالت خذوا بيد سيّد كتى
وبعل مولاتكم فاجلسوه على النطع ثمّ امرتهم بفصد عروق ففعلوا
يديه ففعلوا ووضع له طشت فنزف دمه فيه الى ان قضى
عليه فامرت به فدفن ثمّ اقبل قصير على عمرو واخبره الخبر وامره

وقيل ابى ان يأخذ بثأره منها فافهمه انّه لا قدرة له عليها فقال له اجدع
انفي واذني واضرب بظهري حتى يؤثّر فيه ففعل به ذلك وفعل قصير
بنفسه ذلك ثمّ ذهب اليها مستجيرًا بها من عمرو فراجت عليها حيلته
واكرمت منزله ثمّ قال لها انّ لي بالعراق مالًا كثيرًا وذخائر فمريني
لآتي به ففعلت فرجع اليها باموال هائلة ثمّ عاد الى العراق
ثانيًا ثمّ رجع اليها باكثر من الاولى فازدادت مكانته عندها
ولم يزل يتلطّف حتى عرف سردابًا جعلته تحت الفرات يصعد منه
الى قصرها وبابه من جانب الفرات الآخر ثمّ خرج ثالثًا فرجع باكثر من
ذلك كلّه فزادت مكانتـــــه وعوّلت عليه في امورها فاظهرت
له انها تريد غزوًا وانه يذهب ويأتيها بالعبيد والعُدد فقال
لها انّ لي في بلاد عمرو الف بعير وخزانة مال وسلاح فاعطته
ما اراد من المالـــــ وقالت الملك يحسن لمثلك فعاد الى عمرو
وقال اصبت الفرصة منها فقال له عمرو مرني بما شئت فقال
الرجال والاموال فعمد الى الفي رجل من فتّاك قومه فحملهم على
الف بعير على كلّ بعير اثنان في غرارتين سود اوثقين وعمرو منهم
وساق الخيل والكراع والسلاح وكان يكمن النهار ثمّ دخل عليها
فقال انظري الى العير فنظرت فقالتـــــــ

ما للجمال مشيها وئيدا | أجندلًا يحملن ام حديدا
ام الرجال جثّمًا قعودا | ام الرجال في الغرار السودا

ولمّا وصلت العير المدينة طعن بوّاب جوالقًا بمخصرة بيده
فضرط من اصابته فاراد الصياح فضربه قصير بسيفه فقتله
ثمّ حلّت الجوالق فخرج الرجال ودخل عمرو باب السرداب ليصعد
الى الزبّاء فلمّا رأته مصّت خاتمًا في يدها مسمومًا وقالت بيدي
لا بيد عمرو فماتت وقيل انّ عمرًا قتلها بسيفه واحتوى على بلا دها
او هو في سوء فعله النحل اي شبيه ثمّ بيّن وجه الشبه فقال
لسعها اي لسعها الغيرها يجلب الحتف اي الموت اليها عقب لسعها
والحال انّ لسعها ما نافيه له انكاء اي قتل ولا جرح بل ولا دم ولا تأثير

قوى في الملسوع فكل منهما قتل نفسه بما خرج من فيه مع انه لاصلاح
تعود عليهما مما كان سببا لهلاكهما **صرعت قومه** صلى الله عليه وسلم
الذين ارسله الله اليهم فلم يؤمنوا به اى القتهم قتلى بين يديه
حبايل جمع حبالة وهى التى يصاد بها وناصبها يسمى الحابل
بغى عليه صلى الله عليه وسلم **مدتها** اى تلك الحبايل اليه **المكر** حال
كونه **منهم** وهو ابطان السوء مع اظهار خلافه **والدهاء** هو
بالكسر كالدهى جودة الرأى وفى كلامه استعارة بالكناية من
حيث تشبيه القوم الذين حاربوه صرعى بين يديه صلى الله عليه
وسلم بصيود مصروعة بين يدى الصياد ومن حيث تشبيه
البغى بشبكة الصياد من حيث تشبيه المكر والدهاء بالصائد
كما يقتضيه نسبة المد اليهما او بحبال الشبكة التى يمدها الصائد حتى (الدمج)
يقع فيها الصيد وتخييلية باثبات المد اللازم للمشبه به وترشيحية
بذكر الصرع اللايق بالمشبه وبما تقرر علم ان فى كلامه ثلاث استعارات
مكنيات الاولى تشبيه القوم بالصيد وجردها بذكر الصرع والمكر و
الدهاء لهم ورشح وخيل لها بذكر الحبائل والمد والثانية تشبيه البغى
بالشبكة وخيل لها باثبات الحبائل له ورشح بذكر المد وجرد بذكر
الصرع الملايم للبغى والثالثة تشبيه المكر والدهاء بالصائد
على ما مر وخيل باثبات المد ورشح بذكر الحبائل وجرد بذكر الصرع
هنا ايضا اذ لا مانع من اشتراك ما نع من اشتراك مكنيتين او
اكثر فى كون الشئ الواحد تخييلا او ترشيحا او تجريدا للكل اعتبارا
لكل على حدته بما يناسبها **ف**بسبب مكرهم ودهائهم **اتتهم** من قبله
صلى الله عليه وسلم ما اوجب عود تلك الحبائل اليهم ولا يحيق المكر
السيئ الا باهله فلا يمكرون به مكرا ولا يكيدون به كيدا الا و
عاد عليهم وكيف لا وكلما تحزبوا الحرب وحاولوا اخفاء امره بدد الله
جمعهم وقتل سادتهم واظهر امره عليهم وهو الذى ايدك بنصره و
بالمؤمنين فمن ذلك انهم اتتهم **خيل الى الحرب تختال** اى تتبختر بها
راكبوها تيها وعجبا **والخيل** النفايس وعليها الشجعان **فى الوغى** اى

الحرب متعلق بقوله **خيلاء** اى كبر وترفع عن الوقوع فى وهدة
الاصطدام بنحو شجرة وهذا تذييل **قصدت فيهم** اى فى ابدانهم **القنا**
اى الرماح جمع قناة وفى هذا الاستعارة المشهورة فى قوله تعالى
جدارا يريد ان ينقض ولا ينافى ذلك عد كثيرين له من انواع المجاز
باعتبار ان فيه اضافة الفعل الى ما لا يصح منه وهو الارادة
التى هى من صفات الحى لان ذلك مبنى على تشبيه مثله للوقوع
بارادته له والاستعارة مجاز علاقته المشابهة ومن ثم قيل
زوج المجاز بالتشبيه فتولد بينهما الاستعارة وهل هى مجاز
لغوى او عقلى والاصح الاول انها موضوعة للمشبه به لا للمشبه
ولا لاعم منهما فاسد فى رأيت اسدا يرمى موضوع للسبع لا
للشجاع ولا للحيوان الجرى **ف**بسبب قصدها لهم كانت **قوافى**
الطعن اى الطعنات المشبهة بالقوافى فى تتابعها حال كون
ذلك الطعن **منها** اى تلك الرماح **ما شانها** اى عابها وفى
نسخ شانه اى الطعن **الايطاء** وهو تكرير القافية المتحدة
لفظا ومعنى قبل عدد مختلف فيه عندهم المشبه به الطعنات
الواردة على محل واحد من غير ان تؤثر التالية شيئا لم تؤثره (شیء)
المتلوة وهو معيب فى المشبه به لانه يدل على عى الشاعر و
تقصيره والمشبه لانه يدل على قصر ساعد الشجاع وعدم
تمكنه وتحريره وهذا الحل اولى مما سلكه الشارح كما يعلم
بتأمله نعم قوله ولكثرة ما عملت رماحهم فى اجساد عدوهم
تأتى الطعنة الثانية مكان الاولى حتى كانهما واحدة
لسرعة الطعن يقرب حله **واثارت** اى رفعت تلك الخيل
لما ركضت فى هامة الحرب **بارض** العدو فى الاقطار الحجازية
وغيرها حتى فى **مكة** فى غزوة الفتح لما ازدحمت قرب دخولها
نقعا ظن ان الغدوة اى وقته وهو ما بين صلوة الغداة (اى غبارا اظلم الجو حتى ...)
وطلوع الشمس **منها** اى من اجل تلك الخيول التى اثارت ذلك
النقع او من اجل تلك الغبرة المفهومة من الغبار التى اثارتها

تلك الخيول **عشاء** اي وقته وهو اذا غاب الشفق الاحمر وقضية
كلام الشارح بل صريحه ان المراد العشاء بفتح العين وفسره بانه
ما بين الغروب والعتمة وفيه نظر وما ذكرته اولى واسلم مما تكلفه
وفي قوله واثارت نقعا تلميح الى قوله تعالى في سورة العاديات
فاثرن به نقعا وخلاصة شيء من هذه الغزوة التي حصل بها
ذلك الفتح الذي هو اعظم فتوح الاسلام لان الله اعز به دينه
ورسوله وجنده وحرمه وبلده ونبيه واستبشر به اهل
السماء وضربت اطناب عزه على مناكب الجوزاء فدخل الناس في
دين الله افواجا واشرق به وجه الدهر ضياء وابتهاجا وبيانها
انه وقع الصلح بالحديبية انه صلى الله عليه وسلم لا يتعرض لمن
دخل في عقده قريش وانهم لا يتعرضون لمن دخل في عقده وكان
ممن دخل في عقده خزاعة وفي عقدهم بنو بكر وكانا متعاديين
فخرج بعض بني بكر وبني خزاعة فاقتتلوا وامدت قريش بني بكر فخرج
اربعون من خزاعة اليه صلى الله عليه وسلم يخبرونه ويستنصرو نه
فقام وهو يجر رداءه ويقول لا نصرت ان لم انصركم بما انصر به
نفسي ولما احس ابو سفيان جاء الى المدينة ليجدد العهد
ويزيد في المدة فابى صلى الله عليه وسلم عليه فرجع فخرج رسول
الله صلى الله عليه وسلم في عشرة آلاف ثم لحقه الفان لليلتين
من رمضان سنة ثمان فلما كان بقديد عقد الالوية والرايا ت
ودفعها الى القبائل ثم لما نزل مر الظهران امرهم ان يوقدوا عشرة
آلاف نار فوافاهم ابو سفيان ارسله قريش ليأخذ لهم امانا
لعلمهم بتجهيزه صلى الله عليه وسلم اليهم فاذا رأى تلك النيران ازعجه
امرها فادركه الحرس فاتوا به رسول الله صلى الله عليه وسلم فاسلم
بعد تمنع وتهديد فسأل العباس النبي صلى الله عليه وسلم ان يظهر
له فخرا في قومه فقال من دخل دار ابي سفيان فهو آمن وقال
للعباس احبسه عند حطم الخيل حتى ينظر الى المسلمين وفي رواية
احبسه عند مضيق الوادي حتى تمر به جنود الله فيراها فحبسه

فمرت به القبائل كتيبة كتيبة وهو يسأل عن كل فيبينها له العباس
فيقول مالي ولها ولما مرت به كتيبة الانصار وصاحب رايتها
سعد بن عبادة قال له سعد يا ابا سفيان اليوم يوم الملحمة
اي الحرب اليوم يستحل الحرمة او الكعبة فبلغ النبي صلى الله عليه وسلم
ذلك فامره على لسان علي كرم الله وجهه بدفع الراية لابنه قيس
واخبر ابا سفيان انه لم يأمر بقتل قريش وان اليوم يوم المرحمة
وان يعز قريش وخشي سعد ان ابنه يقع منه شيء ايضا فذكر
ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فدفعها للزبير وكانت راية النبي
صلى الله عليه وسلم في كتيبة المهاجرين مع الزبير ايضا فبعثه ومعه
المهاجرون وخيلهم وامره ان يدخل من اعلى مكة وان يغرز
رايته بالحجون ولا يبرح حتى يأتيه كذا ذكره موسى بن عقبة
وغيره وقول الشارح انه صلى الله عليه وسلم امر الزبير ان
يدخل من كُدًا بالضم تصحيف وصوابه من كَداء بالفتح والمد وقوله
امر سعد بن عبادة ان يدخل في بعض الناس من كداء بالفتح لم
ار في الروايات المعتمدة ما يشهد له وانما الذي صح انه صلى
الله عليه وسلم دخل من اعلاها وخالد من اسفلها وفي رواية عكس
تية ذلك ضعيفة لا يعول عليها ولعل الشارح اخذ من الرواية الآ
عن مسلم وانت خبير بانه ليس فيها نص كُدًا ولا كَداء وبعث
خالد بن الوليد في قبائل ليدخل من اسفل مكة ويغرز رايته
عند ادنى البيوت وبعث سعد بن عبادة في كتيبة الانصار
في مقدمة رسول الله صلى الله عليه وسلم وامرهم ان يكفوا ايديهم
الا ان قوتلوا ولما دخل خالد من اسفل مكة قوتل فقاتلهم حتى ثم كف سـ
ادخلهم المسجد من باب الحزورة ولما قال صلى الله عليه وسلم له لم
قاتلت وقد نهيتك قال كففت يدي ما استطعت فقال قضاء
الله خير وصح في مسلم وغيره انه صلى الله عليه وسلم بعث على احدى
المجنبتين خالد بن الوليد وبعث الزبير على الاخرى وبعث ابا
عبيدة على الذين بغير سلاح فقال يا ابا هريرة اهتف لي بالانصار

فهتف بهم فجاؤا فاطافوا به فقال لهم اترون الى أوباش قريش و
اتباعهم ثم قال باحدى يديه على الاخرى احصدوهم حصداً حتى توا فوني
بالصفا قال ابو هريرة فانطلقنا فما نشاء ان نقتل احداً منهم الا قتلناه
فجاء ابو سفيان فقال يا رسول الله ابيحت خضراء قريش لا قريش بعد
اليوم فقال صلى الله عليه وسلم من اغلق بابه فهو آمن ومن هنا اخذ
الاكثرون ان مكة فتحت عنوة ورد بانه صلى الله عليه وسلم لم ينقض
الا على اوباشهم الذين من شانهم الجهل والمبادرة بالقتال في غير
محله وهذا كقوله من اغلق بابه فهو آمن ظاهر في الكلام انما هو ان ع
في من قاتل ليوافق الروايات الاخر المقيدة بذلك وبهذا تتقوى
ما ذهب اليه امامنا الشافعي رضي الله عنه انها فتحت صلحاً
كما هو قضية التأمين الذي وقع منه صلى الله عليه وسلم لمن دخل
دار ابي سفيان او اغلق بابه او دخل المسجد ولم يقع قتال من
جهة اعلى مكة التي دخل منها صلى الله عليه وسلم والعبرة بها
لا بغيرها على ان القتال الذي وقع في غيرها انما كان دفعاً
لقتالهم كما مر وعلم مما تقرر في القصة انه صلى الله عليه وسلم
امر اكثر اصحابه ان يدخلوا من الحجون وهو كداء بالفتح والمد
وكان معهم في كتيبته الخضراء لكثرة ما معهم من السلاح على
ناقته القصواء بين ابي بكر واسيد بن حضير وفيها المهاجر ون
والانصار لا يرى منهم الا الحدق من الحديد فرأى ابو سفيان ما لا
قبل له به فقال للعباس لقد اصبح ملك ابن اخيك ملكاً عظيماً
فقال ويحك انه ليس بملك ولكنها نبوة قال نعم وامر بقية
اصحابه ان يدخلوا من اسفلها وهو كدًا بالضم والقصر ولذا
قال اجمت اي كفت واسكت عنده اي ذلك النقع الذي حصل
بمكة لما اجتمعت فيها جنود الاسلام مع ما هم فيه من كثرة الخيل
والسلاح الداخلون من اعلاها واسفلها الحجون بفتح الحاء وهو
الجبل المطل على مقبرة مكة المسماة بالمعلاة وذلك هو كدا بالفتح والمد ع
اي ان الفرقة التي كانت بالحجون وان اثارت فيه من النقع شيئاً

كثيراً لكنه قليل بالنسبة لما في مكة فامسك عن محاكاة ما بمكة
واكدى اصله قلة الخير والمراد هنا قلة التراب عند حال
من كداء اعطائه اي كداء المتقدم رتبة والمصدر مضاف
للمفعول وفاعل الاعطاء النبي صلى الله عليه وسلم القليل من
الناس مفعول المصدر الثاني كداء بضم الكاف والمد لغة
قليلة فيه اي وقل غبار كداء الذي هو اسفل مكة لان الفرقة
الداخلين منه الذين اعطاهم النبي صلى الله عليه وسلم كانوا
قليلين وعجيب من الشارح حيث لم يبين لهذا الشطر معنى ملائماً
ح مع كونه اوهم ضبط كداء هذا بالفتح وهو فاسد لان المفتوح
الحجون السابق في الشطر الاول او قريب منه كما يصرح به كلام
ائمتنا في المناسك وغيرهم فان قلت هذا البيت وان
كان صحيحاً لفظاً لما فيه من الجناس والمجاز من حيث التعبير
بالمحل عن الحال والمجاز والاستعارة من حيث الاحجام والمنع
اللذين هما من صفات الحي الى غيره على حد جداراً يريد ان ينقض
كما مر بيانه آنفاً لكنه ركيك معنى اذ لا حاصل له لان من المعلوم ان
ما بمكة من مجموع الفرقتين الداخلتين من اعلى واسفل وان ما
من مجموعهما اكثر مما من كل منهما ومثل هذا ليس له كبير جدوى
قلت بل فيه معنى يستفاد وله جدوى لخفائه وهو ان دخوله
صلى الله عليه وسلم واكثر اصحابه كان من الحجون والبقية من كداء
ووجه اخذه من النظم واضح فانه خص اعطاء القليل كداء
فدل على انه والاكثرين دخلوا من الحجون ويصح ان يراد نفس
البقعتين مبالغةً وعليه فيصح ان يكون اجمت معطوفاً على
اثارت بحذف حرف العطف وفيها ضمير هو الفاعل يعود
على الخيل وان اكدى مبني للمفعول والتقدير ان من قوة
تلك الخيول انها قهرتهم حتى ما كنتم تكفت الحجون وتمنعت كداء عن
ان تنتصر الا هلها او تصور منهما ذلك لا سيما وخيل كداء
كانت قليلة ويصح بقاء النظم على اعرابه الاول وهو ان

المجنون فاعل واكدى مبنى للفاعل وان المراد انه صلى الله عليه وسلم
نصر عليهم نصرا باهرا حتى ان بقاعهم ساعدته عليهم والتقدير
ان المجون وكداء منعاهم عن ان يعينوا اعينهم اليه صلى الله عليه وسلم
او الى احد من عسكره وفى هذا وما قبله من المبالغة ما لا يخفى عظيم
وقعه عند الفصحاء وبين المجون وكداء جناس معنوى ودهت
اى اهلكت تلك الخيل والخيالة اوجها من الناس بها اى بمكة قاتلت
كما مر فى الرواية المصرحة بذلك المحمول عليها الرواية المطلقة وكذا
جماعة لم يقاتلوا لكن كانوا يبالغون فى ايذائه صلى الله عليه وسلم واظهار
هجوه فامر بقتلهم وان كانوا معلقين باستار الكعبة وعدتهم ستة
رجال واربع نسوة واهلكت بيوتا كان اهل مكة يرجعون الى اهلها
مل اى سيئم منها الاكفاء وهو فى الشعر المخالفة بين هجاء احرف كان
يكون بعضها ميما والآخر باء وهنا انكفاء تلك الوجوه على الناس لعلها
تحيها او بحيرها والاقواء اصله من قولهم منزل قواء اى لا انيس به و
اقوت الدار وقويت اى خلت ثم استعمل فى الشعر مرادا به ان تختلف
حركات اعراب الروى ومما قررت به كلامه هنا وفيما قبله فى قصدت
فيهم القنا الخ يعلم انه استعار القواء فى الطعن المتتابع ورشح بذكر
الابطاء ولمح بذكر البيوت ترشيحا البيوت الشعر المرشح بها وبذكر
ما يختص بها من الاقواء والاكفاء للاستعارة الاولى وفيهما تورية
ولف ونشر مشوش لانه رجع الاقواء للبيوت باعتبار لمح بيوت
الشعر والاكفاء للوجوه لان الرأس اذ اقطع انكفأت الوجوه ويحتمل لت
واستعمل الاقواء فى الخلو من حيث بيت السكنى وفى تغيير القافية من
حيث بيت الشعر وكذلك الاكفاء من حيث تغيير حركة الروى
فبسبب ما حصل لاهل مكة من الخوف الذى ظنوا انه مهلكهم
من آخرهم دعوا محمدا صلى الله عليه وسلم احلم البرية بالهمز فى الاصل
اى الخلق اى طلبوا منه يوم الفتح ان يعفو عنهم وان لا يعاقبهم
بما مضى منهم مما كانوا اوصلوه اليه من الايذاء الذى لا يحتمله غيره
صلى الله عليه وسلم فاجابهم الى العفو قائلا لهم لا تثريب عليكم اليوم

كما يأتى والعفو عمن سأله جواب الحليم من حلم بالكسر اذا ترك
الانتقام بحق والاغضاء اى ارخاء الجفون من الحياء وفى ذكر الحلم
والعفو والاغضاء مراعاة النظير ناشدوه بدل من دعوا على ع
ف القربى اى حلفوه ان يصل قرابتهم ويعفو عنهم او القربى على حذف
الجار اى حلفوه بالقرابة التى بينهم وبينه ان يعفو عنهم التى
وصلت اليه من سائر بطون قريش وهم ولد النضر بن كنانة
احد اجداده صلى الله عليه وسلم حال كون تلك القربى قطعتها
الترات بفوقيتين جمع ترة وهى مصدر وتر اى قتل القتيل
ولم يدرك بدمه والشحناء اى التباغض والتحاسد الذى كان
بينهم فبسبب تلك المناشدة عفا صلى الله عليه وسلم عنهم عفو قادر
لانه كان يسهل عليه ابادتهم عن آخرهم لم ينغصه اى يكدر
ذلك العفو عليهم بسبب ما مضى منهم صفة اغراء تقدمت
عليه فصارت حالا اغراء من اغريت الكلب بالصيد اى حملته
على اصطياده وهو فاعل ينغص اى لم يكدر عفوه عنهم اغراء
سفهائهم وجهلائهم فيما مضى حال كونهم منهم حتى بالغوا
فى ايذائه بما لا يتحمله مخلوق كما تحمله صلى الله عليه وسلم وخلاصة
م ما اشار اليه الناظم انه صلى الله عليه وسلم لما كان الغد من يوم
الفتح قام خطيبا فى الناس فحمد الله واثنى عليه ومجده بما هو
اهله ثم قال ايها الناس ان الله حرم مكة يوم خلق السموات
والارض وهى حرام بحرمة الله الى يوم القيمة لا يحل لامرئ يؤمن
بالله واليوم الآخر ان يسفك بها دما او يعضد بها شجرة
فان احد ترخص فيها لقتال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقولوا
ر ان الله اذن لرسوله ولم يأذن لكم وانما احلت لى ساعة من نهار
اى من الفجر الى العصر وقد عادت حرمتها اليوم كحرمتها بالامس
فليبلغ الشاهد الغائب ثم قال يا معشر قريش ما ترون انى فاعل
فيكم قالوا خيرا اخ كريم وابن اخ كريم ثم قال اذهبوا فانتم الطلقاء
اى من الاسر والاسترقاق وفى رواية انه قال لهم اقول لكم كما قال

يوسف لاخوته لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو ارحم
الراحمين وسر هذا العفو وهذه الوصلة منه صلى الله عليه وسلم
لهم بعد القطع انه ناظر الى الله تعالى دون غيره واذا كان القطع
والوصل لله كما هو حال النبي صلى الله عليه وسلم تساوى عند
فاعل ذلك التقريب للاقارب والبعداء والاقصاء اى الابعاد
للاقارب والبعداء ولم يميز باحدهما قريب ولا اجنبي لان
النظر لرضاء الله وامتثال امره لا غير وهذا من القول البديع
الجامع وسواء بفتح السين والمد ويجوز كسرها والقصر وهما
فيهما بمعنى مستو ويستعمل الاول بمعنى التمام ومنه سواء للسائلين
الى سواء الصراط والوسط ومنه في سواء الجحيم وبمعنى غير قيل
ومنه فقد ضل سواء السبيل وهو وهم وانما هو بمعنى وسطه
عليه الذي تقريبه واقصاؤه لله لا غير واجل من اتصف بهذه
المرتبة نبينا صلى الله عليه وسلم كان خلقه القرآن يرضى برضاه
ويسخط بسخطه وهذا خبر مقدم ويصح كونه مبتدأ فيما اتاه
من سواء كلاهما حال من المبتدأ او الخبر وهو الملام بالسب والتنقيص
والاطراء اى المبالغة في المدح حتى بغير الواقع اى سواء عليه
اللوم والاطراء حال كونهما مندرجين في ما اتاه من غيره من
خير وشر اى استوى عنده مدح الغير وذمه لانه ليس ناظرا
الى نفسه وانما نظره الى تصريف الحق في خلقه بما اراد منهم ٭
تنبيــــه ما وقع للناظم هنا من حذف همزة التسوية بعد سواء
والعطف بالواو وهو ما درج عليه الفقهاء في كتبهم وهو لغة وان
كانت بخلاف الاشهر الشايع من ذكر الهمزة والعطف بام وقد صرح ح
في الصحاح بتلك اللغة فقال يقال سواء على قمت او قعدت
وكذلك في القاموس فقال وسواء لطلب اثنين سواء زيد وعمرو
اى ذوا استواء من استويا وتساويا تماثلا وقد صرح سيبويه
بالمسئلة اتم تصريح واوضحها اكمل ايضاح فقال كما في البديع عند
اذا كان بعد سواء همزة استفهام فلا بد من ام اسمين او فعلين وان

كان بعدها فعلان بغير الف الاستفهام عطف الثاني باو
تقول سواء على زيد وعمرو وان كان بعدها مصدران كان
الثاني بالواو واو محمولا عليها انتهى فعلم صحة ما عليه الفقهاء و
اندفع قول ابن هشام ان ذلك لحن وان ما في الصحاح سهو وان
قراءة اولم تنذرهم من الشذوذ بمكان انتهى فاستحضر ذلك
فانه مهم ومن ثم لو من فيها في بحث وصاف قدمه صلى الله عليه
وسلم ما ينبغي مراجعته لعزته ونفاسته ان انتقامه صلى الله
عليه وسلم اى غضبه واستيفاءه الذي صدر منه كان لهوى
النفس الامارة بالسوء المطبوعة على التكبر على الغير وجب
التميز عليه بما يقهره ويذله له لدامت قطيعة للرحم وجفاء
اى ابعاد لها ولكنه لم يكن لذلك وانما كان لله فقطعهم حيث
قطعوا ما امر الله به ان يوصل ووصلهم غير ناظر لما سبق منهم
من قتل اصحابه لا سيما باحد والتمثيل بهم وشج وجهه وكسر
رباعيته حيث وصلوه بامتثال اوامره واجتناب نواهيه و
كيف لا وقد قام صلى الله عليه وسلم لله وحده لا لهوى ولا
لحظ ولا لرعاية رحم او صديق وفي نسخة بالله اى مستعينا به
في الامور جميعها فبسبب قيامه لله او به ارضى الله تعالى
منه صلى الله عليه وسلم ثابرين لاعداء الله ووفاء لاولياء الله من
غير تعويل على حظ سوى رضائه ولهذا كان فعله صلى الله عليه
وسلم كله جميل لصدوره على اتم قوانين الاعتدال ولحوقه اوج
الكمال ولا بدع في ذلك اذ هل اى ما ينضح اى يسيل مما فيه على ظاهره
الا بما حواه عائد على متقدم الرتبة وهو الاناء اى لا ينضح الا
الاناء بما فيه فمن امتلأ اناء قلبه خيرا كانت افعاله المشبهة بما ينضح
الاناء كلها خيرا ومن امتلأ اناء قلبه شرا كانت افعاله كلها شرا
وليس احد متحليا بمعالي هذه الصفات الباهرة الا نبينا صلى الله عليه
وسلم وهذا من التذييل ومنه قوله تعالى وهل نجازي الا الكفور ويصح
ان يكون من التميم وفيه التلميح الى المثل السائر وهو كل اناء بما فيه ينضح

باو تقول سواء على قعدت او قمت وان كان اسمان بلا الف عطف الثاني صح

واو صح

وهو متعلق بارضى او حال من فاعله وهو صح

زين

ناء

يا حرف استغاثة

اطرب السامعين اى سرّهم وافرحهم ونشّطهم الى محبته واتباعه
وامتثال جميع ما برز من حضرته ذكر علاه لانهم يجدون لذلك
رَوِيحة تفوق رُوَيحة الراح لراح اى خمر مستغاث ولذا فتحت
لامه سميت بذلك لان شاربها يستريح ويرتاح من هموم الدنيا
ما دام سكرانًا بها مالت اى سكرت وتواجدت بها اى الراح بسبب
ذكر علاه فهو مذكر لفظا ومعنى فاندفع ما قد يقال الراح الخمر
وهى مؤنثة وتذكيرها شاذ الندماء اى شاربوا الخمر سُمّوا بذلك
لانهم يتنادمون اى يتخاطبون عليها بالاشعار التى فيها مدحها
وفى هذا استعارة تصريحية واستعارة ترشيحية لانه شبّه
ذكر علاه فى اطرابه لسامعه بالراح فى اطرابها الشاربها ثم قرنه
بذلك ما يلايم المستعار منه وهو ذكر الميل والندماء واعلم ان
هذا الموصوف بهذه المعالى الذى اطرب السامعين ذكر علاه هو
النبى الامى نسبة الى الام وهو من لا يكتب ولا يقرأ المكتوب كانه
على ولادة امه او مثلها اذ الغالب فى النساء عدم الكتابة وقيل
نسبة لام القرى اى مكة وقيل غير ذلك ومع كونه لا يقرأ ولا يكتب
اطلعه الله على علوم الاولين والآخرين وجعله القدوة العظمى
لكل مخلوق فى كل علم وحلم وحكمة وخلق حسن وساير اوصاف
الكمال وبراءة من الاحاطة بجميع مصالح الدنيا والدين وقوانين
سياسات العالم ومتفرقات الشرايع وعوارف المعارف مما لم
يصل لشأوه مخلوق وهذا مقتبس من قوله تعالى الذين يتبعون
الرسول النبى الامى الذى يجدونه مكتوبا عندهم فى التوريه والانجيل
الآيات أعلم الخلق جميعا حتى من اى الانبياء والمرسلين الذين
اسندا اى روى عنه الرواة والحكماء اى العلماء الذين يضعون
كل شئ فى محله فهو من عطف الاخص على الاعم ولما قدم كثيرا من
اوصافه صلى الله عليه وسلم واحواله وسيره ومغازيه انتقل بطريق
لطيف الى ذكر ارض مولده وبعثته ودار مهاجرته لانهما تشرفا به
على ساير الامكنة والى ذكر زيارته وتأكدها والاشارة الى انها

من افضل القربات وانجح المساعى وقد الفت فيها كتابا حافلا لم اسبق
الى مثله مشتملا على جميع ما يتعلق بها وسميته الجوهر المنظم فى زيارة
القبر المكرم وفيه ابلغ الرد والتضليل لمن نازع فى ندبها بما يكون سببا
لسواد وجهه وتبابه فى الدنيا والآخرة فقال كائنا من منة الله تعالى
عليه باشارته الى انه هيأ له اسباب تلك الزيارة من الزاد والراحلة
الموصوفة بالصفات الحسنة الآتية حتى كانها مخاطبة لبنة على ظهرى
فانى احملك ذهابا وايابا مع السلامة من التغير والراحة من السير
التعب وعدتنى ذكر الموعود فى حيزها كما هنا يوجب اشتراكها بين
الخير والشر وانما يقع التمييز بالقرائن وحذف يعينها الخير ويعين
للشر اوعد ازدياره اى النبى صلى الله عليه وسلم افتعال من الزيارة
وابدال الدال من التاء فى نحو ذلك مطرد وهو منصوب بنزع
الخافض اى بزيارته هذا العام وجناء اى ناقة قوية من الوجن
وهى الارض الصلبة ومنت بوعدها اى نعمت بموعودها
الوجناء المذكورة وهذا كما علم مما وطأت به اولا كناية عن
تيته للزيارة فى تلك السنة واعداده ذلك المركوب لها فهو اخبار
عن لسان حال ذلك المركوب ومما تقرر من ان ال فى الوجناء
للعهد الذكرى اندفع قول الشارح بين وجناء والوجناء جناس
والعجب منه انه صرح مع ذلك بان ال للعهد المستلزم لاتحاد اللفظين
وان الاول هو عين الثانى لا يليق بى ان اترك الزيارة او ابطأ عنها
فلا انطوى اى اضم نفسى على تلك الوجناء التى منت على بما ذكر لها
اى لاجلها ليسهل سيرها بى فان حسن سير المركوب من حسن ركوب
راكبه فى حصول اقتضائيه اى طلبى منها الذكا الموعود فالمصدر
مضاف للفاعل وهو الياء والهاء مفعوله فان اردت الاضافة
اليها ايضا كانت هذه الاضافة غير صحيحة لانه اجتمع فيها آلتا
تعريف على معرف واحد قالوا وانما جاز فى اضافة الصفة من اسم
الفاعل او المفعول او الصفة المشبهة وامثلة المبالغة اقترانها
المضاف دون ساير المضافات بال لان اضافة الصفة الى معمو

وهو الاضافة الى كل من الضميرين فقال
قالوا لا يجوز اجتماع التى تعريف ع

ف
لا تفيد تعريفا بل تخفيفا فليس هنا محذور واجتماع اداتى تعريف بخلاف
بقية المضافات انتهى نعم جرى لنا قول ان اضافة المصدر الى
مرفوعه او منصوبه غير محضة فعليه يجوز ما وقع فى النظم لانه
لم يجتمع اداتا تعريف فتامله اما اذا لم ترد الاضافة للهاء وانما
اريد بقاؤها على نصبها ففيه ارتكاب ضرورة اتصال الضمير
مع امكان انفصاله لتطوى بالبناء للفاعل وللمفعول والاو ل
اولى اذ لا يلزم عليه زيادة ما بخلاف الثانى ما اى المسافة البعيدة
التى بيننا اى بينى وبين ذلك القبر المكرم على الحال به افضل الصلاة
والسلام الافلاء جمع فلاة كما فى القاموس وعبارته والفلاة
القفر او المفازة لا ماء فيها ثم قال او الصحراء الواسعة جمعه فلا
وفلوات وفلى جمع جمعه افلاء انتهى وبه يندفع ما للشارح هنا
وجوز الشارح فيه كسر الهمزة مصدرا اى السير الى الفلاة بعد
اخرى ولا يلزم على بنائه للفاعل وان الافلاء جمع اتحاد الفا عل
والمفعول لانهما مختلفان بالاعتبار بل وبالحقيقة اذ النظر
فى تلك المسافة المطوية الى السير البعيد وفى الافلاء الى الامكنة
المقفرة ولا شك ان السير غير محله فتامله وبين انطوى ولتطوى
جناس الاشتقاق كهو او شبهه بين مباركها والبركة وحاورتها
والحوراء وحنين وحنت ونضت والانضاء والخلاص والخلصاء
الآتيات بوجناء الوف صيغة مبالغة من الف كعلم متعلق
بتطوى وكان القياس بها لكن اظهر لافادة وصفها بهذا
الوصف الممدوح البطحاء المعهودة ذهنا وهى مكة وتوابعها
واصل الابطح والبطحاء مسيل متسع فيه دقاق الحصا وهذا وما
بعده لسان حاله ابن زم على لسان حالها مبالغة فى اقامة تلك
الاوصاف بها لو كان لراحلته ادراك لكانت مثله فيها الماتشا هدٔ
من حاله يجفلها اى يزعجها ويقلقها النيل اى ارض مصر عن الاقامة
بها مع انها وطنها ومرباها الشدة شوقها الى التملى بتلك الانوار
والتعفر بتراب تلك الآثار وبين الالف والاجفال جناس الطباق

والحال انه قد شف اى شرب رطوبة جوفها او انحل جوفها
الاظماء اى شدة العطش فى طريقها فهى راضية بهذه المشقة
المؤدية الى التلف فى جنب ما املته فى تلك الحضرة من مزايا
الانعام وخفايا التحف ولاجل ذلك انكرت مصر لانها لا تؤمل
نيها من تلك المواهب العلية معشار ما املته فى تلك الحضرة
الاحمدية والساحة المصطفوية فبسبب هذا الانكار والمسبب
عن ذلك الامل هى تنفر بكسر الفاء وضمها اى تجد فى الهرب من
مصر الى تلك الحضرات العلية ما مصدرية ظرفية لاح اى ظهر
من ارض مصر بناء لعينها او خلاء اى فضاء ولا ينافى هذا قوله
تطعهاح بالوف البطحاء لانها تألفها حتى تصل الى مطلوبها فعند توجهها
اليه تجد فى السير وتنفر الجهة مقصدها سواء لاح لها فى غير
تلك الحالة بناء او فضاء وفسر الشارح الخلاء بالحشيش الرطب
ويوجه بنظير ما ذكرته انها تجد فى السير الجهة مطلبها وان
ظهر لها فى غيرها قوتها الذى هو الحشيش الرطب وهذا فيه من
زيادة المبالغة ما لا يخفى عظيم وقعه لكن يبعده مقابلته
بالبناء بخلاف ما ذكرته وقوله اذ المراد به ما بين ابنية مصر
وهو اقربها انتهى فى غاية البعد كما لا يخفى فاقضت من الغفيف
وهو الماء العذب والسائل على مباركها بركتها هى او تحل على
للحجاج ح طريق الحجاز تجمع فيه للتاهب لسفرهم ولذلك تجمعا عظيما لجلب
اليه كل ما يحتاجه الحجاج سميت بذلك لان ماء النيل يأتى اليها
فيمكث فيها زمنا طويلا وكانت فضاء صرفا فعمر فيها القطب
الربانى البرهان المتبولى رضى الله عنه من نحو سبعين سنة جامعا
وجعل فيه مجاورين يقرؤون القرآن فعادت بركته عليهم حتى ذكر
بعض صالحيهم ممن ادركناه يؤم بالجامع الازهر انه اشتهى زيارته
انه بالعجم وهو ثم فاستاذن الشيخ فى السفر لذلك فلم ياذن له
فدخل الخلوة والناس يقرؤون القرآن على بابها فراى نفسه ببلده
عند امه فسلم عليها واقام عندها اربعة اشهر بعدتها بالايام

والليالى ثم اشتاق للشيخ فرأى نفسه فى خلوته فخرج فرأى القرآء
قد قرؤا فى تلك المدة نحو ربع القرآن وهذا من بعض كرامات
الاولياء ان الله تعالى يطوى لهم الارض ويفسح لهم فى الزمن وقع
لهم من نظائر ذلك ما لا يحصى وانكار اتساع الزمن القليل دون طى
الامكنة تحكم لان كليهما من حيز الكرامة فاذ اجاز لاحدهما جاز
الآخر فتأمله ثم بنى الشيخ ثم الناس حول ذلك الجامع ابنية وبسا تين
لا زالت تتسع ببركته حتى صارت الآن قرية كبيرة اى فافاضت
البركة على مبارك تلك الناقة من الماء العذب ما ارواها ومن ركبها
ومن معه فبعد البركة منازل للحجاج فى هذه الطريق اكثرها
مشهور لغالب الحجاج فلا حاجة بنا الى من يبين بيانها وهى البويب
وانما حملت النظم على هذا الايهام ان افضت عام فى الكل وهو غير
مراد ان اراد به ما ذكرنا فان اراد به انه من الفضاء اى فاتسعت
على مبارك الناقة بركتها المزيد سعتها صح عطف ما بعده عليه من غير
حاجة الى التأويل الذى ذكرته وعجيب من الشارح حيث حمله على المعنى
الاول ولم ينبه على عطف ما بعده عليه الذى لا يصح الا برعاية ما ذكر تم
لان تلك المنازل اكثرها قفر معطش لا ماء فيه اصلا فالخضراء وهى
قريبة من المحل المسمى الآن بعجرود وفيه بير ماء من سبيل وبجانبها بركة
تملأ من بيت المال ليتم لحتياج الحجاج اليها وكان ذلك من اصله محدث
بعد الناظم وانما قلت من اصله لان بركته معلومة الحدوث فى اوائل
هذا القرن فالقباب التى تليها اى المنازل السابقة اى الوادى المسمى
بوادى القباب اى نبر الرمل المشبهة لارتفاعها وبياضها بالقباب
البيض الحسية فبير النخل بركة تملأ من بيت المال ايضا وماؤها
احسن من الذى قبله بكثير ولذا قال والركب قايلون عندها
اى مستريحون وقت القيلولة رواء من الماء بكسر اوله جمع ريان او ريا
وغدت ايلة اى عقبتها وحقل محل بعدها قريب منها تسميه العامة
مدورحقى وقر ليس هذا الاسم مشهورا عند الناس اليوم خلفها
اى الناقة لكونها جاوزتها فالمغارة المنسوبة الى شعيب النبى صلى الله

عليه وسلم الفيحاء اى الواسعة فعيون الاقصاب سميت بذلك لكثرة
ما فيها من القصب الفارسى تتبعها النبك هذا ايضا ليس بمشهور و
فى القاموس النبك بالنون فالموحدة بلد بين حمص ودمشق ويتلو
النبك كفافة وبها قبر ولى يسمى مرزوقا مشهور البركة وله
ذرية كثيرون مشهورون بالصلاح وللحجاج فيه اعتقاد تعظيم
خارج عن الحد العوجاء اى المنحرفة عن جادة الطريق وجعل
الشارح كفافة مفعولا ليتلو والعوجاء فاعله فعليهما محلان متغاير ان
وفيه نظر لانه ليس ثم محل يعرف بالعوجاء اصلا فالموافق للخارج
ما ذكرته جاورتها اى حاذتها الناقة الحوراء فيما هى بصدده شوقا
منها لما الناقة مشتاقة له وسائرة اليه واثبات الشوق
للجمادات غير منكر لو انزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا
متصدعا من خشية الله وان من شئ الا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون
تسبيحهم وهذا مانع لحمله على التسبيح بلسان الحال اذ لو كان مرادا
لم يقل ولكن الى آخره احد جبل يحبنا ونحبه فينبوع جاورتها
شوقا ايضا وهى بلدة معروفة من جملة الحجاز الذى هو مكة والمدينة
واليمامة وقراها وقد ذكروا ان ينبوع هذه من جملة قرى المدينة
فبسبب مجاورتها لها دق الينبوع والحوراء المذكوران لسماعهما
ما يتعلق بالزيارة ومشاهدتهما للزائرين لاح اى ظهر بالدهنوين
اى فيهما تثنية دهنا اما لكونه غلب اسمها وهو الدهنا محل قبيل
بدر على مجاورها او ان ثم محلين كل يسمى بالدهناء بدر وهو الآ ن
قرية عامرة به عين كبيرة ونخيل ومحل الوقعة المشهورة به التى اعز الله
بها الاسلام مشهور يزار ويتبرك بمن دفن به من الشهداء وغيرهم و باقية
فى بدر تورية مرشحة بلاح المناسب للمعنى الغير المراد وبقربه اية من اياته
صلى الله عليه وسلم وهى سماع صوت هائل كصوت طبل الحرب فى الجو
اشتهر على الالسنة ان هذا لاجل نصرته صلى الله عليه وسلم والفرح
بها وقد انكره قوم فقالوا لا حقيقة له وانما هى اصوات الريح تسمع
فى ذلك الوادى عند قوة هبوبها لان فى اوله جبلين عظيمين من الرمل

فاذا استوى الانسان بينهما وقوى عصف الريح سمع ذلك الصوت
وقال آخرون من ائمة المتأخرين بل له حقيقة لانا ذهبنا الى ذلك
المحل واقمنا به حتى سمعناه والجو ساكن لاريح به البتة وتكرر سماعنا
له المرة بعد المرة انتهى واقول ـــــ وقع لى ايضا سماعه مرات
متعددة فى سفرات متعددة حيث لاريح ولاحركة دواب ولا
مشاة ثم ولقد كنت فى بعضها مرافق الجمع جم من وجوه مكة ووجيهًا
وعلمائها من المالكية والحنفية فجرى الكلام بينهم فى ذلك فمنهم من
انكره ومنهم من اثبته ثم وقع الاتفاق على الذهاب لذلك المحل والترقى
الى على احد الجبلين ليحاط بسبب ذلك الصوت فذهبنا واقمنا
عليه نحو ربع النهار ونحن لانسمع شيئا وقد هدأ الريح ولا احد
ثم غيرنا وليس لاحد منا حركة ففى آخر الامر سمعنا ذلك الصوت
الهائل مرة واحدة فقط فانصرفنا ومن المنكرين من رجع ومنهم من
اصر على انكاره ولقد جاءنا فقيه ساكن يؤذن ويؤم بمسجد بالبلد
فسئل فخلف انهم ليلة الاثنين والجمعة يسمعون ذلك من اول الليل
الى آخره وفى غيرهما لايسمعونه الا احيانا فالله اعلم بحقيقة ذلك
لها اى للناقة بعد وفى نسخة قبل ما لاح لها ارض حنين يقال انه جبل
صغير قريب بدر والظاهر ان الناظم اعتمد فى هذا على ما هو
المشهور فى السنة العامة اذ لم يذكر فى القاموس غير حنين المذكور
فى الآية الذى هو عين بين مكة والطائف وظاهر قول الشارح
ان نسخة قبل اوضح لان تحننها بعد بدر انما هو لما ذكره الناظم مستندا
لكن لايكفى هذا مع كون القاموس الجامع المستوعب لم يذكر الاولا
من وحنت لتلك الناقة وما هى فيه الصفراء قرية معروفة منحرفة
عن طريق اهل مصر لايمرون عليها الا عند ذهابهم للزيارة ونضت
اى خلعت نوة اى خبتها المشهور واسناد ذلك اليه والى ما بعده
مجازى في رابغ فالجحفة محل بعيد رابغ كان بلدة مشهورة لليهود
فدعا صلى الله عليه وسلم ربه ان ينقل حمى المدينة اليها فكان لايمر بها
احد حتى الطائر الا حُمّ وهى ميقات الحجاج المتوجهين من هذه الطريق

كما صح به الخبر عنها اى عن تلك الناقة لما انها استبشرت بقطعها
لتلك الاماكن ما اى ثوب التعب الذى حاكه اى نسجه الانضاء
اى الهزال الشبه الهزال بحائك الثوب والثوب باثر الهزال من حيث
ان الهزال يوجب للبدن من التعب ما يغمه ويستر قوته كما يستر
الثوب البدن ثم خيل له باثبات ما هو من لوازم المشبه به وهو
الحياكة ورشح له بذكر الخلع فهى استعارة بالكناية تتبعها استعارة
تخييلية وترشيحية وارتقا اى ابصرت تلك الناقة الخلاص من التعب
بئر فاعل على وهى آخر الخبت الذى بعد رابغ الى مكة نعقاب السويق
بعدها بقليل فالخلصاء اى المحل المشهور الآن بخليص فيه عين
واسعة وبركة كبيرة فهى اى تلك الناقة من ماء بئر عسفان
المشهورة او من ماء عين بطن مر ظمآنة اى عطشانة خمصاء
اى جوعانة لان العادة ان الحجيج اذا وصلوا الى نحو عسفان اشتد
شوقهم فاشتغلوا عن سقى دوابهم واطعامها الى ان يدخلوا مكة
قربت الزاهر المشهور قبيل ذى طوى المساجد المعروفة بمساجد
عائشة بالتنعيم منها اى الناقة اى ان وصولها للمساجد جعل
الزاهر قريبا منها لان المسافة بينهما نحو ميلين بخطاها اى بسبب
شدة جريها لما احست بالوصول فالبطو الحاصل منها وحاء
بمهملة قبلها واو مفتوحة اى سرعة وكان مراده انها لما احست
بالوصول انقلب بطؤها سرعة بمعنى ان بطأها زال وخلفته
سرعة شديدة هذه المذكورات عدة غالب المنازل بين مصر
ومكة التى عليها المعول لانه بها تعلم طريق الوصول الى تلك المعالم
ويتضح سلوك الوافد وينشط بمبيانها القاصد لاما اى منازل
القمر الثمانية والعشرين التى عد فيه ذكره نظرا للفظها السماك
الاعزل الذى هو من منازل القمر ولهم سماك آخر يسمى الرامح لكنه ليس
من المنازل والعواء منزلة من منازله وهى خمسة انجم فلا يعتد
بهذه كالاعتداد بتلك فكانى بها اى على تلك الناقة اى بمحل من مكة
المعرفة لان الحج عرفة كما صح به الخبر ولانها باب الملك الذى يقف به

السائلون ويتنابه المحتاجون ثم الى مزدلفة للمبيت بها لانه نسك
واجب او مندوب او ركن كالوقوف اقوال الاصح منها عندنا الاول
ولان فيها مقام الجمع الاكثر ومن ثم سميت جمعا وفي حديث في سنده
ضعف انه صلى الله عليه وسلم دعا بعرفة ان يكفر عن امته بالحج
حتى التبعات فلم يستجب له فدعا بذلك في مزدلفة فاستجاب له
ثم الى منى للرمي والمبيت بها ثم الى بقية المشاعر التي حول مكة
وبها شمسا اي حال كون تلك الناقة كالشمس في ارتفاعها الرفعة
ما هي قاصدة وقوة سيرها لما عندها من عظيم الشوق فتشبيهها
بالشمس استعارة بالكناية واثبات الشمس لها تخييل وذكر
الرحيل والبيداء تجريد لملايمتهما للمشبه الذي هو الناقة سياق ها
اي تلك الناقة المشبهة بالشمس كما تقرر البيداء اي المفازة الوا سعة
تشبيه بليغ شبه الناقة بالشمس لما مر وشبه البيداء التي
هي محل سيرها بالسماء التي هي محل سير الشمس بجامع السعة ولما
ذكر مكة استطرد لذكر ما شرفها الله به على سائر البلاد فقال
موضع البيت اي الكعبة بالجر بدل من مكة بدل بعض من كل و
بالرفع خبر هي محذوفا وعليه فمعنى كونها موضعا انه في بعضها
وفيه اقتباس من قوله تعالى ان اول بيت الاية مهبط الوحي نعت
او بدل بعد بدل او معطوف بحذف العاطف على ما فيه من
الضعف والشذوذ وكذا يقال فيما بعده اي محل نزوله على
رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث عشرة سنة والوحي لغة الاشارة
وكل كلام خفي وشرعا ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم عن ربه على
لسان الملك او بالالهام او في النوم او الالقاء في الروع مأوى
من اوى فلان الى منزله الرسل الكرام بل وسائر الانبياء ومر
تعريف النبي والرسول اول الكتاب لانه ما من نبي الا حج البيت
كما في حديث واستثناء صالح وهود لاشتغالهما بامر قومهما لم يصح
حيث ظرف مكان فهو كالذي بعده بدل مما قبله الانوار الالهية
منيرة له ثم وقدرت هذا لان الاصح منع اضافة حيث الى المفرد

اي يزداد ايمانا على قلوب الطائفين والعاكفين والركع السجود
حيث البهاء اي الحسن المعنوي المكني به عن حصول ملايم النفس من
الحكم والمعارف المفاضة على اهل هذه الحضرة الالهية والمعاهد
الربانية حقق الله لنا ذلك فيها بمنه وكرمه آمين وراعى النظير
بذكر الوحي والرسل والانوار والبهاء وكذا الطواف وما بعده
فيما يأتي حيث فرض الطواف في حج او عمرة واما خارجهما فهو
حيث لم ينذر سنة مؤكدة ورد فيه فضائل جمة تحمل من احاط
بها على مزيد الاكثار منه بل قال بعض ائمتنا انه للغرباء افضل
من الصلوة لانه عبادة خاصة بهذا المحل لا توجد في غيره واختلفوا
في ايهما افضل اركان الحج هو او الوقوف بعرفة فقال جمع هو لانه
ملحق بالصلوة فيشترط فيه شروطها بخلاف الوقوف فانه امر
عادي لا يشترط فيه شيء ولذا لم يقبل الصرف وقال آخرون
بل الوقوف للحديث الصحيح الحج عرفة اي معظمه ذلك لان من
ادركها ادركه بخلاف الطواف وانه المتكفل بغفرة الذنوب
وقضاء المآرب كما في الاحاديث الصحيحة ولانه يشترط وقوعه
حال الاحرام المشعر بغاية الذل والافتقار بخلاف بقية الاركان
وهذا اصح كما حررناه في كتبنا الفقهية وحيث السعي اي فرضه
في احدهما ايضا بناء على انه ركن لا واجب كما هو مذهب الشافعي
رضي الله عنه وحيث الحلق او التقصير في احدهما اي فرضه بناء ايضاح
على الاصح عندنا انه ركن وحيث رمي الجمار اي ايجابه لا على
جهة الركنية وحيث الاهداء اي سوق الهدي الى مكة ثم ذبحه
بها وتفرقته على ثلاثة من مساكينها المقيمين والغرباء والاولون
اولى الا ان يكون الغرباء احوج والمراد بمكة كل الحرم وهذا محله
ان نذره ذلك لان المعروف من مذهبنا الذي هو مذهب الناظم
ان اصل الاهداء سنة ولو لغير الحاج ومن ثم كان صلى الله عليه وسلم
يرسله اليها من المدينة وهو مقيم بها لا واجب وهذه السنة كانت
في زمن السلف من مشاهير السنن ثم تناساها الناس واعرضوا عنها

بالكلية ويصح ان يريد بالاهداء كل دم وجب في النسك او توابعه
الحج بسببه كالحلق تعديا ام لا كالتمتع وموضع تفاصيل ذلك كله
كتب الفقه والمناسك وذكره الفرض في الطواف فقط موهم انه
فرض دائما فلا يتنفل به وان ما بعده ليس بفرض مع ان منه ما هو
ركن ولا يتصور ندبه ولا وجوبه في النسك وهو السعي والحلق
وما هو يجب تارة وهو ما حصل لترقرا وجناية ومندوب
اخرى وهو ما فعل تطوعا من غير سبب وكان الناظم وكل من هذا
التفصيل المشهور وانه ليس بصدد ذلك حبذا حبذا تاكيد لفظي
وهو شايع هنا ومن اول الكلام على حبذا بما ينبغي من جهته معاهد
جمع معهد وهو في الاصل المنزل الذي يعود اليه مفارقوه دائما
وهذه المواضع كذلك لان من فارقها فهو عائد اليها بالفعل
تارة والعزم اخرى منها اي مكة امتازت على بقيتها كالكعبة و
مسجدها ودار خديجة والصفا والمروة ومحل ولادته صلى الله عليه وسلم
وغير ذلك من المواضع المأثورة بها وبالحرم كمنى ومزدلفة بل وخارجه
كعرفة لم يبقين آياتها اي علاماتها الدالة على شرفها من تعظيم
الامة لها وازدحامهم على التبرك بزيارتها والقيام بحقوقها
البلاء بفتح الباء اي طول المدة الذي من شانه ان يغير الاشياء
عما هي عليه وذلك لان الله تعالى صانها من التغير لحرمتها الدي [?]
فضلها عنده وليستمر لهذه الامة التمتع بها الى آخر الدهر حرم
محرم بحرمة الله من يوم خلق السموات والارض كما في الحديث
الصحيح وحديث ان ابرهيم حرم مكة المراد به انه اظهر حرمتها
التي كانت خفيت على الناس فلا تعارض بين الحديثين وهذا
بدل من موضع البيت بدل كل من بعض على حد جنات عدن في مريم
بناء على اثبات ذلك البدل كما هو راي قوم قالوا به ولم ينظروا
لانكار الجمهور له ولا لمن منع الاستدلال بالآية نظرا الى ان ال
في الجنة للجنس فيصدق بالجمع ايضا فلا بعض محقق يبدل منه
الكل او للعهد الخارجي لانه لا خارج حتى يكون معهودا او الذهني

لان مدخول اللام حينئذ بمنزلة النكرة وهي موضوعة للفرد وكان
وجه عدم نظر مثبت ذلك البدل لما ذكر من وجوه المنع انه نظر
الى ان جنة عدن علم على الجنان الثمانية الموجودة الآن والجنة
حيث اطلقت انما تتبادر لواحدة من تلك الثمانية فصح ادعاء انه
بدل بعض من كل بهذا الاعتبار واما تجويز انه بدل كل من كل نظرا
الى ان جنة عدن علم كما تقرر وموضوعه شخصي فيكون ابدال
علم من نكرة وذلك اقرب الى كونه بدل كل من كل فقد يجاب عنه بان
هذا المدلول الشخصي اكثر في الخارج من مدلول النكرة الذي هو
الفرد المنتشر وذلك اقرب الى كونه بدل كل من بعض منه الى كونه
بدل كل من كل وبهذا الذي قررته مما يكفي مثله في اثبات ذلك
الراي المخالف لراي الجمهور يندفع ما اطال به السيد من التشنيع على
من اثبته كيف وقائله لا يبعد توجيه كلامه بنحو ما ذكرته وكل ما
قرب ماخذه بل او احتمل لا تشنيع على قائله ويجوز فيه العطف نظير
ما مر وانه خبر مبتدا محذوف وحدوده معروفة في كتب الائمة
وعند اهل تلك الاماكن من اكثر نواحيه آمن اي يأمن من فيه من
شن الغارات واستباحة الحرمات بل كان الانسان يرى قاتل
ابيه فيه فلا يتعرض له ولما دخله الطوفان لم تعد ذاته على دابة
وكان رجل من قوم ابرهة فيه فلم يصبه من رمي الابابيل شيء حتى
خرج منه هذا في الجاهلية واما بعد بعثته صلى الله عليه وسلم
فالمراد من صيوده وشجره ونباته وكذا لقطته وتبرعه عن ان يتعرض
احد اليها بقتل او قلع او قطع او تملك او نقل الا ما استثني وهذا
مقتبس من قوله تعالى حرما آمنا وفيه كبيت حرام الآتي نوع تلميح
تلميح وبيت حرام اي ذو حرمة باهرة وعزة قاهرة وهذا اقتباس من قوله
جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس ومقام بفتح الميم هو
مقتبس من قوله تعالى فيه آيات بينات مقام ابرهيم وهو الحجر الذي
نزل لابرهيم الخليل صلى الله على نبينا محمد وعليه وعلى سائر الانبياء
والمرسلين وسلم من الجنة كما صح به الحديث ليقوم عليه عند بنائه الكعبة

اذا طال البناء فكان يعلو به الى ان يضع الحجر فى محله ثم يقصر به الى ان يتناول الحجر من اسمعيل صلى الله عليه وسلم وفيه اثر قدميه الكريمتين وهو الذى نادى عليه لما فرغ من بناء الكعبة ايها الناس ان الله بنى لكم بيتا فحجوا اليه فسمعه من النطف فى الاصلاب و الاجنة فى الارحام فاجابوه بلبيك وفى رواية انه نادى بذلك على الحجون ولا تنافى لاحتمال انه نادى مرتين قال الائمة وبقاؤه من غير ان يتعرض له احد فى الجاهلية ومع كثرة السيول التى كانت تدخل الحرم وتخرج ما هو اكبر منه باضعاف مضاعفة من ايات الله الباهرة واختلفوا فى موضعه الموجود فيه اليوم هل هو الذى كان به فى زمن النبى صلى الله عليه وسلم اولا وانما كان عند باب الكعبة فرده عمر رضى الله عنه الى موضعه اليوم اجتهادا منه قولان اصحهما الاول ومن الغرايب ما قيل المراد الحجر الذى وضع الخليل عليه رجليه لما جاء بعد موت هاجر ليزور اسمعيل فرآه غائبا فسأل زوجته فشكت فقال مريه وجك يغير عتبة بابه فجاء فاخبرته فطلقها ثم جاء وقد تزوج اخرى فوجده غائبا فسألها عن حالهم فاثنت ثم امرته بالنزول لتطعمه فابى فوضعت له حجرا ليغتسل عليه فوضع قدمه عليه واما الهار رأسه فغاصت قدمه فيه ثم حولته فغاصت الاخرى فيه ثم قال لها مريه وجك فليلزم عتبة بابه **فيه** اى البيت والحرم ولا يصح عوده للمقام نظير ومن دخله كان آمنا **المقام** بضم الميم وجوز بعضهم فتحها اى الاقامة **تلاء** بفتح الفوقية اى حيا لمحل تنزل الرحمات واقالة العثرات وكانه اخذ هذا من ان اهل مكة يسمون جيران الله اى بيته وحرمه والعجب من الشارح حيث لم يبين معنى هذه اللفظة مع خفائها واشتراكها بين معان كما فى القاموس لا يناسب منها هنا الا هذا وبين حرم وحرام جناس الاشتقاق كهو وشبهه بين مقام والمقام وما يأتى من قضينا والقضا وربنا ورماء وينشر ونشر وشمت وشمت وقباب وقباء ورحضتها

والرحضاء وحططنا ويحط وقرأنا والاقراء وسمحنا ويسمح وذهلنا واذهل **فقضينا** اى ادينا اذ القضاء يطلق على الاداء [لغة مع] كما فى قضيت الدين **بها** اى بمكة وما ينسب اليها كعرفة ومزدلفة ومنى **مناسك** جمع منسك من النسك وهو العبادة اى اركان الحج والعمرة وواجباتها وسننها **لا يحمد الا فى فعلهن القضاء** اى لا يحمد الاداء حمدا مخصوصا فى فعل عبادة الا فى فعلهن كيف وقد تميز من بين الحج المتكفل بالجنة من غير عمل اخر وخروج [عله] فاعله من الذنوب كيوم ولدته امه وبكونه اشعث اغبر وبمنعه من ما لوفاته الحسية والمعنوية وبفراقه لاهله ووطنه وبكثير تبعاته على ما فيه من الخلاف وبكونه لا يضع قدما او يرفعها الا كتب له من الثواب ما لا يحيط به الا المتفضل به وبقولى مخصوصا يندفع ما يورد على النظم ان غير الحج الافضل منه والمساوى له والمفضول عنه يحمد فاعله ايضا تنبيه بما قررت به قوله فقضينا والقضاء يندفع ما للشارح هنا ومن جملته قوله لا يفسر القضاء اخر البيت بالفعل ويتعين انه الفراغ او ضد الاداء ففسر القضاء بما ليس معناه لغة ولا شرعا وبما لا يتصور فى الحج وهو قوله او ضد الاداء على ان استعمال القضاء بمعنى الاداء اشهر من الشمس لغة وشرعا وقد حقق بعض المتأخرين ان القضاء لا يتصور فى الحج لانه ما فعل خارج وقته والحج وقته العمر وتضييقه نحو عضب ومال او فوت [بخوف مع] لا يقتضى انه لو بان الامر على خلاف ظنه يكون قضاء فيما بعد ذلك الوقت الا على الوجه الضعيف فى نظيره فى صلوة يضيق عليه فعلها فى الوقت ثم بان خلاف ما ظنه انها تصير قضاء وان فعلت فى الوقت وليس كذلك بل المعتمد خلافا لكثيرين انها اداء كما اتفق عليه الاصوليون ان القضاء ما يفعل خارج الوقت المقدر [من تقديم مع] له شرعا تنبيه ثان لا يتوهم ان ما وقع فى النظم المستثنى المختلف فيه لان محل ما قاله الجمهور من منع تقديمه انما هو اذا كان

اولا الكلام نحو الا زيدا قائم القوم وجوزه الكوفيون فان تقدم
على المستثنى منه وعامله فقط ففيه مذاهب والذي عليه الاخفش
وصححه ابو حيان جوازه ان كان العامل متصرفا فقط نحو الا اكل
شيء ما خلا الله باطل فالاستثناء من ضمير باطل العامل في ذلك
الضمير وما هنا لا تقدم فيه على مستثنى منه لانه مقدم كما قدم
ولا على عامله وانما على اذا لم يكن الا النبيون شافع وحكى سيبويه
مالي الا ابوك احد قال فيجعلون احدا بدلا وابوك مبدل منه
قال ابن عصفور ولا يقاس على هذه اللغة وقد قاس الكوفيون
والبغداديون وابن مالك وعليه فلا اعتراض على المتن ورمينا
بها اي الناقة الفجاج جمع فج وهو الطريق اي القيناها فيها
لتسير بنا الى طيبة وهي المدينة على مشرفها افضل الصلاة والسلام
سميت بذلك لان الله تعالى طيبها لرسوله فجعلها دار هجرته ومحل
نصرته وموضع تربته ولها اسماء كثيرة جدا والسير بالمطايا جمع
مطية وهي الدابة تمطو اي تجد في سيرها رماء مصدر راميته
اي تشبه سير السهم اذا رمي به فبسبب ان سيرها يشبه سير السهم
اشبهت القوس وحينئذ اصبنا عن قوسها غرض القرب اي المدينة
المشبهة بالغرض في كونه المقصود بالرمي والسير فتشبيه الناقة
بالسهم استعارة بالكناية واثبات الرمي استعارة تخييلية
وذكر الغرض والقوس ترشيح يصح كونها شبهت بالقوس
فهي استعارة بالكناية ايضا واثبات القوس لها تخييل وذكر
السهم والاصابة والغرض ترشيح ونعم الخبيثة اي الذخيرة الناقة
الكوماء هي المخصوص بالمدح وهو خبر مبتدأ محذوف او عكسه
فقول الشارح انه صفة للخبيثة ليس في محله وهي اعني الكوماء
العظيمة السنام فرأينا اي ابصرنا المدينة وما حواليها التي
شرفها الله تعالى بان جعلها ارض الحبيب اي حبيب رب العالمين
فتميز صلى الله عليه وسلم بمقام المحبة الكاملة تتمة على الخلة
وزيادة اي ارض المدينة وما حواليها يغض اي يخفض الطرف

مفعول منها اي من اجل الجلالة التي حفتها الضياء المشرق عليها
حسا ومعنى واللألاء اي البرق اللامع على صفحاتها المشار به
الى مواهب الحق المفاضة على الزائرين وفي الضياء واللألاء مراعاة
النظير فكان بالتشديد وقد تخفف كأن لم يدعنا الى ضرهم تنبيه
للتشبيه المؤكد لان الاكثر انه مركب من كاف التشبيه وان المؤكدة
فالاصل في نحو كأن زيدا اسد انه كاسد قدم حرف التشبيه اهتماما
به ففتحت ان لدخول الجار عليه قال بعضهم وانما تستعمل حيث
يقوى الشبه حتى يكاد الرائي يشك في ان المشبه هو المشبه به
او غيره ولذلك قالت بلقيس كأنه هو وقيل وترد للظن والشك
فيما اذا كان خبرها غير جامد البيداء من تلك الارض وهي
اسم لمحل قريب من ذي الحليفة المشهور اليوم بابيار علي من للتعليل
او ابتداء الغاية فكل منهما اخفى فالاحسن انها زائدة على مذهب
الاخفش وجماعة حيثما ما زائدة قابلت العين الناظرة اليها
روضة غناء اي كثيرة العشب والنبات والازهار والثمار
وكان البقاع اي الاماكن التي حول المدينة المنورة لكثرة ما
يغشاها من الانوار والاضواء المنزلة على ضريحه المكرم صلى
الله عليه وسلم زررت عليها اي البقاع طرفيها عائد لقوله ملاءة
بضم اوله وهي ثوب عريض او ثوبان ملفوفان كذا قيل وعبارة
شرح الشمائل الترمذي الملاءة بالضم والمد وهي كما في القاموس
كل ثوب لم يضم بعضه الى بعض بخيط بل كله نسج واحد وفي النهاية
هي الازار وفي الصحاح هي الملحفة ولا تنافي لصدقها على التعريف
الاول بكل من هذين انتهت وبها يعلم ان الثوبين الملفوفين ملاءتان
لا ملاءة واحدة حمراء شبه تلك الانوار والاضواء التي غشيت
تلك البقاع وعمتها من سائر جوانبها وكان الارجاء اي نواحي المدينة
الغراء ينشر اي يذيع نشرا اي ريح المسك فيها اي تلك الارجاء الجنوب
وهي الريح التي تقابل الشمال والجربياء بكسر الجيم ككيمياء وهي كما
في القاموس الشمال او بردها او الريح بين الجنوب والصبا وهي

بحبة حمراء شدت على ما فيها ازارها
في عراها من سائر جوانبها صح

التى تثير السحاب وهى المرادة هنا فاذا شمت بكسر الشين المعجمة
اى نظرت الى سحائب البرق اين تمطر فى تلك البقاع او شمت فى لغة
بالكسر اشمه بالفتح وشمته اشمه بالضم رباها جمع ربوة بتثليث
الراء وهى ما ارتفع من الارض لاح اى ظهر وهو راجع لشمت منها
اى تلك البقاع برق راجع للاول وفاح راجع لشمت ففيه
لف ونشر مرتب كباء بوزن كساء عود البخور او ضرب منه اى ريحه
من كبى بالتشديد ثوبه اى بخره وبين لاح وفاح جناس مضارع
اى نور اى نور زاهر واى نور بفتح اوله اى زهر نضير وبينهما
الجناس المحرف ومنه حديث اللهم كما حسنت خلقى فحسن خلقى شهدنا
اى رأيناهما بابصارنا وبصائرنا يوم ظرف لشهدنا ابدت لنا القباب
التى هنالك قباء محل مشهور بينه وبين المدينة نحو ثلاثة اميال
قر منها دمعى اى كثر وانهمل من اجل ما شهدته تحسرا على ما مضى
لى من فراق او فرحا بوصولى اليه او خوفا من التقصير بعدم رعاية
الادب فى تلك الحضرة الجليلة وفر اى ذهب اصطبارى لا سيما بعد
ان وصلت الى هذه الربا والخت رحلى بقباء وبين قر وفر الجناس
المصحف فدموعى سيل عظيم وصبرى جفاء بضم الجيم اى زبد
فكما ان السيل يذهب بذلك الزبد فى اسرع وقت فكذلك دموعى
تذهب بصبرى فلا يبقى عندى منه شئ وهذا من جناس التذييل
كقوله الآتى وكم اذهل صبا الخ وفيه لف ونشر مرتب فبسبب
ما ذكر ان ما شوهد يوجب كثرة الدمع وفناء الصبر ترى ايها المخاطب
الركب طائرين اى جارين فى السير حاثين لدوابهم ليستخرجوا
منها اقصى ما يمكنها من الاسراع من اجل الشوق الى طيبة فكيف
بمشرفها عليه الصلاة والسلام لهم ضوضاء اى اصوات عالية بالصلاة والسلام
صلى الله عليه وسلم وعبارة القاموس الضوضا مقصورة الجلبة
واصوات الناس ولغة فى المهموزة انتهت وبها يعلم رد ما قاله الشارح
فكانت النوار ما مست الباساء اى شدة السفر ومشقته منهم
خلقا ولا الضراء تاكيد لما قبله وكيف يتهم شئ من ذلك وكل

نفس منها ابتهال اى تضرع الى الله فى ان يقيل عثارها ويقبل
آثارها وسؤل اى توسل الى الله باحب خلقه اليه ودعاء اطنابا
ورغبة فى ما عند الله تعالى من جزيل الثواب وابتغاء اى طلب لما
عند الله تعالى وزفير اى تواتر النفس وصعوده لشدة ما يعترى
القلب من خشية المؤاخذة بما فرط منه وتفسير الشارح له تارة
باغتراق النفس للشدة وتارة بحبسه فيه قصور عن ذكر تمامه
الذى لا بد منه فى حده تظن ايها المخاطب منه اى من اجل كثرة
ذلك الزفير وشدته بحيث يسمع له صوت فى الصدور ومن ثم
جاء ان صدره صلى الله عليه وسلم لشدة ما عنده من الخوف كان
يسمع له ازيز كازيز المرجل صدورا مفعوله الاول طيورا
صادحات اى مصوتات يعتادهن زقاء بالزاى والقاف
اى صوت عال والحاصل ان ذلك الزفير من شدته ظهر له فى صدورهم
صوت اشبه صوت الطيور الصادحات التى يعتادهن التصويت
بشدة وعلو صوت وبكاء يغرى بالعين اى يحمله على ملازمتها
مدا اى سيل من الدموع نشأ عن حرقة القلب لفراق المحبوب او خشية
قطيعته او عن فرحه بلقيا الحبيب والمثول فى حضرته ونحيب وهو
رفع الصوت بالبكاء يحثه اى يحضه ويزيد فيه استعلاء اى علو الصوت
بشدة وتتابعه بالبكاء وجسوم كانما رحضتها اى غسلتها ولذا سمى
المغتسل مرحاضا من عظيم المهابة اى الجلالة التى استولت على قلوبهم
لما ان اناخوا رحالهم بتلك الحضرة الجليلة الرحضاء اى العرق الكثير من اثر
الحمى اى جسوم قام بها من عظيم المهابة ما ازعجها ازعاجا تولد عنه
كثرة عرقها حتى كانها غسلها ووجوه تتلون بالالوان المختلفة لشدة
ما عندهم من القلق والخوف والحياء منه صلى الله عليه وسلم عند القدوم
عليه بوصف التقصير وعدم كمال الاتباع له حتى كانما البستها من
اجل حياء بالمد ومن تفسيره وانه غريزى باعتبار اصله ومكتسب
باعتبار كماله الوانها الحرباء دويبة مشهورة ذات الوان متعددة
تستقبل الشمس برأسها ودموع من شدة البكاء والحزن على عدم

القيام بواجب تلك الحضرة ومشرفها عليه افضل الصلاة والسلام
كانما ارسلتها من جفوني سحابة وطفاء اى مسترخية الجوانب لكثرة
مايشابهه ماعندي من الحزن الباعث له على غزارة الدمع وكثرة
تتابعه بسحابة مملوءة ماء ثم جرد بتلك الجفون ورشح بذكر الوطف
وخيل باثبات السحابة للمشبه ففيه اربع استعارات وفي قوله
كل نفس الى هنا مراعاة النظير والانسجام البديع الذي هو سهولة
الالفاظ وعذوبتها بحيث شابهت الماء العذب الذي من شانه الانسجام
والسيلان والرقة والحلاوة ما لا يخفى على ذوي ذوق عظيم بلاغته
وهو له كثير من هذا النوع فبعدان وصلنا الى ذلك القبر المكرم على ما
نبا عما مر شرحه بقوله كل نفس الى هنا حططنا الرحال بفناء كرمه
صلى الله عليه وسلم نستمطر سحايب القبول والانعام ونستقيل عثرات
التقصير والاثام ولو انهم اذ ظلموا انفسهم جاؤك فاستغفروا
الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما حيث اى في مكان
يحط الوزر اى الاثم والثقل عنا فيه بشفاعة مشرفه عليه افضل
الصلاة والسلام وترفع عنا بلحظه واسعافه وامداده الحوجاء
اى الحاجة بغني النفوس وطلوع البدور وشروق الشموس حتى
نصل الى العيان ونستغني عن الاستدلال والبرهان وبين
الحط والرفع طباق وقرانا السلام اكرم اى على اكرم خلق الله
وافضلهم كما مر تادلته مستوفاة اول هذا الشرح واقتدينا لنا ظلم
في هذا بالسلف فانه جاء السلام عليه صلى الله عليه وسلم عند قبره
عن ابن عمر وغيره من السلف بل قال المجد اللغوي ان السلام عليه
صلى الله عليه وسلم عند قبره افضل من الصلاة عليه عنده اى للاخبار والسلام
الكثيرة فيه كخبر ما من احد يسلم علي عند قبري الا رد الله علي روحي
حتى ارد عليه السلام ويعارضه الحديث الصحيح انه تعالى
يصلي هو وملائكته على المصلي في الصلاة الواحدة عشرا وفي رواية
مائة وصلاة الله افضل من رده صلى الله عليه وسلم وان كان
رده دعاء لا يرد على انه صلى الله عليه وسلم يرد الصلاة عليه

كالسلام فالاولى ان توجه افضلية السلام بانه شعار اللقاء
والتحية فحينئذ تختص افضليته بحالة اللقاء عند كل زيارة
اما اذا سلم سلام اللقاء فالصلاة بعده اولى من استمرار السلام
وان كان باقيا في مقام الزيارة ويدل لذلك صنيع العلماء
فانهم لما ذكروا ان الزائر يبدا بالسلام ذكروا انه يختم بالصلاة
عليه صلى الله عليه وسلم من حيث اى من مكان وقوفنا بتلك الحضرة
الذي يسمع الاقراء للسلام منه وفيه رد العجز على الصدر وا تا
ما اقتضاه كلامه من ان زائره صلى الله عليه وسلم اذا صلى او سلم
عليه عند قبره يسمعه سماعا حقيقيا ويرد عليه من غير واسطة
وان من صلى او سلم عليه من بعيد لا يسمعه الا بواسطة فذلك
عليه احاديث كثيرة ذكرتها في كتابي الدر المنضود في الصلاة
والسلام على صاحب المقام المحمود وذكرت منها جملة في الجوهر
المنظم في زيارة القبر المكرم منها ما جاء عنه صلى الله عليه وسلم
بسند جيد وان قيل انه غريب من صلى علي عند قبري سمعته
ومن صلى علي من بعيد اعلمته وصح وان نوزع فيه ما من احد
يسلم علي الا رد الله علي روحي حتى ارد عليه السلام وصح من غير
نزاع فيه معتد به من افضل ايامكم يوم الجمعة فيه خلق
آدم وفيه قبض وفيه النفخة وفيه الصعقة فاكثروا علي
من الصلاة فيه فان صلاتكم معروضة علي قالوا يا رسول الله
وكيف تعرض صلاتنا عليك وقد ارمت اى يقولون ارمت اى بليت
قال ان الله عز وجل حرم على الارض ان تاكل اجساد الانبياء وفي
رواية زيادة ان نبي الله حي يرزق وبقيت احاديث اخر متعارضة
جمعت بينها في الكتاب السابق بانه صلى الله عليه وسلم يبلغ الصلاة
والسلام اذا صدرا من بعيد ويسمعهما اذا كانا عند قبره
الشريف ومع سماعه لهما يبلغهما ايضا زيادة في اكرام الزائر و
الاعتناء بشانه والاستمرار له بذلك سواء ليلة الجمعة وغيرها
واما ورده فهو عام لمن عند قبره ولغيره لانه صح ان من سلم على قبر

لخيه المؤمن سمعه ورد عليه فلو اختص رده صلى الله عليه وسلم
بزائره لم يكن له خصوصية بذلك وكفى الزائر تميزا انه صلى الله
عليه وسلم يسمع صوته من غير واسطة وكفى المصلي والمسلم عليه
من بعيد وقريب رده صلى الله عليه وسلم ومعنى رد روحه صلى
الله عليه وسلم السابق رد نطقه لا انها ترجع على الدوام فروحه
لم تفارقه ابدا وصح الانبياء احياء في قبورهم يصلون والاحا ديث
في ذلك كثيرة جمعها الامام البيهقي في جزء واستدل بها على
دوام حياة الانبياء حياة مخصوصة اعلى واتم من حياة الشهداء
المنصوص عليها في القرآن وذهلنا اي غبنا عن احساسنا او
عما نحن بصدده عند اللقاء لما استولى علينا من سبحات ذلك
الجلال ونسمات ذلك الجمال ولا بدع في هذا الذهول اذ كم اذهل صبا
اي شديد الصبابة التي هي رقة الشوق وغلبة استيلائه من
الحبيب اي المحبوب وهو متعلق بقوله لقاء لان من شان ان تزيد هل
الصب ويخرس المحب ويغيبهما عما عدا المحبوب والاستلذاذ
بشهوده وانسه ووجمنا بفتح الجيم اي سكتنا عن الكلام عند
اللقاء وبعده مادمنا في تلك الحضرة العلية فلم يبق فينا متسع له
من اجل المهابة اي الاجلال والمخافة حتى اجتمع علينا امران لا يوجد
اجتماعهما الا في نحو هذا المقام وهما لا كلام منا بما نريده ولا ايماء
منا بوجه الى ما نطلبه وذلك حال من بهره الجلال واستولت عليه خوارق
الاحوال ⁂ وكم رمت بث الشوق عند لقائه ⁂ فلما التقينا ما نطقت ولا حرفا
ورجعنا الى بلادنا وللقلوب التفاتات كثيرة جدا برعاية المقام
اليه اي نبينا صلى الله عليه وسلم بمعنى انها مستحضرة للمثول بين يديه
صلى الله عليه وسلم والاستمداد منه مع ادامة الصلاة والسلام عليه
صلى الله عليه وسلم وللجسوم جمع جسم وجسم الشيء جرمه الناتي من الا رض
انثناء اي انعطاف الى البقاء في حضرته ابدا ان تيسر والا فالى تكرر زيا رته
وسمعنا اي جدنا بما نحب دوامه وعدم مفارقته ولكن ضرورتنا
الى العود لديارنا لاجل القيام بما فيها يخفف الملام علينا اذ الضرو رات

تبيح المحظورات فاتنا وان كنا بخلاء بهذا الفراق لنا اسوة بالبخلاء
في ذلك وقد وقع يقينا انه يسمح عند الضرورة التي لا يستطاع
معها الترك البخلاء بالاموال وغيرها وبين السماح والبخل الطباق
ولما تم نقصد زيارته المتكفلة بكل خير شرع يناديه صلى الله
عليه وسلم بكنيته المختصة به والمناسبة لطلبه من انه يخصه
بتلك القسمة التي لولاها الحق له ويقسم عليه باقسام كثيرة كلها بمعنى
ما هو بصدده من مدحه والثناء عليه استعظاما له لينظر اليه
بما يفوز به في الدنيا والآخرة ويأمن به من كل محنة باطنة او
ظاهرة ومن ثم خص جواب اقسامه بقوله الآتي الامان الامان لخ
فقال يا ابا القاسم هذه كنيته صلى الله عليه وسلم التي اختص بها
فلا يجوز لاحد التكني بها مطلقا على الاصح عندنا سواء في زمنه
وبعده لمن اسمه محمد وغيره لقوله صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح
تسموا باسمي ولا تكنوا بكنيتي والعبرة كما تقرر في الاصول
بعموم اللفظ لا بخصوص السبب كما هنا فان سبب النهي ان اليهود
كانوا ينادون بذلك فيلتفت صلى الله عليه وسلم فيقولون لم لا
نعنيك فنهى الناس عن التكني بذلك ومن هذا اخذ بعض ائمتنا ان
المنع خاص بزمن حياته وبعضهم انه خاص بمن اسمه محمد وتكنية
علي كرم الله وجهه ولده محمد بن الحنفية رضي الله عنه بذلك باذن
منه صلى الله عليه وسلم ان صح خصوصية له وتكنية غيره بذلك
اجتهاد منه ووجه مناسبة اختصاص تلك الكنية به صلى الله عليه
وسلم الاعلام بانه صلى الله عليه وسلم هو الخليفة الاعظم عن الله
في جميع شؤونه لا سيما مقام قسمة الارزاق والعلوم والمعا رف
والطاعات ومن ثم قال صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح ايضا
انما انا قاسم والله يعطي ولاجل هذا عد من خصائصه صلى الله عليه وسلم
انه اعطي مفاتيح الخزائن قال بعض العلماء وهي خزائن اجناس العا لم
ليخرج لهم بقدر ما يطلبون فكل ما ظهر في هذا العالم فانما يعطيه
محمد صلى الله عليه وسلم الذي بيده المفاتيح وكما اختص تعالى بمفاتح

الغيب الكلي فلا يعلمها الا هو كذلك اختص صلى الله عليه وسلم باعطائه
مفاتيح الخزائن الالهية فلا يخرج منها شيء الا على يديه وقيل
لذا كنى بذلك لانه كان له ولد من خديجة رضي الله عنها يسمى القاسم
الذي ضمن من تضمن كذا اشتمل عليه اقسامي عليه بكسر الهمزة
بالاقسام الكثيرة الآتية في نيل مطلوبي منه مدح فرقوا بينه وبين
الحمد بامور احدها ان الحمد على الجميل الاختياري والمدح على ما
لا اختيار للعبد فيه كالحسن ثانيها وثالثها ان الحمد انما يكون عن
علم وبصفة كمال والمدح يكون عن ظن وبصفة مستحسنة وان
كان فيها نقص ما رابعها ان في الحمد من التعظيم والفخامة ما ليس
في المدح والحمد اختص بالعقلاء والعظماء واكثر اطلاقا على الله
وقول الكشاف انهما اخوان اي متشابهان لا مترادفان قاله
الطيبي وقال السيد بل مترادفان واستدل بكلام الفائق وانتصر
بعض المحققين للاول بما ليس هذا محل بسطه واكثر العلماء
على ان الحمد يختص بالاختياري والمدح اعم له وثناء هو على
القول الاخير مرادف للمدح لانه لا يكون الا في الخير الاختياري
وغيره والمدح على ذلك القول كذلك وبه لما تقرر ان عليه
اكثر العلماء يندفع قول الشارح هذا من مراعاة النظير وعلى
ما قبل الاخير يكون فيه مراعاة النظير في الجملة وعليه يحمل كلام
الشارح اما الحمد والمدح ففيهما تقابل او مراعاة النظير او ترادف
بالعلوم اي اقسم عليك بها التشفعني لي بما يؤمنني من كل مكروه بان يعطيني
الله الامان منه وكذا يقال في الاقسام الآتية فالمراد بها هنا الشفاعة
والاستعطاف لايجاب سؤاله وعزم ثم قال اصحابنا في اقسم او اقسمت عليك
لتفعلن كذا انه لا يكون يمينا الا ان نواه وجعلها اولا الاقسام لان
مرتبة العلم لا اعلى منها بل ولا مساوي لها ومن ثم لم يؤمر صلى الله عليه وسلم
بالسؤال الزيادة مما هو عليه الا للعلم وقل رب زدني علما وهو صفة تتجلى
بها المذكور لمن قامت به تجليا يمتنع معه احتمال النقيض التي نزلت عليك
من الله حال كونها بلا كاتب من الكتب وهو الجمع وانما الموصل لها

اليك املاء اي اقراء من جبريل وهذا الذي قررته في اعراب هذا
البيت اولى مما سلكه الشارح فتأمله وبين القاسم والاقسام
جناس مطلق والكتابة والاملاء طباق واقسم عليك بها اوتيته
ايضا من مسير الصبا وهي الريح التي مهبها مطلع الشمس عند
استواء الليل والنهار ويطلق على ما يهب من بين هذا المطلع الى
قريب سهيل ويساره الى قريب القطب الشمالي ولهذا الريح اثر
بين في نصرته صلى الله عليه وسلم في وقعة الخندق المسماة بالاحزاب
كما مر بنصرك اي بسببه وهو الرعب الذي قطع قلوب اعدائه
واخمد شوكتهم وبدد جموعهم شهرا مقتبس من قوله صلى الله عليه وسلم
نصرت بالصبا واهلكت عاد بالدبور مع قوله اعطيت خمسا
لم يعطهن احد من الانبياء قبلي نصرت بالرعب مسيرة شهر
الحديث ومنه ما يعلم ان الصبا كانت تسير بسبب نصره وهو الرعب
اي الخوف منه المزعج لاعدائه مسافة شهر من سائر نواحي المدينة
فلم يرفع احد منهم رأسا الا اختطفته لوامع سيوف نصره و
نواصف اسنة قهره والتحديد بالشهر اشارة الى ان ما يستولي
عليه لا ينتهي مسافته في حياته على شهر فلا ينافي ان ملك امته زيد
على ذلك بكثير ولحترز عن غيره من الانبياء فان رعبهم ان
وجد لا يصل لهذه المسافة وفي رواية ونصرت على العدو
بالرعب ولو كان بيني وبينهم مسيرة شهر قال بعضهم في الظاهر
اختصاصه به مطلقا وانما جعل الغاية شهرا لانه لم يكن بين
بلده صلى الله عليه وسلم وبين احد من اعدائه اكثر من شهر وهذه
الخصوصية حاصلة له على الاطلاق حتى لو كان وحده بغير عسكره
وهل هي حاصلة لامته من بعده فيه احتمالات اظهرها كما تقضي
به المشاهدة انهم رزقوا من ذلك حظا وافرا فكانت الصبا لديك
رخاء هي الريح اللينة المسخرة لسليمان صلى الله عليه وسلم غدوها
شهر ورواحها شهر لكن معجزة نبينا صلى الله عليه وسلم اظهر واعظم
لان تلك سخرت لذات سيدنا سليمان وهذه سخرت لصفة

من صفات نبينا صلى الله عليه وسلم وهى هيبته وايضا تلك انما كانت تسير
بعدا من سليمان لها وهذه تسير بامر بقيامه من غير توسط امر من نبينا
صلى الله عليه وسلم فهو من تشبيه الاعلى بالعلى نظير كما صليت على
ابرهيم فى صلاة التشهد على احد الاجوبة فيه وفى ذكر الرخا بعد
الصبا مراعاة النظير **و**اقسم عليك ايضا بمعجزتك العظمى مع
على كرم الله وجهه فى غزوة خيبر **لما** سرت اليهما ودفعت الراية
وكانت بيضاء لعلى ففتح بعض حصونها وارسلت ابا بكر رضى الله عنه
لحصن آخر فقلت لاعطين الراية غدًا رجلا يحب الله ورسوله
يفتح الله على يديه فتشوق كل احد لذلك فسألت عن على فقيل
به رمد فدعوت عليا فجاء وانسان يقوده من شدة الرمد
فحينئذ **تفلت بعينيه وكلتاهما معًا** حال مؤكدة **رمداء** ثم
قلت له خذ هذه الراية وامض بها حتى يفتح الله عليك فبرأ تا
لما خالطهما ريقك الذى هو الشفاء الاكبر **فغدا** اى ذهب
بتلك الراية يُضرب بعينيه المثل لحدة الابصار كما يُضرب
ببصر العُقاب الذى هو سيد الطيور كما فى الكامل ومن ثم قال
ناظرا بعينى عُقاب ومن امثال العرب أبصر من عُقاب ولما
غدا وهو كما ذكر هرول حتى ركز رايته فى رضم من حجارة
تحت الحصن وقال له يهودى من باب الحصن من انت قال
على بن ابى طالب فقال اليهودى علوتم وحق ما انزل على موسى
ابن عمران فما رجع حتى فتح الله على يديه وعند قتاله ضربه
اليهودى فطرح ترسه من يده فاخذ بابا من بابه واستتر به
يقاتل حتى فتح الله عليه ومن كبر ذلك الباب ان ثمانية ارادوا
ان يقلبوه فلم يستطيعوا وحمل ايضا باب الحصن على ظهره
حتى صعد المسلمون عليه ففتحوها فجرّوه بعد ذلك فلم يحمله الا
اربعون رجلا هذا **فى غزاة** معهودة من اعظم الغزوات واجل
الفتوحات وهى غزوة خيبر كانت مدينة كبيرة ذات حصون
ومزارع على ثمانية برد من المدينة الى جهة الشام وكانت سنة سبع

لها العقاب لواء اراد باللواء الراية وهى العلم الضخم لان الذى
كان يومئذ راية لا لواء ولم يعرف صلى الله عليه وسلم الرايات الا
بخيبر وقبلها كانت الالوية فقط نعم قال عياض فى مشارق اللواء
الراية وعليه فلا تجوز فى النظم وتلك الراية كانت تسمى العقاب لانها
سوداء كلون العقاب وكانت من برد عائشة رضى الله عنها ذكر ذلك
كله اهل السير وغيرهم كالحافظ الدمياطى وغيره وبين عقاب و
العقاب الجناس التام واما قول الشارح ان التى تسمى العقاب
بيضاء وانما التى اعطاها لعلى فهو مخالف لما رايته من كلام اهل
السير على انه ناقض ذلك حيث قال وقوله لها العقاب لواء يحتمل
ان العقبان كانت تحوم على لحوم القتلى كانها رايات ترفرف انتهى
وهذا احتمال لا يقوله الا من لم يطلع على ما سبق ان راية صلى
الله عليه وسلم يومئذ سوداء تسمى العقاب ثم يحتمل ان هذه هى
التى اعطاها لعلى ويحتمل انه اعطاه غيرها كما اعطى شيئين رايتين
غير راية على كرم الله وجهه ونقل بعض اهل السير عن ابن عباس
رضى الله عنهما ان عليا هو الذى كان معه لواء النبى صلى الله عليه وسلم
فى كل زحف وعن سعيد بن المسيب ان راية النبى صلى الله عليه وسلم
يوم أُحد من مرط اسود وراية الانصار يقال لها العقاب وفى هذا
تنظير لما مر ان الرايات لم تعرف الا يوم خيبر واما تسمية راية الانصار
يوم أُحد بالعقاب فهو جرى على ما عليه اهل اللغة ان كل راية
تسمى العقاب كما ان راية النبى صلى الله عليه وسلم تسمى بذلك وعليه فقول
الناظم لها العقاب لواء لا يختص بخيبر خلافا لما يوهمه صنيعه
وأُقسم عليك ايضا **بريحانتين** وهما سيدنا الحسن وسيدنا الحسين كرم
الله وجههما وفى تسميتهما بذلك اقتباس من قوله صلى الله عليه وسلم
الذى رواه البخارى عنهما ريحانتاى من الدنيا وفى رواية ان ابنىّ هذين
ريحانتاى من الدنيا **طيبهما** حسا ومعنى وفضلهما على غيرهما انما هو
حاصل **منك** لانهما بضعتان منك مع ما لاحظتهما به من المزايا
والخصوصيات وكان طيب رسول الله معروفا مشهورا بين الصحابة

يضرب به المثل وانه لم يستطب بل كانت ام انس تأخذ من عرقه صلى الله
عليه وسلم ليتطيبوا به لبا هر ريحه الذى نعت لطيبهما اودعتهما بالبناء
للمفعول فاطمة الزهراء مبتدأ خبره ما قبله وهما الصلة كذا ذكره
الشارح ولا يصح لخلو جملة الصلة عن عائد الموصول وجوز البناء
للفاعل وان المفعول الثانى محذوف اى الذى الزهراء اودعتهما
اياه وفيه قلاقة وحذف من غير دليل فالصواب ان الذى نعت
للريحانتين بتأويلهما بالمذكور او نحوه ونظيره ما ذكرته فى الذى قوله
صلى الله عليه وسلم الذى رواه ابو داود هذا يعنى الحسن والحسين
ونظيره ايضا قوله تعالى وخضتم كالذى خاضوا قال ابو حيان نحو
استعمال الذى بمعنى الذين لكن يجب كون ضمير الصلة ضمير الجمع
اعتبارا بمعناه ثم قال والذى نختاره فى قوله تعالى كمثل الذى استو قد
نارا انه افرد لفظا وان كان تحته افراد فيكون التقدير كمثل الجمع
الذى استوقد وقيل فى الآية الذى بمعنى الجنس فلا يختص بالواحد
وقيل حذفت نونه تخفيفا وقيل موصوفه لفظ مفرد وكلها كما يأتى
فى ملخص فيه فاستفده واشار بقوله اودعتهما الى ما هو من
خصايصها ان اولاد بناتها ينسبون اليها فى الكفاءة وغيرها ووجه
تلك الاشارة انه جعل فاطمة مستودعة فهى الذى اودعها تلك
الذرية لتخرج منها منسوبة اليه وسميت بالزهراء لانها لم تحض كما
فى حديث رواه الغسانى وروى الخطابى ابنتى فاطمة حوراء آدمية
لم تحض ولم تطمث وانما سماها الله تعالى فاطمة لان الله تعالى فطمها
ومحبيها عن النار وقد ذكر الناظم عليا وفاطمة وابنيهما ويأتى ذكر
شئ من فضائلهم بلا اسانيد وقد استوعبتها بذكر اسانيدها وبيان
احكامها وما يتعلق بها فى كتابى الصواعق المحرقة لاخوان الضلال
والرفض والابتداع والزندقة الذى لم يؤلف فى هذا الباب اجمع
منه واخرج الطبرانى والخطيب ان الله جعل ذرية كل نبى فى صلبه
وجعل ذريتى فى صلب على بن ابى طالب وفى حديث رجاله ثقات
الاول انا مختلف فيه انه صلى الله عليه وسلم خطب وهو محاصر الطائف

قد

فيما قال اوصيكم بعترتى خيرا وان موعدكم الحوض والذى نفسى
بيده لتقيمن الصلوة ولتؤتن الزكوة او لابعثن اليكم رجلا
منى او كنفسى يضرب اعناقكم ثم اخذ بيد على وقال هو هذا
توفى كرم الله وجهه شهيدا عن ثلاث وستين سنة ضربه ابن ملجم
فى جبهته ليلة الجمعة سابع عشر رمضان سنة اربعين وهو خارج
الى صلوة الصبح بعد ان استيقظ سحرا وقال للحسن انه رأى
النبى صلى الله عليه وسلم فشكا اليه ما لقى فقال له ادع عليهم فدعا
ان يبدله خيرا وانهم يبدلون شرا منه وأكثر فى تلك الليلة الخروج
والنظر الى السماء وهو يقول لها ما كذبت ولا كذبت وانها الليلة التى
وعدت ومات ليلة الاحد واختلف فى موضع قبره لانه اخفى خوفا
من ان تنبشه الخوارج وفى رواية انهم حملوه ليدفنوه مع رسول
الله صلى الله عليه وسلم فند الجمل الذى يحمله فلم يدر اين ذهب فلذلك
قال اهل العراق انه فى السحاب كنت على الدوام تأويهما اى تضمهما
اليك لمزيد محبتك لهما وشفقتك عليهما ومن ثم صح انه صلى الله عليه وسلم
قال نظرت الى هذين الصبيين يمشيان ويعثران فلم اصبر حتى قطعت
حديثى ورفعتهما واخرج الترمذى والطبرانى هذان ابناى وابنا
بنتى اللهم انى احبهما فاحبهما واحب من يحبهما والترمذى احب
اهل بيتى الى الحسن والحسين واحمد وابن ماجة والحاكم من احب
الحسن والحسين فقد احبنى ومن ابغضهما فقد ابغضنى وجاء من
طرق صحح بعضها ابناى الحسن والحسين سيدا شباب اهل الجنة
وابوهما خير منهما تنبيه لما علم اهل السنة ان الائمة الاربعة افضل
من اهل البيت نعم ما فيهم من البضعة الكريمة لا يعادله عمل ومر توجيه
قول بعض المتأخرين بتفضيل الحسنين على غيرهما اى من حيث تلك البضعة
وان كان غيرهما ممن ذكر افضل منهما علما وحلما وعملا ومعرفة فتأمله
كما آوت بالمتفيئتين للوزن وان جاز القصر فى اصل الكلمة من الخط
حال من الفاعل نقطتيها الياء اى اوتهما ايواء الياء لنقطتيها حال
كونها من جملة حروف الخط وكأنه اخذ هذا التشبيه من حديث البخارى

الليلة ح
منهم ح
واسمه ح

رح

وفى قوله وابوهما
خير منهما ح

عن الحسن كان النبي صلى الله عليه وسلم يأخذ بيدي فيقعدني على
فخذه ويُقعد الحسين على فخذه الاخرى ويضمنا ثم يقول اللهم اني
ارحمهما فارحمهما ومما صح عن اسامة بن زيد رضي الله عنهما قال
طرقت النبي صلى الله عليه وسلم ذات ليلة فخرج وهو مشتمل على شيء
قلت ما هذا فكشفه فاذا الحسن وحسين على وركيه فقال اللهم
هذان ابناي وابنا بنتي اللهم اني احبهما فاحبهما واحبب من يحبهما
وصح انه صلى الله عليه وسلم اقبل وقد حمل الحسن على رقبته فقال رجل
نعم المركب ركبت يا غلام فقال صلى الله عليه وسلم ونعم الراكب
هو ووجه التخصيص بالياء انها خاتمة للحروف كما انه صلى الله
عليه وسلم خاتم الانبياء ولا تنظر الى ان الالف افضل الحروف
لانها مادة كل حرف فهي الآخر في الحقيقة كما انها الاول كذلك
وهكذا شان نبينا صلى الله عليه وسلم فانه اولهم خلقا ورتبة
وآخرهم وجودا وختما فعنصره الكريم مندرج ومنبث في جميع
الانبياء بالفعل تارة بالنسبة لمن في عموده نسبه وبالقوة اخرى
بالنسبة لمن ليس في عموده من بيان للريحانتين وحينئذ فلا
تجريد فيه خلافا لما زعمه الشارح شهيدين اما شهادة الحسن
وكانت ولادته في نصف شعبان بالمدينة سنة ثلاث من
الهجرة فسببها ان يزيد بن معاوية ارسل الى زوجته جعدة
الكندية ان تسمه ويتزوجها وبذل لها مائة الف درهم ففعلت
فمرض اربعين يوما ومات فبعثت ليزيد بما وعدها فابى وفي سنة موته
اقوال والاكثرون انها سنة خمسين وجهد به الحسين ان يخبره بمن
سمه فابى وقال الله اشد نقمة واجد كبدي تتقطع واني لعارف
من اين دهيت فبحقي عليك لا تكلمت في ذلك بشيء ثم قال واقسم عليك
ان لا تريق في امري محجمة دم ومن جملة كلامه لاخيه لما احتضر يا اخي
ان اباك استشرف لهذا الامر اول مرة فصرفه الله الى الثلاثة قبله
ثم وليه فنوزع حتى جرد السيف فما صفت له واني والله ما ارى ان
يجمع الله فينا النبوة والخلافة وربما يستخفك سفهاء الكوفة ليخرجوك

وقد كنت طلبت من عائشة رضي الله عنها ان أدفن مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم فاجابت فاذا مت فاطلب منها وما اظن القوم
الا سيمنعونك فان فعلوا فلا تراجعهم فلما مات سأل الحسين عائشة
رضي الله عنها فقالت نعم وكرامة فمنعهم مروان لانه كان والي المد ينة
فلبس الحسين ومن معه السلاح حتى رده ابو هريرة ثم دفن بالبقيع
الى جنب امه رضي الله عنهما وكان مروان يكثر من اذيته فلما مات
بكى في جنازته فقال له الحسين اتبكيه وقد كنت تجرعه ما تجرعه
فقال اني كنت أفعل ذلك الى احلم من هذا واشار بيده الى الجبل
وكان مروان هذا اشد الناس بغضا لاهل البيت وكان هذا
هو سر الحديث الذي صححه الحاكم ان عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه
قال كان لا يولد لاحد مولود الا اتي به النبي صلى الله عليه وسلم
فيدعو له فادخل عليه مروان بن الحكم فقال هو الوزغ بن الوزغ
الملعون بن الملعون وروى ايضا حديثا من جملته قول عائشة
رضي الله عنها لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم ابا مروان ومروان
في صلبه نعم في الحديث الصحيح انه صلى الله عليه وسلم سأل ربه ان من
شتمه او لعنه او دعا عليه ان يكون ذلك رحمة له وزكاة وكفارة وطهارة
ومن فضائل الحسن ما صح انه صلى الله عليه وسلم كان يحمله على عاتقه ويقول صح
ليعلم الشاهد الغائب اللهم اني احبه واحب من يحبه صح
اللهم اني احبه فاحبه وصح من احبني فليحبه اللهم اني احبه واحب
من يحبه ثلاث مرات وفي رواية فجعل يفتح فمه ثم يدخل فمه في
فمه ويقول ذلك وفي اخرى من احبني واحب هذين واباهما
وامهما كان معي في درجتي يوم القيمة وصح انه حج خمسا و
عشرين حجة ماشيا وان الجنائب لتقاد بين يديه وخرج من
ماله مرتين وقاسم الله تعالى ماله ثلاث مرات وكرمه باهر
وحكاياته فيه بهر ولم يسمع منه كلمة فحش قط الا قوله
مرة عن مخاصمة ليس له عندنا الا ما رغم انفه وجاء من طرق
كثيرة بعضها صحيح انه صلى الله عليه وسلم قال وهو على المنبر
ان ابني هذا اي الحسن سيد وسيصلح الله به بين فئتين عظيمتين

من المسلمين وقد حقق الله له ذلك فان اباه كرم الله وجههما
لما توفي فولي الخلافة بمبايعة اهل الكوفة فكان آخر الخلفاء الراشدين
بنص جده صلى الله عليه وسلم بقوله في الحديث الصحيح الخلافة
بعدي ثلاثون سنة فمدة خلافته هي الستة الاشهر الباقية منها
وعند مضيها سار الى معاوية في اربعين الفا فلما ترائى الجمعان
علم الحسن انه لن تغلب احدى الطائفتين حتى يذهب اكثر الاخرى
فرضي بالنزول لمعاوية عن الخلافة شفقة على الامة بشروط
قبلها معاوية فنزل له وحينئذ صار هو الامام الحق وقبل ذلك
كان متغلبا لكن لاجتهاده لم يكن آثما بل مأجورا . واما شهادة الحسين
وكانت ولادته لخمس خلون من شعبان سنة اربع ومن فضائله حديث
حسين مني وانا من حسين احب الله من احب حسينا حسين سبط من
الاسباط وجاء من طرق صحح الحاكم بعضها ان جبريل وفي رواية
ملك القطر ولعلهما واقعتان جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم فاخبره
ان الحسين مقتول واراه من تربة الارض التي يقتل فيها فاعطاه
لام سلمة واخبرها انه يوم قتله يتحول دما فكان كذلك وشم صلى الله
عليه وسلم ذلك التراب فقال ريح كربلا وفي رواية فاشار جبريل بيده
الى الطف ارض العراق بناحية الكوفة ولا تخالف لان ذلك الموضع
يسمى بكربلا وبالطف كذا قال بعضهم وقال غيره كربلا قريب من
موضع يقال له الطف بقرب الكوفة وروى الطبراني اما حسن فله
هيبتي وسوددي واما حسين فله جرأتي وجودي والبغوي عن
سمى هرون ابنيه شبرا وشبيرا واني سميت ابني الحسن والحسين
وجاء ان العرب لم تسم بهما في الجاهلية وسببها ان يزيد لما استخلف
سنة ستين ارسل لعامله بالمدينة ان يأخذ له البيعة على الحسين
رضي الله عنه ففر لمكة خوفا على نفسه فارسل اليه اهل الكوفة ان يأتيهم
ليبايعوه ويمحو ما هم فيه من الجور فنهاه ابن عباس رضي الله عنهما
وبين له غدرهم وقتلهم لابيه وخذلانهم لاخيه وامره ان لا
يذهب باهله ان ذهب فابى فبكى ابن عباس وقال واحسيناه

وقال له ابن عمر نحو ذلك فابى فقبل ما بين عينيه وقال استودعك
الله من قتيل وكذلك نهاه ابن الزبير رضي الله عنهم بل لم يبق
بمكة الا من حزن لمسيره ولما بلغ اخاه محمد بن الحنفية بكى حتى ملأ
بين يديه وقدم امامه مسلم بن عقيل فبايعه من اهل الكوفة
اثنا عشر الفا فارسل اليه يزيد ابن زياد لقتله وسار الحسين
غير عالم بذلك فلقي الفرزدق فسأله فقال القلوب الناس معك
وسيوفهم مع بني امية والقضاء ينزل من السماء ولما قرب من القادسية
تلقاه من اخبره الخبر وامره بالرجوع فهم بالرجوع فقال اخو مسلم
المقتول لا حتى نأخذ ثارنا او نقتل ثم سار فلقيه اوائل خيل
ابن زياد فعدل الى كربلا فجهز اليه ابن زياد عشرين الفا مقاتل
فلما وصلوا اليه التمسوا منه نزوله على حكم ابن زياد وبيعته
ليزيد فابى فقاتلوه وكان اكثر مقاتليه الكاتبين اليه والمبايعين
له فلما جاءهم فروا عنه الى عدوه فحارب ذلك العدد الكثير ومعه
من اهله نيف وثمانون فثبت في ذلك الموقف ثباتا باهرا ولولا
انهم حالوا بينه وبين الماء ما قدروا عليه ولما استحر القتل في اهله
حتى بلغوا خمسين صاح اما ذاب يذب عن حريم رسول الله صلى
الله عليه وسلم فخرج يزيد بن الحارث رجاء شفاعة جده فقاتل
بين يديه حتى قتل ثم فني اصحابه وبقي بمفرده فحمل عليهم وقتل
منهم كثيرا من شجعانهم فكثروا عليه حتى حالوا بينه وبين حريمه
فصاح كفوا سفهاءكم عن النساء والاطفال فكفوا ثم لم يزل
يقاتلهم الى ان اثخنوه بالجراح لانه طعن احدى وثلاثين طعنة
وضرب اربعا وثلاثين ضربة ومع ذلك غلب عليه العطش الحاد
سقط الى الارض فحزوا رأسه يوم الجمعة عاشر المحرم عام احدى
وستين ووصفه قاتله بين يدي عبيد الله بن زياد متبجحا
بكونه قتل خير الناس فامر بضرب عنقه وقال اذ علمت انه
كذلك فلم قتلته وقتل معه من اخوته وبنيه وبني اخيه الحسن
ومن اولاد جعفر وعقيل تسعة عشر رجلا قال الحسن البصري رضي الله عنه

ماكان على وجه الارض لهم يومئذ شبيه وجعل ابن زياد الرأس
فى طست وجعل يضرب ثناياه بقضيب ويُدخله انفه ويتعجب
من حسن ثغره فبكى انس وقال كان اشبههم برسول الله صلى الله عليه
وقال له زيد بن ارقم إرفع قضيبك فوالله لطالما رأيت رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقبل ما بين الشفتين وبكى فاغلظ عليه ابن زياد
وهدده بالقتل فقال لاحدثنك بما هو اغيظ عليك من هذا
رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم اقعد حسنا على فخذه اليمنى
وحسينا على فخذه اليسرى ثم وضع يده على يافوخهما ثم قال اللهم
انى استودعك اياهما وصالح المؤمنين فكيف كانت وديعة النبى
صلى الله عليه وسلم عندك يا ابن زياد ولما دخل قصر الامارة بالكوفة
امر بالرأس فوضع على ترس عن يمينه والناس سماطان ثم انزله
وجهزه مع رؤس اصحابه وسبايا آل الحسين الى يزيد فلما وصلوا اليه
قيل ترحم عليه والمشهور انه جعل ينكث الرأس بالخيزران ويجمع بانه
اظهر الاول واخفى الثانى قيل والعجب كل العجب من ضرب يزيد
ثنايا الحسين بالقضيب وحمل آل النبى صلى الله عليه وسلم على اقتاب
الجمال موثقين فى الحبال والنساء مكشوفات الوجوه والرؤس ولا
عجب فان يزيد بلغ من قبايح الفسق والانحلال عن التقوى مبلغا
لا يستكثر عليه صدور تلك القبايح منه بل قال احمد بن حنبل رضى الله عنه
بكفره وناهيك به ورعا وعلما يقضيان بانه لم يقل ذلك الا لقضايا
وقعت منه صريحة فى ذلك ثبتت عنده وان لم تثبت عند غيره
كالغزالى فانه اطال فى رد كثير مما نسب اليه كقتل الحسين فقال لم
يثبت من طريق صحيح انه قتله ولا امر بقتله ثم بالغ فى تحريم سبه
ولعنه وكابن العربى المالكى فانه نقل عنه انه قال لم يقتل يزيد
الحسين الا بسيف جده اى لانه الخليفة والحسين باغ عليه والبيعة
سبقت ليزيد ويكفى فيها بعض اهل الحل والعقد وبيعته كذلك
لان كثيرين اقدموا عليها مختارين لها هذا مع عدم النظر الى
استخلاف ابيه له اما مع النظر لذلك فلا يشترط موافقة احد من

اهل الحل والعقد على ذلك ويرد بان هذا انما هو بعد استقرار الاحكام
وانعقاد الاجماع على تحريم الخروج على الجائر لما قبل ذلك فكان الامر ذلک ح
منوطا بالاجتهاد ولاجتهاد الحسين اقتضى جواز او وجوب الخروج
على يزيد لجوره وقبايحه التى تصم عنها الآذان فهو اعنى الحسين محق
بالنسبة لما عنده ونظيره فى الحال معاوية مع الحسن قبل نزوله
عن الخلافة ومع على كرم الله وجهه فانه كان متغلبا باغيا عليهما
لكنه غير آثم لاجتهاده فالحسين كذلك فتأمل ذلك فان كلام الائمة
فيه كالمتنافى ولا يزول الاشكال فيه الا بما قررته فاستفده ولما
وصلوا الى دمشق اقيموا على درج الجامع حيث تقام الاسارى
والسبى قيل ان يزيد ارسل برأس الحسين وعرضه على من بقى من اهله الى المدينة
فكفن رأسه ودفن عند قبر امه بقبة الحسن وقيل اعيد الى
الجثة بكربلاء بعد اربعين يوما من قتله ثم سلط الله على ابن زياد
س وقومه من قتلهم شر قتلة ولما نزل الذين ارسلهم ابن زياد بالرأس
اول منزل جعلوا يشربون بالرأس فخرجت عليهم من الحائط يد معها قلم من
حديد فكتبت سطرا بدم ۝ اترجوا امة قتلت حسينا
شفاعة جده يوم الحساب ۝ فهربوا وتركوا الرأس ثم
عادوا واخذوه او اخذه غيرهم وقدم به على يزيد ومما ظهر
يوم قتله من الآيات ان السماء امطرت دما وان اوانيهم مليئت
دما وان السماء اشتد سوادها لانكساف الشمس حينئذ حتى
مت رؤيت النجوم واشتد الظلام حتى ظن الناس ان القيمة قد قامت
وان الكواكب ضرب بعضها بعضا وانه لم يرفع حجر الا تحته
دم عبيط وان الورس انقلب رمادا وان الدنيا اظلمت ثلاثة
ايام ثم ظهرت فيها الحمرة وقيل احمرت ستة اشهر ثم لا زالت
الحمرة ترى بعد ذلك وعن ابن سيرين اخبرنا ان الحمرة التى مع
الشفق لم تكن قبل قتل الحسين وقال ابن الجوزى وحكمة ذلك
ان غضبنا يؤثر حمرة الوجه والحق منزه عن الجسمية فاظهر
تأثير غضبه على من قتل الحسين بحمرة الافق اظهارا لعظم الجناية

ليس ينسى لكل مسلم كامل الايمان الطف اى بذكرها وقع فيه ومن
انه ارض العراق وانه يسمى كربلا وقريب منها وقبره به معروف
يزار ويتبرك به مصابيهما اى مجموعهما على حد يخرج منهما اللؤلؤ
والمرجان اذ هما انما يخرجان من الملح فقط اى مصاب الحسين لانه
قتل به واما قتل الحسن فمر انه كان بالمدينة ولم يكن قتله بالسم
ظاهرا وانما علم به نفر من الناس ولا كربلاء بل كل منهما يذكرني
بذلك المصاب حتى انى اتصور فى كل ارض انها هو وظاهره انه
مغاير للطف ومر انه قول وكان الناظم لمح بهذا الى ما رواه ابن
سعد عن الشعبى ان عليا كرم الله وجهه لما مر بكربلا عند مسيره
الى صفين وقف وسأل عنها فقيل كربلا فبكى حتى بل الارض من دموعه
ثم قال دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يبكى القصة
الآتية ايضا فى شرح قوله فابكهم ما رعى فيهما ذمامك بالمعجمة اى حرمتك
ايها النبى الكريم مع انه يجب على كل احد رعايتها والوفاء بها ولا
يحصل ذلك الا بالقيام بجميع مالهما من العهود والحقوق والحرمة
والجلالة ومن بغض شانيهما واعتقاد انه على غاية من الحماقة و
الضلالة والجرأة والتهور مرؤس اى تابع كالجعدة فى الحسن
وابن زياد واتباعه فى الحسين رضى الله عنهما والحال انه قد خان
عهدك الرؤساء اى المتبوعون من الظلمة الطغاة المتمردين
كيزيد فيهما للتسبب فى قتلهما لكنهما فازا بمنزلة الشهادة العظمى
وباء بخزى الدنيا والآخرة وقول بعضهم لا ملام على قتلة
الحسين لانهم انما قتلوه بسيف جده الآمر بسله على البغاة وقتالهم
لا يعول عليه لان يزيد لم تنعقد بيعته عند الحسين رضى الله عنه
وغيره ممن لم يبايعوه والمبايعون له مكرهون على البيعة كما هو
معروف وغايته امر يزيد انه جائر فاسق متغلب وحرمة الخروج
على الجائر التى حكى عليها الاجماع محلها بعد استقرار الامور وانقضاء
تلك الاعصار واما تلك الاعصار فكان اهلها مجتهدين فلم يدخلوا
تحت حيطة غيرهم ولذلك خرج على يزيد ايضا ابن الزبير ولم

يبال ببيعته ولا اعتد بها جماعة آخرين امتنعوا منها وهربوا
وروى ابن السكن انه صلى الله عليه وسلم قال وقد اشار الى الحسين
ان ابنى هذا يقتل بارض العراق فمن ادركه منكم فلينصره وبه
يرد قول البعض المذكور ومما يرده ايضا ما ترتب على قتل
الحسين مما مر بعضه وبين رعى وخان والمرؤس والرؤسا
جناس الطباق ابدلوا اى هؤلاء المذكورون الود بتثليث
الواو اى المودة التى حرضهم الله تعالى عليها فى الآية الآتية
ببغضهم وقتالهم والحاق الايذاء لهم بكل طريق امكن حتى ان القوم
سباهم فابيعت الشريفة فى عسكره باربعة دراهم والشريف
بدرهمين لكثرة من سباه منهم وابدلوا ايضا الحفيظة اى الحمية
فى نصر القربى ومحبتهم اى قرابة النبى صلى الله عليه وسلم وهم آل
البيت النبوى يعنى تركوا هذين واخذوا اضدادهما فقطعوا مودة
وتخلفوا عن نصرتهم ولم يمتثلوا قول الله تعالى فى حقهم الدال على غاية
رفعتهم قل لا اسألكم عليه اجرا الا المودة فى القربى الآية وقد اختلف
المفسرون فى القربى والذى جاء عن الحسن بن على كرم الله وجههما
بسند حسن انهم اهل البيت فانه خطب الناس خطبة بليغة فيها
انا الحسن بن محمد صلى الله عليه وسلم ثم قال انا ابن البشير انا ابن النذير
ثم قال وانا من اهل البيت الذين افترض الله عز وجل مودتهم وموالاتهم
زاد فى رواية على كل مسلم فقال فيما انزل على محمد صلى الله عليه وسلم
قل لا اسألكم عليه اجرا الا المودة فى القربى وفى رواية ومن يقترف
حسنة نزد له فيها حسنا قال اقتراف الحسنات مودتنا اهل البيت
وجاء عن ابن عباس رضى الله عنهما بسند فيه شيعى غال لكنه صدوق
انها لما نزلت قالوا يا رسول الله من قرابتك هؤلاء الذين وجبت
علينا محبتهم قال على وفاطمة وابناهما وروى غيره واحد نحوه كذلك
عن على واخرج الطبرانى عن زين العابدين انه لما جئ به اسيرا
عقب قتل ابيه الحسين رضى الله عنهما واقيم على درج جامع دمشق
قال بعض جفاة الشام الحمد لله الذى قتلكم واستأصلكم وقطع قرن

الفتنة فقال له ما قرأت قل لا اسألكم عليه اجرا الا المودة في القربى
قال وانتم هم قال نعم ولا ينافي ذلك ما هو المشهور عن ابن عباس
واتباعه من حملها على غير ما ذكر كما في البخاري وغيره عنه ان المراد الا
ان تودوني يا معشر قريش بقرابتي فيكم وفي رواية عنه انهم لما ابوا ان
يبايعوه انزل الله عليه ذلك فقال صلى الله عليه وسلم يا قوم اذا ابيتم
ان تبايعوني فاحفظوا قرابتي ولا تؤذوني ويؤيده ان السورة مكية
ورواية نزولها بالمدينة ضعيفة وان امكن نزولها مرتين كما
قيل به في الفاتحة ووجه عدم المنافاة ان من ذكره صلى الله عليه وسلم
وخص بقريش اقتصر على المقصود بالذات ومن ذكر اهل البيت
وعمم في كل مسلم ذكر ما هو المقصود بالتبع فكل من المرادين صحيح
من غير منافاة ولا تعارض بينهما ومن ثم كان ابن جبير وهو اجل
تلامذة ابن عباس كان يفسر تارة بهذا وتارة بهذا وفي رواية
عن ابن عباس رضي الله عنهما الا ان تواددوا الله ولا منافاة
ايضا لان من جملة موادة تعالى موادة رسوله واهل بيته وادعاء
نسخ الآية قول مردود لا يلتفت اليه فلا يجوز اعتقاده كما قاله
البغوي وغيره وقد صح خلافا لما وهم فيه ابن الجوزي حديث
احبوا الله لما يغذوكم به من نعمه واحبوني لحب الله عز وجل واحبوا
اهل بيتي لحبي وصح ايضا ما بال اقوام يتحدثون فاذا رأوا الرجل
من اهل بيتي قطعوا حديثهم والله لا يدخل قلب رجل الايمان حتى
يحبهم لله ولقرابتهم مني وفي خبر احمد انه صلى الله عليه وسلم قال لمن
اشتكى عليا والله لقد آذيتني ثم قال من آذى عليا فقد آذاني وروى
احمد والترمذي حديث من احبني واحب حسنا وحسينا واباهما
وامهما كان معي في الجنة زاد ابو داود ومات متبعا للسنة وبها
يعلم بطلان قول الرافضة تنفع محبتهم مع مخالفة السنة **وابدت**
اي اظهرت **ضبابها** عائد لفاعل ابدت واراد بالضب اليرابيع
لان النافقاء لا تكون الا لها **النافقاء** هي احدى جحرة اليربوع يكتمها
ويظهر غيرها حتى لا يصاد وهو موضع من جحرة يجعل الحاجز بينه وبين

الفضاء قريبا جدا حتى اذا دخل عليه من الجحرة الاخرى المسماة بالقاصعاء
ضرب النافقاء برأسه فانشق وخرج هاربا منه ولهذا يقال
نفق اليربوع تنفيقا ومنه اشتقاق المنافق في الدين كما في الصحاح
وفي النظم تشبيه المكرة بالحسنين حتى فعلوا معهما ما فعلوا
باليربوع في مكرها المذكور فهو استعارة تصريحية وفي ذكر
النافقاء استعارة ترشيحية او تشبيه ما عندا اولئك من النفاق
بالنافقاء بالجامع الآتي فهي حينئذ استعارة مصرحة رشحت
بذكر الضباب او تشبيه النافقاء بما عندا اولئك من النفاق الذي
حملهم على ان فعلوا بآل البيت ما فعلوا فتشبيه النافقا بنفاق
اولئك استعارة بالكناية والجامع ان النافقاء يظهر اليربوع
منها فيهرب من صياده وكذا النفاق اولئك اظهرهم حتى هربوا
من الدين وفعلوا ما فعلوا واثبات اليربوع استعارة تخييلية
ويصح ان يكون استعارة بالكناية ايضا لتشبيه الضباب باولئك
في المكر واضافتهم الى ضمير النافقاء تخييلية **وقست** اي غلظت
واشتدت **منهم** اي المكرة الفجرة المذكورين وهو حال من قوله
قلوب فوصل اليهما ثم الى ذريتهما منهم غاية الايذاء والاستهتار
بحقهم الواجب رعايته عليهم ولم تلن لهم تلك القلوب قط لان الله
تعالى اراد لها الشقاوة والعذاب الاليم **على من** اي اولئك الائمة
الذين هم عمود الدنيا ومن ثم قال الحسن البصري رحمه الله في
الذين قتلوا مع الحسين من اهله ليس لهم شبيه على وجه الارض
بكت الارض فقدهم والسماء وهذا اقتباس من مفهوم قوله تعالى
فما بكت عليهم السماء والارض اذ مفهومه ان المؤمن تبكي عليه
السماء والارض اما الارض فمحال سجود المؤمن وعباداته واما
السماء فمحال مصاعد اعماله واذا كان هذا في مطلق المؤمنين كما
علم من الآية فما بالك بآل البيت النبوي والسر العلوي ويصح ان
يكون المراد ببكائهما بكاء اهلهما وهو واضح لكن الاول ابلغ ولا
مانع من حمله على الحقيقة لانه ممكن ورد به الشرع فلا يخرج عن ظاهره

بمعنى انهما يأتيان على ما فاتهما من اعمالهما وثوابهما نخ

الابد ليل فابكيهم ايها الصالح للخطاب ما استطعت اى مدة
دوام استطاعتك تأسيا بنبيك محمد صلى الله عليه وسلم ثم بجبريل
ثم على روى ابن سعد عن الشعبى قال مر على كرم الله وجهه بكربلاء
عند مسيره الى صفين فوقف وسأل عن اسم هذه الارض فقيل كربلاء
فبكى حتى بل الارض من دموعه ثم قال دخلت على رسول الله صلى الله
عليه وسلم وهو يبكى فقلت ما يبكيك قال كان عندى جبريل آنفا و
اخبرنى ان ولدى الحسين يقتل بشاطئ الفرات بموضع يقال له
كربلاء ثم قبض جبريل قبضة من تراب شمنى اياها فلم املك عينى ان
فاضتا واخرج الترمذى ان ام سلمة رأت النبى صلى الله عليه وسلم
باكيا وبرأسه ولحيته التراب فسألته فقال قتل الحسين آنفا وكذ كك
رآه ابن عباس نصف النهار اشعث اغبر بيده قارورة فيها دم
يلتقطه فسأله فقال دم الحسين واصحابه لم ازل اتتبعه منذ اليوم
فنظروا فوجدوه قد قتل فى ذلك اليوم فان قلت الامر بالبكاء
ينافى الحديث الصحيح فاذا وجبت فلا تبكين باكية ومن ثم قال
ائمتنا يكره البكاء بعد الموت قلت ليس المراد بالبكاء المأمور
به هنا حقيقته بل لازمه من التأسف والحزن على ما حصل للبيت
واهله من استباحة حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم ودم بنيه
واهله ومن غاية الاستهتار بحقهم والفرح بمصابهم ومن زوال
انوار النبوة وعلومها وتقاها وزهدها وكمالاتها بفقدهم
وذلك كله مصاب لا يساويه مصاب فحق لكل احد ان يحزن
على ذلك ويتأسف عليه وان يأمر به غيره ويدعو اليه فان قلت
كيف نهى النبى صلى الله عليه وسلم عن البكاء وبكى كما فى الحديث المذكور
قلت المنهى عنه البكاء الاختيارى والذى وقع منه صلى الله عليه وسلم
لعله اضطرارى او بيان للجواز او اطلق منه البكاء على مجرد دمع العين
وهو لا كراهة فيه ومن ثم لما فعله صلى الله عليه وسلم على ابن لاحدى
بناته قيل له ما هذا اى وقد نهيت عن البكاء فقال انها رحمة و
انما يرحم الله من عباده الرحماء فبين ان مجرد دمع العين لا يحزن

فيه ولا كراهة فتأمله ثم تمم ما امر به من البكاء بما يصلح ان يكون
دليلا حاملا عليه فقال ان جزاء قليلا اى قليل فى مقابلة عظيم
من المصاب مصاب لانتهما الامة بالحسنين واهل بيتهما رضى الله عنهم
وبين قليل وعظيم طباق وفيه اشتقاق ورد العجز على الصدر
البكاء وان كثر وهو الصوت الذى يكون مع الدمع واما
المقصور فهو الدمع فقط وغير القليل قتل قاتليهم ودوام
نصرتهم باشادة ذكرهم وادامة الثناء عليهم والرد على اعدا ئهم
وغير ذلك كل يوم وكل ارض كربلا اى لاجل ما حصل لى من الكرب
وهو الغم الذى يأخذ النفس بحيث يخشى فوتها منهم اى بسبب
ما حصل لهذين الامامين واهل بيتهما من القتل والاسر والسب
والايذاء كربلا راجع لكل ارض وعاشوراء راجع لكل يوم ففيه
لف ونشر مشوش اى ازداد بى ذلك الكرب حتى ان كل ارض حللت
بها تصورت انها الارض التى قتل فيها الحسين وكل يوم اصبح
على تصورت انه يوم عاشوراء الذى قتل فيه فكربه عم جميع
ما انا فيه من الازمنة والامكنة فلا يفارقنى بالانتقال من
ارض لاخرى ولا من زمن لآخر وبين كربى وكربلا جناس
شبه الاشتقاق كهوا وجناس الاشتقاق فى تأوى وآوت
وقوضت وتقويضى وطبتم وطاب وسدتم وسودة ترود ذره
والزوراء والقاسم واقسامى وابكيهم والبكاء يا آل بيت النبى
وهم مؤمنوا بنى هاشم والمطلب وهم المذكورون فى قوله تعالى
انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا
اكثر المفسرين انها نزلت فى على وفاطمة والحسنين رضى الله عنهم
وقيل نزلت فى نسائه ونسب لابن عباس وكان مولاه عكرمة
ينادى به فى السوق ورد بتذكير ضمير عنكم وما بعده وقال
جمع نزلت فيهما ووجه جمع بانهن سبب النزول فيدخلن قطعا
ويدل له ما صح عن ام سلمة قلت يا رسول الله انا من اهل
البيت قال بلى ان شاء الله ولدخول آل البيت خبر مسلم انه ادخل

اولئك الاربعة تحت كساء وقرأ الآية وصح انه صلى الله عليه وسلم جعل
هؤلاء تحت كساء وقال اللهم هؤلاء اهل بيتى وخاصتى أذهب عنهم
الرجس وطهرهم تطهيرا وفى حديث حسن انه صلى الله عليه وسلم
اشتمل على العباس وبنيه بملاءة ثم قال يا رب هذا عمى وصنو ابى
وهؤلاء اهل بيتى فاسترهم من النار كسترى اياهم بملائتى هذه فقالت
اسكفة الباب وحوائط البيت آمين ثلاثا فعلم ان المراد باهل البيت
فى الآية اهل بيت سكنه وهن امهات المؤمنين واهل بيت نسبه
وهم مؤمنوا بنى هاشم وبنى المطلب وصح هذا عن زيد بن ارقم
والاشهر ان هؤلاء هم آله المذكورون فى قوله اللهم صل على محمد
وعلى آل محمد وقيل المراد بآله هنا كل مؤمن واختير وخبر آلى كل مؤمن
تقى ضعيف بالمرة وآل البيت الذين حرمت عليهم الصدقة هم المراد ود
فى جميع ما جاء فى فضل آل البيت والآل اولاد وذوى القربى واولئك
الاربعة هم المرادون فى آية المباهلة كما يصرح به ما صح عنه صلى الله عليه وسلم فيهما
انّ فؤادى اى قلبى ليس فعل جامد معناه نفى مضمون الجملة فى الحال
ونفى غيره بالقرينة وقيل هى لنفى الحال وغيره وقواه ابن الحاجب بقوله لك
الا يوم يأتيهم ليس مصروفا عنهم وقال ابن مالك وترد للنفى التام
المستغرق المراد به الجنس كلا التبرئة وهو مما يغفل عنه وخرج عليه
ليس لهم طعام الا من ضريع انتهى ويصح ارادة هذا المعنى الاخير
فى النظم يسليه عنكم التأساء بفوقية اوله اى ما يحصل لجم من الشدائد
والمحن وفى القاموس تاساه آذاه واستخف به لمحبتكم مقيمة
فيه على الدوام لا تزلزلها محنة ولا تنقصها شدة وفى الحديث
والذى نفسى بيده لا يؤمن عبد بى حتى يحبنى ولا يحبنى حتى يحب
ذوى انا حرب لمن حاربهم وسلم لمن سالمهم وعدو لمن عاداهم ألا
من آذى قرابتى فقد آذانى ومن آذانى فقد آذى الله تعالى وفى الحديث
ايضا انى تارك فيكم ما ان تمسكتم به لن تضلوا كتاب الله وعترتى
فتامل كونه قرنهم بالقرآن فى ان التمسك بهما يمنع الضلال ويوجب
الكمال واشار الى ان ما عنده ملازم له لا يفارقه فى سلوة ولا تسلي

ولا غيرهما من الوفاء بحقهما والتحزن والتحسر لما صابهما انما هو
مع تفويضه الامور الى باريها كما قال غير انى فهو استثناء
منقطع فوضت امرى فى ذلك كله الى الله الفاعل لما يشاء و
المقدر لما يريد لا يسأل عما يفعل وهم يسألون وتفويضى الامور
الى من هو مقدرها ومدبرها براء اى مبرئ للمفوض كذلك اعتماد
على شئ من حوله وقوته وذلك متعين على كل مسلم فضلا عن كامل
ومن ثم قال صلى الله عليه وسلم لا حول ولا قوة الا بالله هى براءة من
الشرك وكنز من كنوز الجنة وفى فوضت وتفويضى جناس
الاشتقاق وجملة وتفويضى الخ تذييل رب للتقليل يوم بكربلاء
مسيء باعتبار ما وقع فيه من قتل الحسين ومن معه بها خففت
بعض وزره اى ثقل ذلك الخطب الجسيم والمصاب العظيم على النفوس
التى عندها غيرة لآل البيت النبوى الزوراء فيهما مع
ووزره شبه اشتقاق وهى ناحية ببغداد اى ما وقع من خلفائها
بنى العباس الذين هم من جملة آل البيت من اخذهم بعض ثأر ابن
عمهم الحسين وغيره من آل البيت بالخروج على بنى امية لانهم
غالوا وجاروا ولم يراقبوا الله ولا رسوله طرفة عين فى آل
البيت الطاهرين المطهرين الكاملين المكملين الجامعين بين
العلوم الشرعية والمعارف الربانية والاسرار الالهية والكرامات
الباهرة والمعالى الفاخرة ثم نزع الخلافة منهم بعد ان نصرهم
الله عليهم فقتلوهم شر قتلة كما قال ولا اعادى الذين هم
اولئك الفسقة الفجرة كان كل طريح اى مطروح منهم الى الارض
بولوق السيوف ولوامع الاسنة الموجبة لتوالى الحتوف الزق
المنتفخ الملقى بالارض الذى حل عنه الوكاء وهو ما يشد به رأس
الزق ولا زالوا يتبعونهم حتى قطعوا دابرهم عن آخرهم فقطع
دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين وهذه القصة
مبسوطة فى التواريخ كتاريخ الخلفاء للسيوطى ثم فى اختصارى
له فعليك بطلبها من محلها ان شئت يا آل فهو منادى واصله

اهل ابدلت الهاء همزة ساكنة وقبلها همزة متحركة فابدلت الساكنة
الفا على القاعدة ولا يضاف آل الا الى الاشراف كما هنا وانما قيل آل فرعون
لانه كان متصورا بصورة الاشراف بيت النبي وعن آنفا طبتم اصولا بيانهم
ونفوسا وافعالا واقوالا واوصافا وظاهر النظم ان المراد بالطيب
في عبر بريحانتين طيبهما منك غير المراد به هنا وهو محتمل ويحتمل انه في
الموضعين للطيب ظاهرا وباطنا وان الطيب ثم لهما وهنا للباقين
وهو الوجه لان ذاك في خصوصهما وهنا في عموم اهل البيت كما دلت عليه
الآية السابقة انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم
تطهيرا اذ هي منبع فضائلهم لاشتمالها على غرر مآثرهم والاعتناء
بشأنهم حيث ابتدئت بانما المفيدة لحصر ارادته تعالى اذهاب الرجس
عنهم وهو الاثم او الشك فيما يجب الايمان به وتطهيرهم من سائر
الاخلاق والاحوال المذمومة وفي احاديث تحريمهم على النار وهو فائدة
ذلك التطهير وغايته اذ منه الهام الانابة الى الله تعالى وادامة الاعمال
الصالحة ومن ثم لما ذهبت عنهم الخلافة الظاهرة لكونها صارت
ملكا عضوضا ولذا لم تتم للحسن عوضوا عنها الخلافة الباطنة حتى
ذهب قوم الى ان قطب الاولياء في كل زمن لا يكون الا منهم وحكمة
ختم الآية بتطهيرا المبالغة في وصولهم لاعلاه وفي رفع التجوز عنه
ثم تنوينه تنوين التعظيم والتنكير المشير الى انه تطهير بديع ليس
من جنس ما يتعارف ويؤلف ثم اكد صلى الله عليه وسلم ذلك بتقوله
وقد جعل على علي وفاطمة والحسنين كساء وقرأ الآية اللهم هؤلاء
اهل بيتي اذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا ثلاثا وصح حديث ان مثل
اهل بيتي مثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها هلك وحديث
خيركم خيركم لاهلي من بعدي وحديث سألت ربي ان لا اتزوج الى احد
من امتي ولا يتزوج الى احد من امتي الا كان معي في الجنة فاعطاني
ذلك وحديث واحبوني لحب الله واحبوا اهل بيتي لحبي وحديث انا
حرب لمن حاربهم وسلم لمن سالمهم قاله لعلي وفاطمة وولديهما
وحديث ان لكل بني اب عصبة ينتمون اليها الا ولد فاطمة فانا وليهم

وعصبتهم

وعصبتهم وعترتي خلقوا من طينتي ويل للمكذبين بفضلهم من احبهم
احبه الله ومن ابغضهم ابغضه الله وحديث والذي نفسي بيده لا
يبغضنا اهل البيت احد الا اكبه الله في النار فطاب المدح لي فيكم
وان لم استوف واجب حقكم ومعاني شرفكم لان الله ورسوله
اثنى عليكم بما تنقطع الاعناق دون الوصول الى غايته والاحاطة
بشيء من نهايته وطاب لي فيكم الرثاء وهو تعداد محاسن موتاكم
وفي طبتم وطاب الاشتقاق والمدح والرثاء الطباق انا حسان
مدحكم اي انا المشبه في الاعتناء بمدحكم على اقصى ما يمكن من وجوه
البلاغة وقوانين الفصاحة بحسان بن ثابت شاعر رسول الله
صلى الله عليه وسلم الذي كان ينصب له منبر في مسجده ينافح عليه
كفار قريش ويرد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ويدعو بقوله له
اللهم ايده بروح القدس ومن بلاغته انه لما اراد ان يهجو قريشا
اخبره النبي صلى الله عليه وسلم بانه ما من بطن من بطون قريش
الا وله اليها قرابة فقال لاسلنك منهم كما تسل الشعرة من العجين
وراه عمر رضي الله عنه ينشد شعرا في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم
فنظر اليه شزرا فقال لقد كنت انشد فيه بين يدي من هو خير منك
وهو يقول اللهم ايده بروح القدس ثم استشهد ببعض الصحابة
على ذلك فشهدوا له به فاذا نحت اي رفعت صوتي بالبكاء عليكم
فانني الخنساء بنت عمرو بن الشريد من سراة قبائل منهم قيس
غيلان قيل قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم مع قومها
بني سليم الموالين له صلى الله عليه وسلم ولذا حضر معه منهم يوم
فتح مكة وحرب حنين الف رجل ونظرت عايشة رضي الله عنها
عليها ثوب الحزن فاخبرتها بانه صلى الله عليه وسلم نهى عنه فاعتذ رت
بانها لم تعلم بالنهي ثم ذكرت سببه وهو ان زوجها افتقر فسألت
اخاها فقاسمها ماله فافتقر فسألته فقاسمها ماله ثم الثالثة
كذلك ثم الرابعة كذلك فعتبته زوجته فاجابها بانها كفته
عارها ولو هلك مزقت خمارها ولبست من شعر صدارها قالت فلما

ملكت لخنت هذا الثوب قيل لجرير من اشعر الناس قال انا ولولا هذه
قيل لها بم فضلتك قال بقولها ۹ ان الزمان وما تفنى عجايبه
ابقى لنا ذنبا واستوصل الراس ... ابقى لنا كل مجهول وفجعنا
بالحالمين فهم هام وارماس ... ان الجديدين فى طول اختلافهما
لا يفسدان ولكن يفسد الناس ... واجمع علماء الشعر انه لم تكن امرأة
قبلها ولا بعدها اشعر منها اى فانتى مشتبهما فى نوحها على اخيها ورثائها
له بالمعانى البديعة والمبانى البليغة ومجامع الثناء وجوامع الرثاء ومنه ۹
الا يا صخر ان ابكيت عينا ... لقد اضحكتنى دهرا طويلا
الى ان قالت ۹ ... اذا قبح البكاء على قتيل
رأيت بكاءك الحسن الجميلا ... ومنه ايضا ۹
يؤرقنى التذكر حين امسى ... ويردعنى عن الاخوان نكسى
على صخر واى فتى كصخر ... ليوم كريهة وطعان خلس ... ثم قالت
وما يبكين لمثل اخى ولكن ... اعزى النفس عنه بالتأسى

ومنه

اعينى جودا ولا تجمدا ... الا تبكيان الفتى السيدا
الا تبكيان لصخر الندى ... الا تبكيان الجرى الجيدا
طويل النجاد رفيع العما ... دساد عشيرته امردا
ومنه ۹ ... وان صخرا لتأتم الهداة به
كأنه علم فى رأسه نار ... سأل الخليفة المهدى المفضل
عن افخر بيت قالته العرب فذكر له هذا فاعطاه ثلاثين الف
درهم بعد ان شكا ان عليه دينا عشرة آلاف درهم ورآها عمر تطوف
باكية لاطمة خدها معلقة نعل صخر فى خمارها فوعظها فقالت
رزئت فارسا لم يرزأ احد مثله فقال فى الناس من هو اعظم رزأ
منك وان الاسلام قد غطى ما كان قبله وان ذا لا يحل لك فلطمت وجهك
ولا كشف رأسك فكفت وحضرت حرب القادسية مع بنيها اربعة
رجال فحرضتهم على الثبات ابلغ تحريض ثم قالت فاذا رأيتم الحرب
قد شمرت عن ساقها وجللت نارا على اوراقها فتيمموا وطيسها

وجالدوا

وجالدوا رئيسها تظفروا بالنعيم والكرامة فى دار الخلد والمقامة
فتقدموا حتى قتلوا كلهم فقالت الحمد لله الذى شرفنى بقتلهم
وارجوا ان يجمعنى بهم فى مستقر الرحمة وكان عمر رضى الله عنه
يعطيها ارزاقهم لكل مائتان حتى قبض رضى الله عنه وعنهم
سدتم الناس اما الحسنان وذريتهما فالمراد بالناس بالنسبة اليهم
الكل لكن بالنسبة لما فيهم من البضعة الكريمة التى لا يعادلها شئ
واما بقية آل البيت فالمراد بالناس بالنسبة اليهم من عدا الصحابة
هذا كله بالنظر الى السيادة بالتقى فهو خاص بالمتقين منهم وخصهم
بذلك لكونه جاء عن كثير منهم من التقوى والزهد والعبادة والعلم
والمعرفة ما لم يجئ عن غيرهم وبهذا يجاب عما يورد على النظم ان
السيادة من حيث التقى لا تختص بهم والكلام انما هو فيما اختصوا
به ووجه الجواب تميزهم على اكثر الناس بتقى لم يصل اليه غيرهم و
المعنى كما سدتم الناس بالنسب سدتموهم بزيادة التقى الذى لا يوجد
فى غيركم ومن ثم ان جماعة قالوا ان القطب لا يكون الا منهم ومع ذلك
كله ففى النظم ايهام الا ان يقال سيادتهم الناس بالنسب اشهر من
ان تذكر ودليل الاول اعنى السيادة من حيث النسب الذى هو
اشرف الانساب آية المباهلة قال بعض محققى المفسرين فيها
لا دليل اقوى من هذا على فضل فاطمة وعلى وابنيهما رضى الله عنهم
اى لانها لما نزلت دعاهم صلى الله عليه وسلم فاحتضن الحسين واخذ
بيد الحسن ومشت فاطمة خلفه وعلى خلفها فعلم انهم المراد
من الآية وان اولاد فاطمة وذريتهم يسمون ابناءه وينسبون اليه
نسبة حقيقية نافعة فى الدنيا والآخرة ويدل لذلك ما صح انه
صلى الله عليه وسلم خطب فقال ما بال اقوام يقولون ان رحم
رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ينفع قومه يوم القيمة بلى والله
ان رحمى موصولة فى الدنيا والآخرة الحديث واخرج الطبرانى
فى حديث ان الله عز وجل جعل ذرية كل نبى فى صلبه وان الله
تعالى جعل ذريتى فى صلب على بن ابى طالب وروى عنه نحو ذلك

النظر الى النسب واما تقى

من طرق وفي بعضها زيادة اذا كان يوم القيمة دعي الناس باسماء
امهاتهم سترا من الله عليهم الا هذا وذريته فانهم يدعون باسمائهم
لصحة ولادتهم وذكر ابن الجوزي ذلك في العلل المتناهية ورد
بان كثرة طرقه ترقيه الى درجة الحسن بل الصحة ويؤيده ما صح
عن عمر سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول كل سبب ونسب ينقطع
يوم القيمة ما خلا سببي ونسبي وفي رواية زيادة الصهر والحسب
وكل بني انثى عصبتهم لابيهم ما عدا ولد فاطمة فاني انا ابوهم
وعصبتهم وجاء في حديث آخر بسند رجاله من اكابر اهل البيت ان
عمر قال ذلك لما زوجه علي بنته من فاطمة ام كلثوم وانكار جماعة
من متأخري اهل البيت ان عليا لم يزوجها لعمر ليس في محله واقرار
الصحابة لعمر على هذا الاسناد لا لصريح في تزويجها عارضه من اقاويل
شاذة في هذه المسئلة لاسيما ما لبعض بني امية في ذلك ودليل
الثاني اعني النظر الى السيادة بالتقوى ما صح انه لما نزل قوله
تعالى وانذر عشيرتك الاقربين دعا صلى الله عليه وسلم جميع بطون
قريش فعم وخص وقال للكل لا اغني عنكم من الله شيئا غير ان لكم
رحما سابلها ببلالها اي سأصلها بصلتها ومعنى ذلك انه لا يملك
لاحد نفعا ولا ضرا لكن الله يملكه نفع اقاربه بل وامته بشفاعته
الخاصة والعامة واخرج الطبراني حديث ان اهل بيتي هؤلاء يرون
انهم اولى الناس بي وليس كذلك ان اوليائي منكم المتقون من كانوا
حيث كانوا وصحح الحاكم حديث وعدني ربي في اهل بيتي من اقر منهم
بالتوحيد ولي بالبلاغة ان لا يعذبهم واخرج احمد حديث والذي
بعثني بالحق نبيا لو اخذت بحلقة الجنة ما بدأت الا بكم وجاء في احاديث
ضعيفة ان فاطمة احصنت فرجها فحرمها الله وذريتها على النار
وفي رواية ان عليا قال يا رسول الله لم سميت فاطمة قال لان الله
فطمها وذريتها عن النار نعم اخرج الطبراني بسند رجاله ثقات
ان الله غير معذبك ولا احد من ولدك وورد يا عباس ان الله
غير معذبك ولا احد من ولدك ولا ينبغي لاحد من آل البيت ان يغتر

ذلك

بذلك لانه استفيد من قوله صلى الله عليه وسلم في الحديث السابق
ان اهل بيتي هؤلاء يرون انهم اولى الناس بي وليس كذلك ان اوليا (في منكم)
المتقون الخ وحديث البخاري ومسلم ان آل بني فلان ليسوا لي باولياء
انما وليي الله وصالح المؤمنين ان نفع رحمه وقرابته وشفاعته
للمذنبين من اهل بيته وان لم ينتف لكن ينتفي عنهم بسبب عصيانهم
ولاية الله ورسوله لكفرانهم نعمة قرب النسب اليه صلى الله عليه وسلم
بارتكابهم ما يسوءه صلى الله عليه وسلم عند عرض عملهم عليه ومن ثم
يعرض صلى الله عليه وسلم عن بعض من يقول انه منهم في القيمة يا محمد
بريد ان يشفع له فيقول لا املك لك من الله شيئا كما في الحديث وتأمل قول
الحسن بن الحسن السبط رضي الله عنهما لبعض الغلاة فيهم ويحكم احبونا (لله)
فان اطعنا الله فاحبونا وان عصينا الله فابغضونا ويحكم لو كان الله
نافعا بقرابة من رسول الله صلى الله عليه وسلم بغير عمل بطاعته لنفع
بذلك من هو اقرب اليه منا ابي كابي طالب والله اني لاخاف ان يضاعف
للعاصي منا العذاب ضعفين وان يؤتى المحسن منا الاجر مرتين وكانه
اخذ ذلك من قوله تعالى يا نساء النبي من يأت منكن بفاحشة مبينة
يضاعف لها العذاب ضعفين وقال موسى بن علي بن الحسين بن
علي عن ابيه عن جده انما شيعتنا من اطاع الله وعمل اعمالنا وبه يعلم
ان الفرقة المسماة بالشيعة ليسوا من شيعة اهل البيت وانما هم من
شيعة ابليس لعنهم الله كما في الحديث الذي رواه الدارقطني وقال
انه له عنده طرق كثيرة يا ابا الحسن انت وشيعتك في الجنة وان قوما (معا)
يزعمون انهم يحبونك يصغرون الاسلام ثم يلفظونه يمرقون منه كما يمرق
السهم من الرمية لهم نبز يقال لهم الرافضة فان ادركتهم فقاتلهم
فانهم مشركون وفي رواية قالوا يا رسول الله ما العلامة فيهم قال
لا يشهدون جمعة ولا جماعة ويطعنون على السلف وسواكم الذين
يدعون سادة ويتمون عليكم كسفهاء بني امية والمراد وسواكم اي
غيركم الذين لم يعملوا بعملكم لا سيادة لهم في الدين اصلا بل ولا في
الدنيا عند الكمل وانما سودته عند الجهال مثلة وافرد الضمير

نظراً للفظ سوى **البيضاء** اى الفضة **والصفراء** اى الذهب اى
طمع الناس فى ماله فتخصيص هذين لشدة الاحتياج والتطلع اليهما
اكثر من غيرهما وفى سندتهم وسودتة الاشتقاق والبيضاء والصفراء
التدبيج **و**اقسم عليك **باصحابك** جمع صاحب وهو من اجتمع مؤمنا ولو
طفلا واعمى بالنبى صلى الله عليه وسلم فى حياته مؤمنا به ومات مؤمنا
وحذف الشارح كشيخه الجلال المحلى رحمهما الله هذا الاخير فيه نظر
وابهام وان وقع فى صنيع احمد بن حنبل رضى الله عنه فى مسنده ما
يؤيد ذلك كما بينته فى محل آخر **الذين هم بعدك فينا الهداة** اى الدالّ
للامة على الله بما يجب له ويجوز ويستحيل عليه وعلى رسوله كذلك
وعلى شريعته وعلى تهذيب النفوس وكمال الاخلاق والجهاد فى الله.
وغير ذلك مما يليق بكل ما ذكر وهذا مقتبس من قوله صلى الله عليه وسلم
اصحابى كالنجوم بايهم اقتديتم اهتديتم واستخلص من هذا المقام لخص
افراده بذلك فقال اقتدوا باللذين من بعدى ابى بكر وعمر **والاوصياء**
اى الذين وصيتهم بالقيام بامور الدين والمجاهدة عليها ففتحوا
الامصار والبلاد وساسوا الامة ونشروا فيها علوم الكتاب
والسنة حتى خضعت الرؤس لمعاليهم وباد اهل الزيغ عن آخرهم فلم
يبق منهم رئيس ولا مرؤس وانما جعلت الاوصياء على ما ذكر ردا على
من زعم انه صلى الله عليه وسلم لم يوص فى امر الخلافة بشئ صريح
والا لهلكت الامة لو خالفوا ذلك النص فاقتضت المصلحة العامة
وشفقته صلى الله عليه وسلم على امته ان لا ينص عليها صريحا وانما اشار الى
انها لابى بكر باشارات تقرب من التصريح كما بينتها فى الكتاب السابق
ذكره ولعل تلك المصلحة التى ذكرناها فى عدم التصريح هى التى
ظهرت له صلى الله عليه وسلم لما طلب فى مرض موته دواة وقرطاسا
ليكتب فيه ما لا يضلون معه فكثر عنده اللغط فمن مريد الكتابة
ليقع التصريح وينقطع العذر ومن مريد عدمها كعمر رضى الله عنه
خشية من مخالفة النص المؤدية الى هلاك المخالف فلذا ترك صلى الله
عليه وسلم الكتابة والدليل على انه انما ترك لمصلحة انه مكث بعد ذلك

المجلس

المجلس اياما ولم يذكر ذلك ولا طلبه ولو كان فيما طلبه مصلحة عائدة
على احد لم يترك ذكره وان وقع اعظم مما وقع فكونه لذلك اوضح
دليل على ما تقرر **احسنوا بعدك** اى بعد وفاتك **الخلافة** عنك **فى
الدين** بالقيام بجميع ما يجب ويحسن من رعاية الامور الظاهرة
والباطنة حيث اجمعوا على استخلاف ابى بكر رضى الله عنه وكرم وجهه
ثم على استخلافه لعمر ثم على استخلاف اصحاب الشورى لعثمان ثم على مبايعة
على ثم ابنه الحسن ثم بعد نزول الحسن لمعاوية على ولاية معاوية
رضى الله عنهم وحيث نصبوا كلهم نفوسهم لمجاهدة الاعداء ولنشر العلوم
التى تحملها عنهم التابعون ثم من بعدهم جزاهم الله عن الاسلام والمسلمين
خيرا **وكل منهم لما تولى** فى حياته صلى الله عليه وسلم وبعد وفاته من
الخلافة او الامارة او القضاء او تجهيز الجيوش وحفظ الثغور
والحصون وغير ذلك من امور الدنيا والدين على ان جميع امورهم انما
كانت للدين لا غير **ازاء** بكسر الهمزة وفتح الزاى كالكتاب اى قيم بما تولاه
اهل له فى اى بقعة او زمن كان كيف وهم جميعهم عدول كما نطق
به القرآن ومن وقعت منهم له هفوة فقد كفرت عنه بحد او توبة
هم **اغنياء نزاهة** اى من جهة النزاهة والتعفف عن جمع المال
وان كان من جهة يقطع بحلها لان محط نظرهم انما هو التجرد المطلق
عن سائر القواطع عن الله تعالى وقد قال صلى الله عليه وسلم ليس الغنى كثرة
العرض اى المال وانما الغنى غنى النفس اى باسه عما سواه اى سواء كان
بيدها مال ام لا ومن كان منهم بيده مال كابن عوف وعثمان والزبير
فانما كان خازنا لله يصرفه فى مصارفه الشرعية فهو مقتنيه لذلك
لا للفخر ولا للمباهاة ولا لمحبة جمع لذلك الحطام الفانى ولذلك جاء
ان عبد الرحمن بن عوف اعتق ثلاثين الف رقبة وتصدق هو
وعثمان فى غزوة تبوك بما يبهر العقل وكان للزبير الف عبد
تؤدى اليه الخراج وما مات الا وعليه قدر كثير جدا من الديون
وكون المخلف عن ابن عوف ربع ثمنه ثمانون الف دينار
لا ينافى ما تقرر انه انما كان خازنا لله لان الخازن لله ليس عنده

انه يخرج جميع ما في يده دفعة بل يبقيه ويخرج منه ما هو المطلوب
منه في كل حال او زمن واما اخراجه صلى الله عليه وسلم لجميع ما كان
يدخل في يده دفعة فهو اما لاحتياجه لذلك لسد ضرورات اصحابه
او لان حاله في الامور الخارقة للعادة لا يقدر غيره على التأسي به
فيها فلا يكلف بذلك وتخلف ابن عوف عن الفقراء في دخول
الجنة الوارد انما لكونه يقف ليشفع او ليسأل سؤال تكريم عما
انعم به عليه وجبر لخاطر الفقراء بذلك وكل ذلك غير قادح
في فضله رضي الله عنه هم **فقراء** اي غالبهم بل كلهم لان ذوي الغنى
منهم كانوا خزانا لله كما مر فلا يعدون من الاغنياء الا باعتبار
الصورة واما باعتبار الحقيقة فهم على غاية من الافتقار الى الله
تعالى ببواطنهم وظواهرهم لا يشهدون لنفوسهم مالا ولا غنى وانما
يعدون انفسهم خزنة لا غير وبما تقرر في معنى غناهم وفقرهم
يعلم ان الغني الشاكر افضل من الفقير الصابر وهي مسئلة كثر الاختلاف
فيها والحق منه ما قررته لما علمت ان الغنى هو الذي ختم به امره صلى
الله عليه وسلم وهو كان دائم الترقي في الكمالات فلولا ان الغنى مع
الشكر افضل من الفقر مع الصبر لما ختم له به قيل ومحل الخلاف في الفقر
مع الصبر كما تقرر واما الفقر مع الرضا فهو افضل قطعا انتهى وفيه
نظر واضح لانه صلى الله عليه وسلم كان في ابتداء امره مع فقره على غاية
من الرضا لم يصل اليها غيره ومع ذلك لم يختم له الا بالغنى مع الشكر
كما تقرر وبفرض هذا القول فغالب فقراء الصحابة يفضلون اغنياءهم
لانهم راضون بفقرهم قطعا وبين الاغنياء والفقراء التضاد وكذا بين
ايمة وامراء وبين الرخص والاغلاء الاتي اتباعهم **علماء ايمة** لانهم ورثوا
من علومه صلى الله عليه وسلم ما تميزوا به على جميع من جاء بعدهم وفي الحديث
اصحابي كالنجوم بايهم اقتديتم اهتديتم وهذا بالنسبة لاكثرهم
والا فقد جاء ان الحسن البصري كان يفتي الصحابة في زمنه وقد قال
صلى الله عليه وسلم في الحديث المتفق عليه في خطبة الوداع رب مبلغ
اي بفتح اللام اوعى من سامع هم **امراء** اي كثيرون تولوا الامارة في زمن

رسول

رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم في زمن الخلفاء الراشدين فقاموا
بحقوقها وابروا وعدلوا او عزموا ثم لما رمى بعض المتهورين سعد
ابن ابي وقاص رضي الله عنه لما كان اميرا على الكوفة بعدم العدل
فيهم دعا عليه بدعوات استجيبت فيه عاجلا حتى صار عبرة للناس
ومنها ان الله يطيل عمره ويعرضه للفتن فكان وهدب حاجبيه
قد سقط على عينيه من الكبر يتعرض للجواري في الاسواق ويقول شيخ
سوء اصابته دعوة العبد الصالح سعد رضي الله عنه ومما يدل
على انهم اغنياء نزاهة لا غير انهم **زهدوا في الدنيا** بضم الدال
وحكى ابن قتيبة كسرها فعلى من الدنو اي القرب لسبقها للاخرى
وقيل لدنوها من الزوال وهي ما على وجه الارض وقيل كل
المخلوقات من الجواهر والاعراض وتطلق على كل من ذلك مجازا لكنها هنا
فان المراد بها هنا الاموال وتوابعها من نحو الجاه والكبر والفخر
والخيلاء ولفظها مقصور بلا تنوين حيث لا لام فيها وحكى
تنوينها واستشكل ابن مالك استعمالها منكرة كما في الحديث واجاب
بانها انخلعت عنها الوصفية واجريت مجرى ما لم يكن وصفا قط
كرجعى ثم ان الصحابة رضوان الله عليهم في الزهد فيها وهو
اخذ ما يحتاج اليه من الحلال وترك ما لا يحتاج اليه منه على قسمين
فاكثرهم ترك السعي في تحصيلها بالكلية واشتغل بالعلوم والمعارف
ونشرها وبالعبادات حتى لم يبق من اوقاته شيء الا وهو مشغول
بشيء من ذلك وكثير منهم حصلوها لكن كانوا فيها خزانا لله تعالى كما مر
وهذا لا ينافي زهدهم فيها لانهم لم يمسكوها لانفسهم بل لاخراجها
على مستحقيها بحسب نظرهم واجتهادهم واذا تقرر ان زهدهم
بقسميه فيها حقيقي **فما عرف الميل اليها منهم** بنوع التفات ولا
اقبال لحقارتها في اعينهم **ولا الرغباء** اي الزيادة في تحصيلها وهذا
علم من نفي الميل بالاولى فذكره مجرد ايضاح وفيه من البديع ذكر
النظير والتذييل ولا ينافي هذا ثناؤه صلى الله عليه وسلم على المال
بقوله نعم المال الصالح في يد الرجل الصالح ودعاؤه به لانس من الصحابة

كابن عوف وانس وغيرهما فكثرت اموالهم جدا لان المال له جهات جهة
خير تصرفه في الطاعات والاعانة به على قيام امور الديانات
وبالنظر اليها يثنى عليه وجهة شر تصرفه في ضد ذلك وبالنظر
اليها يذم ويقبح ولهذا قال صلى الله عليه وسلم في الحديث الوارد
بسند حسن خلافا لمن وهم فيه اللهم من احبني فاقلل ماله وامت
ولده الحديث وقد بسطت الكلام على ذلك مع استيعاب ما ورد
في مدح الدنيا وذمها والجمع بين تلك الاحاديث في كتابي سعادة
الدارين في صلح الاخوين بما لا يستغني عن مراجعته ارخصوا في الوغى
اي بسبب الحرب الواقع منهم لاعدائهم في الوقايع المشهورة وقرانه
اطلاق الوغى على الحرب مجاز لا حقيقة نفوس ملوك كثيرا حاربوها
بقوة عزم وشدة حزم وصدق نية واخلاص طوية فنصرهم الله
عليهم بقتل بعضهم تارة وازالة ملك آخرين اخرى اسلابها بفتح الهمزة
جمع سلب بفتح اللام وهو ثياب القتيل وفرسه وما عليها من الات
السلاح والنقد وجنيبة تقاد بين يديه وليس المراد خصوص
جمع القلة لانه جمع مضاف للملوك الذي هو جمع الكثرة واضافة
الجمع تفيد عمومه اما في الافراد وهو التحقيق او في الجموع وعليه كثيرون
اغلاء بكسر الهمزة اسم مصدر لغلا السعر بمعنى اسم الفاعل اي غالية
الاثمان وفي بعض النسخ ضبطه بفتح الهمزة وكانه جمع غال كداء
وادواء وبه يندفع قول الشارح لا وجه له انتهى بل وجهه اظهر
من الاول لان حمل المصدر واسمه على الجمع يحتاج لتاويل كما اشرت
اليه بخلاف حمل الجمع على الجمع واما قوله على المعنى الاول ان المعنى انه كما
كان القتل ارخاصا للنفوس كان الاسلاب باخذها اغلاء للاسلاب
وقال قبله على المعنى الاول ايضا وكان مراد الناظم يقول انهم كما
ارخصوا نفوس محاربيهم بالقتل فقد اغلوا اسلابهم بواسطة كثرة
ما سلبوه واجتمع عندهم من الاسلاب فقابل بين ارخاص
الانفس واغلاء الاموال التي هي الاسلاب المأخوذة ممن قتلوه لكثرة
من قتلوه وسلبوه انتهى ففي كل من المعنيين بعد وخفاء والوجه ان المعنى

عليه

عليها انهم كما ارخصوا تلك النفوس عوضهم الله تلك الاسلاب الغالية
الاثمان على حد رجل عدل اي عادل او رجال عدل اي عادلون فكما
ان المصدر هنا اول باسم الفاعل فكذا ما نحن فيه يؤول الاغلاء
بالغالية وهذا هو المعنى على فتح الهمزة فيساوي المكسور المفتوح
كلهم في احكامه جمع حكم والحكم الشرعي خطاب الله تعالى المتعلق بفعل
المكلف بالاقتضاء او التخيير وحكم الحاكم يظهر ذلك ويطلق ايضا عند
الاصوليين على النسب التامة المثبتة تارة والمنفية اخرى كما في
قولهم الفقه العلم بالاحكام الشرعية وهذا هو المراد هنا خلافا لما يوهمه
كلام الشارح ذو اجتهاد صحيح لتوفر شروط الاجتهاد كلها في
جميعهم بزيادة ولذلك لم يعرف عن احد منهم انه قلد غيره في مسئلة
من المسائل وكان الناس يستفتون كل من راوه منهم فيفتيه بالاجتهاد
ولا يعترض احد منهم على احد الا ان كان هناك نص صريح خولف
فيذكر لهم فمنهم من يرجع اليه ومنهم من يؤوله او يعارضه بمثله
وهذا رد على قوم سلبهم الله الدين والعقل وسلط عليهم الحمق
والجهل فاعتقدوا انهم ذووا هوى وعلو نفس وحظ او بغض حاشاهم
الله عن ذلك بل لم يخترهم لصحبة نبيه الا وهم على اكمل الاوصاف
واجلها وذو صواب يعني وذو ثواب ولو عبر به لكان اولى
لان ابقاءه على حقيقته انما يتأتى على القول الضعيف ان كل
مجتهد مصيب وان حكم الله تابع لظن المجتهد اما على الاصح
ان المصيب واحد وان له اجرين كما صح به الخبر او عشرة اجور
كما في رواية وللمخطئ اجرا واحدا كما صح به الحديث ايضا فلا يقال
كلهم ذو صواب بل صوابه ذو ثواب كما تقرر فتامله فعلى
الاول كل من علي ومعاوية رضي الله عنهما مصيب وعلى الثاني
علي مصيب له اجران او عشرة اجور ومعاوية في خروجه على علي
مخطئ له اجر واحد والاجتهاد بذل الوسع في تحصيل المقصود
ثم ان وافق ما عند الله فصواب والا فخطأ فان قلت
يمكن تاويل النظم بان مراده ذو صواب عند نفسه باعتبار

انه يتحتم عليه العمل بما ظنه وان لم يكن صوابا في نفس الامر قلت في
هو تأويل بعيد وعلى ان هذا لو كان مراده لم يسغ له فيه هذا الاطلاق
الموهم **وكلهم اكفاء** اي مكافئون في اصل الصحبة والفضيلة والعلم و
الاجتهاد وابرازه الاحكام لله لا لحظ ولا لهوى وانما يتفاوتون
في الزيادة في ذلك وحينئذ فلا ينافي ذلك قول ابن عمر ابو بكر اعلمنا
ولا سؤال عمر لعلي فيجيبه فيقول لا اقدس الله امة لست فيها يا ابا
الحسن ولا تقديم عمر ابن عباس على اكابر مشيخة المهاجرين والانصار
لانه كان يجد عنده من العلم ببركة دعاء النبي صلى الله عليه وسلم له اللهم
فقهه في الدين وعلمه التأويل ما ليس عندهم ولا سؤال معاوية
لعلي بالارسال اليه في المشكلات فيجيبه ولقد قال له احد ابنيه
لم تجيب عدونا فقال اما يكفينا ان احتاج الينا وسألنا واجمعوا
على ان افضل الناس بعد الانبياء ابو بكر ثم عمر ثم علي والاصح عثمان
ثم علي ثم بقية العشرة المبشرين بالجنة ثم اهل بدر ثم اهل بيعة
الرضوان وقيل اهل احد **رضي الله عنهم ورضوا عنه** اقتباس من
قوله تعالى والسابقون الاولون الى ان قال رضي الله عنهم ورضوا
عنه ورضاء الله عن العبد تأمينه من سخطه واحلاله تعالى
كرمه ورضاء العبد عنه ان لا يختلج في سره ادنى حزازة من وقوع
قضاء من اقضية الحق به بل يجد لذلك في قلبه برد اليقين وثلج
الصدر وشهود المصلحة العظمى وزيادة الطمأنينة وبين
رضي ورضوا اشتقاق كخطى وخطاء الآتيين **ف**بسبب ما ذكر
من اوصافهم وختمها في الآية في حقهم **انى** استفهام انكاري تعجبي
اي كيف **يخطو اليهم** اي يصل اليهم اذ الخطوة ما بين القدمين **خطاء**
وهو نقيض الصواب يعني لا يخطي احد منهم خطاء يأثم به لما مر
انهم كلهم مجتهدون وان المجتهد اذا اخطأ له اجر وهذا كالذي
قبله مأخوذ من عدة احاديث ذكرتها في الصواعق السابق ذكره
مع ذكر مخرجيها وهنا اذكر منها جملة عارية عن ذلك اتكالا على
اسانيدها ثم منها ان الله اختارني واختار لي اصحابا فجعل لي

منهم وزراء وانصارا واصهارا فمن سبهم فعليه لعنة الله
والملائكة والناس اجمعين لا يقبل الله منهم يوم القيمة صرفا
ولا عدلا اي فرضا ولا نفلا وفي رواية فمن حفظني فيهم حفظه
الله في الدنيا والآخرة ومن لم يحفظني فيهم تخلى الله عنه ومن
تخلى الله عنه يوشك ان يأخذه اذا اراد الله برجل من امتي خيرا
القى حب اصحابي في قلبه اصحابي كالنجوم بايهم اقتديتم اهتديتم
الله الله في اصحابي لا تتخذوهم غرضا بعدي فمن احبهم فبحبي
احبهم ومن ابغضهم فببغضي ابغضهم ومن آذاهم فقد آذاني
ومن آذاني فقد آذى الله ومن آذى الله يوشك ان يأخذه ما
شانكم وشان اصحابي ذروا لي اصحابي فوالذي نفسي بيده (ذروا الى اصحابي)
لو انفق احدكم مثل احد ذهبا ما ادرك مثل عمل احدهم يوما
واحدا وفي رواية للشيخين وغيرهما لا تسبوا اصحابي فوالذي
نفسي بيده لو ان احدكم انفق مثل احد ذهبا ما بلغ مد احدهم
ولا نصيفه من لم يحفظني في اصحابي لم يرد على الحوض ولم يرني
خير الناس قرني الذي انا فيه ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم
والباقي اراذل اي غالبهم وفي رواية متفق عليها خير القرون
قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم الحديث وهم اول داخل في
قوله تعالى كنتم خير امة اخرجت للناس ولا مقام اعظم من مقام
قوم ارتضاهم الله عز وجل لصحبة نبيه صلى الله عليه وسلم ونصرته
جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم **قوم** من الصحابة **من بعد قوم** و
هكذا السابقون الاولون ثم الذين بعدهم وهكذا الى وفاته صلى
الله عليه وسلم وكان الناظم اشار بهذا الى ما في اول صحيح البخاري
عن هرقل انه سأل ابا سفيان رضي الله عنه عن اصحاب محمد صلى الله
عليه وسلم ايزيدون ام ينقصون فقال بل يزيدون وانه هل يرتد
احد منهم سخطة لدينه فقال لا فبين له ان من شان الرسل ان
اصحابهم كذلك فعلم ان مجيء الصحابة قوما بعد قوم من علامات
نبوته صلى الله عليه وسلم واندفع ما قد يقال اي فائدة في هذه

الجملة من كلام الناظم وهل هي مجرد إخبار بواقع لا يترتب عليه
فائدة اذ لا فرق بين مجيئهم اليه دفعة او دفعات وكلهم متلبسون
بحق فلا مطعن فيهم لطاعن وما نقمه الرافضة ونحوهم عليهم
فلم يصح منه شيء اصلا وانما هو من مغالاة الجاهلين ووضع
المفترين وعلى النهج اى الطريق الواضح الحنيفي اى المستقيم الذى
لا انحراف فيه ولا اعوجاج جاؤا كلهم وتابعوهم باحسان وهكذا
لا تزال طائفة من امتى ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم
حتى يأتيهم امر الله وهم على ذلك ما لموسى كليم الله ولا لعيسى روح الله
حواريون جمع حوارى وهو الناصر وجعل ذلك علما بالغلبة على
اصحاب عيسى لانهم كانوا يحورون الثياب اى يقصرونها او من
الحوار اى الدقيق الابيض لبياض الوانهم في فضلهم بشهادة نص
آية كنتم خير امة وحديث خير القرون وفى رواية خير النا س
قرني وحديث المناجاة ان موسى رأى لهذه الامة في اللوح او صافا
باهرة فقال يا رب فاجعلني منهم ولا نقباء في فضلهم ايضا وهو
لف ونشر مشوش اذ الحواريون لعيسى والنقباء لموسى ولما
اقسم بالصحابة كلهم لجلالة اختص للعشرة المقطوع لهم بالجنة
مرتبا الاربعة الاول منهم على ترتيبهم في الافضلية والاحقية
بالخلافة فقال واقسم عليك بابي بكر الصديق رضى الله عنه
فهو عطف على بالعلوم بحذف حرف فيه ويصح انه وما بعده ابدال
تفصيلية من باصحابك الذى تميز عن سائر الصحابة بما كان كالقر ح
في انه الخليفة الحق بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وانه افضلهم
بل افضل ما عدا الانبياء والمرسلين كما صح بحديث ما طلعت
الشمس ولا غربت على احد بعد النبيين والمرسلين افضل من ابى بكر
وهو ما صح من طرق كثيرة بحيث اشتهر بل تواتر وصار معلوما
بالضرورة كما قاله الاشعرى فلذا لم يسع احدا من المبتدعة انكاره
للناس به فى حياتك الاقتداء فاعل صح والظروف متعلقة به ومن
تلك الطرق ما اخرجه الشيخان اشتد مرض النبى صلى الله عليه وسلم

فقال

فقال مروا ابا بكر فليصل بالناس فقالت عائشة رضى الله عنها
يا رسول الله انه رجل رقيق اذا قام مقامك لم يستطع ان يصلى
بالناس فقال مروا ابا بكر فليصل بالناس فعادت فقال مرى
ابا بكر فليصل بالناس فانكن صواحب يوسف فاتاه الرسول
فصلى بالناس في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم وفى رواية
انها لما راجعته فلم يرجع لها قالت لحفصة قولى له يأمر عمر فقالت
له فاشتد غضبه فقال مروا ابا بكر وفى اخرى ان الحامل لعائشة
على ذلك خوفها تشأم الناس به بقيامه مقام رسول الله صلى الله
عليه وسلم فى مرضه الذى مات فيه وفى اخرى انه امرهم بالصلوة و
كان ابو بكر غائبا فتقدم عمر فكبر وكان صيتا فقال صلى الله عليه وسلم
بعد ان اخرج رأسه مغضبا لا لا يأبى الله والمسلمون الا ابا بكر ثلاثا
وفى اخرى انه فجر الاثنين يوم موته كشف سجف حجرته فرآهم فى
صلوة الصبح وابو بكر يصلى بهم فتبسم ضاحكا فنكص ابو بكر
على عقبيه ظنا انه يريد الخروج اليهم وهم المسلمون ان يفتتنوا فى
صلاتهم فرحا به فاشار اليهم بيده ان اتموا صلاتكم ثم دخل الحجرة
وارخى الستر فتوفى ضحى وفى البيت التلميح الى هذه القصة قال
العلماء فيه اوضح دليل على انه افضل الصحابة مطلقا و
احقهم بالخلافة واولاهم بالامامة ومن ثم اجمعوا على ذلك لان
تقديمه بحضرة المهاجرين والانصار مع قوله يؤم القوم اقرؤهم
لكتاب الله اى اعلمهم بالقرآن صريح فى انه اعلمهم بالقرآن مطلقا
وقد استدل الصحابة انفسهم بهذا على انه احق بالخلافة ومنهم على
قال لقد امره النبى صلى الله عليه وسلم ان يصلى بالناس وانى لشاهد
وما انا بغائب وما بى مرض فرضينا لدنيانا ما رضيه النبى صلى الله عليه وسلم
لديننا ومن الحسن قول عمر قال صلى بالناس ثمانية ايام والوحى ينزل فسكت
الله وسكت رسوله وسكت المؤمنون ومن الظواهر او الصريح على خلافته
ايضا ما اخرجه مسلم انه صلى الله عليه وسلم قال لعائشة رضى الله عنها
فى مرض موته ادعى لى ابا بكر واخاك حتى اكتب كتابا فانى اخاف ان يتمنى متمن

ويقول قايل انا اولى ويأبى الله والمؤمنون الا ابا بكر وفى رواية
اكتبوا لابى بكر كتابا لا يختلف عليه احد ثم قال دعيه معاذ الله ان
يختلف المؤمنون فى ابى بكر وصح ان قوما سالوا النبى ان يسال
لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الى من يدفعون الزكاة بعده
فسأله فقال الى ابى بكر واخرج الشيخان ان امرأة اتت صلى الله عليه وسلم
فامرها ان ترجع اليه فقالت ارأيت ان جئتك فلم اجدك كانها تقول
الموت فقال ان لم تجديني فأتى ابا بكر ومنها ما اخرجه الشيخان من عدة
طرق انه صلى الله عليه وسلم رأى انه على بئر لم تطو فنزع منها بدلو فاخذ
الدلو من يده ابو بكر فنزع بها دلوا او دلوين ثم اخذها عمر من ابى بكر
فاستحالت فى يده غربا اى دلوا كبيرة فاستقى منها حتى ضرب الناس بعطن
اى حتى رووا قال العلماء هذا اشارة الى خلافة ابى بكر وقصر مدته
وطول مدة عمر وكثرة الفتوح وظهور الاسلام فى زمنه وبقيت
ادلة اخرى سمعية وآيات واحاديث كثيرة تدل على حقيقة خلافته
وانه اعلمهم وافضلهم بينتها اتم بيان فى كتابى الصواعق السابق ذكره
والمهدى اى المسكن للفتنة والاضطراب فى امر الخلافة يوم السقيفة
التى لبنى ساعدة من الانصار حين اجتمعوا بعده صلى الله عليه وسلم
فيها الى سعد بن عبادة سيد الخزرج ليولوه لما اى حين ارجف الناس
اى اضطربوا فى امر الخلافة وبين المهدى اى المسكن وارجف والقرباء
والاباعد وتقرب وتبعد المطابقة انه تعليل للمهدى ولا ينافيه
كسر ان لانها مع كونها للاستيناف قد تفيد التعليل ايضا كما صرحوا به
فى ان الحمد والنعمة لك فى التلبية الداء اى المسكن للاضطراب لا غيره
وكان مراده انه المشهور قديما وحديثا بانه يسكن الفتنة ويجلى كربتها
وفى الصحيحين عن عمر رضى الله عنه انهم لما دفنوا النبى صلى الله عليه وسلم
تخلف على والزبير ومن معهما فى بيت فاطمة وتخلفت الانصار باجمعها
فى سقيفة بنى ساعدة واجتمع المهاجرون الى ابى بكر فقال له عمر انطلق
بنا الى الانصار واطنب بحيث لم يترك آية وخبرا جاء فيهم الا ذكره
ثم ذكر ان قوما يريدون ان يستبدوا بالامر عليهم ثم سكت فاراد عمر

ان يخطب بما زوره اى جمعه فى قلبه فاشار اليه ابو بكر بالسكوت ثم
خطب واثنى على الانصار ثم بين ان الخلافة لا تكون الا فى قريش
واحتج بالحديث الصحيح الائمة من قريش ثم قال قد رضيت لكم احد
عمر او ابا عبيدة واخذ بيديهما وقال بايعوا من شئتم منهما فقام حباب
ابن المنذر وتحسر وترغم ثم قال منا امير ومنكم امير فكثر اللغط
وخيفت الفتنة فبادر عمر وقال لابى بكر ابسط يدك فبسطها فبايعه
فتبعه المهاجرون ثم الانصار فقال قايل قتلتم سعد بن عبادة
اى لانه كان به بعض مرض فقال عمر قتله الله اى لان الاجتماع
عنده ربما كان سببا للفتنة فساغ لعمر فى اجتهاده وانه بالنسبة اليه
كالشيخ بالنسبة الى تلميذه يؤدبه بما يراه ان يقول فى حقه ذلك وصح
ان عمر احتج على الانصار بامامة ابى بكر فرجعوا اعما كانوا فيه وقالوا
نعوذ بالله ان نتقدم ابا بكر ولما بايعوه صعد وجلس الغد على المنبر
فقام عمر فتكلم قبله فحمد الله ثم اثنى على ابى بكر ثم قال قوموا فبايعوه
فبايعه الناس بيعة العامة فخطب ابو بكر ثم قال وليت عليكم
ولست بخيركم فان احسنت فاعينونى وان اسأت فقومونى اطيعونى
ما اطعت الله ورسوله فاذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة
لى عليكم ثم نظر فلم ير الزبير فدعا به فجاء فتكلم عليه فقال لا تثريب
يا خليفة رسول الله فبايعه واستدل كل منهما حينئذ على حقيته
بالخلافة بانه صاحب الغار وبتقديمه للامامة وحكى ابن مسعود
وغيره ان الصحابة اجمعوا على خلافة ابى بكر لم يتخلف عنها احد
منهم ثم تبعهم من بعدهم من اهل السنة والجماعة الى الآن ثم هلم وكذا
اكثر الفرق واقيم عليك بابى بكر الفاعل لذلك حال كونه كرم الله وجهه
انقذ بالقاف المعجمة الدين وهو ما جاء به النبى الكريم صلى الله عليه وسلم
اى نجاه بازالة كل شبهة عنه واهله بازالة اسباب الفساد بينهم
بعدما مصدرية كان اى وجد للدين متعلق هو وما بعده باسمها
وهو اشفاء على كل كربة اى غم يأخذ النفس ويصح كونها ناقصة
وللدين خبرها اشفاء اى اشراف وقرب يخشى منه ان لا يجتمع للاسلام

فلم ير عليا فدعا به فتكلم عليه فقال لا تثريب يا خليفة رسول الله فبايعه نخ

بعده شمل ابدا ومن ثم قال ابو هريرة رضى الله عنه والله لولا ابو بكر ما
عُبد الله بعد محمد صلى الله عليه وسلم ابدا وايضا فكلهم يوم وفاته
طاشت عقولهم حتى تكلموا بكلمات غير منتظمة الا ابا بكر فانه كان غائبا
فلما حضر دخل وكشف عن الوجه الكريم فقبّله وقال لقد طبت حيا
وميتا لا يجمع الله عليك بين موتتين ثم خرج فتلا عليهم وما محمد الا
رسول قد خلت من قبله الرسل الى الشاكرين فلما سمعوها ردّت اليهم
عقولهم فتلوها وقالوا حتى عمر فانه انكر موت النبى وقال ذهب الى ربه
فاسكته ابو بكر فسكت فاقبل على الناس فصغوا اليه وتركوا عمر
فقال ايها الناس من كان يعبد محمدا فان محمدا قد مات ومن كان
يعبد الله فان الله حى لا يموت ثم تلا الآية فقالوا كاننا لم نسمعها
الا حينئذ فكان هو المثبت لهم حينئذ والا لم يجتمع لهم شمل
وايضا اختلفوا فى محل دفنه اختلافا شديدا كاد ان يفضى الى
الفتنة فروى لهم الحديث ان كل نبى يدفن فى المحل الذى توفى فيه
فرجعوا اليه وزال ما كان بينهم وايضا اختلفوا فى ارثه اختلافا
شديدا حتى روى لهم الحديث المشهور نحن معاشر الانبياء لا نورث
ما تركنا صدقة فرجعوا اليه وبهذا علم انه كان احفظهم للسنة
وانما سبب قلة الرواية عنه قصر مدة خلافته واشتغاله بقتال
المرتدين ومانعى الزكوة ومسيلمة الكذاب وحال كونه انفق المال
الكثير الذى كان يملكه اى صرفه فى مصارف الخير حتى نفد جميعه
فى اى بسبب ومن اجل رضاك يا رسول الله كما جاء به القرآن قال تعالى
وسيجنبها الاتقى الذى يؤتى ماله يتزكى الى آخر السورة قال ابن الجوزى
اجمعوا انها نزلت فى ابى بكر ففيها التصريح بانفاقه لماله وبانه الاتقى
وهو الاكرم بدليل ان اكرمكم عند الله اتقاكم والاكرم هو الافضل
كما صرح به الحديث الصحيح ما صحب النبيين والمرسلين اجمعين ولا
صاحب يس اى المذكور فى سورة يس وهو حبيب النجار افضل من ابى بكر
وصح حديث انه ليس فى الناس احد امنّ علىّ فى نفسه وماله من ابى
بكر ولو كنت متخذا خليلا غير ربى لاتخذت ابا بكر خليلا ولكن خلة

الاسلام افضل سدّوا عنى كل خوخة فى المسجد الا خوخة ابى بكر لانه
سيصير خليفة يحتاج الى ملازمة المسجد واخرج الترمذى حديث
ما لاحد عندنا يد الا وقد كافاناه ما خلا ابا بكر فان له عندنا يدا
يكافيه الله بها يوم القيمة وما نفعنى مال احد قط ما نفعنى مال
ابى بكر والطبرانى ما احد عندى اعظم يدا من ابى بكر واسانى بنفسه
وماله وانكحنى ابنته والترمذى رحم الله ابا بكر زوجنى ابنته
وحملنى الى دار الهجرة واعتق بلالا من ماله وما نفعنى مال فى الاسلام
ما نفعنى مال ابى بكر ولا ينافيه حديث البخارى انه صلى الله عليه وسلم
لم ياخذ منه الراحلة الى الهجرة الا بالثمن لاحتمال انه ابرأه منه وصح
انه كان بينه وبين عمر شىء فساله ان يغفر له فابى فذكر ذلك للنبى
صلى الله عليه وسلم فندم عمر فاتى منزل ابى بكر فلم يجده فاتى النبى
صلى الله عليه وسلم فجعل وجهه يتمعر حتى اشفق ابو بكر فجثا على ركبتيه
وقال يا رسول الله انى كنت اظلم منه مرتين فقال ان الله قد بعثنى
اليكم فقلتم كذبت وقال ابو بكر صدقت وواسانى بنفسه وماله
فهل انتم تاركوا لى صاحبى فما اوذى ابو بكر بعدها وفى رواية فى
قضية نظير هذه الا تدعون لى صاحبى ما شانكم وشانه فوالله ما
منكم رجل الا على باب بيته ظلمة الا باب ابى بكر فان على بابه النور ولقد
قلتم كذبت وقال ابو بكر صدقت وامسكتم الاموال وجاد لى بماله
وواسانى واتبعنى واخرج احمد وجماعة آخرون عن جماعة من الصحابة
انه صلى الله عليه وسلم قال ما نفعنى مال قط ما نفعنى مال
ابى بكر فبكى ابو بكر وقال هل انا ومالى الا لك يا رسول الله وفى رواية
عن ابن المسيب مرسلا وكان صلى الله عليه وسلم يقضى فى مال ابى بكر
كما يقضى فى مال نفسه واخرج ابن عساكر انه اسلم وله اربعون
الف دينار وفى رواية اربعون الف درهم فانفقها على رسول
الله صلى الله عليه وسلم والبغوى وابن عساكر انه كان عند النبى
صلى الله عليه وسلم وعليه عباءة قد خللها فى صدره بخلال فنزل
عليه جبريل فقال يا محمد مالى ارى ابا بكر عليه عباءة قد خللها فى صدره

بخلال فقال يا جبريل انفق ماله على قبل الفتح قال فان الله يقرأ
عليك السلام ويقول قل له أراض انت عني في فقرك هذا ام ساخط فقال
ابو بكر أأسخط على ربي انا عن ربي راض ثلاثا وسنده غريب ضعيف
جدا وفي رواية ان جبريل هبط متخللا بطنفسة ولخبر ان اهل السماء
ملائكته ان يتخللوا بها كما في بكر قال الحافظ ابن كثير وهذا منكر
جدا لولا انه كالذي قبله تيدا وله كثير من الناس لكان الاعراض عنهما
اولى وصح عن عمر أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان نتصدق
فوافق ذلك مالا عندي فقلت اليوم أسبق ابا بكر اي ما سبقته
يوما فجئته بنصف مالي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ابقيت
لاهلك فقلت مثله فاتى ابو بكر بكل ما عنده فقال يا ابا بكر ما
ابقيت لاهلك فقال ابقيت لهم الله ورسوله فقلت لا اسبقه الى
شيء ابدا **و** الحال انه **لا من** منه عليك في ما انفقه وان كثر و
انما المنة لله عليه وعلى غيره كما اعترف بذلك هو وغيره والمن
ذكر النعمة على جهة الافتخار ومن ثم حرم تحريما غليظا على نحو المتصدق
المن على المتصدق عليه بان يعدد عليه ما اعطاه له او يذكره لمن
لا يحب اطلاعه عليه قال تعالى لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى
واعطى لله عطاء **جما** اي كثيرا في وجوه الخير العامة وللمصالح الدائمة
منها اعطاؤه ثمن محل مسجد النبي صلى الله عليه وسلم كما جاء في حديث
الهجرة انه صلى الله عليه وسلم لما وصل قباء واقام بضعة عشر يوما ركب
ناقته ونهاهم ان يأخذ احد زمامها وقال دعوها فانها ناقة مأمورة
فاستمرت الى ان بركت عند محل مسجده صلى الله عليه وسلم ثم سارت
وهو عليها حتى بركت على باب دار ابي ايوب الانصاري من بني النجار
احد اخوال الجد النبي صلى الله عليه وسلم عبد المطلب وكانت دارهم
وسط دور الانصار وافضلها ثم قامت وبركت في مبركها الاول
والقت بالطرح عنقها بالارض ثم صوتت من غير ان تفتح فاها
فنزل صلى الله عليه وسلم عنها وقال هذا المنزل ان شاء الله ثم ساوم
بني النجار في تلك البقعة فاشتراها منهم بعشرة دنانير من مال ابي بكر

وكان

وكان قد خرج من ماله كله فكان له من التسبب في ذلك المسجد الاعظم
ما اقتضى وصول ثواب الجزيل لا يقدر قدره واشترى ايضا جماعة
اسلموا فعذبهم اهل مكة العذاب الاليم منهم بلال واعتقهم **ولا**
اكدى اي ولم يقطع اعطاءه بل استمر عليه حتى توفاه الله تعالى **وابي**
اي واقسم عليك بابي **حفص الذي اظهر الله به الدين** كما جاء في سبب
تسميته بالفاروق فاخرج ابو نعيم في الدلائل وابن عساكر عن ابن
عباس انه سأله عن سبب تسميته بالفاروق فذكر ان حمزة اسلم
قبله بثلاثة ايام وانه خرج الى المسجد فسب ابو جهل النبي صلى الله
عليه وسلم فاخبر حمزة فاخذ قوسه وجاء فضرب بها الحد اخذ عني
ابي جهل فقطعه فسالت الدماء فاصلحت بينهما قريش مخافة الشر
والنبي صلى الله عليه وسلم مختف بدار الارقم فانطلق حمزة فاسلم
وبعده بثلاثة ايام انكر عمر على من اسلم فقال له ان اختك وختنك
اي سعيد بن زيد احد العشرة المبشرين بالجنة قد اسلما فجاء فضرب
رأس اخته وادماه فقالت له كان ذلك على رغم انفك فاستحيا حين
رأى الدماء وجلس وسألها ان تريه الكتاب فقالت لا يمسه الا
المطهرون فاغتسل فاخرجوا اليه صحيفة فيها بسم الله الرحمن الرحيم
طه ما انزلنا عليك القرآن لتشقى الآيات فعظمت في صدره فقال
له خباب وكان النبي صلى الله عليه وسلم ارسله لتعليم اخته وزوجها
اني لارجو ان يكون الله قد خصك بدعوة نبيه صلى الله عليه وسلم
فاني سمعته امس يقول اللهم أعز الاسلام بعمرو بن هشام اي ابي
جهل او بعمر بن الخطاب فقال دلني عليه فتوشح بسيفه وذهب الى
النبي صلى الله عليه وسلم فضرب الباب فاستجمع القوم فقال لهم حمزة
ما لكم قالوا عمر قال وعمر افتحوا الباب فان اقبل قبلناه وان ادبر
قتلناه فسمع ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فخرج فتشهد عمر فكبر اهل الدار
تكبيرة سمعها اهل المسجد فقلت يا رسول الله السنا على الحق قال
بلى قلت ففيم الاخفاء فخرجنا صفين انا في احدهما وحمزة في
الآخر حتى دخلنا المسجد فنظرت قريش الي والى حمزة فاصابتهم

كآبة شديدة فسماني رسول الله صلى الله عليه وسلم الفاروق يومئذ
وفرق الله بي بين الحق والباطل وفي رواية انه لما ظهر اسلامه
صاروا يضربونه ويضربهم حتى اجاره خاله قال فما زلت
اضرب واضرب حتى اعز الله الاسلام وصح انه لما اسلم نزل جبريل
فقال يا محمد قد استبشر اهل السماء باسلام عمر وان المشركين قالوا
قد انتصف القوم اليوم منا وانزل يا ايها النبي حسبك الله ومن
اتبعك من المؤمنين وان ابن مسعود قال ما زلنا اعزة منذ اسلم
عمر وقال ايضا كان اسلامه فتحا وهجرته نصرا وامامته رحمة ولقد
رأيتنا وما نستطيع ان نصل الى البيت حتى اسلم فقاتلهم حتى تركونا
وسبيلنا وان حذيفة قال لما اسلم كان الاسلام كالرجل المقبل
لا يزداد الا قوة فلما قتل كان الاسلام كالرجل المدبر لا يزداد الا
ضعفا فبسبب قوته في الله وشدة شكيمته كما علم مما تقرر ارعوى
اي رجع واقلع وانكف الرقباء اي الاعداء عما كانوا عليه من الافساد
في الدين وعدم النصح له وايذاء النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة
بالامور العظيمة التي كانوا يفعلونها معهم وهو ايضا الامام العدل
القوي في الله الذي ينطق الحق على لسانه وقلبه فلذلك تقرب الاباعد
عنه في النسب في اي بسبب ولاجل رضاء الله اليه متعلق بتقرب
فيكونون بذلك اولى عنده من اقاربه الذين ليسوا كذلك كما قال انفاق
في هذا البيت من انواع البديع بالعكس نحو لا هن حل لهم الاية وبالاكتفاء
وهو حذف شيء دل عليه ما قبله كما قدرته ورد العجز على الصدر
وبالارصاد وهو ان يتقدم على الروي ما يشعر به نحو وما ظلمناهم
الاية وتبعد عنه القرباء اي اقرباؤه اذا لم يوافقوه على طاعة
الله تعالى لعلمهم انه لا يحابي قريبا ولا صديقا وانه لا رياء عنده ولا
سمعة ولا حمية ولا عصبية وان محط نظره هو الله لا غير
طاعة ربه هي المقربة منه وضدها هو المبعد منه عمر بن الخطاب
من موصولة قوله الفصل اي الفاصل بين الحق والباطل ومن حكمه
السوي اي الذي لا اعوجاج فيه السواء تأكيد المعتدل وهذا ق

من جعل الشارح السوي صفة حكم والسواء خبره لو اقتضائه
تغايرهما وليس كذلك فر اي هرب منه الشيطان اي ابليس وكل
عات متمرد جنيا وانسيا اذ اي لاجل انه كان فاروقا ظاهره ان
سبب تلقيبه بالفاروق كون الشيطان فر منه وليس مرادا لما مر
ان سببه ان الله فرق به بين الحق والباطل كما صحت به الاحاديث
فبسبب ما منحه من النور الذي يفرق به بين الحق والباطل ويفر
الشيطان منه بسببه للنار التي هي اصل الشيطان من سناه بالقصر
اي ضوئه ابراء اي انحاء والاصل في ذلك احاديث صحيحة منها
حديث يا ابن الخطاب والذي نفسي بيده ما لقيك الشيطان سالكا
فجا قط الا سلك فجا غير فجك وحديث ان الله تعالى جعل الحق على
لسان عمر وقلبه وانه ما نزل بالناس امر قط فقالوا وقال الا نزل
القرآن على نحو ما قال وحديث لو كان بعدي نبي لكان عمر بن
الخطاب وحديث ان الله وضع الحق على لسان عمر يقول به وحديث
ان الشيطان ليفرق منك يا عمر وفي رواية اني لانظر الى شياطين
الجن والانس قد فروا من عمر وفي اخرى اتاني جبريل فقال اقرأ
عمر السلام وقل له ان رضاه حكم وان غضبه عز وفي اخرى
الحق مع عمر حيث كان وفي اخرى ان الشيطان لم يلق عمر منذ اسلم
الا خر لوجهه وفي اخرى الصدق بعدي مع عمر حيث كان وصح
حديث ما طلعت الشمس على خير من عمر وروى احمد وغيره انه
صلى الله عليه وسلم قال له يا اخي اشركنا في صالح دعائك ولا تنسنا
والشيخان انه صلى الله عليه وسلم قال بينا انا نائم شربت لبنا حتى
انظر الى الري يجري في اظفاري فناولته عمر قالوا فما اولته
يا رسول الله قال العلم وانه رآه وعليه قميص يجره قالوا فما اولته
يا رسول الله قال الدين وصح انه من الملهمين الذين ينطق الحق
على لسانهم وابن اي واقسم عليك بذي النورين ابي عمرو عثمان بن
عفان ذي اي صاحب الايادي اي النعم وهذا في اليد بمعنى الجارحة
جمع ايد جمع يد فاتى به الناظم في اليد بمعنى النعمة ايضا التي طال

وفي اخرى عمر معي وانا مع عمر
والحق بعدي مع عمر حيث كان صح

اى عظم وامتدّ الى المصطفى على الخلق كلهم اى المختار فهو من الاصطفاء
وقيل المصطفى المنتقى من كل شين وكدر فهو من التصفية بما متعلق
بقوله الاسداء اى الاعطاء حفر البئر اى بئر رُومة وذلك انها كانت
ليهودى فى الاثمن فقدم صلى الله عليه وسلم المدينة وليس بها ماء
يستعذب غيرها فقال صلى الله عليه وسلم من حفر بئر رُومة او من
اشتراها فله الجنة فاشتراها عثمان بعشرين الف درهم وحفرها
وهى موجودة الى الآن فثوابها مستمر له الى قيام الساعة وفى رواية
ان عثمان لما سمع قوله صلى الله عليه وسلم فيها انها نعم البئر اشترى
نصفها بمائة بكرة وتصدق بها واقتسماها يوما لهذا ويوما لهذا
فجعل الناس يستقون منها فى يوم عثمان ليومين فلما رأى صاحبها
أنّ قد امتنع منه ما كان يصيبه من ثمن الماء الذى يبيعه منها
باع من عثمان النصف الثانى بشئ يسير فتصدق عثمان بها كلها
تنبيه تعبير الناظم بالحفر تبع فيه بعض الرواة وكانه لم يبالِ
بقول من قال ذكر الحفر وهم من بعض الرواة وانما المعروف انه
اشتراها ويجاب بانه لا مانع انه اشتراها ثم زاد فى تعميقها مبالغة
فى تكثير مائها لاحتياج الناس اليها ثم رأيت بعض المتأخرين
صرح بنحو ذلك وفى رواية ان القربة منها كانت تباع بمدّ وانه صلى
الله عليه وسلم طلب من صاحبها ان يبيعها له فاعتل بانه له عيالا
وليس له غيرها فبلغ عثمان فاشتراها بالجنة وثلاثين الف درهم
جهز الجيش اى جيش العسرة فى غزوة تبوك لخبر الترمذى انه صلى
الله عليه وسلم حث على جيش العسرة فقال عثمان يا رسول الله على
مائة بعير باحلاسها واقتابها فى سبيل الله ثم حض على الجيش فقال
عثمان يا رسول الله علىّ مثلاه رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقول
ما على عثمان ما فعل بعد هذه وفى رواية حمل عثمان فى جيش العسرة
على الف بعير وسبعين فرسا وصح انه جاء الى النبى صلى الله عليه وسلم
بالف دينار حين جهز جيش العسرة فنثرها فى حجره فجعل يقلبها بيده
ويقول ما ضر عثمان ما فعل بعد اليوم ما ضر عثمان ما فعل بعد اليوم

وفى رواية انه بعث بعشرة آلاف دينار فصُبّت بين يديه صلى الله
عليه وسلم فجعل يقلبها ويقول غفر الله لك يا عثمان ما اسررت وما
اعلنت وما هو كائن الى يوم القيمة ما يبالى ما عمل بعدها وصح
انه لما حوصر اشرف عليهم فقال أنشدكم بالله ولا أنشد الا اصحاب
النبى صلى الله عليه وسلم الستم تعلمون ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال من جهز جيش العسرة فله الجنة فجهزتهم الستم تعلمون ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال من حفر بئر رُومة فله الجنة فصدقوه بما قال
وصح عن ابى هريرة اشترى عثمان الجنة من النبى صلى الله عليه وسلم مرتين
حيث حفر بئر رُومة وحيث جهز جيش العسرة وصح انه استشهدا قوما
من الصحابة على ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من يشترى هذا المربد
ويزيده فى مسجدنا وله الجنة واجره فى الدنيا ما بقيت درجات له
فاشتريته بعشرين الفا وزدته فى المسجد فشهدوا له فقال للخوارج
عليه صدقوا ولكنك غيرت ثم ذكر تجهيز الجيش وحفر البئر فصدقوه
فقال الخوارج عليه صدقوا ولكنك غيرت فقال ويلكم كيف يكون
من هذا له مغيّرا ثم ذكر انهم سيقولون ذلك فى غيره فكان كذلك فى
على خرجوا عليه فاستشهد الصحابة على خصوصياته فشهدوا له
فقالوا صدقوا ولكنك غيرت وفى رواية ان محمد بن ابى بكر لما دخل
على عثمان وكان مع الخارجين عليه استشهده ان النبى صلى الله عليه وسلم
زوجه ابنتيه وقال لو كان عندنا شئ زوجناه وانه بايع عنه فى
بيعة الرضوان وانه قال من يشترى هذا النخل فيقيم قبلة المسجد وله
مثله فى الجنة فاشتراه عثمان وان المسلمين اشتد جوعهم فبسط لهم
على انطاع الحوارى بالسمن والعسل فكان اول خبيص الحلوا فى الاسلام
وانهم ظمؤا ظمأ فحفر لهم بئر رُومة فاعظم عليها النفقة ثم تصدق
بها على المسلمين الضعيف فيهم والقوى سواء وان الميرة انقطعت
عن المدينة فجاع الناس فاشترى خمس عشرة راحلة طعاما فاخذ ثلاث
واعطى النبى صلى الله عليه وسلم ثنتى عشرة فدعا له بالبركة فى ما اعطى
وفى ما امسك وانه اتى النبى صلى الله عليه وسلم بالف اصفر فصبها فى حجره

فقال ما ضر عثمان ما فعل بعد اليوم وانه كان مع النبي صلى الله عليه وسلم
وابي بكر وعمر وعلي وطلحة والزبير بحراء فرجف بهم فضربه بقدمه و
قال اثبت حراء فانما عليك نبي او صديق او شهيد كل ذلك ومحمد يقول
نعم تنبيه قال ابن مالك من احسن شواهد قول الكوفيين و
آخرين ان او ترد بمعنى الواو في هذا الحديث الاخير اهدى الهدى
الى مكة وارسله اليها عام الحديبية حين توجه صلى الله عليه وسلم اليها
ومعه الف واربعمائة ذي القعدة سنة ست يريد العمرة فمنعته قريش
من دخول الحرم لما اي حين ان صده عن الدخول اليها الاعداء اي
المشركون وكان وجه تخصيصه بذلك ان هديه وصل الى مكة بخلاف
هدي غيره لكن انما ذلك لعزة قومه بها دون غيره فنفي الخصوصية
حينئذ تأمل بل قضية ادبه الآتي من تركه الطواف تركه ارساله
حيث لم يرسله صلى الله عليه وسلم ويجاب باحتمال انه اخر هديه
لغيبته حتى حضر بعد ذبحهم هديهم فحينئذ هو لم يرسله الا وقد
ايسوا من ارسال هديهم فلا مخالفة فيه للادب وتفسيري
لما هنا بحين هو ما ذهب اليه جماعة وقال ابن مالك انها بمعنى اذ
لانها مختصة بالماضي وبالاضافة الى الجملة وهي تقتضي جملتين
وجدت الثانية عند وجود الاولى ولذا يقال فيها حرف وجود
لوجود وجوابها اما ماض وجملة اسمية مقرونة بالفاء او باذا
الفجائية ويجادلنا في فلما ذهب عن ابراهيم الروع الآية مؤول بجادل
خلافا لابن عصفور وقد ترد للاستثناء نحو ان كل نفس لما عليها
حافظ في قراءة من شدد الميم وفي هذا كالسوى السواء والاباعد
تقرب والقرباء وادب والادباء جناس الاشتقاق وتبعه وابى
رضي الله عنه لما ارسله النبي صلى الله عليه وسلم الى اهل مكة ومعه
الكتاب الذي فيه ما وقع بين النبي صلى الله عليه وسلم وسهل بن عمرو
المرسل اليه من اهل مكة ليقع الصلح بينهم على انه يرجع في هذه السنة
ولا يدخل مكة لئلا يقول الناس انه دخلها كرها على اهلها ثم يعود
اليها معتمرا السنة القابلة ويدخلها والاسلحة في غلفها ليكون ذلك

لنا

وتبعد

علامة

علامة على الصلح وعلى وضع الحرب بينهم عشر سنين ثم نقضوا
الصلح فكان ذلك سبب الفتح مكة في السنة الثامنة ولما ارسله
امسك سهل بن عمرو عنده بدله وفي رواية انه صلى الله عليه وسلم
قال لعمر اذهب فاستأذن لنا ليخلوا بيننا وبين الكعبة فقال
يا رسول الله ليس هناك احد من بني عمي يمنعني ولكن ارسل عثمان
فان بني عمه يمنعونه فارسله ليكلم اشراف قريش في ان يرجعوا عن
صده عن دخول مكة وان يمكنوه من دخولها لاداء ما جاء بقصده
من الاعتمار وتعظيم البيت بالبدن والهدي دون القتال فكلمهم فلم
يمتثلوا وعلى كل من القولين احتبسوه عندهم وقالوا له ان شئت
ان تطوف بالبيت فطف اي امتنع ان يطوف بالبيت اذ تعليلية حينئذ
لم يدن اي يقرب منه اي البيت الى النبي متعلق بيدن فناء وهو ما امتد
من جوانبه ولما احتبسوه بلغ النبي صلى الله عليه وسلم ان عثمان قتل فدعا
الناس الى بيعة الرضوان تحت الشجرة على الموت وقيل على ان لا يفروا
ذكره الحافظ مغلطاي ولما بايعه الناس على ذلك وضع يمينه على شماله
وقال هذه عن عثمان وفي البخاري فقال النبي صلى الله عليه وسلم بيده
اليمنى هذه بيعة عثمان فضرب بها على يده اليسرى الحديث وفي
رواية الترمذي ان عثمان في حاجة الله وحاجة رسوله فضرب
باحدى يديه على الاخرى فكانت يد رسول الله صلى الله عليه وسلم
لعثمان خيرا من ايديهم لانفسهم ولما سمع المشركون بهذه البيعة
خافوا وارسلوا عثمان وجماعة من المسلمين وفي هذه البيعة نزل
قوله تعالى ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله يد الله فوق ايد يهم
وقوله تعالى لقد رضي الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة
فبسبب ما وقع من عثمان من امتثاله امر النبي صلى الله عليه وسلم
وذهابه الى العدو ولم يبال باحتمال كونهم يقتلونه لشدة
ما كانوا عليه من عداوتهم للمسلمين لا سيما الاكابر منهم كعثمان ومن
تأدبه مع النبي صلى الله عليه وسلم الادب البالغ بتركه للطواف
مع اذنهم له فيه جزيت عنها اي تلك الفعلة التي فعلها من الذهاب اليهم

والامتناع من الطواف **ببيعة** اى فى بيعة **رضوان** سميت بذلك
لما فى الآية الثانية من رضى الله عنهم بسببها **يد من نبيه** اى عثمان
بيضاء اى بالغة فى الكرم الذى عم الانام منها الى مبلغ ضوء الشمس
وعمومه للعالم ولم لا تجازيه تلك اليد البيضاء بذلك والذى وقع
منه من الامتناع من الطواف لاجل غيبة النبى صلى الله عليه وسلم
وعدم تمكينهم له من الدخول **ادب** عظيم جدا **عنده** رضى الله عنه
ومن عجيب هذا الادب انه حصل فيه امر عظيم وفضل مستغرب جسيم
وذلك انه مع كونه تركا للفعل العبادة **تضاعفت الاعمال** التى فى ذلك
الفعل وهو الطواف اى ثوابها **بسبب الترك** لذلك العمل لاجله صلى
الله عليه وسلم فكان الترك هنا افضل من الفعل لو وقع منه لانه
ليس فيه هذا الادب الذى بلغ به عثمان من السبق ما لم يبلغه غيره
فلذا حق ان يقال فيه وفى امثاله على سبيل المدح **حبذا الادباء** فهو
تتميم بديع وعثمان رضى الله عنه من اجل الادباء لانه كان عنده
من الحياء الذى هو منشأ الادب ما لم يكن عند غيره وهو من اجلهم
كيف وقد صح انه صلى الله عليه وسلم قال فى حقه وقد استحيى صلى الله
عليه وسلم منه لما دخل عليه فجمع ثيابه الا استحيى من رجل تستحيى منه الملائكة
وروى من غير طريق اشد امتى حياء عثمان بن عفان عثمان احيا امتى
واكرمها عثمان حيى ستير تستحى منه الملائكة ان الملائكة لتستحى من
عثمان كما تستحى من الله ورسوله انما تشبه عثمان بابينا ابرهيم عثمان
وليى فى الدنيا ووليى فى الآخرة لو ان لى اربعين ابنة زوجتك واحدة
بعد واحدة حتى لا يبقى منهن واحدة وما زوجته الا بالوحى من الله
وصح انه صلى الله عليه وسلم ذكر فتنة يقربها فمر عثمان فقال هذا يومئذ
على الهدى وانه قال له ان الله مقمصك قميصا اى موليك الخلافة فان
ارادك المنافقون على خلعه فلا تخلعه حتى تلقانى فلذلك قال لهم يوم
الدار ان رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد الى عهدا وانا صابر عليه وفى
البخارى ان بعض اعدائه جاء الى ابن عمر ورماه بانه فر يوم احد وانه
تغيب عن بدر وعن بيعة الرضوان فرد عليه ابن عمر بان الله غفر له عفا

عنه

عنه ما وقع منه يوم احد وبان تغيبه عن بدر انما كان باذن رسول
الله صلى الله عليه وسلم لتمريض بنته رقية وقال له ان لك اجر من شهد بدرا
وسهمه وبان غيبته عن بيعة الرضوان انما هو لكونه كان اعز
اهل مكة فارسله فى حاجته فكانت بيعة الرضوان فضرب صلى
الله عليه وسلم باحدى يديه على الاخرى فقال هذه لعثمان قال العلماء
ولا يعرف احد تزوج بنتى نبى غيره ولهذا سمى ذا النورين وقال
وهو محصور يراد قتله انه لختبأ عند ربه عشرا انه رابع اربعة
فى الاسلام وانكحه صلى الله عليه وسلم ابنتيه ولا تغنى ولا تمنى ولا
وضع يمينه على فرجه منذ بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم وما مرت به جمعة
منذ اسلم الا واعتق فيها رقبة اى فجملة ما اعتقه الفان واربعمائة
رقبة تقريبا ولا زنى ولا سرق جاهلية ولا اسلاما وجمع القرآن
على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم **وعلى** اى واتم عليك بعلى و
سبق منه الاتمام به ايضا وانما لم يكتف به لان ذاك وقع تبعا
للمعجزة المقصودة بالذات وهى برء عينيه بتفله صلى الله عليه وسلم
فيهما وليبين ما هو مذهب اهل السنة واكثر الفرق من ان الخلافة
والافضلية بينهم على هذا الترتيب فاحق الصحابة بالخلافة وافضلهم
ابو بكر ثم عمر وهذا اجماع من الصحابة ومن بعدهم كما حكاه جماعة من
الائمة منهم الشافعى رضى الله عنه قطعى لا نزاع فيه يعتد به ثم عثمان
ثم على وهذا ما عليه الاكثرون فهو ظنى لا قطعى وخالف فيه سفيان الثورى
ومالك وغيرهما فقالوا بافضلية على وان كان عثمان احق منه بالخلافة
لاجماع اهل الشورى ثم الصحابة على خلافته مع الاشارة اليها من النبى
صلى الله عليه وسلم كما سبقت الاشارة الى ذلك ومما يصرح بافضلية
عثمان ما صح عن ابن عمر كنا نخير بين الناس فى زمن النبى صلى الله عليه وسلم
فنخير ابا بكر ثم عمر ثم عثمان وعن ابى هريرة كنا معاشر اصحاب رسول
الله صلى الله عليه وسلم ونحن متوافرون نقول افضل هذه الامة بعد
نبيها ابو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم نسكت وهل تجب محبتهم برعاية
افضليتهم فيه تفصيل وهو انها ان كانت من حيث الدين والعلم ومحبته

الرسول صلى الله عليه وسلم وجب ترتيبها كترتيبهم المذكور وان تحابا
لنحو قرابة واحسان لم تجب رعايتها كذلك **صنو النبى** صلى الله عليه وسلم
لاجتماعهما فى اصل واحد وهو عبد المطلب فهما كنخلتين اصلهما
واحد **ومن** اى الذى **دين** اى اعتقاد **فؤادى** اى قلبى **ودادُه**
اى حبه **والولاء** له اى مناصرته والذب عنه والرد على من نازع
فى خلافته ولم يبال بوقوع الاجماع عليها وعلى من خرجوا عليه ونازعوه
الامر ورموه بما هو برئ منه وذلك عملا بما صح عنه صلى الله عليه وسلم
وهو اللهم والِ من والاه وعادِ من عاداه ان عليا منى وانا منه
وهو ولى كل مؤمن بعدى ولتأكد الذب عنه لكثرة اعدائه من
بنى امية والخوارج الذين بالغوا فى سبه وتنقيصه حتى على المنا بر
خصه الناظم بذلك ولهذا اشتغل جهابذة الحفاظ ببث فضائله
نصحا للامة ونصرة للحق ومن ثم قال احمد ما جاء لاحد من الفضائل
ما جاء لعلى وقال اسمعيل القاضى والنسائى وابو على النيسابورى
لم يرد فى حق احد من الصحابة بالاسانيد الحسان اكثر مما ورد فى حق
على ومن ذلك ما صح ان الله يحبه وان رسوله يحبه بل روى
الترمذى انه كان احب الناس الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
والظاهر ان المراد بالناس بنو هاشم حتى لا ينافى ما مر ان ابا بكر
كان احب الناس الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وان آية المباهلة
لما نزلت دعا صلى الله عليه وسلم عليا وفاطمة وابنيهما وقال اللهم
هؤلاء اهلى وانه قال انا سيد ولد آدم وعلى سيد العرب لكن
اعترض تصحيح الحاكم لهذا وانه قال من كنت مولاه فعلى مولاه والِ اللهم
من والاه وعادِ من عاداه رواه ثلاثون صحابيا وان الله امره
بحب اربعة واخبر انه يحبهم منهم على وانه لا يحبه الا مؤمن ولا
يبغضه الا منافق وان من سبه فقد سب النبى صلى الله عليه وسلم
وانه يقاتل على القرآن كما قاتل صلى الله عليه وسلم على تنزيله وانه يهلك
فيه اثنان محب مفرط ومبغض مبهت وان قاتله اللعين ابن ملجم
اشقى الآخرين كما ان عاقر الناقة اشقى الاولين **ووزير ابن عمه**

النبى

النبى صلى الله عليه وسلم اى ناصره وحامل كل ثقل نابه صلى الله عليه وسلم
ونائب عنه **فى المعالى** الدينية والدنيوية جمع العلا وهو الرفعة و
الشرف واصل الحديث الصحيح انه لما خلفه على المدينة فى غزوة
تبوك قال يا رسول الله استخلفتنى مع النساء والصبيان فقال اما
ترضى ان تكون منى بمنزلة هرون من موسى الا انه لا نبى بعدى وتقدم
الكلام عليه فى شرح اودعتهما الزهراء وقال صلى الله عليه وسلم فيما اخرجه
احمد والترمذى انت اخى فى الدنيا والآخرة والخطيب على منى بمنزلة

والترمذى والنسائى وابن ماجة على منى وانا منه ولا يؤدى عنى الا على صح

رأسى من بدنى وابن عدى على يعسوب المؤمنين والمال يعسوب
المنافقين والبزار على يقضى دينى والنسائى والحاكم ان كل
نبى اعطى سبعة نجباء واعطيت انا اربعة عشر على والحسن و
الحسين وجعفر وحمزة وابو بكر وعمر الحديث واحمد انت اخى وابو و لدى
تقاتل على سنتى الحديث قال ابن عباس نزلت فى على ثلثمائة آية
وليست الوزارة خاصة به رضى الله عنه فقد اخرج الترمذى فى
حديث ما من نبى الا وله وزيران من اهل السماء ووزيران من
اهل الارض فاما وزيراى من اهل السماء فجبريل وميكائيل واما
وزيراى من اهل الارض فابو بكر وعمر وصح حديث هذان السمع
والبصر وفى رواية هما منى بمنزلة السمع والبصر من الرأس واخرج
الطبرانى وابو نعيم ان الله امدنى باربعة وزراء اثنين من اهل السماء
جبريل وميكائيل واثنين من اهل الارض ابى بكر وعمر وابن عساكر
ان لكل نبى وزيرين ووزيراى وصاحباى ابو بكر وعمر بل قد يشكل
ذكر الوزارة فيه دونهما مع انها لم ترد فيه لفظا وصحت فيهما
وقد يجاب بانها وردت فيه بمعناها على وجه ابلغ من لفظها
وهو قوله انت منى بمنزلة هرون من موسى فان هذه الوزارة
المستفادة من هذا التى هى كوزارة هرون اخص من مطلق الوزارة
الواردة فيهما ومن ثم اخذ منها الشيعة انها تفيد النص على انه
الخليفة بعده وهو كذب كما لولا ما يأتى قريبا المبطل لذلك لاشتبه
ومما يؤيد هذه الوزارة الخاصة كونه صلى الله عليه وسلم آخاه دون

غيره وارسله مؤذنا على الناس ببراءة في الموسم مع ان الخليفة على
الحجيج ابو بكر لان العرب لا يقبلون ممن يبلغ عن الكبير الا ان كان
من اهله وجلدته وانه استخلفه بمكة عند الهجرة حتى ادى ودايعه
وقضى ما عليه واتاه باهله فهذه كلها مؤذنة بمزيد خاصة لم
توجد في غيره فلذا ذكرها فيه فقط على انه وصفهما بما هو اعظم
منها واجل **ومن لاهل تسعد الوزراء** تذييل مناسب لما قبله
وفيه رد العجز على الصدر ومن تلك السعادة ما امده صلى الله
عليه وسلم به من المواخاة فقد اخرج الترمذي آخى صلى الله عليه وسلم
بين اصحابه فجاء علي تدمع عيناه فقال يا رسول الله آخيت بين
اصحابك ولم تواخ بيني وبين احد فقال صلى الله عليه وسلم انت اخي
في الدنيا والآخرة ومن العلوم التي اشار اليها بقوله انا مدينة
العلم وعلي بابها وفي رواية فمن اراد العلم فليأت الباب وفي
اخرى عند الترمذي انا دار الحكمة وعلي بابها وفي اخرى عند
ابن عدي علي باب علمي واختلفوا في حكم هذا الحديث فجماعة منهم
النووي على انه موضوع والحاكم صححه وصوب بعض المحققين المطلعين
انه حديث حسن وصح انه صلى الله عليه وسلم ارسله الى اليمن ليقضي
بينهم فقال لا ادري ما القضاء فضرب صدره بيده ثم قال
اللهم اهد قلبه وثبت لسانه قال علي فو الذي فلق الحبة ما شككت
في قضاء بين اثنين وقيل له ما لك اكثر الصحابة حديثا فقال اني
كنت اذا سألته انبأني واذا سكتت ابتدأني وكان عمر يتعوذ من
معضلة ليس لها ابو حسن يعني عليا ولم يكن احد من الصحابة
يقول سلوني الا علي وذكر عند عائشة رضي الله عنها فقالت انه
اعلم من بقي بالسنة وقال مسروق انتهى علم الصحابة الى عمر وعلي
وابن مسعود وقال والله ما نزلت آية الا وقد علمت فيم نزلت
واين نزلت وعلى من نزلت ان ربي وهب لي قلبا عقولا ولسانا
ناطقا وقال سلوني عن كتاب الله فانه ليس من آية الا وقد عرفت ...نزولها
بليل نزلت ام بنهار ام في سهل ام بجبل ولاجل هذه العلوم الكثيرة

التي أفيضت عليه من تلك الحضرة النبوية **لم يزده كشف الغطاء**
يقينا كما اخبر بذلك عن نفسه بقوله لو كشف الغطاء ما ازددت
يقينا اي لانه حصل عنده من البراهين القطعية على حقيقة التوحيد
ومتعلقاته والايمان وصدق الرسل في ما جاؤا به ما لا يزيد
اليقين فيه رؤية ذلك عيانا واحترز بنفي زيادة اليقين نفسه
عن زيادة ثمراته فان عاقلا لا يرتاب ان عين اليقين اقوى من
علم اليقين وان حق اليقين اقوى من عين اليقين ومن ثم قال اولم تؤمن من
قال بلى ولكن ليطمئن قلبي فاثبت لنفسه حقيقة الايمان ويقينه
وطلب زيادة الطمانينة برؤية العيان فلا منافاة فيه لما قاله
علي كرم الله وجهه خلافا لمن وهم فيه **بل** للانتقال **هو** اي علي في فضله وعلمه
وزهده وتقدمه على من عدا الخلفاء الثلاثة قبله وحقية
خلافته وقيامه فيها بما قام به من قبله وزيادة **الشمس** اي مثلها
في الظهور والاضاءة التي لا يلتفت فيها الى مقول متقول ولا
عناد معاند كيف وهو مع ذلك **ما عليه غطاء** اي ساتر بل هو ظاهر
لكل احد وقد اخرج الطبراني عن ابن عباس رضي الله عنهما قال
كانت لعلي ثماني عشرة منقبة ما كانت لاحد من هذه الامة وابو يعلى
عن عمر قال اعطي ثلاث خصال لان يكون لي خصلة منها احب الي
من ان اعطى حمر النعم تزويجه ابنته وسكناه المسجد واعطاؤه الراية
يوم خيبر وصح عن ابن عمر نحو ذلك واخرج الطبراني والخطيب
حديث ان الله جعل ذرية كل نبي في صلبه وجعل ذريتي في صلب
علي بن ابي طالب وما احسن قول حكيم له لما دخل الكوفة والله
يا امير المؤمنين لقد زينت الخلافة وما زينتك ورفعتها وما
رفعتك وهي احوج اليك منك اليها وقول احمد وقد ساله ولده
عن علي ومعاوية اعلم ان عليا كان كثير الاعداء ففتش له اعداؤه
شيئا فلم يجدوا فجاؤا الى رجل قد حاربه وقاتله فاطروه كيادا منهم
له وصح خلافا لمن نازع فيه ان النبي صلى الله عليه وسلم نام في
حجره وهو يوحى اليه فغربت الشمس ولم يصل العصر فلما سري عنه

صلى الله عليه وسلم وعلم انه لم يصل دعا الله ان يرد الشمس فعادت
حتى ظهر ضوؤها على الحيطان فصلى ثم غابت وفى هذا كرامة لهما
ولعل الناظم اشار اليها بتشبيهه بالشمس وعلم مما قدمته انه الحقيق
بالخلافة بعد الائمة الثلاثة بالاجماع ولا اكتراث ولا التفات
الى من زعم انه لا اجماع على خلافته وهو اول من اسلم قال بعض الحفاظ
اجماعا اى من الصبيان واعتد باسلامه حينئذ لان الاحكام اذ ذا ك
كانت منوطة بالتمييز ولم يعبد وثنا قط ومن ثم اختص بكرم الله
وجهه والحق بالصديق فى ذلك وآخاه النبى صلى الله عليه وسلم
وزوجه فاطمة بالوحى وهو احد العلماء الربانيين والشجعان المشهورين ريب
والزهاد والخطباء المعروفين وحفظ القرآن وعرضه على رسول
الله صلى الله عليه وسلم واختلى بعد موته صلى الله عليه وسلم وكتب
كتابا فيه العلوم الجمة حتى قال ابن سيرين لو ظفرت بذلك الكتاب
لظفرت بالعلم كله ولما هاجر صلى الله عليه وسلم امره ان يقيم بعده
بمكة حتى يؤدى عنه ودايعه ثم يلحقه باهله ففعل وارسله صلى
الله عليه وسلم فى السنة التاسعة وكان الامير فيها على الحج ابا بكر فاذن ن
فى الناس فى الموسم بمنى بسورة براءة لان العرب لا يعتدون بما
يجئ على لسان الكبير الا اذا كان الرسول فيه من اهله ومن ثم
جاء فى حديث رجاله ثقات الا واحدا فمختلف فيه انه صلى الله عليه وسلم
خطب وهو محاصر عقب فتح مكة فكان مما قال اوصيكم بعترتى خيرا
وان موعدكم الحوض والذى نفسى بيده لتقيمن الصلوة ولتؤتن
الزكوة او لابعثن اليكم رجلا منى او كنفسى يضرب اعناقكم ثم اخذ
بيد على وقال هو هذا وشهد معه صلى الله عليه وسلم المشاهد كلها
وكان له فيها اليد البيضاء الا تبوك لانه استخلفه على المدينة وقال ل
له لما قال تخلفنى مع النساء والصبيان اما ترضى ان تكون منى
بمنزلة هرون من موسى الا انه لا نبى بعدى ويكونه انما قال له
ذلك حينئذ يبطل تمسك الشيعة به على انه الخليفة المقدم على الكل
على ان هارون مات فى حياة موسى صلى الله عليه وسلم فلا دليل فيه

للخلافة بعد الموت اصلا توفى كرم الله وجهه شهيدا عن ثلاث
وستين سنة ضربه اللعين عبد الرحمن بن ملجم بسيف مسموم
فى جبهته فاوصله دماغه ليلة الجمعة سابع عشر رمضان سنة
اربعين وهو خارج الى صلوة الصبح بعد ان استيقظ سحرا وقال
للحسن انه رأى النبى صلى الله عليه وسلم تلك الليلة فشكا اليه ما لقى
فقال ادع فدعا ان يبدله خيرا منهم وانهم يبدلون شرا منه والله
واكثر تلك الليلة من الخروج والنظر الى السماء وهو يقول ما كذبت
ولا كذبت وانها الليلة التى وعدت وكان عنده اوز فلما خرج
للصلوة صحن فطردن عنه فقال دعوهن فانهن نوائح وقيل لم
يمت الا ليلة الاحد وله اسوة بالخليفتين قبله عمر وعثمان رضى الله
عنهم فان كلا منهما قتل شهيدا مظلوما • اما عمر فقتله مجوسى عبد
للمغيرة بن شعبة لكونه شكا اليه ثقل خراجه فلم يشكه لعلمه بقدرته
عليه وزيادة لكثرة صنايعه فكمن له الى ان ضربه بخنجر صنعه له
تر وهو فى ثانى ركعة من صلوة الصبح يصلى بالمسلمين ومن تمام سعاده
دفنه مع النبى صلى الله عليه وسلم فانه ارسل ولده بعد ان طعن
ليستأذن عايشة رضى الله عنها فى ذلك فقالت كنت اعدت هذا
المكان لنفسى ولاوثرنه فاشتد فرحه بذلك • واما عثمان فاجتمع
على قتله او باشر اربعة الاف مجموعون من مصر وغيرها فحاصروه
الى ان قتلوه فى اوسط ايام التشريق والمصحف بين يديه سنة
خمس وثلاثين وهو ابن ثمان وثمانين سنة وقيل اكثر وقيل اقل
توهما منهم انه اراد قتل محمد بن ابى بكر رضى الله عنهما وهو برئ من
ذلك وانما فعله بعض اهله وكان الصحابة يمكنهم الدفع عنه
لكنه منعهم حتى ان يقاتلوا المحاصرين لما قال له زيد بن ثابت ان الانصار
بالباب يقولون ان شئت كنا انصار الله مرتين فقال لا حاجة
لى فى ذلك كفوا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد الى عهدا وانا
صابر عليه وعزم على من كان عنده فى الدار مماليكه الكثيرون فارادوا
ان يمنعوا عنه فقال من اغمد سيفه فهو حر لانه علم باخبار النبى صلى الله عليه وسلم

انه مقتول مظلوم وانه على الهدى وانه لا مخلص له من القتل وامره
ان لا يعزل نفسه كما صح فى الحديث وهو يا عثمان انك ستولى الخلافة
من بعدى وسيريدك المنافقون على خلعها فلا تخلعها وصم فى ذلك
اليوم تفطر عندى كما مر ذلك فى الاحاديث وصح ان عثمان اشرف
من كوة فقال لعلى يا ابا الحسن ما هذا الذى ركب منى فقال
اصبر يا عبد الله فوالله ما غبت عن قول رسول الله صلى الله عليه وسلم
حين كنا على احد فتحرك الجبل ونحن عليه فقال اثبت احد فانه ليس عليك
الا نبى او صديق او شهيد وايم الله لتقتلن ولاقتلن معك اى بعدك
وليقتلن طلحة والزبير واقسم عليك بباقى اصحابك العشرة المبشرين
بالجنة فى الاحاديث الصحيحة منها ان عمر لما جعل الامر شورى
بين الستة انكر عليه بانهم ليسوا رضا فقال عسى ان تقولوا فى على
سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول له يدك فى يدى تدخل معى
يوم القيمة حيث ادخل وذكر فى عثمان حديث انه يوم يموت
يصلى عليه ملائكة السماء وان ذلك له خاصة وفى طلحة ان رجل
النبى صلى الله عليه وسلم سقط فى ليلة فقال من يسوى لى رحلى فهو
فى الجنة فبادر طلحة فسواه له فقال يا طلحة هذا جبريل يقرئك السلام
ويقول انا معك فى اهوال يوم القيمة حتى انجيك منها وذكر فى
الزبير انه جلس يذب عن وجه النبى صلى الله عليه وسلم وهو نائم
حتى استيقظ فقال له يا ابا عبد الله لم تزل قال لم ازل بابى
انت وامى قال هذا جبريل يقرئك السلام ويقول انا معك يوم
القيمة حتى اذب عن وجهك شر جهنم وذكر فى سعد بن ابى
وقاص انه صلى الله عليه وسلم قال فيه يوم بدر وقد اوتر قوسه
اربع عشرة مرة يدفعها اليه فداك ابى وامى وذكر فى عبد الرحمن
ابن عوف ان الحسنين اشتد بكاؤهما جوعا فقال صلى الله عليه وسلم
من يصلنا بشئ فطلع عبد الرحمن بن عوف بصحفة فيها حيسة
ورغيفان بينهما اهالة فقال صلى الله عليه وسلم له كفاك الله امر
دنياك واما امر آخرتك فانا لها ضامن ومنها ان حراء لما ارتج

وعليه الخلفاء الاربعة وطلحة والزبير وابن عوف وسعد وسعيد
قال له النبى صلى الله عليه وسلم اسكن حراء فما عليك الا نبى او صديق
او شهيد ومنها من رواية سعيد بن عمرو بن نفيل ابو بكر فى
الجنة وعمر فى الجنة وعثمان فى الجنة وعلى فى الجنة وطلحة فى الجنة
والزبير فى الجنة وعبد الرحمن بن عوف فى الجنة وسعد بن ابى
وقاص فى الجنة وتاسع المؤمنين فى الجنة فنشدوه بالله عنه فقال
اما اذا انشدتمونى فانا تاسع المؤمنين ورسول الله صلى الله عليه وسلم
العاشر ثم قال الموقف احدهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يغبر فيه
وجهه افضل من عمر احدكم ولو عمر عمر نوح المظهر المبين الترتيب
بينهم من النبى صلى الله عليه وسلم وهو مفعوله فينا اى لنا تفضيلهم
على حسب مراتبهم التى بينها اشرفهم صلى الله عليه وسلم وهو فاعله
وعكس ذلك الشارح والاول الظهر والمظهرة الذى بينهم لنا ايضا
الولاء اى الموالاة والمناصرة الواجبة علينا لهم بحسب مراتبهم
ومن ثم سئل بعض محققى المتاخرين عن محبة الخلفاء الاربعة هل
يجب ان تكون على حسب فضلهم فقال محبتهم من حيث الدين والقرب
الى الله ورسوله يجب ان تكون بحسب فضلهم ومن حيث نحو قرابة
واحسان لا يجب ان تكون كذلك وما قاله فى الاربعة يأتى فى
بقية الصحابة رضوان الله عليهم طلحة بن عبد الله القرشى
التيمى احد العشرة المشهود لهم بالجنة واحد الثمانية السابقين
الى الاسلام واحد الستة اصحاب الشورى فى امر الخلافة بعد
عمر الذين توفى صلى الله عليه وسلم وهو عنهم راض واحد الخمسة
الذين اسلموا على يد ابى بكر بكونه السبب فى اسلامهم وسماه
النبى صلى الله عليه وسلم طلحة الخير وطلحة الفياض وطلحة الجود
فكان غاية فيه بحيث باع ارضا له بسبعمائة الف فباتت عنده
فلم ينم مخافة من حسابها فاصبح ففرقها وفى رواية ففرقها
فى ليلته على فقراء المدينة وجاءه رحم له يسأله برحمه فاعطاه
ثلاثمائة الف وكان مغله بالعراق فى كل سنة اربعمائة الف

وكان يكفي ضعفاء قومه وقوم ابي بكر بني تيم ويقضي ديونهم ويرسل
الى عائشة رضي الله عنها في كل سنة عشرة آلاف درهم وتصدق في
يوم بمائة الف ثم لم يجد ثوبا يذهب فيه الى المسجد يصلي فيه وهو آ ن لم
يشهد بدرا فقد جعله صلى الله عليه وسلم كمن شهدها اجرا وسهما
وقيل لانه كان بالشام لتجارة والصحيح انه صلى الله عليه وسلم ارسله
هو وسعيد بن زيد رضي الله عنهما للتجسس عن خبر عير قريش
وخرج لبدر فرجعا الى المدينة فوافياه منصرفه من بدر وصح
انه صلى الله عليه وسلم اقبل عليه وعلى الزبير وقال يا طلحة ويا
زبير ان لكل نبي حواريا وانتما حواريّ اي ناصراي وان الخلفاء
الاربعة وطلحة والزبير وابن عوف وسعدا وسعيدا كانوا امام
رسول الله صلى الله عليه وسلم في القتال وخلفه في الصلوة في الصف
وليس احد من المهاجرين والانصار يقوم مقام واحد منهم غاب او
شهد **المرتضيه** اي الذي ارتضاه النبي صلى الله عليه وسلم وما جرى
عليه الناظم من اضافة اسم الفاعل الى معموله الضمير العائد على ال
المقترنة به هو الاصح نحو الضارب الرجل والساقيه ومنع المبرد
هذه الصورة واوجب النصب اي لئلا يلزم عليه اجتماع اداتي
تعريف ويرده ان اضافة الصفة الى معمولها لا تفيد تعريفا
بل تخفيفا قالوا فمن ثم جاز اقتران هذا المضاف دون غيره
بال ان كان مثنى كالضاربا زيدا وجمعا على حده كالضاربوا
زيدا او اضيفت لمعرف بال نحو الضارب الرجل او المضاف اليه
كالقاصد باب الكريم او الى ضمير هو مرجعه اي كما هنا ومن قال
التقدير الذي ارتضيه هو النبي صلى الله عليه وسلم فقد وهم لامتناع ع
الاضافة حينئذ لانها ليست الى ضمير مرجعه ال فتنبه له **رفيقا** اى ء
واحدا هو ما في اكثر النسخ وفي نسخة احدٍ وهو الفاعل الذي
ارتضاه احد رفيقا ففيه اسناد مجازي وفي اخرى احدا وهو على
نزع الخافض اي في احد **يوم** ظرف لاسم الفاعل وقول الشارح
انه بدل من احدا اي بناء على النسخة الثانية بعيد **فرت الرفقاء**

عن النبي صلى الله عليه وسلم وهو يوم احد وفيه كسعد وسعيد
والامانة والامناء وتمسكت واستمسكت وانطوت وانطواء
واغثنا والغوث والغيث الآتيات جناس الاشتقاق وشبهه
وفي ذكر واحدا في اكثر النسخ بل المنقول في السير وغيرها ان الذين
ثبتوا معه صلى الله عليه وسلم لما انكشف عنه الناس اربعة عشر
سبعة من المهاجرين وسبعة من الانصار وفي البخاري لم يبق معه
صلى الله عليه وسلم الا اثنا عشر رجلا ولكن ظاهر كلام بعض اهل السير
ان طلحة وقع له بعد ذلك انفراد معه صلى الله عليه وسلم ثم تتابعت
بعده الناس فانه قال وكانت لطلحة اليد البيضاء يوم احد وقى
النبي صلى الله عليه وسلم يومئذ لما ضرب بالسيف فشج وجهه بيده
فشلت واستمرت شلاء وكان الصديق اذا احدث عن يوم احد
بكى وقال ذلك كله لطلحة وقد قال له صلى الله عليه وسلم يومئذ
اوجب طلحة اي وجبت له الجنة وذلك انه صلى الله عليه وسلم
كان قد ظاهر بين درعين فاراد ان ينهض وهما عليه ليصعد
صخرة هناك فما استطاع فبرك له طلحة فصعد على ظهره واستوى
عليها فقال له صلى الله عليه وسلم اوجب طلحة وثبت مع النبي صلى الله عليه وسلم
يومئذ وبايعه على الموت ووقاه بنفسه وعن عائشة رضي الله عنها انها مع
قالت قال ابو بكر كنت اول من جاء يوم احد فقال لي رسول الله صلى الله
عليه وسلم ولابي عبيدة بن الجراح عليكما بصاحبكما يريد طلحة وقد نزف
فاصلحنا من شان رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم اتينا طلحة فاذا به
بضع وسبعون او اقل او اكثر بين طعنة وضربة ورمية واذا قد
انقطعت اصبعه فاصلحنا من شانه ثم رأيت حديثا صحيحا مصرحا
بما في النظم على نسخة واحدا وهو يقول لقد رأيتني يوم احد وما
في الارض قربي مخلوق غير جبريل عن يميني وطلحة عن يساري ولما
رجع النبي صلى الله عليه وسلم من احد صعد المنبر فحمد واثنى ثم قرأ من المؤمنين
رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه الآية قيل يا رسول الله من هؤلاء
فقال هذا منهم واشار الى طلحة وصح عند الحاكم لكن نوزع فيه من اراد

ان ينظر الى شهيد يمشي على وجه الارض فلينظر الى طلحة بن عبد الله وصح
ايضا طلحة والزبير جاراي في الجنة وكان رجل يقع فيه وفي الزبير
بحضرة سعد بن ابي وقاص فنهاه فتأبى فصلى ثم دعا عليه انه ان كان
مبطلا يُري فيه آية ويجعله للناس عبرة فخرج فاذا جمل هايج يشق
الناس فاخذه وهرسه بيديه ورجليه حتى قتله قال سعيد بن
المسيب فانا رأيت الناس يتبعون سعدا ويقولون هنيئا لك ابا
اسحق اُجيبت دعوتك وكان خرج هو والزبير على علي رضي الله عنهم
فاجتمع بهما يوم الجمل فروى للزبير ما يأتي ووعظ طلحة فتأخر ووقف
في بعض الصفوف فجاءه سهم في ركبته فقتله في جمادى الآخرة سنة
ست وثلاثين عن اربع وستين سنة على الاشهر ودفن بالبصرة
وجاءه علي فجعل يمسح التراب عن وجهه ويقول رحمة الله عليك
ابا محمد يعز علي ان اراك مجدلا وحواريك اي ناصرك الزبير بن العوام
القرشي وامه صفية عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو احد
الثمانية السابقين والستة اصحاب الشورى والعشرة المبشرين
بالجنة والشجعان المشهورين لم يلحق بحمزة وعلي احدٌ في الشجاعة
والفروسية ولذلك لما كان يوم بدر بعمامة صفراء نزلت الملائكة
بعمائم صفر وهو اول من سل سيفا في سبيل الله لانه سمع اُخذ محمدٌ
فخرج يشق الناس بسيفه فلقيه النبي صلى الله عليه وسلم باعلى مكة
فقال له مالك قال اُخبرت انك اُخذت فصلى عليه ودعا له ولسيفه
شهد المشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وفتح اليرموك
وكانت له فيها اليد البيضاء والهمة العلياء اخترق صفوف الروم
مرتين من اولهم الى آخرهم وفتح مصر مع عمرو بن العاص وصح انه لما اشتد
الخوف يوم الاحزاب ندب صلى الله عليه وسلم من يأتيه بخبر عصيان
بني قريظة فقال انا فاعاد فقال انا فاعاد فقال انا فقال النبي صلى
الله عليه وسلم ان لكل نبي حواريا وحواريي الزبير وجمع له صلى الله عليه وسلم
بين ابويه فقال ارم فداك ابي وامي وصح عن عثمان انه قيل له
وهو محصور لو استخلفت قال العلهم قالوا الزبير قيل نعم قال اما والله

انه لخيرهم ما علمتُ وانه كان لاحبهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
وفي رواية صحيحة اما والله انكم لتعلمون انه خيركم ثلاثا وكان له الف
عبد يؤدون الخراج اليه كل يوم فيتصدق به في مجلسه ولا يقوم
بدرهم منه وكان مع الخارجين على علي يوم الجمل فلما ادنت الصفوف
خرج علي وهو على بغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم فنادى ادعوا
لي الزبير فدُعي له فاقبل حتى اختلفت اعناق دوابهما فقال له
نشدتك بالله اتذكر يوم مر بك رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن
في مكان كذا وكذا فقال يا زبير تحب عليا فقلت الا احب ابن خالي
وابن عمتي وعلى ديني فقال يا زبير اما والله لتقاتلنه وانت
ظالم له فقال بلى والله لقد نسيته منذ سمعته من رسول الله صلى
الله عليه وسلم ثم ذكرته الآن والله لا اقاتلك ثم ادبر راجعا فقال
له ولده عبد الله ما لك فذكر له القصة فقال لم تجئ للقتال بل
لتصلح بين الناس فابى وفي رواية انه قال الجبن جبنا فقال قد
علم الناس اني لست بجبان ولكن ذكرني حديثا فحلفت ان لا اقاتله
وفي رواية ان سبب رجوعه انه قال لاصحاب علي افيكم عمار بن
ياسر قالوا نعم فاغمد سيفه وقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول لعمار ستقتلك الفئة الباغية ولا مانع انه قال ذلك ثم
ذكره علي الحديث زيادة في اعلامه ثم سار فلما وصل وادي السباع
نام فجاء رجل فقتله في جمادى الاولى سنة ست وثلاثين وعمره
سبع وستون سنة على الاشهر وقبل ان يجتمع بعلي قال لابنه
عبد الله ما اراني الا سأقتل اليوم مظلوما ثم اكد عليه في ان
يبيع امواله ويقضي دينه من ارضين له منها الغابة وبضع عشرة
دارا وقدر دينه الفا الف ومائتا الف وما ولي امارة قط ولا
جباية ولا خراجا ولا شيئا وما خلف درهما ولا دينارا فباع ابنه
ماله ثم قال من كان له عليه دين فليأتنا فقضى ما عليه ثم اقام اربع
سنين ينادي كل موسم من له عليه شيء فليأتنا فلما لم يأت احد اخرج
ثلث ماله لانه اوصى به ثم قسم الباقي بين ورثته وكان له اربع نسوة

فاصاب كلا منهن الف الف ومائتا الف فجميع ماله خمسون الف
الف ومائتا الف هذا الخص ما في صحيح البخاري لكن اعترض بان
الصحيح ان الذي تركه مما وفى الدين والوصية وما وُرث عنه
تسعة وخمسون الف الف وثمانمائة الف وكان له صدقات
كثيرة ومكارم جليلة وماله كله حلال صرف كما قيل ولا حاجة
اليه بل اغنياء الصحابة كلهم كذلك لان اموالهم إما من سلب
او سهم من الغنيمة او الفيء او تجارة مبرورة واوصى اليه سبعون
من الصحابة باولادهم واموالهم فحفظها وكان ينفق على اولادهم
من ماله وعن مدح حسان فيه **شعر** فكم كربة ذب الزبير بسيفه
عن المصطفى والله يعطي ويجزل فما مثله فيهم ولا كان قبله
وليس يكون الدهر ما دام يذبل ثناؤك خير من فعال معاشر
وفعلك يا ابن الهاشمية افضل **ابي القرم** بفتح القاف وسكون الراء
اي السيد الكريم عبد الله بن حبيب وابي بكر **الذي انجبت** اي اتت
به في غاية النجابة والشجاعة والرأي الحازم والتصرف الصائب
اسماء بنت ابي بكر الصديق ذات النطاقين بعد عشرين شهرا
من الهجرة واشتد فرح المهاجرين به لان اليهود توعدوهم انهم
علموا انهم ما ابطل نسلهم فلا يأتيهم ولد فلما وُلد بان كذبهم ولما
احتجم صلى الله عليه وسلم اعطاه دمه وقال غيبه في موضع لا
يراك فيه احد فلما جاء اليه قال ما فعلت بالدم قال شربته قال
اذاً لا تلج النار بطنك وويل لك من الناس وويل للناس منك
فكان كذلك لانه سعى في الخلافة لما مات يزيد سنة اربع
وستين فاطاعه اهل اليمن والحجاز والعراق وخراسان ثم
هدم الكعبة ليبنيها وسماعه من خالته عائشة رضي الله عنها
ما رواه عن النبي صلى الله عليه وسلم لولا ان قريشا حديثوا
عهد بكفر لهدمت الكعبة وجعلتها على قواعد ابرهيم وفتحت بابها
الغربي وجعلت بابها الشرقي لاطئا بالارض كما كانت في زمن
ابرهيم صلى الله عليه وسلم فاعادها ابن الزبير كذلك بعد ان شاور

الصحابة فمنهم من امره بذلك ومنهم من نهاه عنه فلم يرجع اليه لسماعه
الحديث المذكور وكان اجر ذلك البناء باقيا له الى ان يهدمها ذو
السويقتين فان البناء الموجود الآن كله بناؤه الا الحايط
فان الحجاج لما حاصره اول الحجة سنة اثنتين وسبعين وحج بالناس
ولم يزل محاصرا له الى ان قتله لسابع جمادى الاولى سنة ثلاث
وسبعين هدم ما كان ادخله ابن الزبير من الحجر وهو ستة
اذرع كما ادخله ابرهيم واخرج الستة ثم اخر الجدار كما هو اليوم
وسد الباب الغربي واعلى الباب الشرقي لتصير كما كانت في زمنه
صلى الله عليه وسلم لان قريشا لما بنتها قصر بهم المال الحلال عن
ان يجعلوها كما كانت في زمن ابرهيم فجعلوها كذلك وكان
ابن الزبير صواما يواصل الخمسة عشر يوما واكثر قواما اطلس
لا لحية له من دهاة العرب المشهورين وشجعانهم الموصوفين
واحد العبادلة الاربعة المتقاربين سنا وعلما وذكاء وفهما
والثلاثة عبد الله بن عباس وعبد الله بن عمر وعبد الله بن عمرو بن
العاص وليس منهم ابن مسعود لانه اكبر منهم سنا فليس في طبقتهم
والصفيين تثنية صفي وهو المصطفى المستخلص من الحظوظ والشهوات
توءم الفضل من اتأمت المرأة ولدت اثنين اي ان الفضل انتجهما
لكثرة ما قام بهما منه ولو قال توءما الفضل كان اوضح ومعناه
حينئذ انهما اشتركا في الفضائل الجليلة صارا كانهما مولودان
في حمل واحد **سعد** ابي اسحاق بن ابي وقاص بن مالك القرشي الزهري
وهو احد الستة اصحاب الشورى والثمانية السابقين الى الاسلام
بل هو ثالث الاسلام واقام كذلك سبعة ايام والعشرة المشهود لهم
بالجنة والشجعان المشهورين وهو اول من رمى بسهم في سبيل الله واول
من اراق دما في سبيل الله وكان يقال له فارس الاسلام شهد
المشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ورمى يوم احد الف
سهم وولاه عمر العراق فكان الامير في فتح مداين كسرى وغيرها ومن
كراماته الظاهرة انه قطع بجيوشه البحر على ظهور الخيل لم يبلغ الماء بينها

الى حرتهما والناس فى غاية الطمانينة كانهم سايرون فى البر وكان
الذى يسايره سلمان الفارسى رضى الله عنهما وكذلك ولاه عثمان
ولاية جليلة وكان صلى الله عليه وسلم يناوله النبل يوم أُحُد
ويقول ارم فداك ابى وامى واقبل والنبى صلى الله عليه وسلم جالس
مع اصحابه فقال سعد خالى فليرنى امرؤ خاله وقال الحلبى يا خالى
فان الخال والد ودعا له فقال اللهم سدد رميه واجب
دعوته وفى رواية صحيحة اللهم استجب لسعد اذا دعاك فلم
يسقط له دعوة بعد ذلك فكان مجاب الدعوة واشرف على الموت
فاخبره النبى صلى الله عليه وسلم انه يعيش فقال لعل الله ان يؤخرك
فينتفع بك اقوام ويضر بك آخرون واعتزل الفتنة بعد قتل
عثمان فلم يدخل فيها ولم يحضر شيئا من تلك الحروب توفى بقصره
بالعقيق على عشرة اميال من المدينة فحمل اليها وصلى عليه مروان بن
الحكم وهو يومئذ والى بالمدينة وصلى عليه امهات المؤمنين فى حجرهن
ودفن بالبقيع سنة خمس وخمسين عن تسع وسبعين سنة
وكان اوصى ان يكفن فى جبة من صوف لقى المشركين فيها يوم بدر
وقال انما كنت اخبأها لذلك وهو آخر المهاجرين موتا وفى مسلم
ان آية ولا تطرد الذين يدعون ربهم نزلت فى ستة منهم
سعد وابن مسعود وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل القرشى
العدوى احد العشرة المشهود لهم بالجنة وشهد المشاهد كلها وعده
البخارى فيمن شهد بدرا ومر فى ترجمة طلحة انه لم يشهدها وهذا
ما عليه الاكثرون وقد يجمع بانه لم يشهدها حسا وشهدها حكما
اجرا وسهما وهو ابن عم عمر وزوج اخته والسبب فى اسلامه
كما مر ولذلك لم يدخله فى اهل الشورى كولده عبد الله لئلا
يظن به انه حابى اقاربه واخرج الشيخان ان امرأة ادعت عليه عند
مروان انه اخذ لها قطعة ارض فقال ما كنت لافعل بعد ان
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من اخذ شبرا من ارض
ظلما طوقه من سبع ارضين فقال مروان لا اسألك بينة بعد هذا

ث

٢٠٢

ثم قال سعيد اللهم ان كانت كاذبة فاعم بصرها واقتلها فى
ارضها فذهب بصرها وبينما هى تمشى فى ارضها وقعت فى حفرة
فماتت زاد مسلم انها قالت اصابتنى دعوة سعيد وفى رواية انه
كان يجارها بالعقيق وانه اعطاها الذى ادعته ثم دعا عليها
بما مر توفى سنة خمسين عن بضع وسبعين سنة ودفن بالمدينة
وابوه زيد توفى فى الجاهلية لكن جاءت احاديث تدل له على انه
من اهل الجنة منها الكنه مرسل غفر الله لزيد بن عمرو ورحمه ومنها
وهو صحيح سئل صلى الله عليه وسلم عنه فقال يأتى يوم القيمة امة
وحده بينى وبين عيسى ابو عترة الاصفياء فهذان من اكابرهم
كيف وفى اسميهما ما يشعر ببلوغهما مرتبة عظمى من مراتب
السعادة وعبد الرحمن ابن عوف بن الحارث بن زهرة القرشى ... الزهرى ع
احد الثمانية السابقين للاسلام والستة اهل الشورى والعشرة
المبشرين بالجنة والخمسة الذين اسلموا على يد ابى بكر وصح انه
كان بينه وبين خالد شيء فبلغ ذلك النبى صلى الله عليه وسلم
فقال لا تسبوا اصحابى فو الذى نفسى بيده لو انفق احدكم مثل
ية أحد ذهبا ما بلغ مد احدهم ولا نصيفه اى نصفه وفى رو
الواقدى وابن عساكر لخالد دعوا لى اصحابى متى ينكا انف المرء
ينكا المرء لو كان أحد ذهبا ينفقه قيراطا قيراطا فى سبيل
الله لم يدرك غدوة وروحة من غدوات وشهد مع النبى
صلى الله عليه وسلم المشاهد كلها وكان ممن ثبت يوم احد وبعثه
صلى الله عليه وسلم الى دومة الجندل الى بنى الكلب وعممه بيده
الكريمة وسدلها بين كتفيه وقال ان فتح الله عليك فتزوج
صبح ابنة ملكهم او قال شريفهم ففتح عليه فتزوج ابنة شريفهم الا
فولدت له ابا سلمة وصح انه صلى الله عليه وسلم ائتم به فى غزوة
تبوك فصلى وراءه ركعة من صلوة الصبح وهذه منقبة لم
توجد لصحابى غيره وسببها انه صلى الله عليه وسلم ذهب لحاجته
اتم فادركه الوقت فاقاموا الصلوة فتقدمهم عبد الرحمن ولما

صلى الله عليه وسلم ما فاته خلفه قال ما قُبض نبي حتى يصلي خلف رجل
صالح من أمته وائتم صلى الله عليه وسلم بابي بكر ايضا لكنه لم يخرج نفسه
عن الامامة بتاخر وقال لما قال له النبي صلى الله عليه وسلم ما منعك
ان تثبت وقد اشرت اليك ما كان ينبغي لابن ابي قحافة ان يتقدم
بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فان قلت لم لم يفعل عبد الرحمن
ذلك قلت الظاهر انه لم يعلم باقتدائه صلى الله عليه وسلم به واقتدى
صلى الله عليه وسلم بجبريل عند باب الكعبة بجانبه من ناحية الحجر
بكسر الحاء فصلى به الخمس مرتين في يومين صبيحة الاسراء الذي يليه
وكان كثير الانفاق في سبيل الله اعتق في يوم واحد احدا وثلاثين
عبدا حتى جاء ان جملة ما اعتقه ثلاثون الفا وفي حديث انه
امين في السماء امين في الارض وكان كثير المال محظوظا في التجارة
قال لام سلمة خفت ان يهلكني كثرة مالي فقالت يا بني انفق قال
الزهري تصدق على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم بشطر
ماله اربعة آلاف دينار ثم اربعين الف دينار ثم بمثلها ثم
بخمسمائة فرس ثم بخمسمائة راحلة وفي رواية الف وخمسمائة راحلة
واوصى لامهات المؤمنين بحديقة فبيعت باربعمائة الف واوصى
بخمسين الف دينار في سبيل الله ولكل واحد ممن بقي ممن شهد
بدرا باربعمائة دينار وكانوا مائة من جملتهم عثمان فاخذ مائة
وهو امير المؤمنين وبالف فرس في سبيل الله وكان اهل المدينة
عيالا عليه ثلث يقرضهم وثلث يقضي دينهم وثلث يصلهم وقدمت
له عير من الشام سبعمائة راحلة فسمعت عايشة اصواتها فروت
حديث يدخل ابن عوف الجنة حبوا فبلغه فاتاها فحدثته فقال
أشهدك انها باحمالها واقتابها واحلاسها في سبيل الله عز وجل
وباع ارضا من عثمان باربعين الف دينار فقسمها في اقاربه بني
زهرة وفقراء المسلمين وامهات المؤمنين وروي انه صلى الله عليه وسلم
قال له لن تدخل الجنة الا زحفا فاقرض الله عز وجل يطلق لك قدميك
قال وما الذي اقرضه قال تتبرأ من كل ما لك فهم بذلك فاتاه جبريل

فقال مره فليضف الضيف وليطعم المسكين وليعط السائل وليبدأ
بمن يعول فاذا فعل ذلك كان تزكية ما هو فيه وفي حديث ابن عدي
وغيره انكحوا عبد الرحمن بن عوف فانه من خيار المسلمين روى
ابو نعيم وغيره ان رجلا لين الصوت قرأ عند رسول الله صلى الله
عليه وسلم فما بقي احد الا وفاضت عينه غير عبد الرحمن بن عوف
فقال صلى الله عليه وسلم ان لم يكن فاضت عينه فاض قلبه وفي حديث
ضعيف اول من يدخل الجنة من اغنياء امتي عبد الرحمن بن عوف
والذي نفس محمد بيده لن يدخلها الا حبوا وفي رواية لاحمد قد رأيته
يدخل الجنة حبوا لكن ذكره ابن الجوزي في الموضوعات وفي رواية
لابن سعد وابن عساكر كأني بعبد الرحمن بن عوف على الصراط يميل
مرة ويستقيم اخرى حتى يفلت ولم يكد لكن يعارض ذلك ما رواه جماعة
انه صلى الله عليه وسلم قال له كفاك الله امر دنياك واما امر آخرتك
فانا ضامن لها وسببه ان الحسن والحسين اشتد بكاؤهما من الجوع
فقال صلى الله عليه وسلم من يصلنا بشيء فاتاه بصحفة فيها حيس
ورغيفان بينهما اهالة توفي عن اثنتين او خمس وسبعين سنة
وثلاثين في خلافة عثمان وصلى عليه علي وقيل الزبير لانه كان
هجر عثمان لما اقر من اقاربه وقال لابن عوف هذا فعلك فدخل
عليه ولامه وقال انما وليتك لتسير بسيرة الشيخين فقال كان
عمر يقطع اقاربه في الله وانا اصلهم في الله فنذر ان لا يكلمه ابدا
وترك من الذهب ما جاء ربع ثمنه ثمانين الف دينار ولما تقرر من كثرة
انفاقه وصدقاته وما له الكثرة فيهما تفوق الحصر قال من بدل بما قبله
هونت نفسه الدنيا اي صيرت اموالها وامتعتها رخيصة عندها
بسبب بذلها في وجوه الخير والقربات بذلا دائما مستمرا كثيرا
يبهر العقل ويرفع الى الدرجات العلى كما مر في الاحاديث وذلك
البذل الكثير يمده اثراء اي كثرة المال الذي فتح الله به عليه واكثره
من التجارة لانه كان محظوظا فيها بحيث لو امسك التراب صار
ذهبا والمكنى اباعبيدة وهو عامر بن الجراح القرشي الفهري امين

فاذا فعل ذلك كان كفارة لما هو فيه
والذي في خط من ذلك اتاني جبريل فقال
مر ابن عوف فليضيف الضيف وليطعم
المسكين وليعط السائل صح

وفي آخر رواه احمد والطبراني رأيت
عبد الرحمن بن عوف يدخل الجنة حبوا صح

اثنتين صح

م
حمن

هذه الامة كما صحت به الاحاديث وفي رواية وامينى في اخرى و
امينا ايتها الامة واحد العشرة والرجلين اللذين عينهما الصديق
يوم السقيفة للخلافة والثاني عمر واحد الخمسة الذين اسلموا في
يوم واحد على يد الصديق وبقيتهم عثمان بن مظعون وعبيدة
ابن الحارث وعبد الرحمن بن عوف وابو سلمة بن عبد الاسد زوج
ام سلمة شهد مع النبي صلى الله عليه وسلم المشاهد كلها وثبت يوم احد
مع النبي صلى الله عليه وسلم ونزع يومئذ باسنانه حلقتين دخلتا
في وجنتي رسول الله صلى الله عليه وسلم من حلق المغفر فوقعت
ثنيتاه لانه تحامل عليهما لخوف ايلامه صلى الله عليه وسلم فكان من
احسن الناس هتما والهتم الساقط مقدم الاسنان وولاه ابو بكر
لما ارسل جيشا الى الشام ثم جعل خالدا اميرا عليه وعلى غيره لعلمه
بالحروب ولما ولي عمر اعاده لكن امره ان يستشير خالدا وهو اول
من سمي امير الامراء بالشام وروي انه صلى الله عليه وسلم امره على
سرية فيها ابو بكر وعمر وتعرض له ابوه يوم بدر فاعرض عنه فلازمه
فلما اكثر عليه قتله فانزل الله فيه لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم
الآخر الآية ولما قال له الصديق يوم السقيفة مد يدك لابايعك
قال العمر اني ادركني اجلي وهو موجود استخلفته لاني سمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول ان لكل امة امينا وامين ابو عبيدة
فقالوا الساعة يأتيك فاتاه على ناقة مخطومة بخطام ليف فنزل
عمر عن راحلته واعتنقه وقال للناس انصرفوا عنا ثم دخل معه
الى بيته فلم يجد فيه سوى سيفه وترسه وقوسه ورحله فبكى
عمر وقال لاصحابه تمنوا فقال رجل ملء هذه الدار ذهبا انفقه
في سبيل الله وقال آخر جوهرا انفقه كذلك فقال عمر وانا اتمنى
لو ان هذه الدار مملوءة رجالا مثل ابي عبيدة وله فتوحات
كثيرة ووقعات مع المشركين هائلة وصح عن الحسن مرسلا ما من احد
من اصحابي الا لو شئت لاخذت عليه في بعض خلقه غير ابي عبيدة
ابن الجراح توفي سنة ثماني عشرة شهيدا بالطاعون في طاعون

عمواس قرية بين الرملة وبين بيت المقدس اول ما وقع بها ثم
انتشر بالشام وقبره معروف ثم قال الامام النووي رحمه الله زرت قبره
فرأيت عنده عجبا ورأيت عليه من الجلالة ما هو لا يؤبه اذ ظرف لاقسم
المقدر او تعليل له **يعزى** اي ينسب **اليه** اي الى ابي عبيدة **الامانة الا** مناء
واجلهم نبينا صلى الله عليه وسلم فانه قال كما صح عنه لكل امة امين
وامين هذه الامة ابو عبيدة بن الجراح وفي رواية واميني وفي
اخرى وامينا ايتها الامة واعلم ان هذا كقوله صلى الله عليه وسلم
في ابي ذر انه اصدق من اظلت الخضراء واقلت الغبراء لا يقتضي
تفضيلا على الخلفاء الراشدين لان اولئك كملت فيهم الصفات
كلها واعتدلت فلم يترجح بعضها على بعض واما هذان فكملت فيهما
صفة الامانة والصدق فتميزا فيهما على غيرهم بكمالا فيه ولو سلمنا
زيادتهما فيهما على اولئك لم يقتض ذلك تفضيلا ايضا لان المفضول
قد يتميز بمزية بل مزايا لا توجد في الفاضل لانه خلف تلك المزايا
مزايا اخرى اجل منها واعظم فحصل مناط الافضلية فيه وان
خلا عما تميز به المفضول **و** اقسم عليك **بعميك** اخوي ابيك لا بيه وهما
حمزة والعباس رضي الله عنهما وكل منهما اسن من النبي صلى الله عليه وسلم
بنحو السنتين **نيرين** تثنية نير وهو الكوكب المضيء **فلك** هو ما تسير
فيه الكواكب **المجد** اي الكرم والحسب شبه المجد بالسماء واثبت لها
ما هو من لوازمها وهو الفلك اذ كل سماء تسمى فلكا فهي استعارة
بالكناية واستعارة تخييلية ورشح لها بذكر النيرين وشبههما بالشمس
والقمر واثبت لهما ما هو من لازمهما وهو الاضاءة فهي ايضا استعارة
بالكناية واستعارة تخييلية وفيها ايضا استعارة تجريدية بذكر
المجد الملايم للعمين **وكل** منهما **اتاه** اي حصل له **منك اتاء** بوزن كتاب
وهو ما يخرج من الشجر والنما كما في القاموس وقال الشارح هو ما
يستفاد من النعم والخيرات من غير تعب كحمل النخل وثمار الاشجار ولعله
تفسير مراد اما حمزة ويكنى ابا عمارة ويلقب باسد الله واسد رسوله فكان
عظيما شجاعا خالا للنبي صلى الله عليه وسلم من الرضاعة اسلم قديما في سبب

اسلامه ان اللعين ابا جهل شتم رسول الله صلى الله عليه وسلم فانصرف
ولم يجبه وانصرف ابو جهل الى نادي قريش عند الكعبة واقبل حمزة من قنصه حمزة
متوشحا قوسه فاخبر وهو اعز فتى في قريش واشد شكيمة فغضب
وعمد فشجه في رأسه شجة منكرة وقال اتشتمه وانا على دينه فقامت
اليه رجال من بني مخزوم فمنعهم ابو جهل خشية الفتنة وهو اول من
اتخذ له صلى الله عليه وسلم لواء حين بعثه الى سيف البحر بكسر السين
من جهينة استشهد باحد نصف شوال ثالث سني الهجرة بعد ان
قتل احدا وثلاثين كافرا فقتله وحشي عبد لعقبة السلمي قال رأيته
يهد الابطال هدا فاختفيت له فلما تمكنت منه رميته بحربتي
فاصابته ووليت هاربا فتبعني ثم سقط وبعد ذلك اسلم وحشي هذا
فقبله صلى الله عليه وسلم وقال له غيب وجهك عني اي خشية ان يصيبه
منه شي اذا تذكرت قتله لحمزة وخرج يوم اليمامة فشارك رجلا في
قتل مسيلمة الكذاب فكان يقول هذه بتلك ومع ذلك فقد اصابه
لما صح عن ابن المسيب انه قال كنت اعجب لقاتل حمزة كيف ينجو حتى مات
غريقا في الخمر وقال ابن هشام بلغنا انه لم يزل يحد في الخمر حتى خلع
من الديوان فكان عمر يقول لقد علمت ان الله لم يكن ليدع قاتل
حمزة ولما رأى النبي صلى الله عليه وسلم حمزة قتيلا بكى ولما رأى ما
مثل به شهق وقال لن اصاب بمثلك ابدا ما وقفت موقفا اغيظ
لي من هذا وروى ابن شاذان عن ابن مسعود ما رأينا رسول الله
صلى الله عليه وسلم باكيا قط اشد من بكائه على حمزة ووضعه في القبلة
ثم وقف على جنازته وبكى حتى كاد يغشى عليه يقول يا حمزة يا عم رسول
الله يا اسد الله واسد رسوله يا حمزة يا فاعل الخيرات يا حمزة يا كاشف
الكربات يا حمزة يا ذاب عن وجه رسول الله وليس في هذا نوح ولا
تعديد شمائل بل اخبار بفضائله وشمائله رضي الله عنه وصح حديث
انه سيد الشهداء يوم القيمة وانه لولا جزع النساء لتركته حتى
يحشر من بطون الطير والسباع وحديث رحمة الله عليك فقد كنت
وصولا للرحم فعولا للخيرات وصحح الحاكم حديث والذي نفسي بيده

انه لمكتوب عند الله تبارك وتعالى في السماء السابعة حمزة بن عبد
المطلب اسد الله واسد رسوله لكن تعقب وورد من طرق ان الملائكة
غسلته وصححه الحاكم لكن تعقب واما العباس وكنيته ابو الفضل
فكان جليلا جوادا ذا رأي وكمال عقل معظما بين الصحابة وعند
النبي صلى الله عليه وسلم رئيسا في قريش قبل الاسلام وكانت اليه عمارة
المسجد الحرام والسقاية وكان مع النبي صلى الله عليه وسلم يوم العقبة
يعقد له البيعة على الانصار وكان صلى الله عليه وسلم يثق به
في امره كله اسر ببدر لقوله صلى الله عليه وسلم من لقيه فلا يقتله
فانه خرج مستكرها وسمعه النبي صلى الله عليه وسلم يئن لكونهم
شدوا وثاقه فلم ينم فقيل له ما يسهرك يا رسول الله قال انين
العباس فقام رجل فارخى من وثاقه واوثقوا البقية وفادى نفسه
وعقيلا ابن اخيه بعد ان قال ما معي شي فقال له صلى الله عليه وسلم
واين المال الذي قلت لام الفضل ان وجبت حين خرجنا اذا انا
فافعل به كذا فقال من اعلمك بهذا ولم يطلع عليه غيري وغيرها فاسلم
سرا وكتم ايمانه الى قبيل فتح مكة فخرج الى النبي صلى الله عليه وسلم ولقيه
بالابواء وبه ختمت الهجرة وكان ردا للنبي صلى الله عليه وسلم بمكة يكاتبه
باخبار اهلها وكان المسلمون بمكة ينتفعون به وكان يحب القدوم
على رسول الله صلى الله عليه وسلم فكتب اليه ان بقاءك بمكة خير لك ولما
قالت الانصار نترك لابن اختنا عباس الفداء ابى رسول الله صلى الله عليه وسلم
وشهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حنينا وثبت معه حين انهزم الناس صح
وكان عمر يستسقي به الغيث اذا قحط الناس فيقول اللهم انا كنا
نستسقي بنبيك فتسقينا وها نحن نستسقي بعم نبيك فاسقنا
فيسقون توفي بالمدينة ثاني عشر رجب او رمضان سنة اثنتين
وثلاثين وله نحو من ثمان وثمانين سنة وقبره مشهور بالبقيع
وصح حديث العباس مني وانا منه ولا تسبوا امواتنا فتؤذوا به
الاحياء وحديث انه سأل النبي صلى الله عليه وسلم ان يستعمله على الصدقة
فقال له ما كنت لاستعملك على غسالة ذنوب الناس وحديث من اذى العبا
س

نقد آذانى فانما عم الرجل صنو ابيه وحديث اوصانى الله بذى القربى
وامرنى ان ابدأ بالعباس بن عبد المطلب واخرج الدارقطنى فى الافراد د
ليكونن فى ولد العباس ملوك تكون امراء امتى يعز الله بهم الدين اوابن
عساكر اللهم اغفر له ذنبه وتقبل منه احسن ما عمل وتجاوز عنه
سيئ ما عمل واصلح له فى ذريته لا تؤذوا العباس فتؤذونى من سب
العباس فقد سبنى وفى حديث ضعيف وقال ابن الجوزى موضوع ع
العباس وصيى ووارثى واخرج الرافعى الا ابشرك يا عم ان من
ذريتك الاصفياء ومن عترتك الخلفاء ومنك المهدى فى آخر الزمان
به ينشر الله الهدى وبه تطفأ نار الضلالة ان الله فتح بنا هذا
الامر وبذريتك يختم وابو نعيم فى الحلية الا ابشرك يا ابا الفضل ان
الله عز وجل افتتح بى هذا الامر وبذريتك يختم وكون المهدى من
ولده يحمل على ان فيه شعبة منه لما صح انه من ولد فاطمة وصح
انه من ولد الحسن وجاء انه من الحسين ولا تعارض لان فيه شعبة
من ولد الحسين ايضا فهو حسنى وفيه شعبة من ولد الحسين وشعبة
من العباس والترمذى وقال حسن غريب اللهم اغفر للعباس وولده لد
مغفرة ظاهرة وباطنة لا تغادر ذنبا اللهم اخلفه فى ولده والخطيب
وابن عساكر اللهم اغفر للعباس وولد العباس ولمن احبهم وابن عساكر
اللهم اغفر للعباس ما اسر وما اعلن وما ابدى وما اخفى وما كان
وما يكون منه ومن ذريته الى يوم القيمة والخطيب يا عباس انت
عمى وصنو ابى وخير من اخلف بعدى من اهلى اذا كانت سنة خمس
وثلاثين ومائة فهى لك ولولدك منهم السفاح ومنهم المنصور
ومنهم المهدى **واقسم عليك** **بام السبطين** الحسن والحسين فاطمة
وهى اصغر بناته صلى الله عليه وسلم **زوج** جردها عن النساء لا نزاع
على زوجها له النبى صلى الله عليه وسلم ثانى سنى الهجرة بوحى من الله
بذلك كما ورد وبنى بها بعد تزويجها بسبعة اشهر ونصف فى
ذى الحجة على رأس اثنين وعشرين شهرا وكان سنها حينئذ خمس
عشرة سنة وخمسة اشهر ونصفا وقيل نحو عشرين سنة وسن

التجهيز

على احدى وعشرين سنة واشهرا قال ابن عبد البر هى افضل بناته وكانت
فاطمة احب اهله اليه وكان يقبلها فى فمها ويمصها لسانه واذا اراد
سفرا يكون آخر عهده بها واذا قدم اول ما يدخل عليها توفيت بعده
صلى الله عليه وسلم فى رمضان سنة احدى عشرة فبينهما نحو ستة
اشهر وسنها تسع وعشرون سنة اى على القول الثانى وقد اسر اليها
النبى صلى الله عليه وسلم انها اول اهل بيته لحوقا به فسرت بذلك ودفنها
على ليلا بوصية منها واختلف فى محل دفنها والاشهر انها فى قبة ولدها
الحسن قرب محرابها وكان القطب ابو العباس المرسى يجزم به قيل
فلعله كوشف به وروى احمد فى المناقب والدولابى انها اغتسلت انا مقبوضة
ولبست ثيابا جددا واضطجعت وقالت الآن فلا يغسلنى احد
ولا يكشفنى فماتت فامتثل على وصيتها لكن يعارضه انها امرت
فاطمة بنت عميس بانها تغسلها وهذه مقدمة لان الاصل عدم
الخصوصية **وبنيها** يعنى اولادها الحسن والحسين ومحسنا وهذا
مات صغيرا وام كلثوم وزينب واولادهم الى قيام الساعة ولم
يكن له صلى الله عليه وسلم عقب الا منها فانتشر نسله من جهة السبطين
فقط وام كلثوم ولدت لعمر ذكرا وانثى وماتا صغيرين ثم بعد عمر
بعون بن جعفر ثم بعد موته باخيه محمد ثم باخيه عبد الله
ولم تعقب منهم شيئا ثم تزوج الاخير باختها زينب فولدت له
عدة منهم على وام كلثوم وانتشر نسلهما ولهم شرفا على من شرفا ولا د
عبد الله من غير زينب وادون من شرفا ولاد الحسنين لزيتهما
بما ورد فيهما وللعباسيين والطالبيين شرفا ايضا ومن ثم لقب
بالشرف كل عباسى ببغداد وعلوى بمصر ولجعفر الصادق ولد اسمه
اسحق تزوج السيدة نفيسة بنت الحسين بن زيد بن الحسن بن على
كرم الله وجهه وله منها ولدان لم يعقبا **وفرخوت العباء** وهم النبى
صلى الله عليه وسلم وفاطمة وعلى وابناهما ومر لبعض هؤلاء فضائل
كعلى وابنيه رضى الله عنهم ومن فضائل فاطمة ما صح عن ابيها
القائل تعالى فى حقه وما ينطق عن الهوى انما فاطمة بضعة منى

يؤذيني ما آذاها وينصبني ما أنصبها أحبّ أهلي إليّ فاطمة إذا كان
يوم القيمة نادى منادٍ من وراء الحجب يا أهل الجمع غضوا أبصاركم
عن فاطمة بنت محمد حتى تمرّ إنّ فاطمة أحصنت فرجها فحرّمها الله
وذريتها على النار فاطمة بضعة مني يغضبني ما أغضبها و
يبسطني ما أبسطها وإنّ الأنساب تنقطع يوم القيمة غير نسبي
وسببي وصهري فاطمة سيدة نساء أهل الجنة إلا مريم بنت عمران
أما ترضين أن تكوني سيدة نساء أهل الجنة قال يا فاطمة نزل ملك
من السماء فاستأذن الله أن يسلم علي فبشرني بأنّ فاطمة سيدة نساء
أهل الجنة يا فاطمة أما ترضين أن تكوني سيدة نساء العالمين
وسيدة نساء المؤمنين وسيدة نساء هذه الأمة وخبر أتاني جبريل
بسفرجلة من الجنة فأكلتها ليلة أسري بي فعلقت خديجة بفاطمة
فكنت إذا اشتقت إلى رائحة الجنة شممت رقبة فاطمة قال
الأئمة ردًّا على تصحيح الحاكم له إنه كذب موضوع جلي الوضع
لأنّ فاطمة ولدت قبل النبوة فضلا عن الإسراء وصحّ أنه صلى
الله عليه وسلم جعل على علي وفاطمة وابنيهما كساء وقال اللهم هؤلاء
أهل بيتي وخاصتي أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا فقالت
أم سلمة وأنا منهم فقال إنكِ على خير وفي رواية ألقى عليهم كساء
ووضع يده عليها وقال اللهم إن هؤلاء آل محمد فاجعل صلواتك
وبركاتك على آل محمد إنك حميد مجيد وفي أخرى أن الآية إنما يريد
الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا نزلت
ببيت أم سلمة فأرسل صلى الله عليه وسلم إليهم وجللهم بكساء ثم قال
نحو ما مر وفي أخرى أنهم جاؤوا واجتمعوا فنزلت فإن صحتا فهي
نزلت مرتين وفي أخرى أن أم سلمة قالت له ألست من أهلك قال
بلى وإنها دخلت الكساء بعدما قضى دعاءه لهم وفي أخرى صحيحة
أنها قالت يا رسول الله أنا من أهل البيت قال بلى إن شاء الله وفي
أخرى أن واثلة قال لما سمعه صلى الله عليه وسلم يصلي عليهم وهم
تحت الكساء وعلي يا رسول الله فقال اللهم وعلى واثلة وفي أخرى

صحيحة قال واثلة وأنا من أهلك قال وأنت من أهلي قال واثلة
وإنها لمن أرجى ما أرجو قال البيهقي وكأنه جعل في حكم الأهل
تشبيها بمن يستحق هذا الاسم لا تحقيقا وأشار المحب الطبري إلى
أن التجليل بالكساء لمن ذكر تكرر منه صلى الله عليه وسلم في بيت أم سلمة
وبيت فاطمة وغيرهما وبه يجمع بين اختلاف الروايات في هيئة
اجتماعهم وما جللهم به وما دعا به لهم وما أجاب به واثلة وأم سلمة
وفي أخرى سندها حسن أنه اشتمل على العباس وبنيه بملاءة ثم قال
يا رب هذا عمي وصنو أبي وهؤلاء أهل بيتي فاسترهم من النار كستري
إياهم بملاءتي هذه فأمنت أسكفة الباب وحوائط البيت فقالت آمين
ثلاثا وأقسم عليك باز ولحك اللواتي تشرفن بأن صاهرن علا لنا
والنقايص لما صح عنه صلى الله عليه وسلم أن الله لم يزوجه إلا من
ستكون معه في الجنة منك حال من قوله بناء أي دخول وظاهر
كلامه أن من تزوجها ولم يدخل بها لم يحصل لها ذلك الشرف وينبغي
تخريجه على حرمتها على غيره فإن قلنا تحرم وهو الأصح حصل لها الشرف
أو تحل لم يحصل لها وهن إحدى عشرة متفق عليهن ست قرشيات
وأربع عربيات وإسرائيلية أولهن خديجة تزوجها صلى الله عليه وسلم
بعد زوجين وولدت لكل منهما ولها يوم تزوجها أربعون سنة وأشهر
وله خمس وعشرون عند الأكثرين وكانت قد عرضت نفسها عليه
كما مر وهي أول من آمن به من النساء وفي الصحيحين أن جبريل قال
يا محمد هذه خديجة قد أتتك بإناء فيه طعام أو إدام أو شراب
فإذا هي أتتك فاقرأ عليها السلام من ربها ومني وبشرها ببيت في الجنة
من قصب أي لؤلؤ لا صخب فيه ولا نصب وأولاده صلى الله عليه وسلم
كلهم منها إلا إبرهيم واختلف في عدتهم وجملة ما اتفق عليه منهم ستة
القاسم ولد قبل النبوة وبه كان يكنى ومات بعد نحو سنتين على
خلاف فيه وأربع بنات زينب وهي أكبرهن وماتت سنة ثمان من
الهجرة عند زوجها ابن خالتها أبي العاص بن ربيع وولدت منه عليا
كان رديفه صلى الله عليه وسلم يوم الفتح ومات قبل الاحتلام وأمامة

التي جملها في صلاته تزوجها علي بعد فاطمة رضي الله عنهم ثم رقية
توفيت وهو صلى الله عليه وسلم ببدر ولما عزي بها قال الحمد لله دفن
البنات من المكرمات خرجه الدولابي ثم ام كلثوم توفيت سنة تسع
من الهجرة تزوجها عثمان بعد ابني ابي لهب ثم فاطمة الزهراء البتول
قال ابن عبد البر ولدت سنة احدى واربعين من مولده صلى الله
عليه وسلم والذي رواه ابن اسحق انها ولدت قبل النبوة زاد ابن
الجوزي قبلها بخمس سنين وسميت فاطمة والزهراء لما مر وبتولا لان
الله قطعها عن النسا حسبا وفضلا او لانقطاعها الى الله واختلف
في انه صلى الله عليه وسلم هل ولد له غير اولئك الستة فقيل الطيب
والطاهر وعبد الله قيل الاولان لقبان للثالث ومات صغيرا
وهو الاصح وقيل عبد مناف وقيل المطهر واما ابرهيم فمن سريته ما رية
القبطية ولد في الحجة سنة ثمان وسماه ابرهيم باسم ابيه قبل السابع
او فيه روايتان وجمع بانها وقعت قبله مخفية واظهرت فيه وكان
صلى الله عليه وسلم يذهب اليه وهو في العوالي عند ظئره الحداد فياخذه
ويقبله ثم يرجع توفي وله سبعون يوما وقيل سنة وعشرة اشهر
وقيل غير ذلك وفي رواية انه لم يصل عليه اي بنفسه بل امرهم فصلوا
عليه وفي حديث لو بقي لكان نبيا لكنه لم يبق لان نبيكم آخر الانبيا لكن
بالغ النووي في تزييفه وبطلانه ورد بانه ورد من طرق ولا
اشكال فيه لان القضية الشرطية لا تستلزم الوقوع بل ولا الامكان
توفيت خديجة قبل الهجرة بنحو ثلاث سنين ودفنت بالحجون عن خمس
وستين سنة ثم تزوج سودة بنت زمعة بعد موت ابن عمها رضي الله
عنهما اخي سهل بن عمرو بمكة لما ان رجعا من الحبشة بعد عقده على عايشة
رضي الله عنها ودخل بها قبل عايشة على ما جمع به بين الخلاف في ذلك
واراد طلاقها لما اسنت فوهبت نوبتها لعايشة فامسكها توفيت
بالمدينة في شوال سنة اربع وخمسين ثم عايشة بمكة في شوال سنة
عشر من النبوة ودخل بها في المدينة في شوال على راس ثمانية عشر شهرا وهي
بنت تسع سنين ولم يتزوج بكرا غيرها واحبها صلى الله عليه وسلم اكثر من

نسائه ولما فقدها في بعض اسفاره قال واعروساه خرجه احمد وكانت
فقيهة عالمة حافظة فصيحة ماتت بالمدينة سنة سبع وخمسين
وكناها صلى الله عليه وسلم ام عبد الله بابن اختها عبد الله بن الزبير
لا بسقط اسقطته منه صلى الله عليه وسلم لان ذلك لم يثبت وهي و
خديجة افضل امهات المؤمنين ثم الاصح ان خديجة افضل لما صح
ان عايشة لما قالت له قد رزقك الله خيرا منها قال لا والله ما
رزقني الله خيرا منها آمنت بي حين كذبني الناس واعطتني مالها
حين حرمني الناس ولانه صلى الله عليه وسلم اقرا عايشة السلام
من جبريل وخديجة السلام من الله والاصح ايضا ان فاطمة افضل
من خديجة لما فيها من البضعة الكريمة التي لا يعادلها شي والخبر
المقتضي لخيرية خديجة اجيب عنه بانه من حيث الامومة لا السيا دة
وممن جرى على ذلك الامام المجتهد التقي السبكي فقال الذي نختا ره
وندين الله به ان فاطمة ثم خديجة ثم عايشة واختار ايضا ان افضل م
مريم افضل من خديجة للاختلاف في نبوتها ثم حفصة بنت عمر
سنة ثلاث من الهجرة بعدما رجعت من هجرة الحبشة وموت زوجها
بعد غزوة بدر وطلقها صلى الله عليه وسلم فاوحى اليه راجعها
فانها صوامة قوامة وانها زوجتك في الجنة توفيت سنة خمس و
اربعين ثم ام سلمة هند بعد موت ابي سلمة سنة اربع وكانت
من اكمل النساء ماتت سنة تسع وخمسين ودفنت بالبقيع
ثم ام حبيبة رملة بنت ابي سفيان بن حرب بعد ان مات زوجها
عبد الله بن جحش بالحبشة مرتدا سنة ست زوجها النجاشي لعمرو بن
امية الضميري وكيله صلى الله عليه وسلم واصدقها عنه اربعمائة
دينار وبعث بها اليه صلى الله عليه وسلم فدخل بها سنة سبع
ماتت سنة اربع واربعين وتزوج زينب بنت جحش بعد زيد بالمدينة م
زوجه الله اياها فدخل عليها بغير عقد كما دلت عليه الاية
وكانت تفتخر بذلك على امهات المؤمنين سنة خمس وقيل ثلاث
وهي اول من مات منهن بعده وصح عن عايشة لم تكن امراة خيرا منها

في الدين واتقى لله واصدق حديثا واوصل للرحم واوسع صدقة
واشد ابتذالا لنفسها في العمل الذي تصدق به وتتقرب به الى الله
اي وهو الربيع رواه مسلم ماتت بالمدينة سنة عشرين وتزوج
زينب بنت خزيمة الهلالية وكانت تسمى في الجاهلية ام المساكين
لاطعامها اياهم سنة ثلاث ثم ماتت بعد ثلاثة اشهر وتزوج ميمونة
بنت الحارث الهلالية سنة سبع بعد خيبر بسرف وبنى بها فيه وكا
حلالا وورواية محرما معناها انه في الحرم على ان من خصائصه صلى الله
عليه وسلم ان له ان ينكح وهو محرم وماتت فيه سنة احدى وخمسين
وقبرها به مشهور يزار ويتبرك به وتزوج جويرية بنت الحرث
الخزاعية وكانت وقعت في سهم ثابت بن قيس بن شماس الانصاري
فكاتبها فجاءت تسأل النبي صلى الله عليه وسلم وعرفته بنفسها
فقال هل لك الى ما هو خير من ذلك أؤدي عنك كتابتك واتزوجك
قالت نعم فسمع الناس بذلك فاعتقوا ما في ايديهم من قومها
وقالوا اصهار رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت عائشة رضي الله
عنها فما رأينا امرأة كانت اعظم على قومها بركة منها اعتق في
سببها مائة اهل بيت من بني المصطلق خرجه ابو داود وعن ابن
شهاب انه اختارها من السبي فحجبها وقسم لها وكانت بنت عشر
سنة توفيت سنة خمسين وتزوج صفية بنت حيي من نسل هرون
صلى الله على نبينا وعليه وسلم وعلى سائر الانبياء والمرسلين وهي
من سبي خيبر اذن صلى الله عليه وسلم لدحية في اخذ جارية فاخذ
فقيل اعطيته سيدة قريظة والنضير لا تصلح الا لك فخشي عليهم
الفتنة فاعطاه غيرها ثم اعتقها وتزوجها وبنى بها وهو راجع
الى المدينة وفي رواية انه صلى الله عليه وسلم قال لها هل لك في فقالت
يا رسول الله اني كنت اتمنى ذلك في الشرك وكان بعينها اخضر
فسألها عنها فقالت انها كانت نائمة ورأس زوجها ملكهم في حجرها
فرأت قمرا وقع في حجرها فاخبرته فلطمها وقال تتمنين ملك يثرب
ماتت في رمضان سنة خمسين ودفنت بالبقيع فهؤلاء نساؤه

المجمع عليهن واختلفوا في ثنتي عشرة امرأة بعضهن الاصح فيه انه
طلق قبل الدخول وبعضهن الاصح فيه انه لم يتزوجه ومحل
بسط ذلك في كتب السير **الامان** اي اقسم عليك بهؤلاء المذكورين
وما منحتهم به ان تنيلني من حضرتك بواسطة شفاعتك فتالى
من لا يخيب شفاعتك او ان تؤتيني الامان **الامان** تأكيد اي من
عقاب الله ما اقترفته من الذنوب وفظيعة ما جمعته من العيوب
ان بالفتح تعليلا وبالكسر استئنافا وفيه ايماء الى العلة ايضا
فؤادي من اجل **ذنوب اتت تفضح هواه** اي خال عن فهم ما ينفعني
في ديني ودنياي لفرط الحياء والخجل من الله والدهشة من خوف عقابه
وسخطه وفي نسخة هباء اي لا وجود له فيرجع بمعنى الاول ومما
يعطفك على تحقيق رجاء اغاثتك بي وامدادك لي انه **قد تمسكت**
اي توثقت واعتصمت **من ودادك** اي محبتي لك وكون المحبة
تستلزم الاتباع انما هو اغلبي كما يدل عليه حديث يا رسول الله الرجل يحب
القوم ولا يعمل بعملهم فقال المرء مع من احب او ان المستلزم لذلك
هو كمالها او ان ذلك من الناظم من هضم النفس بتقدير ما لم يقع
واقعا كما هو شان الخوف المراعي مطلقا او في بعض الاحوال
بالحبل اي السبب الاقوى وهو العهد الوارد عنك في الاحاديث
الصحيحة ان المرء مع من احب وان لم يعمل بعملهم **الذي استمسكت**
به الشفعاء من الانبياء والاولياء والعلماء والصلحاء فلم
يحصل لهم مرتبة الشفاعة الا بواسطة محبتهم لك واذا اورثتهم
محبتكم مرتبة قبول شفاعتهم في الاغيار اورثتني وقوع شفاعتك
في بجامع اني احبك كما يحبونك وان اختلف مقدار المحبة في
الطرفين واعلم ان العلماء والعارفين اختلفت عباراتهم في المحبة
وكثرت لكن ليس اختلافا في حقيقتها بل في احوالها وثمراتها اذ
حقيقتها من المعلومات التي لا تحد كما اطبق عليه المحققون وانما
يعرفها من قامت به وجدانا لا يمكن التعبير عنه ومن ثم قال
صاحب مدارج السالكين كغيره هي لا تحد بحد اوضح منها فالحد

لا تزيدها الاخفاء وجفاء وانما تكلم الناس فى اسبابها وموجباتها
وعلاماتها وشواهدها وثمراتها واحكامها فحدودهم ورسومهم
دارت على هذه الشريطة وتنوعت بهم العبارات وكثرت
الاشارات بحسب الادراك والمقام والحال وقد وضعوا لها
حرفين مناسبين لها غاية المناسبة الحاء التى هى من اقصى الحلق
والباء الشفهية التى هى نهايته فللحاء الابتداء وللباء الانتهاء
وهذا شان المحبة وتعلقها بالمحبوب فان ابتداءها منه وانتهاءها ها
اليه واعطوا الحب الضم الذى هو اشد الحركات واقواها مطابقة
لشدة حركة مسماه وقوتها واعطوا الحب وهو المحبوب الكسر
لخفتها المطابقة لخفة المحبوب وذكره على القلب واللسان
وهذه مناسبة عجيبة بين الالفاظ والمعانى فعلمك لى بان غير
لغة العرب لا يلحقها واعلم ايضا انه صح فى الحديث لا يؤمن
احدكم حتى اكون احب اليه من ولده ووالده وماله والناس س
اجمعين قالوا المراد هنا حبه صلى الله عليه وسلم اى الميل اليه
اختيارا لا طبعا وكل من كان ذا نفس مطمئنة كان حبه لها
وامارة كان مرجوحا وفى كلام عياض ان هذا شرط لصحة الايمان ٥
ورد بان حمل المحبة على معنى التعظيم والاجلال وليس مرادا هنا
اذ اعتقاد الاعظمية لا يستلزم المحبة اذ قد يجد الانسان اعظام
شئ مع خلوه عن محبته وانما المراد الميل كما تقرر فمن لم يجد ذلك
الميل لم يكمل ايمانه وفى صحيح البخارى ان عمر قال يا رسول الله انت
احب الى من كل شئ الا نفسى التى بين جنبى فقال النبى صلى الله عليه وسلم
لن يؤمن احدكم حتى اكون احب اليه من نفسه فقال عمر والذى انزل
عليك الكتاب لانت احب الى من نفسى التى بين جنبى فقال له
صلى الله عليه وسلم الآن يا عمر فهذه المحبة باعتقاد الاعظمية فقط ليست
فانه حاصل لعمر قطعا وانما وقف لان حب الانسان نفسه طبعى
وغيره اختيارى بواسطة الاسباب وهذا هو الذى اراده من
عمر اذ لا سبيل الى قلب الطبع وتغيير ما جبلت عليه النفس فجواب

عمر انه لا بحسب الطبع ثم تأمل فعرف بالدليل انه صلى الله عليه وسلم
احب اليه من نفسه نظرا لكونه الذى انقذه من هلاك الدنيا والآخرة
فاخبر بما اقتضاه الاختيار فاجابه بالآن اى عرفت فنطقت بما
يجب ومن علامة محبته صلى الله عليه وسلم ايثار مأموره ومنهيه
على جميع اغراضه قال القرطبى وكل من آمن به ايمانا صحيحا لا
يخلو عن وجدان شئ من تلك المحبة الراجحة ولكنهم يتفاوتون
فيها تفاوتا وتاظاهرا وكثير من العامة يؤثره ويشتد على اهله وماله ...وولده
وكذا زيارته بل زيارة آثاره لما وقر فى قلوبهم من محبته غير ان
ذلك سريع الزوال لتوالى الغفلات والشهوات عليهم **وانى الله**
اى لم يرد كما جرت به عادة كرمه وفضله وجوده ودل عليه ما
تفضل به عليك بقوله عز قائلا ولسوف يعطيك ربك فترضى
والمعلوم المستقر من اخلاقك الجميلة والذى دلت عليه آثارك
الجليلة ان من لجا اليك لا تخيبه من شفاعتك ولا يحرمه ربك
من فضله مسارعة الى رضائك ومن ثم اخبرتنا عنه تعالى انه سبحانه
يقول لك فى ذلك الجمع الاكبر على رؤس الاشهاد قل يسمع لك وسل تعط
واشفع تشفع **ان يمسنى السوء بحال** اى فى حال من الاحوال
الدنيوية والاخروية والحال ان **لى اليك التجاء** اى استناد لمزيد
تحقق لك وخدمتى لجنابك ومن هو كذلك حقيق بان لا يناله
من ربه عذاب ولا سخط ولا حرمان ولا قطيعة ولاجل ذلك
قد رجوناك معشر محبيك وخدامك ايها النبى الكريم اى املنا
فيك **للامور** الخطيرة العظيمة من الذنوب والمخالفات والغفلات
والشهوات **التى بردها** اى ابردها **فى فؤاد نار رمضاء** اى نار تتقد
من شدة خوف المؤاخذة بما كسبته قلوبنا والسنتنا وجوارحنا
وبين ابردها ورمضاء والفقر والغنى المطابقة **واتينا اليك**
بقلوبنا اى وجهناها الى الاستعاذة بك من كل مكروه او الى قبرك
المكرم حال كوننا **انضاء** جمع نضو بكسر النون اى مهازيل **فقر**
من الاعمال الصالحة فلكثرة ما حملناه من الذنوب ضعفنا عن حمله

وهزلنا بسبب ثقل حملتنا الى حضرتك التي فيها الغنى الاكبر انضاء
اى ركايب مهازيل الجهد بها طول السير وشدة الاسراع بها الى الو
الحضرتك العلية اغتناما للوقوف بساحة كرمها والتملي بشهود
احسانها ونعمها وانطوت اى استترت في الصدور اى القلوب
حاجات نفس املت حصولها من جنابك الكريم ترفعها اليك اذا وصلت
الى حضرتك وحظيت بحلول نظرك منها الامداد من مزاياك
والتوسل والتشفع بك الى مولاك لانه لا وسيلة اليه اقرب منك
اليه ولا احد بعدك يعول الكمل فضلا عن غيرهم عليه فحينئذ
كانت تلك الحاجات ما لها عن ندى اى عطا يديك الكريمتين انطواء
اى استتار واستغناء بل لا يقضيها غير جاهك الواسع ولا يمنحها
غير عطائك الهامع فلا ارتحال للناعين واسع جودك ولا انصراف
عن ساحة كرمك بل لا نزال المقيمين بجوارك مستمطرين لندى
آثارك طامعين في حصول كل ما املناه بشفاعتك التي هي مطمع
المقربين ووسيلة المقصرين فاغثنا بها لتقضى جميع حاجاتنا لوفور
جاهك وعظيم منزلتك عند ربك يا من هو الغوث للمكروبين والملجأ
للمنقطعين المنقذ لهم من الشدائد والغيث المريع للمضطرين المشبع
للجايعين المجزل لهم من العوائد فازل شكوانا وارفع لاوانا اذا الجهد
الورى اللاواء اى اذا ضيق على الخلق الجدب حتى اشرفوا على التلف
والجواد الاعظم الذي لم يخلق الله من يصل الى ادنى مراتب جوده فضلا
عن ان يساويه فيه به اى بسببه تفرج الغمة عنا معشر امته وتكشف
الحوباء بفتح اوله وضمه اى الاثم اى عقابه والشدة والحاجة والحالة
القبيحة وفي نسخة به تفرج الكربة عنا وتكشف الغماء وهي بمعنى لا
لتساويهما والكربة اذ هما الكرب الذي يشتد على النفس الى ان يكاد
يقتلها والغماء والحوباء في معانيها المذكورة من غم الهلال لستره غيم
او نحوه والخبر استعجم يا نداء يتضمن غاية الاستعطاف والتحنن
والترحم وهو معطوف على النداء قبله بحذف حرف العطف او مستانف
لكنه بعيد رحيما من الرحمة وهي رقة القلب وغايتها التفضل

والانعام

والانعام او ارادتهما ومر في يا سماء اول ابيات هذه القصيدة
ما يتعين استحضاره هنا بالمؤمنين مقتبس من قوله تعالى بالمؤمنين
رؤف رحيم وكان بالمؤمنين رحيما ومر في شرح قوله رحمة كلها ما يعلم
بسعة رحمته لا سيما بالمؤمنين وباهر رأفته لا سيما على الضعفاء
والمساكين والايمان التصديق الاجمالي في الاجمالي والتفصيلي في
التفصيلي بجميع ما علم من دين محمد صلى الله عليه وسلم بالضرورة
عندنا اذ لا يكفر منكر غير الضروري وهو ما يستوي في معرفته الخاص
والعام او بالاجماع وان لم يكن ضروريا لان انكار المجمع عليه غير
الضروري كفر عند غيرنا بل وجماعة منا ولا يكفي التصديق وحده
بل لا بد معه من الاقرار بالشهادتين باللسان فان تركه مع القدرة
عليه كان كافرا مخلدا في النار كما نقله النووي عن اهل السنة
لكن اشار الغزالي رحمه الله الى ما اختاره جمع محققون غيره انه
من اهل الجنة وتركه التلفظ معصية فقط لان قلبه مملوء بالتصديق فكيف
يخلد والكلام فيمن لم يمتنع منه جحودا او انكارا والا كان كافرا اجماعا و
الاعمال من الايمان عندنا كاكثر المحدثين اى من كماله فالميت مؤمنا فاسقا
تحت المشيئة قال تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون
ذلك لمن يشاء وقالت الخوارج انه كافر والمعتزلة انه لا كافر ولا مؤمن
وهو عندهما مخلد في النار لانتفاء الايمان المتكفل بدخول الجنة
تنبيه مهم يتعين الاحاطة به لعظم جدواه وعزة فحواه • اعلم
ان رحيما صيغة مبالغة بل ذكر غير واحد انه ابلغ من الرحمن وانه يستعمل
في الله وغيره لكن في استعمال صيغة المبالغة فيه تعالى اشكال ومن ثم
قال بعض الائمة صفات الله تعالى التي على سبيل المبالغة كلها مجاز
لاستحالة حقيقة المبالغة فيها لانها ان تثبت للشيء اكثر مما له
وصفاته تعالى متناهية الكمال وايضا فهي انما تكون في صفة تقبل
الزيادة والنقص وصفاته تعالى منزهة عن ذلك واستحسن ذلك التقي السبكي
وغيره فاستشكل والله على كل شيء قدير بانه لما فيه من المبالغة يستلزم
الزيادة على معنى قادر وهي محال واجاب الزركشي عن الاول بان صيغة

المبالغة اما بحسب زيادة الفعل او تعدد المفعولات وهذا لا يوجب
للفعل زيادة لان الفعل الواحد قد يقع على متعدد وعلى هذا تحمل
صفاته تعالى بلا اشكال ولهذا قال بعضهم في حكيم معنى المبالغة
فيه تكرر حكمه بالنسبة الى الشرايع وفي الكشاف المبالغة في التواب
اى في نحو وهاب وتواب للدلالة على كثرة من يتوب عليه من عباده
او في قبول التوبة حتى نزل صاحبها منزلة من لم يذنب قط لسعة
كرمه وغير الزركشي عن الثاني بما يؤول لما قاله الزركشي وهو ان
المبالغة لما تعذر حملها على كل فرد وجب صرفها الى مجموع الافراد التي
دل السياق عليها فهي بالنسبة الى الكثرة المتعلق لا الوصف واعلم
ايضا ان نفي المبالغة في الفعل لا يستلزم نفي اصل الفعل ويشكل عليه
وما ربك بظلام للعبيد وما كان ربك نسيا واجيب عن الاول
بان ظلاما وان كان للكثرة لكنه جيء به في مقابلة العبيد الذي
هو جمع كثرة ويرشحه قوله تعالى علام الغيوب عالم الغيب قابل
في الاول المبالغة في الجمع وفي الثاني صيغة اسم الفاعل الدالة على
اصل الفعل بالواحد وبانه نفي الظلم الكثير لينتفي القليل ضرورة
لان الظالم يقصد بظلمه الانتفاع بما يأخذه فاذا ترك الكثير مع
زيادة نفعه فالقليل اولى وبانه بمعنى ذي ظلم ونسب للمحققين
وبانه بمعنى فاعل فلا كثرة فيه وبان اقل القليل لو وقع منه تعالى
لكان كثيرا كما يقال زلة العالم كبيرة وبانه اراد ليس بظلام ليس
بظالم تاكيدا للنفي فعبر عن ذلك بليس بظلام وبانه ورد ردا على
من قال ظلام فلا مفهوم له وبان صيغة المبالغة وغيرها في صفاته تم
تعالى سواء في الاثبات فجرى النفي على ذلك وبانه تعريض بان ثم ظلاما ما
للعبيد من ولاة الجور وهذه كلها تصلح جوابا عن الثانية وزيد عليها
وهو مناسبة رؤس الاى اذا ظرف لرحيما ما زايدة ذهلت اى غفلت عن
ابنائها الرحماء مقتبس من قوله تعالى يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما
ارضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى
ولكن عذاب الله شديد وتقييد رحمة للمؤمنين بهذا الليس لانتفائها

في

في غيره بل لانها في هذا اليوم اظهر واعم لان الله تعالى يظهر له صلى الله عليه وسلم
من العظمة والسودد والتقدم على جميع الانبياء والمرسلين وتخصيصه
بالشفاعة العظمى في فصل القضاء ما يعلم جميع اهل ذلك الموقف انه
لا اقرب منه الى ربه وان كل نسب ينقطع في ذلك اليوم الا حسبه ونسبه
وفي الرحيم والرحماء رد العجز على الصدر والذمام والذماء وعدات وصعاد
وصعداء واقتفى واقتفاء ووغرة وغراء ويتقي والاتقاء وذرعا
ودرعاء والعرج والعرجاء ورضا والرضا وحب والحباء جناس
الاشتقاق او شبهه واعمال وما لِ جناس ناقص وبطان وبطاء لاحق
وحر والحر محرف يا شفيعا من الشفاعة وهي السعي في اصلاح حال
المشفوع فيه عند المشفوع اليه في المذنبين في غفران ذنوبهم وكشف
كروبهم اذا ظرف لشفيعا وفيه ما في الذي قبله اشفق اى ذل اذ الشفق
يطلق على المشقة وشان من حصلت له المشقة الذلة والدهش
وحمله على هذا هو الصواب واما تفسير الشارح له بالخوف فهو وان
كان موضوعا له ايضا لكنه لا يناسب هنا لانه لا يلايم قوله
من اجل خوف عقاب ذنبه عايد للبرأء المتقدم رتبة وافراده
نظرا للفظ لا للمعنى او لكون المراد منه الجنس على حد قوله صلى الله
عليه وسلم خير نساء ركبن الابل نساء قريش احناه على طفل الحديث
البرأء من الكباير جمع برئ بوزن قتيل وذكرهم لان خوفهم
من الصغاير فقط يدل على شدة ذلك اليوم ومناقشة الحساب
فيه وان الخوف فيه من الذنوب يعم اكثر الناس لانهم لا يخلون عن
صغيرة من الصغاير بل لا يخرج من ذلك الا المعصومون ويلحق بهم
المحفوظون ومع ذلك يعمهم الخوف ايضا وان لم يكن لهم ذنب كيف
والانبياء شعارهم في ذلك اليوم اللهم سلم سلم جد يا من تحلى بكمال
الرحمة ونهاية الشفاعة بجاهك الواسع فانه لا اوجه منك عند
ربك لعاص استاسرته الخطايا واحاطت به المحن والبلايا والاصل
لي ولنا فهو تجريد والتفات واثر فيه التنكير لما ياتي ولم يعين
ما يجود به عليه قصدا للعموم المسؤل بان يجود عليه في ذلك اليوم

بايصاله بشفاعته له الى كل مرغوب وصرفه عن كل مرهوب وما
نافية سواي اي غيري هو العاصي ولكن تنكرها الواقع في قولي
لعاصٍ استحياء منك ان اذكر لك نفسي بلفظ يدل عليها بخصوصها
مع اجمالك بالتصريح بارتكابها ما نهيتها عنه وحمل الاستحياء على
التنكير مبالغة كرجل عدل فان قلت ذاك انك مصدر ان يحلا ف
هذا قلت المراد التشبيه من حيث ان حمل الخبر في كل يحتاج لتأويل
لان الحمل شرطه المساواة وهي غير موجودة هنا للتباين مدلوليهما
هذا تقرير عبارته وفيه مؤاخذتان احداهما الذي عليه الجمهور ان
ضمير الفصل انما يفيد قصر المسند على المسند اليه وكذا تعريف الخبر
على ما ذكره صاحب المفتاح ويشهد له الاستعمال نحو ان الله هو الرزا ق
اي لا رزاق سواه وفي الفايق وكلام الكشاف يميل اليه ان تعريف
الخبر قد يكون لقصر المسند اليه وقد يكون لقصر المسند بحسب المقام
فعلى الاول ان هو العاصي دال على حصر العصيان في سواي كزيد هو
القائم والمستفاد من النفي الداخل على الجملة نفي ذلك الحصر بناء على
ما هو المشهور ان النفي يتوجه للقيد فان توجه للمقيد ايضا
توجه الاعتراض الآتي من باب اولى وحينئذ فمفهومه يشمل شيئين
انه عاص وحده وانه عاص هو وغيره لانك اذا قلت ليس سوى زيد
هو القائم احتمل مفهومه ان زيدا هو القائم وحده وانه وغيره قائمان
واذا افهم النظم ذلك لم يصح قوله ولكن الى آخره لانه اثبت على احتمال
العصيان لغيره معه وهو خلاف قصده من انه العاصي وحده
اي ادعاء وهضما للنفس لا حقيقة لان الواقع بخلاف ذلك
ثانيهما ان التنكير هنا لا نسلم انه يفيد الاستحياء ولئن افاده
فشان السائل عدم الحياء لان المطلوب من المحتاج ان يرفع حاجته
مبينا لنفسه حتى يعرف حاله فيتعطف عليه فابهامه لنفسه
حينئذ غير لائق ولك ان تجيب عن الاولى بان من الواضح ان سوى
كغير فلا تتعرف بالاضافة الا اذا وقعت بين ضدين بل قال جماعة
لا تتعرف بها مطلقا وان ال في العاصي للعهد الذهني فهي للجنس على حد

ولقد امر على اللئيم يسبني فيراعى فيهما التنكير تارة والتعريف اخرى
وحينئذ فزال الحصر الموهم مفهومه ما مر وصار المعنى وما سواي عا صيا
بل انا العاصي وحدي وعن الثانية بان السائلين على اقسام منهم
من يغلب عليه الحياء والخجل من ارتكابه ما كان سببا لسؤاله فيستر
نفسه حياء وخجلا من المواجهة بالتصريح بارتكاب القبائح
وسترا واحتشاما من اعترافه بالنقايص والفضائح خشية من ان
ينظر عليه ما يعين سبب سؤاله فيكون مقتضيا لحرمانه والنا ظم
رحمه الله من مزيد اجلاله للنبي صلى الله عليه وسلم راعى ذلك فنكر
نفسه وذكر الوصف المقتضي لسؤاله على جهة الابهام لا التفصيل
حياء من ان يبين نفسه او معصيتها فيكون ذلك سببا لرده
تنبيه لا زلت اتطلب ان ما ذكره الناظم هنا من ان سبب التنكير
قد يكون للاستحياء هل صرح به احد غيره حتى وجدتهم صرحوا بما يقرب
منه وهو قولهم لكل من التنكير والتعريف مقام لا يليق بالآخر فمن اسباب
التنكير ارادة الوحدة نحو وجاء رجل من اقصى المدينة يسعى اي واحد
ارادة النوع نحو هذا ذكر اي نوع من الذكر وعلى ابصارهم غشاوة
اي نوع غريب من الغشاوة لا يتعارفه الناس بحيث غطى ما لا يغطيه
شيء من الغشاوات ومما يحتملهما والله خلق كل دابة من ماء اي كل نوع
منها من كل نوع منه او كل فرد من افرادها من افراد النطف ارادة
التعظيم بمعنى انه اعظم من ان يعين ويعرف نحو فاذنوا بحرب ولهم
عذاب اليم ان لهم جنات وسلام عليه ارادة التكثير نحو ان لنا
لاجرا اي وافرا جليلا ارادة التقليل نحو ورضوان من الله اكبر
اي رضوان قليل منه اكبر من الجنات باسرها ارادة التحقير بمعنى
انحطاط شانه الى حد لا يمكن ان يعرف نحو من اي شيء خلقه اي من اي
شيء حقير مهين ثم بينه بقوله من نطفة خلقه وهذا المعنى يقرب
من الاستحياء الذي ذكره الناظم وهنا قاعدة يعم نفعها وهي ان الاسم
اذا ذكر مرتين فان كانا معرفتين فالثاني عين الاول غالبا لدلالة على
المعهود الذي هو الاصل في اللام او الاضافة نحو اهدنا الصراط المستقيم

صراط الذين او نكرتين فالثانى غير الاول غالبا وقد اجتمعا فى فان مع
العسر يسرا ان مع العسر يسرا قال صلى الله عليه وسلم لن يغلب عسر
يسرين فهو تصريح بما ذكر فى القسمين او الاول نكرة فقط فكالقسم
الاول نحو رسولا فعصى فرعون الرسول او عكسه حكمت القرائن
ونقضت هذه القاعدة بآيات كثيرة هل جزاء الاحسان اى العمل
الا الاحسان اى الثواب وهو الذى فى السماء اله وفى الارض اله من ع
ويؤت كل ذى فضل فضله وبرده ما مر انفا اغلبية على ان بعض
المحققين بين ان جميع ما اورد عليه من الآيات من جملة افرادها
وانه لم يشذ عنها شئ لكن فى بعضه تكلف وتداركه اى ادركه بالعناية
منك له بان تمده بسوابغ كرمك وتفرغ عليه سجال حلمك حتى لا ياتى
قط بمفوة ما دام له بالذمام بالمعجمة تتم متعلق بتداركه اى اد ركه
بحق حرمتك التى انعم الله بها عليك ما دام له منك ذماء بالمعجمة اى
تعلق واصله بقية الروح فى المذبوح اى ما دام فيه ادنى
تعلق واستمساك بك لانك اكرم الكرماء من الخلق وعادة الكريم ان
من تعلق به يحامى كل ما يخافه من اليم العذاب وبعد الحجاب ولم
لا وقد اخرته اى ذلك العاصى الاعمال السيئة التى ارتكبها والمال
الفانى الذى امسكه عن صرفه فى وجوه الخير وجمعه من وجوه
الشر حتى اشتغل به قلبه وطاش فى جمعه لبه ولم يبال عن اى واد
جمعه ولا باى وصف اكتسبه عما قدم الصالحون جمع صالح وهو القايم ع
بحقوق الله وحقوق العباد وهو يشمل حق الملائكة ومن ثم اخبر
صلى الله عليه وسلم ان المصلى اذا قال فى تشهده السلام علينا وعلى
عباد الله الصالحين اصابت كل عبد لله صالح فى السماء والارض
وبين اخرته وقدم الطباق كالحسنات والسيئات والملح والفرات
والشتاء والحر والبرد ويوم وليلة والرجاء والخوف والاقوياء
وضعفت الآيات والاغنياء من الاعمال الصالحة والانفاق فى وجوه
الخيرات وهذا لف ونشر مرتب لان الاول للاعمال والثانى للمال ثم
اعترف بذنوبه لان الاعتراف مظنة العفو قال تعالى وآخرون

اعترفوا بذنوبهم الآية متندما عليها الحديث الصحيح الندم توبة
فقال كل يوم وليلة ذنوبه صاعدات مع ملائكة الليل والنهار
الذين يرفعون اعمال العباد فيهما الى الله تعالى اظهارا للعظيم فضل
الطايع وقبح فعل العاصى وعليها اى من اجلها انفاسه صعداء
اى متواترة ممدودة من شدة ما يلقى من كرب الندم وفرط الاغم
عليها وسبب الوقوع فى ورطتها انه الف البطنة بالكسر امتلاء
من الطعام والشراب كذا قال الشارح والذى فى القاموس انها
الاشر والبطر وقال فى البطر انه النشاط والاشر وقلة احتمال
النعمة والدهش والحيرة والطغيان بالنعمة وكراهة الشئ من غير
ان يستحق الكراهة انتهى وكل ذلك صحيح هنا وقال فى البطن بوزن
كتف انه الاشر المتمول ومن همه بطنه والرغيب لا ينتهى من الاكل التبطين
السير الى الله المعوق عن الاجتهاد فى رضائه باستفراغ الوسع فى
الاعمال الصالحة التى هى سبب هداية السبيل وتنزيه النفس عن كل
وصف دنى وخلق رذيل ولو لم يكن من شوم البطنة الا ما اشار
اليه صلى الله عليه وسلم بقوله المؤمن ياكل فى معا واحد والكافر
ياكل فى سبعة امعاء من انها تفسد العقل باذهاب فطنته و
البدن باذهاب نشاطه وقوته بدار وهى الدنيا بها اى فيها
البطان جمع بطين ككرام جمع كريم بطاء جمع بطئ على وزن الجمع
الذى قبله فهم متاخرون عن الفائزين متخلفون عن السابقين
فبسبب عصيانه بكى ذنبه بقسوة قلب اى مع شدته وغلظته
المؤديتين الى ان البكاء صورى لا حقيقى ومن ثم نفت تلك القسوة
الدمع عن ان يبرز منه شئ فى عين ذلك البكاء فبسبب هذا
النفى انقلب البكاء عن حقيقته وهى حزن يعترى القلب فيحصل له
من الهيبة والقلق المزعج والخوف المقلق ما يجرى الدموع ويهيج النحيب ع
وصار ذلك البكاء كانه مكاء بالتخفيف اى كالصفير بجامع ان
كلا صوت يجرى على اللسان ولم يتاثر به القلب وبين البكاء و
المكاء الجناس المضارع وغدا اى صار ذلك العاصى بعد ما وقع

منه عن المعاصي والبكاء الذي لا يفيد لمزيد قسوة قلبه **يعتب**
من عتب عليه وجد عليه **القضاء** من قضاه صنعه وقدره اي يقول
لِمَ او كيف قُدّر علي هذا **و**الحال انه **لا عذر لعاص** يحتج به على الله حتى
يسقط اثمه فتندفع مؤاخذته **فيما يسوق اليه القضاء** والقدر من
المعاصي لان الله تعالى اجرى عادته الالهية في هذا العالم على اسباب
ومسببات تناط بتلك الاسباب وينسب وقوعها اليها نظرا الى الصورة
الوجودية وان كان الكل في الحقيقة انما هو بقضائه وقدره كما
يدل على ذلك قوله تعالى وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى فلم
تقتلوهم ولكن الله قتلهم فاسند تعالى اليه الرمي والقتل باعتبار — اليهم صح
الصورة الوجودية ونفاهما عنهم باعتبار الحقيقة الايجادية
اشارة الى انه يجب علينا رعاية المقامين بان نُسند الافعال الى
فاعليها صورة ليمدحوا او يذموا باعتبار جريان تلك الصورة عليهم
والى الله تعالى حقيقة من حيث عجز العبد عن ذلك وانفراد الحق تبارك
وتعالى به وان نعتقد بطلان مذهب القدرية الذين ينفون
قدرة الحق ويُثبتون قدرة العبد تخيلا منهم انهم فروا بذلك
عن نسبة القبيح الى الله تعالى وغفلة عن ان يلزمهم ما هو اقبح
من ذلك وهو ان يجري في ملكه تعالى ما لا يشاؤه على ان نسبة
افعال العباد الى الله تعالى تستلزم نسبة القبيح اليه لان الشيء
انما هو قبيح بالنسبة لفعلنا لا لفعله تعالى لانه يتصرف في ملكه
بما يشاء ولا يُسأل عما يفعل وهم يُسألون وان نعتقد بطلان
مذهب الجبرية ايضا لانه يلزم عليه ان لا ثواب ولا عقاب ولا
مدح ولا ذم لان المجبر المكره على الشيء من كل وجه لم يصدر منه
فعل ينسب اليه حتى يدار عليه حكم وقد علم من الشريعة الغراء
ان الله تعالى اسند الافعال لعباده ومدحهم عليها تارة وذمهم
اخرى فتعين ما قلنا من التوسط بين المذهبين بان نظرنا الى الافعال
من حيث الصورة وانطنا بها احكاما ومن حيث الحقيقة وانطنا — بها
احكاما لان هذا هو العدل السوي والطريق الواضح الجلي ونظير

هذا مذهب الرافضة والناصبية واهل السنة فالرافضة
سبوا الشيخين وعثمان واكثر الصحابة ووالوا عليا وشيعته والناصبة
سبوا عليا وشيعته ووالوا اولئك واهل السنة عدلوا فوالوا — الاكثرين صح
الكل وترضوا عنهم فكانوا في الجنة وكان كل من ذينك هنا
وفيما مر في النار فان قلت قوله ولا عذر الخ ينافيه
احتجاج آدم بالقضاء والقدر في قصته المشهورة مع موسى عليهما
الصلاة والسلام لما قال له موسى انت ابونا آدم الذي اخرجتنا
من الجنة بخطيئتك اي بالنسبة لمقامك والا فهي ليست بخطيئة حقيقة
لانه نسي كما في الآية وايضا فلعموم عصمة الانبياء فقال له كم تجد
في التوراة قدر علي ذلك قبل ان اخلق قال باربعين سنة فقال
اتلومني على ذنب قدره الله علي قبل ان اخلق باربعين سنة قال
نبينا صلى الله عليه وسلم كما في الحديث الصحيح فحج آدم موسى وكذا — كك
احتج عمر على ابي عبيدة بالقدر لما ذهب الى الشام فرأى فيها طاعونا
فاراد الرجوع فقال له ابو عبيدة أفرارا من قدر الله يا امير المؤمنين
فقال له عمر لو غيرك قالها يا ابا عبيدة اي لاوجعته ضربا نعم نفر
من قدر الله قلت لا ينافيه اما الاول فلان الاحتجاج — الى قدر الله صح
بالقدر ان كان قبل الوقوع في الذنب ليكون وسيلة للوقوع فيه
لم يجز وان كان بعد الوقوع فيه وقبل ان يستوفي منه ما وجب به
ليمنع بذلك مؤاخذته به لم يجز ايضا وان كان لا يمنع ذلك بل ليمنع
تعييره به ساغ له ذلك كما صرح به قوله صلى الله عليه وسلم فحج آدم
موسى واما الثاني فالواقع من عمر ليس من الاحتجاج بالقدر في ذلك
وانما هو بيان لاسرار ما جاءت به الشريعة المطهرة لان الشارع نهى
عن دخول بلد الطاعون مع انه ان قدر موته بذلك الطاعون
لم ينفعه عدم الدخول والا لم يضره ذلك الدخول فبين عمر رضي الله عنه
ان المسببات منوطة باسبابها من غير نظر في عواقبها وان الله
كما قدر على اناس الموت بالطاعون قدر على آخرين عدم الموت به
فالامتناع من الدخول فرار من القدر المحقق آخر والدخول لتجارة مثلا — لعله

يكون فتنة للداخل فانه لو وقع به ربما نسب موته الى فعله فحرم عليه
خشية الفتنة فان قلت والممتنع من الدخول اذا اسلم ربما نسب
السلامة الى فعله ايضا قلت هذا اخف لان الاول القاء باليد
الى التهلكة وهي منهي عنه في الكتاب والسنة والثاني بمنزلة التداوي
والفرار من المهلك وهذا ممدوح في الكتاب والسنة فان قلت
لم جاز الفرار قبل الدخول لا بعده مع استوائهما في المعنى المعلل
به في ما مر قلت لا مساواة بينهما لانا لو جوزنا الفرار لاهل
البلد لخرجوا وتركوا المرضى من غير حافظ ولا متعهد وذلك
يؤدي الى هلاكهم غالبا فاقتضت المصلحة العامة منع الناس
من الخروج واما من لم يدخل فلا يترتب على عوده مفسدة فجاز
ثم رأيت الغزالي ذكر ما قررته في الجواب عن كلام عمر رضي الله عنه
ونقله عن النووي وغيره واقروه حيث قال فان قيل ما فائدة
الدعاء مع ان القضاء لا يرد فاعلم ان من جملة القضاء رد
البلاء بالدعاء فالدعاء سبب لخروج النبات من الارض فكما
ان الترس يدفع السهم فيتدافعان فكذلك الدعاء والبلاء
وليس من شرط الاعتراف بالقضاء ان لا يحمل السلاح وقد قال
الله تعالى وليأخذوا حذرهم واسلحتهم فقدر الله تعالى الامر وقدر
سببه انتهى فتأمل هذا المحل فانه نفيس وفيه شُبَه كثيرة ازالها
بحمد الله هذا التقرير الواضح لمن الهم رشده واسعد الله جده
وخلصه من ورطات الفتن وغوائل البدع والمحن حقق لنا ربنا
ذلك بمنه وكرمه واذا تقرر انه لا عذر في ما يسوق القضاء بالمعنى
السابق سواء كانت المعصية صغيرة او كبيرة فكيف يعذر من
اوثقته اي حبسته في الدنيا عن الخلوص من التبعات وفي الاخرة
عن مقامه المكرم من الذنوب حال متقدمة على صاحبها او هو
ديون اي ديون تراكمت عليه ناشئة من كثرة ذنوبه وتفريطه
في حقوق الله وحقوق عباده شددت في اقتضايها اي طلبها منه
الغرماء لان حقوق الادميين مبنية على المشاحة والمضايقة

ما له حيلة اي طريق في التخلص من تلك الديون سوى حيلة الموثق
اي الاسير الذي صار لا يقدر على هرب ولا تخلص وحيلة من هو
كذلك تنحصر في شيئين لا ثالث لهما لانها اما توسل الى الله تعالى في
خلاصه بما سبق له من عمل صالح او بشفاعة الشافعين او دعاء اليه
في ان يرضي عنه غرماءه ويُسبل عليه ذيل عفوه وحلمه ورضاه راجيا
حال من عاص وضمايره المذكورة اي مؤملا املا قريبا ان تعود
اعماله السوء عليه بغفران الله له مغفرة عامة لا تبقي عليه وصمة
ذنب ولا تترك له فلتة قلب والحال ان تلك الاعمال هي في جنب
الغفران هباء اي مثله في انها لا وجود لها اذ هو غبار يرى في
شعاع الشمس اذا دخلت عند طلوعها من كوة او ان ترى سيئاته
حسنات منة عليه بانه راجع في سلك الا من تاب وآمن وعمل صالحا
فاولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات فبسبب استحالة السيئات
حسنات يقال عنده رؤية ذلك استحالت الصهباء اي الخمر من الخمرية
والنجاسة الى الخلية والطهارة فتشبيه السيئات بالخمر والحسنات
بالخل استعارة مصرحة واثبات الاستحالة التي هي من لوازم المشبه
تخييلية كلا م تعنى اي تعتني وتهتم انت يا رسول الله به وتلتفت اليه
تقلب الاعيان جمع عين وهي الجسم وهو معنى تفسيرها بانها المبصر
مستقلا بنفسه فيه بان تتحول من صفتها التي لا تريدها الى الصفة التي
تريدها و تعجب البصراء جمع بصير حسا ومعنا اي ذوو البصاير
والبصر من ذلك القلب الخارق للعادة المشاهد بالابصار الذي
لا يعارض بجحود ولا انكار وشاهده ما وقع لك في ذلك الفعل
اذ رب هي هنا للتكثير قاله الشارح عين من عيون الماء اي
عيون كثيرة تفلت اي بصقت في مائها الملح الذي لا ينساغ لاحد
فاضحى ماؤها الملح والحال انه هو الفرات اي العذب السائغ
للشاربين او وهو كالنهر المسمى بالفرات الذي هو احد الانهار
الاربعة النازلة من الجنة كما صح به الحديث الرواء بالفتح اي
الذي يحصل بقليله الري الكامل للشاربيه قال الشارح في وهو

القراءات الرواء بالجملة خبراً اضحى انتهى وهو جار في ذلك على ما ذهب اليه
الاخفش وتبعه ابن مالك تشبيها بالجملة الحالية لكن الجمهور
انكروا ذلك وتأولوا الجملة على الحال والفعل على التمام ولعل
نسخته بلا واو وقبل هو تنبيه لم أر لخصوص التفل في ماء عين
ملح فانقلب عذبا فضلا عن كثرته التي قالها الشارح سلفا
ويحتمل ان الناظم اخذ ذلك مما رواه ابو نعيم انه صلى الله عليه وسلم
بصق في بئر دار انس فلم يكن بالمدينة بئر اعذب منها فوجه الا عذبية
في هذه بركة بصقه صلى الله عليه وسلم فيها منزلة منزلة ما ملح
صار عذبا وفي حديث حسن انه صلى الله عليه وسلم قدم المدينة
وليس فيها ماء يستعذب غير بئر رومة وهذا يقتضي ان ما عدا
بئر رومة من بقية آبار المدينة كانت مياهها فيها ملوحة تمنع
الاستعذاب منها ومن جملة هذه دار انس وقد صارت ببركة
تفله فيها اعذب بئر في المدينة فتحرر من هذا صحة ما قاله الناظم
رحمه الله فتأمله ثم رأيت البغوي في الصحابة عن بشر الاسلمي
ان المهاجرين لما قدموا المدينة استنكروا الماء الحديث السابق
في بئر رومة فتعبيره باستنكارهم مياهها يدل على ان فيها ملوحة
وما تقرر في بئر انس يدل على زوال ملوحتها بالكلية وانها صارت
اعذب حتى من بئر رومة ثم رأيت الشريشي شارح مقامات الحريري
ذكر ان النبي صلى الله عليه وسلم تفل في بئر اريس فعاد ماؤها
عذبا بعد ان كان اجاجا وما ذكره غير صحيح فقد قال الحافظ
الكبير الزين العراقي انه لم ير اصلا لحديث تفله صلى الله عليه وسلم
في بئر اريس قال غيره ومن الغرائب قول العز بن جماعة صح انه
صلى الله عليه وسلم تفل فيها فحينئذ ما قاله الشريشي لا اصل له
ولا عند ابن جماعة لان فيه زيادة ان ماءها كان اجاجا فصار حلوا كونه
وهنا لم ينقل فيه ابن جماعة ولا غيره انه ورد فضلا عن كونه صح
ولعل الناظم رأى ذلك في كلام مثل الشريشي ممن لا يعتد به في
الحديث فاعتمده ثم رأيت الحافظ السيوطي ذكر ذلك بلا اسناد فقال

وريقه صلى الله عليه وسلم يعذب الماء الملح انتهى ويحتمل ان مراده كما
يؤخذ من تعبيره بيعذب لا باعذب ان ريقه فيه قوة ذلك
فلا يكون فيه دليل لما في النظم اصلا واذ قد فرغ مما سبقت
الاشارة اليه فلا يسعني الا مزيد الندم والتوجع منه والتأوه
عليه بان اقول على الدوام والاستمرار آه كلمة توجع اي ان توجعي
عظيم وتندمي شديد اي من اجل ما جنيت على نفسي من الذنوب
وقبائح العيوب ان هي بمعنى اذ على حد وخافون ان كنتم مؤمنين
وبما قررته ان ذلك التوجع يفيد الندم الوارد فيه عنه صلى
الله عليه وسلم انه توبة اي معظمها المتكفل بباقيها غالبا كالحج عرفة
كان يغني الف من عظيم ذنب من اضافة الصفة للموصوف
وهاء اي مسماها وهو التوجع المفيد للندم المفيد للتوبة
كما مر ويصح ان تكون ان على حالها من الشك لا انا وان سلمنا
ان كلمة آه تفيد التوبة لكن قبولها ظني لا قطعي على الاصح لكن
ان تمنعه بانه يكفي في كونها بمعنى اذ ان قبولها ظني لان
ظن الوقوع ينافي وضع ان من التردد فيه ولما عرض بوقوع
التوبة منه صرح برجائها ليبين ان الاهتمام به منع من الاكتفاء فيها
بالتعريض فقال ارتجي اي اقوي الحسن ظني عملا بقوله صلى الله
عليه وسلم في الحديث الصحيح لا يموتن احدكم الا وهو محسن الظن
بربه وبقوله انا عند ظن عبدي بي فلا يظن بي الا خيرا التوبة
وهي الندم على الذنب من حيث هو ذنب بخلاف الندم عليه لغرض
آخر كاطلاع الناس عليه وصرف دراهم فيه فان ذلك لا يعتد به
والاقلاع عن المعصية بترك ملابسة فعلها من حيث الندم عليها
لا لغرض آخر ايضا وعزم ان لا يعود اليها ما عاش لذلك ايضا
لا لنحو قطع ذكره والخروج عن كل مظلمة عصى بها بقضاء ما عصى
بترك ادائه فورا وباداء ما عصى باخذه ظلما الى مالكه او وكيله او
وارثه هذا ان قدر والا عزم عزما جازما انه متى قدر على الخروج
منه خرج منه لفوره والتوبة من الصغائر واجبة اجماعا وتصح

على الاصح من ذنب دون ذنب ثم عوده اليه وان تكرر فذلك النصوح
اى التى لا يعود من حصلت له الى الذنب ابداً لو قوعها خالصة عن كل
شكل شائبة من شوائب الحظوظ بان تكون لله وحده لا لغرض اخر
ولو اخروياً كان تاب لاجل دخوله الجنة فان ذلك لا يؤثر فى صحة
اصل التوبة وانما يؤثر فى كمالها لانها مشوبة بغرض النفس بخلاف
الخالصة لوجه الله تعالى قال تعالى وما امروا الا ليعبدوا الله
مخلصين له الدين لكن انى يفيد فى هذا الترجى و الحال انى
متلبس بما قد بينا انهما اذ فى القلب نفاق من حيث العمل باعتبار
انه قد يبطن خلاف ما يظهر لا من حيث الاعتقاد لان ذلك انما
يصدر ممن امن بلسانه فقط وفى اللسان والاركان رياء اى نظر
الى الخلق باعتبار ان ما يصدر منهما قد يكون فيه شوب نظر الى
طلب رفق او ثناء من مخلوق ومع ذلك لا اترك التوبة ورجاء
قبولها ولاجل ذلك قالت رابعة العدوية استغفارنا وان كان يحتاج
الى استغفار لا يوجب ترك الاستغفار ومتى للاستفهام التعجبى
يستقيم قلبى بان لا يبقى فيه نظر الى ما يحجب عن الله من اهل او مال
او جاه او غير ذلك بل الى الله وحده والحال انى وصلت الى حالة تدل
على غلظ القلب وشدته وعدم قبوله للخروج عما جبل عليه من الغفلة
واللهو وتلك الحالة هى انه حصل للجسم اعوجاج من اجل كبرتى
اى كبر سنى ووهن عظمى من كبرى بكسر الباء اى سنى والخناء لقامتى
وهو من عطف الرديف او الاخص لان الاعوجاج يعم الاعضاء
كلها والانحناء مختص بالقامة اذ هو تقوس الظهر ويبعد حينئذ
الاستقامة بخلاف ايام الشباب فان العود رطيب والقلب لين
فاذ نحو عظ يؤثر فيه واقل زجر يردعه عما هو متلبس به فيبادر
الى التوبة سريعا وانما اخرت التوبة الى هذا الزمن لانى كنت فى
نومة الشباب الذى تكثر فيه الغفلات وتتوالى على اهله الهفوات
فاستحكمت غفلتى حتى صرت كالنائم المستغرق الذى لا يفيق من
نومه الا بمحرك قوى فما استيقظت من تلك الغفلة فى حال من الاحوال

الا والحال ان لمتى اى لحيتى شمطاء اى اختلط سوادها ببياضها
وما تقرر فى زمن الشباب او لا انه محل قرب للتوبة والانزجار بادنى وعظ
وهنا انه محل الغفلات والهفوات لا تنافى بينهما لانه وان كان محل
الهفوة والزلة لكن صاحبه يتنبه سريعا الى زلاته ويرجع عنها حالاً
كما ان العود الرطب يستقيم اعوجاجه بادنى عمل بخلاف زمن الشيخوخة
فانه زمن الامساك عن كل هفوة وزلة لكن صاحبه المرتكب المعاصى الى ان
شاب يعسر عليه الرجوع والتوبة نوداً لان عوده قسا وصلب فلا ينتهى
اعوجاجه الا بعد اليأس ويشهد لذلك الحديث ان قيل لكم ان جبلا
تحول عن مكانه فصدقوا وان قيل لكم ان انسانا تحول عن طبعه فلا تصدقوا
وحين اذ بلغت هذا السن الذى تعسر فيه التوبة كما تقرر تناديت اى
طلبت ان اقتفى اى اتبع اثر القوم الصالحين السابقين الى المراتب
العلية والفائزين بنيل المآرب السنية فطالت على مسافة بينى وبينهم
لبعد الدرجات التى فازوا بها واقتفاء لاعمالهم واخلاقهم لانهم
استغرقوا فيها اوقاتهم وانقطعوا فيها الى الله تعالى من كل علقة وتبعة
فبسبب طول المسافة التى بينى وبينهم وراء خبر مقدم السارين
اى السائرين ليلا من السرى وهو السير ليلا وعدل اليه عن وراءهم
الذى هو القياس ليفيد انهم احيوا ليلهم بالعبادات واستانسوا
فيه بلذيذ المناجاة وهو اى ذلك الوراء امامى جملة معترضة
للتصريح بما علم من قوله اقتفى الخ انه مع طول المسافة بينه وبينهم
وتعذر اتباعه لهم صار بينه وبينهم موانع ايضا سبل مبتدأ
اى طرق وعرة اى يعسر سلوكها لان اولئك القوم كلفوا نفوسهم
من الاعمال والتخلق بكرائم الاخلاق والاحوال ما اوجب لغيرهم
عدم اللحوق بهم لعدم قدرتهم على القيام بما قام به اولئك
وارض غبراء بفتح اوله اى فضاء واسعة حمد اولئك القوم المدلجون
اى السائرون من اول الليل والقائلون حمدوا ايضا فعلهم الى
الاظهار ليبين انهم على فرقتين منهم من يحيى كله او اكثره وان
هذا القسم الثانى افضل واكمل لانهم رأوا ما يجتهد به غيرهم مما

ومنهم من يحيى بعض الليل ... لم يرم

من قبلهم غبت اي عاقبة سراهم من الفوز برضاء الله وقربه والاطلاع
على حقايق معرفته والتمتع بشهوده وهذا مقتبس من قولهم عند الصباح
يحمد القوم السرى وكمن من تخلف عنهم في سيرهم وهذا راجع لقوله
نوراء السارين وقوله يحمد راجع لقوله السارين ففيه لف ونشر
مرتب الابطاء اي التأني في السير المفوت لادراك منازلهم وفي
ذكره هذا ايماء الى غاية التحسر والتألم بذكر التوحيد واعقابها حالهم
وفاته لعجزه عن ادراكها لما هو عليه مما لا يوصله الى ذلك الغرض
لبعده عن تلك اللطائف وتقاعده عن بلوغ المعارف كيف وما هم
عليه من الجد في السير الى الله تعالى رحلة عظيمة عن مواطن الشهوات
وبواطن الشبهات وقبايح الارادات وقواطع البطالات ورحلتهم
هذه عزت علي ان اقتفيهم فيها لاني لم تزل يفتدني اي يكذب علي
او يضعف رأيي الصيف اذ اما زائدة نويتها والشتاء كذلك اي
اذا جاء الشتاء انوي الى الصيف لان الشتاء يكثر فيه البرد والثلوج
والامطار فيعسر السير فيها واذا جاء الصيف اقول اصبر بها الى الشتاء
لان الاعمال تتيسر فيه اكثر ومن ثم قال صلى الله عليه وسلم الشتاء
ربيع المؤمن طال ليله فقامه وقصر نهاره فصامه وفي سنده
من ضعفه جماعة ووثقه آخرون والارجح توثيقه في هذا السند
بخصوصه ومن ثم صححه ابن خزيمة ويشهد له احاديث منها مرحبا
بالشتاء فيه تنزل الرحمة اما ليله فيطول للقائم واما نهاره فيقصر
للصائم وحديث لم ينزل عذاب قط من السماء على قوم الا عند انسلاخ
الشتاء ومما اوجب ابطائي عن تلك الرحمة انه يتقي حر وجهي
ما يبدو من الوجنة الحر والبرد باتقائه عنهما خوفا من مشقتهما
وهما كنايتان عن مشقة العبادة في الشتاء والصيف كما ان ما
في البيت الذي قبله كذلك والحال انه قد عز اي صعب على من لظى
اي جهنم متعلق بقوله الاتقاء لاني متلبس بما يؤول بي اليها الا ان
يتغمدني الله برحمته ولاجل هذا ضعت ذرعا بالمعجمة من اجل ما
موصولة او مصدرية جنيت اي ضعفت طاقتي عن ان تحمل

وزره ولم اجد من يخلصني من ثقله واصل الذرع الخلق فيومي قمطرير
اي شديد وهذا كذكر عراء والصيف والشتاء وضقت ذرعا فيه
اقتباس من الآيات المذكور فيها ذلك وتلميح الى ما فيهما من القصص
وليلتي درعاء بالمهملة اي مظلمة كناية عن شدة ما يلقى فيهما واصل
الدرعاء التي يطلع قمرها عند الفجر ومراده ان ذلك الضيق ملازم
له نهارا وليلا لا ينفك عنه في واحد منهما ولكن خفف عني ذلك
اني تذكرت رحمة الله اي سعتها الدال عليها قوله تعالى ورحمتي
وسعت كل شيء وانها سبقت غضبه كما دل عليه الحديث الصحيح
ان الله كتب كتابا فهو عنده فوق العرش ان رحمتي سبقت غضبي
اي ان مظاهر الرحمة غلبت مظاهر الغضب وهذه العندية عندية
الشرف والمكانة لا المكان لتعاليه عنه علوا كبيرا فبسبب ذلك
البشر اي الفرح والسرور لوجهي متعلق بخبر البشر وهو تلقاء وفي نسخة
او لمن جعل الشارح له خبرا وتلقاء خبرا ايضا اني اي في اي
مكان انحي اي توجه تلقاء اي مقابل اي فالبشر مقابل الوجه في
اي مكان توجهت لاني مستشعر لسعة الرحمة ومعول عليها مع
نظري الى قول الصادق المصدوق الذي لا ينطق عن الهوى عن
ربه انا عند ظن عبدي بي فلا يظن بي الا خيرا فبسبب تذكري
للجنيت المقتضي لمزيد الخوف ولسعة الرحمة المقتضية لسعة
الرجاء لي اي اقام الرجاء والخوف بالقلب فهما على حد سواء
كما هو الراجح عند ائمتنا ان الانسان ما دام صحيحا فليكن رجاؤه
وخوفه مستويين وقيل يغلب الرجاء لئلا يغلب عليه داء الامن
من مكر الله ويردهما انهما اذا استويا امنت غلبة احدهما فلا محذور
يخشى حينئذ بخلاف غلبة احدهما فانه يخشى منها المحذور والذي
في مقابله اما المريض فيغلب الرجاء لقوله صلى الله عليه وسلم
لا يموتن احدكم الا وهو محسن الظن بالله اي يظن انه يغفر له
ويرحمه والخوف والرجا اذا توارد على القلب احفاء اي
استقصاء ومنازعة لتضاد مقتضاهما اذ مقتضى الخوف اعتزاء

لئلا يغلب عليه داء الياس من رحمة الله وقيل يغلب الخوف ح

شدة وحصر للنفس او يطاقان لان من لازمه الكف عن كل محرم بل وشبهة بل وعن ما فضل عن حاجته من الحلال كما هو شان الزاهدين اذ لم يحملهم على ذلك الا عظيم خوفهم ولو من هول السؤال ومقتضى الرجاء بسط النفس وانشراحها لان من لازمه استحضار سعة الرحمة وان الذنوب وان كثرت وعظمت يغفرها الله تعالى ويتجاوز عنها بكرمه واذا تضاد مقتضاهما لزم ان كلا يستقصى في مقتضاه ضد ما يستقصيه الآخر لكن قد تقرر ان الاولى للصحيح ان يستوي عنده المقتضيان لئلا يغلب احدهما فيخشى منه المحذور السابق آنفا ومن ثم قال ناهيا عن غلبة الخوف المقتضي لليأس صاح اي صاحبي وفيه نوع تجريد اذ الاصل يا نفسي لا ياس من رحمة الله ان ضعفت عن الدأب في الطاعة لضعف همتك وغلبة بطالتك وايثارك الراحة وغفلتك عن اهوال يوم القيمة واستأثرت اي انفردت بها الاقوياء بالهمة والنشاط وقهر النفس وتجريعها المكروهات حتى ترتبت عليها فصالت عندها من الذها لوفاتها واعظم مشتهياتها ان فيه شائبة تعليل للنهي عن اليأس ان ضعفت عن الطاعة لله رحمة عظيمة ادخرها لبعض عباده تعم القوي والضعيف والشريف والوضيع والحق الناس منه متعلق بقوله بالرحمة الضعفاء اي الذين لا يعولون على اعمالهم ولا يغترون باحوالهم مع قيامهم بما لا بد من اخلاصهم لله تعالى في عباداتهم فهم اقوى نية في العبادة وابعد عن الرياء فربما حصلت لهم بسبب ذلك نفحة سبقوا بها الاقوياء وفي الحديث القدسي انا عند المنكسرة قلوبهم من اجلي اي لان مطلوبهم رضاي ومعتقدهم انه لا عمل لهم ومما يؤيد ذلك انه صلى الله عليه وسلم في منامه الذى راه لابي بكر وعمر فيما يتعلق بخلافتهما وقرب مدة خلافة ابي بكر وطول مدة عمر اثبت لابي بكر مع انه افضل الناس بعد الانبياء نحو ذلك الضعف فقال بعد ان بين انه على بئر وانه نزع منها بدلو ان ابا بكر اخذها منه فنزع بها دلوا او دلوين وفي نزعه

ضعف والله يغفر له فهو ليس ضعف يقين ولا عمل وانما هو ضعف انكسار وافتقار وفي الحديث ان الله لا ينظر الى الصور انما ينظر الى الاعمال والقلوب اي لا الى الاعمال وحدها بل لما يصحبها مما في القلوب من اخلاص وافتقار او ضدهما ثم استدل على ان الضعيف قد يحصل له ما لا يحصل للقوي بمثال ظاهر في الوجود فقال فبسبب الاحقية المذكورة للضعفاء ابق في الضعفاء المشبهين بنحو العرج جمع اعرج وهو من برجله داء يمنعه من استقامة المشي عند منقلب الذود اي رجوعه الى مرتبه وهو جماعة الغنم ففي العود تسبق العرجاء اليه فتفوز منه بما مولها فتاخرها اوجب لها السبق فكذلك تاخرك عن كثير الطاعات ربما اوجب لك سبق المكثر منها لانه قد يصحبك من الذل والافتقار والاخلاص ما يخلف تاخرك بخلاف المكثر قد يصحبه من العجب والافتخار ما يوجب تاخره ومن ثم قال العارف المحقق التاج بن عطاء الله رحمه الله رب معصية اورثتك ذلا وانكسارا خير من طاعة اورثتك عزا واستكبارا اي اعلم انه لم يجعل ذات المعصية خيرا من ذات الطاعة بل لا يتوهم ذلك من كلامه وانما الذي افاده ان المعصية قد يصحبها وصف خير من الوصف الذي صحب الطاعة فيكون ذلك مقتضيا لعدم المؤاخذة بوصمة تلك وهذا مقتضيا لسقوط هذه وعدم الاعتداد بها فكذلك كلام الناظم هنا وفي ما قبل يتنزل على هنا فتنبه له واذا تاخرت عن الطاعة لضعفك عنها فلازم الذل والانكسار ولا تقل حال كونك حاسدا لغيرك الذي اكثر منها اي متمنيا زوال نعمة التوفيق عنه هذا القوي بسبب قوته اثمرت نخله اي كثرت اعماله فتشبيهها بالنخل استعارة مصرحة وذكر الاثمار ترشيح وآثر التشبيه بالنخل لان النخلة افضل الشجر لانها خلقت من فضلة طينة آدم ومن ثم قال صلى الله عليه وسلم اكرموا عماتكم النخل ولاجل هذا شابهت الآدمي في كثير من صفاته الحسية والمعنوية كما لا يخفى ونخلي اي اعمالي عفاء

بالفتح اى كالتراب لا ثمرة لها ولا يعتد بها بسبب ضعفى لانك حينئذ
تعترض على الحكيم فى فعله وتخصيصه لكل منكما بما اراده وقدره
ومن ثم كان الحسد كفرا لنعمة المنعم ويأكل الحسنات كما تأكل النار
الحطب وخرج بحاسدا المنصرف الى الحسد المذموم الحسد المحمود
المسمى بالغبطة وهو ان تتمنى ان يكون لك من النعم والخيرات
مثل ما لغيرك مع بقائها له فهذا مطلوب كما اشار اليه صلى الله
عليه وسلم بقوله لا حسد الا فى اثنين الحديث واحذر ان تتكل على
رجائك فقط من غير عمل فانه لا ينفع رجاء الا مع عمل ومن ثم
قالوا كل رجاء لم يصحبه عمل فهو غرور بل مع رجائك اجتهد وأت
بالمستطاع من عمل البر امتثالا لقوله تعالى فاتقوا الله ما استطعتم
الناسخ على ما قيل لقوله تعالى اتقوا الله حق تقاته فانه صلى الله
عليه وسلم لما فسره هنا بان يعبد فلا يعصى ويذكر فلا ينسى ويشكر
فلا يكفر قالوا اينا يطيق ذلك فنزلت تلك مبينة لهم ان المطلوب
انما هو ما تقدرون عليه دون ما عداه ويصح ان تكون تلك
مبينة للمراد من هذه فلا نسخ وهو الاولى فقد ينتج القليل ما لا
ينتجه الكثير بواسطة مزيد اخلاص وانكسار كما انه قد يسقط
الثمار الكثيرة والنفيسة الاتاء اى النخل الصغار اذا خلصت
ارضه من ادرنه وخصبه ولا يسقطه ذلك الكبار فكذلك انت قد
تفوز بسبب ضعفك بالمعنى السابق بما لم يفز به القوى الناظر
الى قوته ونفسه ففى كلامه هنا وفيما مر تمثيل وتذييل وهو من
ارق فنون البلاغة والطف طرق البراعة وتفسير الاتاء بالنخل
الصغار وقع فى كلام الشارح ولم يبين ضبطه اهو بفتح الهمزة
او كسرها ولا انه بالمثناة او المثلثة ولم ار فى القاموس هذا
الذى ذكره الشارح وانما الذى فيه فى الاتاء بالفوقية ككتاب
تفسيره بما يخرج من الشجر والنماء وفى الاثاء كاثاثا بالمثلثة تفسيره بالجادة
والماشية وهذا يمكن تنزيل كلام الناظم عليه اى ان النخلة اذا طالت
وصعب رقيها قد يمكنك ان تسقط بعض ثمرها بضربة بحجر واعلم ان افضل

بجميع

الاعمال واسرعها انتاجا واعظمها وسيلة هو مزيد محبة نبينا
صلى الله عليه وسلم فانها سبب لكل خير دنيوى واخروى وحينئذ فعليك
ان تكون ممن امتلأ قلبه بحب النبى صلى الله عليه وسلم امتثالا لقوله تعالى
قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله وقوله صلى الله عليه وسلم
لا يؤمن احدكم حتى اكون احب اليه من ماله واهله وولده والناس
اجمعين ومر الكلام على ذلك قريبا بما ينبغى مراجعته واذا حظيت
بهذه المحبة فابغ اى اطلب رضا الله فى محبته الرضا من الله تعالى
المنعم بما ليس فى الحساب والحباء اى العطاء منه تعالى بجميع الخيرات
الدنيوية والاخروية كالتوفيق للاعمال الصالحة والفوز
بالمقامات العلية فكن على رجاء من ذلك اذا طلبته بمحبته صلى الله
عليه وسلم فانها نعم الوسيلة فاتبعونى يحببكم الله ثم عاد الى الضرا عة
واظهار المسكنة والضعف وابداء التحسر والتحزن والاستغنا ثة
بمن لا يخيب المستغيثين به فقال مؤملا انه ببركة توسله به
يتخلص من فرطات ذنوبه يا نبى الهدى اى الدلالة على الله بالنسبة
للكل ومنه وانك لتهدى الى صراط مستقيم والايصال اليه
بالنسبة للمؤمنين ومنه انك لا تهدى من احببت ولكن الله يهدى
من يشاء استغاثة بالرفع خبر مبتدأ محذوف اى سؤلى وهى
نداء من يخلص من شدة او يخففها والنصب مفعول مطلق اى استغيث
بك استغاثة اى ناديتك نداء ملهوف اى مضطرب متحسر محتاج الى
من ينقذه مما يهلكه اضرت بحاله الحوباء اى سكنة ذنوبه وضعف
همته وذلك لانه يدعى الحب لله ورسوله وهو اى والحال انه يصدر
منه ما يكذب دعواه من مخالفتهما لانه لا يزال يأمر نفسه وغيره بالسوء
اى الاثم فعلا وتركا والمخالفة تنبئ عن عدم المحبة كما هو واضح لمن
تأمل قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله ولهذا اشار الى بعد
ان يصدق فى دعواه محبتهما فقال ومن استفهامية اى من الذى
يتكفل لى فيه التفات ان تصدق منى الرغباء اى العزيمة المصممة
فى الرجوع الى الله تعالى بالتوبة والعمل الصالح وادعاء الحب مع ظهور

مايكذبه نقص واى نقص ومما يكذبه ايضا دوام الغفلة عن محبوبه
حتى انه لايمر بباله ولا فى النوم وعن هذا حاله اى محب يصح منه التفات
والحال ان طرفى التفات بالكرى اى النوم واصل لاينفك النوم عنه
فى وقته وليس هذا شان المحب وطيفك اى خيالك سرا اى محتجب
عنى كما احتجبت الراء عن واصل الرجل المشهور لانه هجرها فلم يتكلم
قط بكلمة فيها راء بل يرادفها او يقاربها خشية من ان يعين بلثغته
بالراء فصار هجر الشئ المستمر تمثيلا عندهم بهجر واصل للراء ففى
النظم التورية لان واصلا بالنظر للكرى اسم فاعل وللراء اسم علم
وتلميح لانه اشار الى قصة واصل المشار اليها وفيه الاستفهام الانكا دتى
اى كيف تصدق محبتى وانا مواصل للكسل والنوم مع انه لا ينبغى صلة
النوم لا تؤثر فى المحبة لانها امر وجدانى فكيف توجد مع عدم خطور
خيال المحبوب بالضمير ولا فى حالة النوم وهذا ينافى المحبة كما
هو محسوس لاستلزامها ان طيف المحبوب لا يغيب عن مخيلة المحب
نوما ولا يقظة نعم قد يتخلف هذا الاستلزام لمانع ولذا تردد مع
ما تقدمه ان فقد خطور الطيف هل هو لذلك او لغيره فقال
ليت شعرى اى ليتنى علمت اذاك اى اعدم خطور طيفه بقلبى من
اجل عظم ذنب وقع منى وهو الظاهر ام حظوظ المتيمين اى المحبين
حظاء جمع حظوة بالكسر والضم وهى المكانة والقياس فى الجمع
الضم والكسر كعروة وعرا وبين حظوظا وحظا الجناس المطلق
اى انصباؤهم من المحبوب متفاوتة فبعضهم يحظى بالقرب من غير
كثير عمل وبعضهم لا يحظى به مع كثرة العمل ان يكن عظم زلتى التى
ارتكبتها حجب رؤياك اى رؤيا طيفك عنى فى النوم التى فقدتها
فقد عز داء قلبى الدواء اى قل بل عدم الدواء الذى يكون لمرض
قلبى فلا يوجد له شفاء بوجه لانه لا يوجد الا من جنابه صلى الله عليه وسلم
فان فرض انه لحظ انسانا بعظم ذنبه لم يكن احد غيره ان ينقذه
ثم هذا التردد فى وجود المحبة الذى سبق انما هو لمزيد الخوف وان
الانسان على مدرجة ان يؤاخذ بذنبه وان كان محبا لا لزوال

محبته بل هى باقية ورجاؤه فى محبوبه واسع وان كانت ذنوبه كثيرة
وحينئذ كيف يصدى اى يسود بسبب الذنب الذى ارتكبه ذلك
المحب قلب محب لك وهى الحال له اى لقلبه متعلق بجلاء ذكرك مضاف
للمفعول اى ذكره لك بالتصلية والتسليم عليك وسؤال الوسيلة وغيرها
مما يعود عليه وعليك بزيادة القرب فان الخلق كلهم مفتقرون الى
ذلك ويصح للفاعل ذكرك له بالجميل العائد على الذاكر بما لم يكن فحصل به
جلاء ولما غلب على ظنه ما اشار الى التردد فيه بانه فى قوله ان يكن الخ
من ان سبب حجب الرؤيا عنه عظم ذنبه صرخ كما يصرخ من وجد اخذ
ماله او قاتل ابيه بعد يأسه منه فقال هذه علتى التى انحلت جسمى
واوهنت لبى لا غيرها والحال انك انت طبيبى العالم بها الماهر فى ازالتها
فانه ليس يخفى عليك فى القلب داء وانت لا احد من الخلق اكرم منك
ولا احلم فعجل لى بدواء ذلك لحصل الشفاء من وصمة جميع ما هنالك
فان شفاعتك لا ترد والمتوسل بك لا يخيب وانما رفعت اليك قصتى
وشكوت اليك قلة حيلتى مما جنيت على نفسى لان من الفوز اى النجاة
والظفر لمثلى بجميع المطلوب الذى لا فوز اعظم منه ان ابثك من بث
وابث اى نشر واظهر شكوى هى الاخبار عن النفس او الغير بسوء فعله
لكن هذه انما هى شكوى منى لنفسى اليك لا الى غيرك اى انشر واظهر
بين يديك فى ضمن مدحى لك ما كاد ان يهلكنى من عظيم ذنوبى وقبيح
عيوبى رجاء ان تلمحنى بنظرة تزيل عنى كل وصمة وتوجب لى منك
كل رحمة لان رجائى فيك واسع ومحبتى لك متزايدة وهى اى تلك
الشكوى الواقعة فى ضمن ذلك المديح البديع اقتضاء اى طلب من
كرمك الواسع وفضلك الجامع ان اتخلص من تلك الفرطات والنجو
من بوائق سائر الورطات وان يحصل لى الشفاء من جميع الادواء
فان جاهك متكفل بكل مطلوب ومحقق لكل مسؤل ومرغوب لا
سيما للخادم حضرتك الفانى فى محبتك كيف وقد ضمنتها بالبناء للمفعول
اى تلك الشكوى لتقبل وتعود على بركة قبولها ما هو المقصود منها
بالذات مدائح لجنابك بديعة جمع مدحة اى كلام متضمن للثناء الجميل

الذي هو المدح المباين للحمد او المرادف له او الاعم منه او الاخص منه
اقوال عرفت مستطاب بالرفع صفة مدائح الذي هو نائب الفاعل فيك منها
اي من تلك الشكوى متعلقان بما قبلهما او بعدهما ومن تبعيضية المديح
لك ولا اصغاء من سامعها اليها لان اوصافك الكريمة زينتها فصارت
بها في غاية الكمال الذي يشنف الاسماع ويملأ بعبيره ارجاء القلوب
والبقاع ومن استطابة ذلك المديح ان الله تعالى يسر علي في هذه [illegible]
البديعة ببركة التجائي اليك اذ قلما مصدرية حاولت تلك الشكوى
مديحك اي لا ابرز معنى فيه لم أُسبق اليه او اسلوبا من انواعه اللائقة
بك والمطلوب فيهما ان تجري على سنن البلاغة وقانون البراعة الا
ساعدتها ميم ودال وحاء اي مسمى هذه الاسماء وهو مدح اي ما
اتوقف على معنى او نوع من تلك المعاني او الانواع فوجهت همتي الى الاتيان
منها الا وجدت الالفاظ الدالة على مدحك تتبادر الى تاديته
بغاية اللطف وتساعدني عليه بنهاية الاسعاف فتأتي قريحتي منه
بما هو ابدع وابلغ وكون ما مصدرية هو ما ذكره الشارح وعليه قال
المعنى قلت محاولتها مديحك في غير حال كونها مساعدة بهذه الحروف
الثلاثة فانها لا تقل حينئذ بل تكثر انتهى ويلزم عليه وقوع الاستثناء
المفرغ في غير نفي وشبهه وهو النهي والاستفهام وهو ممنوع عند
اكثر النحاة ومن جوزه في الموجب كقام الا زيد ردوا عليه بانه يلزمه
الكذب اذ تقديره ثبوت القيام لجميع الناس الا زيدا وهو غير جائز
بخلاف النفي عنهم الا فردا فانه جائز فان قلت جوز المبرد التفريغ
في موجب يلزمه نفي كأبى ولولا نحو لولا القوم الا زيد لاكرمتك وما
هنا كذلك لان قل يلزمه نفي ما عدا القليل فهو نفي في الجملة قلت
ما ذكره يرد بان التفريغ يدخل في الجملة الثابتة التي هي الاولى واما
الجواب الذي هو منفي فخارج عما دخلت الا عليه ان كون قل يفيد نفيا عليه ح
يشبه النفي الذي في التفريغ ممنوع واذا تقرر ذلك تعين تأويل النظم
بان يقال فاعل قل محذوف دل عليه المذكور وان ما نافية والاستثناء
مفرغ من اعم الاحوال والتقدير قل ان يتصعب علي مما اردته من مدحك

لا تني مطلقا ولكنه في حال من الاحوال الا ساعدني في مدحك على اكمل ما ينبغي
ولاجل هذه المساعدة المشتملة على ما اريد ترجيحا على انواع البلاغة
حق اي ثبت واستقر لي فيك اي في مدحك ما لم يكن في حسابي وهو ان
اساجل قوما وهم الشعراء الذين يمدحونك اي افاخرهم فاقول ما نمدحك
خير مما صنعتموه وابين لهم ذلك حتى يذعنوا الي في ذلك ويصير من قد
بلغت منهم لدلوي الدلاء وحينئذ افوز منك بابلغ ما فاز وابرو
عبر بالدلو لان السجل هو الدلو العظيمة المملوءة مذكر وماء الدلو
ومن هنا قولهم الحرب بينهم سجال ككتاب اي سجل منها على هؤلاء واخرى
على هؤلاء ذكره في القاموس وعليه فالمساجلة تطلق على تنازع المستقين
على بئر بدلاء مختلفة ليريد كل منهم ان يظفر بملء دلوه قبل الآخر فيه شبه
بهم المادحين في تنازعهم فيما بينهم وادعاء كل ان ما ابرزه خير
مما ابرزه غيره فهي استعارة بالكناية واثبات المساجلة استعارة
تخييلية وذكر الدلو ترشيح ثم اشار الى علة اخرى لتميزه عليهم وتسليمهم
له ذلك فقال ان لي غيرة بالفتح على مديحك اي حمية توجب لي ان لا
احب ان غيري يسبقني فيه ولكن الان قد زاحمني في معاني الفاظ
مديحك الشعراء وارادوا ان يسبقوني فيه والحال الان استحكم لقلبي فيك
اي في محبتك الغلو اي مجاوزة الحد الذي بلغ اليه امثالي وانى يكون
للسابق في مدحك الغلواء اي الاسراع والتقدم عليهم بما لا يصلون اليه
لولا اسعافك وامدادك ونظرك لي بما يميزني عليهم فانى استفهامية
بمعنى كيف نحو انى يحيي هذه الله بعد موتها او بمعنى من اين نحو انى لك
هذا وترد ايضا بمعنى متى وحيث ويحتمل الكل فأتوا حرثكم انى شئتم
لكن الذي اختاره ابو حيان وغيره انها في الآية شرطية حذف جوابها
لدلالة ما قبلها عليه لا استفهامية والا لاكتفت بما بعدها كما شانها
ان تكتفي بما بعدها اي يكون كلاما يحسن السكوت عليه اسما كان او
فعلا ويصح كسر ان اي واني فالياء اسمها لكن الاول ابلغ واظهر
كما لا يخفى فبسبب صدق محبتي وشدة غيرتي ومزاحمة اقراني الجمع
اراد بهم التقدم على اثب خاطرا اي قريحة لي على هذا المدح البديع

بان تمدها بما تفوق به جميع مزاحميها ومسابقيها فانك اكرم من جازى
مجتبيه واجود من جاد على مادحيه وانا من اصدقهم محبة وابلغهم مدحة
كيف وقلبى يلذ له مدحك لذة تحمله على ان يبذل وسعه مع صدق
التوجه اليك وبك فى اختراع ما لم يسبق اليه ولا حام احد قبله عليه
علما اى لاجل علمه بانه اى مديحك اللالاء اى الفرج التام كذا فى القا موس
وغيره فان كان الفرج بالجيم فواضح او بالحاء المهملة ففيه بُعد
يصح انه من تلألؤ البرق بمعنى لمع اى علما بان مديحك يضئ قلوب
المادحين لا سيما ابلغهم حتى يأتى فى مدحك بالمعانى البديعة والاسا ليب
العجيبة كما وقع لى فى هذا النظم لتميزه على غيره بامور منها انه حاك
اى نسج ذلك الخاطر فيه من صنعة القريض اى الشعر برود اجمع
بُرد وهو نوع من انواع الثياب اليمانية فيه زينة لك لم يحك وشيا
اى نقشها بالالوان المختلفة صنعاء مدينة باليمن مشهورة بجودة
النسج والوشى شبه المعانى البديعة فى ادهاشها للقلوب عند
سماعها بالابراد الموشية المدهشة للابصار عند رؤيتها واثبت
لها ما هو من لوازم المشبه به وهو الوشى والحوك كما اثبت للمشبه
ما هو ملائم له وهو القريض ففيها استعارة تصريحية مرشحة بذكر
الوشى والحوك ومجردة بذكر القريض ومنها انه قد اعجز الدر نظمه
اى ان نظم هذه القصيدة المشتملة من البلاغة على غاية لم يشتمل
عليها غيرها فاق الدر النفيس المنظوم الذى يدهش الفكر ويخطف
البصر لضويه وصفائه فاستوت فيه اى فى العجز عنه اليدان اى
القريحتان الصناع بفتح الصاد المهملة وبالنون والعين المهملة
اى الحاذقة الماهرة والخرقاء اى الغبية فبسبب ما تميز به هذا
النظم من غيره ارضه اى اقبله يا خير من امله المادحون ورجاه
العارفون واكرم مخلوق الله واجودهم وتجاوز عما فيه وان كان فيه
من الفصاحة ما لا يدركه غيرك يا افصح امرئ نطق الضاد اى بها اى
افصح العرب العرباء وهذا اقتباس من قوله صلى الله عليه وسلم انا افصح من
نطق بالضاد الحديث وخصها لان غير العرب لا يحسن اخراجها من مخرجها جا

والعرب وان احسنوه لكنهم متفاوتون فيه وكلهم لم يصل احد منهم
الى الحد الذى كان صلى الله عليه وسلم يصل اليه فى تأديتها وكان وجه
هذا الاقتباس اظهار الناظم ان ما اتى به وان بالغ فى بلاغته لا يتأتى حل
الى مدحه لان فصاحته معجزة لغيره فاى بلاغة تؤدى ما يليق به فكانه
يقول يا افصح الفصحاء اقبل ما جئت به وان لم يتم ادنى الحد من دون يج
فصاحتك بل وما وفى بما يليق بكمالك ويؤيد هذا قوله لا آتى ابذكر
الآيات الخ فبسبب اختصاص الضاد بتعذر او تعسر النطق بها على
غير العرب وتعذر نهايته على غيره صلى الله عليه وسلم وقرب الظاء
من مخرجها ولم تظفر بما ظفرت به الضاد قامت فاعله الظاء واشار
بقامت الى انها تسمى بالظاء القائم حال كونها تغار منها اى الضاد
الظاء لكون الضاد تميزت عليها بتلك المرتبة العلية اى ارادت الظاء
فضلا عن غيرها ان تحصل لها مرتبة تضاهى تلك المرتبة فلم تحصل لها
فعادت حينئذ ثم طلبى من كرمك يا اكرم الخلق الرضا بهذه القصيدة
ليس لكونها وفت بحقوقك الواجب استقصاؤها فى مدحك بل للطمع
فى سعة حلمك وجودك ابذكر الايات فى هذا النظم اى الخصايص
والمعجزات التى علمناها الدالة على وصولك لما لم يصل اليه مخلوق
اوفيك مدحا لا اذ لا يمكن ان يوفيك ذلك الا من احاط بمقامك وانى
ذلك لغيرك مثلى اين منى الوفا بذلك وانا من جملة العاجزين المقصرين
واين منها الوفاء بذلك وهى محصورة وكمالاته صلى الله عليه وسلم
غير محصورة ام متصلة اماري اى اجادل بهن اى بذكرى لتلك
الآيات قوم نبى اى المادحين لنبينا صلى الله عليه وسلم اى لم اذكر تلك
الآيات بقصد انى اوفى بما حقه صلى الله عليه وسلم ولا بقصد ان اجا دل
بها امته ومن ظن بى واحدا منهما فهو غبى لا يفهم ولا يعقل شيئا و
ساء ما ظنه بى الاغبياء لانهم لقلة فطنتهم يتجاسرون على الناس
بما هم بريئون منه وكل استينافا او عطف على محذوف اى كل الآيات
التى لا تحصى وكل الامة الوسط كما قال تعالى وكذلك جعلناكم
امة وسطا اى خيارا عدولا لتكونوا شهداء على الناس التى غبطتها

من الغبطة وهي تمني ودّ الانسان ان له من الخير مثل غيره من غير سلبه
عنه والحسد ودّ ذلك مع سلبه عنه بك لما اي حين اتيتها اي ارسلت
اليها الانبياء فانهم وان كانوا من امتك بنص واذ اخذ الله ميثاق
النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة الآية ومر الكلام عليها لكنهم ودوا
ان يكونوا من اتباعك الذين بعثت فيهم ليفوزوا بغاية الفخر كما فاز
بذلك امتك الذين بعثت فيهم فاطاعوك فان قلت كان القياس
غبطتك بها الانبياء لانها افضل من اممهم بنص جعلناكم امة وسطا
لتكونوا شهداء على الناس اي وودوا ان يكون لهم مثلهم كما صح به موسى
فيما ياتي قلت هذا وان كان هو القياس لكنه ارتكب فيه القلب
الذي هو من احد انواع البديع خشية ان يتوهم من ذلك مدحه لنفسه
لان مدح العام مدح لكل من افراده فتامله ثم رايت ما يدل للقياس
المذكور وهو ما رواه ابو نعيم ايضا ان الله تعالى لما ذكر لموسى صفات
هذه الامة قال يا رب فاجعلني من امة ذلك النبي قال استقدمت
واستأخر ولكن ساجمع بينك وبينه في دار الجلال ولعل نظرك اليها
لم تخف بعدك الضلال عما تركتها عليه من الشريعة الواضحة البيضاء
التي لا يزيغ عنها الا هالك والحال ان فينا اعلام الهدى وهم وارثوا
نور هديك اي ما كنت عليه انت واصحابك وهؤلاء هم العلماء الذين
هم اهل السنة والجماعة وهم اتباع ابي الحسن الاشعري وابي منصور
الماتريدي رحمهما الله تعالى وذلك كما اخبرتنا به بقولك في الاحاديث
الصحيحة لا تزال الطائفة من امتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم
حتى يأتيهم امر الله وهم على ذلك اي وهؤلاء هم اهل العلوم الشرعية
والآلية من اهل السنة لان الناس مع وجودهم آمنون من كل محنة و
ضلالة وبلية وبقولك ايضا العلماء ورثة الانبياء ان الانبياء لم يور ثوا
دينارا ولا درهما وانما ورثوا العلم فمن اخذه اخذ بحظ وافر
صححه جماعة وفي رواية زيادة يحبهم اهل السماء وتستغفر لهم الحيتان
في البحر وفي اخرى وانما العالم من عمل بعلمه وفي اخرى اقرب الناس من درجة
النبوة اهل العلم والجهاد وفي اخرى كاد حملة القرآن ان يكونوا انبياء

الا انهم لا يوحى اليهم وفي اخرى من حفظ القرآن فقد ادرجت النبوة
بين جنبيه الا انه لا يوحى اليه وخبر علماء امتي كانبياء بني
اسرائيل لا اصل لها ولكن معناها صحيح لما تقرر ان العلماء ورثة
الانبياء وقوله تعالى وورث سليمان داود اي في العلم والحكمة والنبوة
والرسالة ومنه فهب لي من لدنك وليا يرثني وللخبر الصحيح انا نحن
معاشر الانبياء لا نورث ما تركناه فهو صدقة واشار بما ذكره الناظم
الى ان الله تعالى خص هذه الامة بخصائص لم يؤتها
لغيرهم تكرمة لنبيهم وزيادة في شرفهم منها كما في حديث ابي نعيم ان
موسى لما رأى مدح هذه الامة في التوراة قال يا رب اني اجد في الالواح
امة هم الآخرون السابقون فاجعلهم امتي قال تلك امة احمد ثم
ذكر ذلك مع اوصاف اخر وكرر جوابه كذلك قال يا رب فاجعلني
من امة احمد فقال اني اصطفيتك على الناس برسالاتي الآية فقال
رضيت يا رب وفي رواية انه سأل ربه هل في الامم اكرم عليك
من امتي فبين ان فضل امة محمد على سائر امم الانبياء كفضله تعالى على
جميع خلقه ومنها ان احدا لا يدخل الجنة قبلهم ومنها الوضوء
على الكيفية المخصوصة والتيمم واباحة الغنائم وان كل الارض
تصح الصلوة فيها ويجوز جعلها مسجدا الا محل مسجد الضرار ومجموع
الصلوات الخمس والتأمين خلف الفاتحة كما صح به الخبر والركوع
لخبر به رواه البزار والطبراني وغيرهم قال جمع مفسرون ان صلوة
من قبلنا لا ركوع فيها وفسروا اركعوا بصلوا واركعي مع الراكعين
بصلي مع المصلين وان صفوفهم في الصلوة كصفوف الملائكة
رواه مسلم والجمعة رواه البخاري وساعة الاجابة يومها و
رمضان عند الجمهور فالتشبيه في الآية لمطلق الصوم وخبر
انه كتب على من قبلنا في سنده مجهول ونظر الله اليهم اوله وتزيين
الجنة فيه وخلوف افواههم اطيب من ريح المسك واستغفار الملائكة
لهم حتى يفطروا وعموم المغفرة لهم آخر ليلة فيه رواه البيهقي بسند
لا بأس فيه بلفظ اعطيت امتي في شهر رمضان خمسا لم يعطهن نبي

تبلى الحديث واستغفار الحيتان لهم حتى يفطروا رواه البزار والتسحر
وتعجيل الفطر رواه الشيخان واباحة الطعام والجماع الى الفجر
والاسترجاع عند المصيبة قاله سعيد بن جبير ورفع اثقال التكليفات
التى كانت على من قبلهم كتحتم القصاص حتى فى الخطاء وقطع الاعضاء
الخاطئة وموضع النجاسة وقتل النفس فى التوبة والمؤاخذة بالخطاء
والنسيان وما استكرهوا عليه كما صح به الخبر وان الله لم يجعل عليهم فى
دينهم من حرج وان الاسلام وصف خاص بهم عند جماعة لكن الذى
اعتمده ابن الصلاح وغيره خلافه وان شريعتهم اكمل من سائر
الشرائع كما ان نبيهم اكمل الانبياء وقد كان لموسى وشريعته من الجلال
الصرف ضد ما كان لعيسى وشريعته من كل وجه وشريعتنا اعتدل
فيها الامران فخلت عن شدة تلك ولين هذه واعتدلت فى جميع
جزئياتها ومن ثم وهب الله لهم من علمه وحلمه وجعلهم خير امة اخرجت
للناس واعطاهم مرتبة الشهادة على من سبقهم فى القيمة فاقامهم
مقام الانبياء فى الشهادة عليهم وكمل لهم من المحاسن ما فرقه فى الكتب
وانهم لا يجتمعون على الضلالة كما فى الحديث المشهور واسانيده
كثيرة وشواهده متعددة من المرفوع وغيره وان اجماعهم حجة و
اختلافهم رحمة وفى حديث ضعيف منقطع اختلاف اصحابى لكم رحمة
وفى رواية اقتضى كلام الخطابى ان لها اصلا عنده وبه رد زعم كثير
من الائمة انه لا اصل لها اختلاف امتى رحمة للناس وان الطاعون شهادة
لهم وعذاب على غيرهم للخبر برجاله ثقات وانهم حفظوا آثار رسولهم
على قوانين علم الحديث مما لم يوجد نظيره فى امة وان فيهم اقطابا واوتادا
ونقباء ونجباء وابدالا كما جاء فى الحديث فى الابدال ونحوهم وانهم يخرجون
من قبورهم بلا ذنوب لاستغفار المؤمنين لهم رواه الطبرانى وغيره و
انهم اول من تنشق عنه الارض رواه ابو نعيم ويتميزون يوم القيمة بالغرة
والتحجيل من آثار الوضوء رواه البخارى ينادون بهذا الوصف ويكونون
بهذه الصورة ويكونون مع نبيهم على كوم مشرف فى الموقف يغبطهم فيه
جميع الامم رواه جماعة ويتميزون بسيما السجود فى وجوههم قال ابن عباس

رضى الله عنهما وهى بياض شديد وقال شهر بن حوشب نور كالقمر ليلة البدر
قال تعالى سيماهم فى وجوههم الآية وقيل هذا فى الدنيا وعليه قال ابن
عباس السمت الحسن او السمت الاسلام وخشوعه وقيل الصفرة فى الوجه
من اثر السهر ويؤتون كتبهم بايمانهم رواه احمد وغيره ويسعى نورهم
بين ايديهم وبايمانهم كما صح به الخبر ويصل لهم ما سعى لهم من صوم وحج
وصدقة ودعاء وقراءة بل وكل عبادة عند كثيرين وآية وان ليس
للانسان الا ما سعى منسوخة او فى حق الكافر ويدخل منهم الجنة سبعون
الفا بغير حساب رواه الشيخان زاد الطبرانى والبيهقى مع كل واحد
منهم سبعون الفا فبسبب ان فى الامة وارثى هذين الخصوصين بهذه
الخصايص التى لم توجد لغيرهم من الامم انقضت آى الانبياء اى معجزاتهم
لانتساخ شرايعهم بموتهم وان كان من بعد موسى الى عيسى انما هو مرسل
بكتاب موسى وآياتك اى معجزاتك فى الناس قبل وجودك ومعه
وبعد وفاتك ما لهن انقضاء فيه العكس نحو ولا هن حل لهم الآية
ورد العجز على الصدر اما الاولان فقد مر منهما جملة منها ما فى كتب
الله من ذكره ونعته وخروجه بارض العرب ومخرج بين يدى
ايام مولده ومبعثه من الامور العجيبة المهولة للكفر واهله والمؤيدة
لشان العرب كقصة الفيل وعقاب اهله وخمود نار فارس وسقوط
شرفات ايوان كسرى وغيض ماء بحيرة ساوة وخمود نارهم وما سمع
من الهواتف الصارخة به صلى الله عليه وسلم باوصافه وانتكاس الاصنام
المعبودة لولادته وتظليل الغمام له فى سفره الى الغير فذلك مما ورد فى
الاخبار الى بعثته مما هو تاسيس لنبوته وارهاص لرسالته واما الاخير
فكثير جدا اذ فى كل حين يقع لخواص امته من خوارق العادات بسببه
مما يدل على تعظيم قدره الكريم مما لا يحصى كما قال والكرامات الواقعة
منهم اى الناس معجزات اذ كل منهما امر خارق للعادة وانما تفترقان با
لتحدى وعدمه لكنهما فى الحقيقة معجزات لك حازها من نوالك عطائك و
كرمك الاولياء وكان القياس جاز بها الكنه اظهر ليبين ان مراده
بهم العائد على الناس خواصهم وهم الاولياء جمع ولى فعيل بمعنى فا

لانه والى الله ورسوله فلم يخرج عن امرهما ونهيهما الى ما يغضبهما
او مفعول لان الله والاه بخوارق نعمه ورسوله والاه بمزيد امدا ده
وكرمه وضابط الولي انه المداوم على فعل الطاعات واجتناب
المعاصي المعرض عن الانهماك في اللذات كذا قالوه ويتجه ان هذا ضابط
للولي الكامل وان اصل الولاية تحصل لمن وجدت فيه صفة العدالة
الباطنة بالشروط المذكورة عند الفقهاء ومن معجزاته المتكررة الدا ئمة
ايضا ما يقع للمتوسلين به من خوارق العادات بسببه مما لا يحصى
ايضا هذا كله مع قطع النظر الى القرآن الكريم فبالنظر اليه وانه
معجزته الكبرى ففيه من المعجزات المتكررة بتكرر الازمنة ما لا يحصى
ايضا واعلم انه صلى الله عليه وسلم كما فضله الله في المبدأ بان جعله
اول الانبياء خلقا واول مجيب يوم الست جعله اول من تنشق عنه الا رض
واول شافع واول مشفع واول ناظر الى ربه واول نبي يقضي بين امته
واولهم اجازة بامته على الصراط ودخلا الجنة وهم اول الامم دخو لا
اليها وزاده من لطائف التحف ونفائس الطرف ما لا يحصى كثرة كما
وتخصيصه بالمقام المحمود وهو الشفاعة العظمى في فصل القضاء
وبلواء الحمد الذي تحته آدم فمن دونه وبالسجود امام العرش ويفتح
عليه حينئذ ما لا يفتح عليه ولا على احد قبله ولا يفتح على احد بعده و ايضا م
النداء بيا محمد ارفع رأسك وقل يسمع لك وسل تعط واشفع تشفع
وقيامه عن يمين العرش الذي لم يقمه مخلوق يغبطه فيه الاولون والآخر ون
وشهادته للانبياء على اممهم تنبيه علم مما تقرر ان الكرامة ظهور
امر خارق للعادة غير مقارن لدعوى النبوة على يد من عرفت ديانته و
اشتهرت ولايته باتباع نبيه في جميع ما جاء به والا فهي استدراج او سحر
او اذلال كما وقع لمسيلمة الكذاب لعنه الله انه جاءه اعور يدعوله فدعا
له فعميت الصحيحة ايضا وتسمى اهانة وقد يظهر الخارق على يد عامي
تخلصا له من فتنة وتسمى معونة وانكر جماعة محرومون كاكثر المعتزلة
وان وافقهم بعض منا لكن يتعين تأويل كلامه لان جلالته تأبى
ان يرضى بهذا الزيف الذي انتحلوه جواز الكرامة ووقوعها

وعليه قيل يمتنع كونها بقصد واختيار لادائهما الى السقوط عن
مرتبة الولاية وقيل يمتنع كونها من جنس معجزة نبي والا لالتبست
بالمعجزة وردهما الفخر الرازي بان المرضي تجويز جملة خوارق العا دات
في معرض الكرامات والمميز لها عن المعجزة انما هو ادعاء النبوة
وكانه لم يرض قول جماعة منهم القشيري لا تنتهي الى احياء ميت
ولا وجود ولد من غير اب ومن ثم رد بعموم قولهم ما جاز ان يكون
معجزة لنبي جاز ان يكون كرامة لولي وليس من شرط المعجزة غير
القرآن ان لا يمكن نظيرها بل ان يعجز المعارضون عن نظيرها
ومن ادلة الجواز ان الوقوع ممكن كالمعجزة وقدرة الله تعالى
شاملة لهما ولا بدع ان الملك يصدق رسوله بخرق بعض العادات
ثم يفعل مثل ذلك ببعض اتباعه اكراما له ومن ادلة الوقوع
النص القاطع بما وقع لمريم كلما دخل عليها زكريا المحراب الآية
وفي ولادة عيسى ولاصحاب الكهف ولوزير سليمان في عرش
بلقيس ونظائر ذلك وزعم انها ارهاص باطل على ان المعتزلة لا
يقولون به سلمناه هو لا يمنع تسمية ذلك كرامة على يد من ظهرت
عليه والتواتر المعنوي وان كانت التفاصيل آحادا في كرامات
الصحابة لا سيما ما وقع لعمر وعلي رضي الله عنهما وتابعيهم ومن
بعدهم الى زماننا بل ظهورها يكاد يلحق بظهور معجزات الانبياء
ولا عجب من انكار المبتدعة ذلك فانهم حرموا مشاهدة شيء منها
من انفسهم ومشايخهم وكثرة ظهورها لا تخرجها عن كونها خارقا
خلافا لمن زعمه لانه يلزمه ذلك في المعجزة على ان الكثرة فيها لا
تنافي قلتها بالنسبة للعادة المستمرة وظهور الخارق على غير الانبياء
لا يخل بقدرهم بل يزيد في جلالة اقدارهم والرغبة في اتباعهم حيث
نال اممهم واتباعهم مثل هذه الدرجة ببركة الاقتداء بشريعتهم و
الاستقامة على طريقتهم ومما مر ان الخارق لا يسمى كرامة الا ان ظهر
على يد من قد يعلم ان الكرامة لا تشتبه بالسحر اصلا لانا ننظر لحال
من ظهر الخارق على يديه فان توفرت فيه شروط الولاية فذلك

الخارق كرامة في حقه والا فهو سحر او غيره مما مر ونزعم ان الساحر لا
يمكن ان يقلب عينا كآدمي حمارًا ولا تقلب طبيعة بخلاف الولي انه ليس في
محله بل الخلاف فيهما واحد قال الجمع يستحيل عليهما ذلك وجمع يجوزه في
حقهما ذلك وهو الاصح واما قوله تعالى فلا يظهر على غيبه احدًا الا من ارتضى تقضي
الآية فالاستثناء فيه منقطع بدليل فانه الخ بل بغيبه اذ غيبه مفرد
مضاف فهو للعموم واستغراق النفي فهنا الكل فرد فرد من المخلوقين
اذ مدلول العام كلية لا كلي ولا كل خلافا لمن وهم فيه فحمل الآية عليه
باق على حقيقته اذ الغيوب كلها لم يطلع الله عليها احدًا من خلقه
وانما غاية من اطلعه منهم انه اطلعه على جزئيات مخصوصة وبتقدير
انه متصل وان المراد من الآية غيب مخصوص اي لا يظهر على بعض
غيبه الا الرسول فلا حجة لهم فيه لان القطع الضروري بوقوع الكرامات
للانبياء والاولياء يعين ان المراد من الآية غيب مخصوص اي لا
يظهر على ذلك الغيب المخصوص الا من ارتضاه من رسله واما
البقية من الرسل والانبياء والاولياء فلا يظهرهم على ذلك المخصوص
بل على غيره واعلم ان من الكفر الصريح ما حكي عن بعض الكرامية ان
الولي غير النبي قد يبلغ درجة النبوة وعن بعض المتصوفة الجهلة
ان الولاية فوق رتبة النبوة وان الولي قد يبلغ حالة يسقط عنه
فيها التكليف قال الغزالي وقتل واحد من هؤلاء خير من قتل
مائة كافر لان ضرره في الدين اشد وليس من اولئك العارفان
العالمان المحققان الوليان الكبيران المحيوي ابن العربي والسراج
ابن الفارض واتباعهما بحوخلافا لمن زل فيهم قدمه وطغى قلبه
الا ان يكون اراد بما قاله الذب عن اعتقاد ظواهر عباراتهم
المتبادرة عند من لا يحيط باصطلاحهم ان تاكيد لقوله ما لمن انقضاء
من معجزاتك الباهرة العجز من سائر الناس عن وصفك مفرد مضاف
فهو للعموم اي عن الاحاطة بكل فرد فرد من اوصافك التي اختصك
الله بها اذ لا يحده اي الوصف المذكور الاحصاء اي العد كيف يستوعب
الكلام الصادر من واصفيك سجاياك اي ما فيك من الاخلاق الكريمة

والفضائل والاوصاف البالغة اقصى ما يمكن البشر الرقي اليه وهي
لا حد لها باعتبار انك لا تزال تترقى في مراتب القرب في الحيوة وبعد
الممات وفي الموقف وفي الجنة الى ما لا نهاية له ولا انقضاء وهل
نزح البحار اوصافك بما في ان بتلك قيام الوجود الحسي وبهذه المشتبه
قيام الوجود المعنوي لما انه صلى الله عليه وسلم روح الكون والخليفة
الاكبر عن الله في امداده الركاء المشتبه بها الالفاظ في ان كلا يتوصل
به الحيازة بعض المطلوب دون انتهائه وهذا تذييل مبين بما
اشتمل عليه من الاستعارتين المصرحتين المرشح لها بذكر النزح ان
اوصافه صلى الله عليه وسلم لو عبر عنها من اول الزمان الى اخره لا
تحد ولا تحصى ومما يزيد ذلك بيانا وايضاحا انه ليس من غاية لوصفك
اي اوصافك توجد حتى اني ابغيها اي اطلبها وللقول اي عنى غاية لما
تمهد ان ذلك الترقي لا نهاية له اذ لا مطمع في الاطلاع عليه ويفرض
لا تحده العبارة بخلاف القول عنه فانه محدود متناه وبهذا اعني
قولي مني اولًا ومنه ثانيا مع ما تقرر يندفع ما اشار اليه الشارح من
اشكال في ذلك وانتهاء تاكيد والفرق بين الغاية والنهاية اعتباري ايضاح
ومما يزيد بيانا وايضاحا ان تقول انما فضلك اي فضائلك الزمان
اي يشبهه من حيث الاعمال فيها واما بالنسبة للتفضيل فجزئيات كل
كجزئيات الاخراذ اياتك اي معجزاتك وخصايصك فيما نعده وبحسبه
الاناء جمع إني بالكسر والفتح وإنْي وإنًى كذا ذكره الشارح والذي في القاموس
والإنْيُ والإنْوُ بالكسر الوهن والساعة من الليل او ساعة ما منه ويكسر
والإنَا كإلَى وعلى كل النهار انتهى والمراد هنا مطلق الساعات اي
اللحظات فكما ان هذه لا تحد فكذلك تلك هذا ولا تظن اني
باطالتي في هذه القصيدة تعداد اوصافه صلى الله عليه وسلم الخالف
ما قدمته انها لا تحد لاني لم اطل في تعداد مدحك فيما نطقي والحال
ان مرادي بذلك استقصاء اي حصر لاوصافه وانما مرادي بذلك
برد الغليل وشفاء العليل كما افاده قوله المشتمل على اداة الاستثناء
الذي هو منقطع هنا غير اني اي لم ارم الحصر لكنني ظمآن وجدا اي

من شدة شوقى لسماع تلك الاوصاف غاية الظمأ والعطش للارتواء
من سماعها وما اى ليس يحصل لى بقليل من الماء الذى اشربه حالـ
الورود منه ارتواء مما بى من العطش فاطالتى فى التعداد لطلب
مزيد الارتواء من سماع تلك الاوصاف لا للطلب حصر لتعذره وفى
كلامه استعارة مصرحة لانه شبه شغفه بتعداد الآيات وذكر
افضل الصفات بظمأ شديد لا يرويه الا الماء الكثير ورشح لذلك بذكر
الورود والارتواء فبسبب حصول الارتواء لى من تلك الاطالة اختمها
بما هو المتعين من الدعاء بالصلاة والسلام امتثالا لقوله تعالى صلوا
عليه وسلموا تسليما فاقول سلام عظيم شريف اى سلامة من كل
آفة ونقص كائنة عليك تترى اى تتكرر ويتبع بعضه بعضا دائما وفى
القاموس تترى ويترى كرمى تراخى واترى عمل اعمالا متواترة بين كل عملين
فترة انتهى وقد يشكل على استعمال الناظم تترى هنا مرادا به ما ذكر
الا ان يجاب بانه اراد به اصل المعنى وهو مطلق التتابع من غير
اعتبار تراخ ولا فترة بقرينة المقام وقد يخرج البليغ عن المعنى اللغوى ى
الى ما هو اخص او اعم منه للضرورة مع الاستغناء بفهم ذلك الخصوص
او العموم منه من قرينة المقام والسياق فتامله من الله ويبقى به اى
بسببه على ممر الازمنة الى فنائها وما بعد ذلك مما لا منتهى لآخره لك
البأواء اى الفخر لان تسليم امتك عليك مع التكرر والدوام زيادة
فى شرفك وفخرك وانما ذكرت سلام الله عليك ابتداء مبادرة الى اشر فيتم
وسلامك ثانيا لانك فى الحقيقة لا يكافيك من سلام الخلق غير سلامك على نفسك
فحينئذ سلام عليك منك فما اى ليس غيرك من المخلوقين منه متعلق
بالسلام لك متعلق بكفاء السلام ولك بمعنى عليك كفاء اى مكافئ
من المكافاة وهى المساواة اذ كيف يساويك سلام من هو دونك ولم يحط
بفضائلك ومع ذلك لا يطلب من غيرك عدم السلام عليك بل يطلب
من كل احد السلام عليك وان لم يكافيك سلامه فمن ثم قال وسلام
عليك من كل ما خلق الله من كل انام وجامد وفى نسخة من فالاولى
غلبت غير العاقل لكثرته والثانية غلبت العاقل لشرفه على حد وله

يسجد من فى السموات ما فى السموات وانما جئت بهذا العموم لتحيى بذكرك
الاملاء جمع ملأ وهو الجماعة وبالغ الناظم حيث طلب السلام عليه صلى
الله عليه وسلم من ربه ثم من نفسه ثم من سائر المخلوقات ليجتمع له صلى الله عليه وسلم
سائر وجوه السلامة فيه وفى شريعته وامته وجميع آثاره ولاجل هذا
العموم الذى يوجد فى السلام دون الصلاة خصه بالذكر وقد ذكر وا
كما ذكرته فى كتابى الجوهر المنظم فى زيارة القبر المكرم الذى لم يصنف فى هذا
الباب مثله فى ايثار الزائر للسلام وتكرره دون الصلاة ما يؤخذ
منه ما ذكرته فتامله وصلاة وهى من الله الرحمة المقرونة بالتعظيم اى
من الله ومنك ومن كل مخلوق نظير ما مر فى السلام كالمسك فى الطيب
والنفع البالغ تحمله اى ذلك المسك الذى هو عين صلاتى منى شمال وهى
التى تهب من جهة القطب الى المغرب اليك حتى يعطر الوجه بعبيره و
تحيى الارواح بعبقه ونسيمه او نكباء وهى الصبا وتهب من سهيل الحج
والجنوب وتسمى الازيب وهى التى تهب من سهيل الى الغرب والدبور
وهى التى تهب من الغرب سميت بذلك لانها تهب من ظهر الكعبة والحاصل
ان الريح اذا هبت من تجاه الكعبة فالصبا وهى حارة يابسة او من ورا ئها
او من يمينها فالجنوب وهى حارة رطبة صح
فالدبور وهى باردة رطبة او من شمالها فالشمال وهى باردة يابسة
وهى ريح الجنة التى تهب عليهم رواه مسلم ولهذه الخصوصية للشمال بدأ
بها الناظم وسلام على ضريحك اى قبرك المكرم وهو افضل حتى من الكعبة
بل من العرش ولكون المراد من الضريح هنا البقعة التى ضمت اعضاءه
الشريفة لم يكن فى افراده السلام هنا كراهة لانه عين السلام عليه الذ ى
ضم اليه الصلاة فيما مر تخضل بمعجمتين اى تبتل به منه اى القبر تربة
وعساء اى لينة ذات رمل شبه السلام بالماء الكثير الطيب البارد
البالغ فى النفع فهو استعارة مصرحة وخيل له بذكره تخضل وثناء فى هذه القصيدة صح
قدمت بين يدى نجواى اى سؤالى منك بلوغ المأمول الواقع فى هذه
القصيدة بقولها خذ لعاصى الخ وفى غيرها اذ اى لاجل انى لم يكن
لديك اى عندى ثراء بالمثلثة اى مال اتصدق به امتثالا لقوله تعالى
اذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدى نجواكم صدقة اذ الامر فيها

كان للوجوب ثم نسخ بما بعدها وهو أأشفقتم الآية وجاء انه لم يعمل
بها قبل النسخ غير تقديم الصدقة بين يدى النجوى غير على كرم الله وجهه
ولا يلزم من نسخ الوجوب نسخ الندب ولذا يسن لمن يريد زيارته
صلى الله عليه وسلم ان يقدم بين يدى زيارته صدقة والناظم رحمه الله
ظاهر كلامه انه كان يعتقد بقاء الندب فاعتذر بانه لا مال له
يتصدق به بين يدى سؤاله وانه جعل حسن توسله وثنائه بدل
المال الذى يتصدق به • تنبيه • تفسر لدى بعند لانها تشاركها
فى اكثر احكامها من كونهما ظرفى مكان تستعمل فى الحضور والقرب
الحسيين والمعنويين نحو عند مليك مقتدر عنده تعالى ان الله كتب كتابا
فهو عنده فوق عرشه ان رحمتى سبقت غضبى ولا تستعمل الا ظرفا
وغير ذلك فلا ينافى ذلك انها قد تفارقها فى كثرة جر عند بمن خاصة
وامتناع جر لدى مطلقا وفى ان عند تكون ظرفا للاعيان والمعانى
وتستعمل فى الحاضر والغائب بخلاف لدى فيهما وتفارق عند ولدى
لدن فى ان ذينك يصلحان فى ابتداء غاية وغيرها ويكونان فضلة
نحو وعندنا كتاب حفيظ ويعربان بخلافها فى لغة الاكثرين وجر
لدن اكثر من نصبها وقد لا تضاف وقد تضاف للجملة بخلافهما
قال الراغب لدن اخص من عند وابلغ لانه يدل على ابتداء نهاية
الفعل ما مصدرية ظرفية اقام الصلاة اللغوية او الشرعية من عبد
الله وابد بهذا مع انقطاعه استغناء عنه بما بعده على انا لا نسلم
انقطاعه لان اهل الجنة يدعون ويتعبدون كما علم من احاديث اقرأ
وارق وغيرها لكن للتلذذ لا التكليف ولا يضر فى ذلك التابيد
انقطاعه مدة يسيرة للخبر الصحيح لا تقوم الساعة وعلى وجه الارض
من يقول الله الله ولا ينافيه الخبر الصحيح ايضا لا تزال طائفة من
امتى ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم الى ان تقوم الساعة لان المراد
قرب قيامها لما جاء ان الله قبيلها يرسل ريحا لينة فلا تمر على مؤمن
ولا مؤمنة الا امات ثم تتمحض الكفرة فلا يبقى على وجه مؤمن ثم تقوم
الساعة وما قامت اى بقيت على ابلغ نظام واتقن احكام بربنا بايجاده

وامداده

وامداده الاشياء اى الموجودات فى الدنيا والآخرة وابدها بالاول
مع انقطاعه بفناء هذه الدار لما مر للتبرك بذكر التعبدين آخر
كلامه وبالثانى الذى لا ينقطع لدوام نعيم الجنة وعذاب النار
الجمع بين شرف الاول ودوام الثانى مع الاشارة بالختم بذكر الرب
الى استفتاح ابواب تربيته واستمناح مواخ لطفه وهدايته
جعلنا الله ممن حقق لحقائق قربه وامداده واسعافه واسعاده
وآمننا من كل فتنة ومحنة مسبغا علينا رضاه متفضلا بكل ما
نتمناه انه هو الجواد الكريم الرؤف الرحيم • سبحان
ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين

تم على يد مؤلفه • تم بعناية العلية • انما تحرير هذا الشرح الحاوى
للفوائد الجلية • الذى علقه الشيخ الامام ابن حجر المكى
على القصيدة الهمزية • فى مدح سيد البرية •
على يد الفقير عبد القادر الكليسى وفقه
الله للاعمال المرضية • فى غرة
شهر جمادى الاولى لسنة
ثمان وستين والف
من الهجرة
النبوية •
تم

هذه قصيدة همزية مسماة بام القرى
في مدح سيد الورى نظمها الشيخ
الامام العلامة شرف الدين
ابو عبد الله محمد البوصيري
تغمده الله بغفرانه
واسكنه بحبوحة
جنانه
تم

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نثق

كيف ترقى رقيك الانبياء ... يا سماء ما طاولتها سماء
لم يساووك في علاك وقد حا ... ل سنا منك دونهم وسناء
انما مثلوا صفاتك للنا ... س كما مثل النجوم الماء
انت مصباح كل فضل فما تصـ ... ـدر الا عن ضوئك الاضواء
لك ذات العلوم من عالم الغيب ... ومنها لآدم الاسماء
لم تزل في ضمائر الكون تختا ... ر لك الامهات والآباء
ما مضت فترة من الرسل الا ... بشرت قومها بك الانبياء
تتباهى بك العصور وتسمو ... بك علياء بعدها علياء
وبدا للوجود منك كريم ... من كريم آباؤه كرماء
نسب تحسب العلى بحلاه ... قلدتها نجومها الجوزاء
حبذا عقد سودد وفخار ... انت فيه اليتيمة العصماء
ومحيا كالشمس منك مضيء ... اسفرت عنه ليلة غراء
ليلة المولد الذي كان للدين ... سرور بيومه وازدهاء
وتوالت بشرى الهواتف ان قد ... ولد المصطفى وحق الهناء
وتداعى ايوان كسرى ولولا ... آية منك ما تداعى البناء
وغدا كل بيت نار وفيه ... كربة من خمودها وبلاء
وعيون للفرس غارت فهل كا ... ن لنيرانهم بها اطفاء
مولد كان منه في طالع الكفر ... وبال عليهم ووباء
فهنيئا به لآمنة الفضـ ... ـل الذي شرفت به حواء
من لحواء انها حملت احـ ... ـمد او انها به نفساء
يوم نالت بوضعه ابنة وهب ... من فخار ما لم تنله النساء
واتت قومها بافضل مما ... حملت قبل مريم العذراء
شمتته الاملاك اذ وضعته ... وشفتنا بقولها الشفاء

رافعا

رافعا رأسه وفي ذلك الرفـ ... ـع الى كل سودد ايماء
رامقا طرفه السماء ومرمى ... عين من شانه العلو العلاء
وتدلت زهر النجوم اليه ... فاضاءت بضوئها الارجاء
وتراءت قصور قيصر بالرو ... م يراها من داره البطحاء
وبدت في رضاعه معجزات ... ليس فيها على العيون خفاء
اذ ابته ليتمه مرضعات ... قلن ما في اليتيم عنا غناء
فاتته من آل سعد فتاة ... قد ابتها لفقرها الرضعاء
ارضعته لبانها فسقتها ... وبنيها البانهن الشاء
اصبحت شولا عجافا وامست ... ما بها شائل ولا عجفاء
اخصب العيش عندها بعد محل ... اذ غدا للنبي منها غذاء
يا لها منة لقد ضوعف الاجـ ... ـر عليها من جنسها والجزاء
واذا سخر الاله اناسا ... لسعيد فانهم سعداء
حبة انبتت سنابل والعصـ ... ـف لديه يستشرف الضعفاء
واتت جده وقد فصلته ... وبها من فصاله البرحاء
اذ احاطت به ملائكة اللـ ... ـه فظنت بانهم قرناء
ورأى وجدها به ومن الوجـ ... ـد لهيب تصلى به الاحشاء
فارقته كرها وكان لديها ... ثاويا لا يمل منه الثواء
شق عن قلبه واخرج منه ... مضغة عند غسله سوداء
ختمته يمنى الامين وقد او ... دع ما لم تذع له انباء
صان اسراره الختام فلا الفـ ... ـض ملم به ولا الافضاء
الف النسك والعبادة والخلـ ... ـوة طفلا وهكذا النجباء
واذا حلت الهداية قلبا ... نشطت للعبادة الاعضاء
بعث الله عند مبعثه الشهـ ... ـب حراسا وضاق عنها الفضاء
تطرد الجن عن مقاعد للسمـ ... ـع كما تطرد الذئاب الرعاء
فمحت آية الكهانة آيا ... ت من الوحي ما لهن امحاء
ورأته خديجة والتقى والـ ... ـزهد فيه سجية والحياء
واتاها ان الغمامة والسر ... ح اظلته منهما افياء

ولحاديثاة وعد رسول الله بالبعث حان منه الوفاء
فدعته الى الزواج وما احسن ما يبلغ المنى الاذكياء
واتاه في بيتها جبرئيل ولذي اللب في الامور ارتياء
فاماطت عنها الخمار لتدري اهو الوحي ام هو الاغماء
فاختفى عند كشفها الراس جبريل فما عاد او اعيد الغطاء
فاستبانت خديجة انه الكنز الذي حاولته والكيمياء
ثم قام النبي يدعو الى الله وفي الكفر نجدة واباء
امما اشربت قلوبهم الكفر فداء الضلال فيهم عياء
ورأينا آياته فاهتدينا واذا الحق جاء زال المراء
رب ان الهدى هداك وآيا تك نور تهدي بها من تشاء
كم رأينا ما ليس يعقل قد الهم ما ليس يلهم العقلاء
فاتى الفيل ما اتى صاحب الفيل ولم ينفع الحجا والذكاء
والجمادات افصحت بالذي اخرس عنه لاحمد الفصحاء
ويح قوم جفوا نبيا بارض الفته ضبابها والظباء
وسلوه وحن جذع اليه وقلوه ووده الغرباء
اخرجوه منها وآواه غار وحمته حمامة ورقاء
وكفته بنسجها عنكبوت ما كفته الحمامة الحصداء
واختفى منهم على قرب مرآه ومن شدة الظهور الخفاء
ونحا المصطفى المدينة واشتاقت اليه من مكة الانحاء
وتغنت بمدحه الجن حتى اطرب الانس منه ذاك الغناء
واقتفى اثره سراقة فاستهوته في الارض صافن جرداء
ثم ناداه بعدما سيمت الخسف وقد ينجد الغريق النداء
فطوى الارض سائرا والسموات العلى فوقها له اسراء
فصف الليلة التي كان للمختار فيها على البراق استواء
وترقى به الى قاب قوسين وتلك السيادة القعساء
رتب تسقط الاماني حسرى دونها ما وراءهن وراء
ثم وافى يحدث الناس شكرا اذ اتته من ربه النعماء

وتحدى

وتحدى فارتاب كل مريب او يبقى مع السيول الغثاء
وهو يدعو الى الاله وان شق عليه كفر به وازدراء
ويدل الورى على الله بالتوحيد وهو المحجة البيضاء
فبما رحمة من الله لانت صخرة من اباتهم صماء
واستجابت له بنصر وفتح بعد ذاك الخضراء والغبراء
واطاعت لامره العرب العرباء والجاهلية الجهلاء
وتوالت للمصطفى الآية الكبرى عليهم والغارة الشعواء
واذا ما تلا كتابا من الله تلته كتيبة خضراء
وكفاه المستهزئين وكم ساء نبيا من قومه استهزاء
ورماهم بدعوة من فناء البيت فيها للظالمين فناء
خمسة كلهم اصيبوا بداء والردى من جنوده الادواء
فدهى الاسود بن مطلب اي عمى ميت به الاحياء
ودهى الاسود بن عبد يغوث ان سقاه كاس الردى استسقاء
واصاب الوليد خدشة سهم قصرت عنها الحية الرقطاء
وقضت شوكة على مهجة العاصي فلله النقعة الشوكاء
وعلى الحارث القيوح وقد سال بها راسه وساء الوعاء
خمسة طهرت بقطعهم الارض فكف الاذى بهم شلاء
فديت خمسة الصحيفة بالخمسة ان كان للكرام فداء
فتية بيتوا على فعل خير حمد الصبح امرهم والمساء
يا لامر اتاه بعد هشام زمعة انه الفتى الاتاء
وزهير والمطعم بن عدي وابو البختري من حيث شاؤوا
نقضوا مبرم الصحيفة اذ شدت عليهم من العدى الانداء
اذكرتنا باكلها اكل منساة سليمان الارضة الخرساء
وبها اخبر النبي وكم اخرج خبأ له الغيوب خباء
لا تخل جانب النبي مضاما حين مسته منهم الاسواء
كل امر ناب النبيين فالشدة فيه محمودة والرخاء
لو يمس النضار هون من النار لما اختير للنضار الصلاء

كم يدٍ عن نبيه كفها الله — وفي الخلق كثرة واجتراء
اذ دعا وحده العباد وامست — منه في كل مقلة اقذاء
همّ قوم بقتله فابى السيـ — ـف وفاء وفاءت الصفواء
وابو جهل اذ رأى عنق الفحـ — ـل اليه كانه العنقاء
واقتضاه النبي دين الاراشي — وقد ساء بيعه والشراء
ورأى المصطفى اتاه بما لم — ينج منه دون الوفاء النجاء
هو ما قد رآه من قبل لكن — ما على مثله يعد الخطاء
واعدت حمالة الحطب الفهـ — ـر وجاءت كانها الورقاء
يوم جاءت غضبى تقول افي مثـ — ـلي من احمد يقال الهجاء
وتولت وما رأته ومن اين — ترى الشمس مقلة عمياء
ثم سمت له اليهودية الشا — ة وكم سام الشقوة الاشقياء
فاذاع الذراع ما فيه من شـ — ـر بنطق اخفاؤه ابداء
وبخلق من النبي كريم — لم تقاصص بجرحها العجماء
من فضلا على هوازن اذ كا — ن له قبل ذاك فيهم رباء
واتى السبي فيه اخت رضاع — وضع الكفر قدرها والسباء
فحباها برا توهمت النا — س به انما النساء هداء
بسط المصطفى لها من رداء — اي فضل حواه ذاك الرداء
فغدت فيه وهي سيدة النسـ — ـوة والسيدات فيه اماء
فتنزه في ذاته ومعانيـ — ـه استماعا ان عز منها اجتلاء
واملأ السمع من محاسن يمليـ — ـها عليك الانشاد والانشاء
كل وصف له ابتدأت به استو — عب اخبار الفضل منه ابتداء
سيد ضحكه التبسم والمشـ — ـي الهوينا ونومه الاغفاء
ما سوى خلقه النسيم ولا غيـ — ـر محياه الروضة الغناء
رحمة كله وحزم وعزم — ووقار وعصمة وحياء
لا تحل البأساء منه عرى الصبـ — ـر ولا تستخفه السراء
كرمت نفسه فما يخطر السو — ء على قلبه ولا الفحشاء
عظمت نعمة الاله عليه — فاستقلت لذكره العظماء

جهلت قومه عليه فاغضى — واخو الحلم دأبه الاغضاء
وسع العالمين علما وحلما — فهو بحر لم تعيه الاعباء
مستقل دنياك ان ينسب الامـ — ـساك منها اليه والاعطاء
شمس فضل تحقق الظن فيه — انه الشمس رفعة والضياء
فاذا ما ضحى محا نوره الظـ — ـل وقد اثبت الظلال الضحاء
فكأن الغمامة استودعته — من اظلت من ظله الدفناء
خفيت عنده الفضائل وانجا — بت به عن عقولنا الاهواء
امع الصبح للنجوم تجل — ام مع الشمس للظلام بقاء
معجز القول والفعال كريم الخـ — ـلق والخلق مقسط معطاء
لا تقس بالنبي في الفضل خلقا — فهو البحر والانام اضاء
كل فضل في العالمين فمن فضـ — ـل النبي استعاره الفضلاء
شق عن صدره وشق له البد — ر ومن شرط كل شرط جزاء
ورمى بالحصا فاقصد جيشا — ما العصا عنده وما الالقاء
ودعا للانام اذ دهمتهم — سنة من محولها شهباء
فاستهلت بالغيث سبعة ايا — م عليهم سحابة وطفاء
تتحرى مواضع الرعي والسقـ — ـي وحيث العطاش توهى السقاء
واتى الناس يشتكون اذاها — ورخاء يوذي الانام غلاء
فدعا فانجلى الغمام فقل في — وصف غيث اقلاعه استسقاء
ثم اثرى الثرى فقرت عيون — بقراها واحييت احياء
فترى الارض غبه كسماء — اشرقت من نجومها الظلماء
تخجل الدر واليواقيت من نو — ر رباها البيضاء والحمراء
ليته خصني برؤية وجه — زال عن كل من رآه الشقاء
مسفر يلتقي الكتيبة بسا — ما اذا اسهم الوجوه اللقاء
جعلت مسجدا له الارض فاهتـ — ـز به للصلوة فيها حراء
مظهر شجة الجبين على البر — ء كما اظهر الهلال البراء
ستر الحسن منه بالحسن فاعجب — لجمال له الجمال وقاء
فهو كالزهر لاح من سجف الاكـ — ـمام والعود شق عنه اللحاء

كاد ان يغشى العيون سنا منه لسر فيه حكته ذكاء
صانه الحسن والسكينة ان تظهر فيه آثارها البأساء
وتخال الوجوه ان قابلته البستها الوانها الحرباء
فاذا شمت بشره ونداه اذهلتك الانوار والانواء
او بتقبيل راحة كان لله وبالله اخذها والعطاء
تتقي بأسها الملوك وتحظى بالغنى من نوالها الفقراء
لا تسل سيل جودها انما يكفيك من وكف سحبها الانداء
درت الشاة حين مرت عليها فلها ثروة بها ونماء
نبع الماء اثمر النخل في عام بها سبحت بها الحصباء
احيت المرملين من موت جهد اعوز القوم فيه زاد وماء
فتغذى بالصاع الف جياع وتروى بالصاع الف ظماء
ووفى قدر بيضة من نضار دين سلمان حين حان الوفاء
كان يدعى قنا فاعتق لما اينعت من نخيله الاقناء
افلا تعذرون سلمان لما ان عرته من ذكره العرواء
وازالت بلمسها كل داء اكبرته اطبة واساء
وعيون مرت بها وهي رمد فارتها ما لم تر الزرقاء
واعادت على قتادة عينا فهي حتى مماته النجلاء
او بلثم التراب من قدم لا نت حياء من مشيها الصفواء
موطئ الاخمص الذي منه للقلب اذا مضجعي اقض وطاء
حظي المسجد الحرام بممشاها ولم ينس حظه ايلياء
ورمت اذ رمى بها ظلم الليل الى الله خوفه والرجاء
دميت في الوغى لتكسب طيبا ما اراقت من الدم الشهداء
فهي قطب المحراب والحرب كم دارت عليها في طاعة ارحاء
واراه لو لم يسكن بها قبل حراء ماجت به الدماء
عجبا للكفار زادوا ضلالا بالذي فيه للعقول اهتداء
والذي يسألون منه كتاب منزل قد اتاهم وارتقاء
اولم يكفهم من الله ذكر فيه للناس رحمة وشفاء

اعجز الانس آية منه والجن فهلا يأتي بها البلغاء
كل يوم تهدى الى سامعيه معجزات من لفظه القراء
تتحلى به المسامع والافواه فهو الحلي والحلواء
رق لفظا وراق معنى فجاءت في حلاها وحليها الخنساء
وارتنا فيه غوامض فضل رقة من زلالها وصفاء
انما تجتلى الوجوه اذا ما جليت عن مرآتها الاصداء
سور منه اشبهت صورا منا ومثل النظائر النظراء
والاقاويل عندهم كالتماثيل فلا توهمنك الخطباء
كم ابانت آياته من علوم عن حروف ابان عنها الهجاء
فهي كالحب والنوى اعجب الزراع منها سنابل وزكاء
فاطالوا فيه التردد والريب فقالوا سحر وقالوا افتراء
واذا البينات لم تغن شيئا فالتماس الهدى بهن عناء
واذا ضلت العقول على علم فماذا تقوله النصحاء
قوم عيسى عاملتم قوم موسى بالذي عاملتكم الحنفاء
صدقوا كتبكم وكذبتم كتبهم ان ذا البئس البواء
لو جحدنا جحودكم لاستوينا او للحق بالضلال استواء
ما لكم اخوة الكتاب اناسا ليس يرعى للحق منكم اخاء
يحسد الاول الاخير وما زال كذا المحدثون والقدماء
قد علمتم بظلم قابيل هابيل ومظلوم الاخوة الاتقياء
وسمعتم بكيد ابناء يعقوب اخاهم وكلهم صلحاء
حين القوه في غيابة جب ورموه بالافك وهو براء
فتأسوا بمن مضى اذ ظلمتم فالتأسي للنفس فيه عزاء
اتراكم وفيتم حين خانوا ام تراكم احسنتم اذ اساؤا
بل تمادت على التجاهل آباء تقفت آثارها الابناء
بينته توراتهم والاناجيل وهم في جحوده شركاء
ان تقولوا ما بينته فما زالت بها عن عيونهم عشواء
او تقولوا قد بينته فما للاذن عما تقوله صماء

عرفوه وانكروه وظلما　　كتمته الشهادة الشهداء
او نور الاله تطفئه الافـ　　ـواه وهو الذي به يستضاء
او لا ينكرون من طحنتهم　　برحاها عن امره الهيجاء
وكساهم ثوب الصغار وقد طلـ　　ـت دماء منهم وصينت دماء
كيف يهدي الاله منهم قلوبا　　حشوها من حبيبه البغضاء
خبرونا اهل الكتابين من ايـ　　ـن اتاكم تثليثكم والبداء
ما اتى بالعقيدتين كتاب　　واعتقاد لا نص فيه ادعاء
والدعاوى ما لم تقيموا عليها　　بينات ابناؤها ادعياء
ليت شعري ذكر الثلاثة والوا　　حد نقص في عدكم ام نماء
كيف وحدتم الها نفى التو　　حيد عنه الآباء والابناء
االه مركب ما سمعنا　　باله لذاته اجزاء
ألكل منهم نصيب من الملـ　　ـك فهلا تميز الانصباء
ام تراهم لحاجة واضطرار　　خلطوها وما بغى الخلطاء
أهو الراكب الحمار فيا عجـ　　ـز اله يمسه الاعياء
ام جميع على الحمار لقد جـ　　ـل حمار بجمعهم مشاء
ام سواهم هو الاله فما نسـ　　ـبة عيسى اليه والانتماء
ام اردتم بها الصفات فلم خصـ　　ـت ثلاث بوصفه وثناء
ام هو ابن لله ما شاركته　　في معاني النبوة الانبياء
قتلته اليهود فيما زعمتم　　ولامواتكم به احياء
ان قولا اطلقتموه على الـ　　ـله تعالى ذكرا لقول هراء
مثل ما قالت اليهود وكل　　لزمته مقالة شنعاء
اذ هم استقرؤا البداء وكم سا　　ق وبالا اليهم استقراء
واراهم لم يجعلوا الواحد القهـ　　ـار في الخلق فاعلا ما يشاء
جوزوا النسخ مثل ما جوزوا المسـ　　ـخ عليهم لو انهم فقهاء
هو الا ان يرفع الحكم بالحكـ　　ـم وخلق فيه وامر سواء
ولحكم من الزمان انتهاء　　ولحكم من الزمان ابتداء
فسلوهم اكان في مسخهم نسـ　　ـخ لآيات الله ام انشاء

وبداء

وبداء في قولهم ندم الـ　　ـله على خلق آدم ام خطاء
ام محا الله آية الليل ذكرا　　بعد سهو ليوجد الامساء
ام بدا للاله في ذبح اسحـ　　ـق وقد كان الامر فيه مضاء
او ما حرم الاله نكاح الا　　خت بعد التحليل فهو الزناء
لا تكذب ان اليهود وقد زا　　غوا عن الحق معشر لؤماء
جحدوا المصطفى وآمن بالطا　　غوت قوم هم عندهم شرفاء
قتلوا الانبياء واتخذوا العجـ　　ـل الا انهم هم السفهاء
وسفيه من ساءه المن والسلـ　　ـوى وارضاه الفوم والقثاء
ملئت بالخبيث منهم بطون　　فهي نار طباقها الامعاء
لو اريدوا في حال سبت بخير　　كان سبتا لديهم الاربعاء
هو يوم مبارك قيل للتصـ　　ـريف فيه من اليهود اعتداء
فبظلم منهم وكفر عدتهم　　طيبات في تركهن ابتلاء
خدعوا بالمنافقين وهل ينـ　　ـفق الا على السفيه الشقاء
واطمأنوا بقول الاحزاب اخوا　　نهم اننا لكم اولياء
حالفوهم وخالفوهم ولم اد　　ر لماذا تخالف الحلفاء
اسلموهم لاول الحشر لا ميـ　　ـعادهم صادق ولا الايلاء
سكن الرعب والخراب قلوبا　　وبيوتا منهم نعاها الجلاء
وبيوم الاحزاب اذ زاغت الابـ　　ـصار منهم وضلت الآراء
وتعدوا الى النبي حدودا　　كان فيها عليهم العدواء
ونهتهم وما انتهت عنه قوم　　فابيد الامار والنهاء
وتعاطوا في احمد منكر القو　　ل ونطق الاراذل العوراء
كل رجس يزيده الخلق السو　　ء سفاها والملة العوجاء
فانظروا كيف كان عاقبة القو　　م وما ساق للبذي البذاء
وجد السب فيه سما ولم يد　　ر اذا الميم في مواضع باء
كان من فيه قتله بيديه　　فهو في سوء فعله الزباء
او هو النحل قرصها يجلب الحتـ　　ـف اليها وما له انكاء
صرعت قومه حبائل بغي　　مدها المكر منهم والدهاء

فاتتهم خيل الى الحرب تختا … ل وللخيل في الوغى خيلاء
قصدت فيهم القنا فقوافي الـ … ـطعن منها ما شانها الايطاء
واثارت بارض مكة نقعا … ظن ان الغدو منها عشاء
احجمت عنده الحجون واكدى … عند اعطائه القليل كداء
ودهت وجها بها وبيوتا … مل منها الاكفاء والاقواء
فدعوا احلم البرية والعفـ … ـو جواب الحليم والاغضاء
ناشدوه القربى التي من قريش … قطعتها الترات والشحناء
فعفا عفو قادر لم ينغصـ … ـه عليهم بما مضى اغراء
واذا كان القطع والوصل للـ … ـه تساوى التقريب والاقصاء
وسواء عليه فيما اتاه … من سواه الملام والاطراء
ولو ان انتقامه لهوى النفـ … ـس لدامت قطيعة وجفاء
قام لله في الامور فارضى الـ … ـله منه تباين ووفاء
فعله كله جميل وهل ينـ … ـضح الا بما حواه الاناء
اطرب السامعين ذكر علاه … يا لراح مالت به الندماء
النبي الامي اعلم من اسـ … ـند عنه الرواة والحكماء
وعدتني ازدياره العام وجنا … ء ومنت بوعدها الوجناء
افلا انطوي لها في اقتضائيـ … ـه لتطوى ما بيننا الافلاء
بالوف البطحاء يجفلها النيـ … ـل وقد شف جوفها الاظماء
انكرت مصر فهي تنفر ما لا … ح بناء لعينها او خلاء
فاقضت على مباركها بر … كتها فالبويب فالخضراء
فالقباب التي تليها فبئر الـ … ـنخل والركب قائلون رواء
وغدت ايلة وحقل وقر … خلفها فالمغارة الفيحاء
فعيون الاقصاب يتبعها النبـ … ـك ويتلو كفافة العوجاء
حاورتها الحوراء شوقا فينبو … ع فرق الينبوع فالحوراء
لاح بالدهنوين بدر لها بعـ … ـد حنين وحنت الصفراء
ونضت بزوة فرابغ فالجحـ … ـفة عنها ما حاكه الانضاء
واراتها الخلاص بئر على … فعقاب السويق فالخلصاء

فهي من ماء بئر عسفان او من … بطن مر ظمآنة خمصاء
قرب الزاهر المساجد منها … بخطاها فالبطء منها وحاء
هذه عدة المنازل لا ما … عد فيه السماك والعواء
فكأني بها ارحل من مـ … ـكة شمسا سماؤها البيداء
موضع البيت مهبط الوحي مأوى الـ … ـرسل حيث الانوار حيث البهاء
حيث فرض الطواف والسعي والحلـ … ـق ورمي الجمار والاهداء
حبذا حبذا معاهد منها … لم يغير آياتهن البلاء
حرم آمن وبيت حرام … ومقام فيه المقام تلاء
فقضينا بها مناسك لا يحـ … ـمد الا في فعلهن القضاء
ورمينا بها الفجاج الى طيـ … ـبة والسير بالمطايا رماء
فاصبنا عن قوسها غرض القر … ب ونعم الخبيئة الكوماء
فرأينا ارض الحبيب يغض الـ … ـطرف منها الضياء واللألاء
فكأن البيداء من حيثما قا … بلت العين روضة غناء
وكأن البقاع زرت عليها … طرفيها ملاءة حمراء
وكأن الارجاء ينشر نشر الـ … ـمسك فيها الجنوب والجربياء
فاذا شمت او شممت رباها … لاح منها برق وفاح كباء
اي نور واي نور شهدنا … يوم ابدت لنا القباب قباء
قر منها دمعي وفر اصطباري … فدمعي سيل وصبري جفاء
فترى الركب طائرين من الشو … ق الى طيبة لهم ضوضاء
فكأن الزوار ما مست البأ … ساء منهم خلقا ولا الضراء
كل نفس منها ابتهال وسؤل … ودعاء ورغبة وابتغاء
وزفير تظن منه صدورا … صادحات يعتادهن زقاء
وبكاء يغريه بالعين مد … ونحيب يحثه استعلاء
وجسوم كأنما رحضتها … من عظيم المهابة الرحضاء
ووجوه كأنما البستها … من حياء الوانها الحرباء
ودموع كأنما ارسلتها … من جفون سحابة وطفاء
فحططنا الرحال حيث يحط الـ … ـوزر عنا وترفع الحوجاء

وقرأنا السلام اكرم خلق الـ   ـله من حيث يسمع الاقراء
وذهلنا عند اللقاء وكم اذ   هل صبًّا من الحبيب لقاء
ووجمنا من المهابة حتى   لا كلام منا ولا ايماء
ورجعنا وللقلوب التفاتا   ت اليه وللجسوم انثناء
وسمحنا بما نحب وقد يسـ   ـمح عند الضرورة البخلاء
يا ابا القاسم الذي ضمن اقسا   مي عليه مدح له وثناء
بالعلوم التي عليك من اللـ   ـه بلا كاتب لها املاء
ومسير الصبا بنصرك شهرا   فكان الصبا لديك رخاء
وعلي لما تفلت بعينيـ   ـه وكلتاهما معًا رمداء
فغدا ناظرا بعيني عقاب   في غزاة لها العقاب لواء
وبريحانتين طيبهما منك   الذي اودعتهما الزهراء
كنت تأويهما اليك كما آ   وت من الخط نقطتيها الياء
من شهيدين ليس ينسيني الطف   مصابيهما ولا كربلاء
ما رعى فيهما ذمامك مرؤو   س وقد خان عهدك الرؤساء
ابدلوا الود والحفيظة في القر   بى وابدت ضبابها النافقاء
وقست منهم قلوب على من   بكت الارض فقدهم والسماء
فابكهم ما استطعت ان قليلا   في عظيم من المصاب البكاء
كل يوم وكل ارض لكربي   منهم كربلا وعاشوراء
آل بيت النبي ان فؤادي   ليس يسليه عنكم التأساء
غير اني فوضت امري الى اللـ   ـه وتفويضي الامور براء
رب يوم بكربلاء مسيء   خففت بعض وزره الزوراء
والاعادي كان كل طريح   منهم الزق حل عنه الوكاء
آل بيت النبي طبتم فطاب الـ   ـمدح لي فيكم وطاب الرثاء
انا حسان مدحكم فاذا نحـ   ـت عليكم فانني الخنساء
سدتم الناس بالتقى وسواكم   سودته البيضاء والصفراء
وباصحابك الذين هم بعـ   ـدك فينا الهداة والاوصياء
احسنوا بعدك الخلافة في الدين   وكل لما تولى ازاء

اغنياء

اغنياء نزاهة فقراء   علماء ائمة امراء
زهدوا في الدنيا فما عرف الميـ   ـل اليها منهم ولا الرغباء
ارخصوا في الوغى نفوس ملوك   حاربوها اسلابها اغلاء
كلهم في احكامه ذو اجتهاد   وصواب وكلهم اكفاء
رضي الله عنهم ورضوا عنـ   ـه فانى يخطو اليهم خطاء
جاء قوم من بعد قوم بحق   وعلى المنهج الحنيفي جاؤوا
ما لموسى ولا لعيسى حوار   يون في فضلهم ولا نقباء
بابي بكر الذي صح للنا   س به في حياتك الاقتداء
والمهدي يوم السقيفة لما   ارجف الناس انه الداداء
انقذ الدين بعد ما كان للديـ   ـن على كل كربة اشفاء
انفق المال في رضاك ولا منـ   ـن واعطى جما ولا اكداء
وابي حفص الذي اظهر اللـ   ـه به الدين فارعوى الرقباء
والذي تقرب الاباعد في اللـ   ـه اليه وتبعد القرباء
عمر بن الخطاب من قوله الفصـ   ـل ومن قوله السوي السواء
فر منه الشيطان اذ كان فارو   قا فللنار من سناه انبراء
وابن عفان ذي الايادي التي طا   لا الى المصطفى بها الاسداء
حفر البير جهز الجيش اهدى الـ   ـهدي لما ان صده الاعداء
وابى اذ يطوف بالبيت اذ لم   يدن منه الى النبي فناء
فجزته عنها ببيعة رضوا   ن يد من نبيه بيضاء
ادب عنده تضاعفت الاعـ   ـمال بالترك حبذا الادباء
وعلي صنو النبي ومن ديـ   ـن فؤادي وداده والولاء
ووزير ابن عمه في المعالي   ومن الاهل تسعد الوزراء
لم يزده كشف الغطاء يقينا   بل هو الشمس ما عليه غطاء
وبباقي اصحابك المظهر التر   تيب فينا تفضيلهم والولاء
طلحة الخير المرتضيه رفيقا   واحدا يوم فرت الرفقاء
وحواريك الزبير ابي القر   م الذي انجبت به اسماء
والصفيين توأم الفضل سعد   وسعيد اذ عدت الاصفياء

وابن عوف من هونت نفسه الدنيـ ـا ببذل يمده اثراء
والمكنى ابا عبيدة اذ يعـ ـزى اليه الامانة الامناء
وبعميك نيرى فلك المجـ ـد وكل اتاه منك اتاء
وبام السبطين زوج علي وبنيها ومن حوته العباء
وبازواجك اللواتي تشرفن بان صانهن منك بناء
الامان الامان ان فؤادي من ذنوب اتيتهن هواء
قد تمسكت من ودادك بالحبـ ـل الذي استمسكت به الشفعاء
وابى الله ان يمسني السو ء بحال ولي اليك التجاء
قد رجوناك للامور التي ابـ ـردها في فؤاد نار رمضاء
واتينا اليك انضاء فقر حملتنا الى الغنى انضاء
وانطوت في الصدور حاجات نفس ما لها عن ندى يديك انطواء
فاغثنا يا من هو الغوث والغيـ ـث اذا اجهد الورى اللاواء
والجواد الذي به تفرج الغـ ـمة عنا وتكشف الحوباء
يا رحيما بالمؤمنين اذا ما ذهلت عن ابنائها الرحماء
يا شفيعا في المذنبين اذا اشـ ـفق من خوف ذنبه البرآء
جد لعاص وما سواي هو العا صي ولكن تنكيري استحياء
وتدارك بالعناية ما دا م له بالذمام منك ذماء
اخرته الاعمال والمال عما قدم الصالحون والاغنياء
كل يوم ذنوبه صاعدات وعليها انفاسه صعداء
الف البطنة المبطئة السيـ ـر بدار بها البطان بطاء
فبكى ذنبه بقسوة قلب نهت الدمع فالبكاء مكاء
وغدا يعتب القضاء ولا عذ ر لعاص فيما يسوق القضاء
او ثقته من الذنوب ديون شددت في اقتضائها الغرماء
ما له حيلة سوى حيلة المو ثق اما توسل او دعاء
راجيا ان تعود اعماله السو ء بغفران الله وهي هباء
او ترى سيئاته حسنات فيقال استحالت الصهباء
كل امر تعنى به تقلب الاعـ ـيان فيه وتعجب البصراء

رب

رب عين تفلت في مائها الملـ ـح فاضحى وهو الفرات الرواء
آه مما جنيت ان كان يغني الف من عظيم ذنب وهاء
ارتجي التوبة النصوح وفي القلـ ـب نفاق وفي اللسان رياء
ومتى يستقيم قلبي وللجسـ ـم اعوجاج من كبرتي وانحناء
كنت في نومة الشباب فما استيـ ـقظت الا ولمتي شمطاء
وتماديت اقتفي اثر القو م فطالت مسافة واقتفاء
فوراء الساري وهو امامي سبل وعرة وارض عراء
حمد المدلجون غب سراهم وكفى من تخلف الابطاء
رحلة لم تزل يفند في الصيـ ـف اذا ما نويتها والشتاء
يتقي حر وجهي الحر والبر د وقد عز من لظى الاتقاء
ضقت ذرعا مما جنيت فيومي قمطرير وليلتي درعاء
وتذكرت رحمة الله فالبشـ ـر لوجهي اني انتحى تلقاء
فالح الرجاء والخوف بالقلـ ـب وللخوف والرجا الخفاء
صاح لا تياس ان ضعفت عن الطا عة واستاثرت بها الاقوياء
ان لله رحمة واحق الـ ـناس منه بالرحمة الضعفاء
فابق في العرج عند منقلب الذو د ففي العود تسبق العرجاء
لا تقل حاسدا لغيرك هذا اثمرت نخله ونخلي عفاء
وأت بالمستطاع من عمل البـ ـر فقد يسقط الثمار الاتاء
ونحب النبي فابغ رضا اللـ ـه ففي حبه الرضا والحباء
يا نبي الهدى استغاثة ملهو ف اضرت بحاله الحوباء
يدعي الحب وهو يامر بالسو ء ومن لي ان تصدق الرغباء
اي حب يصح منه وطرفي بالكرى واصل وطيفك راء
ليت شعري اذاكر من عظم ذنب ام حظوظ المتيمين حظاء
ان يكن عظم زلتي حجب رؤيا ك فقد عز داء قلبي الدواء
كيف يصدى بالذنب قلب محب وله ذكرك الجميل جلاء
هذه علتي وانت طبيبي ليس يخفى عليك في القلب داء
ومن الفوز ان ابثك شكوى هي شكوى اليك وهي اقتضاء

ضمنتها مدايح مستطاب   فيك منها المديح والاصغاء
قل ما حاولت مديحك الا   ساعدتها ميم ودال وحاء
حق لي فيك ان اساجل قوما   سلمت منهم لدلوي الدلاء
ان لي غيرة وقد زحمتني   في معاني مديحك الشعراء
ولقلبي فيك الغلو وانى   للساني في مدحك الغلواء
فاثب خاطرا يلذ له مد   حك علما بانه اللالاء
حاك من صنعة القريض برودا   لك لم تحك وشيها صنعاء
اعجز الدر نظمه فاستوت فيـ   ـه اليدان الصناع والخرقاء
فارضه افصح امرئ نطق الضا   د فقامت تغار منها الظاء
ابذكر الآيات اوفيك مدحا   اين مني واين منها الوفاء
ام اماري بهن قوم نبي   ساء ما ظنه بي الاغبياء
ولك الامة التي غبطتها   بك لما اتيتها الانبياء
لم نخف بعدك الضلال وفينا   وارثوا نور هديك العلماء
فانقضت آي الانبياء وآيا   تك في الناس ما لهن انقضاء
والكرامات منهم معجزات   حازها من نوالك الاولياء
ان من معجزاتك العجز عن وصـ   ـفك اذ لا يحده الاحصاء
كيف يستوعب الكلام سجايا   ك وهل تنزح البحار الركاء
ليس من غاية لوصفك ابغيـ   ـها وللقول غاية وانتهاء
انما فضلك الزمان وآيا   تك فيما نعده الآناء
لم اطل في تعداد مدحك نطقي   ومرادي بذلك استقصاء
غير اني ظمآن وجد ومالي   بقليل من الورود ارتواء
فسلام عليك تترى من الـلـ   ـه ويبقى به لك البا واء
وسلام عليك منك فما غيـ   ـرك منه لك السلام كفاء
وسلام من كل ما خلق الـلـ   ـه لتحيى بذكرك الاملاء
وصلاة كالمسك تحمله مـ   ـني شمال اليك او نكباء
وسلام على ضريحك تخضـ   ـل به منه تربة وعفاء
وثناء قدمت بين يدي نجـ   ـواي اذ لم يكن لدي ثراء

ما اقام الصلوة من عبد الله
وقامت بربها الاشياء

هذا شرح مقبول يسمى بخير القرى للقصيدة الهمزية
الموسومة بام القرى الذي صنفه الشيخ
الامام الهمام مرتضى العلماء الكرام
محمد الجوجري الشافعي اسكنه
الله في جنة مفتحة الازهار
واركنه على ارائك
تجري من تحتها
الانهار

الحمد لله الذي خص نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم بعموم الارسال • وميزه على غيره من المخلوقات بكمال الشرف وشرف الكمال • ومدحه بنفسه في كتابه العزيز حيث قال • وانك لعلى خلق عظيم واعظم بذلك من مقال • وقال تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين وناهيك بهذا الجلال • وقال تعالى انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا وما اعظم هذه الخلال • وقال تعالى الذين يتبعون الرسول النبي الامي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التورية والانجيل يامرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم اصرهم والاغلال • وقال تعالى والذين امنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي انزل معه اولئك هم المفلحون وفي ذلك غاية الاجلال • حيث خصهم بالفلاح وهو الفوز بالسعادة الابدية متبعيه ومعظميه من النساء والرجال • ولا شك ان من تعظيمه ذكر مناقبه وماثره ومعجزاته وبيان احواله السنية واوصافه العلية في الماضي والحال والمال • فلذلك ذهب الناس في ذلك كل مذهب واظهروا تعظيمه بالاقوال والافعال نظما ونثرا وبحرا سرا وجهرا وفي ساير الاحوال • صلى الله عليه وعلى آله واصحابه الذين نالوا بتعظيمه الدرجات العوال • على ان المادحين والواصفين وان اطالوا في ذلك • فهم مقصرون عن ادراك ما هنالك وغير موفين بما يجب في ذلك في ساير المجال • ولله در القايل

ماذا عسى الشعراء اليوم مادحه   من بعد ما مدحته محكم التنزيل

ولكن من احسن ما مدح به من المنظوم • واجل ما اتى به لتعظيمه بالمنطوق والمفهوم • ما نظمه الشيخ الامام العلامة الفقيه الفقير العارف المتفنن الاديب الناظم شرف الدين ابو عبد الله محمد بن سعيد

ابن

ابن حماد بن محسن بن عبد الله بن صنهاج بن هلال الصنهاجي ناظم البردة وكان احد ابويه من ابوصير والاخر من دلاص فركبت النسبة منهما وقيل الدلاصيري لكنه اشتهر بالبوصيري وكان يعاني صناعة الكتا بة والتصرف وباشر الشرقية ببلبيس وله النظم الحسن الكثير الذي من جملته البردة ومن جملته قصيدة على وزن بانت سعاد اولها •

الى متى انت باللذات مشغول   وانت عن كل ما قدمت مسؤول

ومن جملة نظمه في المديح الشريف قصيدته الهمزية المشهورة الجامعة المانعة • التي صارت ببركة مدحه اضواؤها ساطعة وانوارها لامعة • ولم ينسج لها على منوال • ولم تزل الحلاوة نظمها وسلاسة لفظها وبلاغة معانيها اخذة بزمام العقول • وهي كثيرة الفوايد جامعة بين المنقول والمعقول • على اسلوب لم يسمح له بمثال • لكنها محتاجة الى شرح يجلو نفايس ابكارها • ويكشف عن مخبات اسرارها • ولم اجد من تعرض لذلك في الايام الخوال • فاستخرت الله تعالى ووضعت عليها شرحا كافيا في الامرين • وافيا بما يشرح الخاطر ويقر العين • مقتصدا لا طويلا يحصل به الاملال ولا قصيرا فيقع فيه الاخلال • منبها على ما في هذا النظم من الفوايد • مشتملا على نفايس فرايد • لا توجد في كثير من الكتب الطوال • على اني لم اظفر له بشرح ارجع في المهمات اليه • ولا بكلام من احد ولو في حاشية اعتمد عليه • فيزيل ما يعرض من الاشكال • بل انا ابو عذرته • مقتضب حلوه ومره • والكاشف عن حقيقة امره • والمستغني عن خبره بخبره من غير ما اهمال • وقد رجوت ان اندرج في جملة المادحين له صلى الله عليه وسلم • واكون بسبب هذا الشرح داخلا تحت جاهه الاعظم • معدودا من حزبه المكرم • فايزا بالقبول منه والاقبال • فهو الجواد الذي لا يخيب قاصده • والبحر الذي لا يظمأ وارده • والبر الرحيم الذي عمت فوايده • وجادت بكثرة الافضال • صلى الله وسلم عليه وعلى آله واصحابه • واحزابه واحبابه • صلاة وسلاما دايمين بالغدو والاصال • ثم اعلم انه لا بد من بيان بحر هذه

وبيان عروضها وضربها وبيان قافيتها وما تشتمل عليه وذلك يحتاج
الى كلامين الكلام الاول في بحرها هي من بحر الخفيف وهو مركب من ستة اجزاء
سباعية الحروف وهي فاعلاتن مستفعلن فاعلاتن • فاعلاتن مستفعلن
فاعلاتن • وتقطيع مطلع القصيدة على هذه الاجزاء هكذا •

كيف ترقى رقيك الانبيا أو   ياسماء ما طاولت ها سما أو
فاعلاتن مفاعلن فاعلاتن   فاعلاتن مستفعلن فاعلاتن

غير انه دخل الخبن في مستفعلن وهو حذف ساكن سببه الاول
فصار متفعلن فنقل الى مفاعلن لانه احسن منه لفظا وهي من
عروضه الاولى وهي صحيحة ووزنها فاعلاتن وضربها الاول وهو
صحيح مثل العروض كما افاده التقطيع السابق ثم انه قد يدخل فيه
الخبن في جميع اجزائه او بعضها وهو حسن بقسميه فتصير الستة
محذوفا من كل منها ثانيه فيصير على هذه الزنة فعلاتن مفاعلن
فعلاتن • فعلاتن مفاعلن فعلاتن • وشاهده قول الشاعر

وفؤادي كعهده لسليمى   بهوى لم يحل ولم يتغير •
تقطيعه • وفؤادي كعهدهي لسليما •   بهوى لم يحل ولم يتغير •
فعلاتن مفاعلن فعلاتن .   فعلاتن مفاعلن فعلاتن

ويدخله الكف وهو صالح وهو حذف سابعه وذلك اما في جميع الاجزاء
سوى الاخير لامتناع الوقوف على متحرك او في بعضها فيصير فاعلاتن
الى فاعلات ومستفعلن الى مستفعل وبيته •

يا عمير ما تظهر من هواك   او تكن يستكثر حين يبدو •
تقطيعه • يا عمير ما تظهر من هواك   او تكنن يستكثر حين يبدو •
فاعلات مستفعل فاعلات •   فاعلات مستفعل فاعلاتن

فقد وقع الكف كما ترى في الخمسة الاجزاء الاول وقد يجتمع الخبن والكف وهو
قبيح ويكون ذلك في الاجزاء كلها او بعضها ويسمى شكلا فيصير حينئذ
فاعلات الى فعلات ومستفعل على متفعل فينقل الى مفاعل وشاهده قوله

صرمتك اسماء بعد وصالها   فاصبحت مكتئبا حزينا
تقطيعه • صرمتك اسماء بعد وصالهـ   ـا فاصبح ت مكتئبن بحزينا •

فعلات

فعلات مستفعلن فعلات   فاعلاتن مفاعل فاعلاتن
فيدخل في الخفيف التشعيث وهو ان يصير فاعلاتن الى مفعولن وذلك
بان تفقد صورة الوتد منها وتصير على هيئة ثلاثة اسباب خفيفة
متوالية واختلف في طريق ذلك على اربعة اقوال ليس هذا موضع بيانها
ويختص ذلك بالضرب الاول من العروض الاولى التي نظم المصنف
قصيدته عليها كما تقدم وبيته •

ان قومي جحاجحة كرام   متقادم عهدهم اخيار
تقطيعه • ان نقومي جحاجح تن كرامن   متقاد من عهدهم اخيارو
فاعلاتن مفاعل فاعلاتن •   فعلات مستفعلن مفعولن

وقد وقع التشعيث في بعض ابيات هذه القصيدة لانه من جملة
الزحاف ولم يمنع من ذلك جريانه مجرى العلل • الكلام الثاني في
بيان قافية هذه القصيدة والقافية في البيت قيل هي الكلمة الاخيرة
منه والاصح عندهم انها من الحرف المتحرك قبل الساكنين الواقعين
في آخر البيت الى انتهائه فقول الناظم •

كيف ترقى رقيك الانبياء   يا سماء ما طاولتها سماء

القافية فيه على القول الاول لفظة سماء لانها الكلمة الاخيرة من
البيت وعلى القول الاصح هي من اول الميم من سماء لانه اول متحرك
قبل الساكنين لان الساكن الاول هو الالف الساكنة المتولدة عن
حركة الميم المذكورة والساكن الثاني هو الواو الساكنة المتولدة
عن حركة الهمزة الواقعة آخر لفظة سماء وهذه صورتها ما أو
فالهمزة هي حرف الروي الذي انبنت القصيدة عليه ونسبت اليه
ولزم من اولها الى آخرها وحركته تسمى المجرى والواو بعد الهمزة تسمى
وصلا والالف قبلها تسمى ردفا وحركة ما قبل الردف فيه وهو هنا
الميم تسمى حذوا وهي فتحة الميم هنا وهذه القافية من المتواتر وهو
ما فصل بين ساكنيها حرف واحد متحرك اذ ليس بين الالف وهي
الساكن الاول والواو وهي الساكن الثاني سوى الهمزة التي هي الروي
وهذه القصيدة سالمة من عيوب الشعر الحاصلة باعتبار فن العروض

كادخال عروض على اخرى او ضرب على آخر و باعتبار فنه القوافي
كالايطاء وهو تكرار لفظ القافية قبل سبعة ابيات او عشرة ابيات وكالا كفاء
وهو اختلاف حرف الروي والاقواء وهو اختلاف حركته وكيف لا تكون
كذلك وناظمها من فحول الشعراء وفي هذا القدر كفاية والله اعلم ونشرع
الآن فيما نحن بصدده من الشرح فنقول قال رحمه الله بسم الله الرحمن الرحيم

كيف ترقى رقيك الانبياء ... يا سماء ما طاولتها سماء

اللغة كيف اسم مبني على الفتح فرارا من التقاء الساكنين باخف
الحركات وهو للاستفهام عن الاحوال وقد يقع للتعجب كما هنا وكقوله
تعالى كيف تكفرون بالله ويأتي مع ما للشرط نحو كيف ما تفعل افعل
ويقال رقي بالكسر في السلم ورقى بالفتح في العلم وترقى مضارعه
والرقي مصدر والانبياء جمع نبي وهو اما من النبوة وهو الارتفاع
او من النبأ وهو الخبر وفي الاصطلاح انسان اوحي اليه بشرع سواء
أمر بتبليغه ام لم يؤمر والمأمور بتبليغه رسول ايضا فكل رسول
نبي ولا عكس ويا حرف وضع ابتداء لنداء البعيد وينادى به
القريب لتنزله منزلة البعيد والسما اسم جنس يقع على الواحد
والمتعدد والمراد به هذه الاجرام العلوية والمطاولة المغالبة
في الطول او في الطول والمراد به هنا المغالبة في الارتفاع
الاعراب الانبياء فاعل ترقى وكيف حال ورقيك مفعول مطلق
ويا مع المنادى جملة مفيدة لانه نايب مناب فعل وسماء يجوز
فيه مع التنوين الفتح والضم نحو أعبدا حل في شعبى غريبا
ونحو سلام الله يا مطر عليها وهكذا كل منادى اضطر الشاعر الى
تنوينه وما نافية وسماء فاعل طاولتها المعنى انه صلى الله عليه وسلم
اعلى الانبياء قدرا واعظمهم محلا واكملهم فضلا ففي الصحيح من
حديث انس انا اكرم ولد آدم على ربي ولا فخر وفي الحديث ايضا
انا اكرم الاولين والآخرين ولا فخر فالحديث الاول ناطق بتفضيله
على غير آدم من الانبياء وغيرهم والحديث الثاني ناطق بتفضيله
على آدم وغيره من الانبياء صلوات الله وسلامه عليه وعليهم اجمعين

والادلة

والادلة على ذلك تفوت الحصر والرقي في كلام المصنف يشمل
الحسي كالعروج فانه صلى الله عليه وسلم ارتقى فيه الى غاية لم يرتق
اليها غيره من الانبياء فكان قاب قوسين او ادنى والمعنوي وهو الا رتقاء
في مدارج الكمال من العلم والفضايل والنبوة والرسالة التي وصل
فيها الى غايات لم يصل اليها غيره من الانبياء والكلام استخبار يتضمن
لنفي رقيهم كرقيه والتعجب من وقوعه لو وقع وان كان لم يقع
والشطر الثاني كالدليل للشطر الاول وكانه يقول لم يرتق احد
منهم ارتقاءك لانه لم يستطع مطاولتك في كل من الارتقائين الحسي
والمعنوي فانت المنفرد بغاية الكمال في الشرف والرفعة وان
كانت صفات الانبياء كلهم صلى الله عليهم وسلم من كمال الخلق وحسن
الصورة وشرف النسب وحسن الخلق وجميع المحاسن في درجة
الكمال لان رتبتهم اشرف الرتب ودرجاتهم ارفع الدرجات
لقوله تعالى ولقد اخترناهم على علم على العالمين ولكن الله فضل
بعضهم على بعض قال تعالى تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض
وقد استعار المصنف لفظ السماء للانبياء لانها اعلى ما يرى من
الاجرام حسا كما انهم اعلى من يرى من البشر في درجات الكمال ورشح
ذلك بذكر الارتقاء الملايم للمستعار منه وفي هذا البيت المام
بقوله في البردة • وبت ترقى الى ان نلت منزلة • من قاب
قوسين لم تدرك ولم ترم • ولما كان نفي المطاولة لا يلزم منه
نفي المساواة وكان المعنى لا يتم الا بنفيها صرح بذلك فقال

لم يساووك في علاك وقد حا ... ل سنا منك دونهم وسناء لونك

اللغة لم حرف نفي وجزم تقلب المضارع للمضي يساووك يعادلوك
يقال علا في المكان يعلو علوا وعلي في الشرف بالكسر يعلى علاء
ويقال في هذا ايضا على بالفتح يعلى والعلى جمع علياء تأنيث
الاعلى وقد حرف تستعمل للتحقيق كقد قام وللتوقع كقد يقوم و
السنا مقصورا الضوء وممدودا الرفعة ودون ظرف معناه
ادنى مكان من الشيء ومنه تدوين الكتب لانه ادناء البعض من

البعض ودونك هذا اى خذه من ادنى مكان منك ثم استعير
للرتب فقيل زيد دون عمرو اى فى الشرف وحال الشئ بينى وبينك
اى حجز ومنه سمى الحجاز لانه حجز بين نجد وتهامة **الاعراب**
يساووك مجزوم بلم والجملة تحتمل الحالية من فاعل ترقى وهو الانبياء
وتحتمل الاستيناف لتكون تعليلا للحكم السابق وهو اقرب وفى
علاك متعلق بيساووك وجملة وقد حال سنا حالية وسنا فاعل
حال ومنك صفة له ودونهم متعلق بحال وسناء بالمد عطف
على سنا المقصور **المعنى** ان الانبياء لم يساووك ولم يدانوك
فيما اوتيته من الصفات العلية والحال انه قد حجز بينهم وبين
مساواتك فى ذلك تلبسك من جميل الظاهر ورفعة القدر جعل
ما اختصصت به من الامرين المذكورين دونهم حاجزا لهم عن مساواتك
لفقده فيهم كما ان ما اختصوا به منهما وان كان دون ما اختصصت
به حاجزا لغيرهم من خواص المومنين عن مساواتهم لفقده فى خواص
المومنين الذين ليسوا بانبياء وجعله ذلك حاجزا استعارة مجردة
وبين المقصور والممدود جناس المذيل وقد تضمن هذا البيتان
ما ذكره فى البردة بقوله — فاق النبيين فى خلق وفى خلق
ولم يدانوه فى علم ولا كرم

انما مثلوا صفاتك للنا — س كما مثل النجوم الماء

اللغة انما حرف يفيد الحصر على الاصح نحو انما قام زيد وانما زيد
قائم ففى الاول يفيد اثبات الحكم للمذكور ونفيه عن غيره وفى الثانى
اثباته له ونفى غيره عنه والتمثيل التصوير يقال مثلت له كذا تمثيلا
اذا صورت له مثاله بالكتابة وغيرها والتمثال الصورة والصفات
جمع صفة والمراد بها مقابل الاسم وهى ما يدل على معنى فى الذات
كالسواد فى المحسوسات والعلم فى المعقولات والناس اصله اناس
خففوه بحذف الهمزة وليست الالف واللام عوضا منها لانهم جمعوا
بينهما فى قوله يطلعن على الاناس الآمنينا قال فى الصحاح وقد
يكون من الانس ومن الجن والكاف فى كما للتشبيه وما مصدرية والنجوم

جمع

جمع نجم وهو الكوكب والماء اصله موه بالتحريك وهمزته بدل عن الهاء
لانه يجمع على امواه ومياه وتصغيره مويه وتانيثه ماءة مثل ماعة و
النبة اليمانى وان شئت ماوى فى لغة من يقول فى النبة الى عطا
عطاوى **الاعراب** صفاتك مفعول مثلوا وفاعله الضمير البارز عايد
على الانبياء المذكورين فى البيت السابق او على الواصفين وان لم يتقدم
ذكرهم للعلم بهم وللناس متعلق بمثلوا والكاف اسم واقع موقع المصدر
فى الانتصاب مفعولا مطلقا اى تمثيلا كتمثيل الماء للنجوم والنجوم مفعول
مثل والماء فاعله **المعنى** على جعل الضمير للانبياء ان الصفات التى
اشتركت فيها جميع الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم ووجدت فيهم
وجدت فيك على صفة الكمال التى ليس بعدها كمال بشرى ووجدت فيهم
كاملة ايضا الا انها فيك اكمل حتى انه لما بينهما من التفاوت فى رتبة
الكمال اذا انسبت ما فيهم منها الى ما فيك كان ما فيك كالنجوم التى ترى
من غير حايل ويطلع على كنه حقيقتها من يراها وكان ما فيهم كالنجوم
المرئية فى الماء فرائيها لا يرى حقيقتها لما بينه وبينها من الحايل فما فيك هو
الحقيقة وما فيهم شبيهه ومثاله واما على جعله للواصفين فكانه
يقول الواصفون وان اكثروا الاوصاف واطالوا فى العبارات الدالة
عليها فغاية ما يصلون اليه قاصرة عن حقيقة ما اوتيته حتى ان ما تصل
اليه عباراتهم الصادرة عن غايات قواهم فى الفصاحة والبلاغة
لا يحيط بحقيقة ما اوتيته ويكون كشف عباراتهم عن معنى ما اوتيته
للسامع مثل كشف الماء المرئى فيه النجوم عن حقيقتها كما قال البرهان القيراطى
بى قصور وان بنيت قصورا — عن مبانى صفاتك العلياء
وكما قال فى البردة — اعيى الورى فهم معناه فليس يرى
فى القرب والبعد منه غير منفحم — كالشمس تظهر للعينين من بعد
صغيرة وتكل الطرف من امم — وكيف يدرك فى الدنيا حقيقته
قوم نيام تسلوا عنه بالحلم — ولما قرر ان ما فيه من الصفات العلية
غاية فى الكمال حتى انها اكمل منها فى غيره من الانبياء زاد ذلك تقريرا وتاكيدا بقوله

انت مصباح كل فضل فما تصدر الا عن ضوئك الاضواء

اللغة المصباح السراج والفضل ضد النقص والفضيلة ضد النقيصة
والافضال الاحسان وصدر عن الشي برز عنه وانفصل منه والضوء هو
الضيا والاضوا جمعه الاعراب انت مصباح جملة اسمية استينافية
تفيد تاكيد ما قبلها وتقريره وكل فضل تركيب اضافي ومصباح مضاف
الى كل والفاء للسببية وما نافية والا لايجاب النفي والاستثناء مفرغ
والاضواء فاعل تصدر وعن ضوئك متعلق بتصدر المعنى كل فضل
ثبت لغيرك من الانبيا فمن دونهم فهو لا ينشا الا عن فضلك لانك منشا
كل فضل ومنبع كل خير وهذا فيه الالمام بقوله في البردة •

وكل آي اتى الرسل الكرام بها • فانما اتصلت من نوره بهم •
فانه شمس فضل هم كواكبها • يظهرن انوارها للناس في الظلم •
وقوله • وكلهم من رسول الله ملتمس • غرفا من البحر او رشفا من الديم •

واستعار الضوء لكل صفة فاضلة قايمة بالانسان وكمال يتلبس به لان تلك
الفضايل الدينية تنور الظاهر والباطن ولما كان المصباح تستمد منه الاضواء كما
له صلى الله عليه وسلم لكون كمالات الكاملين مستمدة من كماله لما انه فضايلهم صادرة عن فضايله • له

لك ذات العلوم من عالم الغيب ومنها لآدم الاسماء

اللغة اصل ذات انها مونث ذو والذي يقتضي موصوفا نحو رجل ذو مال
وامراة ذات مال ثم قطعوا عنها مقتضاها واجروها مجرى الاسماء المستعملة
فقالوا ذات قديمة وذات محدثة ونسبوا اليها على لفظها من غير تغيير علامة
التانيث واستعملوها بمعنى النفس والشي والعلم المعرفة والغيب كل ما
غاب عن الانسان وآدم اسم اعجمي كآزر واشتقاقه من الادمة او الادمة
بالتكون او الفتح او من اديم الارض لانه خلق منها وهو ابو البشر صلى الله
عليه وسلم واصله بهمزتين لانه افعل الا انهم لينوا الثانية فاذا احتجت الى
تحريكها جعلتها واوا كاويدم واوادم تصغيرا وجمعا والاسما جمع اسم
وهو ما وضع لمعنى كيفما كان او مفرد امخبرا عنه او خبرا او رابطة بينهما
وفي الاصطلاح النحوي المفرد الدال على معنى في نفسه غير مقترن بزمان الاعراب
لك ذات العلوم جملة اسمية مستانفة خبرها مقدم ومن عالم الغيب حال
من ضمير متعلق الخبر او الضمير في منها للعلوم ولآدم الاسماء جملة معطوفة

على

على الاولى ومنها متعلق بالاسماء المعنى اشار الى تفضيله صلى الله عليه وسلم
على السيد آدم صلى الله عليه وسلم بان الله تعالى علمه العلوم وعلم آدم اسماها ولا
شك ان المسميات اعلى رتبة من الاسماء لان الاسماء يؤتى بها لبيان المسميات
فهي المقصودة بالذات والى هذا الايماء بقوله ذات العلوم والاسماء المقصودة
لغيرها فهي وسيلة فافضل العالم بحسب فضل معلومه وهذا من ذكر الخاص
بعد العام لانه ذكر فضله اولا على الانبيا كلهم وذكر ما فضل به عليهم ثم
ذكر ما فضل به على السيد آدم صلوات الله عليهما وعلى ساير الانبياء والمرسلين
وعلمه صلى الله عليه وسلم للعلوم كان بالوحي من الله تعالى وما ينطق
عن الهوى ان هو الا وحي يوحى وعلم السيد آدم بالاسماء بخلق علم
ضروري بها فيه او القايها في روعه ولا يفتقر الى سابقة اصطلاح
لئلا يتسلسل وقد قابل الناظم بين الذات والاسماء ولما ذكر شرف
ذاته صلى الله عليه وسلم ذكر شرف نسبه بقوله •

لم تزل في ضماير الكون تختا   ر لك الامهات والآباء

اللغة تزل اصله تزال مضارع زال حذفت الفها لما دخل الجازم
لالتقاء الساكنين وضماير الكون مستوراته الخفية كالاصلاب والارحام
والكون الوجود والاختيار الاصطفا والامهات جمع ام وهي الوالدة
واصلها امهة بدليل قوله امهتي خندف والياس ابي ولذلك يجمع
على امهات وبعضهم يخص الامهات بالناس والامات بالبهايم والآباء
جمع اب والاب اصله ابو بالتحريك فالذاهب منه واو لانك تقول في
تثنيته ابوان وبعض العرب يقول ابان على النقص وتقول في جمعه
بالواو والنون ابون وتقول اذا انتسبت اليه ابوي الاعراب اسم تزل
ضمير المخاطب وهو النبي صلى الله عليه وسلم وجملة تختار لك الامهات في محل
نصب على انها خبر زال وفي ضماير الكون حال من اسم تزل وتختار مبني
للمفعول والنايب الامهات ولك متعلق بتختار والآباء عطف على الامهات ت
وجملة لم تزل استينافية المعنى انه كما طابت ذاتك الشريفة باجتماع
اوصاف الكمال لها على اكمل الاحوال طاب نسبك في طرفي الآباء والامهات
فلم يكن في آبايك من لدن السيد آدم صلوات الله وسلامه عليه الى والدك

عبد الله بن عبد المطلب لا من هو مصطفى مختار ولا في امهاتك
من لدن حواء الى امك آمنة بنت وهب الا من وقع عليها الاصطفاء
والاختيار فقد حزت السيادتين وجمعت بين الشرفين وفي الحديث ان الله
اختار العرب على الناس واختارني على من انا منه ثم انا محمد بن عبد الله
حتى بلغ النضر بن كنانة وفي الحديث عن واثلة بن الاسقع سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله اصطفى كنانة من
ولد اسمعيل واصطفى قريشا من كنانة واصطفى من قريش بني هاشم
واصطفاني من بني هاشم وفي الحديث عن ابن عباس انه صلى الله عليه وسلم
قال لما خلق الله آدم اهبطني في صلبه الى الارض وجعلني في صلب
نوح في السفينة وقذفني في النار في صلب ابرهيم ثم لم يزل ينقلني من
الاصلاب الكريمة الى الارحام الطاهرة الى ان اخرجني من بين ابوي
لم يلتقيا على قط سفاح ولله در العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه حيث يقول

من قبلها طبت في الظلال وفي … مستودع حيث يخصف الورق
ثم هبطت البلاد لا بشر … انت ولا مضغة ولا علق
بل نطفة تركب السفين وقد … الجم نسرا واهله الغرق
تنقل من صالب الى رحم … اذا مضى عالم بدا طبق
حتى احتوى بيتك المهيمن … من خندف عليا دونها النطق
وانت لما ولدت اشرقت الا … رض وضاءت من نورك الافق
فنحن في ذلك الضياء وفي … نور الهدى والرشاد نخترق

ما مضت فترة من الرسل الا … بشرت قومها بك الانبياء

اللغة الفترة ما بين الرسولين من رسل الله تعالى والرسل جمع
رسول ويقال ارسلت فلانا في رسالة فهو مرسل ورسول والرسول
ايضا الرسالة وهو في الاصطلاح انسان اوحي اليه للعمل والتبليغ
كما تقدم والبشارة الخبر السار ويقال بشرت الرجل ابشره بالضم
بشرا وبشورا وابشارا وتبشيرا والاسم البشارة والبشارة بالكسر
والضم والقوم لا واحد له من لفظه وهو للرجال دون النساء قال
الله تعالى لا يسخر قوم من قوم ولا نساء من نساء وقال زهير

فما

فما ادري واقول ادري اقوم آل حصن ام نساء قال الجوهري وربما دخل النساء فيه
على سبيل التبع لان قوم كل نبي رجال ونساء والانبياء جمع نبي وقد تقدم
الاعراب ما نافية وفترة فاعل مضت ومن الرسل صفة فترة والا
ايجاب للنفي المتقدم وقومها مفعول لبشرت والانبياء فاعله والهاء
في المفعول راجعة الى الفاعل وهو متقدم رتبة متاخر لفظا
ويجوز ان يكون الضمير في قومها للفترة اي ما مضت فترة الا والانبياء
تبشر قوم تلك الفترة الكائنين فيها به صلى الله عليه وسلم المعنى
ساق هذا البيت للاستدلال على كمال شرفه بان الانبياء بشرت به
قومها في كل ملة وفي كل فترة يعقبها رسول وتعقب رسولا ولم يوجد
ذلك لغيره قال الله تعالى واذ قال عيسى بن مريم يا بني اسرائيل
اني رسول الله اليكم مصدقا لما بين يدي من التورية ومبشرا
برسول ياتي من بعدي اسمه احمد وقال تعالى واذ اخذ الله ميثاق
النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما
معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال أأقررتم واخذتم على ذلكم اصري
قالوا اقررنا قال فاشهدوا وانا معكم من الشاهدين اي اخذ الله
الميثاق على النبيين ومن باب اولى من سواهم او اخذه عليهم وعلى
اتباعهم واستغنى عن ذكر الاتباع بذكر المتبوعين ولام لما مفتوحة
في قراءة ابي عمرو فتكون موطئة للقسم الذي آذن به اخذ الميثاق
وما شرطية ولتؤمنن به سد مسد جواب القسم والشرط ومكسورة
في قراءة حمزة لام العلة اي اخذ الله عليهم لاجل ما آتاهم من كتاب
وحكمة ثم مجيء رسول لتؤمنن به ولتنصرنه واصري معناه عهدي
وقال القابسي اختص الله نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم بفضل لم يؤته
غيره وهو ما ذكره في هذه الآية وقال المفسرون اخذ الله الميثاق
بالوحي فلم يبعث نبيا الا ذكر له محمدا صلى الله عليه وسلم ونعته
واخذ عليه ميثاقه ان ادركه ليؤمنن به وقيل ان يبينه لقومه
وياخذ عليهم الميثاق ان يبينوه لمن بعدهم وقال علي بن ابي طالب
لم يبعث الله نبيا من آدم فمن بعده الا اخذ عليه العهد في محمد صلى الله عليه وسلم

لان بعث وهو حي ليؤمنن به ولينصرنه ويأخذ العهد بذلك على قومه

تتباهى بك العصور وتسمو … بك علياء بعدها علياء

اللغة تتباهى اى تتفاخر لان المباهاة هى المفاخرة والعصر الدهر
والعصور جمعه ويجمع ايضا على اعصار وعُصُر والسمو العلو والار تفاع
تقول سموت وسميت كعلوت وعليت وسلوت وسليت والعلياء
صفة تانيث الاعلى وبعد ظرف نقيض قبل **الاعراب** العصور
فاعل تتباهى والجملة مستانفة وتسمو فاعله علياء والجملة معطوفة
على الجملة السابقة وبك الاولى متعلقة بتتباهى وبك الثانية متعلقة
بتسمو وبعدها علياء جملة ثالثة **المعنى** ان هذا الممدوح الكريم
صلى الله عليه وسلم لكل عصر من العصور به افتخار لوجوده فيه
ولو كان فى عالم الاصلاب والارحام واعظمها افتخارا عصر
وجوده وميلاده وعصر رضاعه وعصر شق صدره وعصر
تكليفه وتحنثه بغار حراء وغيره وعصر بلوغ اشده وعصر
نبوته وعصر بعثه وعصر دعائه الى الله تعالى وعصر الدخول
فى دين الله بدعوته وعصر هجرته واعصر سراياه وغزواته وبعوثه
واعصر حجه وعمره ومزاياه وفضائله وفواضله ومعجزاته تتزايد
فى كل عصر على ما قبله وبحسب ذلك يكون افتخار ذلك العصر على غيره
وله فى كل عصر من هذه العصور مرتبة علياء لا يساويها ما قبلها
فى العلو فبتفاوت المراتب العلية يتفاوت علاه وشرفه فى تلك
الرتبة وقوله بعدها علياء يريد الى ما لا نهاية له كما ان قوله بعدها
اى فى الزمان والعلو معا لا فى الزمان فقط ولا ينبغى ان يفهم من
هذا انقطاع تفاخر العصور والمراتب بوفاته صلى الله عليه وسلم
بل ذلك باق الى يوم القيمة نظرا الى ازمنة استقامة شريعته وحسن
العمل على سننه فان ذلك باق الى يوم القيمة لقوله لا تزال الطائفة
من امتى ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم حتى يأتى امر الله وايضا
فان ثواب كل عامل على عمله من امته لاحق به صلى الله عليه وسلم اخذا
من قوله من استن سنة حسنة فله اجرها واجر العامل بها الى

يوم

يوم القيمة فهو فى كل عصر منها ابدا الكمال يتميز الشرف والجلال
وله كمال ليس فوق كماله … الا جلال الله جل جلاله
ولا ينقطع ذلك ايضا بقيام الساعة بل تفتخر بذلك اليوم ايضا
لوجود علو مرتبته فيه من المقام المحمود والشفاعة العظمى ورجوع الناس
كلهم الى شفاعته صلى الله عليه وسلم بل وفى الجنة لما يعطاه من الوسيلة
والفضيلة وما لا عين رأت ولا اذن سمعت

وبدا للوجود منك كريم … من كريم آباؤه كرماء

اللغة بدا الشيء ظهر وابديته اظهرته والوجود ضد العدم
والكريم السالم من صفات اللوم والكريم ايضا الصفوح والكرماء
جمع كريم ويجوز ان يستعمل الكريم فى المواضع الثلاثة بما يشمل
معنى السلامة من صفات اللوم وبمعنى العطف وبمعنى الجود
معا **الاعراب** كريم فاعل بدا ومنك متعلق ببدا ومن كريم
صفة الفاعل وآباؤه كرماء جملة اسمية وقعت صفة لمجرور من
المعنى وصفه صلى الله عليه وسلم بكرم الذات وكرم الآباء وانه صلى
الله عليه وسلم لكماله فى صفة الكرم صح ان ينتزع منه شخص كريم مبالغة
فى كثرة كرمه وكماله فيه ونحوه قولهم لى من فلان صديق حميم اى ان
فلانا فى الصداقة بلغ فيها حدا يصح معه ان يستخلص منه صديق
آخر مثله فى الصداقة وهذا نوع من انواع البديع يسمى التجريد
وهو انواع هذا احدها وقوله آباؤه جمع مضاف يفيد
العموم واتصاف آبائه صلى الله عليه وسلم بالكرم من لدن
آدم صلى الله عليه وسلم الى ابيه عبد الله بن عبد المطلب

نسب تحسب العلا بحلاه … قلدتها نجومها الجوزاء

اللغة النسب واحد الانساب ومثله النسبة والنسبة بالضم و
الكسر وانتسب الشخص الى ابيه اعتزى وفلان يناسب فلانا فهو نسيبه
اى قريبه ونسبت الرجل انسبه بالضم نسبة ونسبا اذا ذكرت آباءه
وحسبته بالكسر احسبه بالفتح محسبة بالفتح ومحسبة وحسبانا
بالكسر اى ظننته والعلا تقدم انه جمع علياء وان علياء تانيث الاعلى

وحلية السيف بالكسر جمع الحلي بالضم والكسر وهو افصح والباء في بحلاه
للسببية والقلادة ما يحلى بها العنق والنجوم الكواكب والجوزاء برج
في السماء **الاعراب** نسب خبر مبتدا محذوف اي هذا نسب او هو نسب
وانما حذف للعلم به من الكلام وفاعل تحسب ضمير يعود على المخاطب والعلا مفعول
اول وقلدتها في موضع المفعول الثاني وبحلاه متعلق بتحسب والباء
سببية وضمير بحلاه عايد على النسب وفاعل قلدتها هو الجوزاء ونجومها
منصوب على نزع الخافض وهو الباء اي تحسب انت بسبب حلا هذا النسب
ان الجوزاء قلدت بنجومها العلا ويجوز ان يجعل فاعل تحسب هو العلا والجملة
الى اخر البيت في موضع المفعول على تقدير انه او ان اي تحسب العلا انها
قلدتها الجوزاء بنجومها والاول احسن **المعنى** ان ما اشتمل عليه نسب هذا
الممدوح الكريم صلى الله عليه وسلم من الاباء الكرام كل واحد منه كانه النجم
في الشرف وعلو المرتبة والبها حتى يظن الظان انه نجم من نجوم الجوزاء
وان مجموع هذا النسب كالعقد في عنق المراتب العلية قلدت به ولهذا قال

حبذا عقد سودد وفخار ... انت فيه اليتيمة العصماء

اللغة حبذا يقال في المدح كما يقال في الذم لا حبذا واصل حبذا
حبب فعل جامد وذا فاعله ثم قيل هما على حالهما كلمتين وقيل ركبتا وصارتا
كلمة واحدة وغلبت الفعلية لسبقها وقيل غلبت الاسمية لشرفها قال
في الصحاح جعلا في قولك حبذا زيد بمنزلة اسم يرفع ما بعده وموضعه
رفع بالابتداء وزيد خبره والعقد بالكسر القلادة والجمع عقود والسودد
السيادة والفخار التمدح بالخصال واليتيمة من الدر المنفرد بالحسن و
العصمة المنع ويجوز ان تكون من هذا ايضا فهي محفوظة ممنوعة ولا شك
ان الجوهرة اليتيمة يكون من شانها ذلك **الاعراب** حبذا مبتدا خبره قوله
عقد سودد وقيل فعل وما بعده فاعل ومذهب سيبويه ان حب فعل وذا
فاعل فيكون عقد المخصوص بالمدح نحو نعم الرجل زيد وسودد مجرور باضافة
عقد اليه وفخار معطوف على سودد وانت مبتدا واليتيمة خبره و
العصماء صفة الخبر والجملة صفة عقد وضمير الرابط للصفة بالموصوف
هو فيه وفي بعض النسخ انت فيها وانث الضمير على المعنى اذ العقد

القلاده

القلادة كما تقدم ويجوز جعل الجملة حالا من عقد لتخصصه بالاضافة
المعنى مدحه ومدح نسبه وان هذا الممدوح صلى الله عليه وسلم
اذا ذكر نسبه الشريف وعددت معه اباؤه كانوا كالقلادة المنتظمة
من الجواهر اليتيمة التي لها الفخار والسيادة على جميع الجواهر
وكان الممدوح صلى الله عليه وسلم هو اعظم تلك الجواهر وانفسها
واعلاها واجلها واعزها واغلاها بحيث انه من بين تلك الجواهر
هو الجوهرة التي لا يساويها في الجمال غيرها من القلادة المذكورة
وان كانت كل جوهرة منها لا نظير لها وانها قد رعيت في العصمة
والحفظ مراعاة فوق مراعاة البقية لما امتازت به من كمال المحاسن
ومحاسن الكمال والافراط في الجمال والجلال

ومحيا كالشمس منك مضيء ... اسفرت عنه ليلة غراء

اللغة المحيا الوجه والشمس الكوكب النهاري وهو النير الاعظم قال
الجوهري وتجمع على شموس كانهم جعلوا لكل ناحية منها شمسا ومضيء
اسم فاعل من اضاء والضوء والاضاءة والضياء واضاء يستعمل
متعديا وقاصرا واسفر الصبح اضاء ومنه اسفر وابا الفجر واسفر
وجهه حسنا اشرق والاسفار الانحسار يقال اسفر مقدم راسه
من الشعر والليل اسم جنس واحده ليلة كتمر وتمرة والغرة بياض في
جبهة الفرس والاغر الابيض والاغر السيد ومؤنث الاغر غراء
الاعراب محيا معطوف على عقد اي وحبذا محيا منك مضيء
كالشمس مبتدا وخبر على التقديم والتاخير والجملة صفة محيا و
جملة اسفرت عنه ليلة صفة ثانية او حال من محيا وغراء صفة ليلة
المعنى وحبذا وجه هذا الممدوح الكريم صلى الله عليه وسلم الذي
هو كالشمس في الاضاءة والبهاء الذي اضاءت واشرقت به
ليلة ولادته الغراء ببروزه بعدها وعلى تفسير اسفرت بانحسرت يكون المعنى انحسرت عنه
عنه تلك الليلة فجاء في اليوم الذي يليها وهي ليلة ولادته وقوله
عنه يرجح هذا المعنى وولادته كانت يوم الاثنين لاثنتي عشرة
ليلة خلت من شهر ربيع الاول على اصح الاقوال ووصفها بالغراء لانها

لانخلوعن ضوء القمر واما على من يقول الليلتين خلتا منه فيكون
وصفها بالغراء على الحقيقة لان الغرر ثلاث ليال الغراول كل شهر ويجوز
ان يريد بغراء انها نيرة من نوره صلى الله عليه وسلم لولادته في عقبها

ليلة المولد الذى كان للدين سرور بيومه وازدهاء

اللغة المولد بالكسر زمان الولادة وبالفتح مكانها الذى اسم
موصول يطلق على العالم وغيره وكان فعل ناقص يدخل على الاسمية
يرفع المبتدأ وينصب الخبر والدين الجزاء ويطلق اصطلاحا على ما
شرعه الله من الاحكام والسرور خلاف الحزن وهو الفرح واليوم
من طلوع الشمس الى غروبها وشرعا من طلوع الفجر والازدهاء الافتخار
الاعراب ليلة المولد بيان او بدل من ليلة غراء والموصول
صفة ليوم وصلته كان للدين سرور بيومه وسرور اسم كان وبيومه
متعلق به وللدين الخبر وازدهاء عطف على سرور والضمير في يومه
عايد على المولد المعنى يقول ان هذه الليلة الغراء هي ليلة مولد
هذا الممدوح الذى شرفه الله تعالى على كل مولود فلاجل ذلك سر
الدين واهله بهذا اليوم لما حصل فيه من بروز هذا المولود الى
الوجود على اتم الاحوال وحصل للدين واهله الفخار على ساير
الاديان واهلها لانه اشرف المولودين والوالدين وقيل ولد ليلا
رواه ابن السكن من حديث عثمان بن العاص عن امه فاطمة بنت
عبد الله انها شهدت ولادة النبى صلى الله عليه وسلم ليلا قالت فما شى انظر
اليه من البيت الا نور وانى لانظر الى النجوم تدنو حتى انى لاقول ليقعن على
نقله ابن سيد الناس ولكن قول الاكثر هو الاول وهو انه كان نهارا وكان
ذلك عام الفيل قيل بعد الفيل بخمسين يوما وقيل بشهرين وقيل باربعين يوما وقيل بيوم الفيل

وتوالت بشرى الهواتف ان قد ولد المصطفى وحق الهناء

اللغة التوالى التتابع والبشرى البشارة والهواتف جمع هاتف
وهو ما يسمع هتفه اى صوته ولا يرى شخصه والولادة القاؤها
في البطن من ولدا واكثر والمصطفى المختار وحق الشى ثبت والهناء
التهنية الاعراب بشرى فاعل توالت والهواتف مضاف اليه ان قد ولد اى ع

بان قد ولد فخذف الجار وبان متعلق ببشرى والمصطفى نايب عن
الفاعل وحق الهناء جملة فعلية معطوفة على الجملة التى قبلها اعنى
قوله ولد المصطفى المعنى يقول المصنف انه حصلت البشرى
من الهواتف وتوالت وتتابعت بولد هذا الممدوح الكريم صلى
الله عليه وسلم وانه بسبب ذلك حق لجميع الخلق ان يهنى بعضهم
بعضا بما شملهم من الخير والبركة والسعادة الابدية بولده الشريف
وان يعتقد كل منهم دوام السرور ورفع الشرور بما برز الى الوجود
من هذا المولود السعيد الجدود القايم بحفظ الحدود الماحى للكفر
والجحود الموفى بالعهود صلى الله عليه وسلم واما ما ورد من البشارة به
من الهواتف وغيرها فهو مسطور في السير وغيرها وقد افرده ابن ظفر
بتاليف حسن سماه خير البشر بخير البشر وجعله اربعة اقسام القسم الاول
ما جاء من البشارة به في كتب الله تعالى والقسم الثانى ما جاء من البشارة
على السنة الاحبار والقسم الثالث ما جاء من ذلك عن الكهان والقسم
الرابع ما جاء منه عن الجان ولو احتمل هذا المختصر ايراد ذلك اوردناه او بعضه فليرجع

وتداعى ايوان كسرى ولولا آية منك ما تداعى البناء

اللغة تداعت الحيطان للخراب تهادمت والايوان بوزن الديوان
ويقال فيه الاوان بوزن الخوان الصفة العظيمة وجمعه على الاول
اواوين كدواوين وايوانات وجمعه على الثانى اون كخون وخون
بوزن دون وكسرى بكسر الكاف وفتحها لقب ملوك الفرس وهو معرب
خسرو والنسبة اليه كسروى وكسرى كحرمى وجمعه اكاسرة على غير
قياس وقياسه كسرون كعيسون وموسون بفتح السين ولولا تجى
للامتناع اى امتناع جوابها لوجود تاليها نحو لولا زيد قام عمرو
وتجى للتحضيض نحو لولا انزل علينا الملايكة اى هلا والآية العلامة
واصلها عند سيبويه اوية فاعلت الواو بقلبها الفا لتحركها وانفتاح
ما قبلها والنسبة اليها اووى وفيها اقوال كثيرة لا يحتمل الحال
ذكرها هنا ومن تاتى لمعان منها ابتداء الغاية وهو المراد هنا وما
تاتى لمعان منها النفى وهو المراد هنا والبناء وضع شى على شى على

صفة يراد به الثبوت ويطلق على الحائط المبني وهو مراد المصنف
هنا فاللام فيه للعهد **الاعراب** ايوان فاعل تداعى وكسرى
مضاف اليه والجملة معطوفة على الجملة قبلها واية مبتدأ وخبرها
محذوف ومنك صفة المبتدأ وجواب لولا هو الجملة الفعلية وهي
قوله ما تداعى البناء **المعنى** ان ايوان كسرى في ليلة ولادة المصطفى
صلى الله عليه وسلم تهدم وليس السبب في ذلك من جهة خلل بنائه في
نفسه وانما اراد الله تعالى ان يكون ذلك آية باقية على وجه الدهر
لنبيه صلى الله عليه وسلم روى ابن سيد الناس في سيرته بسنده انه لما
كانت ليلة وُلد سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ارتجس ايوان
كسرى وسقطت منه اربع عشرة شرفة وخمدت نار فارس ولم تخمد
قبل ذلك بالف عام وغارت بحيرة ساوة وفي البيت الالتفات فانه عبر
عنه في البيت السابق بالظاهر الذي يعود عليه ضمير الغيبة ثم عبر عنه في
هذا البيت بكاف الخطاب في قوله منك وكان قضية ما تقدم ان يقول ولولا (آية منه)

وغدا كل بيت نار وفيه — كربة من خمودها وبلاء

اللغة غدا بالدال المهملة اي صار والبيت واحد البيوت وهو معروف
وكل من صيغ العموم والنار معروفة وهي من ذوات الواو وهي مؤنثة
ودليل الامرين نويرة وتجمع على نيران ونور وانور قلبت الواو ياء
لكسر ما قبلها وخمود النار سكون لهبها مع بقاء جمرها فان انطفأ
ايضا قيل همدت والكربة بالضم الغم الذي يأخذ النفس والبلاء
والبلوى والبلوة والبلية واحد مأخوذ من قولهم ناقة بلو بقفر للتي
تد ابلاها السفر **الاعراب** كل فاعل غدا وبيت نار تركيب
اضافي وكل مضاف الى بيت والواو في قوله وفيه واو الحال وبذلك
علم ان غدا هذه لا تعمل عمل كان بل المنصوب بعدها حال التزم تنكيره
ولو عملت ذلك لم يلتزم تنكير خبرها وكربة سوغ الابتداء به تقدم
الخبر وهو قوله فيه ومن خمودها متعلق بكربة ومن اما سببية او ابتدائية (ثنية)
ويجوز ان تكون بيانية وبلاء عطف على قوله كربة **المعنى** ان نار
فارس خمدت ليلة مولده ولم يبق بيت من بيوت تلك النار الا وقد

حصل

حصل لاهله الكربة والبلاء بسبب خمود ناره هذا مع انه قد
كان لها الف عام ولم تخمد كما تقدم في شرح البيت السابق في
ثم كان ذلك من آيات مولد هذا الممدوح الشريف صلى الله عليه وسلم

وعيون للفرس غارت فهل كا — ن لنيرانهم بها اطفاء

اللغة العيون جمع عين الماء والفرس هم فارس الذين كان كسرى
آخر ملوكهم وغارت عين الماء اي سفلت في الارض وهل حرف استفهام
وكان فعل ناقص يرفع المبتدأ وينصب الخبر والنيران جمع نار وتجمع
على غيره كما تقدم والاطفاء المراد به خمود لهبها على ما تقدم **الاعراب**
وعيون غارت جملة اسمية ويسوغ الابتداء بقوله عيون وصفها
بقوله للفرس واطفاء اسم كان ولنيرانهم الخبر وبها متعلق باطفاء
المعنى ان ليلة ولادته ايضا غارت عيون المياه التي كانت بارض
فارس كما ان نارهم طفيت ليلة ولادته وهو ايضا من آياته
واستفهامه عن انطفاء نارهم بمياه العيون التي غارت يفيد
التعجب من هذه القصة وتأكيد وقوعها وان ذلك من آياته (صلى الله عليه وسلم وقد ذكر المصنف الآيات المتعلقة بمولده صح)
صلى الله عليه وسلم المقارنة له والمتقدمة عليه والمتأخرة عنه
كما ذكرها في البردة وان كان في كل من الكلامين زيادة على الآخر

مولد كان منه في طالع الكفر — وبال عليهم ووباء

اللغة لفظتا المولد وكان تقدم الكلام عليهما وطالع الكفر المراد
منه ما يطلع به على عواقبه وغايته المترتبة عليه والكفر ضد الايمان
والوبال الوخم والوبا بالقصر والمد المرض العام فالمقصور جمعه
اوباء والممدود جمعه اوبية وقد وبئت الارض توبأ فهي موبئة
كثر مرضها **الاعراب** مولد خبر مبتدأ محذوف اي هو مولد المصطفى
صلى الله عليه وسلم مولد كان الى آخره وكان هي الناقصة ووبال
اسمها ووباء عطف عليه وخبرها اما في طالع الكفر وعليهم حال
او بالعكس والضمير في منه للمولد ويجوز ان يكون للمولود وفي عليهم
للكفرة المفهوم من الكفر او للفرس المتقدم ذكرهم وهو احسن من
حيث اللفظ والاول احسن من حيث المعنى **المعنى** ان هذا المولد السعيد

بشرف من ولد فيه صلى الله عليه وسلم قد علم منه واطلع من يريد الاطلاع على ان الكفرة او الفرس يحل بهم الوبال العظيم والوباء الوخيم والتنوين يفيد ذلك ويقرب عود الضمير على الفرس قوله في البردة

يوم تفرس فيه الفرس انهم ... قد انذروا بحلول البؤس والنقم

وفي بيت القصيدة الجناس اللاحق وفي بيت البردة الاشتقاق • والقصة التي اشار اليها الناظم في البيتين هي ان رئيس حكام دين المجوس ليلة ولادة سيد المرسلين صلاة الله وسلامه عليه اجمعين راى في منامه ان ابلا تقود خيلا قد قطعت دجلة وانتشرت في بلاد فارس فقص ذلك على كسرى واخبره قومة النار بخمودها تلك الليلة واتاه الخبر بان بحيرة ساوة غاض ماؤها فكتب الى النعمان بن المنذر ان يرسل له اعلم من في ارضه من العرب فبعث اليه عبد المسيح بن عمرو الغساني وكان معمرا فقدم عليه فقال له يسكن بمشارق الشام يقال له سطيح فقال له كسرى اذهب اليه فاساله فانطلق اليه عبد المسيح حتى انتهى اليه فوجده قد اشفى على الموت فحياه فلم يجبه فقال عبد المسيح رافعا صوته اصم ام يسمع غطريف اليمن ففتح عينه وقال • جاء عبد المسيح • على جمل يسيح الى سطيح • وقد اوفى على الضريح • بعثك الى ملك ساسان • لارتجاس الايوان • وخمود النيران • ورؤيا الموبذان • راى ابلا صعابا • تقود خيلا عرابا • قد قطعت دجلة وانتشرت في بلاد فارس يا عبد المسيح اذا ظهرت التلاوة • وبعث صاحب الهراوة • وفاضت السماوة • وغاضت بحيرة ساوة • لم يكن بابل للفرس مقاما • ولا الشام لسطيح شاما • يملك منهم ملوك وملكات • على عدد الشرفات • وكلما هو آت آت • ثم قضى سطيح مكانه فعاد عبد المسيح الى كسرى واخبره بذلك فقال الى ان يملك منا اربعة عشر يكون امور فملك منهم عشرة في اربع سنين الى هنا ذكر ابن ظفر وزاد ابن سيد الناس وملك الباقون الى خلافة عثمان

هنيئا به لآمنة الفضل ... الذي شرفت به حواء

اللغة

اللغة الهنو ما لا آفة فيه وآمنة علم على والدة النبي صلى الله عليه وسلم والفضل الكمال والاحسان الذي تقدم الكلام عليه والشرف العلو وحواء ام البشر الاعراب هنيئا حال عاملها محذوف وجوبا اذ لم يسمع الا كذلك والضمير عايد على المولد اي ثبت الفضل بالمولد لآمنة حالة كونه هنيئا والذي صفة الفضل وشرفت به حواء جملة الصلة وعايدها الراجع الى الموصول في به المعنى يقول انه ثبت الفضل بولادته لامهاته كآمنة من حواء الى آمنة فان الولادة منسوبة الى كل منهن لكن هو لآمنة بلا واسطة ولحواء فمن دونها بواسطة فحواء شرفت بانها تلد من تلده فالفضل في الحقيقة هي ولادته ولم يثبت بالمباشرة الا لآمنة فهنيئا لها ما ثبت لها من الامر الذي شرفت به ام البشر وانما اقتصر على آمنة وحواء لانهما طرفا الولادة الاول والاخير الاولى امتازت بابرازه الى الوجود في عالم الاصلاب والثانية امتازت بابرازه الى الوجود في عالم البشرية والاستقلال

من لحواء انها حملت احمدا ... او انها به نفساء

اللغة من استفهامية والحمل العلوق بالولد والحمل ما كان في بطن او على راس شجرة والحمل ما كان على ظهر او راس واحمد من اسمائه الشريفة والنفاس ولادة المراة اذا وضعت فهي نفساء ونسوة نفاس الاعراب من استفهامية ولحواء جار ومجرور متعلق بمحذوف اي من يفرح لحواء وانها على حذف الجار اي بانها حملت واحمد مفعول حملت واو عاطفة وانها ان واسمها ونفساء خبرها وبه متعلق بنفساء ومعمولاها عطف على انها حملت اي من يفرح لحواء بانها حملته وولدته المعنى كانه يقول لو قدر لحواء ان تحمل بهذا المولود الشريف صلى الله عليه وسلم وتلده من غير واسطة لكان لها به غاية الفخر ونهاية المطلوب لكن لم يقدر ذلك وانما قدر لآمنة لما سبق في علم الله تعالى هذا مع ان حواء اجل امهاته واولهن ولهذا قال في البيت السابق شرفت به حواء فحواء فازت بشرف الاولية وآمنة فازت بشرف الانتهاء وبين الفضلين ما لا يخفى ويؤكد هذا قوله

يوم نالت بوضعه ابنة وهب ... من فخار ما لم تنله النساء

اللغة النوال والنايل العطاء ووضعت المرأة ولدت وابنة وهب
هي آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة وكانت
في حجر عمها وهيب بن عبد مناف والفخار والافتخار والفخارة و
التفخير التمدح بالخصال قال في الصحاح والنساء و
النسوة جمع امرأة من غير لفظها ومراده انها اسم جمع الاعراب يوم
بدل من المولد اسم زمان ونالت جملة في محل جر لاضافة يوم اليها وفا (علم)
ابنة وهب والباء في بوضعه سببية والضمير عايد على المولود ومن (والهاء)
في من فخار بيانية وما لم تنله النساء موصول وصلة عايد الموصول
والنساء فاعل تنله المعنى ان آمنة نالت بوضع هذا الممدوح الكريم صلى
الله عليه وسلم فخارا وشرفا لم تنله غيرها من النساء المصاحبات والمتا (بقات)
والمتأخرات بل حصل لها بسببه فخر لم يحصل لغيرها من بني في عصر من الاعصار
وفي سيرة ابن سيد الناس عن ابن اسحاق ان آمنة كانت تحدث انها اتيت
حين حملت به فقيل لها انك قد حملت بسيد هذه الامة فاذا وقع على الارض
فقولي اعيذه بالواحد من شر كل حاسد ثم سميه محمدا . وعن الزهري
قال قالت آمنة لقد علقت به فما وجدت له مشقة حين حملته

وأتت قومها بأفضل مما حملت قبل مريم العذراء

اللغة القوم تقدم انه مختص بالرجال وانه ربما دخل فيه النساء
بالتبعية والذي هنا من هذا الثاني لانه رحمة للفريقين صلى الله عليه وسلم
ومريم هي بنت عمران الصديقة بنص القرآن ذكر بعض الحفاظ انها
من اولاد سليمان بن داود وبينهما اربعة وعشرون ابا واسم امها
حنة بالمهملة وتشديد النون قال وبلغني ان مريم بقيت بعد رفع
عيسى صلى الله عليه وسلم خمس سنين وان سنها كان وقت رفعه ثلاثا و
خمسين سنة وفي الصحيح خير نسايها مريم والعذرة بالمعجمة البكارة
والعذراء البكر ووصف به مريم لانها لم تتزوج الاعراب جملة
واتت معطوفة على الجملة المضاف اليها يوم في البيت السابق والتاء
علامة التانيث وهي واجبة لان الفاعل ضمير آمنة وقومها مفعول
به بافضل متعلق باتت وهو صفة لمحذوف اي بمولود افضل مما تعلق

بافعل

بافعل التفضيل وما موصولة وحملت صلته والعايد محذوف
اي حملته ومريم فاعل حملت والعذراء صفتها المعنى ان يوم ولادة
آمنة لهذا النبي الكريم صلى الله عليه وسلم هو يوم اتيانها بالمولود الذي
هو افضل من عيسى بن مريم صلى الله عليه وسلم وخص عيسى بالذكر
بعد ذكره انه افضل الانبياء صلى الله عليه وسلم تاكيدا ولما في عيسى
صلى الله عليه وسلم من الايات من حيث انه من ام بلا اب ومن حيث
انه روح الله وكلمته التي القاها الى مريم ومن حيث انه يبري الاكمه
والابرص ويحيي الموتى باذن الله ومن حيث انه ثبت في الصحيحين
عن ابي هريرة رضي الله عنه انه صلى الله عليه وسلم قال ما من مولود
من بني آدم الا نخسه الشيطان حين يولد فيستهل صارخا من نخسه
اياه الا عيسى بن مريم وفي رواية قال ابو هريرة اقرؤا ان شئتم اني
اعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم ومن حيث انه صلى الله عليه وسلم
قال انا اولى الناس بابن مريم في الدنيا والاخرة ليس بيني وبينه نبي
رواه البخاري ومن حيث انه صلى الله عليه وسلم ينزل في آخر الزمان على
امة محمد صلى الله عليه وسلم ويحكم بشريعته ومن حيث انه ورد
في الصحيحين عن عبادة بن الصامت عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال من شهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله
وان عيسى عبد الله ورسوله وكلمته القاها الى مريم وروح منه وان
الجنة حق وان النار حق ادخله الله الجنة على ما كان من العمل وفي
مسلم ان عيسى ينزل على المنارة البيضاء شرقي دمشق ومن حيث
انه قيل ان امه حملت به ثلاثة اشهر وقيل سنة وقيل ساعة وقيل ثلاث
ساعات ومن حيث انه كلم الناس وهو ابن اربعين يوما ثم لم يتكلم
بعدها حتى بلغ كلام الصبيان ومعجزاته وآياته صلى الله عليه وسلم كثيرة

شمتته الاملاك اذ وضعته وشفتنا بقولها الشفاء

اللغة التشميت بالمعجمة والمهملة ان تقول للعاطس يرحمك الله والا (ملاك)
جمع ملك بحمل والجمال والوضع الولادة والشفاء هنا كناية عن السرور
والفرح والشفاء بالفاء المشددة هي والدة عبد الرحمن بن عوف

احد العشرة رضي الله عنهم **الاعراب** الاملاك فاعل شمتته والجملة
يجوز ان تكون حالا من فاعل افضل اي اتت قومها بافضل من مولود
منهم حالة كون الاملاك شمتته واذ ظرف زمان مضاف الى الجملة
بعده وهي الفعلية التي فاعلها ضمير آمنة وضمير الغايب في قوله
شمتته ووضعته للنبي صلى الله عليه وسلم والشفاء فاعل شفتنا
وبقولها متعلق بشفتنا وفيه الاشتقاق **المعنى** ما ذكره في هذا
البيت مستفاد مما اخرجه ابو نعيم في دلايل النبوة من حديث
عبد الرحمن بن عوف عن امه الشفا بنت عمرو بن عوف قالت لما ولدت
آمنة بنت وهب محمدا صلى الله عليه وسلم وقع على يدي فاستهل فسمعت
قايلا يقول رحمك الله ورحمك ربك والاستهلال وان كان صياح
المولود اول ما يولد الا ان حمله على العطاس هنا قريب بحمل القايل على الملك
رافعا راسه وفي ذلك الرفـ ـع الى كل سودد ايماء
اللغة ساد قومه يسودهم سيادة وسوددا وسيدودة فهو سيد
وهم سادة والايماء الاشارة تقول اومات اليه اي اشرت اليه
الاعراب رافعا حال من الضمير المنصوب في البيت السابق وراسه
مفعول رافعا وفاعله ضمير مستتر عايد على صاحب الحال وايماء
مبتدا خبره في ذلك الرفع والى كل سودد متعلق بايماء والرفع
صفة ذلك **المعنى** انه صلى الله عليه وسلم وضع رافعا راسه الى
السماء وان ذلك الرفع الذي وقع منه في تلك الحالة فيه ايماء واشارة
الى ارتفاع شانه وعلو قدره وانه يسود الخلق اجمعين من الملايكة والانس
والجن وكان هذا ايضا من آياته وهو اول فعل وجد منه في اول
ولادته فيه اشارة وايماء لمن له تامل الى ان جميع ما يقع له من حين
يولد الى حين يقبض صلى الله عليه وسلم مما يدل عليه ذلك الفعل لانه صلى الله عليه وسلم
لا زال متزايد الرفعة في كل وقت وحين عالي الشان على المخلوقات اجمعين
في الدنيا والاخرة قال صلى الله عليه وسلم انا سيد ولد آدم ولا فخر
رامقا طرفه السماء ومرمى . عين من شانه العلو العلاء
اللغة رمق الشيء نظر اليه نظرا خفيفا مستترا والطرف العين قال

الجوهري ولا يجمع وكل ما علا على الانسان فهو سماء والمرمى في الاصل
الغرض الذي ينتهي اليه سهم الرامي والمراد هنا ما انتهى اليه البصر
والشان من شانت شانه قصدت قصده والعلو الارتفاع في المكان
والعلاء بالفتح والمد الرفعة والشرف والعلى بالضم والقصر بمعناه
الاعراب رامقا حال مما عنه الحال الاولى وتعدد الاحوال جايز
كتعدد الاخبار ويجوز ان يجعل حالا من ضمير الفاعل في رافعا
فيكون من الحال المتداخلة وطرفه فاعل رامقا والسماء مفعول
والمراد جهة السماء ومرمى مبتدا وعين مضاف اليه وهي مضاف ايضا
الى من ومن اسم موصول وصلته الجملة الاسمية وهي شانه العلو وضمير
شانه هو العايد والعلاء خبر المبتدا الذي هو مرمى **المعنى** ان هذا المولود لوح
الكريم صلى الله عليه وسلم وضعته امه حال كونه رافعا راسه ورامقا
بطرفه الى جهة السماء فكما كان رفع راسه ايماء واشارة الى كل سودد
فكذلك تصويب ناظره الى الجهة العلوية ايماء واشارة الى انه لا يتوجه
قصده الا الى المراتب العلية والخلال السنية فان الذي شانه العلو
لا يقصد الا الجهات العلوية دون غيرها مما لا يناسب قصده ومعنى هذا
البيت مع معنى البيت الذي قبله متقارب جدا لاشتراكهما في ان التوجه
الى الجهات العلوية شان من يرغب في المعالي ويميل الى الرتب العوالي
وتدلت زهر النجوم اليه . فاضاءت بضوئها الارجاء
اللغة تدلت اي دنت وزهر النجوم هي النجوم الزواهر من اضافة
الصفة الى الموصوف اي الكواكب المضيئة والارجاء الجوانب
الاعراب جملة وتدلت معطوفة على جملة نالت المتقدمة
في قوله يوم نالت وزهر النجوم فاعل والفاء في فاضاءت سببية
والارجاء فاعل اضاءت وبضوئها متعلق باضاءت والضمير في
بضوئها عايد على زهر النجوم واليه متعلق بتدلت والضمير فيه
عايد على المولود صلى الله عليه وسلم **المعنى** يقول لكرامة هذا
المولود الشريف صلى الله عليه وسلم تدلت يوم ولادته النجوم الزاهرات
تعظيما له ودنت منه دنوا حصل منه اضاءة تلك النواحي التي هي موضع

ولادته وماقرب منها وفيه اشارة الى ماتقدم وهو ماذكره
ابن السكن من حديث عثمان بن ابى العاص عن امه فاطمة بنت
عبد الله انها شهدت ولادة رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت
فما شئ انظر اليه من البيت الا نور وانى لانظر الى النجوم تدنو حتى انى
اقول ليقعن على وفى هذا من تعظيمه وكرامته على الله ما لا يخفى

وتراءت قصور قيصر بالرو … م يراها من داره البطحاء

اللغة تراءت من رؤية العين وتراءى الجمعان راى بعضهم بعضا
وقيصر ملك الروم اى بلاد الروم والروم هو من ولد الروم بن عيصو (وبالروم)
يقال رومى وروم مثل زنجى وزنج والدار مؤنثة والابطح مسيل
واسع فيه دقاق الحصى والجمع الاباطح والبطاح والبطحاء مثل الابطح
ومنه بطحاء مكة وهو المراد هنا الاعراب وتراءت قصور
قيصر جملة فعلية معطوفة على ما عطفت عليه الجملة قبلها وقيصر
مضاف اليه لا ينصرف للعلمية والعجمة والباء فى بالروم ظرفية وجملة
يراها حال من القصور ومن فاعل يراها وهو اسم موصول صلته الاسمية
بعده وهى داره البطحاء المعنى ومن كرامات مولده الشريف صلى الله عليه وسلم
ايضا انه اضاء الكون تلك الليلة اضاءة تراءت فيها القصور التى فى مملكة
قيصر لمن هو بمكة المشرفة وهذا هو الذى رأته امه وقد ذكره لمن قال له
اخبرنا عن نفسك فقال انا دعوة ابى ابرهيم وبشارة عيسى بن مريم ورأت
امى حين حملت بى انه خرج منها نور اضاءت له قصور الشام واسترضعت
فى بنى سعد الى اخر ما ذكره صلى الله عليه وسلم ولما تم الكلام على معجزات
الولادة شرع فى الكلام على معجزات الرضاع وكراماته فقال

وبدت فى رضاعه معجزات … ليس فيها عن العيون خفاء
اذ ابته ليتمه مرضعات … قلن ما فى اليتيم عنا غناء
فاتته من آل سعد فتاة … قد ابتها لفقرها الرضعاء

اللغة بدا الامر بدوا مثل قعد قعودا ظهر وابديته اظهرته والرضاع
امتصاص اللبن من الثدى يقال رضع يرضع رضاعا كسمع يسمع سماعا
ورضع يرضع رضعا كضرب يضرب ضربا والمعجزات جمع معجزة وهى الامر

الخارق للعادة المقرون بالتحدى والعيون جمع عين وهى حاسة البصر
والخفية ضد الظهور يقال خفى الشئ كتمته وخفيته اظهرته واذ تستعمل ظرفا زمانيا وتستعمل للتعليل
وابى معناه امتنع ومرضعات جمع تصحيح لمرضعة واللام للعلة و
اليتم فى الادميين فقد الاب وفى البهائم فقد الام والغناء بالفتح
النفع والفتى الشاب من الذكور والفتاة الشابة من الاناث والفقر
عدم المال والرضعاء جمع رضيع ككريم وكرماء الاعراب جملة بدت
فى رضاعه معجزات يجوز ان تكون استينافية ويجوز ان تكون معطوفة
على ما قبلها ويجوز تعلق رضاعه ببدت وبمعجزات وجملة ليس فيها
الى اخرها صفة لمعجزات واذ يجوز ان تكون ظرفا للظهور معجزاته
ويجوز ان تكون تعليلا له وهى مضافة على الاول الجملة ابته والهاء
عائدة عليه صلى الله عليه وسلم ومرضعات فاعله وجملة قلن صفة
مرضعات وجملة ما فى اليتيم عنا غناء فى محل نصب على انه مقول
القول وغناء مبتدا فى اليتيم خبر مقدم وعنا متعلق بمحذوف
اى اتته فتاة كائنة من آل سعد فمن بيانية وقد ابتها جملة هى صفة
لفتاة والهاء مفعول والرضعاء فاعل ولام لفقرها لام التعليل
المعنى انه كما كان فى ولادته معجزات واضحات ففى رضاعه ايضا
معجزات ظاهرات وذلك انه صلى الله عليه وسلم كان يتيما لا اب له
فابت المرضعات ان ياخذنه للارضاع لما قام بهن من اليتم توهما لعدم
الفائدة فى اخذه وكان من جملة المراضع امراة فقيرة لا مال لها فاباها
من يريد المراضع لقلة ما فى يدها من المال المستلزمة عادة لقلة اللبن
فاخذته مع فقرها ويتمه فكان ذلك سببا الى غناها ووفور رزقها حتى
انها فاقت فى ذلك على جميع المرضعات وفاق هو على جميع الرضعاء ببركته
صلى الله عليه وسلم وهذا جملة الكلام وتفصيله ياتى بعد فى قوله

ارضعته لبانها فسقتها … وبنيها البانهن الشاء
اصبحت شولا عجافا وامست … ما بها شائل ولا عجفاء
اخصب العيش عندها بعد محل … اذ غدا للنبى منها غذاء
يا لها منة لقد ضوعف الاجـ … ـر عليها من جنسها والجزاء

متعلق بغناء والهاء فى اتته مفعول وفتاة فاعل ومن آل سعد صح

وإذا سخّر الإله أناساً لسعيدٍ فإنهم سعداءُ

اللغة اللبان بالكسر كالرضاع يقال هو اخوه بلبان امه قال في الصحاح ح
ولا يقال بلبن امه لكن ظاهر كلام الناظم انه اراد به اللبن لقوله
فسقتها وبنيها البان من الشاء على انه يجوز ان يراد به معناه ويكون
منصوبا مفعولا مطلقا اى ارضعته ارضاعها والشاء جمع شاة
في الكثرة والشول بالتشديد جمع شائل من غير هاء وهي في الاصل
الناقة التي تشول بذنبها للقاح ولا لبن لها اصلا كراكع وركع
وساجد وسجد واستعمل المصنف ذلك في الشاة والعجف الهزال
والاعجف المهزول والانثى عجفاء وجمع اعجف وعجفاء عجاف
والخصب بالكسر نقيض الجدب ويقال الخصب جناب القوم اى
ناحيتهم والمحل الجدب وهو انقطاع المطر ويبس الارض من الكلا
والعيش الحياة والغذاء بالذال المعجمة جمع غذى وهي السخلة
وفصال والغذاء ايضا ما يغتذى به من الطعام وهو المراد هنا
والاناس لغة في الناس ويالها كلمة تعجب ومن عليه انعم والمنة النعمة
وتضعيف الشيء ان يزيد عليه مثله او اكثر والاجر الثواب والجزاء
المجازاة والسعد اليمن والبركة كسعد يومنا والسعادة خلاف
الشقاوة كسعد الرجل فهو سعيد وسعداء جمع سعيد كشهيد
وشهداء الاعراب جملة ارضعته بدل من جملة فاتته من آل سعد
السابقة والفاعل ضمير يعود على الفتاة المذكورة سابقا والهاء
عائدة على النبي صلى الله عليه وسلم ولبانها اما مفعول به او مطلق
والظاهر الاول وجملة فسقتها عطف على قوله ارضعته والهاء من
قوله فسقتها عائدة على الفتاة وهي مفعول به وبنيها معطوف على
الهاء البان مفعول ثان من باب اعطى وكسى والشاء فاعل
وقوله اصبحت اسمها مستتر عائد على الشاء وشولا خبر اصبحت
وعجافا صفة لشولا او خبر بعد خبر وامست اسمها ضمير يعود ايضا
على الشاء والخبر هو جملة قوله ما بها شائل ولا عجفاء وشائل فاعل بالظرف ف
او مبتدأ ولا عجفاء عطف على شائل والضمير في قوله عنه ها يجوز ان

يكون

يكون للفتاة ويجوز ان يكون للشاء وهو اقرب لقوله اذ غدا للنبي
منها غذاء وغذاء فاعل غدا ويجوز ان تكون جملة اصبحت حالا من الشاء
وجملة امست معطوفة عليها وجملة اخصب العيش حال من اسم امست
والعيش فاعل اخصب وبعد ظرف زمان ومحل مضاف اليه الظرف
واذ تعليلية ويجوز ان تكون ظرفية والاول اقعد ومنة تمييز
والاجر نائب عن الفاعل مرفوع بضوعف وعليها متعلق بضوعف
وعلى معناها التعليل اى لاجلها كقوله تعالى ولتكبروا الله على ما
هداكم ومن جنسها حال من الاجر والجزاء عطف على الاجر وهو من عطف
المرادف واناسا مفعول سخر والاله فاعله ولسعيد متعلق بسخر وجواب
اذا هو جملة قوله فانهم سعداء وضمير فانهم يعود على الاناس المعنى اعلم
انه كان من شأن العرب في ذلك الزمان ان من ولد له مولود يلتمس له
مرضعة ويرون عارا ان ترضع المرأة ولدها وقد ذكر الناظم في هذه
الابيات ما هو شرح وبيان لما حصل للمرضعة من الخير ووفود النعمة با
هذا الرضيع الكريم صلى الله عليه وسلم وذلك ان الجزاء من جنس العمل فلما سقته لبنها
سقتها هي واولادها الشاء التي كانت لا لبن لها لما بها من العجف وفقد
اللبن ببركته عليه الصلاة والسلام وقد كانت شياهها المذكورة وقت
اخذه شولا عجافا فما امست الا ولا عجف بها ولا شائل فيها وقد ابدله الله
ببركته الشياه المذكورة او المرضعة المذكورة من المحل والجدب خصبا
كثير الاجل ان غذاءه كان من البان هذه الشياه وقوله واذا الى آخر البيت
كلام جعله الناظم كالشاهد لما ذكره من حصول السعادة لها ببركة رضاعه
من موافقة السعيد تورث السعادة والسيادة كما ان مرافقة الردى
تورث الرداوة والشقاوة فما سخر الله تعالى حليمة لرضاع هذا النبي
السعيد في جميع الاحوال الا وقد اراد لها بالسعادة في الحال والمآل
وفي هذا الكلام اشارة الى ما في السيرة من ارضاع حليمة بنت
ابي ذؤيب له صلى الله عليه وسلم وانها كانت تحدث انها خرجت من
بلدها مع زوجها وابن لها ترضعه في نسوة من بني سعد بن بكر قالت
وذلك في سنة شهباء لم تبق لنا شيئا قالت فخرجت على اتان لي قمراء

معنا شارف لنا والله ما تبض بقطرة وما ننام ليلتنا اجمع مع صبينا
الذي معنا من بكائه من الجوع ما في ثديي ما يغنيه وما في شارفنا ما
يغذيه ولكنا نرجوا الغيث والفرج والبركة فخرجت على اتاني تلك
فلقد ادمت بالركب حتى شق ذلك عليهم ضعفا وعجفا حتى قدمنا
مكة نلتمس الرضعاء فما منا امراة الا وقد عرض عليها رسول الله
صلى الله عليه وسلم فتاباه اذا قيل لها انه يتيم وذلك انا انما كنا
نرجوا المعروف من ابي الصبي وكنا نقول يتيم ما عسى ان تصنع
امه وجده فما بقيت امراة قدمت معي الا اخذت رضيعا غيري
فلما اجمعنا الانطلاق قلت لصاحبي اني لاكره ان ارجع من بين
صواحبي ولا اخذ رضيعا والله لاذهبن الى ذلك اليتيم فلآخذنه
قال لا عليك ان تفعلي عسى الله ان يجعل لنا فيه بركة قالت فذهبت
اليه فاخذته وما حملني على اخذه الا اني لم اجد غيره فلما اخذته رجعنا به
الى رحلي فلما وضعته في حجري اقبل عليه ثدياي بما شاء من لبن فشرب حتى
روي وشرب معه اخوه حتى روي ثم ناما وما كنا ننام معه قبل
ذلك فقام زوجي الى شارفنا تلك فاذا انها لحافل فحلب منها ما شرب
وشربت حتى انتهينا ريا وشبعا فبتنا بخير ليلة يقول لصاحبي حين
اصبحنا تعلمي والله يا حليمة لقد اخذت نسمة مباركة فقلت
والله اني لارجو ذلك ثم خرجنا وركبت اتاني وحملته عليها
معي فوالله لقطعت بالركب ما يقدر على شيء من حمرهم حتى ان
صواحبي ليقلن يا بنت ابي ذويب ويحك اربعي علينا اليست
هذه اتانك التي كنت خرجت عليها فاقول بلى والله انها لهي
فيقلن والله ان لها لشانا ثم قدمنا منازلنا من بني سعد ولا
اعلم ارضا اجدب منها فكانت غنمي تروح علي حين قدمنا به
معنا شباعا لبنا فنحلب ونشرب وما يحلب انسان قطرة لبن ولا
يجدها في ضرع حتى كان الحاضر من قومنا يقولون لرعيانهم ويحكم اسرحوا
حيث يسرح راعي بنت ابي ذويب فتروح اغنامهم جياعا ما تبض بقطرة وتروح
غنمي شباعا لبنا فلم نزل نتعرف بركته الزيادة من الله حتى مضت سنتاه وفصلته

حبة

حبة انبتت سنابل والعصف لديه يستشرف الضعفاء

اللغة الحبة واحدة حب الحنطة ونحوها من الحبوب ويقال انبت البقل
وانبت والسنابل جمع سنبلة وهي مجتمع الحب قبيل الحصاد والعصف
ورق النبات اليابس كالتبن يستشرف يتطلع الضعفا جمع ضعيف
الاعراب حبة خبر مبتدا محذوف وانبتت جملة فعلية فاعلها
ضمير حبة وهي صفة حبة سنابل مفعول به والعصف مبتدا و
الواو للحال لديه اي عنده يستشرف الضعفاء جملة فعلية هي خبر
المبتدا المعنى لما قرر ما حصل للسيدة حليمة من الخصب بعد الجدب
ببركة ارضاعه صلى الله عليه وسلم وجوزيت من جنس عملها بكثرة البان
شياهها اخذ يقول ان الجزاء وان وقع من جنس العمل لكن حصلت مضاعفة
فت كثيرة حتى صار ما حصل يشبه الحبة التي انبتت سنابل كثيرة والحال انه لو
بحيث يكثر فيه تطلع الضعفاء الى ورق النبات فضلا عن النبات والحبات

واتت جده وقد فصلته — وبها من فصاله البرحاء
اذ احاطت به ملائكة الله — فظنت بانهم قرناء
ورأى وجدها به ومن الوجد — لهيب تصلى به الاحشاء
فارقته كرها وكان لديها — ثاويا لا يمل منه الثواء

اللغة جده هو عبد المطلب والفصال انتهاء الرضاع بالفطام والبرحاء
الحمى شدة الاذى واحاطت الخيل بفلان واحتاطت به احدقت به
والملائكة والملائك جمع ملك والقرناء الشياطين والوجد شدة
الحب والاحشاء جمع حشا وهو ما انضمت عليه الضلوع والكره
ضد الحب وثوى بالمكان اقام به يثوي ثواء وثويا الاعراب
فاعل اتت ضمير حليمة وجده مفعول وضميره للنبي صلى الله عليه وسلم
والواو في وقد فصلته للحال والجملة بعدها حالية وضمير فصلته للنبي
صلى الله عليه وسلم وجملة وبها الى اخر البيت حالية من ضمير الفاعل
في فصلته والبرحاء مبتدا وبها الخبر ومن فصاله معمول لمتعلق
الخبر واذ في اول البيت الثاني تعليلية اي اتت به لجده لاجل
احاطة الملائكة به وملائكة الله فاعل والاسم الكريم مضاف اليه

وفاعل ظلت ضمير يعود على حليمة وانقصم قرينا قايم مقام المفعولين
وضمير راى لجده وضمير وجدها الحليمة وضمير به للنبى صلى الله عليه وسلم
وقوله ومن الوجد جملة استينافية تبين ان وجدها به كان من هذا
القبيل وجملة فارقته به لعن قوله وانتجده وكرها مفعول
مطلق او حال اى ذات كراهية وضمير كان وفارقته له صلى الله عليه وسلم
وثاويا خبر كان ولا يمل الى اخر البيت صفة ثاويا والثواء نايب
عن الفاعل مرفوع بيمل ومنه متعلق بيمل المعنى ان حليمة بنت ابى
ذويب ظئر رسول الله صلى الله عليه وسلم لما انتهت رضاعه بمضى
الحولين اتت به الى جده عبد المطلب وعندها اعظم الوجد و
شدة الالم لمفارقته وانما حملها على مفارقته مع شدة محبتها له
ما حصل له من شق الصدر اذ اتته الملائكة الكرام وشقوا صدره
الشريف فخافت عليه من الشياطين القرناء وظنت ذلك به ففارقته
لهذا المعنى وهى شديدة الاسف على فراقه وباحشائها الباطنة
لهب شديد لمفارقته وقد كان مدة مقامه لديها لا تمل منه الاقا مة
ولو طالت مدته وكثرت اقامته بل تحب دوام اقامته عندها لما
تشاهد من جمال صورته وعموم بركته عليها وعلى اولادها و
زوجها فى انفسهم وفى نعمهم ونعمهم صلى الله عليه وسلم • وفى السيرة
قالت حليمة لم نزل نتعرف من الله الزيادة والخير حتى مضت سنتاه
وفصلته فكان يشب شبابا لا يشبه الغلمان فلم يبلغ سنتيه حتى
كان غلاما جفرا فقدمنا به على امه ونحن احرص شىء على مكثه
فينا لما نرى من بركته فكلمنا امه وقلت لو تركت بنيّ عندى حتى
يغلظ فانى اخشى عليه وباء مكة فلم نزل بها حتى ردته معنا
فرجعنا به فوالله انه بعد مقدمنا به باشهر مع اخيه لفى بهم لنا
خلف بيوتنا اذ اتانا اخوه يشتد فقال لى ولابيه ذاك اخى
القرشى قد اخذه رجلان عليهما ثياب بيض فاضجعاه فشقا
بطنه فهما يسوطانه قالت فخرجت انا وابوه نحوه فوجدناه
قايما منتقعا وجهه قالت فالتزمته والتزمه ابوه فقلنا ما لك

يا بنى

يا بنى قال جاءنى رجلان عليهما ثياب بيض فاضجعانى وشقا بطنى فالتمسا
فيه شيئا لا ادرى ما هو قالت فرجعنا الى خبائنا وقال لى ابوه يا حليمة
لقد خشيت ان يكون هذا الغلام قد اصيب فالحقيه باهله قبل ان يظهر
ذلك به قالت فاحتملناه فقدمنا به على امه فقالت ما اقدمكم به يا ظئر
ولقد كنت حريصة عليه وعلى مكثه عندك قلت قد بلغ الله بابنى
وقضيت الذى على وخفت الاحداث عليه فاديته عليك كما تحبين
قالت لى ما هذا شانك فاصدقينى خبرك قالت فلم تدعنى حتى اخبر تها
قالت افتخوفت عليه الشيطان قلت نعم قالت كلا والله ما للشيطان
عليه سبيل وان لبنيّ لشانا • ويروى ان نفرا من اصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم قالوا له يا رسول الله اخبرنا عن نفسك قال انا
دعوة ابى ابرهيم وبشارة عيسى بن مريم ورات امى حين حملت بى
انه خرج منها نور اضاءت له قصور الشام واسترضعت فى بنى
سعد بن بكر فبينا انا مع اخ لى خلف بيوتنا نرعى بهما لنا اتانى رجلان
عليهما ثياب بيض بطست من ذهب مملوء ثلجا فاخذانى فشقا بطنى ثم
استخرجا قلبى فشقاه فاستخرجا منه علقة سوداء فطرحاها ثم غسلا
بطنى وقلبى بذلك الثلج حتى انقياه ثم قال احدهما زنه بعشرة من
امته فوزننى بهم فوزنتهم ثم قال زنه بمائة من امته فوزننى بهم
فوزنتهم ثم قال زنه بالف من امته فوزننى بهم فوزنتهم فقال دعه
عنك فلو وزنته بامته لوزنها وروى انه صلى الله عليه وسلم ليلة
الاسرا اتى بطست من ذهب ممتلئ حكمة وايمانا فافرغ فى قلبه وانه
غسل قلبه بماء زمزم قال السهيلى كان هذا التقديس وهذا التطهير
مرتين الاولى فى حال الطفولية لينقى قلبه من مغمز الشيطان والثانية
عندما اراد الله تعالى ان يرفعه الى الحضرة المقدسة وليصلى بملائكة
السموات ومن شان الصلوة الطهور فقدس باطنا وظاهرا وملئ
قلبه حكمة وايمانا وقد كان مؤمنا ولكن الله تعالى قال ويزداد الذين
امنوا ايمانا وفى سيرة ابن هشام ان امه حليمة السعدية لما قدمت
به مكة اضلها فى الناس وهى مقبلة به نحو اهله فالتمسته فلم تجده فاتت

عبد المطلب فقالت له اني قد ضممت محمد صلى الله عليه وسلم هذه الليلة
فلما كنت باعلى مكة اضللته فوالله ما ادري اين هو فقام عبد المطلب
عند الكعبة يدعو الله ان يرده وذكر انه وجده ورقة بن نوفل بن اسد
ورجل آخر من قريش فاتيا به عبد المطلب فقالا هذا ابنك وجدناه
باعلى مكة فاخذه عبد المطلب فجعله على عنقه وهو يطوف بالكعبة
يعوذه ويدعو له ثم ارسله الى امه آمنة وروي عن ابن اسحق انه
قال حدثني بعض اهل العلم ان مما هاج حليمة السعدية على رده الى
امه مع ما ذكرت لامه مما اخبرتها عنه ان نفرا من الحبشة نصارى
رأوه معها حين رجعت به بعد فطامه ونظروا اليه وسألوها عنه
وقلبوه ثم قالوا لها لناخذن هذا الغلام فلنذهبن به الى ملكنا وبلدنا
فان هذا غلام كائن له شان نحن نعرف امره وانما لم تكد تنفلت به منهم •

شُقَّ عَن قَلبِهِ وَأُخرِجَ مِنهُ مُضغَةٌ عِندَ غَسلِهِ سَوداءُ
خَتَمَتهُ يُمنى الأَمينِ وَقَد أُو دِعَ ما لَم تُذَع لَهُ أَنباءُ
صانَ أَسرارَهُ الخِتامُ فَلا الفَضُّ مُلِمٌّ بِهِ وَلا الإِفضاءُ
أَلِفَ النُسكَ وَالعِبادَةَ وَالخَلـوَةَ طِفلاً وَهَكَذا النُجَباءُ
وَإِذا حَلَّتِ الهِدايَةُ قَلباً نَشِطَت فِي العِبادَةِ الأَعضاءُ

اللغة شق عن قلبه اي فرج صدره والقلب الفؤاد وقلب الانسان معروف
من جسده والمضغة قطعة لحم واليمنى خلاف اليسرى والامين المراد
به جبريل عليه الصلاة والسلام اودع اي جعل فيه وذاع الخبر انتشر
والانباء جمع نبأ والنبأ الخبر ومنه انبأ ونبأ وصنت الشيء صونا
وصيانا وصيانة فهو مصون والاسرار جمع سر وهو ما يكتم والختام
وهو ما يختم به من طين ونحوه والفض الكسر بالتفرقة ومنه فضضت
ختم الكتاب والافضاء اشاعة السر تقول افضيت الى فلان سري
والالمام بالشيء النزول عنده والمراد هنا معرفته والف الشيء الفا ده
والنسك والعبادة بمعنى والخلوة المكان الذي لا احد فيه والطفل
المولود والنجباء جمع نجيب وهو الكريم البين النجابة وحل بالمكان
حلا وحلولا اذا حصل فيه والهدى والهداية الرشاد والنشاط

ضد الكسل يقال نشط الرجل ينشط فهو نشيط والاعضاء جمع
عضو بالكسر والضم الاعراب شق عن قلبه نائب عن الفاعل القول له
شق ويجوز ان تكون الجملة استينافية ويجوز ان تكون بدلا من قوله
لحاطت به ملائكة الله واخرج عطف على قوله شق ومنه متعلق باخرج ج
ومضغة نائب الفاعل وعند غسله ظرف وسوداء صفة مضغة
والضمير في قلبه للنبي صلى الله عليه وسلم وضمير منه له ايضا او للقلب
وضمير غسله للقلب والضمير في ختمته للشق المفهوم من قوله شق
عن قلبه ويمنى فاعل والامين مضاف اليه وجملة ختمته يجوز
ان تكون على تقدير حرف العطف اي ثم ختمته او وختمته وجملة و
قد اودع جملة حالية وضمير اودع يجوز ان يكون للنبي ويجوز
ان يكون للقلب وما نائب الفاعل في اودع وهي اسم موصول
والجملة المنفية بعده صلته ويجوز كون ما موصوفة والجملة بعدها
صفتها اي اودع الذي لم تذع له انباء او شيئا لم تذع له انباء وضمير
له عائد على ما في الحالين وجملة صان اسراره الختام يجوز جعلها بدلا
من قوله لم تذع على المعنى اي صينت انباؤه واسراره مفعول والختام
فاعل وضمير اسراره يجوز ان يكون للنبي صلى الله عليه وسلم ويجوز
ان يكون للقلب ويجوز جعله للامين وجملة فلا الفض ملم به
مؤكدة لجملة صان اسراره الختام والفض مبتدأ وملم خبره وضمير
به يعود على ما في قوله ما لم تذع ويجوز ان يعود على السر المفهوم
من الاسرار ولا الافضاء عطف على الفض الف النسك جملة
مستانفة وضمير الف للنبي صلى الله عليه وسلم والنسك مفعول و
العبادة والخلوة معطوفان عليه وطفلا حال من فاعل الف وجملة
وهكذا النجباء مستانفة متضمنة لتاكيد ما قبلها واذا شرط جوابه
نشطت والهداية فاعل وقلبا مفعول وفاعل نشطت هو الاعضاء
وفي العبادة متعلق بنشطت وفي هذا الشرط وجوابه تاكيد البيت
الذي قبله المعنى لما فرغ من الكلام على رضاعه وفصاله اخذ
يتكلم على شق صدره وقد تقدم ذكره في سبب احضاره صلى الله عليه وسلم

لجنة وامته وانه صلى الله عليه وسلم قال اتانى رجلان عليهما ثياب
بيض بطست من ذهب مملوء ثلجا فاخذانى وشقا بطنى ثم استخرجا قلبى
فشقاه ثم استخرجا منه علقة سوداء وطرحاها ثم غسلا قلبى وبطنى
بذلك الثلج حتى انقياه الى آخر الحديث ويجوز ان يكون ختمته اشارة
اليها وقع عند الاسرا بناء على ما ذكره السهيلى من تعدد ذلك فكانه يقول
ان هذا الممدوح الكريم صلى الله عليه وسلم شق صدره الكريم واستخرج
من قلبه علقة سوداء وحشى ايمانا وحكمة وغير ذلك من الاسرار الالهية
التى لا يعلمها الا الله تعالى وكنى عن ذلك بقوله ختمته يعنى الامين و
ان هذه الاسرار التى اودعت فى قلبه الشريف ولا يعلمها الا الله لا
مطمع لاحد غيره كذلك فى الاطلاع على شىء منها وكنى عن ذلك بقوله فلا ارتيا
ملم به ولا الاخفاء وانه صلى الله عليه وسلم قد الفه من صغره وحال
طفوليته التنسك والتعبد والخلوة بغار حراء وغيره وان هذا
شان النجباء فما بالك بسيدهم فى النجابة وغيرها من وجوه الكمال
وان هذا النشاط الذى قام به حتى سهل عليه امر التعبد نتيجة ما
اودع فى قلبه من الاسرار الالهية والمواهب الربانية التى نهاه هدايته ببته
والاهتداء به صلى الله عليه وسلم وربما يقوم بالخاطر عند ذكر هذا
ان القلب والعياذ بالله اذا تدنس بالذنوب كسلت الاعضاء فى
العبادة نسأل الله تعالى التوفيق لما يرضيه انه ولى ذلك والقادر عليه

بَعَثَ اللهُ عِنْدَ مَبْعَثِهِ الشُّهْـ ـبَ حِرَاسًا وَضَاقَ عَنْهَا الفَضَاءُ
تَطْرُدُ الجِنَّ عَنْ مَقَاعِدَ لِلسَّمْـ ـعِ كَمَا تَطْرُدُ الذِّئَابَ الرِّعَاءُ
فَمَحَتْ آيَةَ الكَهَانَةِ آيَا تٌ مِنَ الوَحْيِ مَا لَهُنَّ امْحَاءُ

اللغة بعثه وابتعثه اى ارسله والله علم على الذات الواجب الوجود
المستحق لجميع المحامد لا اله غيره وعند مثلث العين ياتى ظرفا للمكان
نحو عند الحائط والزمان عند الليل ولبن يتمكن ولا يجر الا بمن تقول
جئت من عنده ولا تقول جئت الى عنده والمبعث اسم لزمان البعث
والشهب جمع شهاب وهى شعلة نار ساطعة ويجمع ايضا على شهبان
وحرسه حراسة حفظه والحراس كانه جمع حارس على غير قياس كقائم

وقيام ويجوز ان يكون مصدرا كقام وقيام وضاق الشىء يضيق
ضيقا وضيقا اى لم يتسع والفضاء الساحة وما اتسع من الارض
والطرد الابعاد تقول طردته فابعد ولا تقول انطرد ولا اطرد
الا فى لغة رديئة والجن خلاف الانس والواحد جنى وسميت بذلك
لانها تتقى ولا ترى والمقاعد جمع مقعد اسم لمكان القعود والسمع
مصدر سمع يسمع سمعا اذا وصل الصوت الى حاسته والذئاب
جمع ذئب فى الكثرة والذئب اصله الهمزة وقد يخفف والرعاء جمع
راعى وهو بضم الراء وكسرها كقاضى وقضاة وجائع وجياع ويجمع
ايضا على رعيان مثل شاب وشبان ومحى الشىء اذهبه محوا و
محيا يمحوه ويمحيه ويمحاه والامحاء والانمحاء منه والآية العلامة وقد
تقدمت والآيات جمعها والكهانة بالفتح مصدر كهن بالضم اذا صار
كاهنا وهو الذى يتكلم بما يلقيه اليه الشياطين والوحى الاشارة
والكتابة والرسالة والالهام والكلام الخفى الاعراب الجملة الفعلية
مستانفة والشهب مفعول به وعند مبعثه متعلق ببعث وحراسا
حال من الشهب وجملة وضاق الفضاء معطوف على الجملة التى قبلها وعنها
متعلق بضاق وجملة تطرد الجن يصح ان تكون حالا ثانية من الشهب
والجن مفعول به وعن مقاعد السمع متعلق بتطرد وللسمع متعلق
بمقاعد والكاف للتشبيه وما مصدرية والذئاب مفعول به
والرعاء فاعل اى تطرد الجن كطرد الرعاء الذئاب والفاء فى فمحت
آية سببية وآية الكهانة مفعول به وآيات فاعل من الوحى صفة
آيات وما لهن امحاء الجملة صفة ثانية لآيات وامحاء مبتدأ ولهن
خبر وما نافية المعنى انه صلى الله عليه وسلم لما قرب مبعثه الى
الخلق حرس الله شريعته التى جاء بها من الشياطين ان يخلطوا بها ما
ليس منها وكان منعهم من ذلك بالشهب التى طردتهم عن المقاعد التى
يقعدون فيها لاستراق السمع من الملائكة طردا بالغا كطرد الذئاب ب
التى تريد العدو على الشياه بالرعاء التى تحرس الشياه منها وبسبب
ذلك محى الله ما كانت تاتى به الكهان وتذكره من المغيبات التى يلقيها

اليهم الشياطين بواسطة استراق السمع فكانت آيات الله تعالى التي لا
انجلاء لها ولا تغير فيها ماحية لما اتى به الكهنة من المسترقات الباطلة
الملتقاة من الشياطين روى ابن هشام وابن سيد الناس عن ابن اسحق
كانت الاحبار من يهود والرهبان من النصارى والكهان من العرب
قد تحدثوا بامر رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل مبعثه لما تقارب
من زمانه اما الاحبار من اليهود والرهبان من النصارى فعما وجدوا
في كتبهم من صفته وصفة زمانه وما كان من عهد انبيائهم اليهم واما
الكهان من العرب فاتتهم به الشياطين مما تسترق من السمع اذ كانت
لا تحجب عن ذلك وكان الكاهن والكاهنة لا يزال يقع منهما ذكر اموره
ولا يلتفت العرب لذلك فيه بالاحتى بعثه الله تعالى ووقعت تلك الامور
التي كانوا يذكرون فعرفوها فلما تقارب امر رسول الله صلى الله عليه وسلم
وحضر مبعثه حجبت الشياطين عن السمع وحيل بينها وبين المقاعد
التي كانت تقعد لاستراقه فرموا بالنجوم فعرف الجن ان ذلك الامر
حدث من امر الله تعالى في العباد يقول الله عز وجل لنبيه حين بعثه
يقص عليه خبرهم اذ حجبوا قل اوحي الي انه استمع نفر من الجن الى قوله
فمن يستمع الآن يجد له شهابا رصدا وانا لا ندري اشر اريد بمن في
الارض ام اراد بهم ربهم رشدا قال فلما سمعت الجن عرفت انها منعت
من السمع قبل ذلك لئلا يشكل الوحي بشيء من خبر السماء فيلتبس على
اهل الارض ما جاءهم من الله فيه لوقوع الحجة وقطع الشبهة فآمنوا به
وصدقوا ثم ولوا الى قومهم منذرين قالوا يا قومنا انا سمعنا كتابا
انزل من بعد موسى مصدقا لما بين يديه يهدي الى الحق والى طريق مستقيم
والاخبار في ذلك اكثر من ان تحصى واشهر من ان تستقصى وهي مذكورة في
السير وقد اشتمل البيت الاول والثالث على نوعين من الجناس

وَرَأَتْهُ خَدِيجَةٌ وَالتُّقَى وَالزُّهْدُ فِيهِ سَجِيَّةٌ وَالْحَيَاءُ
وَأَتَاهَا أَنَّ الْغَمَامَةَ وَالسَّرْحَ أَظَلَّتْهُ مِنْهُمَا أَفْيَاءُ
وَأَحَادِيثُ أَنَّ وَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ بِالْبَعْثِ حَانَ مِنْهُ الْوَفَاءُ
فَدَعَتْهُ إِلَى الزَّوَاجِ وَمَا أَحْسَنَ مَا يَبْلُغُ الْمُنَى الْأَذْكِيَاءُ

اللغة

اللغة يجوز ان تكون الرؤية علمية ويجوز ان تكون بصرية ويجوز استعمالهما وخديجة هي زوجته صلى الله عليه وسلم وهي بنت خويلد والتقي التقوى والحد والتقي والمتقي وهو الذي اتقى ما نهاه الله عنه والزهد خلاف الرغبة تقول زهدت في الشيء رغبت عنه وكذا زهدت عنه زهدا وزهادة والسجية بالسين المهملة الخلق والطبيعة و الحياء الاستحياء تقول حييت منه احيا استحييت والغمام السحاب واحده غمامة والسرح شجر عظام طوال الواحدة سرحة والفيء ما بعد الزوال من الظل وسمي الظل فيئا لرجوعه من جانب الى جانب قال بعضهم الظل ما نسخته الشمس والفيء ما نسخ الشمس وافياء جمع فيء والاحاديث جمع حديث على غير قياس والحديث الخبر والوعد عند الاطلاق يستعمل في الخير والبعث الارسال يقال وفى بعهده واوفاه بمعنى والوفاء ضد الغدر وحان الشيء جاء وقته ودعته الى الزواج اي استدعته وطلبته منه والزواج تزوجه اياها وما احسن احدى صيغتي التعجب والمنى الاماني جمع امنية وهي ما يتمناها الانسان والاذكياء جمع ذكي على وزن فعيل كغني واغنياء والذكاء ممدود حدة القلب **الاعراب** ورأته جملة مستانفة فاعلها خديجة والواو في قوله والتقى واو الحال والتقى مبتدأ والزهد عطف عليه وفيه سجية جملة اسمية واقعة خبرا عن التقى وما عطف عليه وأتاها جملة معطوفة على الجملة الاولى وهي جملة ورأته وان الغمامة هي فاعل الفعل والغمامة اسم ان والسرح عطف عليه واظلته افياء جملة واقعة خبر الان ومنهما حال من افياء واحاديث معطوفة على فاعل اتاها اي واتاها احاديث ان وعد رسول الله صلى الله عليه وسلم بالبعث والارسال الى الاحمر والاسود وحان الوفاء جملة وقعت خبر الان ومنه متعلق بالوفاء والفاء في فدعته الى الزواج سببية والى الزواج متعلق بدعته وما احسن اي شيء عظيم حسن بلوغ الاذكياء كلما يتمنونه فما مصدرية وهي وما بعدها في تأويل مصدر منصوب المحل على التعجب والاذكياء فاعل يبلغ

المعنى ان السيدة خديجة بنت خويلد زوج النبى صلى الله عليه وسلم
ورضى عنها لما علمت ببصيرتها ورأت ببصرها ان كلا من الزهد و
التقى والحياء سجية وخلق مجبول عليه النبى صلى الله عليه وسلم من ربه
تعالى وتقدس وعلمت بالاخبار الصادقة ان الغمامة تظله و
الاشجار تميل ظلالها اليه حيث جلس وبلغها ايضا بالاخبار الصادقة اليها
انه قد جاء وقت رسالته الى الخلق اجمعين دعته الى ان يتزوج بها
ليحصل لها الشرف التام والفضل العظيم على نساء عصرها فكان
هو المخطوب لفرط جلاله والمرغوب فيه لكثرة افضاله فشرفت
بزواجه اياها حتى كانت من افضل امهات المومنين او افضلهن
ثم تعجب من قوة ذكائها وفرط عرفانها حيث بادرت الى هذا الامر
العظيم والفضل الجسيم ولم تمش على عادة النساء فى انتظار ان
تكون مسؤلة غير سائلة لما سبق لها من السعادة وكتب لها من الفضل
والسيادة رضى الله عنها وعن سائر امهات المومنين وفى هذا
الكلام اشارة الى قصة زواجه صلى الله عليه وسلم خديجة رضى الله عنها
ولنذكر شيئا من ذلك مع الاختصار مما اشتملت عليه السيرتان فنقول
تزوج صلى الله عليه وسلم خديجة رضى الله عنها وسنه خمس وعشرون
سنة وقيل كانت سنه ثلاثين سنة وكان سن خديجة اذ تزوجته اربعين
سنة وذلك انه لما سافر لها بالتجارة الى الشام وصحبته ميسرة
وخرجا الى الشام واستمرا حتى نزلا فى سوق بصرى فى ظل شجرة قريبا
من صومعة نسطورا الراهب فقال الراهب يا ميسرة وكان يعرفه
من هذا الذى نزل تحت هذه الشجرة فقال رجل من الحرم من قريش
فقال الراهب ما نزل تحتها الا نبى ثم قال هل فى عينيه حمرة قال نعم
لا تفارقه فقال الراهب هو هو وهو اخر الانبياء ليتنى ادركه
اذ يومر بالخروج ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم باع شيئا
فى سوق بصرى لرجل فكان بينه وبينه اختلاف فى ذلك فقال له
الرجل احلف باللات والعزى فقال النبى صلى الله عليه وسلم ما حلفت
بهما قط فقال الرجل القول قولك وقال لميسرة هذا نبى والذى

نفسى بيده انه هو الذى تجده احبارنا منعوتا فى كتبهم فوعى ذلك
ميسرة وكان ميسرة اذا كانت الهاجرة واشتد الحر يرى ملكين
يظلانه فى الشمس وهو على بعيره فلما رجعوا وكانوا بمر الظهران
تقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى دخل مكة فى ساعة الظهيرة
وخديجة فى علية معها نساء فرأته وهو راكب والملكان يظلانه
فارته نساءها فعجبن من ذلك ودخل عليها رسول الله صلى الله عليه
وسلم فخبرها بما ربحوا فسرت بذلك فلما دخل ميسرة اخبرته بما رأت ت
فقال لها جميع ما رآه منه وما سمعه من الراهب والرجل الذى
حلفه باللات فلما استقر هذا الامر عندها وكانت من الشرف
فى قومها وفى العقل والحزم والمال بمكان وافر بحيث كان كل من
قومها حريصا على نكاحها لو استطاع فعرضت عليه نفسها فقالت
يا ابن عم انى قد رغبت فيك لقرابتك وامانتك وحسن خلقك
وصدق حديثك وقيل دعته الى تزوجها مع دسيس ارسلته اليه
فقيل زوجها ابوها وقيل عمها عمرو بن اسد بن عبد العزى
فلما وقع النكاح قال عمرو هذا الفحل لا يقرع انفه وقيل الذى
زوجها منه اخوها عمرو بن خويلد وكانت خديجة قد تزوجها
قبله صلى الله عليه وسلم رجلان ولما تزوجته ذكرت لورقة ما بلغها
وما اتصل بها من كلام ميسرة وما رأته فقال لها ورقة ان كان ذلك حقا
فهو نبى هذه الامة لقد علمت ان لهذه الامة نبيا ينتظر هذا زمانه

واتاه فى بيتها جبرئيل   ولذى اللب فى الامور ارتياء
فاماطت عنها الخمار لتدرى   اهو الوحى ام هو الاغماء
فاختفى عند كشفها الرأس جبريـ   ـل فما عاد او اعيد الغطاء
فاستبانت خديجة انه الكنـ   ـز الذى حاولته والكيمياء

اللغة جبرئيل بعبرانى عبد ايل لغة فى امين الوحى جبريل صلى الله
عليه وسلم واللب العقل والجمع الباب والامور جمع امر يقال امر
فلان مستقيم والارتياء المراد منه الاستبصار فى الامور واحكامها مها
واماطة الخمار تنحيته والخمار ما تخمر به الراس اى يغطى ودريت

بالشيء علمته والوحي ما يأتي لانبياء الله ورسله وقد تقدم و
الاغماء مصدر اغمي عليه فهو مغمي عليه اي مغشي عليه والغطاء
هو الخمار والاستبانة التبين اي تبينت فظهر لها والكنز المال
المدفون وحاول الشيء اراده قال الجوهري والكيميا معروف
مثل السيمياء الاعراب الجملة الفعلية وهي قوله
واتاه معطوفة على الجملة قبلها وهي ورأته وجبريل فاعل
وفي بيتها متعلق باتاه والهاء مفعول وهي ضمير النبي صلى الله عليه وسلم
ولذي اللب ارتياء مبتدأ وخبر على التقديم والتأخير وفي
الامور متعلق بما بعده وجملة فاماطت معطوفة على جملة
واتاه والفاعل هو المستتر العائد على خديجة والخمار مفعول
وعنها متعلق باماطت واللام في لتدري لام كي وام هي المتصلة
والهمزة هي التي يطلب بها وبام التعيين وهي واقعة بين
جملتين اسميتين والفاء في فاختفى سببية وفاعله جبريل
وعند كشفها متعلق باختفى والراس مفعول المصدر وهو
كشفها وهو مضاف الى الفاعل فما عاد جملة فعلية فاعلها
ضمير جبريل واعيد صلة ان مضمرة بعد او التي يصلح موضعها
حتى والغطاء فاعل اعيد والفاء في استبانت سببية اي
فبسبب ذلك استبانت وفاعله ضمير خديجة وان الكنز في
موضع المفعول وان ان واسمها والكنز خبرها والذي
حاولته موصول وصلته وعائده والكيمياء معطوف على
الكنز واعترض بين الجملة السببية وما تسببت عنه من الامور
المذكورة بقوله ولذي اللب في الامور ارتياء المعنى ان السيدة
خديجة رضي الله عنها لما تقرر عندها قرب مبعثه واتصلت
به وتزوجها اتاه جبريل في بيتها قبل ان تتبين وتحقق وقوع
ما تعتقده من انه نبي واردت ان تحقق وقوع ذلك وتشاهده
بعين اليقين الذي هو اعلى من علم اليقين فاماطت الخمار ونحته
عن راسها لتعرف بذلك هل هذا الذي جاءه هو امين الوحي

جبريل

جبريل الذي يأتي به للانبياء فيختفي ولا ينظر اليها ام هو غير ذلك
من مرض او اغماء فلما اختفى جبريل ولم يعد الى ما كان عليه حتى
اعادت الخمار على ما كان عليه اولا تحققت حينئذ بعين اليقين
انه جبريل الامين وان ما كانت تعلم وقوعه قد وقع وانه
ليس عارضا من العوارض التي تعرض لكل بشر بل هو الوحي الذي
كانت تعلمه وعبر عنه بالكيمياء والكنوز استعارة لانه لا ينـ
الا لافراد من البشر الذين هم الكملة منهم كما ان الكنوز والكيمياء
لا يظفر بهما الا القليل من البشر وفي هذه الابيات اشارة
الى ما روي في السيرتين انها قالت له اي ابن عمي اتستطيع ان تخبرني
بصاحبك هذا الذي يأتيك اذا جاءك قال نعم قالت فاذا جاءك
فاخبرني به فجاءه جبريل عليه السلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
يا خديجة هذا جبريل قد جاءني قالت قم يا ابن عمي فاجلس على فخذي
اليسرى فقام فجلس فقالت هل تراه قال نعم قالت فتحول على
فخذي اليمنى ففعل فقالت هل تراه قال نعم قالت فتحول فاجلس
في حجري فتحول فجلس في حجرها ثم قالت هل تراه قال نعم قال
فتحسرت فالقت خمارها ورسول الله صلى الله عليه وسلم
جالس في حجرها ثم قالت هل تراه قال لا قالت يا ابن عمي
اثبت وابشر فوالله انه لملك ما هـــذا بشيطان

ثم قام النبي يدعو الى اللـــه ... وفي الكفر نجدة واباء
امما اشربت قلوبهم الكفـــر ... فداء الضلال فيهم عياء
ورأينا اياته فاهتدينا ... واذا الحق جاء زال المراء
رب ان الهدى هداك وايا ... تك نور تهدي بها من تشاء

اللغة الدعوة الى الله تعالى طلب الايمان منهم بالله ورسوله
والكفر خلاف الايمان والنجدة الشجاعة والاباء الامتناع
والامم الجماعات اشربت قلوبهم الكفر اي خالطها واشربت
حبه والداء المرض والجمع ادواء والضلال ضد الرشاد
والعياء بالمثناة من تحت الداء الصعب الذي لا دواء له

ورأينا امّا من الرؤية بمعنى العلم او من رؤية البصر فيجوز استعماله
فيهما وآيات جمع آية والهداية الرشاد وهدى واهتدى بمعنى
والحق خلاف الباطل والمراء الجدال والايمان التصديق الاعراب
ثمّ حرف عطف والنبي فاعل قام والى الله متعلق بيدعو وجملة وفي الكفر
لجة حالية ولجة مبتدأ وفي الكفر خبر واباء عطف على لجة
واما مفعول يدعو واشربت قلوبهم جملة فعلية صفة اقوام
الكفر مفعول ثان لاشربت والاول هو النائب فداء الضلال
مبتدأ وعياء خبره وفيهم متعلق بالخبر ورأينا جملة فعلية وآياته
مفعول فاهتدينا عطف على رأينا والحق فاعل فعل يفسره جاء
او مبتدأ وخبره جاء وزال المراء جملة فعلية هي جواب اذا وجملة
واذا الحق مؤكدة لما قبلها ورب منادى وما بعده من الجملة
تاكيد للجملة قبله وقوله وآياتك نور تهدي به من تشاء اعتراضية
بعد تمام الكلام على رأي من يرى ذلك يفيد تاكيد الكلام السابق
المعنى ان الله تعالى لما بعث نبيه صلى الله عليه وسلم الى الخلق بشيرا
بالجنة ان اطاعوا ونذيرا بالنار ان عصوا قام في طاعته يدعوهم
كما امر والحال ان اهل الكفر كانوا في شدة عنادهم وقوة امتناعهم
لان قلوبهم قد اشربت الكفر وانطوت على محبته افئدتهم وصار مستقرا
في خواطرهم لا يميلون الى غيره ولا ترضى نفوسهم بالخروج عنه الا بلطف
الهي يهدي به الله من يشاء منهم فمنهم من آمن به ومنهم من صدّ عنه
فالسعيد من سبقت له السعادة وقدر الله له في الازل الهداية
فآمن به واتبعه فيما دعاه اليه لما رأى من الآيات الدالة على الهداية
والفلاح والشقي من كذّب به وعصاه ففاته الفوز والنجاح وحيل بينه
وبين الهداية والرشاد وسدّت عليه طرق السداد من يهدي الله فلا
مضل له ومن يضلل الله فلا هادي له فمن يرد الله ان يهديه يشرح
صدره للاسلام ومن يرد ان يضله يجعل صدره ضيقا حرجا
ولما ذكر حرمان الكافرين مع وفور عقلهم لغلبة الشقاء عليهم
اخذ يقرر ذلك بما ذكره في الابيات التي بعد وهي قوله

كم

كم رأينا ما ليس يعقل قد أُلـ ... ـهِم ما ليس يلهم العقلاء
اذ أبى الفيل ما أتى صاحب الفيـ ... ـل ولم ينفع الحجا والذكاء
والجمادات أفصحت بالذي أخـ ... ـرس عنه لأحمد الفصحاء

اللغة كم تكون استفهامية بمعنى اي عدد وخبرية بمعنى عدد
كثير ورأى يصح ان يكون بمعنى علم او بمعنى ابصر وبمعناهما كما
تقدم نظيره وما ليس يعقل يشمل البهائم والجمادات لانه قسمه
بعد ذلك اليهما والالهام ما يلقى في الروع والعقلاء جمع عاقل
والعقل والحجى والنهى واحد وابى الشيء امتنع منه والفيل الدا تبة
المعروفة ما اتى صاحب الفيل اي فعله ابرهة حين قصد ان يهدم
الكعبة الشريفة فجاء الى ان وصل الى قريب مكة ثم رجع بسبب
امتناع فيله من الدخول على ما سنذكره فوفق الفيل مع كونه لا يعقل
اكثر من صاحبه مع وفور عقله وقوة ذكائه والجمادات جمع جماد
وهو ما لا روح فيه افصحت والفصاحة البيان والخرس عدم الكلام
والفصحاء جمع فصيح ككريم وكرماء الاعراب كم هي الخبرية
والمميز محذوف اي كم مرة رأينا والمعنى مرارا كثيرة رأينا وما ليس
يعقل مفعول رأينا وقد الهم في موضع المفعول الثاني وما موصول
وليس يلهم العقلاء صلة الموصول والعائد الهاء التي نصبها الفعل و
التقدير ما ليس يلهمه العقلاء والعقلاء نائب الفاعل بيلهم واذ يصح
فيها التعليل ويصح فيها الظرفية والفيل فاعل ابى من الاباء وما موضعه
مفعول لابى واتى صلته من الاتيان وصاحب الفيل فاعل والواو يصح
ان تكون للحال والحجى فاعل ينفع والذكاء عطف عليه والجمادات مبتدأ
وجملة افصحت خبره بالذي متعلق بافصحت واخرس صلة الموصول
والفصحاء فاعل وعنه متعلق باخرس ولاحمد متعلق بافصحت المعنى
لما قرر ان الهدى هدى الله يهدي به من يشاء وانه يضل من يشاء
اراد ان يذكر ما يستغرب من ذلك فقال كثيرا ما يلهم الله ما لا يعقل
امورا يحرمها كثير من العقلاء فمنها قصة الفيل وصاحبه ابرهة
حين قصد ان يهدم الكعبة الشريفة فجاء الى ان وصل الى قريب

مكة فبات واصبح ليدخلها وعبى جيشه وكان اسم الفيل محمود
فلما وجه الفيل الى مكة اقبل شخص يقال له نفيل بن حبيب كان ماسورا
مع ابرهة حتى قام الى جنب الفيل ثم اخذ باذنه فقال له ابرك محمود
او ارجع راشدا من حيث جئت فانك فى بلد الله الحرام ثم ارسل
اذنه فبرك الفيل وخرج نفيل بن حبيب يشتد حتى اصعد فى الجبل
فضربوا الفيل ليقوم فابى فضربوا فى رأسه بالطبر ليقوم فابى فادخلوا
محاجرهم فى مراقه ليقوم فابى فوجهوه راجعا الى اليمن فقام يهرول
ووجهوه الى الشام ففعل مثل ذلك ووجهوه الى المشرق ففعل
مثل ذلك ووجهوه الى مكة فبرك وارسل الله عليهم طيرا ابابيل
كما قال مع كل طائر منها ثلاثة احجار يحملها حجر فى منقاره وحجران
فى رجليه مثال الحمص والعدس لا يصيب احدا منهم الا هلك وتوجهوا
هاربين يبتدرون الطريق التى جاؤا منها فصاروا ايتساقطون
بكل طريق ويهلكون على كل منهل واصيب ابرهة فى جسده وخرجوا
به معهم يسقط انملة بعد انملة حتى قدموا به صنعاء وهو مثل فرخ
الطائر فما مات حتى انصدع صدره عن قلبه انتهى فكان الفيل قد
وقى اكثر من ابرهة مع قوة عقله • ومنها شهادة الجمادات له بالرسالة
وقد روى ذلك فى احاديث كثيرة منها عن على رضى الله عنه قال
كنا بمكة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج الى بعض نواحيها
فما استقبله شجر ولا جبل الا قال السلام عليك يا رسول الله وعن
جابر بن سمرة انه قال صلى الله عليه وسلم انى لاعرف حجرا بمكة كان
يسلم على قبل ان ابعث قيل انه الحجر الاسود وفى حديث العباس
انه لما دعا لاهل بيته بالستر من النار امنت اسكفة البيت وحوائط
آمين آمين آمين • والاحاديث فى هذا كثيرة دالة على افصاح
الجمادات له بالرسالة وقد اخبر عنها كثير من العقلاء •

وبح قوم جفوا نبيا بارض | الفته ضبابها والظباء
وسلوه وحن جذع اليه | وقلوه وودة الغرباء
اخرجوه منها وآواه غار | وحمته حمامة ورقاء

وكفته

وكفته بنسجها عنكبوت | ما كفته الحمامة الحصداء
واختفى منهم على قرب مرآ | ه ومن شدة الظهور الخفاء

اللغة ويح كلمة تقال لمن وقع فى هلكة وهى كلمة رحمة وويل كلمة
عذاب وقيل هما بمعنى والجفا خلاف البر تقول جفوت الرجل اجفوه
والضباب جمع ضب وهى دويبة والانثى ضبة وارض ضبية اى كثيرة
الضباب والظبى معروف والجمع ظباء وظبيات والسلو بعد الخاطر
عن الشئ وبعده عن الخاطر والحنين توقان النفس والشوق الى
الشئ والجذع واحد جذوع النخل والقلى البغض وودت الرجل
اوده اذا احببته والغربا جمع غريب والغار فى الجبل كالكهف و
الحمام ذوات الاطواق الواحدة حمامة والورقاء من الحمام ما فى لونها
بياض يخالطه سواد ويقال الكفاف مؤنة كفاية وكفاك الشئ
يكفيك والعنكبوت يقع على الواحد والجمع والمذكر والمؤنث
ويجمع على عناكب وعكبة واعكب ويقال للشجرة حصداء اى كثيرة وعكاب
الورق وكانه استعاره للحمامة لكثرة ريشها واختفى استتر والمرآ
موضع الرؤيا والقرب ضد البعد والظهور ضد الخفاء •
الاعراب ويح مصدر مضاف الى ما بعده وهو منصوب باضمار
فعل جفوا الجملة فعلية صفة لقوم ونبيا مفعول بارض صفة لنبيا
وجملة الفته صفة ثانية له والضمير المنصوب يعود للنبى وضبابها
فاعل الفته والظباء معطوف عليه وسلوه جملة فعلية معطوفة
على جملة جفوا والضمائر الاربعة فى البيت عائدة على النبى صلى الله
عليه وسلم وكذلك الضمائر الاربعة فى البيتين بعده وجملة وحن
جذع عطف على سلوه وجملة قلوه كذلك وكذلك جملة وده و
الغرباء فاعل وده وجملة اخرجوه بدل من جملة جفوا وضمير منها
يعود على الارض ومنها متعلق باخرجوه وآواه غار فعلية معطوفة
على جملة اخرجوه وجملة حمته حمامة معطوفة على جملة آواه غار
وورقاء صفة حمامة وجملة وكفته عطف على جملة آواه غار و
عنكبوت فاعل كفته بنسجها متعلق بكفته وما تحتمل المصدرية

اى كفاية الحمامة ويحتمل الموصولية اى الذى كفته الحمامة وضمير كفته
للحمامة يجوز عوده على ما ويجوز عوده الى النبى ويكون العامل محذ وفا
اى ما كفته الحمامة اياه والحصداء صفة للحمامة وجملة واختفى بها
على جملة آواه غار ويجوز عطفها على جملة اخرجوه ومنهم متعلق
باختفى وعلى يجوز ان تكون بمعنى مع اى مع قرب عهد كقوله تع
ودخل المدينة على حين غفلة وقرب مضاف الى مرأة وقوله من
شدة الظهور الخفاء جملة من مبتدأ وخبر متضمنة لبيان حكمة
اختفائه المعنى انه بعد ما قرر تصديق غير العقلاء به بل الجمادات
اخذ فى ذم من اضله الله تعالى من الامة المدعوة والتعجيب
من صنيعهم والتنديم لهم على ما صنعوه من جفوتهم له بسبب
ما جاءهم به من الآيات والنذر مع مشاهدتهم ما الف من وحوش
الفلاء التى تنفر بطبعها عن البشر كالضباب والظباء وبعد
خواطرهم بالسلو عنه والنفرة منه مع حنين الجذع الذى لا روح
فيه ولا فهم له ولا عقل اليه لما فارقه بعد ان كان يستند اليه
وقلاهم اياه وبغضهم له مع كونه من خلقتهم ونشا فيهم وود
الغرباء الذين لم ينشا بينهم ولا كانوا يعرفونه قبل ولا يشاهدون
اوصافه الجميلة من صغره الى كبره واخراجهم له من ارضه التى ولد
فيها هو وآباؤه ونشاؤا فيها وتطلبهم له فى الغار لما فقدوه وان
الله تعالى حفظه منهم بالعنكبوت وبالحمامة لظنهم انه لا يدخله
مع وجودهما وانه اختفى بالغار منهم وسلم بذلك مما ارادوه به
من الكيد وكان اختفاؤه منهم مع قرب مرآة منهم بحيث
كانت اقدامهم فوق راسه وراس الصديق بحيث ان احدهم
لو نظر الى تحت قدميه لرآهما كما قال الصديق على ما سنذكره
وقوله من شدة الظهور الخفاء يجوز ان يقرر بان خفاءه
عنهم بالغار بالعنكبوت والحمام مع قرب مرآة منهم نشا من
شدة ظهوره عليهم الذى وعده الله به ويجوز ان يقرر بان
خفاءه عليهم تولد من قرب مرآهم له كما ان الشئ اذا وضع

قربا

قربا من الحدقة الباصرة قربا زائدا لا يبصره الباصر الا ان هذا
الامر فى الحدقة من العادات وفى مثل هذا من خوارق العادات
نعنى قد يكون قرب المرأى من موانع الرؤية قال الشيخ
ابو الحسن الشاذلى حقيقة القرب ان تغيب فى القرب عن القرب
لعظيم القرب كمن يشم رائحة المسك فلا يزال يدنو وكلما دنا منها
تزايد ريحها فلما دخل البيت الذى هو فيه انقطعت رائحته عنه

وانشد بعض العارفين

كم ذا اموه بالشعبين والعلم ... والامر اوضح من نار على علم
اراك تسال عن نجد وانت بها ... وعن تهامة هذا فعل متهم

قال الشيخ شهاب الدين بن عطاء الله ووجدت بخط شيخنا ابى العباس رضى الله عنه

اعندكم عن ليلى حديث محرر ... بايراده يحيى الرميم وينشر
فعهدى بها العهد القديم وانني ... على كل حال من هواها مقصر
وقد كان عنها الطيف قدما يزور ... ولما تنزها باله يتعذر
فهل بخلت حتى بطيف خيالها ... ام اعتل حتى لا يصح التصور
وعن وجه ليلى طلعة الشمس تستضى ... وفى الشمس ابصار الورى تتحير
وما احتجبت الا برفع حجابها ... ومن عجب ان الظهور تستر

وقد اشار المصنف الى اشياء من معجزاته فمنها كلام الضب وشهادته
له بالرسالة • وذلك ان اعرابيا صاد ضبا ثم جاء المسجد والنبى
صلى الله عليه وسلم فى محفل من اصحابه فقال من هذا قالوا رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقال واللات والعزى لا او من بك حتى
يؤمن بك هذا الضب وطرحه بين يدى النبى صلى الله عليه وسلم
فقال النبى صلى الله عليه وسلم يا ضب فاجابه الضب بلسان
يسمعه الحاضرون لبيك وسعديك يا زين من وافى القيامة
قال من تعبد قال الذى فى السماء عرشه وفى الارض سلطانه
وفى البحر سبيله وفى الجنة رحمته وفى النار عقابه فقال من انا
فقال رسول رب العالمين وخاتم النبيين وقد افلح من صدقك
وخاب من كذبك فاسلم الاعرابى • ومنها قصة الظبى وذلك

فيما روته ام سلمة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
في صحراء فنادته ظبية يا رسول الله فقال ما حاجتك قالت
صادني اعرابي ولي خشفان في ذلك الجبل فاطلقني حتى اذهب
فارضعهما وارجع قال وتفعلين قالت نعم قالت فاطلقها
فذهبت ورجعت فاوثقها فانتبه الاعرابي وقال يا رسول الله
الك حاجة قال تطلق هذه الظبية فاطلقها فخرجت تعدو في
الصحراء وتقول اشهد ان لا اله الا الله وانك رسول الله
ومنها قصة حنين الجذع اليه صلى الله عليه وسلم وهي مشهورة
بل وصلت الى التواتر كما قال القاضي عياض قال وقد رواها
عن النبي صلى الله عليه وسلم بضعة عشر صحابيا فمن حديث انس
قال كان المسجد مسقوفا على جذوع النخل فكان النبي صلى الله
عليه وسلم اذا خطب يقوم على جذع منها فلما صنع له المنبر سمعنا
لذلك الجذع صوتا كصوت العشار وفي رواية لانس حتى ارتج
المسجد بخواره وفي رواية المطلب حتى تصدع وانشق حتى
جاء النبي صلى الله عليه وسلم فوضع يده عليه فسكت وفي روا ية
انه صلى الله عليه وسلم قال ان هذا بكى لما فقد من الذكر وفي روا ية
والذي نفسي بيده لو لم التزمه لم يزل هكذا الى يوم القيمة تحزنا
على رسول الله صلى الله عليه وسلم • ومنها قصة الغار وهي
في الصحيح وهو نقب باعلى جبل ثور خارج مكة لبث فيه النبي
صلى الله عليه وسلم ومعه الصديق رضي الله عنه ثلاث ليال مختفيين
من الكفار رجاء ان ينقطع طلب الكفار لهما ثم ان الكفار جاؤا في
طلبهما الى الغار المذكور فسترهما الله تعالى بتعشيش الحمام والعنكبوت
فكانت ارجل الكفار فوق رؤسهما فقال الصديق للنبي صلى الله عليه وسلم
لو نظر احدهم الى قدميه لابصرنا فقال النبي صلى الله عليه وسلم له
ما ظنك باثنين الله ثالثهما واشار صلى الله عليه وسلم الى قوله تعالى
ثاني اثنين اذ هما في الغار اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا
ولما انجر الكلام من ذكر قصة الغار الى ذكر الهجرة الشريفة اخذ يذكرها

ونحا

ونحا المصطفى المدينة واشتا … قت اليه من مكة الانحاء
وتغنت بمدحه الجن حتى … اطرب الانس منه ذاك الغناء
واقتفى اثره سراقة فاستهـ … ـوته في الارض صافن جرداء
ثم ناداه بعد ما سيمت الخسـ … ـف وقد ينجد الغريق النداء
فطوى الارض سائرا والسموا … ت العلى فوقها له اسراء

اللغة نحا المدينة اي قصدها والمراد طيبة التي طيبها الله بهجرته
اليها والشوق والاشتياق نزاع النفس الى الشي والمراد من
الانحاء الجهات والجوانب ومكة ام القرى وهي مولده صلى
الله عليه وسلم وتغنى وغنى بمعنى غناء بالمد والمدح الثناء
الحسن والجن خلاف الانس وقد تقدم والطرب خفة
تصيب الانسان لشدة حزن او سرور والانس البشر والواحد
انسي وانسي بالتحريك والجمع اناسي واقتفى تبع وقفوت
اثره قفوا اي تبعته وسراقة هو ابن مالك بن جعشم وسياتي
خبره وهوى بالفتح يهوي هويا اي سقط واستهوته اي طلبت
ان تهوي به في الارض والصافن من الخيل هو الذي يقوم على
ثلاث قوائم ويقيم الرابعة على طرف الحافر تقول صفن الفرس
يصفن صفونا والجرداء اذا رقت شعرته وقصرت وهي صفة
مدح وناداه ندا ومناداة اي صاح به وسيمته خسفا بالفتح و
خسفا بالضم اي اوليته ذلا ويقال كلفه المشقة والذل وطويت
الشي طيا فانطوى والمراد منه سرعة السير وسائر اسم فاعل
من سار يسير سيرا ومسيرا وسريت واسريت اذا سرت ليلا
ويقال سراه واسرى به الاعراب ونحا المصطفى المدينة
جملة فعلية اما معطوفة على ما قبلها او مستانفة واشتاقت
الانحاء فعلية ايضا معطوفة على ما قبلها واليه متعلق باشتاقت
ومن مكة حال من الانحاء مقدمة على صاحبها وتغنت الجن فعلية
ايضا يجوز فيها العطف ايضا وبمدحه متعلق بتغنت وحتى
ابتدائية لدخولها على الماضي وقيل في هذه الحالة يجوز ان تكون

جارة وان مقدرة اى الى ان اطربت والانس مفعول وذاك
فاعل والغناء صفته والضمير فى منه عائد على الجن فمن ابتدا ثية
ويجوز جعل الضمير للنبى صلى الله عليه وسلم او للمدح ومن
سببية اى حين اطرب الجن بسبب الممدوح او بسبب المدح
واقتفى سراقة فعلية ايضا معطوفة على ما قبلها واثره مفعول
به والفاء فى استهوته سببية وفى الارض متعلق باستهوته
وصافن فاعل استهوته وجرداء صفتها وثم حرف عطف
يفيد تراخى المعطوف عن المعطوف عليه وناداه جملة معطوفة
وفاعلها ضمير يعود على سراقة وبعد ظرف زمان مؤكد لمعنى ثم
وما مصدرية وسيمت الخسف صلتها اى بعد سامة الخسف
للفرس اى بعد حصول الذل للفرس المذكور وقد ينجد الغريق
النداء جملة فعلية مستانفة كالسبب لما قبلها والارض
مفعول لطوى وسايرا حال وفاعل هو ضمير يعود على النبى
صلى الله عليه وسلم والسموات مبتدأ والعلى نعت له وله
اسراء فى محل جملة واقعة خبرا عن السموات المعنى ان المصطفى
صلى الله عليه وسلم لما خرج من الغار قصد صوب المدينة الشريفة
وصحبته الصديق رضى الله عنه ولما فارق مكة عظم شوقها
اليه وشوق المؤمنين من اهلها جنا وانسا حتى تغنت الجن
المؤمنون بمدحه وسمع الانس المؤمنون من الجن ذلك وطربوا
به غاية الطرب لما سمعوا من اوصافه الجميلة ولما سار النبى
صلى الله عليه وسلم والصديق الى المدينة تبعهما سراقة فغاصت
به قوايم فرسه فى الارض فاستغاث بهما فانجدته استغاثته
بهما فنهضت به وقد يحصل للغريق الخلاص من الغرق بالدعاء
قال الله تعالى وذا النون اذ ذهب مغاضبا فظن ان لن نقدر
عليه فنادى فى الظلمات ان لا اله الا انت سبحانك انى كنت
من الظالمين فاستجبنا له ونجيناه من الغم وكذلك ننجى
المؤمنين ثم استمر النبى صلى الله عليه وسلم سايرا الى المدينة

وصحبته

وصحبته الصديق رضى الله عنه والارض تطوى لهما ببركته صلى الله عليه
وسلم وهذا كما انه قبل ذلك اسرى به فى طرق السموات الى ان جاوزها
جميعها وكان قاب قوسين او ادنى فظهر عظيم قدره فى سيره واسرا ئه
وشرفه الله تعالى على الخلق اجمعين فى ارضه وسمائه وقد اشار المصنف
رحمه الله تعالى الى طرف من الهجرة الشريفة على مشرفها افضل الصلاة
والسلام فلا باس بذكر شىء مما فى الصحيح من ذلك روى البخارى
عن النبى صلى الله عليه وسلم قال رايت فى المنام انى اهاجر من
مكة الى ارض بها نخل فذهب وهلى الى انها اليمامة او هجر فاذا هى
المدينة يثرب وروى ايضا عن عايشة رضى الله عنها انها
قالت بينما نحن جلوس فى بيت ابى بكر فى نحر الظهيرة قال قائل
لابى بكر هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم قال والله ما جاء به الا
حاجة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قد اذن لى فى الخروج
فقال ابو بكر الصحبة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم
قال ابو بكر فخذ احدى راحلتى قالت عايشة فجهزناهما احث الجهاز
ثم لحق رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو بكر بغار فى جبل ثور
فمكثا فيه ثلاث ليال يبيت عندهما عبد الله بن ابى بكر ثم يدلج من
عندهما بسحر فيصبح مع القوم فلا يسمع شيئا يكادان به الا
وعاه حتى ياتيهما بخبر ذلك حين يختلط الظلام واستاجرا
هاديا ودفعا اليه راحلتيهما وواعداه غار ثور بعد ثلاث
فجاء اليهما وانطلقا معه ومعهما عامر بن فهيرة مولى ابى بكر
فاخذ بهم طريق السواحل فتبعهم سراقة فلما دنا منهم عثرت
به فرسه فخر عنها ثم ركبها وقرب منهم قال فسمعت قراءة رسول
الله صلى الله عليه وسلم وهو لا يلتفت وابو بكر يكثر الالتفات
فساخت يدا فرسه حتى بلغتا الركبتين فخر عنها ثم زجرها
فنهضت فلم تكد تخرج يديها قال ثم ركبتها وناديتهم بالامان
فوقفوا ووقع فى نفسى اذ لقيت ما لقيت من الحبس عنهم ان
سيظهر امر رسول الله صلى الله عليه وسلم فسالته ان يكتب لى كتابا

أتى فأمر عامر بن فهيرة فكتب في رقعة من أدم وسمع المسلمون بالمدينة
بمخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فكانوا يغدون كل غداة
الى الحرة فينتظرونه حتى يردهم حر الظهيرة فانقلبوا يوما
بعد ما اطالوا انتظارهم فلما أووا الى بيوتهم اوفى رجل من يهود
على أطم من آطام المدينة لامر ينظر اليه فبصر برسول الله صلى
الله عليه وسلم واصحابه فنادى باعلى صوته يا معشر العرب هذا
جدكم الذي تنتظرونه فثار المسلمون الى السلاح فتلقوا رسول
الله صلى الله عليه وسلم بظهر الحرة فعدل بهم ذات اليمين حتى
نزل في بني عمرو بن عوف ۞ واما ما اشار اليه من غناء الجن
الذي طربت به مؤمنوا الانس فمن جملته ما روى عن سواد
ابن قارب وقد ذكره ابن هشام في سيرته وذلك ان عمر بن
الخطاب رضي الله عنه قال له اخبرني بانبائك رئيك بظهور
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نعم يا امير المؤمنين بينا انا
ذات ليلة بين النايم واليقظان اذ اتاني رئيي فضربني برجله
وقال قم يا سواد بن قارب واعقل ان كنت تعقل انه قد بعث رسول
من لوي بن غالب يدعو الى الله عز وجل والى عبادته ثم انشا يقول

عجبت للجن وتطلابها • وشدها العيس باقتابها
تهوي الى مكة تبغي الهدى • ما صادق الجن ككذابها
فارحل الى الصفوة من هاشم • ليس قداماها كاذنابها

فقلت دعني انام فاني امسيت ناعسا فلما كانت الليلة الثانية
اتاني فضربني برجله ثم قال مثل ما قال في الليلة التي مضت ثم انشا يقول

عجبت للجن وتخبارها • وشدها العيس باكوارها
تهوي الى مكة تبغي الهدى • ما مؤمن الجن ككفارها
فارحل الى الصفوة من هاشم • بين روابيها واحجارها

قال فقلت دعني انام فاني امسيت ناعسا فلما
كانت الليلة الثالثة اتاني فضربني برجله ثم قال مثل ما
قال في الليلتين اللتين مضتا ثم انشا يقول

عجبت

عجبت للجن وتحساسها • وشدها العيس باحلاسها
تهوي الى مكة تبغي الهدى • ما خير الجن كانجاسها
فارحل الى الصفوة من هاشم • واسم بعينيك الى راسها

قال فقمت فرحلت ناقتي ثم اتيت المدينة فاذا رسول الله
صلى الله عليه وسلم واصحابه حوله فدنوت فقلت اسمع مقالتي
يا رسول الله فقال هات فانشات اقول

اتاني نجيي بعد هدء ورقدة • ولم يك فيما قد بلوت بكاذب
ثلاث ليال قوله كل ليلة • اتاك رسول من لوي بن غالب
فشمرت من ذيلي الازار ووسطت • بي الذعلب الوجناء بين السباسب
فاشهد ان الله لا رب غيره • وانك مأمون على كل غائب
وانك ادنى المرسلين وسيلة • الى الله يا ابن الاكرمين الاطايب
فمرنا بما ياتيك يا خير مرسل • وان كان فيما جاء شيب الذوائب
وكن لي شفيعا يوم لا ذو شفاعة • سواك بمغن عن سواد بن قارب

قال ففرح رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه بمقالتي
فرحا شديدا حتى روي الفرح في وجوههم قال فوثب اليه
عمر بن الخطاب رضي الله عنه فالتزمه وقال قد كنت اشتهي
ان اسمع هذا الحديث منك فهل ياتيك رئيك اليوم
قال اما منذ قرات القرآن فلا ونعم العوض كتاب الله من الجن

وصفا الليلة التي كان للمختار فيها على البراق استواء
وترقى به الى قاب قوسين • وتلك السيادة القعساء
رتب تسقط الاماني حسرى • دونها ما وراءهن وراء
ثم وافى يحدث الناس شكرا • اذ اتته من ربه النعماء

اللغة وصف الشيء ذكر ما فيه من الصفات والليلة واحدة
الليل والبراق اسم للدابة التي ركبها النبي صلى الله عليه وسلم
ليلة المعراج والاستواء الاستقرار يقال استوى على ظهر دابته
اي استقر والترقي والرقي الصعود والقاب من القوس ما بين
المقبض والسية ولكل قوس قابان ومن ثم قال بعضهم ان الاصل

في الآية قاب قوسين فقلب وتلك اسم اشارة للبعيدة والقعساء تانيث
الاقعس من قولهم ليل اقعس اى لايبرح وعزة قعساء اى ثابتة ورجل
اقعس اى منيع وهذه السيادة ثابتة لاتبرح وهي منيعة لم يصل
اليها غيره والرتب جمع رتبة وهي المنزلة كالمرتبة والاماني جمع امنية
من قولهم تمنيت الشيء ومنيت غيري تمنية وحسرى جمع حسير
كقتلى وقتيل من قولهم حسر البعير اعيى والورى ظرف بمعنى خلف
تارة وبمعنى قدام اخرى اى تسقط الاماني دون هذه الرتب
بحيث لايبقى منها باقية يكون لها ادنى تعلق بشيء من هذه الرتب
والنعمة ما أنعم به عليك وكذلك النعمى مقصورا مضموما و
النعماء مفتوحا ممدودا **الاعراب** نصف الليلة جملة فعلية
وفاعل الفعل ضمير المخاطب المستتر وجوبا والتي صفة الليلة وهي
موصول صلته جملة كان واسمها وهو استواء وخبرها وهو على البراق
للمختار متعلق باستواء وضمير فيها هو العائد وجملة وترقى به
معطوفة على جملة الصلة وفاعل ترقى ضمير البراق الى قاب قوسين
متعلق بترقى وتلك مبتدأ وهو اشارة الى هذه الرتبة التي حصلت له
بسبب الترقي الى هذه الغاية وهي السيادة التي اختص بها وامتنعت
على غيره فان القعساء صفة السيادة ورتب خبر مبتدأ محذوف
اى هذه رتب وحسرى حال من الفاعل وهو الاماني والضمير في دونها
يعود على الرتب ويجوز تقديرها حالا ثانية ويجوز تقديرها ظرفا
لتسقط وهو احسن اى تسقط الاماني قبل ان يصل الى شيء من هذه
الرتب وجملة ماوراءهن وراء حال من فاعل حسرى وهي حال مؤكدة
لمعنى السقوط المذكور ثم حرف عطف يفيد التراخي وفاعل وافى
ضمير يعود على المختار ويحدث الناس جملة في موضع الحال منه وشكرا
تمييز وحال من فاعل يحدث واذ تعليلية اى شكرا لاتيان النعمة
العظيمة التي لانعمة فوقها من ربه اليه والنعماء فاعل اتت
ومن ربه متعلق باتت والهاء في اتته مفعوله **المعنى** صف يا ايها
المخاطب ليلة معراجه الشريف صلى الله عليه وسلم بما يمكنك من الوصف

ولا يمكن ان تأتي بوصف يحيط بجميع تفصيلها فانه صلى الله عليه وسلم
استقر فيها على ظهر البراق وعرج به الى السموات السبع الى سدرة
المنتهى الى مقام قاب قوسين وهذه سيادة لم تحصل لغيره من
الانبياء وان حصلت لهم السيادات العظيمة فهذه السيادة
بخصوصها ممتنعة على غيره لا تتوجه اماني غيره الى شيء منها
بل تسقط كل امنية دونها فلا تبقى منها باقية يتوجه لها ادنى
توجه الى شيء من هذه الرتب التي حصلت بسببها هذه السيادة
ثم انه صلى الله عليه وسلم في صبيحة تلك الليلة العظيمة اقبل
على الناس يحدثهم بما اوتيه من هذه الرتب الشريفة شكرا
لربه تعالى على ما اولاه منها لقوله تعالى واما بنعمة ربك
فحدث وقد زاد في هذه الابيات الاربعة على ما اشتملت عليه
ابيات البردة وهي تسع لطائف كثيرة يظهرها التامل مع طول
تلك الابيات حيث كانت من البسيط الذي هو ثمانية اجزاء وقصر
هذه حيث كانت من الخفيف الذي هو ستة اجزاء • ولنذكر من حديث
المعراج شيئا على وجه التبرك فانه اشهر من ان يذكر ففي مسلم
من حديث انس رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال أتيت بالبراق وهو دابة ابيض طويل فوق الحمار ودون البغل
يضع حافره عند منتهى طرفه قال فركبته حتى أتيت بيت المقدس
فربطته بالحلقة التي يربط فيها الانبياء ثم دخلت المسجد فصليت به
ركعتين ثم خرجت فجاءني جبريل عليه السلام باناء من خمر واناء من
لبن فاخترت اللبن فقال جبريل اخترت الفطرة ثم عرج بي الى
السماء فاستفتح جبريل فقيل من انت فقال جبريل قيل ومن
معك قال محمد قيل وقد بعث اليه قال وقد بعث اليه ففتح لنا
فاذا انا بآدم صلى الله عليه وسلم فرحب بي ودعا لي بخير ثم عرج
بنا الى السماء الثانية فاستفتح جبريل فقيل من انت قال جبريل
فقيل ومن معك قال محمد قيل وقد ارسل اليه قال قد ارسل اليه
ففتح لنا فاذا انا بابني الخالة عيسى بن مريم ويحيى بن زكريا صلى

الله عليه وسلم فرحب بي ودعوا لي بخير ثم عرج بي الى السماء الثالثة
فذكر مثل الاول ففتح لنا فاذا انا بيوسف صلى الله عليه وسلم فاذا هو
قد اعطى شطر الحسن فرحب بي ودعا لي بخير ثم عرج بي الى السماء
الرابعة وذكر مثل ذلك فاذا انا بادريس عليه السلام فرحب بي
ودعا لي بخير قال فقال الله تعالى ورفعناه مكانا عليا ثم عرج بي
الى السماء الخامسة فذكر مثله فاذا انا بهارون عليه الصلاة والسلام
فرحب بي ودعا لي بخير ثم عرج بي الى السماء السادسة فذكر مثله
فاذا انا بموسى عليه الصلاة والسلام فرحب بي ودعا لي بخير ثم عرج بي
الى السماء السابعة فذكر مثله فاذا انا بابرهيم عليه الصلاة والسلام
مسندا ظهره الى البيت المعمور واذا هو يدخله كل يوم سبعون الف
ملك لا يعودون اليه ثم ذهب بي الى سدرة المنتهى واذا اوراقها
كآذان الفيلة واذا ثمرها كالقلال فلما غشيها من امر الله ما غشي
تغيرت فما احد من خلق الله تعالى يستطيع ان ينعتها من حسنها فاوحى
الله الي ما اوحى ففرض علي خمسين صلوة في كل يوم وليلة فنزلت
الى موسى فقال ما فرض على امتك فقلت خمسين صلوة قال ارجع
الى ربك فسأله التخفيف فان امتك لا يطيقون ذلك فاني
قد بلوت بني اسرائيل وخبرتهم قال فرجعت الى ربي فقلت يا رب
خفف عن امتي فحط عني خمسا فرجعت الى موسى فقلت حط عني
قال ان امتك لا يطيقون ذلك فارجع الى ربك فاسأله التخفيف
قال فلم ازل ارجع بين ربي تعالى وبين موسى حتى قال يا محمد
انهن خمس صلوات كل يوم وليلة لكل صلوة عشر فتلك خمسون
صلوة ومن هم بحسنة ولم يعملها كتبت له حسنة فان عملها
كتبت عشرا ومن هم بسيئة ولم يعملها لم يكتب عليه شيئا فان عملها
كتبت سيئة واحدة قال فنزلت حتى انتهيت الى موسى فاخبرته
فقال ارجع الى ربك فسأله التخفيف فقال النبي صلى الله عليه
وسلم فقلت قد رجعت الى ربي حتى استحييت منه

وتحدى فارتاب كل مريب … او يبقى مع السيول الغثاء

وهو يدعو الى الاله وان شق عليه كفر به وازدراء
ويدل الورى على الله بالتو … حيد وهو المحجة البيضاء
فبما رحمة من الله لانت … صخرة من اباتهم صماء
واستجابت له بنصر وفتح … بعد ذاك الخضراء والغبراء
واطاعت لامره العرب العر … باء والجاهلية الجهلاء
وتوالت للمصطفى الاية الكبرى عليهم والغارة الشعواء
واذا ما تلا كتابا من الله تلته كتيبة خضراء

اللغة تقول تحديت فلانا اذا نازعته الفعل ونازعته الغلبة وفي
الاصطلاح ما اراده المصنف وهو عبارة عن طلب المعارضة من النبي
صلى الله عليه وسلم فيما جعله شاهد الدعواه وتعجيز الغير عن الاتيان
بمثل ما ابداه والريب ما رابك من امر والاسم الريبة وهي التهمة والشك
والغثاء هو ما يحمله السيل مما يخف من النبات والسيول جمع سيل ودعوت
فلانا صحت به واستدعيته والاله هو المعبود بحق وهو الله تعالى
وشق عليه الامر حصل له منه مشقة والكفر خلاف الايمان والازدراء
الاحتقار ودله يدل له دلالة ودلالة ودلولة والدليل الهادي
والورى الخلق والتوحيد الاقرار بوحدانية الله تعالى والالهية
والمحجة جادة الطريق والبيضاء يريد بها الواضحة التي لا اشتباه
فيها والرحمة في الاصل الرقة والتعطف والمراد بها هنا اللطف
والاحسان لاستحالة المعنى الاصلي واللين خلاف الخشونة والمراد
به هنا انقيادهم والصخرة واحدة الصخور وهي الحجارة العظيمة و
الاباء الامتناع وحجر صم اي صلب وصخرة صماء اي صلبة واستجاب
واجاب بمعنى وهو الطاعة والفتح النصر والخضراء السماء والغبراء
الارض واطاعت انقادت يقال امره فاطاعه والامر واحد الاوامر
وهو القول الطالب للفعل والعرب جيل من الناس والنسبة اليهم عربي
من العروبة قال الجوهري وهم اهل الامصار والعرب العاربة هم
الخلص منهم قال وربما قالوا العرب العرباء والعرب المستعربة الذين
ليسوا بخلص والجاهلية الجهلاء الثاني تاكيد للاول من لفظه كليل اليل

ومن عرباء والتوالي التتابع ويقال اغار على العدو اغارة والاسم
الغارة والغارة الشعواء الفاشية المتفرقة والكتاب المراد به
القرآن وتلا الشيء تبعه وتلا الكتاب قرأه والكتيبة بالمثناة
الجيش والخضراء التي يعلوها سواد الحديد ومن عكسه وهو اطلاق
الاسود على الاخضر سواد العراق الاعراب جملة وتحدى معطوفة
على جملة واتى وفاعل تحدى ضمير يعود على النبي صلى الله عليه وسلم
اى تحدى بما اخبرهم به من امر الاسراء والمعراج وجملة فارتاب
كل مريب معطوفة على ما قبلها والفاء سببية وكل فاعل ومريب
مضاف اليه والهمزة للاستفهام الانكاري ومعناه النفي ويبقى
معطوف على محذوف اى اتضح ما ذكر ولم يبق مع السيول الغثاء
اى ان ما خف من النبات لا يبقى موجوداً مع السيول بل يذهب به
ويتهلك واستعار السيول للآيات العظيمة التي يشاهدها الكفار
واستعار الغثاء لانكارهم مع وجود تلك الآيات والمعنى لا يصح
انكارهم مع وجود هذه الآيات كما لا يبقى الغثاء مع السيول الجارفة
والغثاء فاعل يبقى ومع السيول حال منه وجملة وهو يدعو حال من فاعل
تحدى والمفعول محذوف اى يدعو الناس الى طاعة الله تعالى والى الا
متعلق بيدعو وشق فعل الشرط وعليه متعلق به وكفر فاعل شق
وان دراء معطوف على كفر وجواب الشرط محذوف لما دل عليه سابقاً
قيل دائه وهو قوله وهو يدعو الى الاله اى وان شق يدعو وجملة
ويدل معطوف على يدعو والفاعل ضمير يعود عليه صلى الله عليه وسلم
والورى مفعول وعلى الله متعلق بيدل والباء في بالتوحيد متعلق
بيدل والكلام على حذف مضاف اى بطلب التوحيد وهو يعود
على التوحيد والمحجة خبر والبيضاء صفة المحجة اى والتوحيد هو الطريق
الواضحة الى الله تعالى اى الى رضاه وطاعته وما في قوله فبما رحمة زائدة
اى فبرحمة من الله تعالى ولانت هو العامل في قوله فبما رحمة وصخرة
فاعل لانت ومن اباتهم صفة صخرة وصماء كذلك ومن بيانية اى
زال امتناعهم ودخلوا في الطاعة واستعار الصخرة الصماء لابائهم

وتصميمهم

وتصميمهم على الكفر وجملة واستجابت له الخضراء عطف على جملة لانت صخرة
وله متعلق باستجابت والباء في بنصر يجوز ان تكون بمعنى مع ويجوز ان
تكون للاستعانة وذلك اشارة الى الاباء المصمم السابق منهم والمراد
من استجابة السماء والارض استجابة اهلهما وحينئذ فقوله واطاعت
لامره العرب الى آخره من ذكر الخاص بعد العام لقوة تصميم الطائفتين
على الكفر دون غيرهما من الناس والجملة معطوفة على جملة واستجابت له
الخضراء والغبراء وللمصطفى متعلق بتوالت وفاعله الآية الكبرى وعليهم
متعلق بتوالت والغارة الشعواء معطوف على الآية الكبرى اى تتابع
على هذين الفريقين العرب العرباء والجاهلية الجهلاء الآيات والغارات
وما في قوله واذا ما زائدة وتلا فعل الشرط وفاعله ضمير المصطفى وكتاباً
مفعوله ومن الله صفة كتاباً وتلته جواب الشرط وكتيبة فاعله وخضراء
صفتها وقابل المصنف في هذه الابيات بين لانت وبين صماء وبين
الخضراء والغبراء وراعى الجناس في العرب العرباء والجاهلية الجهلاء
وبين الكتاب والكتيبة وبين تلا وتلته وفيه الاقتباس ايضاً •
المعنى انه صلى الله عليه وسلم لما شرفه الله تعالى بمعجزتي الاسراء
والمعراج واخبر قومه بهما وتحداهم بهما وبغيرهما من المعجزات السابقة
عليهما ارتاب من في قلبه ريب وشك منهم وذلك الارتياب مع
ما شوهد من الدلائل والمعجزات الظاهرة والآيات الباهرة
كغثاء اتت عليه السيول العظيمة فكما لا بقاء له معها كذلك ريبهم
وشكهم لولا الخذلان نسأل الله تعالى العافية وهو مع انكارهم
وارتيابهم لا يفتر عما امر به من ذلك الابلاغ والانذار ويتحمل
لذلك ما يتجشمه من مشقة انذارهم وعظيم كفرانهم وما تداخل
من الازدراء بالشريعة صابراً عليه قائماً باظهار حجج الله تعالى عليهم
وتنفيذ اوامر الله تعالى فيهم ويهديهم لذلك بابين طريق واوضح
منال وهو توحيده تعالى ولم يزل صلى الله عليه وسلم قائماً بوظيفة
الابلاغ صابراً على ما ينا له من الاذى حتى لانت خواطر من اراد
الله له منهم الهداية بعد تمكن القسوة الشديدة الهائلة وكان ذلك

لهم رحمة من الله تعالى ببركة لينه لهم والى ذلك يشير قوله تعالى فبما رحمة من الله لنت لهم وكان الناظم انما قال فبما رحمة من الله لانت صخرة الى آخره اشارة الى ذلك وانما حصل فيهم ذلك بعد تلك القسوة ببركة لينه لهم صلى الله عليه وسلم ثم لم يزل اللين يتزايد فيهم الى ان استجابت له بالنصر والفتح اهل السماء والارض واطاعته فى جميع ما جاء به العرب العرباء والمستعربة والجاهلية الجهلاء الذين كان يستبعد ذلك منهم غاية الاستبعاد لما توالى عليهم من الآيات الباهرة والغارات القاهرة ثم صار لكثرة المسلمين لاسيما يوم الفتح اذا تلى القرآن ازدحمت الكتائب على استماعه وتوجهت الى سماعه وفى البخارى من حديث عبد الله بن معقل سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة على ناقته وهو يقرأ سورة الفتح ويرجع وقال لولا ان يجتمع الناس حولى لرجعت كما رجع انتهى ٠

وكفاه المستهزئين وكم سا ... ء نبيا من قومه استهزاء

ورماهم بدعوة من فناء الـ ... ـبيت فيها للظالمين فناء

خمسة كلهم أصيبوا بداء ... والردى من جنوده الادواء

فدهى الاسود بن مطلب اى ... عمى ميت به الاحياء

ودهى الاسود بن عبد يغوث ... ان سقاه كأس الردى استسقاء

واصاب الوليد خدشة سهم ... قصرت عنها الحية الرقطاء

وقضت شوكة على مهجة العا ... صى فلله النقعة الشوكاء

وعلى الحارث القيوح وقد سا ... ل بها رأسه وساء الوعاء

خمسة طهرت بقطعهم الار ... ض فكف الاذى بهم شلاء

اللغة الهزء والهزؤ السخرية تقول هزأت منه وهزأت به وتهزأت به واستهزأت به استهزاء فانا مستهزئ والمستهزؤن جمع سلامة وكفاه مؤنة الشئ كفاية يكفيه وساءه يسوءه سوءا ومساءة نقيض سره وفناء البيت ما امتد من جوانبه والجمع افنية وفنى الشئ فناء وافناه غيره وتفانوا اى افنى بعضهم بعضا فى الحرب ورماهم بدعوة اصابهم بها والظالمين جمع ظالم

والظلم

والظلم اصله وضع الشئ فى غير محله والداء المرض والجمع ادواء والردى الهلاك وردى بالكسر يردى ردى هلك يقال دهته داهية دهوا ودهيا والداهية الامر العظيم ودواهى الدهر ما يصيب الانسان من عظيم نوبه والاسود بن المطلب بن اسد وهو من بنى اسد بن عبد العزى اى عمى اى حصل له عمى عظيم كانه فى بصره وبصيرته لان بعض من يعمى بصره تكون بصيرته صادقة والاسود بن عبد يغوث من بنى زهرة لانه ابن عبد يغوث بن وهب بن عبد مناف بن زهرة ويغوث اسم صنم والاستسقاء من سقى بطنه واستسقى بمعنى اى اجتمع فيه ماء اصفر والوليد من بنى مخزوم لانه الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم وخدشه السهم اى جرحه وقد كان ذلك باسفل كعب رجله وكان اصابه قبل ذلك بسنين من شخص فى يده نبل والحية الافعى والرقطاء التى يشوب سوادها نقط بياض والعاصى بن وائل السهمى لانه ابن وائل بن هشام بن سعد بن سهم دخلت فى اخمص رجله شوكة فقتلته والشوكة واحدة الشوك وشجر شائك اى ذو شوك ويقال بردة شوكاء اى خشنة المس والنقعة كانها المرة من قولهم نقعت النقيعة وانتقعت اى نحرت ويقال الناس نقائع الموت اى انه يجزرهم كما يجزر النقيعة والحارث مولى الطلاطلة والقيح المدة لا يخالطها دم امتلأ بها رأسه وصار وعاء لها وسال حتى قتله وهؤلاء الخمسة المذكورون طهرت الارض بهلاكهم والكف واحد الاكف والاذى مصدر آذاه يؤذيه والشلاء عادمة الحركة

الاعراب جملة وكفاه المستهزئين معطوفة على جملة وتوا والفاعل ضمير يعود على الاسم الكريم لسبقه او للعلم به والمستهزئين مفعول به وكم خبرية ومميزها محذوف اى وكم مرة والمعنى مرات كثيرة ساء الانبياء الاستهزاء من اتباعهم واستهزاء فاعل ساء ونبيا مفعوله ومن قومه متعلق باستهزاء ورماهم الجملة معطوفة على ما قبلها والفاعل ضمير النبى وهم مفعول وبدعوة متعلق برماهم

ومن فناء البيت متعلق بما هم ويكون من لابتداء الغاية او بدعوة
ويكون من بمعنى فى وعلى هذا فمن فناء البيت صفة لدعوة وفيها
حال من دعوة والضمير المجرور بفى يعود عليها وفناء مرفوع بفيهما
ويجوز جعل فناء مبتدأ وفيها الخبر وللظالمين متعلق بفناء
والجملة صفة دعوة خمسة خبر مبتدأ محذوف اى المتهزون خمسة
وكانه يريد الذين هلكوا بدعوة النبى صلى الله عليه وسلم والا فقد
ضم اليهم عمه ابو لهب وزوجته وعقبة بن ابى معيط والحكم بن
ابى العاص وكلهم مبتدأ واصيبوا جملة فعلية وقعت خبرا عن المبتدأ
وبداء متعلق باصيبوا والردى مبتدأ ومن جنوده الادواء مبتدأ
وخبر والجملة خبر المبتدأ الاول ويصح ان يكون الادواء فاعلا
بقوله من جنوده والجملة خبره وهى ان الادواء المذكورة ادت
بهم الى الهلاك فدهى الفاء تفصيلية لقوله كلهم اصيبوا والاسود
مفعول دهى وابن مطلب صفة الاسود واى عمى فاعل الفعل
وعمى مضاف اليه وقوله اى يفيد انه عظيم فى جنسه لما شمله من
عمى البصيرة على ما ذكرنا وجملة ميت به الاحياء صفة لاى عمى
وميت مبتدأ والاحياء فاعله سد مسد الخبر وضمير به لاى عمى
ورفع به وان لم يعتمد وهو مذهب كوفى وان جعلنا الاحياء
مبتدأ كان حقه ان يقول ميتون لوجوب تحمل الوصف اذا وقع
خبرا ضمير المبتدأ ودهى فعل ماض الاسود مفعوله وابن عبد
يغوث صفة الاسود ويغوث لا ينصرف لكنه صرفه الناظم لوقو عه
فى الشعر وانسقاه فاعل دهى كاس الردى مفعول به واستقاء
فاعل سقاه والواو من واصاب عاطفة واصاب الوليد فعل
ومفعول وخدشة سهم فاعل ومضاف اليه ووصف الخدشة
بقوله قصرت عنها الحية الرقطاء والحية فاعل قصرت والرقطاء
صفة الحية وقضت عطف على قوله فى الاول دهى وشوكة فاعل
وعلى مهجة العاصى متعلق بقضت ولله الى آخره كلام تعجبى والنقعة
مبتدأ ولله خبره والشوكاء صفة النقعة وعلى الحارث متعلق

بمحذوف

بمحذوف اى وقضت على الحارث القيوح فاعل قضت المقدرة
المحذوفة لدلالة ما قبلها والواو فى ذلك واو الحال سال بها
راسه جملة فعلية وبها متعلق بسال وساء الوعاء كلام انشائى
كقولك بئس زيد وساء فعل والوعاء فاعل خمسة خبر مبتدأ
محذوف طمرت جملة خبرية صفة خمسة فكفت الاذى مبتدأ
ومضاف اليه بهم الضمير للخمسة والباء سببية او بمعنى مع وشلاء
خبر المبتدأ اى كف الاذاء مع هذه الخمسة شلاء وان كانوا الخمسة
اصابع اليد **البديع** استعمل التلميح فى قوله وكفاه المستهزئين
اشارة الى قوله تعالى انا كفيناك المستهزئين واستعمل الجناس
بين فناء والفناء وطابق بين الميت والحى واستعمل الاشتقاق
فى سقى واستسقاء وجعل للاذى كفا واثبت لها الخمس الاصابع
التى هى من لوازم المستعار منه والجناس فى سال وساء **المعنى**
تضمن هذا الكلام ان الله تعالى بفضله وكرمه كفى هذا النبى
الكريم المستهزئين من كفرة قومه والتسلية عن ايذائهم له واستهزائهم
به بمن قد سلف قبله من الانبياء اذ وقع من اقوامهم الاستهزاء
بهم وان هذه الخمسة لما تعرضوا للنبى صلى الله عليه وسلم شكاهم
لجبريل فقال كفيتهم فهلكوا ببعض من العمى والبلاء وكفاه الله
تعالى اياهم فاما الاسود بن المطلب فاعماه الله تعالى عمى عظيما
شمل بصره وبصيرته وصار بصفة الاموات لا بصر ولا بصيرة
واما الاسود بن عبد يغوث فسقاه الله تعالى كاس استسقاء فى جوفه
واستمر به حتى اهلكه واما الوليد فاصابته خدشة سهم فى عقب
رجله فما زالت به حتى اهلكته اهلاكا اشد من اهلاك الحية فان
اهلاك الحية بواسطة ما فيها من السم وهذه اهلكت من غير سم
واما العاصى فاصابته شوكة فى اخمص رجله فاهلكته وسلط
على الحارث القيح ملأ راسه واساله عليه من راسه الى ان هلك
فهذه الخمسة طمرت الارض باخذهم من على ظهرها وصار بها ا
من الاذى به صلى الله عليه وسلم اذا نزله لجبينه من يد شلاء لا اثر لحركتها

وفى التفسير ان جبريل لما شكاهم اليه النبى صلى الله عليه وسلم قال أُمرت
ان اكفيكهم فاشار الى كل بما اصابه كما ذكرناه وهذا لا ينافى
كونه بدعوته صلى الله عليه وسلم لان دعوته كانت سببا لهذه الاشارة خبر حبر

فُديت خمسة الصحيفة بالخمسة ان كان للكرام فداء … فتية بيتوا على فعل خير … حمد الصبح امره والمساء
يالأمر اتاه بعد هشام … زمعة انه الفتى الاتاء
وزهير والمطعم بن عدى … وابو البخترى من حيث شاؤا
نقضوا ابرم الصحيفة اذ شدت عليه من العدى الانداء
اذكرتنا باكلها اكل منسا … ة سليمان الارضة الخرساء
وبها اخبر النبى وكم اخـ … ـرج خبأ له الغيوب خباء
لا تخل جانب النبى مضاما … حين مسته منهم الاسواء
كل امر ناب النبيين فالشـ … ـدة فيه محمودة والرخاء
لو يمس النضار هون من النا … ر لما اختير للنضار الصلاء

اللغة يقال فداك بفتح اوله مقصورا وبكسره مقصورا وممدودا
والمراد من ذلك الدعاء فهو كلام انشائى يقصد به التعظيم والصحيفة
الكتاب والجمع صحف والمراد بها هنا ما كتبته قريش بينهم وبين
بنى هاشم وبنى المطلب وتعاهدوا وتعاقدوا عليه وهو ان لا
ينكحوا احدا منهم بنو هاشم وبنى المطلب ولا ينكحوه ولا يبيعوا احدا
منهم ولا يبتاعوا منه واودعوا ذلك فى صحيفة كتبوها وعلقوها
فى جوف الكعبة توكيدا على انفسهم والمراد من الخمسة الاولى الخمسة
القائمون فى نقضها وابطال ما كتب فيها ومن الخمسة الثانية هم الخمسة
الذين من جملة المستهزئين وقد تقدم ذكرهم وذكر ما اهلكوا به
وقوله ان كان للكرام فداء ايماء الى وصف القائمين فى نقض
الصحيفة بمكارم الاخلاق وانهم اجل من ان يفدوا وفتية جمع
فتى وهو السخى الكريم وفيه تصريح بما اومى اليه من وصفهم بمكارم
الاخلاق وبيت امرا اعده ليلا ومنه اذ يبيتون ما لا يرضى من
القول وفعل خير المراد به نقض الصحيفة المذكورة وحمد الشئ

أحمده حمدا ومحمدة فهو محمود وحميد والصبح الفجر والصباح نقيض
المساء ولعله المراد بالصبح لمقابلته به والامر واحد الامور تقول
امر فلان مستقيم واموره مستقيمة والمساء خلاف الصباح
والامساء نقيض الاصباح يالامر استغاثة لهذا الامر الذى هو
نقض الصحيفة مفيدة للتعجب من وقوعه كقولهم يا للماء وللدواهى اذا
تعجبوا من كثرتهما وفيه تدرج الى ذكر اسماء الخمسة القائمين فى نقض
الصحيفة اتاه اى فعله وهم هشام بن عمرو العامرى وزهير بن ابى
امية بن المغيرة المخزومى والمطعم بن عدى وابو البخترى بن هشام
وزمعة بن الاسود بن المطلب بن اسد وقوله من حيث شاؤا اى
فعلوا ذلك طوعا من قبل انفسهم بمشيئتهم من غير اكراه لهم ولا سؤال
والاتاء صيغة مبالغة من اتى كضراب من الضرب يقال نقض
البناء ونقض الحبل ونقض العهد فقوله نقضوا من هذا الثالث
والمبرم المحكم يقال ابرمت الامر احكمته والمبرم والبريم الحبل الذى جمع
من مفتولين ففتلا حبلا واحدا وشد عضده اى قواه والانداء
جمع ناد وهم العشيرة قال تعالى فليدع ناديه اى عشيرته واصله
المكان سمى من فيه باسمه اى نقض هؤلاء الخمسة ما شدته وقواه
العشيرة من هذا الامر المبرم المحكم وذكرت الشئ بعد النسيان
تذكرته واذكرته غيرى وذكرته بمعنى والاكل معروف ومنساة
سليمان عصاه التى كان متكئا عليها وهو ميت فاكلها الارضة
فخر ساقطا وسليمان نبى الله ابن نبى الله داود صلى الله عليهما وسلم
وعلى نبينا وعلى سائر الانبياء والارضة بتحريك الراء دويبة
تاكل الخشب والخرساء تانيث الاخرس وهو فاقد النطق ولخبر النبى
اى ذكر خبر الارضة التى اكلت الصحيفة والخبء والخبى على فعيل
ما خبى وخبء السماء القطر وخبء الارض النبات والخباء واحد
الاخبية والغيب ما غاب عنك والغيوب جمعه وخلت الشئ خيلا
وخيلة ومخيلة وخيلولة اى ظننته وفى المثل من يسمع يخل والجانب
فى الاصل شق الانسان ثم عبر به الناظم كغيره عن جملته تعبيرا بالبعض

عن الكل ومضاما اسم مفعول لغرضاً منه اى ظلمه وليس المراد نفى انهم
الظلم وانما المراد انه لا يحصل بجانبه هوانٌ بذلك ولا نقص
بدليل قوله بعده لكان وبيتي النضار هوناً من النار والاسواء
جمع سُوء وساده اى فعل به ما يكرهه يسوءه سَوءاً بالفتح والاسم
السُوء وجمعه اسواء ونابه اى اصابه والنضر والنضار الذهب
والهُون بالضم الهوان والصلاء العرض على النار **الاعراب**
خمسة الصحيفة نايب عن الفاعل الخمسة متعلق بفديت ولامها
للعهد الذكرى وهى جملة دعائية وان كان للكرام فداء جملة
شرطية محذوفة الجواب لدلالة ما قبلها عليه وفتية خبر مبتدأ
محذوف اى هم فتية وبيتوا على فعل خير صفة لفتية وعلى فعل خير
متعلق ببيتوا وحمد الصبح جملة صفة لخير وامره مفعول لحمد
والمساء معطوف على الصبح ويا لامر تعجب منه عن مل معاملة
المستغاث لما نودى واتاه صفة لامر وزمعة فاعل وبعد هشام
ظرف لاتاه وانثنى الى الاتا جملة مستأنفة وزهير معطوف على
زمعة والمطعم كذلك وابن عدى صفة لمطعم وابو البحترى معطوف
على زمعة ومن حيث شاؤا حال من الفاعل وما عطف عليه ونقضوا
بدل من قوله فعل خير والضمير للخمسة المذكورة ومبرم مفعول به
الصحيفة مضاف اليه اذ ظرف ويجوز ان تكون للتعليل وجملة
شدت الى آخره فى محل جر باضافة اذ اليها والانداء نايب الفاعل
ومن العدى متعلق بالانداء ومن بيانية اذكرتنا جملة مستأنفة
والارضة فاعل اذكرت والخرساء صفتها ونا مفعول اذكر باكلها
متعلق باذكر واكل منساة مفعول ثان ومضاف اليه ومنساة
مضاف الى سليمان وضمير اكلها عائد على متقدم رتبة متأخر لفظاً
وهو جائز وضمير بها للارضة او عائد على اكل الارضة لاكتسابه
التأنيث منها والنبى فاعل الخبر وكم خبرية والمميز محذوف اى كم
مرة لخرج وفاعله ضمير عائد على النبى وخبأ مفعول به وجملة لا تغيب ب
خباء صفة لخبأ ولا حرف نهى وتخل مجزوم به وفاعله ضمير المخاطب وجانب

مفعول والنبى مضاف اليه ومضاماً مفعول ثان وحين ظرف زمان
وفى بعض النسخ حيث بالمثلثة ظرف مكان وهو صحيح ايضاً لكن الاول
احسن وجملة مسته فى محل جر باضافة الظرف اليها والاسواء فاعل
مسته ومنهم متعلق بالاسواء وهى حال منه وكل امر مبتدأ وناب
مرفوعه وهو الضمير العائد على امر صفة لامر والنبيين مفعول
به وقوله فالشدة مبتدأ ثان ومحمودة خبره والرخاء عطف على
الشدة وفيه متعلق بالشدة والجملة خبر المبتدأ الاول وهو كل
والنضار مفعول ليبق وهون فاعله ومن النار صفة هون
وجواب لو هو قوله لما اختير والصلاء نايب عن الفاعل لاختير
وللنضار متعلق باختير ولو وما بعدها تأكيد وتقرير لمعنى البيت
الذى قبلها وهو قوله كل امر الى آخره **البديع** استعمل المقابلة بين الصبح
والمساء وبين الشدة والرخاء والاشتقاق فى فديت وفداء و
فى اتاه والاتاء والطباق فى نقض وابرم والجناس فى خبأ وخباء
المعنى لما ذكر اولئك الخمسة المستهزئين الذين اتوا الفعل القبيح
وهو الاستهزاء اراد ان يذكر خمسة اخرى فعلوا فعلاً حسناً حمدته
الليالى والايام فالضد يظهر حسنه الضد وذكر ان الخمسة
الاولى يصلح ان تكون فداء للخمسة الثانية لما بين فعلهما من التضاد
المذكور وذلك الامر الحسن الذى فعلوه هو نقض الصحيفة التى
كانت قريش ابرموا امرها وهو انهم لا يناكحون بنى هاشم والمطلب
ولا يبايعونهم ولا يساكنونهم وانحاز الفريقان الى شعب ابى طالب
حتى لا يخالطوا قريشاً واثبتوا ذلك فى صحيفة علقوها فى جوف
الكعبة تأكيداً لامرها وطلباً لدوام ما فى ضمنها فتوافق هؤلاء الخمسة
ليلاً على ابطال ما كتب فيها بعد ان عملوا بها ثلاث سنين وقد
ذكرنا اسماءهم وارسل الله تعالى بكرمه الارضة فاكلت ما فى تلك
الورقة من ميثاق وعهد وكلما تضمن قطع الرحم ولم تبق الا اسم
الله تعالى واطلع الله على ذلك رسوله صلى الله عليه وسلم فمن هنا قال
بعضهم ان سبب نقضها انه صلى الله عليه وسلم ذكر لعمه ابى طالب

وقال ان ربي سلط الارضة على صحيفة قريش فلم تدع فيها اسماً هو
لله الا اثبتته ونفت منها الظلم والقطيعة والبهتان فقال اربك
اخبرك بهذا قال نعم فخرج ابو طالب الى قومه فقال يا معشر قريش
ان ابن اخي اخبرني بكذا وكذا فهلم صحيفتكم فان كانت كما قال
فانتهوا عن قطيعتنا وانزلوا عما فيها وان كانت غيره لكم دفعته
لكم فقال القوم رضينا وتعاقدوا على ذلك فنظروا فاذا هي كما ذكر
صلى الله عليه وسلم وكيفية قيام الخمسة المذكورين في نقضها انهم
تعاقدوا على ذلك ليلاً فلما اصبحوا اتوا المسجد وكان زهير اول
من تكلم وقال يا اهل مكة انا ناكل الطعام ونلبس الثياب وبنو
هاشم هلكى لا يباعون ولا يبتاع منهم والله لا اقعد حتى تشق هذه
الصحيفة القاطعة الظالمة فقال ابو جهل وكان في ناحية المسجد
كذبت والله لا تشق فقال زمعة بن الاسود ابداً ما كذب ما رضينا
كتابتها حين كتبت فقال ابو البختري صدق زمعة لا نرضى ما كتب
فيها ولا نقر به فقال المطعم بن عدي صدقتما وكذب من قال غير
ذلك نبرا الى الله تعالى منها ومما كتب فيها وقال هشام بن عمرو نحواً من ذلك
فقال ابو جهل هذا امر قضي ليلاً ويجوز ان يكون سبب نقض الصحيفة
ما ذكر عن الخمسة وما قاله ابو طالب معاً وان الخمسة لما تصدوا عنهم
ذلك قال ابو طالب ما تقدم نقله عنه وذكر المصنف ان اكل الارضة
للصحيفة ليس بابعد من اكلها المنساة نبي الله سليمان بن داود صلى
الله عليهما وسلم وهي عصاه التي كان واقفاً معتمداً عليها ثم مات وهو
كذلك فصار الجن يتوهمون حياته وما علموا موته الا باكل الارضة
وسقوطه صلى الله عليه وسلم وكان في ذلك من الفوايد ان الجن ادعوا
علم الغيب فاظهر الله تعالى بركذبهم في دعواهم ذلك واستمروا في العمل
مدة قيامه مستنداً على العصا ولو كانوا يعلمون الغيب ما استمروا
في ذلك قال الله تعالى فلما خر تبينت الجن ان لو كانوا يعلمون الغيب ما
لبثوا في العذاب المهين واخباره صلى الله عليه وسلم بامر الارضة كان من
جملة ما اطلعه الله تعالى عليه من علم الغيب وذلك من كمال عناية الله تعالى

به كما ان من جملة عنايته به انه لا يحصل له بما يقصدونه به من
الاذى وينالونه منهم هضم ولا اذلال ولا هوان بل انما يريد الله تعالى
بذلك الا رفعة ويكون ذلك سبباً لزيادة رفعة شانه وهذا
شانه وشان الانبياء قبله ان امورهم كلها محمودة العواقب
في حالتي الشدة والرخاء وان الشدايد يظهر فيها علو مقامهم
وارتفاع درجاتهم وهذا كما ان عرض الذهب على النار
ليمتحن حاله لا ينقصه ولا يدخل به عليه وهن بل يعرف به خلاصه وعلو قدره

كم يد عن نبيه كفها الله ... وفي الخلق كثرة واجتراء
اذ دعا وحده العباد وامست ... منه في كل مقلة اقذاء
هم قوم بقتله فابى السيف ... وفاء وفاءت الصفواء
وابو جهل اذ راى عنق الفحل ... اليه كانه العنقاء
واقتضاه النبي دين الاراشي ... وقد ساء بيعه والشراء
وراى المصطفى اتاه بما لم ... ينج منه دون الوفاء النجاء
هو ما قد راه من قبل لكن ... ما على مثله يعد الخطاء
واعدت حمالة الحطب الفهر ... وجاءت كانها الورقاء
يوم جاءت غيظاً تقول افي مثلي ... من احمد يقال الهجاء
وتولت وما رأته ومن اين ... ترى الشمس مقلة عمياء

اللغة كم خبرية واليد الجارحة المعروفة واصلها يدي ساكنة
العين فتجمع على ايد ويدي كفلس وافلس وفلوس واصل يدي يدوي
اجتمعت الواو والياء وسبقت الواو بالسكون فقلبت ياء وادغمت
في الاخرى وكفها منعها ان تصل اليه وحماه منها والخلق المخلوق يقال
الناس خليقة وخلقة والكثرة نقيض القلة وقد كثر الشيء فهو كثير
وقوم كثير وهم كثيرون والجراة الشجاعة والجري المقدام وتقول
جرأتك على فلان حتى اجترات عليه دعا العباد اي صاح بهم وطلب
منهم عبادة الله تعالى والعباد احد جموع عبد الوحدة الانفراد اي
دعاهم بانفراده والمسا خلاف الصبح من امسى يمسي والمقلة شحمة
العين التي تجمع السواد والبياض والقذاء بالمعجمة في العين وفي الشراب

والامساء خلاف الاصباح مع

ما يسقط فيه وقذيت عينه تقذى والاقذاء جمع قذاء والهم الارادة
تقول هممت بالشئ اهم اذا اردته والقوم جماعة الرجال وتدخل
فيه النساء تبعًا كما هنا والسيف معروف وجمعه اسياف وسيوف
وابى امتنع والوفاء ضد الغدر يقال وفى بعهده واوفى وفاءت
رجعت والصفواء الحجارة وابو جهل لعنه الله هو عدو رسول
الله صلى الله عليه وسلم وهو عمرو بن هشام بن المغيرة المخزومى
والفحل الواحد من الابل على ما سيأتى والعنق بسكون النون وضمها
واحد الاعناق والاعنق الطويل العنق والانثى عنقاء والعنقاء
الداهية واصل العنقاء هو الطائر العظيم وهو الذى شبه به
الناظم عنق الفحل واقتضى دينه وتقاضاه بمعنى وكان اقتضا
على نزع الخافض الهاء اى اقتضى منه دين الاراشى بكسر الهمزة
وهو الرجل الذى استعدى على ابى جهل وهو من اراش واراش هو
ابن الغوث بن عمرو بن الغوث ساء فعل وسيعه فاعل والشراء
عطف عليه والضمير عائد الى ابى جهل والوفاء المراد به ايفاء
ابى جهل ما للاراشى عليه من الحق والنجاء بوزن الضراب صيغة
مبالغة فى ناج اسم فاعل من نجا ينجو فهو ناج هذا ان قرئ بتشديد
الجيم على ما فى بعض النسخ وان قرئ بتخفيفها مصدرًا كما فى نسخ
كان ينج من قوله لم ينج بضم الياء وكسر الجيم والنجاء فاعله وعلى
الاول الوفاء مقصور وعلى الثانى ممدود والخطاء نقيض الصواب
ويمد فى لغة قرئ بها وهى فى قوله تعالى ومن قتل مؤمنا خطاء والعدّ
هيئات حمالة الحطب هى ام جميل وليست بام جميل وهى ابنة حرب
ابن امية وسميت حمالة الحطب لحملها الشوك وطرحه بطريق رسول
الله صلى الله عليه وسلم والفهر بكسر الفاء الحجر ملأ الكف يذكر و
يؤنث والجمع افهار والورقاء الحمامة والغيظ غضب كامن للعاجز
وفى نسخة غضبا بوزن فعلا مقصورا والحمد علم نبينا محمد صلى
الله عليه وسلم والهجاء خلاف المدح وقد هجوته هجوا وهجاء وتهجاء
فهو مهجو ولا يقال لهجيته وعميا تأنيث الاعمى **الاعراب**

بمجرورة لكونها تمييز كم الخبرية وجملة كفها الله صفة لايد وعن
نبيه متعلق بكفها والواو من قوله وفى الخلق واو الحال وما بعد ها
جملة حالية ولجتراء معطوف على المبتدأ وهو كثرة وفى الخلق
الخبر واذ ظرف لكف الايدى اى كف الله ايدى كثيرة عنه وقت
انفراده بالدعاء اليه ويجوز ان تكون تعليلية تفيد علة مد
الايدى اليه وكفها عنه اى انما مدت الايدى التى كفها الله تعالى اليه
لانفراده بدعائه جميع العباد مع ما فيهم من الكثرة والجرأة ووحد
حال من فاعل دعا وهو الضمير العائد عليه صلى الله عليه وسلم اى
دعاهم منفردًا والعباد مفعول واست عطف على دعا واقذاء
اسمها وفى كل مقلة خبرها ومنه متعلق باقذاء هم قوم جملة
فعلية متضمنة هى وما بعدها بيان كف الله الايدى عنه
وبقتله متعلق بهم والفاء فى فابى السيف عاطفة والسيف
ع فاعل ابى والمفعول محذوف اى ابى السيف النزول عليه او الوقوع
فيه او قتله ووفاء تمييز اى ابى ذلك لاجل الوفاء ولا يجوز ان يكون
مفعولا به لانعكاس المعنى وفساده وفاءت الحجارة اى رجعت
عن الوقوع عليه والتصقت بكف حاملها حتى رملها من غير
جهته صلى الله عليه وسلم وابو جهل معطوف على قوم اى وهم ابو
جهل بقتله بالقاء الحجر عليه كما سنذكره واذ ظرفية وفاعل رأى
ضمير ابى جهل وعنق مفعوله الاول والفحل مضاف اليه وكانه
العنقاء فى موضع نصب على انه المفعول الثانى وضمير كانه عائد
على عنق وهو اسمها والعنقاء الخبر والواو من واقتضاه يجوز
ان تكون واو الحال اى هم ابو جهل بقتله وقت رؤية عنق الفحل والحال
ان النبى صلى الله عليه وسلم قد اقتضاه دين الاراشى ويجوز ان
تكون الواو عاطفة لاقتضاه على رأى اى هم بقتله وقت رأى
عنق الفحل ووقت اقتضاه النبى دين الاراشى فتكون قضيتين
وسنذكرهما ويجوز ان يكون اقتضاه فعلا والنبى فاعله ودين
مفعوله والهاء منصوبة بالفعل على تقدير نزع الخافض اى اقتضى

منه الدين اذ لا يتعدى الا الواحد وهو متعين على الوجه الاول
وجايز على الثانى ويجوز ان يكون اقتضاه مصدرا وقصر للنظم
والهاء مضاف اليه والنبى مرفوع فاعل المصدر ودين مفعول له
وجملة سابيعه والشراء حالية والواو واو الحال ويدل على انهما
قضيتان كما ذكرنا قوله ورأى وفاعله ضمير ابى جهل والمصطفى
مفعوله الاول واتاه فى موضع الثانى والهاء لابى جهل باستعلق
باتى وهى موصولة ولم ينج منه بضم الجيم وفتح الياء او كسرها وضم
الياء صلة وعائد اى بالذى لم ينج او موصوفة اى بشئ لم ينج
منه وفاعل ينج النجاء على التقديرين ودون معناه التقصير
عن الغاية المعنى انه لا ينجو الا بالوفاء هو مبتدأ عائد الى ما
فى قوله ما لم ينج منه وما موصولة اى هو الذى رآه من قبل وهذا
ايضا مما يدل على انهما واقعتان ورآه صلة الموصول والهاء عائدة
وقبل ظرف مقطوع عن الاضافة مبنى على الضم اى قبل المرة بقضاء
دين الاراشى فكان ينبغى له الرجوع بالاول لكن ما على مثل ابى جهل
يعد الخطاء وما نافية ويعد هو المنفى والخطاء نايب الفاعل لقوله
يعد وقوله مثله هو على حد قولك مثلك لا يبخل اى انت لا تبخل و
قوله واعدت عطف على قوله هم قوم حمالة الحطب فاعل اعدت
والحطب مضاف اليه والفهر مفعول به وجاءت عطف على اعدت
وفاعله ضمير حمالة الحطب ويجوز جعل الواو للحال وقد مقدرة فهو جملة
حالية وكانت اسمها الهاء وخبرها الورقاء ويجوز جعل جملة كانها
الورقاء حالية وتكون من الحال المتداخلة ويوم ظرف لقوله اعدت
وجاءت جملة مجرورة المحل باضافة يوم وفاعل الفعل ضمير حمالة
الحطب وغيظا تمييز وعلى نسخة غضبا تكون غضبا حالا وتقول
جملة حالية فاعله ضمير حمالة الحطب أفى الى آخره مقول القول فهى
فى محل النصب والهجاء نايب عن الفاعل يقال وفى مثلى متعلق بيقال
ومن احمد حال متقدمة على عاملها وصاحبها وجملة تولت معطوفة
على جملة جاءت وما رأت جملة حالية من فاعل تولت وهو ضمير حمالة

الـ

الحطب والهاء فى رأته مفعول عائدة الى النبى صلى الله عليه وسلم
ومن اين الى آخره استبعاد لرؤيتها له فانه الشمس وهى مقلتها
عمياء عن رؤيته للحائل بينها وبينه اى كيف تراه وهو الشمس وهى
ذات المقلة العمياء وصرف المصنف احمد ومنع صرف ابى جهل
ة وقد استعمل الجناس فى قوله وفاء ووفاءت وعنق والعنقاء ومراعاة
النظير فى ذكر البيع والشراء والاشتقاق فى ينج والنجاء المعنى انه
شكر الله تعالى على حسن صنيعه مع نبيه صلى الله عليه وسلم حيث
كف عنه ايدى الكفرة الظالمين مع كثرتهم وفرط جراءتهم عليه وكان
ذلك منهم جماعة حيث دعاهم بانفراده الى طاعة الله تعالى بان يؤمنوا
به ويصدقوا ما جاء به عنه ورماهم ورمى آلهتهم بكل عيب وسوء
وذلك مما كان يحملهم على تجريهم عليه وهو مع ذلك محروس بحراسة
الله وكلاءته وحفظه صلى الله عليه وسلم. واما قصة السيف ففى
الصحيح ان غورث بن الحارث اخترط سيفه واقبل على النبى صلى الله
عليه وسلم وهو فى يده يريد قتله وقال من يمنعك منى قال الله فسقط
السيف من يده وان النبى صلى الله عليه وسلم عفا عنه فرجع الى قومه
وقال جئتكم من عند اعلم الناس وفى الشفاء روى مثل هذه القصة
ايضا عن اعرابى وانه لما سقط سيفه ضرب براسه شجرة كانت هناك
هد حتى سال دماغه واما قصة الحجر فان ابا جهل قال يا معشر قريش انى عاهدت
الله لاجلس غدا بحجر لا اطيق حمله فاذا سجد محمد صلى الله عليه وسلم
فى صلاته فضخت به راسه فلما اصبح اخذ حجرا كما وصف فلما سجد
رسول الله صلى الله عليه وسلم احتمل ابو جهل الحجر ثم اقبل نحوه حتى اذا دنا
منه رجع منهزما منتقعا لونه مرعوبا قد يبست يداه على حجره حتى
قذف الحجر من يده فقال له قريش ما لك يا ابا الحكم قال لما دنوت منه
عرض لى دونه فحل من الابل لا والله ما رأيت مثل هامته ولا قصرته ولا
انيابه لفحل قط فهم بى ان ياكلنى والقصرة بالفتحات الثلاث اصل
العنق وعن ابن اسحاق ان النبى صلى الله عليه وسلم قال ذاك جبريل
عليه السلام لو دنا لاخذه. واما قصة الاراشى واسمه كهلة بن عصام

ابن كهلة فاتى ابا جهل ابتاع منه ابلاً ومطله باثمانها فدلّه قريش على
النبي صلى الله عليه وسلم استهزاءً لما يعلمون بينهما من العداوة فلما جاء
الاراشي الى النبي صلى الله عليه وسلم خرج معه حتى جاء فضرب باب
ابي جهل فقال من هذا قال محمد فخرج اليه منتقعاً لونه فقال اعط هذا
حقه فقال نعم لا تبرح من مكانك حتى اعطيه الذي له فدفعه له فذكر
لهم الاراشي ذلك فقالوا لابي جهل ما رأينا مثل ما صنعت قال والحكم
ما هو الا ان ضرب على بابي وسمعت صوته فمليت رعبا ثم خرجت اليه
وان فوق رأسه لفحلا من الابل ما رأيت مثل هامته ولا قصرته ولا انيابه
لفحل قط والله لو ابيت لاكلني ولهذا قال الناظم هو ما قدر ابهم قبل
واما قصة حمالة الحطب فانه لما نزل قوله تعالى تبت يدا ابي لهب جاءت
امرأة ابي لهب الى النبي صلى الله عليه وسلم ومعه ابو بكر رضي الله عنه
فلما رآها قال يا رسول الله انها امرأة بذيّة فلو قمت لا تؤذيك قال
انها لن تراني فجاءت فقالت يا ابا بكر ان صاحبك هجاني فقلت لا
وهو لا يقول الشعر فقالت انت عندي بصدق فقلت يا رسول الله (وانصرفت)
لم ترك قال لم يزل ملك يسترني منها بجناحه وفي السيرة الهشامية
عن ابن اسحق ان حمالة الحطب حين سمعت ما نزل فيها وفي زوجها
من القرآن اتت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جالس في المسجد
عند الكعبة ومعه ابو بكر وفي يدها فهر من حجارة فلما وقفت عليهما
اخذ الله ببصرها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا ترى الا ابا بكر
فقالت يا ابا بكر اين صاحبك قد بلغني انه يهجوني والله لو وجدته
لضربت بهذا الفهر فاه اما والله اني لشاعرة مذمما عصينا وامره
ابينا ودينه قلينا ثم انصرفت فقال ابو بكر يا رسول الله اما تراها
رأتك قال ما رأتني لقد اخذ الله ببصرها عني قال وكان النبي صلى
الله عليه وسلم يقول الا تعجبون لما يصرف الله عني من اذى قريش
يسبون ويهجون مذمما وانا محمد صلى الله عليه وسلم

ثم سمته اليهودية الشا ... ة وكم سام الشقوة الاشقياء
فاذاع الذراع ما فيه من شر ... ر بنطق اخفاؤه ابداء

وبخلق

وبخلق من النبي كريم ... لم تقاصص بجرحها العجماء

اللغة يقال سمّ الطعام اذا جعل فيه السم وسام الشقوة اما من
السوم الذي هو مقدمة الشراء واما من السوم الذي هو الرعي والاشقياء
جمع شقي واذاع الخبر افشاه والمراد بالذراع ذراع الشاة
المسمومة والشر خلاف الخير وهو السم ان كان بالمعجمة وان كان
بالمهملة فهو ايضا السم لانه اخفته في الشاة فكان بمنزلة السر
والنطق الكلام وهو وان خفي على الحاضرين فقد بدا او ظهر
للنبي صلى الله عليه وسلم والخلق السجية لم تقاصص اي لم يؤخذ
منها قصاص وهو القتل ممن قتله والجرح تأثير السم في الباطن
فهو يجرح في الباطن كما يجرح الحديد في الظاهر والعجماء المرأة و
تطلق على البهيمة وفي الحديث العجماء جبار الاعراب سمت
اليهودية جملة فعلية والشاة مفعول وله متعلق بسمت وكم
خبرية مميزها محذوف والشقوة مفعول والاشقياء فاعل
والفاء عاطفة واذاع الذراع جملة فعلية معطوفة على مثلها
وما مفعول وهو موصول وفيه صلته ومن شر حال من الموصول
بنطق متعلق باذاع واخفاؤه ابداء مبتدأ وخبر صفة لشر
والهاء للشر والباء سببية اي بسبب خلق كريم وهو خلق النبي
صلى الله عليه وسلم لم تقاصص اي لم يقتلها ولا امر بقتلها
والعجماء نائب عن الفاعل بقوله تقاصص وبجرحها متعلق بقوله
تقاصص واستعمل الاشتقاق في سمت وسام والشقوة و
الاشقياء وطابق بين الاخفاء والابداء المعنى ان هذه اليهودية
اخذت الشقاء بما وضعته في الشاة التي قدمتها لرسول الله صلى
الله عليه وسلم من السم وان من معجزاته اظهار الذراع للنبي
صلى الله عليه وسلم ما في الشاة المذكورة من السم وذلك النطق
من الذراع وان خفي على الحاضرين فقد ابداه لهم النبي صلى الله
عليه وسلم ثم ان النبي صلى الله عليه وسلم عاملها بالحلم العظيم مع ما
اتته من الجرم الوخيم ولم يقاصصها بقتل ولا غيره روى البخاري

من حديث عائشة رضي الله عنها انه صلى الله عليه وسلم لما فتح خيبر اهدت له يهودية شاة فيها سم قال السهيلي وهي زينب بنت الحارث بن سلام ونقل عن ابي داود انها اخت مرحب ووقع في بعض الروايات انه قتلها وصلبها وفي بعضها انه عفا عنها قال السهيلي والبيهقي ووجه الجمع انه عفا عنها اولا لانه ماكان ينتقم لنفسه فلما مات بشر بن البراء قتلها لانه لم يزل معتلا من تلك الاكلة حتى مات وفيه اشكال على الشافعية من حيث ان وضع السم في طعام البالغ العاقل لا يوجب قصاصا عندهم على الواضع وقد يدفع بانها واقعة حال فالقتل وان صح قد يكون لامر وجد منها اوجب ذلك والله اعلم

من فضلا على هوازن اذ كا ... ن له قبل ذاك فيهم رباء
واتى السبي فيه اخت رضاع ... وضع الكفر قدرها والسباء
فحباها برا توهمت النا ... س به انما النساء هداء
بسط المصطفى لها من رداء ... اي فضل حواه ذاك الرداء
فغدت فيه وهي سيدة النسوة ... والسيدات فيه اماء
فتنزه في ذاته ومعانيه ... استماعا ان عز منها اجتلاء
واملا السمع من محاسن يمليـ ... ـها عليك الانشاد والانشاء
كل وصف له ابتدات به استو ... عب اخبار الفضل منه ابتداء

اللغة من عليه منا انعم والفضل خلاف النقص والافضال الاحسان وهوازن قبيلة وربوت في بني فلان وربيت فيهم اذا نشات فيهم ويقال للغلام علي رُباء بالفتح والمد اي طول فيجوز ان يكون قوله رباء من هذا ويجوز ان يكون من الاول وهو اقرب والسبي والسباء الاسر والمراد هنا المسبيون مثل قولهم ثوب نسج اليمن اي منسوجه واخت رضاع اي اخت له صلى الله عليه وسلم واسمها الشيماء ووضع قدرها اي حطه هذان الامران اللذان هما الكفر والسبي وحباه يحبوه اي اعطاه والحباء العطا والبر خلاف العقوق تقول بررت والدي بالكسر ابره برا فانا بر به والهداء بالكسر مصدر قولك هديت المراة الى زوجها هداء

وقد

وقد هُديت اليه والرداء الذي يلبس وتثنيته رداآن وردا وان وبسط بالسين والصاد اي نشر وانبسط الشيء على الارض ونحوه جمع فغدت اي صارت يقال ساد قومه يسودهم سيادة وسيودة وسيدودة فهو سيدهم والاماء جمع امة وتنزه من قولهم خرجنا نتنزه في الرياض وذات في الاصل مؤنث ذو ثم استعملت استعمال الاسماء المفردة بمعنى نفس الشيء ومعانيه صفاته واستمعت استماعا اصغيت وعز الشيء يعز عزا وعزازة اذا لم يكد يوجد والجلاء بالمد والفتح الامر الجلي وجلا الخبر وضح وجلوت العروس جلاء وجلوة واجتليتها اذا نظرت اليها مجلية والحسن نقيض القبح والجمع محاسن على غير قياس كانه جمع محسن وامليت الكتاب امليه واملاته لغتان جيدتان واستنشدت فلانا شعرا فانشدنيه والنشيدة الشعر المتناشد بين القوم وانشاء الكلام صنعه ووصفت الشيء اصفه وصفا وصفة والوصف كالعلم والبياض وبدات الشيء بدا ابتدات به وبدات الشيء فعلته ابتداء واستيعاب الشيء استيصاله الاعراب من جملة فعلية فضلا مفعول مطلق على حد فرحت جذلا على هوازن متعلق بمن او بفضلا واذ ظرفية وكان رباء كان واسمها له فيهم هو الخبر وقبل ظرف وذا اسم اشارة الى المن المتقدم والسبي فاعل اتى والجملة مستانفة واللام فيه عهدية لانه من هوازن وقد تقدم ذكرها وفيه اخت رضاع جملة حالية والتقدير اخت رضاع له وجملة وضع الكفر قدرها صفة للاخت وقدرها مفعول به والسباء عطف على الفاعل فحباها فعل وفاعل هو ضميره صلى الله عليه وسلم ومفعول اول برا مفعول ثان وجملة توهمت الناس صفة برا وبه الباء فيه سببية والضمير للبر وجملة انما النساء هداء في موضع نصب على انه مفعول توهمت بسط بدل من حباها بدل بعض والمصطفى فاعل والضمير في لها للاخت من رداء متعلق ببسط واي فضل مفعول لبسط اي فضل منه حواه الجملة صفة اي فضل وذاك فاعل والرداء صفة والضمير للفضل

وارادمعنى الانعام فيكون من باب الاستخدام ويجوزان يقدّر مفعول
بسط محذوفا اى بعضه ويكون اى مرفوعة على انها مبتدأ وخبر
قوله حواه ذاك الرداء فغدت الفاء سببية اى فبسبب ذلك البسط
غدت وضمير فيه للنبى وهى سيدة النسوة جملة حالية والسيدات اماء
جملة معطوفة على الجملة قبلها وضمير فيه يعود للسبى ايضا فتنزه فاعله
ضمير المخاطب وفى ذاته متعلق بتنزه ومعانيه عطف على ذاته استماعا
تميز ان عن منها اجتلاء جملة شرطية جوابها محذوف لدلالة ما
قبلها واملاء عطف على تنزه والسمع مفعول وعن محاسن متعلق باملاء
وقوله عليها الى اخره صفة محاسن وعليك متعلق بيمليها والانشاد
فاعل والانشاء عطف عليه كل وصف مبتدأ وضمير اليه يرجع للنبى
صلى الله عليه وسلم وهو صفة وصف وجملة ابتدأت به صفة ثانية
وبه متعلق بابتدأت والمعنى بذكره او ابتدأت به فى الذكر استوعب
فعل ماض فاعله قوله ابتداء ولخبار الفضل مفعول استوعب ومنه
متعلق بالفضل والضمير للنبى صلى الله عليه وسلم البديع استعمل الاستخدام
على احد الاعرابين وقابل بين السيدة والاماء وبين الذات والمعنى
والاستماع والاجتلاء والجناس فى الانشاد والانشاء وفى ابتدأت وابتداء
المعنى انه صلى الله عليه وسلم منّ على سبى هوازن منا منه وفضلا لما كان
له منهم من الرضاع والتربية وكان فى السبى المذكور الشيماء اخته من
الرضاعة فزاد فى اكرامها وبسط لها رداءه لتجلس عليه وقال لها مع ذلك
ان شئت اقمت عندى مكرمة محببة او متعتك ورجعت الى قومك
فاختارت قومها فمتعها وزاد فى الاحسان اليها كما هو شانه فى مكارم الاخلاق
حتى امكن ان يذهب وهم من راى اكرامهم للسبى وهو لم يعرف
الحال ان النسوة انما جئن لاهداء عروس وجلائها عليه صلى الله عليه وسلم
لا انهن سبيات وخصها بمزيد الاكرام حتى كانها سيدة النسوة
المذكورات وغيرها من السيدات اماؤها ولما ذكر صفاته
الكاملة الجليلة وخصاله المحمودة الجميلة وما اشتملت عليه ذاته
الكريمة واوصافه من الشرف طلب من كل مخاطب ان ينزه سمعه بسماع

صفات ذاته ومعانيه ان فاته مشاهدة ذلك واكد ذلك بطلب
الاكثار من سماعه من كل منشد وكل منشئ هو وغيره واتى بما يهيج
السامع على ما طلبه منه بكلام جلى يزين فى حمل السامع على استماع
اوصافه وذلك الكلام هو ان كل وصف من صفاته صلى الله عليه وسلم
اذا ابتدأ الواصف بذكره استوعب ابتداءُ ذلك الوصف الذى اتى
به ذلك الواصف جميعَ صفات ذلك الكمال والفضل ى ذَكَرَ السامعُ
ابتداءُ ذلك الوصفَ الذى ابتدا بذكره الواصفُ على انه صلى الله عليه
حائز لكل فضل وصفة كمال الظهور كماله صلى الله عليه وسلم بابتداء
ذلك الوصف القائم به ولا يصدر عن الكامل الا ما يكون كاملا هذا
ما ظهر لى فى معنى هذا البيت على ما فيه من العقادة •

سيدٌ ضحكُه التبسمُ والمشـــيُ الهُوَيْنا ونومه الاغفاء
ما سوى خُلقه النسيمُ ولا غيـــرُ مُحياه الروضة الغناء
رحمةٌ كلّه وحزم وعزم ووقار وعصمة وحياء
لا تحلّ البأساء منه عُرى الصبـــر ولا تستخفه السراء
كرمت نفسه فما يخطر السو ءُ على سرّه ولا الفحشاء
عظمت نعمة الاله عليه فاستقلت لذكره العظماء

اللغة الضحك معروف والتبسم دونه وكانه ما خلا عن صوت
والمشى مصدر مشى والهون الوقار والسكينة قال الله تعالى يمشون
على الارض هونا وكان الهوينا مؤنثه مع التصغير والنوم معروف
والاغفاء كانه اخفه والخُلق والخُلُق السجية والنسيم الريح الطيبة
والمحيا الوجه والروضة الغناء الكثيرة النبات والازهار
والرحمة الرقة والتعطف والعزم على الشئ القطع به وعدم التردد ددّ
فيه والحزم الضبط والشدة والوقار الحلم والرزانة وقد وقر
الرجل يقر فهو وقور والعصمة الحفظ والمنع فهو محفوظ ممنوع من
جميع ما لا يليق به صلى الله عليه وسلم ويقال حييت منه احيى والمعنى
استحييت واستحياه واستحيى منه بمعنى وكلاهما من الحياء والبأ ساء
الشدة والصبر حبس النفس وعرى الصبر كانها ماخوذة من عروة

القميص والكوز وهى ما يتم بها استمساكهما والسراء الرخاء فهي نقيض الضراء ولا تستخفه اى لا تخرجه عن ثباته ورزانته ووقارة وكرمت نفسه شرفت عن جميع الرذايل والنقايص وعظمت عن ان تتصف بشئ منها لا يخطر السوء على سره ولا يمر بباله الفحشاء الفاحشه وكل سوء جاوز حده فهو فاحش وافحش الرجل قال الفحش وعظمت نعمة الاله عليه اى كثر افضال الله لديه جدا فلا احد كثرت عنده النعم ككثرتها عليه وعنده فكل نعمة هى دون نعمته وكل منعم عليه وان عظمت نعمته فهو اعظم نعمة منه فهو اعظم المنعم عليهم واكثرهم نعمة الاعراب سيد خبر مبتدأ محذوف اى هو سيد وضحكه التبسم جملة اسمية خبر والمشى الهوينا اسمية ايضا اى المشى منه وال بدل عن الضمير ونومه الاغفاء اسمية ايضا والجملتان معطوفتان على الجملة الاولى الواقعة خبرا ثانيا ماسوى خلقه النسيم ما نافية وسوى بمعنى غير وخلقه مضاف اليه مجرور بسوى والنسيم خبر سوى اى ليس النسيم غير خلقه اى هو احسن الناس خلقا ولا غيره الى آخره لا نافية وغير محياه مبتدأ والروضة خبر والغناء صفتها يعني ليست الروضة الغناء الا وجهه اى هو احسن الناس وجها كله رحمة مبتدأ وخبر على التقديم والتاخير وحزم الى آخر الخمسة معطوفات على الخبر ولا نافية تحل الباساء جملة فعلية وضمير منه عائد عليه صلى الله عليه وسلم ومنه متعلق اما بالصبر او بالعرى او بتحل ولا نافية تستخفه السراء فعل وفاعل ومفعول مقدم والجملة معطوفة على الجملة قبلها كرمت نفسه جملة استينافية علة لما قبلها وسبب لما بعدها وما نافية ويخطر السوء جملة فعلية وعلى سره متعلق بيخطر ولا الفحشاء معطوف على السوء باعادة النافى وذلك لتأكيد النفى عظمت نعمة جملة فعلية والاله مضاف اليه وعليه متعلق بعظمت والنعمة واستقلت العظماء فعلية معطوفة على جملة عظمت لذكره اى عند ذكره اى وقت ذكره مثل تم الصلوة لذكرها المعنى انه هذا

الموصوف

الموصوف صلى الله عليه وسلم قد اتسم باحسن السمات اى تصف باعظم الصفات فمما اتصف به من الآداب الظاهرة انه اذا ضحك لا يكون ضحكه الا تبسما واذا امشى مشى الهوينا لانه اجل من مشى على الارض هونا واعظمهم فى ذلك فتصغيرها للتعظيم واذا نام فلا يكون نومه الا اغفاء بحيث لا يستغرق ولهذا لا ينتقض به وضوءه ووجهه فى البشر والطلاقة هو الروضة الغناء الحسنة الرؤية الطيبة الرايحة واما اخلاقه الباطنة فهى النسيم طيبا ولطفا ولكثرة ما اوجد الله فيه من الرحمة والعزم والحزم وما البسه اياه من الوقار والحياء وما اوجده فيه من العصمة والخشية لباريه سبحانه وتعالى صار صلى الله عليه وسلم كانه مركب منها وانه طبع عليها بل خلق منها ولهذا يقول الناظم رحمه الله تعالى رحمة كله البيت ولكثرة ما منحه الله تعالى من الصبر والسكينة وما اسكنه الله فيه منهما صار بحيث لا تؤثر الباساء فى اخلال شئ من صبره ولا تستخف السراء شيئا من سكونه ولعظم ما اوتيه من طهارة النفس وتزكيتها لا تمر الفحشاء بباله ولا تخطر بخاطره الشريف ولا يقوم شئ من السوء ولا من الفحشاء وبالجملة فقد آتاه الله من الصفات والكمالات ما لو عرض معه على ذوى العقول جميع النعم والفضايل التى اوتيها غيره من المخلوقات مع كمالاتهم وكل صفة جميلة يكتبها احد سواه لعدوا ذلك ناقصا بالنسبة لكماله وان ما عنده من ذلك اعلى مما عند جميع المخلوقات واجل واعظم صلى الله عليه وسلم روى البخارى رحمه الله تعالى من حديث البراء كان رسول الله صلى الله عليه وسلم احسن الناس وجها واحسنهم خلقا ليس بالطويل البائن ولا بالقصير وروى عن البراء ايضا من حديث طويل رأيته فى حلة حمراء لم ار قط احسن منه وروى من حديث آخر عند سئل البراء كان وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل السيف قال لا بل مثل القمر وروى من حديث ابن عباس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اجود الناس واجود ما يكون فى رمضان وروى من حديث عبد الله بن عمر لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم فاحشا ولا متفحشا

وكان يقول ان من خياركم احسنكم اخلاقا وروى من حديث انس
ما مست حريرا ولا ديباجا الين من كف رسول الله صلى الله عليه
وسلم ولا شممت ريحا قط ولا عرقا اطيب من ريح او عرق رسول
الله صلى الله عليه وسلم وروى من حديث ابى سعيد الخدرى كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم اشد حياء من العذراء فى خدرها
وروى من حديث عايشة رضى الله عنها تنام عيناى ولا ينام قلبى
وروى عن البراء انه قال لما سئل افررتم يوم حنين عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال لكن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يفر
ثم قال لقد رايته على بغلته البيضاء وابو سفيان آخذ بلجامها
والنبى صلى الله عليه وسلم يقول انا النبى لا كذب

جهلت قومه عليه فاغضى ... واخو الحلم دابه الاغضاء
وسع العالمين علما وحلما ... فهو بحر لم تعيه الاعباء
مستقل دنياك ان ينسب الامساك منها اليه والاعطاء
شمس فضل تحقق الظن فيه ... انه الشمس رفعة والضياء
واذا ما ضحى محى نوره الظل ... وقد اثبت الظلال الضحاء
فكان الغمام استودعته ... من اظلت من ظله الدفناء
خفيت عنده الفضائل وانجا ... بت به عن عقولنا الاهواء
امع الصبح للنجوم تجل ... ام مع الشمس للظلام بقاء
معجز القول والفعال كريم الخلق والخلق مقسط معطاء

اللغة الجهل خلاف العلم وقد جهل فلان جهلا وجهالة وتجاهل
اى ارى من نفسه ذلك وليس به والاغضاء ادناء الجفون والحلم
بالكسر الاناة تقول حلم الرجل بالضم وتحلم تكلف الحلم وتحالم ارى
من نفسه ذلك وليس فيه ودأب فلان فى عمله اى جد وتعب دأبا
ودؤوبا فهو دائب ووسعه الشىء بالكسر يسعه سعة يقال
لا يسعنى شىء ويضيق عنك اى اى شىء وسعنى وسعك والبحر
خلاف البر سمى بذلك لعمقه واتساعه والجمع ابحر وبحار وبحور
وكل نهر عظيم بحر لم تعييه من قولهم اعيى الرجل فى المشى واعياه الله

والاعباء بالموحدة جمع عبء بالكسر وهو الحمل والدنيا سميت بذلك
لدنوها والجمع دنا مثل الكبرى والكبر والصغرى والصغر واستقل
الشىء راه قليلا والضحوة عند طلوع الشمس والضحى عند ما ترتفع
والضحاء عند ارتفاع النهار الاعلى والظلال جمع ظل وهو معروف
والفىء ما بعد الزوال من الظل والظل ما نسخته الشمس والفىء ما
نسخ الشمس وقيل كل ما كان عليه الشمس فنسخته فهو فىء وظل وكل ما لم
تكن عليه الشمس فهو ظل ودفيف الطائر مره فويق الارض يقال
عقاب دفوف للذى يدنو من الارض فى طيرانه اذا انقض والدفيف
قة الدبيب وهو السير اللين يقال دفت علينا من بنى فلان دافة والدافة
ايضا الجيش يقال يدفون نحو العدو اى يدنون فدففا على فعلاء
جمع دافى كعالم وعلماء وخفى البرق يخفو خفوا ويخفى خفيا اذا لمع
لمعا ضعيفا معترضا فى نواحى الغيم اى خفيت فضائل كل ذى فضل
وان عظمت فيمن اتصف بها عند فضيلته التى حازت رتب
الكمال فهى بالنسبة الى فضيلته ضعيفة الضوء وان كان ضوؤها
عظيما كبيرا فى نفسه وانجابت السحابة انكشفت والعقل الحجر
والنهى وهو فى الاصل المنع وسمى بذلك لانه يعقل من قام برأى
يمنعه والهوى بالقصر هوى النفس جمعه الاهواء والنجم الكوكب
والصبح الفجر والظلام اول الليل والظلماء الظلمة والشمس النير
الاعظم تجمع على شموس كانهم جعلوا الكل ناحية منها شمسا والبقاء
المكث والمعجزة واحدة معجزات الانبياء اى انه لا اقوال المعجزة
والافعال المعجزة وان كلا من خلقه وخلقه كريم والقسط العدل
والمقسط العادل ومنه ان الله يحب المقسطين والمعطاء الكثير
العطاء يستوى فيه المذكر والمؤنث الاعراب جهلت قومه جملة
فعلية مستانفة وعليه متعلق بجهلت فاغضى فعلية ايضا
فاعلها ضميره صلى الله عليه وسلم معطوفة على ما قبلها واخو الحلم
مبتدأ ومضاف اليه ودأبه الاغضاء اسمية صغرى وهى خبر
المبتدأ فتصير كبرى وسع فعلية فاعلها ضميره صلى الله عليه وسلم

والعالمين مفعول وسع علما تمييز وحلما معطوف على علما فهو بحر اسمية
ولم تعيه الاعباء فعلية صفة لبحر والجملة مؤكدة لما قبلها ومستقل
خبر ثان للضمير المنفصل ودنياك مفعول به ومضاف اليه ولن ينسب
بدل اشتمال والامساك نائب الفاعل ومنها متعلق بالامساك والضمير
للدنيا واليه متعلق بينسب والاعطاء عطف على الامساك شمس فضل
يجوز تقديره خبرا ثالثا ويجوز جعله مبنيا على مبتدأ مقدر خبرا
عنه وتكون الجملة مستأنفة وتحقق الظن جملة حالية من الضمير
العائد عليه صلى الله عليه وسلم وفيه متعلق بتحقق وانه الشمس
جملة واقعة موقع المفعول ورفعة تمييز والضياء عطف على الشمس
واذا ظرف فيه معنى الشرط وما زائدة ضحى فعل الشرط ومحى جواب
اذا ونوره فاعل محى والظل مفعوله وقد الواو للحال واثبت
الظلال الضحا جملة الحال والضحا فاعل والظلال مفعول وكأن
حرف تشبيه اسمها الغمامة وخبرها استودعته وفاعل الجملة ضمير
الغمامة والهاء مفعول عائد على الظل وقوله من ظلت من ظله الدفاء
كذا وجدته في نسخة من نسخ هذه القصيدة وهو غير مفهوم المعنى
ولعل فيه تحريفا في بعض الفاظه والبيت كله ساقط في بعض النسخ
وجملة خفيت عنده الفضائل فعلية مستأنفة وانجابت الى
آخره فعلية اخرى معطوفة على ما قبلها وبه متعلق بانجابت والاهواء
فاعله وعن عقولنا متعلق بانجابت وقوله امع الصبح للنجوم
تجل جملة مقرونة بالاستفهام الانكاري وجملة ام مع الشمس للظلام
بقاء معطوفة عليه فيكون مدخوله الانكار والمعنى لا تجلي للنجوم
مع الصبح ولا بقاء للظلام مع الشمس والشطر الاول من هذا البيت
راجع الى الشطر الاول من البيت الذي قبله والشطر الثاني منه راجع
الى الشطر الثاني من ذلك وتجل من الشطر الاول مبتدأ وبقاء في الشطر
الثاني مبتدأ ومعجز خبر مبتدأ محذوف والقول مضاف اليه والفعال
معطوف عليه كريم الخلق والخلق خبر ثان والخلق مضاف اليه والخلق
معطوف عليه ومقسط خبر ثالث ومعطاء رابع وهو من صيغ المبالغة

كقوله • انتم المخاربوا ايكما • اى بيمانيها **البديع** قابل بين الجهل والحلم
وبين الامساك والاعطاء وبين التحقق والظن وراعى النظير بين
الشمس والضياء وجانس بين ضحى وضحاء واستعمل اللف والنشر
المرتب فجعل قوله امع الصبح للنجوم تجل راجعا الى قوله خفيت عنده
الفضائل وجعل قوله ام مع الشمس للظلام بقاء راجعا الى قوله
وانجابت به عن عقولنا الاهواء وقابل ايضا بين القول والفعل
والخلق والخلق مع ما بينهما من التجانس **المعنى** انه وصف النبي صلى
الله عليه وسلم بزيادة الاحتمال لاعدائه وفرط الحلم عليهم والاغضاء
عنهم وانه لا يزيده كثرة ذلك منهم الا حلما فان الحلم من لوازم ذاته
الشريفة حتى وسع العالمين كلهم البر منهم والفاجر حلمه وعلمه
فهو بحر حلم وعلم لا يكترث بما يرد عليه من جهالاتهم وافعالهم
وانه صلى الله عليه وسلم في غاية العصمة والنزاهة عن هذه الدنيا
الفانية وفرط الاعراض عنها واستقلال شانها حتى انه لا يحب ان
ينسب اليه منها امساك لها ولا اعطاء منها لمستحقها احتقارا لها
في نظره الشريف كيف لو

وراودته الجبال الشم من ذهب ... عن نفسه فاراها ايما شمم

وهو مع هذا في الكرم والعلم كالشمس في الرفعة والضياء فالرفعة
راجعة الى الكرم والضياء راجع الى العلم والفضل شامل لهما
بل هو اعلى شانا في الضياء من الشمس لان ضياء الشمس في الضحاء
يبقى معه الظل وضياؤه لقوته يزيل الظل وان الفضائل التي
اوتيها غيره وان عظمت وكملت فهي بالنسبة لفضائله تصير
خفية كما يخفى نور الكواكب عند الصباح وانه لما بين من العلم
والهدى ازالت الاهواء عن عقول العقلاء ولم يبق للاهواء مع
بيانه وجود كما لم يبق للظلام مع الشمس بقاء وان الله تعالى
جمع له المحاسن كلها ولم يجمع لغيره ما جمعه له فجمع له بين المعجز
من الاقوال والافعال وبين حسن الخلق والخلق وجمع له من الكرم
والعدل ما لم يؤته غيره صلى الله عليه وسلم **الادلة** روى البخاري

من حديث ابى سعيد الخدرى قال بينا نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم
وهو يقسم قسما اذ اتاه ذو الخويصرة وهو من بنى تميم فقال يا رسول الله
اعدل فقال ويلك ومن يعدل ان لم اعدل فقد خبت وخسرت ان لم
اعدل فقال عمر ائذن لى ان اضرب عنقه فقال دعه وفى حديث مروى
فى الشفاء وغيره ان جبريل قال له ان الله تعالى يقول لك اتحب ان اجعل
هذه الجبال ذهبا وتكون معك حيث ما كنت فاطرق ساعة ثم قال
يا جبريل ان الدنيا دار من لا دار له ومال من لا مال له قد يجمعها من لا
عقل له فقال له جبريل ثبتك يا محمد بالقول الثابت وفى مسلم من
حديث انس انه صلى الله عليه وسلم ما سئل شيئا على الاسلام الا اعطاه وفى
البخارى ومسلم من حديث انه صلى الله عليه وسلم اعطى رجلا غنما بين جبلين
فاتى قومه فقال اسلموا فوالله ان محمدا يعطى عطاء من لا يخاف الفقر

لا تقس بالنبى فى الفضل خلقا … فهو البحر والانام اضاء
كل فضل فى العالمين فمن فضـ … ـل النبى استعاره الفضلاء
شق عن صدره وشق له البد … ر ومن شرط كل شرط جزاء
ورمى بالحصى فاقصد جيشا … ما العصا عنده وما الالقاء
ودعى للانام اذ دهمتهم … سنة من محولها شهباء
فاستهلت بالغيث سبعة ايا … م عليهم سحابة وطفاء
تتحرى مواضع الرعى والسقـ … ـى وحيث العطاش توهى السقاء
واتى الناس يشتكون اذاها … ورخاء يوذى الانام غلاء
فدعى فانجلى الغمام فقل فى … وصف غيث اقلاعه استسقاء
ثم اثرى الثرى وقرت عيون … بقراها واحييت احياء
فترى الارض غبه كسماء … اشرقت من نجومها الظلماء
تخجل الدر واليواقيت من نو … ر رباها البيضاء والحمراء

اللغة قست الشئ بغيره وعلى غيره اقيسه قيسا وقياسا فانقاس
اذا قدرته على مثاله والبحر خلاف البر سمى بذلك لعمقه واتساعه والجمع
ابحر وبحار وبحور والاضاة الغدير والجمع اضا مثل قناة وقنا ويجمع
ايضا على اضاء بالكسر والمد والفضل الكمال والاحسان والشق واحد

الشقوق وهو فى الاصل مصدر لكنه صار اسما لما يحصل بالشق وهو
البضع ويقال له الشرط ايضا والصدر اعلى مقدم البدن والبدر
القمر ليلة اربع عشرة سمى بذلك لمبادرته الشمس بالطلوع كانه يعجلها
المغيب وقيل سمى به لتمامه والشرط ما علق عليه شئ وجزاؤه بما
صنع جزاء وجازيته بمعنى وسمى النحويون جواب الشرط جزاء لترتبه
عليه كما تترتب المجازاة ورميت الشئ من يدى اى القيته والحصى
واحده حصاة فهو اسم جنس جمعى ويقال اقصد السهم اى اصاب
فقتل مكانه والجيش واحد الجيوش ويقال جيش فلان جمع الجيوش
والعصا المراد بها عصا السيد موسى صلى الله عليه وسلم والالقاء المراد
بها القاء سحرة فرعون حبالهم وعصيهم والدعاء واحد الادعية يقال
ادعو الله له وعليه والانام بنو آدم والسنة زمن الجدب والمحل
ودهمتهم غشيتهم وشهباء لا خضرة فيها ولا مطر واستهلت صبت
المطر بشدة والغيث المطر يقال قد غاث الغيث الارض اى اصابها
والسحابة الغيم والجمع سحاب وسحب وسحائب وسحابة وطفاء
بينة الوطف اذا كانت مسترخية الجوانب لكثرة مائها تتحرى
اى تقصد تلك السحابة بمائها مواضع الرعى يقال رعيت الابل
ارعاها رعيا ورعى البعير الكلاء وارتعى مثله والسقى يقال سقيته
لشفته واسقيته لماشيته وارضه والاسم السقى بكسر السين والمصدر
السقى بالفتح ويقال قوم عطشى وعطاش وعطاشى والعطش
خلاف الرى ويقال وهى السقاء يهى وهيا اذا تخرق وانشق وفى
السقاء وهى اى خرق قليل وفى المثل

خل سبيل من وهى سقاؤه … ومن هريق فى الفلاة ماؤه

يضرب لمن لا يستقيم امره ويقال غلا السعر واغلاه الله ورجل
رخى البال اى واسع الحال بين الرخاء بالمد والاقلاع عن الامر
الكف عنه يقال اقلع عما كان عليه ويقال اثرى الرجل اذا كثر ماله
والثرى التراب والمراد باثراء التراب كثرة المطر الواقع عليه
ويقال اقر الله عينه اى اعطاه حتى تقر عينه فلا يطمح الى من هو فوقه

والقرى جمع قرية والحيا ضد الموت والحي ضد الميت واحياه الله
فحيي بالفك وحي بالادغام وهو اكثر والاحيا جمع حي والمراد احياء
العرب وغب كل شي عاقبته ويقال خجل خجلا واخجله غيره والخجل
التحير والدهش من شدة الاستحياء والدر جمع درة وهي اللؤلؤة
واليواقيت جمع ياقوتة وهو فارسي معرب والنور بفتح النون الزهر
وتنوير الشجر ازهارها ويقال نورت الشجرة وانارت اخرج نورها و
رُباها جمع ربوة وهي ما ارتفع من الارض **الاعراب** لا تقس فعلية
ناهية والفاعل ضمير المخاطب وبالنبي متعلق بتقس في الفضل متعلق
بتقس ايضا وخلقا مفعوله فهو مبتدأ راجع الى النبي صلى الله عليه وسلم
والبحر خبره والانام اضاء مبتدأ وخبر والجملة معطوفة على الجملة قبلها
كل فضل مبتدأ ومضاف اليه وفي العالمين صفة فضل فمن فضل الفاء
داخلة على مبتدأ محذوف اي فهو فضل النبي استعاره الفضلاء جملة
حالية وصاحبه الضمير المستتر في متعلق الجار اي مستقر من فضله حال
كونه استعاره الفضلاء والجملة باسرها خبر المبتدأ الاول شق عن صدره
جملة فعلية ونايب الفاعل هو الجار والمجرور وشق له البدر فعلية
معطوفة على الفعلية قبلها والبدر نايب الفاعل وله متعلق بشق اي
شق البدر لاجله ومن شرط كل شرط جزاء اسمية وجزاء مبتدأ ومن
شرط كل شرط خبر مقدم ورمى فاعله ضمير يعود على النبي صلى الله
عليه وسلم وبالحصى متعلق برمى فاقصد الفاء سببية واقصد عطف
على رمى وجيشا مفعول وما استفهامية وهي خبر مقدم والعصا
مبتدأ عند ظرف مكان والضمير عايد على الحصى وما الالقاء اسمية
معطوفة على الاسمية قبلها ودعا فعلية والفاعل ضميره صلى الله عليه وسلم
واذ ظرف زمان مضاف للجملة دهتهم وضمير الانام مفعوله وسنة
فاعله وشهبا صفة سنة ومن محولها متعلق بشهباء فاستهلت الفاء
سببية سحابة فاعله وبالغيث وسبعة ايام وعليهم متعلقات باستهلت
ووطفاء صفة سحابة وجملة تتحرى حال من سحابة والفاعل ضميرها وموضع
مفعوله والرعي مضاف اليه والسقي معطوف عليه وحيث العطاش عطف

على مواضع ويوهي السقا جملة حالية من المواضع المذكورة اي تتحرى
هذه المواضع حال كونها يوهي السقاء فيها واتى الناس فعلية ويكون
فعلية حالية من فاعل اتى واذا اها مفعوله والضمير للسحابة ورخاء
مبتدأ وصح الابتداء به لوصفه بالجملة الفعلية بعده وهي قوله يوذي
الانام وغلاء خبر المبتدأ فدعا الفاء سببية وانجلى الغمام فعلية
معطوفة على الفعلية قبلها بالفاء السببية ايضا فقل فعلية فاعلها
ضمير المخاطب في وصف غيث متعلق بقل وهي دالة على التعجب واقلاعه
استسقاء اسمية واقعة صفة لغيث وهي مبينة لسبب التعجب وتقدير
الكلام اقلاعه ذو استسقاء فحذف المضاف واقيم المضاف اليه
مقامه او اقلاعه سقي وهذا احسن ثم حرف عطف واثرى الثرى جملة
معطوفة على ما قبلها وجملة وقرت عيون معطوفة على جملة اثرى الثرى
بقراها جمع قرية والضمير للغيون او للمدينة وجملة احييت احياء معطوفة
على جملة قرت عيون فترى الارض يجوز ان تكون علمية وان تكون بصرية
ويصح ان تراد امعا والضمير في غبته للغيث كسماء اما في موضع المفعول
الثاني ان جعلت ترى علمية او حال ان جعلت بصرية وجملة اشرقت
صفة سماء والظلماء فاعل اشرقت ومن نجومها متعلق باشرقت وضميرها
للسماء وجملة تخجل الدر حال من الارض واليواقيت عطف على الدر و
من نور بفتح النون متعلق بتخجل وربها مضاف ومضاف اليه
والبيضاء والحمراء صفة الدر واليواقيت او صفة مقطوعة لقوله
من نور ويجوز ان يكون يخجل بضم الياء والدر مفعوله واليواقيت
عطف عليه والبيضاء فاعل والحمراء عطف عليه ومن نور بيان لقوله
البيضاء والحمراء **البديع** استعمل مراعاة النظير في الجمع بين البحر والغدير و
الجناس في فضل والفضلاء والتورية في قوله ومن شرط كل شرط جزاء
والجناس ايضا بين الحصى والعصى وفي قوله وحيث العطاش اقتباس
للمثل واستعمل الاشتقاق في اذاها ويوذي وقابل بين الرخاء والغلاء
والجناس في اثرى الثرى وقرت وقراها واحييت والاحياء وراعى النظير
في الجمع بين الدر واليواقيت وقابل بين البيضاء والحمراء **المعنى** ان الناظم

نهي كل احد عن ان يقيس بالنبي صلى الله عليه وسلم مخلوقا سواه ويمثله به
ولو وقع ذلك كان قياسا فاسدًا لفقد وجه الشبه بين النبي وغيره
وان النبي صلى الله عليه وسلم هو البحر في الفضائل كلها ومن سواه كالغدير
وكيف يقاس الغدير بالبحر وايضا فكل فضل قام بذي فضيلة فهو مستمد
من فضل النبي صلى الله عليه وسلم ومستعار من فضله ثم زاد ذلك تاكيدًا
بالاستدلال عليه وهو انه صلى الله عليه وسلم اوتي اشياء من المعجزات لم
يؤت غيره شيئا منها فمنها انه في صغره شق عن صدره واستخرج قلبه
واستخرج منه حظ الشيطان وطهر منه وانه شق له بعد بعثته الكريم
نصفين وان هذا الثاني لما فيه من اظهار عظمته عند الله تعالى
كالجزاء للاول الذي لا يحصل في العادة الا بالمشارط الذي هو الة لتمزيق
الشرط في الجلد وابانته وابانة اللحم بعضه عن بعض ولاجل ما حصل
بذلك الاول من الروع في الصغر حصل بهذا الثاني غاية السرور في الكبر
ومنها انه رمى جيوش الكفار مع كثرة عددها ووفور عددها بكف من
الحصى فاهلكهم عقب رميه وعمل فيهم واثر ما لم تؤثره عصا موسى صلى
الله عليه وسلم في فرعون وسحرته واثر ما لم يؤثره القاء السحرة لحبالهم
وعصيهم فيما ابداه السيد موسى صلى الله عليه وسلم ومنها انه لما اجدبت
الارض وانقطعت المياه وحصل لهم من المحل ما عجزوا عن احتماله شكوا ذلك
للنبي صلى الله عليه وسلم فدعا لهم فامطرت عليهم السماء سبعة ايام متوالية
ولم يجئ احد من جهات المدينة الشريفة الا حدث الناس بما حصل من الجود
وان ذلك الغيث عم مواضع الرعي ومواضع السقي وكل موضع معطش
فضرب به المثل في المحل والجدب واستمر ذلك حتى شكوا اليه انقطاع السبل
وتعطل المعايش فدعا لهم فانكشف ذلك السحاب وخرجوا يمشون وكما
كان في الاول سقياهم وحصول مطلوبهم بوجود الغيث صار في الثاني
سقياهم وحصول مطلوبهم باقلاع تلك السحابة ومنع ذلك الغيث
وحصل للارض ما اغاثها من سوء الجدب وقبحه واحيا احياء العرب
عليك بها وانتشارها مع كثرة ما اصابها من الجدب فاوجد بسببه في ذلك من الرخاء
والخصب وقرت عيون اهل القرى التي حول المدينة كما قرت عيون اهل

المدينة بما ازال عنهم الكرب واوجد لهم الخصب واذهب الجدب وتمادت
الارض بذلك شبيهة بالسماء في ان كلا منهما وجد فيها ما يزيل ظلمتها
فكما انارت النجوم من السماء ظلام الافق فكذلك النور في الارض لما صل
من النبات ازال ظلام الارض الذي هو اثر الجدب وازهر ذلك النور
على اختلاف الوانه وتناسب افنانه حتى اخجل الدر واليواقيت بحسن
منظر ذلك النور وغرابته على الوان تلك الجواهر حتى ان الذين بايديهم
هذه الجواهر يشاهدونها ليلا ونهارا لا يستطيعون امساك انفسهم
عن رؤية تلك الازاهر الغريبة المشتملة على كل عجيب وعجيبة الادلة
وقد تقدم في اول الكتاب ما ورد في الصحيح من حديث انس انا اكرم
ولد آدم على ربي ولا فخر وفي الحديث ايضا انا اكرم الاولين والاخرين ي
ولا فخر وتقدمت احاديث شق الصدر وكونه مرتين وكلام السهيلي
في ذلك ورمى النبي صلى الله عليه وسلم بالحصى في وجه الجيش رواه
البخاري في غزوة بدر ومسلم في غزوة حنين وروي انه صلى الله عليه وسلم
ذلك اليوم اي يوم بدر تناول كفا من حصى فيه تراب ورمى به في وجوههم
وقال شاهت الوجوه فلم يبق منهم رجل الا وقد دخل التراب في فمه
وعينيه ومنخريه ثم ولوا هاربين وقال تعالى فلم تقتلوهم ولكن
الله قتلهم وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى فقيل بلغ ما رمى
به رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهم وقيل محي مع ذلك بالرعب
في قلوبهم وفي البخاري من حديث انس انه ذكر ان رجلا دخل يوم
الجمعة من باب كان وجاه المنبر ورسول الله صلى الله عليه وسلم قائم
يخطب فاستقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم قائما فقال هلكت الموا شي
وانقطعت السبل فادع الله تعالى ان يغيثنا قال فرفع رسول الله
صلى الله عليه وسلم يديه فقال اللهم اسقنا اللهم اسقنا اللهم اسقنا
قال انس فوالله ما نرى في السماء من سحاب ولا قزعة ولا شيئا وما بيننا
وبين سلع من بيت ولا دار قال فطلعت من ورائه سحابة مثل الترس
فلما توسطت السماء انتشرت ثم امطرت فوالله ما راينا الشمس
سبعا او ستا ثم دخل رجل من ذلك الباب في الجمعة المقبلة ورسول الله

صلى الله عليه وسلم قايم يخطب فاستقبله قايما فقال يا رسول الله
هلكت الاموال وانقطعت السبل فادع الله يمسكها قال فرفع رسول
الله صلى الله عليه وسلم يديه ثم قال اللهم حوالينا ولا علينا اللهم على
الآكام والجبال والآجام والضراب والاودية ومنابت الشجر قال
فانقطعت وخرجنا نمشى فى الشمس وانشقاق القمر له رواه مسلم
والبخارى وانه صلى الله عليه وسلم لما انشق قال اشهدوا ولما شاع
الكفار ذلك قالوا هذا سحر قال الله تعالى اقتربت الساعة وانشق القمر
وان يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر وكذبوا واتبعوا اهواءهم

ليته خصنى برؤية وجه — زال عن كل من يراه الشقاء
مسفر يلتقى الكتيبة بسا — ما اذا اسهم الوجوه اللقاء
جعلت مسجدا له الارض فاهتـ — ـز به للصلوة فيها حراء
مظهر شجة الجبين على البر — ء كما اظهر الهلال البراء
ستر الحسن منه بالحسن فاعجب — لجمال له الجمال وقاء
فهو كالزهر لاح من سجف الاكـ — ـمام والعود شق عنه اللحاء
كاد ان يغشى العيون سنا منـ — ـه لستر فيه حكته ذكاء
صانه الحسن والسكينة ان تظـ — ـهر فيه آثارها البأساء
وتخال الوجوه ان قابلته — البستها الوانها الحرباء
فاذا شمت بشره ونداه — اذهلتك الانوار والانواء

اللغة ليت حرف لطلب ما لا طمع فيه او ما فيه عسر ويقال خصه بالشىء
خصوصا وخصوصية وخصوصية قال الجوهرى والفتح افصح
والرؤية هى ما كان بالعين والوجه معروف وجمعه وجوه وزال
الشىء عن مكانه يزول زوالا وازاله غيره والشقاء ضد الشقاوة
نقيض السعادة ومسفر اسم فاعل من اسفر وجهه حسنا اذا اشرق
والكتيبة الجيش يقال كتب فلان الكتايب اى هيأ الجيوش والتبسم
دون الضحك يقال بسم بالفتح يبسم بسما فهو باسم وابتسم وتبسم
وسهم وجهه بالفتح والضم يسهم سهوما فيهما والسهام بالضم الضمر
والتغير يقال ناقة ساهمة اى ضامرة وتقول لقيته لقى ولقاء

والمسجد

والمسجد موضع السجود واهتز تحرك وحراء اسم للجبل الذى كان يتحنث
فيه النبى صلى الله عليه وسلم وهو بالكسر والمد واظهرت الشىء بينته
والشجة واحدة شجاج الراس وقد شجه يشجه ويشجه بالضم والكسر
شجا فهو مشجوج والجبين فوق الصدغ وهما جبينان عن يمين الجبهة
وشمالها وبرئ من المرض بالكسر برءا بالضم وبرأ برءا بالفتح فيهما
وهى لغة الحجازيين والبراء بالفتح اول ليلة من الشهر سميت بذلك
لتبرئ القمر من الشمس والهلال يكون فى الليالى الثلاث الاول من الشهر
وبعد ذلك يسمى قمرا ووقاه الله وقاية بالكسر اى حفظه والوقاء
ما وقيت به الشىء والحسن نقيض القبح وزهرة النبات نوره
والكم بالكسر غطاء النور والجمع كمام واكمة ويقال اكمام والسجف
والسجف بفتح السين وكسرها الستر واسجفت الستر ارسلته ولاح
الشىء لمع والمراد من العود الذى هو يتبخر به واللحاء ممدود قشر
الشجر وتقول لحوت العصا الحوها قشرتها وكاد اى قرب ويقال
اعشاه بالمهملة فعشى يعشى عشا بالقصر اى صار لا يبصر بالليل ويبصر
بالنهار والغشاء بالغين المعجمة الغطاء وجعل على بصره غشوة
وغشوة وغشاوة اى غطاء ومنه فاغشيناهم فهم لا يبصرون
والسنا بالقصر هو ضوء البرق وبالمد هو الرفعة والمناسب
هنا هو الاول والمحاكاة المشابهة وحكيته فعلت مثل فعله والستر
هو الذى يكتم والجمع الاسرار ومثله السريرة والجمع السرائر وذكاء
بالضم غير منصرف هو اسم للشمس معرفة لا يدخلها الالف واللام
يقال هذه ذكاء طالعة ويقال للصبح ابن ذكاء لانه من ضوئها
وصنت الشىء صونا وصيانة فهو مصون والسكينة الوقار والبأساء
ضد السراء وتخال تظن والوجوه جمع وجه ورأيت الشىء مقابلة
اى عيانا والحرباء ذكر ام حبين والجمع الحرابى تستقبل الشمس وتدور
معها كيف دارت وتتلون الوانا بحر الشمس وشمت مخايل الشىء
اذا تطلعت ببصرك منتظرا له وشمت البرق اذا نظرت الى سحابه
والبشر الطلاقة وهو حسن البشر اى طلق الوجه والندى الجود

بضاعة

وغشوة ع

ساء

ورجل ندى اى جواد وفلان اندى من فلان اذا كان اكثر خيرا منه
وذهلت عن الشئ اذهل ذهولا وذهلا نسيته وغفلت عنه
واذهلني عنه كذا والانوار جمع نور والانواء جمع نوء والعرب
تضيف الامطار اليها فيقولون مطرنا بنوء كذا **الاعراب**
ليته ليت واسمها والفعلية خبرها والياء مفعول لخص والفاعل
ضميره صلى الله عليه وسلم وبرؤية وجه متعلق بخصني ووجه مضاف
اليه موصوف بالفعلية بعده وعن كل متعلق بزال ومن يراه
موصول وصلته وعائده مسفر صفة وجه وجملة يلتقي الكتيبة
وصف ثان او حال وفاعل يلتقي ضميره صلى الله عليه وسلم والكتيبة
مفعول وبساما حال من فاعل يلتقي اذا ظرف واسم فعل والوجوه
مفعول واللقاء فاعل والجملة في محل جر لاضافة اذا اليها جعلت
مسجدا له الارض جملة مشتملة على مفعولي جعل الاول منهما نائب عن
الفاعل وهو الارض وله متعلق بمسجدا وضمير له عائد على النبي صلى
الله عليه وسلم او للوجه وهو الاقرب والفاء سببية واهتز جراء
جملة معطوفة على الجملة قبلها وبه متعلق باهتز والضمير للنبي صلى
الله عليه وسلم او للوجه ولام الصلوة لام العلة وفيها متعلق بالصلوة
والضمير للارض ومظهر يجوز ان يكون بالجر صفة لوجه ويجوز
ان يكون بالرفع خبر مبتدأ محذوف اى هو مظهر وشجة مفعول
مظهر والجبين مضاف اليه وعلى البرء متعلق بمظهر وعلى بمعنى
في او مع اى في البرء او مع البرء كما في قوله تعالى على ملك سليمان والكاف
للتشبيه وما مصدرية واظهر صلتها اى كاظهار والهلال مفعول اظهر
والبراء فاعل وستر الحسن فعلية فاعلها ضمير النبي صلى الله عليه وسلم
او الوجه والحسن مفعول ومنه صفة الحسن وبالحسن متعلق بستر
فاعجب جملة فعلية فاعلها ضمير المخاطب لجمال متعلق باعجب له الجمال
ووقاء اسمية صفة لجمال المجرور باللام الجمال مبتدأ ووقاء خبره وله متعلق
بوقاء فهو عائد للجبين وهو مبتدأ كالزهر خبر ولاح جملة حالية ومن
سجف الاكمام متعلق بلاح والاكمام مضاف اليه والعود معطوف

على

على الزهر وشق عنه اللحاء جملة حالية من العود واللحاء فاعل شق وكاد
من افعال المقاربة وان يغشى يجوز ان يكون مرفوعا وسد هو وفاعله
مسد جملة الاسم والخبر ويجوز على قلة ان يكون سنا فاعله وان يغشى
خبرا مقدما وهو ضعيف لضعف هذه الافعال عن توسط خبرها
ومنه صفة سنا وبتره الباء فيه سببية وفي بعض النسخ لستره واللام
حينئذ للتعليل وضمير صفته وذكاء فاعل حكته والهاء مفعول عائدة
على بتره والجملة صفة ثانية لسنا او حال منه والحسن فاعل صانه والهاء
مفعوله وهو ضمير النبي صلى الله عليه وسلم والكينة عطف على الحسن
وان تظهر في موضع نصب او جر بحرف الجر المحذوف اى عن ان تظهر
والباساء فاعل تظهر وآثارها مفعول وفيه متعلق بتظهر وتخال
فاعله ضمير المخاطب والوجوه مفعوله الاول وان قابلته شرط جوابه
محذوف لدلالة الكلام عليه والحرباء فاعل لابسته والهاء عائدة
على الوجوه والوانها مفعول لابستها وجملة البستها قائمة مقام
ثاني مفعولي تخال فاذا شمت بشره اذا شرط وشمت فعل الشرط
وبشره مفعوله ونداه عطف عليه وجملة اذهلتك الانوار جواب
الشرط والانوار فاعل والانواء عطف عليه **البديع** استعمل الجناس
بين برء والبراء وبين جمال وجمال واللف والنشر المرتب فيرجع
الانوار للبشر والانواء للندى واستعار الهلال للشجة لانها تكون
غالبا على هيئته **المعنى** تمنى الناظم لو رأى وجه النبي صلى الله عليه وسلم
اما في اليقظة بان يكون في زمانه او في المنام ووصف الوجه بزوال
الشقاء عمن يراه الرؤية الحقيقية فلا توجد فيه الاسباب الموجبة له
ببركة طلعته الميمونة وانه لا يزال مسفرا بساما في الاحوال كلها ولو
في الحالات التي يتغير فيها وجه غيره وانه جعلت له الارض مسجدا
وانه من ذلك صلاته في حراء ولذلك اهتز فرحا واشار الى الشجة
الحاصلة في جبينه صلى الله عليه وسلم يوم احد وانها بعد البرء صارت
كالهلال في وجهه الشريف وانها زادته جمالا ولم يحصل منها شيء
حاشاه من ذلك صلى الله عليه وسلم وان موضع الشجة كالزهر الذي

لوح من صحف الاحكام او كالعود الذى يتطيب به اذا ازيل عنه
القشر الساتر له وانه لما كان مستورا بالجلد قبل الشجة كان جميلا
وانه بعد ان ازيل عنه الجلد الساتر له صار جميلا فكانه صلى الله عليه وسلم كان
جماله مستورا بالجلد وان وجهه او جبينه كما ذكر يغشى الناظرين ويمنعهم
روية نوره وبهائه لما فى جبينه من السر الذى حكته الشمس بانها تظهر
بعد مغيبها كما كان موضع الجرح مستترا ثم ظهر بالشجة وانه لما اودعه
الله فيه من كمال الجمال وتمام البهاء لم تظهر فيه آثار الباساء بل ما فيه من
الجمال والبهاء سواء فى حالتى السراء والباساء وان الوجوه تخجل عند روية
وجهه وتتلون بالوان الحرباء من فرط خجلها من جماله العظيم ومحياه الوسيم
وان قاصده اذا قصد منه بشرا او قصد نداه يحصل له من فرط كرمه و
جماله ما يذهل القاصد المذكور من كثرة بشره وجماله وفرط كرمه وافضاله
صلى الله عليه وسلم **الادلة** روى البخارى رضى الله عنه من حديث جابر بن
عبد الله اعطيت خمسا لم يعطهن احد قبلى نصرت بالرعب مسيرة شهر
وجعلت لى الارض مسجدا وطهورا فايما رجل من امتى ادركته الصلوة فليصل
واحلت لى الغنايم ولم تحل لاحد قبلى واعطيت الشفاعة وكان النبى يبعث
الى قومه خاصة وبعثت الى الناس عامة وروى من حديث سعد انه
سيل عن جرح رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ــــ والله انى لاعرف
من كان يغسل جرح رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن كان يسكب الماء
وبما دووى قال كانت فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم تغسله
وعلى يسكب الماء بالمجن فلما رات فاطمة ان الماء لا يزيد الدم الا
كثرة اخذت قطعة حصير واحرقتها فالصقتها فاستمسك الدم
وكسرت رباعيته يومئذ وجرح وجهه وكسرت البيضة على راسه

او بتقبيل راحة كان لله وبالله اخذها والعطاء
تتقى باسها الملوك وتحظى بالغنى من نوالها الفقراء
لا تسل سيل جودها انما يكـــفيك من وكف سحبها الانداء
درت الشاة حين مرت عليها فلها ثروة بها ونماء
نبع الماء اثمر النخل فى عا م بها سبحت بها الحصباء

احيت

احيت المرملين من موت جهد اعوز القوم فيه زاد وماء
فتغذى بالصاع الف جياع وتروى بالصاع الف ظماء
ووفى قدره بيضة من نضار دين سلمان حين حان الوفاء
كان يدعى قنا فاعتق لما اينعت من نخيله الاقناء
افلا يعذرون سلمان لما ان عرته من ذكره العرواء
وازالت بلمسها كل داء اكبرته اطبة واساء
وعيون مرت بها وهى رمد فارتها ما لم تره الزرقاء
واعادت على قتادة عينا فهى حتى مماته النجلاء

اللغة التقبيل لثم الفم والقبلة بضم القاف واحدة القبل كغرفة و
غرب والراحة الكف واخذت الشىء آخذه اخذا تناولته والعطاء
اسم مصدر والمصدر الاعطاء والفعل اعطى وعطاء اصله عطاو
ابدلت من الواو همزة لتطرفها ويقال اتقى يتقى والاصل اوتقى وقعت
الواو اثر كسرة قلبت تاء ثم ادغمت فى التاء فصار اتقى ثم عاملوا
التاء معاملة الاصول فقالوا يتقى بفتح التاء فيهما قال الجوهرى
ثم لما لم يجدوا له مثالا فى كلامهم قالوا تقى يتقى كقضى يقضى
انتهى وتقول اتقيت الشى خفته وهو المراد هنا والباس الشدة
فى الحرب تقول باس الرجل باسا اذا كان شديد الباس فهو
بئيس على فعيل اى شجاع والملوك جمع ملك ويجمع ايضا على املاك
ويقال ملك وملك ومليك قال الجوهرى كان الملك مخفف من
مالك والملك مقصور من مالك او مليك والمراد من قولهم حظى
بكذا اى فاز به قال الجوهرى رجل حظى اذا كان ذا حظوة ومنزلة لة
واصله فى المراة تصلف عند زوجها والنوال العطاء والنائل
مثله والفقراء جمع فقير الذى له بلغة من العيش لا تسل اصله
لا تسال بالهمز خفف بحذفه وقد قرئ سال سائل وسال سايل بالهمز
وتركه والسيل واحد السيول وهو الماء الجارى اذا كان كثيرا و
الجود بفتح الجيم المطر الغزير تقول جاد المطر يجود جودا فهو
جائد والجمع جود مثل صاحب وصحب والوكف القطر والسحب جمع

سحاب ولا انداء جمع ندى وهو البلل وندى الارض ندا وتقا وبللها
ويقال الندى ندى النهار والسدى ندى الليل والدر اللبن في الشاة
شاة ام معبد ودرت اللبن ارسلته بعد ان لم يكن ضربها فحل قط
والثروة كثرة المال والمراد كثرة اللبن والنماء الكثرة نبع الماء
ينبع وينبع وتنبع نبوعا خرج اثمر النخل اى طلع ثمره والعام السنة
والتسبيح التنزيه والحصباء الحصى ويقال ارمل القوم اذا فقد
زادهم والجهد المشقة يقال اصابهم قحط من المطر فجهد واجهدا
شديدا وجهد عيشهم بالكسر اى نكد واعوزه الشيء اذا احتاج
اليه والزاد طعام يتخذ للسفر والمراد هنا مطلق الطعام والصاع
مكيال يسع اربعة امداد والجياع جمع جايع والجوع ضد الشبع وجاع
يجوع جوعا ومجاعة والظماء جمع ظامئ اى عاطش والبيضة واحدة
بيض الطاير والنضار والنضر الذهب والجمع انضر وسلمان هو الفارسي
صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وسياتي ذكره وحان الشيء اى
قرب ويعذر ونراى يرون له عذرا وعراه غشيه والعرواء قرة
الحمى ومسها في اول ما تاخذ بالرعدة والقن العبد وربما قالوا
عبيد اقنان والداء المرض واكبرت الشيء استعظمته والاطبة
جمع طبيب وهو العالم بالطب والإساء المرض والإساء ايضا
جمع آس كراع ورعاء وعيون جمع عين وهي الباصرة رُمْد جمع ارمد
كعمياء وعمي والرمد وجع في العين والزرقاء هي زرقاء اليمامة
كانت في غاية من حدة البصر وقتادة هو ابن النعمان الصحابي
رضي الله عنه والنجل سعة العين والعين نجلاء وكان المراد سعة
نظرها كما سياتي **الاعراب** او بتقبيل او عاطفة لقوله
بتقبيل على قوله برؤية وجه اى اوليته خصني بتقبيل راحة
صفاتها كذا وكان اخذها كان واسمها والعطاء معطوف على
اسمها وخبرها الله وبالله اى كل منهما لاجل الله تعالى وكل منهما
مستعان فيه بالله تعالى والجملة كلها صفة لراحة وقوله تسقى
باسمها الملول فعل ومفعول وفاعل والجملة صفة ثانية لراحة

او

او حال منها لوصفها بالجملة السابقة وجملة وتحفلي الى اخرها معطوفة
على تسقى بالغنى متعلق بتحفلي ومن نوالها صفة للغنى والفقراء فاعل تحفل
تسل فعل مضارع مجزوم بلا الناهية وسيل جودها مفعول تسل وجودها
مضاف اليه ويكفيك فعل ومفعول والانداء فاعل يكفيك من وكف
سحبها حال من الانداء تقدمت عليه وانما للحصر درت الشاة فعل و
فاعل وكانت هذه المذكورات ابدال تفصيلية من جودها وحين
ظرف لدرت وفاعل مرت ضمير الراحة وعليها متعلق بمرت وضمير
الشاة فلها ضمير للشاة وهو خبر مقدم لثروة وهو مبتدأ ونماء
عطف عليه وبها ضمير للراحة والباء سببية اى بسبب الراحة نبع الماء
جملة فعلية وكذا اثمر النخل وقوله في عام ظرف لاثمر النخل وبها الباء
سببية والضمير للراحة وسبحت الحصباء جملة فعلية ايضا والباء
في بها ظرفية والضمير للراحة احيت المرملين فاعل احيت ضمير الراحة
والمرملين مفعول ومن موت جهد متعلق اما باحيت او بالمرملين
وموت جهد تركيب اضافي اضاف فيه المسبب الى سببه واعوز
القوم الى اخره فعل ومفعول وزاد فاعله وما عطف عليه والضمير
من فيه للجهد والجملة صفة جهد فتغذى الفاء سببية وتغذى
الف فعلية وبالصاع متعلق بتغذى وتروى الف ظماء
فعلية معطوفة على ما قبلها وبالصاع متعلق بتروى وجياع و
ظماء صفة لما قبلهما وفي قدر بيضة فعلية وبيضة مضاف
اليه ومن نضار صفة لقدر ودين سلمان مفعول ومضاف
اليه وحين ظرف للفعل الذي في صدر البيت وحان الوفاء
فعلية في محل جر باضافة حين ولم يذكر ضمير الراحة في هذا
البيت للعلم به مما سبق وكان اسمها ضمير عائد على سلمان يدعى
فعلية نائب الفاعل فيها ضمير سلمان ايضا وقنا مفعول ثان
ليدعى اى كان يدعى عبدا لانه كان مكاتبا وهو قن ما بقي
عليه درهم فاعتق بالاداء لما اثمرت نخيله وكثرت ثمرتها ونضجت
يقال ينع وايتع اذا نضج والاقناء فاعل اينعت ومن نخيله حال

من الاقناء والاقناء جمع قنو وهو العذق ويجمع ايضا على قنوان افلا
استفهام انكاري فيه معنى التعجب اي كيف لا يعذرون سلمان وفاعل
يعذرون ضمير عائد على موالي سلمان ولما ظرف عرته والعرواء فاعل
عرته ومن ذكره متعلق بعرته وان وما بعدها في موضع جر باضافة
لما وازالت فعلية والفاعل ضمير الراحة والتاء علامة التانيث
وكل داء مفعول ومضاف اليه وبلمسها متعلق بازالت وجملة
اكبر تردّاء واطبته فاعل واساء معطوف عليه وعيون مرت بها
اسمية كبرى في ضمنها فعلية صغرى فاعلها ضمير الراحة وضمير
بها للعيون وهي رمد اسمية حالية من عيون فاردتها فعلية
فاعلها ضمير الراحة وها مفعول اول وجملة ما لم تر الى اخرها
قائمة مقام المفعولين الثاني والثالث والزرقاء فاعل ترى وما
موصولة وجملة لم تر الزرقاء صلتها والعائد محذوف وهو
الضمير المنصوب مفعولا به واعادت فعلية معطوفة على ما
قبلها والتاء علامة تانيث الفاعل وهو ضمير الراحة وعلى قتادة
متعلق باعادت وعينا مفعوله فهي مبتدأ والنجلاء خبره وحتى
مماته اي الى مماته فحتى غاية بمعنى الى فمماته مجرور بها **البديع**
قابل بين الاخذ والعطاء وبين الملوك والفقراء وبين تتقي وتخطي
واستعمل الجناس في لا تسل وسيل وقابل بين الموت والاحياء والزاد
والماء والري والشبع المفهوم من تغتدي والجياع والظماء وجانس
بين عرته والعرواء **المعنى** ان الناظم كما تمنى فيما سبق ان يحظى برؤية
وجهه تمنى في هذه الابيات ان يكون قد حظي بتقبيل راحته الشريفة
ووصفها باوصاف ذكرها كما ذكر وجهه صلى الله عليه وسلم من اوصاف
تلك الراحة الشريفة ان عطاءها واخذها كل منهما كان لاجل الله تعالى
وباستعانته ومعونته لا يشوبه شيء من الاعراض الدنيوية وان الملوك
والجبابرة وعظماء الدنيا يخشون باسها وسطوتها وان الفقراء والمسا كين
والضعفاء يحصل لهم الغنى من نوالها وجودها وبركتها وان يسير
جودها وقليل عطائها يغني سائلها فضلا عن كثيره ذكر في الحثها بقول القائل

له

له راحة لو ان معشار جودها   على البر كان البر اندى من البحر
وان من جودها ادرار اللبن الكثير جدا من شاة ام معبد التي لم
يضربها فحل وهي عجفاء ونبع الماء الكثير من بين اصابعه الشريفة
صلى الله عليه وسلم حتى ارتوى الالوف منه وتكثير الطعام ببركته حتى
شبع منه الالوف وقد كان كل منهما لا يكفي العدد اليسير فضلا
عما فوقه واثمار النخل الذي مسته بيده في عام احد وتسبيح الحصى
فيها لله تعالى ومن ذلك قصة سلمان الفارسي حيث وفى دين كتابته
لمواليه وقد كان شيئا كثيرا من قطعة ذهب قدر البيضة اعطاها
له صلى الله عليه وسلم وما حصل من ثمار نخيله التي غرسها رسول الله صلى
الله عليه وسلم بيده وهي ثلاثمائة ودية ولاجل ذلك الذي رآه
من عظيم آياته وبركته كان اذا ذكر النبي صلى الله عليه وسلم تأخذه
الرعدة ومنها ما يحصل من ازالة الامراض والادواء حين يمس بها
مواضع تلك الاعراض العظيمة التي تعجز الاطباء مداواتها ولا يقدرون
عليها كازالة الرمد من العيون بحيث يصير اقوى رؤية منها قبل
ذلك الرمد ورد عين قتادة بن النعمان لما سالت على خده فكانت
احسن عينيه واحدّهما نظرا ببركة يده الشريفة صلى الله عليه وسلم
الادلة قصة شاة ام معبد ذكرها ابن سيد الناس في سيرته
بسنده قال لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه الصديق
وعامر بن فهيرة مروا بام معبد الخزاعية وهي لا تعرفه فقال
لها يا ام معبد هل عندك من لبن قالت لا والله وان الغنم لعازبة
قال فما هذه الشاة التي اراها الشاة رآها في كفاء البيت قالت
شاة خلفها الجهد عن الغنم قال اتأذنين في حلابها قالت والله ما
ضربها من فحل قط فشأنك بها فدعا بها فمسح ضرعها وظهرها ثم دعا
باناء يروي الرهط فحلب فيه فملأه فسقى اصحابه عللا بعد نهل ثم
حلب فيه آخر فغادره عندها وارتحل فلما جاء زوجها عند المساء
قال يا ام معبد ما هذا اللبن ولا حلوبة في البيت والغنم عازبة
فذكرت له الخبر واما قصة سلمان الفارسي فذكرها في السيرة المذكورة

وفي الهشامية والذي نور ده من ذلك انه لما قدم رسول الله صلى الله
عليه وسلم المدينة جاءه وآمن به وكان رقيقا ثم قال له صلى الله عليه وسلم
كاتب قال فكاتبت صاحبي على ثلاثمائة نخلة أحييها له بالنقر واربعين
اوقية ذهب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اعينوا اخاكم فاعا نه
كلٌ بحَسَبه قال حتى اجتمعت لي ثلاثمائة وَدِيّة فقال له رسول الله
صلى الله عليه وسلم اذهب يا سلمان ففقّر لها فاذا فرغت فأت الى
انا اضعها بيدي قال ففقّرت واعانني اصحابي فاخبرته فخرج معي
اليها فجعلنا نقرّب اليه الوَدِيّ فيضعه حتى فرغت فوالذي نفس
سلمان بيده ما فات منها وَدِيّة واحدة فاديت النخل وبقي على
المال فاتي رسول الله صلى الله عليه وسلم بمثل بيضة الدجاجة من
ذهب من بعض المعادن فقال ما فعل الفارسي المكاتب فدعيت
له فقال خذ هذه فادّها مما عليك قلت واين تقع هذه يا رسول
الله مما علي قال خذها فان الله سيؤدّي بها عنك فاخذتها
فوزنت لهم منها والذي نفس سلمان بيده اربعين اوقية فاوفيتهم
حقهم فشهدت معه صلى الله عليه وسلم الخندق ثم لم يفتني معه
مَشهد وفي البخاري من حديث انس قال اتي رسول الله صلى الله عليه وسلم
باناء وهو بالزوراء فوضع يده في الاناء فجعل الماء ينبع من بين
اصابعه فتوضأ القوم قال قتادة قلت لانس كم كنتم قال
ثلاثمائة او زُهاء ثلاثمائة وروي من حديث جابر بن عبد الله
قال عطش الناس يوم الحديبية والنبي صلى الله عليه وسلم بين
يديه ركوة فتوضأ ثم قالوا ليس عندنا ما نتوضأ به ولا نشرب
الا ما بين يديك فوضع يده في الركوة فجعل الماء يفور من
بين اصابعه كامثال العيون فشربنا وتوضأنا قلت كم كنتم
قال لو كنا مائة الف لكفانا كنا خمس عشرة مائة وروي من حديث
البراء قال كنا بالحديبية اربع عشرة مائة والحديبية بئر فنزحنا ها
حتى لم نترك فيها قطرة فجلس النبي صلى الله عليه وسلم على شفير البئر
فدعا بماء فتمضمض ومجّ في البئر فمكثنا غير بعيد ثم استقينا

حتى روينا وروينا وصدرت ركابنا قال ابن هشام واصيبت
عين قتادة يوم احد حتى وقعت على وجنته قال ابن اسحق فحد ثني
عاصم بن عمير بن قتادة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ردها
بيده فكانت احسن عينيه واحدّهما قال انس اخذ رسول الله صلى
الله عليه وسلم كفا من حصى فسبّحن في يد رسول الله صلى الله عليه وسلم
حتى سمعنا التسبيح ثم صبهن في يد ابي بكر فسبّحن ثم في ايدينا
فما سبّحن وروى البخاري في غزوة خيبر من حديث سهل بن
سعد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم خيبر قال
لاعطين هذه الراية غدا رجلا يفتح الله على يديه يحب الله ورسوله
ويحبه الله ورسوله فلما اصبح الناس غدوا على رسول الله صلى الله
عليه وسلم كلهم يرجوا ان يعطاها فقال عليه السلام اين علي بن ابي طالب
فقالوا هو يا رسول الله يشتكي عينيه قال فارسلوا اليه فاتي
به فبصق رسول الله صلى الله عليه وسلم في عينيه ودعا له
فبرأ حتى كان لم يكن به وجع فاعطاه الراية

او بلثم التراب من قدم لا ... نت حياءً من مسها الصفواء
مَوطئ الأخمص الذي منه للقلـ ... ـب اذا مَضجعي اقضّ وِطاء
حَظِي المسجد الحرام بممشا ... ها ولم ينس حظه ايلياء
وَرِمت اذ رمى بها ظلم الليـ ... ـل الى الله خوفه والرجاء
دَميت في الوغى لتكسب طيبا ... ما اراقت من الدم الشهداء
فهي قطب المحراب والحرب كم دا ... رت عليها في طاعة ارحاء
واراه لو لم يسكّن بها قبـ ... ـل حراءٌ ماجت به الدأماء

اللغة اللثم القبلة ولثمت فاها بالكسر اذا قبلتها وربما جاء بالفتح
والقدم واحد الاقدام ولان الشيء يلين لينا وهو ضد الخشونة
والحياء الاستحياء والمس اللمس والصفواء الحجارة والاخمصان
ما دخل في باطن القدم ولم يصب الارض والاخمص مفرده والقلب
الفؤاد وقد يعبر به عن العقل نحو ان في ذلك لذكرى لمن كان له
قلب وضجع الرجل يضجع ضجعا وضجوعا وضع جنبه بالارض واضطجع

بمعناه واقض مضجعه واقضه الله تعالى تترب واستقض مضجعه
اى وجده خشنا والوطا مخلاف الغطاء وحظى المسجد الحرام اى
فضل حرم مكة غيره من البقاع بممشاها اى بمشى تلك القدم فيه
او بموضع مشيه منه ولم ييئس حظه اى اذ بيت المقدس حصل
له شرف بممشاه فيه ليلة الاسراء وايلياء اسم لبيت المقدس ويقال
وَرِم يَرِم بحذف الفاء لوقوعها بين ياء وكسرة والورم واحد
الاورام وورمته توريما وتورمه هو ورمى بها ظلم الليل اى قام
طول الليل على قدمه فى طاعة الله حتى ذهب ظلامه فالباء اما
بمعنى من كما تقول رميت الشيء من يدى او بمعنى عن كما تقول رميت
عن القوس فانه لا يقال رميت بالقوس بل بالسهم وجعلها بمعنى
من احسن لتضمن ذلك جعل الرجل كالقوس لما بينهما من الشبه
لاشتمال كل منهما على منخفض بين مرتفعين والرجاء بمعنى الامل
والخوف من الشيء توقع المكروه من قبله دميت اى خرج دمها والوغى
الصوت والجلبة ويقال للحرب لما فيها من الصوت والجلبة وهو المراد
هنا لتكسب لتفيد الدم الذى اراقه الشهداء عند حصول الشهادة
بسببها طيبا اى رائحة طيبة فهى قطب المحراب والحرب اى ثابتات
فيهما فى الصلوة والقتال والارجاء القبائل وقطب الرحى هو ما
يدور عليه الرحى وصاحب الجيش قطب رحى الحرب ولما كانت هذه
القدم المباركة قطبا فى الصلوة والجهاد دارت عليها قبائل
العرب الذين الزمهم الله تعالى بالطاعة واراه بمعنى اظن واعلم
لقوله تعالى انهم يرونه بعيدا ونراه قريبا واراه فى كلام الناظم
يحتملهما يسكن حراء يمنعه الحركة وحراء الجبل المعروف بمكة الذى
هو موضع التحنث والعبادة ماجت اضطربت والذاما بالمعجمة كانه
اراد بها الحركة السريعة **الاعراب** او عاطفة لقوله يلثم على قوله
قبل ذلك برؤية وجه كما عطف عليه قوله بتقبيل والتراب مفعول
المصدر وقد اضيف المصدر اليه من قدم يصح تعلقه بالتراب
وبلثم ولانت الصفواء فعلية وقعت صفة لقدم ومن منها متعلق

بلانت

بلانت وحياء تمييز وموطئ الاخمص يصح جره بدلا من التراب
ورفعه خبر المبتدأ محذوف والاخمص مضاف اليه والمراد الجنس
الصادق باخمص الرجلين معا الذى صفة الاخمص وهو موصول
صلته للقلب منه وطاء فوطاء مبتدأ وللقلب خبر ومنه صفة
وطاء تقدمت عليه صارت حالا واذا ظرف زمان للمستقبل ومضجعى
اقض اسمية فى محل جر باضافة اذا اليها وافادت اذا شرطية الجملة
التى تليها الجملة المتلوة بها والمسجد فاعل حظى والحرام صفة لمسجد
والجملة مستانفة بممشاها الباء متعلقة بحظى والضمير للقدم وايلياء
فاعل ييئس وحظه مفعول وَرِمَت جملة فعلية فاعلها ضمير يعود
على القدم اذ ظرف اى وقت قيام عليها الليل ورمى بها فاعل
يعود على النبى صلى الله عليه وسلم وبها متعلق برمى وضميرها للقدم
والجملة فى محل جر باضافة اذ اليها وظلم الليل مفعول ومضاف اليه
وخوف مبتدأ والرجاء معطوف على المبتدأ والى الله خبر المبتدأ
وما عطف عليه اى الامران منه يتقرب بهما الى الله تعالى دميت
جملة فعلية فاعلها ضمير القدم وفى الوغى متعلق بدميت واللام فى
لتكسب لام العلة وتكسب مضموم الاول مكسور الثالث وهو منصوب
بان مضمرة وجوبا وطيبا مفعول ثان لتكسب وما اراقت مفعوله
الاول وما موصول واراقت صلته والعائد محذوف اى اراقته
والشهداء فاعل اراقت ومن الدم بيان للهاء المحذوف من اراقت
فهى مبتدأ قطب المحراب خبر ومضاف اليه والحرب معطوف على المحراب
وكم خبرية مميزها محذوف اى مرات كثيرة والارجاء فاعل دارت
وفى طاعته حال من الفاعل لتقدمها عليه واراه اى اعلم والضمير
المنصوب للنبى صلى الله عليه وسلم وحراء مفعول يسكن وضميره بها
للقدم والباء متعلقة بيسكن وماجت به الذاماء فى موضع
المفعول الثانى وضمير به اما للنبى صلى الله عليه وسلم او لحراء ولو
لم يسكن شرط جوابه محذوف لدلالة الكلام وقبل ظرف مقطوع
عن الاضافة مبنى على الضم **البديع** راعى النظير بين الاخمص والقلب

والاشتقاق فى المحراب والحرب والجناس فى ورمت وورمى وفى
حطى وحطه وقابل بين الخوف والرجاء والميل المفهوم من ماج
والتسكين المعنى تمنى موطئ قدمه الشريفة صلى الله عليه وسلم تقبيل ع
التى لونت لمثالها الحجارة الصم استحياء منها ان تستمر على صلابتها
مع مسها لها وعبر عنها بالاخص تعبيرا بالبعض عن الكل وان
موضعها يكون وطاء لقلبه ومعاذ الله لشدة ميله اليه اذا
خشنت المضاجع وان المسجد الحرام الذى هو افضل البقاع حظى
بمشى تلك القدم فيه كما حظى بمشيها فيه بيت المقدس وانما لم يذكر
المدينة لانها موضع مقامه ومدفنه فقد وجد فيه امور هى
اعلى من المشى ففضلها اغنى عن التنبيه عليه ووصف القدم
المذكورة بانها ورمت من طول قيامه عليها فى طاعة الله تعالى
صلوة وخوفا ورجاء وان كل ذلك الصاد رمنه لله تعالى عصمه
الله تعالى من الميل به الى اغراض الدنيا صلى الله عليه وسلم وانها دميت
فى الحرب لتكسب دمها الخارج منها دم الشهداء طيبا فانه اطيب
من دم الشهداء وان ورد فيه ان اللون لون الدم والريح ريح
المسك لان دمه صلى الله عليه وسلم افضل من دم الشهيد لا سيما
وقد سال فى سبيل الله تعالى ووصفها ايضا بانها القطب الثابت
فى حالتى الصلوة والقتال فى سبيل الله الذى لا يتحول ولا ينتقل
عن مكانه بل يدور عليه فيهما القبائل للاقتداء به والمجاهدة
معه صلى الله عليه وسلم وانه لو لم يسكن بالقدم المذكورة حراء
لما اراد التحنث فيه ماجت به سرعة الحركة واستمر اضطرابه
به صلى الله عليه وسلم كما انه صلى الله عليه وسلم لما صعد احدا تحرك
به فقال اثبت احد فذاك تسكين بالقول وهذا بالفعل **الادلة**
روى البخارى ومسلم انه صلى الله عليه وسلم قام حتى تورمت قدماه
وقيل له اتتكلف هذا وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تاخر
فقال افلا اكون عبدا شكورا وروى البخارى ايضا من حديث جندب
ابن سفيان ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان فى بعض المشاهد وقد دميت

اصبعه فقال هل انت الا اصبع دميت وفى سبيل الله ما لقيت

عجبا للكفار زادوا ضلالا   بالذى فيه للعقول اهتداء
والذى يسالون منه كتاب   منزل قد اتاهم وارتقاء
اولم يكفهم من الله ذكر   فيه للناس رحمة وشفاء
اعجز الانس آية منه والجـ   ـن فهلا تاتى به البلغاء
كل يوم تهدى الى سامعيه   معجزات من لفظه القراء
تتحلى بها المسامع والافـ   ـواه فهو الحلى والحلواء
رق لفظا وراق معنى فجاءت   فى حلاها وحليها الخنساء
وارتنا فيه غوامض فضل   رقة من زلاله وصفاء
انما تجتلى الوجوه اذا ما   جليت عن مرآتها الاصداء
سور منه اشبهت صورا منـ   ـا ومثل النظائر النظراء
والاقاويل عندهم كالتماثيـ   ـل فلا يوهمنك الخطباء
كم ابانت آياته من علوم   عن حروف ابان عنها الهجاء
فهى كالحب والنوى اعجب الز   راع منها سنابل وزكاء
فاطالوا فيه التردد والريـ   ـب فقالوا سحر وقالوا افتراء
واذا البينات لم تغن شيئا   فالتماس الهدى بهن عناء
واذا ضلت العقول على علـ   ـم فماذا تقوله النصحاء

اللغة التعجب الامر الذى يتعجب منه والمصدر والعقول جمع
عقل والاهتداء الرشاد والارتقاء العلو واعجز الانس والجن
اضعفهم بحيث لا ياتون بمثله والبلغاء جمع بليغ والبلاغة
الفصاحة ومعجزات جمع معجزة وقدم تفسيرها والافواه جمع
فوه والفوه اصل قولنا فم قال فى الصحاح الا انهم استثقلوا اجتماع
الهائين فى قولهم هذا فوهه بالاضافة فحذفوا منها الهاء فقالوا
هذا فوه رق لفظا حسن وراقنى الشئ اعجبنى وحلية الرجل
صفته والحلى ما يزين به والمراد من الخنساء هنا بنت عمرو اخت
صخر لانها كانت شاعرة وقد سمى بهذا الاسم نسوة كثيرة والغوا   مض
جمع غامضة وهى ما يحتاج من الكلام الى تدقيق فهم ويقال

جليت العروس ولجتليتها بمعنىً اذا نظرت اليها مجلوة وجليت
الاصداء ازيلت والاصداء جمع صداء والمرآة بكسر الميم هى التى
ينظر فيها والسورة الطايفة من القرآن المترجمة التى اقلها
ثلاث آيات والصور جمع صورة وهى الشكل والمشابهة المماثلة
والنظراء جمع نظير وهو المثل والمناظر والنظائر الاماثل
الافاضل ويكون جمعا النظير وهو المراد والتماثيل جمع تمثال
وهو الصورة يقال قول واقوال واقاويل والخطباء جمع خطيب
وابنت الشئ اوضحته وآيات جمع آية وحروف الهجاء هى
التى يتهجى بها وهى اسماء مسمياتها الحروف التى كتب منها الكلم
ويقابلها حروف المعانى والحبت واحدة حبة وهى من الحنطة
ونحوها من الحبوب والنوى نوى التمر ونحوه واحده نواة والزرا ع
جمع زارع والسنابل جمع سنبلة والزكاء النمو والريب التهمة
والشك والسحر كل ما لطف مأخذه ورق والافتراء الكذب
والاختلاق والالتماس الطلب والعناء التعب والضلال
ضد الرشاد والنصحاء جمع ناصح الاعراب عجبا مصدر
لفعل محذوف اى اعجب عجبا للكفار متعلق به وجملة زادوا
حال وضلالا تمييز بالذى متعلق بزادوا وما بعده صلة وعايد
وللعقول لاهتداء مبتدأ وخبر وفيه متعلق باهتداء والذى
موصول وهو مبتدأ ويسألون صلة الموصول والظاهر ان العا ئد
محذوف اى يسألونه وضمير منه للنبى صلى الله عليه وسلم وكتاب
خبر المبتدأ ومنزل صفته وقد اتاهم جملة حالية وارتقاء معطو ف
على كتاب وكانه اشار الى قوله تعالى او ترقى فى السماء ولن نؤمن
لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه أولم الهمزة للاستفهام
الانكارى والواو عاطفة على محذوف اى اضلوا فطلبوا الامر
ولم يكفهم من الله ذكر فذكر فاعل يكفهم وضميرهم مفعوله ومن
الله صفة ذكر قدمت عليه فصارت حالا وضمير فيه للقرآن
والجملة صفة ذكر وآية فاعل اعجز والانس مفعول به والجن معطوف

على

على الانس وهلا للتحضيض والبلغاء فاعل تأتى به الضمير للقرآن
اى بمثله على حذف مضاف كل يوم ظرف ومضاف اليه تهدى فاعله
القراء والمعجزات مفعوله ومن لفظه متعلق بمعجزات والى المسامع
متعلق بتهدى تجلى امام الحلى ومن الحلاوة والمسامع فاعله وبها
متعلق بتجلى والافواه معطوف على المسامع فهو الحلى مبتدأ و
خبر والحلواء عطف على الخبر ورق فعلية فاعلها ضمير الذكر الذى
هو القرآن ولفظاً تمييز وراق جملة كالاولى ومعنىً تمييز والخنساء
فاعل نجاءت وقوله فى حلاها حال وحليها معطوف على حلاها
وارتنا فعل ومفعول اول والمفعول الثانى غوامض وفضل
مضاف اليه ورقت فاعل ارتنا من زلاله صفة الفاعل وصفاء
معطوف على الفاعل انما اداة حصر تجتلى الوجوه فعل مبنى
للمفعول ومرفوعه الوجوه واذا ظرف متضمن معنى الشرط
وما زائدة وجليت الاصداء جملة من فعل المفعول ومرفوعه فى
محل جر باضافة اذا اليها وعن مرآتها متعلق بجليت سور مبتدأ
لوصفه بالمجرور بعده واشبهت خبر المبتدأ وضمير السور فاعله
وصورا مفعوله ومناصفة صورا وجملة قوله ومثل الى آخره
اسمية تفيد تاكيد المعنى الذى افاده ما قبلها والاقاويل مبتدأ
خبره كالتماثيل وعندهم يصح تعلقه بما قبله وبما بعده وجملة
فلا توهمنك الخطباء ناهية مؤكدة لما فهم مما قبلها وكم خبرية و
مميزها محذوف وآياته فاعل ابانت ومن علومه مجرور بمن الزائدة
وعن حروف حال من الفاعل واابان عنها الهجاء صفة حروف وعنها
متعلق بأبان فهى مبتدأ كالحبت خبره والنوى عطف على الخبر يجب
فعل فاعله ضمير الخبر وما عطف عليه بنا ويل المذكور والواو بمعنى
أو والزراع مفعول وسنابل فاعله وزكاء عطف عليه فاطالوا
الضمير عايد على الكفار وهو فاعل اطالوا والترداد مفعوله والر يب
معطوف عليه فقالوا عطف على اطالوا بالفاء السببية سحر خبر
مبتدأ محذوف تقديره هى سحر والجملة مقول القول وقالوا افتراء

جملة معطوفة على جملة فقالوا سحر وافتراء خبر مبتدأ محذوف واذا
البينات مبتدأ لم تغن خبره شيئا مفعوله وفاعله ضمير البينات
فالتماس الهدى من عناء جواب الشرط والتماس مبتدأ خبره عناء
ومن متعلق بالتماس والهدى مضاف اليه وضلت العقول
جملة مضاف اليها اذا وعلى بمعنى مع فماذا استفهام انكارى وذا
مبتدأ وهو موصول وتقوله صلة الموصول خبر ما الموصول و
الفصحاء فاعل تقوله والهاء مفعول عائدة على الموصول البديع
طابق بين الهدى والضلال وبين الانس والجن وراعى النظير فى
المسامع والافواه وجانس بين الحلى والحلواء واستعمل اللف والنشر
المرتب فرجع الحلى الى المسامع والحلواء الى الافواه واستعمل الجناس
فى رق وراق وطابق بين اللفظ والمعنى وراعى النظير فى الرقة و
الصفاء والاشتقاق فى تجتلى وجليت والجناس بين سور وصور
والنظائر والنظراء وراعى النظير بين الآيات والحروف والهجاء
والتلميح فى فقالوا سحر وقالوا افتراء المعنى لما ذكر فيما تقدم
جملة كثيرة من معجزاته صلى الله عليه وسلم التى شاهدها الكفار
تعجب من بقائهم على كفرهم مع مشاهدتها بل من ازدياد كفرهم
بمشاهدتهم من الآيات والمعجزات ما يرشد العقول الى الحق و ويهدى
اليه لولا المعاندة والخذلان واخذ يوبخهم بما حكاه عنهم من
انهم سألوه صلى الله عليه وسلم ان يرقى فى السماء ويأتيهم بكتاب
منزل عليه ولم يكفهم عن ذلك الذى تعنتوا بطلبه واقترحوه
عليه ما انزل عليه من الكتاب العزيز الذى هو رحمة للمذنبين
وشفاء للمؤمنين قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء ثم استطرد
فى ذكر شىء مما اشتمل عليه القرآن العزيز من المعجزات الباهرة و
الآيات الظاهرة فمنها ان الجن والانس عجزوا عن ان يأتوا باية
منه قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان يأتوا بمثل هذا القرآن
لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا هذا مع انهم كانوا
هم الفصحاء فى ذلك الزمان والبلغاء فى ذلك الاوان ونحوهم

على

على ذلك بقوله فهلا تأتى به البلغاء فلم يأتوا بشىء بل عدلوا
عن المعارضة باللسان الى المقاتلة بالسيف والسنان وعدلوا
عن اقامة الحجج وبذلوا النفوس والمهج ثم ذكر ان القرآن فى
كل يوم بل فى كل ساعة وفى كل حين يطلع سامعه اذا تلاه قارئه
الفاظه الكريمة ومن آياته العظيمة على معجزات وخوارق عادات
من عذوبة اللفظ وانسجامه وجزالة المعنى واحكامه وصدق
اخباره مع كثرة اخباره وروعة سامعه وتاليه وهيبة مستمعه
وقارئه وانه لا يمل على طول الازمان بل يزداد فيه رغبة القلب
واللسان تحلى بحلاوته الاسماع وتتلذذ بحلاوته الافواه والطباع
لكن انما يشاهد ذلك ويعلمه من مرآة عقله سالمة من الصدا
صقيلة وقوة ادراكه غير سقيمة ولا عليلة وهؤلاء الكفرة
انتشر صداء الحسد على قلوبهم فملأها ريبا وضلت عقولهم فلا
تجد للرشاد والفلاح فيها اثرا ولا عينا ثم مثل سور القرآن
بصور البشر وشبهها بها من حيث ان كل سورة منه فى حسن
النظم ورقة اللفظ وبلاغة المعنى لا تشبه غيرها من السور
فى ذلك بل كل واحدة من السور بانفرادها فى اعلى رتب الفصاحة
واجل انواع البلاغة لا يتوقف علم ذلك فيها ومنها على ذكر غيرها
من السور كما ان افراد البشر فى حسن الصورة وكمال الادراك
وقوة التعقل غير مفتقر فى ذلك بعضهم الى بعض بل هو مستقل
بقيام ذلك به واستقامته فيه ومن معجزات القرآن الكريم
ما اوضحه من العلوم والمعارف التى دلت عليها الفاظه
بمنطوقها ومفهومها المركبة من حروف الهجاء وهذه الالفاظ
التى دلت عليها هذه المعانى الغزيرة والاحكام الكثيرة وان
كانت مركبة من هذه الحروف المحصورة التى هى ثمانية وعشرون
حرفا او تسعة وعشرون حرفا لا يستبعد منها هذا فهى
كالحب والنوى الذى يلقيه الزارع بالارض ويحصل منها هذه
السنابل التى تفوت الحصر وهذه الحبات الحاصلة من هذه

السنابل التى هى فى النماء والكثرة بحيث لو اجتمع اهل الارض على استقصاء عددها واستيفاء مددها لم يجدوا الى ذلك سبيلاً فكما انه قد حصل من المتناهى ما لا يتناهى هنا فكذا هناك ومع هذه البراهين العظيمة والآيات الجسيمة قابلوا ذلك بالتردد فيه والارتياب فقالوا مرة انه سحر مبين ومرة انه مفترى ومرة انه اساطير الاولين بل هو قرآن مجيد فى لوح محفوظ لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ثم اخذ فى التسلى عن هذا الامر بجملتين الاولى منهما انه اذا كانت الآيات البينات والبراهين الواضحات لا تغنى من شاهدها وراها فلا ينبغى ان الانسان يطلب هذا منهم فان ذلك عناء ومشقة وما تغنى الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون والثانية منهما ان العقول اذا اضلها باريها على علم عندها بما هو الحق فلا ينفع فيها نصح الناصح افرأيت من اتخذ الهه هواه واضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله افلا تذكرون

قوم عيسى عاملتم قوم موسى … بالذى عاملتكم الحنفاء
صدقوا كتبكم وكذبتم كـتبهم ان ذا البئس البواء
لو جحدنا جحودكم لاستوينا … او للحق بالضلال استواء

اللغة المراد بقوم عيسى النصارى وبقوم موسى اليهود والحنفا جمع الحنيف والمراد المسلمون والكتب جمع كتاب وباؤا بغضب اى رجعوا به وصار عليهم والجحد الانكار عن علم والاستواء المساواة الاعراب قوم عيسى منادى اى يا قوم عيسى قوم موسى مفعول عاملتم وبالذى متعلق بعاملتم والحنفاء فاعل عاملتكم والضمير مفعول لصدقوا بدل من عاملتكم وكتبكم مفعوله وكتبهم مفعول كذبتم وان هى المؤكدة وذا اسمها وجملة لبئس البواء خبر ان والبواء فاعل بئس وجحود كم مفعول مطلق ولاستوينا جواب لو كقوله تعالى ولو شئنا لرفعناه بها

والهمزة للاستفهام الانكارى والواو عاطفة على محذوف اى افسد الامر او اعميت قلوبكم وصار للحق بالضلال استواء فاستواء اسم صار وخبرها للحق بالضلال والمعنى لا يكون هذا ابدا • وقد طابق بين التكذيب والتصديق وبين الحق والضلال المعنى خاطب النصارى بانهم صدقوا كتب اليهود وكذب اليهود كتبهم وانكروها كما ان المسلمين صدقوا كتبهم وكذبوا كتب المسلمين فبئس ما صنعوا وبئس ما باؤا به ورجعوا به من الغضب فالمسلمون لم يجحدوا شيئا من كتب الله تعالى وانما وقع التجاحد فى الكتب بين اهل الكتاب فالمسلمون لم يساووهم فى انكار شئ من كتب الله تعالى يا اهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل وتكتمون الحق وانتم تعلمون

ما لكم اخوة الكتاب اناسا … ليس يرعى للحق منكم اخاء
يحسد الاول الاخير وما زا … ل كذا المحدثون والقدماء
قد علمتم بظلم قابيل هابيـ … ـل ومظلوم الاخوة الاتقياء
وسمعتم بكيد ابناء يعقو … ب اخاهم وكلهم صلحاء
حين القوه فى غيابة جب … ورموه بالافك وهو براء
فتأسوا بمن مضى اذ ظلمتم … فالتأسى للنفس فيه عزاء
اتراكم وفيتم حين خانوا … ام تراكم احسنتم اذ اساؤا
بل تمادت على التجاهل آبا … ء تقفت آثارها الابناء
بينته توراتهم والاناجيـ … ـل وهم فى جحوده شركاء
ان تقولوا ما بينته فماذا … لت بها عن عيونهم عشواء
او تقولوا قد بينته فما للا … ذن عما تقوله صماء
عرفوه وانكروه وظلما … كتمته الشهادة الشهداء
او نور الاله تطفئه الافـ … ـواه وهو الذى به يستضاء
او لا تنكرون من طحنتهم … برحاها عن امره الهيجاء
وكساهم ثوب الصغار وقد طـ … ـلت دماء منهم وصينت دماء
كيف يهدى الاله منهم قلوبا … حشوها من حبيبه البغضاء

اللغة اخوة الكتاب سماهم بذلك لانه قد جمعهم ما فيه من التكليف

والاحكام واستووا فى ذلك فصاروا اخوة الكتاب من حيث انهم
مستوون فيما فيه كما يقال للصديقين اخوان اى فى الصداقة
ويُرعى من مراعاة الحقوق اى القيام بما يجب لها من الحق إخاء بكسر
الهمزة ممدود مصدر آخاه كالمواخاة وقابيل وهابيل ابنا
آدم عليه الصلاة والسلام وظلم قابيل هو قتله لاخيه هابيل
ويقال كاد كيد كيدا اى مكر وابناء يعقوب هم الاسباط وكا نوا
احد عشر غير يوسف واخاهم هو يوسف عليه الصلاة والسلام
ويعقوب هو اسرائيل اى عبد الله بن اسحق بن ابرهيم الخليل
عليه الصلاة والسلام وغيابة الجب قعره والجب البئر التى
لم تطو وجمعه اجباب والافك الكذب وبراء اى برئ او
ذو براءة مما رموه به وتأسيت بفلان اى تعزيت به اتراكم
بضم التاء اى اتظنون تمادى على الشئ استمر عليه تقفت
تبعت التوراة الكتاب الذى جاء به السيد موسى بن عمران
عليه الصلاة والسلام والانجيل جمع الجيل وهو ما جاء به السيد
عيسى وجمعه نظرا الى افراده والجحد الانكار مع العلم والاعشى
الذى لا يبصر بالليل ويبصر بالنهار والمرأة عشواء والعشواء
الناقة التى لا تبصر امامها فهى تخبط بيديها كل شئ وركب
فلان العشواء اذا كان قد خبط امره على غير بصيرة ويقال
فلان خابط خبط عشواء وصمت الاذن حصل فيها يبس منعها
السماع عرفوه باطنا وانكروه ظاهرا يقال طفئت النار
تطفأ طفوءا وانطفأت واطفأتها انا وطحنت البر طحنا
اذا صيرته دقيقا والرحى آلة الطحن والهيجاء الحرب والصغار
الذل وطل دمه هدر وصين دمه حقن بالجزية حشوها ملؤها
والبغض ضد الحب والبغضاء شدة البغض **الاعراب**
ما لكم استفهامية اى اى شئ ثبت لكم او حصل لكم واخوة
الكتاب منادى مضاف اى ما الذى ثبت لكم يا اخوة الكتاب
اى يا اهل الكتاب وانا سائلا حال موطئة ليس يُرعى اى يطلب

إخاء

إخاء اسم ليس فيكون النائب الذى هو مفعول يُرعى ضميره ويجوز
ان يجعل النائب هو الاخاء فيكون اسم ليس ضمير الشان والاول
احسن ومنكم متعلق بيرعى يحسد بدل من ليس يُرعى اى عدم رعيكم
للاخاء هو تحاسدكم والاول فاعل والاخير مفعول يحسد و
المحدثون اسم زال وكذا خبرها والقدماء معطوف على اسم
زال قد علمتم فعلية مقرونة بقد التحقيقية وبظلم الباء
متعلقة بعلم ويصح حذفها فيكون ظلم مفعولا صريحا اى قد
علمتم يا اهل الكتاب ظلم وقابيل مضاف اليه وهو من اضافة
المصدر الى فاعله ومفعوله هابيل ومظلوم الاخوة الاتقياء
اسمية مشيرة الى ان هابيل خاف الله تعالى ولم يقتل قابيل
ومنعه عن ذلك التقوى لئن بسطت الى يدك لتقتلنى ما انا
بباسط يدى اليك لاقتلك انى اخاف الله رب العالمين وسمعتم
عطف على علمتم بكيد مثل قوله السابق بظلم فالباء متعلقة
بسمعتم ويصح حذفها لولا النظم وابناء يعقوب مضاف
ومضاف اليه ولخاهم مفعول كيد وابناء فاعله واضيف المصدر
اليه وجملة وكانوا صلحاء مشيرة الى ان اخوة يوسف لم تخرجهم
ذلك عن الصلاح لما سنذكره وحين القوه ظرف مضاف الى
الجملة الفعلية فى غيابة متعلق بالقوه ورموه معطوف على
القوه وبالافك متعلق برموه وهو ضمير يوسف عليه الصلاة
والسلام براء من ذلك الافك الذى رمى به فبراء خبر هو اتراكم
اى اتظنكم اهل الكتاب وفيتم واتيتم بالحق حين كتموه هم و
خانوا فيه فوفيتم واقع موقع المفعول الثانى وحين ظرف لوفيتم
مضاف الى الجملة بعده وهى خانوا والضمير لاهل الكتاب وام هى
معادلة للهمزة السابقة فام متصلة تراكم معطوفة على جملة
تراكم السابقة واحسنتم فى موضع المفعول الثانى واذ ظرف
لاحسنتم مضاف الى ما بعده وهو اساؤا وبل للاضراب اى
لا يرون شيئا من ذلك واباء فاعل قوله بل تمادت وعلى التجاهل

متعلق بتمادت والتجاهل اظهار الجهل عن انفسهم مع علمهم بالحق
فی ذلك وجملة تقفت الى آخرها صفة آباء وفاعل تقفت الابناء
وآثارها مفعول تقفت بينته الضمير فيه للحق وللنبی صلی الله
عليه وسلم توارتهم فاعل ومضاف اليه والاناجيل معطوف على
التوراة والالف واللام بدل عن الضمير ای اناجيلهم والضمير
محذوف ای الاناجيل التی لهم وهم مبتدأ شركاء خبره فی جحوده
متعلق بشركاء وان شرطية تقولوا فعل الشرط والضمير لاهل
الكتاب وما بينته فعلية والفاعل ضمير التوراة والاناجيل
والهاء للحق وللنبی صلی الله عليه وسلم فما زالت هی جملة جواب
الشرط وفاعل زالت العشواء وعن عيونهم متعلق بزالت و
الضمير فيها يعود على الكتب وتقولوا عطف على ان تقولوا و
الضمير لاهل الكتاب وجملة قد بينته فی محل نصب مقول القول
فما الفاء داخلة على جواب الشرط وجوبا وهو قوله ما للاذن و
ما استفهامية وللاذن متعلق بمحذوف ای ما حصل للاذن بعد
ان الكتب بينت الحق حتى انها عما تقوله صماء وعما تقوله متعلق
بصماء وجملة عما تقوله حال عرفوه الضمير الاول لاهل الكتاب
والثانی للنبی او للحق وانكروه عطف على جملة عرفوه والضميران
كالضميرين وظلما مفعول له وكتمته الشهادة الضمير للنبی صلی
الله عليه وسلم والشهادة مفعول كتمت والمعنى اخفى اهل الكتاب
الشهادة بما جاءهم من الحق الذی هو صفة النبی صلی الله عليه وسلم
عن النبی والهمزة فی او نور الاله تطفئه للاستفهام الانكاری
والواو عاطفة على محذوف ای ايظهر الضلال ويطفأ نور الاله
وضمير تطفئه لنور الاله والافواه فاعل وهو المنير المضیء على
الآفاق اولا الهمزة للاستفهام الانكاری كما تقدم والواو
عاطفة على محذوف ای يستمرون على ادعائهم انهم محقون
ولا ينكرون من هلكوا بحربه صلی الله عليه وسلم واظهره الله عليهم
وظفره بهم ومن مفعول وهو موصول والصلة طحنتهم والهيجاء

فاعل

فاعل برحاها الضمير فيه للهيجاء وان تأخر لفظا وعن امره متعلق
بطحنتهم وكساهم فعلية معطوفة على طحنتهم ثوب مفعول
كسى الثانی والضمير مفعوله الاول والواو الداخلة على قد للحال
ودماء نائبة عن الفاعل بطلت ودماء الثانية نائبة عن الفاعل
بصينت والجملة الثانية معطوفة على جملة الحال كيف للاستفهام
الانكاری مفيدة لمعنى التعجب نحو كيف تكفرون بالله سكن الاله
فعلية قلوبا مفعول يهدی ومنهم صفة لقلوبا قدمت عليه
فصارت حالا حشوها مبتدأ والبغضاء خبره ومن حبيبه متعلق
اما بالبغضاء ومعناها حينئذ التعليل ای البغضاء لاجله و
يجوز ان يكون معناها البدل ای حشوها بدل محبته البغضاء ای
كان ينبغی ان يكون حشوها حب حبيبه فحشوها بالبغضاء بدله.
البديع جانس بين الاخوة والاخاء وبين الشهادة والشهداء
واستعمل الطباق فی الاول والاخير والمحدثون والقدماء وفيهم
وخانوا واحسنتم واساؤا وعرفوه وانكروه المعنى انه وبخ اهل
الكتاب الذين لم يؤمنوا برسول الله صلی الله عليه وسلم وتحاسدوا
وتباغضوا لحسد اليهود النصارى وضللوهم وحسد الطائفتان
معا المسلمين على الاسلام وانكروا نبوة محمد صلی الله عليه وسلم
فما الموجب لضياع الاخاء بينهم وما هذا الا مجرد شقاوة وخذ لان
نسأل الله العافية واكثر ما ذكره من حسد الاول للآخر بان الحال
لم يزل على ذلك من لدن آدم عليه الصلاة والسلام الى الآن
الا ترى قصة ابنی آدم قابيل وهابيل وذلك ان السيد آدم
لما اهبط الى الارض واراد الله تعالى ايجاد ذريته جاءه من
حواء عشرون بطنا فی كل بطن ولدان وبارك الله فی نسله
حتى لم يمت الا ان وجد من نسله فی الارض اربعون الفا
وكان اول اولاده قابيل وتوأمته اقليما وبعده هابيل
وتوأمته لبودا وكان الله امره ان يزوج كل ذكر بغير توأمته
وكانت اخت قابيل احسن من اخت هابيل فامر آدم قابيل

ان ينكح لبوذا توامة هابيل وامر هابيل ان ينكح اقليما اخت
قابيل فاطاع هابيل وامتنع قابيل وقال الختي وهي احسن
ولا امكنه منها واخته لا ارضاها فامرهما السيد آدم عليه
السلام ان يقربا لله قربانا وكان اذ ذاك القربان المتقبل
تاكله النار ومن تقبل قربانه ينكحها فقربا فاكلت النار
قربان هابيل دون قربان قابيل فتاكد امر الحسد وقال
قابيل لهابيل لاقتلنك لكونك تقبل قربانك دون قرباني فقال
هابيل ما قص الله تعالى انما يتقبل الله من المتقين لئن بسطت
الي يدك لتقتلني ما انا بباسط يدي اليك لاقتلك اني اخاف
الله رب العالمين فشدخ راسه بين حجرين فقتله •
وكذلك قصة يوسف واخوته التي اشار اليها فانه كان اصغرهم
وانه راى تلك الرؤيا التي قص الله قصتها في كتابه بقوله اني
رايت احد عشر كوكبا وهم عدد اخوته والشمس والقمر هما ابوه
وخالته رايتهم لي ساجدين فنهاه ابوه عن ذكر ذلك لاخوته
خوفا عليه ثم بعد ذلك كادوه والقوه في غيابة الجب كما قال
الله تعالى واشار بقوله وكلهم صلحاء الى ان اخوة يوسف نبيا وفي
في الصلاح والخير ولم يقع الخلاف الا في نبوتهم فقيل نبيا وفي
فيهما ايضا وقيل اختص بها دونهم واشار بقوله ورموه
بالافك وهو براء الى قول اخوة يوسف ان يسرق فقد سرق
اخ له من قبل وعنوا يوسف وهو بري من ذلك فان القدر
الذي اشار اليه اخوته اختلف فيه فقيل كان صنم لابي امه
فاخذه وقيل غير ذلك مما لا سوء فيه فهذا معنى قوله وهو براء
ثم اقبل على خطاب المسلمين وسلاهم عما اصابهم من كيد الكفار
وحسدهم وامرهم بالتاسي بمن سلف من الامم ففي التاسي تسكين
للنفس وتصبير لها ثم اخذ يستفهم عما ينبغي ان يكون هو الواقع
منهم فقال اتراكم اي هل تظنكم اهل الكتاب وفيتم حين حصلت
خيانتهم ام حصل منكم الاحسان حين اساؤاهم ثم اضرب عن ذلك

وبين

وبين ماهم عليه من انهم لا يظهرون ذلك بل يظهرون خلافه
لتماديهم على التجاهل وهو اظهار الجهل من انفسهم مع علمهم بذلك
واتبعت في ذلك ابناؤهم اباءهم وقالوا انا وجدنا آباءنا على
امة وانا على آثارهم مقتدون ثم اخذ في اقامة الحجة على ما ذكره
عنهم من تجاهلهم واظهارهم خلاف ما يعلمون من كتبهم عنادا او
حسدا فقال بينته الى آخره اي بينت الحق في ذلك كتبهم وشهدت
للنبي صلى الله عليه وسلم بالرسالة والصدق وهم متمالئون على الجحد
والانكار عن علم متشاركون في ذلك ثم اخذ يذكر دليلا على ما
ادعاه مترددا بين الاثبات والنفي ليلزمهم بما ادعاه وذلك
انهم اما ان يعرفوا بان كتبهم بينت الحق واخبرت به ام يقولون
انها لم تبينه ولم تخبر به فان قالوا ما بينته فقلوبهم باقية
في ضلالها مستمرة في جهلها وان ادعوا انها بينته فما لاذ انهم
صمت عما تقوله الكتب المذكورة فلما الزمهم ما الزمهم به اخذ
يذكر نتيجة ذلك وهو انهم عرفوه صلى الله عليه وسلم باطنا
بمقتضى ما في كتبهم وانكروه ظاهرا عنادا وحسدا وكتموا ما شهدت
لهم به كتبهم ظلما ومن يكتمها فانه آثم قلبه ثم اخذ يتعجب من عنادهم
في ظنهم الفاسد انهم يطفئون نوره بافواههم مع انه لا ضوء الا
به ولا استضاءة الا منه يريدون ليطفئوا نور الله بافواههم والله متم
نوره ولو كره الكافرون هو الذي ارسل رسوله بالهدى ودين
الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون واذا انكروه فكيف
لا ينكرون من هلك من آبائهم وابنائهم واهليهم في حروبه التي
وقعت بينهم وبينه وظهر عليهم فيها وظفره الله بهم وكان
قضية انكارهم وجوده في كتبهم ان ينكروا ما حصل عليهم من
القتل والهلاك الذي شهدت به كتبهم والجلاء عن الاوطان
وانه البسهم بشدة باسه واظهار الله له عليهم لباس الذلة و
الصغار فصاروا قسمين قسم طلت دماؤهم وهدرت وقسم
حقنت دماؤهم واسترقوا وبذلوا الجزية وفي ذلك غاية الذلة

ونهاية الصغار فكيف اثبتوا بعض ما شهدت به كتبهم ونفوا
بعضه مع اخبار كتبهم بالامرين واشتمالها على النوعين ما هذا الا
خذلان نسأل الله تعالى العافية ولهذا استبعد هذا منهم بقوله
كيف الى آخره اى لا يمكن ان يحصل لهم الهداية ولا ان يجعل لهم
فيها نصيب لامتلاء قلوبهم واجسادهم من بغض حبيب الله
صلى الله عليه وسلم • قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله

خبرونا اهل الكتابين من اين … اتاكم تثليثكم والبداء
ما اتى بالعقيدتين كتاب … واعتقاد لا نص فيه ادعاء
والدعاوى ما لم تقيموا عليها … بينات ابناؤها ادعياء
ليت شعري ذكر الثلاثة والوا … حد نقص في عدكم ام نماء
كيف وحدتم الها نفى التو … حيد عنه الآباء والابناء
آاله مركب ما سمعنا … باله لذاته اجزاء
الكل منهم نصيب من الملـ … ـك فهلا تميز الانصباء
ام تراهم لحاجة واضطرار … خلطوها وما بغى الخلطاء
اهو الراكب الحمار فيا عجـ … ـز اله يمسه الاعياء
ام جميع على الحمار لقد جـ … ـل حمار بجمعهم مشاء
ام سواهم هو الاله فما نسـ … ـبة عيسى اليه والانتماء
ام اردتم بها الصفات فلم خـ … ـصت ثلاث بوصفه وثناء
ام هو ابن الله ما شاركته … في معاني البنوة الانبياء
قتلته اليهود فيما زعمتم … ولاموا تكم به احياء
ان قولا اطلقتموه على الله … تعالى ذكرا لقول هراء

اللغة خبرونا طلب للاخبار والكتابان التوراة والانجيل واين
للاستفهام والتثليث دعوى النصارى ان الله ثالث ثلاثة
والبداء بالمد والمهملة في الاصل الظهور يقال بدا الشيء اى
ظهر والمراد به دعوى ظهور المصلحة بعد خفائها وهو دعوى
اليهود واللام في العقيدتين للعهد وكتاب المراد به ما نزل
على نبي من الانبياء من كتب الله عز وجل والاعتقاد جزم الذهن

بشيء ثم ان كان مطابقا للواقع فاعتقاد صحيح والا ففاسد
كما في الدعوتين والنص اللفظ الدال على معنى لا يحتمل غيره والادعاء
الدعوى وجمعها دعاوى والبينات البراهين والشواهد
ما ظرفية مصدرية ادعيا جمع دعي وهو من تبنيته وليس ابن
لك ليت حرف تمن شعري علمي اى ليتني علمت ذكر الثلاثة اى حيث
قالوا ان الله ثالث ثلاثة والواحد اى حيث ادعوا توحيده
نقص ام نماء اى حيث وحدتم كان ذكركم الثلاثة زيادة وحيث
قلتم بالتثليث كان ذكركم الواحد نقصا والمركب ما ناله من
جزئين فصاعدا والنصيب الحظ والجد وجمعه انصباء والحاجة
ما يحتاج اليه وقد يطلق على الاحتياج وهو المراد بدليل قوله
واضطرار وهو اخص من الحاجة والخلط جمع الاشياء المتفرقة على
وجه يمنع التمييز وما نافية بغى من البغي الذي هو الظلم والخلطاء
الشركاء الحمار واحد الحمير ويطلق على الاتان والعجز الضعف و
الاعياء التعب بجمعهم اى بجموعهم مشاء اسم فاعل من مشى على صيغة
المبالغة بوزن فعال سواهم غيرهم والنسبة النسب وفيت الرجل
نسبته والصفات جمع صفة وهي ما دل على امر زائد على الذات
وثلاث من الفاظ العدد معدولة عن ثلاث ثلاث وثناء كذلك
معدولة عن اثنين اثنين والظاهر ان المراد بهما الثلاثة فقط
والاثنان فقط والزعم قول لا دليل عليه قالت العرب زعموا
مطية الكذب والاموات جمع ميت والاحياء مصدر احياه
يحييه اذا رد اليه روحه بعد مفارقتها الجسد وذكرا هو واحد
الاذكار المتعبد بها وهراء بضم الهاء والراء المهملة قال ابن
السكيت هرأ الكلام اذا اكثر في خطأ وهو منطق هراء قال الشاعر •
لها بشر مثل الحرير ومنطق • … رخيم الحواشي لا هراء ولا نزر •
وفي بعض النسخ هزاء بالزاء ولعله من قولهم رجل هزأة بالتسكين
يهزأ به وهزأة بالتحريك يهزأ بالناس الاعراب خبرونا
فعل امر وضمير المتكلم مفعول اول واهل الكتابين منادى مضاف

على حذف حرف النداء، وقوله من اين الى آخره جملة سادة مسد المفعولين
الثاني والثالث وتثليثكم فاعل اتى والبداء عطف عليه ومن اين
متعلق باتاكم وهو استفهام انكاري يفيد عدم اثبات واحد
منهما ما نافية وكتاب فاعل اتى ووقوعه في سياق النفي يعم كل
كتاب اي لم يأت كتاب من كتب الله بشيء من ذلك واعتقاد
مبتدأ وجملة لا نص فيه صفته وادعاء خبر المبتدأ اي دعوى
مجردة والدعاوي جمع دعوى ما مصدرية ظرفية لم تقيموا اصلتها
وبينات مفعول به ابناؤها مبتدأ ادعياء خبره جمع دعي وهذا
قياس اقتراني انتظم من مقدمتين جليتين احداهما ان الاعتقاد
الذي لا نص فيه دعوى والثانية ان الدعاوي بلا بينات باطلة
ينتج من الشكل الاول ان هذه الاعتقادات باطلة ليت شعري اي
ليتني علمت ذكر الثلاثة مبتدأ والواحد معطوف على الثلاثة نعم
خبره في عدتكم متعلق بنقص ام نماء معطوف على نقص والمراد من النماء
هو الزيادة والهًا مفعول وحدتم ونفي التوحيد صفته والتوحيد
مفعول نفي والآباء فاعله والابناء معطوف عليه وعنه متعلق بنفي
أإله الهمزة للاستفهام الانكاري ومعناه النفي اي لا يكون اله مركبا
واكد ذلك بقوله ما سمعنا الى آخره تأكيدا لنفي التركيب اكل الهمزة
للاستفهام الانكاري بتقدير ان يكون الجواب من قبلهم نعم نصيب
مبتدأ وخبره لكل وقوله من الملك متعلق بنصيب فهلا تميز
الانصباء وفي نسخة فلم لا واللام جارة وما للاستفهام وحذفت
الفها لاجل الجار والانصباء فاعل تميز ام عاطفة على الهمزة تراهم
الضمير مفعوله الاول خلطوها واقع موقع المفعول الثاني لحاجة
متعلق بخلطوها واضطر عطف على حاجة وما بين الخلطاء ما نافية
والخلطاء فاعل بغى اهو الهمزة للاستفهام وهو مبتدأ والراكب مضاف
والحمار مضاف اليه فيا عجزاً له منادى مضاف ونداؤه يفيد التعجب
منه ويمينه الاعياء جملة فعلية صفة اله والاعياء فاعل يمينه
ام متصلة لتقدم الهمزة عليها وجميع مبتدأ وعلى الحمار خبره وقوله

لقد

لقد جل حمار بجمعهم مشاء جملة خبرية تفيد التعجب من وقوع ما
يترتب عليه سواهم مبتدأ هو الا اله مبتدأ وخبر والجملة خبر عن المبتدأ
السابق فما الفاء سببية وما استفهامية ونسبة مبتدأ ومضاف
واليه خبر المبتدأ والانتماء عطف على نسبة من عطف المرادف
ام اردتم فعلية والصفات مفعول اردتم وبها اي بالآلهة
المتعددة فلم الفاء سببية اصله لم ما واللام جارة وما هي
الاستفهامية والالف محذوف كما تقدم مثله خصت بني للمفعول
ثلاث نائب عن الفاعل بوصفه متعلق بخصت والهاء للاله وثناء
عطف على ثلاث ام هو ابن اسمية معطوفة على ما قبلها الله متعلق
بابن ما شاركته فعلية صفة لابن في معاني متعلق بشاركته النبوة
مضاف اليه الانبياء فاعل شاركته الضمير في قتلته لعيسى اليهود
فاعل فيما زعمتم جملة حالية ولاموا اتكم به احياء جملة اسمية خبرها
متقدم وبه متعلق باحياء والضمير لعيسى عليه السلام وضمير الخطاب
للنصارى ان قولا ان واسمها اطلقتموه فعلية صفة قولا على الله
متعلق باطلقتموه وذكرا اما تمييز او مفعول مطلق على حذف مضاف
اي من حيث الذكر او اطلاق ذكر ويجوز ان يكون تمييزا عن جملة تعالى
محولا من الفاعل اي تعالى ذكره لقول خبر ان هراء صفة قول
البديع جانس بين الادعاء ودعاوي وادعياء وبين خلطوها
وللخلطاء وبين الصفات ووصفه وطابق بين النقص والنماء
والاماتة والاحياء واستعار الابناء للمدعى الذي هو معنى لفظ
الدعوى وجعل الدعوى كالاب المعنى ان النصارى ادعوا التثليث
واليهود البداء فانكر المصنف على كل من الفريقين مدعاه بقوله
خبرونا يا اهل الانجيل من اين لكم التثليث ويا اهل التوراة من اين
لكم البداء والحال انه لم يأت شيء من كتب الله تعالى بشيء من ذلك
بل دلت كتب الله على ابطال الامرين وتكفير قائليهما لقد كفر الذين
قالوا ان الله ثالث ثلاثة وما من اله الا اله واحد فهذا الاعتقاد
الذي اعتقده هاتان الطائفتان من غير دليل عليه ادعاء

اى دعوى لا دليل عليها وكل دعوى لا دليل عليها بان لم يأت بها
بينة فهى كذب وافتراء ينتج من الشكل الاول على ما بيناه سابقا
هذا الاعتقاد كذب وافتراء ثم اظهر المصنف التعجب من توحيدهم
لله تعالى مع الحكم بالتثليث بانه قد صدر منهم هذان الامران وهما
لا يجتمعان فهل المعتبر جانب الوحدة فيبطل التثليث ام جانب التثليث
فيبطل الوحدة اى هل هو واحد وانتم زدتم الاثنين ام ثلاثة وانتم ذكره
نقصتم ورددتم الثلاثة الى الواحد وقال كيف يحصل منكم
توحيده وقد نفيتم عنه التوحيد بما اثبتموه من الاب والابن
وروح القدس ثم اخذ فى ابطال التثليث بان دعوى التركيب
فى الاله فى غاية البطلان فانه لم يسمع فى ملة من الملل بان الذات
مركبة من اجزاء ثم اخذ فى اظهار بطلان ذلك بان هذه الاجزاء
التى تدعى هل لكل منها نصيب من الملك فان قيل نعم يقال له فهلا
تميزت انصباء الشركاء المذكورين كما يتميز ما لزيد عن عمرو ام لكل
نصيب ولكن منع من التميز ان الشركاء المذكورين دعت حاجتهم او
ضرورتهم الى خلط الانصباء وعدم تميزها فخلطوها باختيارهم
لاجل ما عرض لهم من الحاجة او الضرورة الى الخلط وما بغى الخلطاء اى
ما بغى احد منهم على احد بالخلط المذكور وكلا الامرين باطل اما الاول
فلعدم تميز ما لكل جزء واما الثانى فلقيام الحاجة او الضرورة لكل
واحد والاله غير محتاج ولا مضطر ثم اخذ فى اظهار ابطال ذلك من
وجه آخر وهو ان السيد عيسى الذى ادعيتم الهيته وقد كان يركب
الحمار وركوب الحمار مسبوق بالعجز عن المشى وبالاعياء والاحتياج
الى الركوب ان كان هو الاله كما زعم من زعم منكم فكيف يوصف الاله
بالاعياء والتعب ام الراكب الحمار هو الثلاثة التى زعمتم انها الاله
وهى الاب والابن وروح القدس فان كان كذلك فلقد جل هذا
الحمار على جميع الحمر بحمله للثلاثة ومشيه بهم وان قلتم ان الاله ليس
هو شئ من هذه الثلاثة فما هو الذى اوجب لعيسى النسبة اليه والانتماء
له وان كنتم ما اردتم شيئا من الذوات وانما اردتم بالتثليث

الصفات

الصفات فالصفات كثيرة فما وجه تخصيص الثلاثة عند بعضكم
او الاثنين عند الآخرين بالالهية دون غيرها من الصفات ثم
اخذ فى اظهار بطلان ذلك من وجه آخر وهو انكم زعمتم ان اليهود
قتلت عيسى وانه كان يحيى الموتى فهلا دفعهم عن نفسه او عن
قتله باستدامة حياة نفسه ثم قال وبالجملة هذه الاقوال الصادرة
عنكم تدينون الله بذكره بها خطأ وكفر وهراء من القول لتناقضها
وتهافتها فكان قائلها استهزأ ثم ان الكلام على مذهب
النصارى فيما اشار اليه المصنف وما اشار اليه من الرد عليهم
يستدعى ايراده تطويلا كثيرا وقد كنت عزمت على ذكر ذلك
ملخصا ثم تركته لكونه لا يليق بهذا المختصر الموضوع
لشرح هذا النظم اللطيف والله اعلم

مثل ما قالت اليهود وكل	لزمته مقالة شنعاء
اذ هم استقرؤا البداء وكم سا	ق وبالا اليهم استقراء
وأراهم لم يجعلوا الواحد القـ	ـهار فى الخلق فاعلا ما يشاء
جوزوا النسخ مثل ما جوز المسـ	ـخ عليهم لو انهم فقهاء
هو الا ان يرفع الحكم بالحكـ	ـم وخلق فيه وامر سواء
ولحكم من الزمان انتهاء	ولحكم من الزمان ابتداء
فسلوهم اكان فى مسخهم نسـ	ـخ لآيات الله ام انشاء
وبداء فى قولهم ندم اللـ	ـه على خلق آدم ام خطاء
ام محا الله آية الليل ذكرا	بعد سهو ليوجد الامساء
ام بدا للاله فى ذبح اسحـ	ـق وقد كان الامر فيه مضاء
او ما حرم الاله نكاح الا	ختين بعد التحليل فهو الزناء
لا تكذب ان اليهود وقد زا	غوا عن الحق معشر لؤماء
جحدوا المصطفى وآمن بالطا	غوت قوم هم عندهم شرفاء
قتلوا الانبياء واتخذوا العجـ	ـل الا انهم هم السفهاء
وسفيه من ساءه المن والسلـ	ـوى وارضاه الفوم والقثاء
ملئت بالخبيث منهم بطون	فهى نار طباقها الامعاء

لو اريدوا فى حال سبت بخير … كان سبتاً لديهم الاربعاء
هو يوم مبارك قيل للتصريف فيه من اليهود اعتداء
فبظلم منهم وكفر عدت عنهم … طيبات فى تركهن ابتلاء
خدعوا بالمنافقين وهل ينفق الا على السفيه الشقاء
واطمأنوا بقول الاحزاب اخوا … نهم اننا لكم اولياء
حالفوهم وخالفوهم ولم اد … ر لماذا تخالف الحلفاء
اسلموهم لاول الحشر لاميعادهم صادق ولا الايلاء
سكن الرعب والخراب قلوبا … وبيوتا منهم نعاها الجلاء
وبيوم الاحزاب اذ زاغت الابصار فيه وضلت الاراء

اللغة الشناعة الفظاعة ويوم اشنع وليلة شنعاء واستقرأ الشئ تتبعه وادرى بمعنا علم والنسخ الازالة والتغيير والنقل كنسخت الشمس الظل ونسخت الريح آثار الدار ونسخت الكتاب وفى الشرع بيان انتهاء حكم شرعى بطريق شرعى متراخ والمسخ تحويل صورة الى ما هو اقبح منها يقال مسخه الله قردا والخلق الايجاد والامر التصرف فمن جملة التصرف النسخ ومن جملة الايجاد المسخ وهو متردد بين انشاء الخلق وبين النسخ لانه بالنسبة الى الصورة الاولى نسخ وبالنسبة الى الصورة الثانية المتجددة القبيحة انشاء والبداء بالمد والمهملة كما تقدم والخطأ نقيض الصواب وقد يمد كما نطق به الناظم ومحا الله الليل ذهب به والليل مقابل النهار وهو اسم جمع واحده ليلة كتمر وتمرة والامساء نقيض الاصباح والمساء نقيض الصباح والذكر نقيض السهو واسحق عليه الصلاة والسلام هو الذبيح على اشهر القولين وقيل هو السيد اسمعيل عليه الصلاة والسلام والمضاء النفاذ اى وقد كان الامر به ماضيا نافذا وفى بعض النسخ قضاء بالقاف اى حتم والنكاح عقد على المرأة يستفاد به حل وطئها والزنا الوطئ الحرام الموجب للحد لؤما جمع لئيم ككرماء جمع كريم واللئيم الدنى الاصل الشحيح النفس وزاغ عن

الطريق مال عنه والجحد والانكر واعن علم والطاغوت الشيطان وكل ما عبد من دون الله او صد عن عبادته فعلوت من الطغيان والشرفاء جمع شريف والخذ والعجل اى معبودا والها والسفهاء جمع سفيه والسفه خفة وسخافة راى يقتضيهما نقصان العقل ويقابله الحلم والمن الترنجبين و السلوى السمانى وهو طائر والفوم الثوم بالمثلثة وبه قرئ وقيل الحنطة وبطون جمع بطن والخبيث ضد الطيب والطباق ما كان بعضها فوق بعض والامعاء جمع معا وهى المصارين و السبت آخر الاسبوع والاربعاء رابعه وقيل السبت اوله والاربعاء خامسه والتصريف التصرف والاعتداء الظلم والعدوان عدت بهم اى تباعدت عنهم والابتلاء الاختبار خدعوا اى اريد بهم المكروه من حيث لا يعلمون والمنافق هو من يظهر الاسلام ويخفى الكفر نفق الشئ ينفق راج والشقاء والشقاوة نقيض السعادة والاحزاب الطوائف الذين تجمعوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم والاولياء جمع ولى وهو الناصر والحلف بالكسر العهد وقد حالفه اى عاهده والحشر اخراج جمع من مكان الى آخر واسلمه خذله والايلاء مصدر آلى يولى ايلاء حلف والخراب ضد العمارة وقد خرب الموضع فهو خرب ودار خربة و اخربها صاحبها وخربوا بيوتهم والرعب الخوف تقول منه رعبته فهو مرعوب اذا افزعته ولا تقول ارعبته والجلاء الخروج من الديار يقال جلوا عن اوطانهم وجلوتهم انا تعدى ولا يتعدى وزاغت الابصار كلت وضلت الاراء ضاعت يقال ضل الشئ يضل ضاع الاعراب مثل ما قالت اليهود يجوز فيه نصب مثل على الحال اى قول النصارى قول هؤلاء حالة كونه مثل ما قالت اليهود ويجوز رفعه خبر مبتدأ محذوف اى هو مثل ما قالت اليهود وما مضاف اليه وهو موصول صلته قالت اليهود والعائد منصوب قالت وهو

محذوف اى قالته وكل مبتدأ والتنوين بدل عن المضاف اليه
اى كل اليهود والنصارى لزمته فعلية مفعولها مقدم هى خبر
كل وشنعاء صفة مقالة وهم عائد على اليهود وكذا كاف ضمير
استقرؤا والجملة خبر الضمير وكم خبرية مميزها محذوف اى
مرات كثيرة ساق وبالأ مفعول ساق واستقراء فاعله والبهم
متعلق بساق وادام فعل وفاعل ومفعول اول ولم يجعلوا الى اول ٤
آخره فى موضع المفعول الثانى والواحد مفعول يجعلوا والنهار
صفته وفاعلا هو المفعول الثانى فى الخلق متعلق به وما موصول
ويشاء صلته والعائد محذوف اى يشاؤه جوزوا الضمير لليهود
والجملة جواب لو مقدم عليها مثل صفة لمحذوف اى تجويزا مثل
تجويز المسخ عليهم فيكون منصوبا مفعولا مطلقا وما مصدرية
يجوز صلتها والمسخ نائب عن الفاعل لجوز وعليهم متعلق به
لو هى الشرطية وانهم فقهاء فى موضع الفاعل لفعل محذوف تقديره
لو ثبت انهم فقهاء هو مبتدأ والضمير للنسخ والا ان يرفع الحكم
بالحكم اى هو لحقيقة النسخ فيكون الا وما بعدها خبرا عن الضمير
العائد للنسخ وتكون ما قبلها مقدرة وكانه قال ما النسخ الا
كذا انها رفعت الصورة وخلفها صورة فى المسخ من حيث الخلق
فكذلك يرفع الحكم ويخلفه حكم آخر فى النسخ من حيث التصرف
والحكم من الزمان انتهاء مبتدأ وخبر على التقديم والتأخير ومن الحكم
الزمان متعلق بانتهاء وكذا قوله وعن الزمان ابتداء ومن
الزمان متعلق بابتداء وهذا فيه اشارة الى تفسير آخر للنسخ
فانه اختلف فيه هل هو رفع او انتهاء فاشار الى التفسيرين
فسلوهم فعل امر وفاعل ومفعول اكان الى آخر الجملة مفعول
فسلوهم نسخ اسم كان وفى فسخهم الخبر ولايات الله متعلق بنسخ
ام انشاء عطف على نسخ وبداء بالمد مبتدأ خبره فى قولهم وجملة
ندم الله مقول القول على خلق آدم متعلق بندم وام خطاء معطوف
على بداء اى هذا القول منهم بداء او خطاء والبيت على تقدير وسلوهم

اقوالهم

اقوالهم الى آخره بداء ام خطاء وآية الليل مفعول محى والله فاعله
وذكرا تمييز وبعد ظرف مضاف الى هبوط والاسماء نائب عن الفاعل
بيوجد بنا فعل وفاعله مضمر تقديره بداء ولا لآله متعلق ببدا
وفى ذبح اسحق متعلق ببداء الذى هو الفاعل المضمر وذبح مضاف الامر كان ٤
الى اسحق والواو قبل قد واو الحال والجملة بعدها حال وكان واسمها
وفيه الخبر ومضاء مرفوع به اومحرم اما ان تكون الواو زائدة على
مذهب الكوفيين اى اليس انه حرم نكاح الاخت واما ان تكون عاطفة
على محذوف اى هل استمر نكاح الاخت جائزا كما كان فى عهد آدم ام ارتفع
جوازه وخلفه التحريم وصار وطئها زنا وفى هذا الاستفهام تقدير
لهم بما لا يسعهم انكاره من التحريم بعد الحل والا لآله فاعل ونكاح الاخت
مفعول به ومضاف اليه وبعد التحليل ظرف اى بعد تحليله وقوله
فهو الزنا مبتدأ وخبر لا تكذب لا ناهية تكذب مجزوم بها وفاعله
ضمير المخاطب وان اليهود على حذف الباء اى بان اليهود وهو متعلق
بتكذب وخبر ان معشر ولوماء صفة وجملة وقد زاغوا عن الحق
معترضة بين الاسم والخبر وعن الحق متعلق بزاغوا جحدوا بدل من
زاغوا عن الحق والمصطفى مفعوله وجملة وآمن بالطاغوت قوم معطوفة
على جملة جحدوا او سوغ العطف وصف الفاعل وهو قوم بالجملة التى بعد
وهى قوله هم وهو مبتدأ عائد على القوم عندهم ضميره لليهود شرفاء
خبر المبتدأ قتلوا الانبياء اما على حذف حرف العطف اى جحدوا
وقتلوا واتخذوا او بدل بعد بدل والعجل مفعول اتخذوا الاول
واما الثانى فمحذوف اى الها الا استفتاحية وما بعدها ان واسمها
وخبرها اما السفهاء وهم ضمير فصل وهم مبتدأ والسفهاء خبره
والجملة خبر ان وسفيه خبر مقدم لقوله من ساءه ومن موصول
وصلته ساءه والمن فاعل ساءه والسلوى عطف عليه وارضاه
عطف على ساءه والفوم فاعل ارضاه والقثاء عطف عليه مليث
مبنى للمفعول وبطون نائب الفاعل بالخبيث متعلق بمليث ومنهم
صفة بطون قدمت عليها فصارت حالا فهى اى بطونهم مبتدأ

نار خبره طباقها الاسماء جملة هي صفة نار والهاء في طباقها للناس
لحرف شرط اريدوا شرطها والواو نائب عن الفاعل يخبر متعلق
باريدوا في حال بت متعلق باريدوا ويجوز ان يكون في محل بت
حال الامر قولنا خير وكان اسمها الاربعاء وبت خبرها ولديهم متعلق
ببتنا هو يوم مبتدأ وخبر مبارك صفة الخبر قيل مبني للمفعول
وللتصريف متعلق بقيل وفيه صفة التصريف واعتداء نائب (بقيل ج)
الفاعل مرفوع فبظلم الفاء سببية ومنهم صفة ظلم وكفر عطف على
ظلم عدتهم طيبات فعلية يتعلق بما قبلها وفي تركهن ابتلاء صفة
طيبات خدعوا جملة من فعل مبني والضمير نائب وبالمنافقين متعلق
بخدعوا والشقاء مرفوع بينفق المبني للمفعول والا على السفيه متعلق
بينفق واطمانوا فعلية معطوفة على خدعوا وبقول متعلق باطمانوا
والاحزاب مضاف اليه ولخوانهم بدل من الاحزاب تنالكما وليا ان
واسمها وخبرها والجملة في محل نصب بقول حالفوهم وخالفوهم جملة
معطوفة على مثلها ولم ادر فعل مجزوم بلم وجملة لماذا تخالف الخلفاء
سادة مسد مفعولي ادر وذا زائدة اسلوهم فعلية والفاعل
ضمير المنافقين والمفعول ضمير اليهود لاول الحشر متعلق باسلوهم
لابعادهم صادق مبتدأ وخبر ولا الايلاء اي صادق والجملة معطوفة
على الجملة سكن الرعب فعلية والرعب الفاعل والخراب معطوف عليه
قلوبا مفعول وبيوتا عطف عليه ومنهم صفة للمنصوبين وكذلك
جملة نعاها الجلاء وفاعل نعاها هو الجلاء ويوم معطوف على قوله
بالمنافقين اي وخدعوا بيوم الاحزاب اذ ظرفية مضافة الى جملة
زاغت الابصار وجلة وضلت الآراء عطف عليها واذ بدل من
يوم الاحزاب **البديع** استعمل الجناس في قوله قالت ومقالة
واستقروا واستقراء وفي النسخ والمسخ وفي حالفوهم وخالفوهم
والتلميح في قوله وخلق وامر وفي محي الله آية الليل والاقتباس في
قوله قتلوا الانبياء الى آخر البيت والتلميح في البيت الذي يليه
وفي قوله اسلوهم لاول الحشر وفي قوله اذ زاغت الابصار وكذا في

قوله

قوله واراهم لم يجعلوا البيت والطباق في قوله ذكرا بعد نهو
وحتم والتحليل وجحدوا وآمن واللف والنشر المرتب في قوله
سكن الرعب الى آخره فرق القلوب الى الرعب والبيوت الى الخراب
المعنى لما ذكر مقالة النصارى في التثليث وغيره ورد عليهم
اشنع رد فعل مثل ذلك مع اليهود فذكر مقالتهم في انكار النسخ
ثم رد عليهم فقال ان النصارى فعلوا ما ذكرناه كما ان اليهود
سبقوهم الى القول بعدم النسخ ومقالة كل منهما فظيعة
شنيعة اما شناعة مقالة النصارى فقد تقدم بيانها
بذكر ما لزم عليها من الاباطيل واما مقالة اليهود فكذلك لان
ما استندوا اليه في منع النسخ هو انه توهم البداء وهو ظهور
المصلحة بعد خفائها وهو محال في حقه تعالى وبطلان ما ذهبوا
اليه واضح وذلك ان ما ذكروه من البداء ساق اليهم وبالا عظيما
اي عذابا وبيلا فانه لزمهم على ما ذكروه انهم لم يجعلوا الله
الواحد القهار سبحانه فاعلا في خلقه ما يشاء سبحانه هو الله
الواحد القهار خلق السموات والارض بالحق يكور الليل على النهار
ويكور النهار على الليل وسخر الشمس والقمر كل يجري لاجل مسمى
الا هو العزيز الغفار ويضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء
والله يحكم لا معقب لحكمه وهو سريع الحساب ولو اعطوا في قلوبهم
فقها وفهما لجوزوا النسخ وما منعوه مثل ما جاز عليهم المسخ بل
جواز النسخ اولى من جواز المسخ فان ذلك في الاحكام وهذا في
الذوات اذ معنى النسخ وحقيقته اما رفع الحكم او بيان انتهاء
حكم معلوم والخلق الذي هو الايجاد والامر الذي هو التصرف في ذلك
سواء ان جعلنا النسخ رفعا او بيانا وسواء جعلنا المسخ في صور (تهم)
كما قيل به حتى صار اقاربهم من المومنين لا يعرفونهم وصاروا هم
يعرفون حتى يجيء القرد الى قريبه ويتمسح به ويدمع عيناه
فيقول الم انهكم عن المخالفة فيشير برأسه ان نعم او في قلوبهم
فقط كما قال مجاهد ثم ذكر ما هو كالدليل الالزامي لهم على جواز

النسخ وعدم منعه فقال سلوهم اى اسألوا اليهود هل نسخهم
قردة إمّا فى الصورة او مسخ قلوبهم وجعلها كقلوب القردة
لا تقبل هداية مع بقاء اصل ذاتهم اهذا نسخ لحكم كان قبل ذلك
امرهو انشاء لحكم مبتدأ لا تعلق له برفع شئ ولا بانتهائه فلا
سبيل الى ان يقولوا انه انشاء حكم لا تعلق له بشئ قبله لما
فيه من المباهتة والمكابرة فى المحسوس لهم ولغيرهم وان قالوا ان
الصورة زالت وخلفتها صورة او ان ذلك المعنى الذى كان
قائما بقلوبهم زال وخلفه معنى آخر وهو عدم قبولهم للحق وجميع
الخيرات فقد اعترفوا بالنسخ فان قيل قد لا يعترفون بطرو غيره
على قلوبهم قلنا قد اعترفوا به فى قلوبهم فقالوا قلوبنا غلف
اى مغطاة باغشية خاصة لا يصل اليها ما جئت به وسلوهم
عن قولهم الذى ثبت عنهم انهم قالوه وهو ان الله ندم على خلق
آدم أهم كذبوا ام اعترفوا بالبداء فاذا سألتموهم عن ذلك
فسبيلهم ان يلتجوا الى البداء ولا يعترفوا بكذب انفسهم فيكونو ن
مقرين بالنسخ واشار بقوله ام محا الله آية الليل الى آخره الى ان
النسخ لازم لهم بما هو مشاهد لهم لا يمكنهم انكاره من اذهاب الليل
والاتيان بالنهار وهلم الى يوم القيمة وهذا من المحسوسات التى
لا يسع العاقل مخالفة قضيتها لا سيما مع دلالة السمع وجعلنا
الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة
لتبتغوا فضلا من ربكم ولتعلموا عدد السنين والحساب فكما
تقتضى الحكمة دوام انشاء امدا طويلا وعدم تبدلها فكذلك
تقتضى تغير اشياء وتبدلها وهو الذى جعل الليل والنهار
خلفة لمن اراد ان يذكر او اراد شكورا ومما يدل على جواز النسخ
قصة الذبيح صلى الله عليه وسلم فانه كان اوجب على السيد ابرهيم
صلوات الله وسلامه عليه ذبحه ثم نسخ ذلك قبل الفعل بقوله وفديناه ه
بذبح عظيم ومن ادلة جواز النسخ ما تقدم ذكره فى قصة قابيل
وهابيل من اباحة نكاح الاخت ثم صار محرما ووطئها زنا وبعد ان

نهضت له الادلة على اليهود المذكورين بما اورده المخذ يذكر انه
قد بان بذلك ان كل فرد من افراد اليهود لئيم لزيغه عن الحق ثم
بين اسباب زيغهم عن الحق فمنها انهم جحدوا النبى صلى الله عليه وسلم
مع وضوح الامر عندهم وفى كتابهم وانهم اعتقدوا اشرف قوم
آمنوا بالطاغوت الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنو ن
بالجبت والطاغوت ويقولون للذين كفروا هؤلاء اهدى
من الذين آمنوا سبيلا اولئك الذين لعنهم الله ومن يلعن الله
فلن تجد له نصيرا وانهم قتلوا الانبياء كشعيا ويحيى وزكريا و
غيرهم واتخذوا العجل الها من دون الله الا انهم هم السفهاء ولكن
لا يعلمون ودليل سفههم انهم رغبوا عن المن والسلوى ورغبوا
فى الفوم والقثاء فتبدلوا الخبيث بالطيب وملؤا بالخبيث
بطونهم فصارت بطونهم بذلك الخبيث كالنار التى هى ذات
طباق وطباقها هى امعاؤهم النجسة والسبت مصدر سبت اليهود
اذا عظمت يوم السبت واصله القطع امروا بان يجردوه للعبادة
فاعتدى فيه ناس منهم فى زمن داود عليه السلام واشتغلوا بالصيد
وذلك انهم كانوا يسكنون قرية تسمى ايلة واذا كان يوم السبت
لم يبق حوت فى البحر الا خرج هناك واخرج خرطومه واذا مضى
تفرقت فحفروا حياضا وشرعوا اليها الجداول وكانت الحيتان
تدخلها يوم السبت فيصطادونها يوم الاحد فقد كان ذلك اليوم
عندهم يوما مباركا ومتى تصرفوا فيه بتصرف كان ذلك
اعتداء منهم موجبا للنقمة وبسبب ظلمهم وتعديهم فاتتهم الطيبات
من الرزق واستعملوا الخبائث من الربا وغيره فبظلم من الذين هادوا
حرمنا عليهم طيبات احلت لهم وبصدهم عن سبيل الله كثيرا واخذهم هم
الربا وقد نهوا عنه واكلهم اموال الناس بالباطل واعتدنا للكافرين
منهم عذابا اليما ثم اشار الى ما وقع لليهود مع المنافقين من اهل
المدينة من الاوس والخزرج من الخديعة ممن قهره الاسلام فاظهره
واتخذه جنة من القتل ونافق فى السر وكان هواه مع اليهود لتكذيبهم

النبى صلى الله عليه وسلم وجحودهم الاسلام وكان احبار يهود
هم الذين يسالون النبى صلى الله عليه وسلم ويتعنتون عليه وياتون
بالكفر ليلبسوا الحق بالباطل فكان القران ينزل فيهم وفيما يسالون
عنه ثم اشار الى ما وقع لليهود مع مشركى مكة من الاتفاق على حرب
النبى صلى الله عليه وسلم وذلك ان نفرا من اليهود منهم حيى بن اخطب
قدموا على قريش مكة فدعوهم الى حربه صلى الله عليه وسلم وقالوا
نكون معكم حتى نستاصله فنشط قريش لحربه حينئذ وجاء
اولئك النفر من اليهود غطفان وقالوا لهم مثل ذلك وذكروا لهم
موافقة قريش على حربه فاجتمعوا معهم فخرجت قريش وقايدها
ابو سفيان وغطفان وقايدها عيينة بن حصن فلما سمع
بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ضرب الخندق وعمل فيه وعمل معه
المسلمون ثم جاءت قريش ومن معهم فى عشرة الاف وغطفان ومن
معهم من اهل نجد وخرج المسلمون فى ثلاثة آلاف فاقام النبى صلى
الله عليه وسلم والمشركون قريبا من شهر لم يكن بينهم حرب الا الرمى
بالنبل والحصا ثم بعد ذلك اشتد على الناس البلاء فجاء نعيم بن
مسعود الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال انى اسلمت وان قومى
لم يعلموا باسلامى فمرنى بما شئت فقال النبى صلى الله عليه وسلم انما
انت رجل واحد فخذل عنا ان استطعت فان الحرب خدعة فجاء
نعيم الى بنى قريظة وكان لهم نديما فى الجاهلية فقال يا بنى قريظة
قد عرفتم ودى اياكم وخاصة ما بينى وبينكم قالوا صدقت
لست عندنا بمتهم فقال لهم ان قريشا وغطفان ليسوا كانتم البلد
بلدكم به اموالكم وابناؤكم ونساؤكم لا تقدرون على ان تتحولوا
منه الى غيره وان قريشا وغطفان قد جاؤا لحرب محمد واصحابه
وقد ظاهرتموهم وبلدهم واموالهم ونساؤهم بغيره فليسوا
كانتم فان راوا نهزة اصابوها وان كان غير ذلك لحقوا ببلادهم
وخلوا بينكم وبين الرجل ببلده ولا طاقة لكم به ان خلا بكم
فلا تقاتلوا مع القوم حتى تاخذوا منهم رهنا من اشرافهم

يكونون بايديكم ثقة لكم على ان تقاتلوا معهم محمدا حتى تناجزوه
فقالوا لقد اشرت بالراى ثم خرج حتى اتى قريشا فقال لابى سفيان
صخر بن حرب ومن معه من رجال قريش قد عرفتم ودى لكم و
فراقى محمدا فانه بلغنى امر رايت حقا على ان ابلغه لكم نصحا
فاعلموا ان معشر اليهود ندموا على ما فعلوا بينهم وبين محمد
وارسلوا اليه انا ندمنا على ما فعلنا فهل يرضيك ان ناخذ لك
من القبيلتين من غطفان وقريش رجالا من اشرافهم فنعطيهم
لك تضرب اعناقهم ثم نكون معك على من بقى حتى نستاصلهم فارسل
اليهم نعم فان بعثت اليكم يهود يلتمسون منكم رهنا فلا تدفعوا
اليهم منكم رجلا واحدا ثم خرج الى غطفان فقال لهم مثل ما قال
لقريش وحذرهم ما حذرهم فلما كانت ليلة السبت من شوال سنة
خمس ارسل قريش وغطفان رؤسا منهم الى بنى قريظة فقالوا انا
لسنا بدار مقام قد هلك الخف والحافر فاعدوا للقتال حتى نناجز
محمدا ونفرغ ما بيننا وبينه فارسلوا يقولون ان اليوم يوم
السبت لا نعمل فيه شيئا وقد احدث بعضنا فيه حدثا ولا يخفى
عليكم ما اصابهم بسببه ولسنا مع ذلك نقاتل معكم محمدا حتى
تؤتونا رهنا من رجالكم يكونون بايدينا ثقة لنا حتى نناجز
محمدا فانا نخشى ان ضرستكم الحرب واشتد عليكم القتال
ان تنشمروا الى بلادكم وتتركونا والرجل فى بلدنا ولا طاقة
لنا بذلك منه فلما رجعت اليهم الرسل بما قالت بنو قريظة قالت
قريش وغطفان والله ان الذى حدثكم نعيم لحق فارسلوا
الى بنى قريظة انا والله لا ندفع اليكم رجلا واحدا فان كنتم
تريدون القتال فاخرجوا وقاتلوا فقال بنو قريظة حين عادت
اليهم الرسل بذلك ان الذى ذكر لكم نعيم بن مسعود لصحيح ما
يريد القوم الا ان تقاتلوا فان راوا فرصة انتهزوها وان
كان غير ذلك انشمروا الى بلادهم وخلوا بينكم وبين الرجل فى بلد كم
فارسلوا الى قريش وغطفان انا والله لا نقاتل معكم حتى تعطونا

رهنا فابوا عليهم وخذلهم الله تعالى وبعث عليهم الريح في ليال
شاتية شديدة البرد فجعلت تكفئ قدورهم وتطرح آنيتهم
فارسلنا عليهم ريحًا وجنودًا لم تروها فلما انتهى اليه صلى الله عليه وسلم
حالهم هذه وتخالفهم قال لحذيفة بن اليمان اذهب فانظر ما
يفعل القوم ولا تحدثن شيئًا حتى تأتينا قال فذهبت فدخلت
في القوم والريح وجنود الله تفعل بهم ما تفعل لا تقر لهم قدرًا
ولا نارًا ولا بناء فقال ابو سفيان يا معشر قريش لينظر الرجل منكم
من جليسه قال حذيفة فاخذت بيد الرجل الذي بجنبي فقلت
من انت قال فلان بن فلان ثم قال ابو سفيان والله انكم يا معشر
قريش ما اصبحتم بدار مقام لقد هلك الكراع والخف واخلفتنا
بنو قريظة وبلغنا عنهم ما نكره ولقينا ما علمتم لا يطمئن لنا
قدر ولا تقوم لنا نار ولا يستمسك لنا بناء فارتحلوا فاني
مرتحل ثم قام الى جمله وهو معقول فجلس عليه ثم ضربه فوثب به
على ثلاث فوالله ما اطلق الا وهو قائم ولولا عهد رسول الله صلى
الله عليه وسلم ان لا تحدث شيئًا حتى تأتيني لقتلته بسهم ثم سمعت
غطفان ما فعلت قريش فانشمروا الى بلادهم راجعين فلما اصبح
النبي صلى الله عليه وسلم انصرف عن الخندق راجعًا الى المدينة و
المسلمون ووضعوا السلاح وهذا الذي وقع هو الذي تخالفهم
بعد تخالفهم وخذلان الله تعالى لهم هو الذي اوجب تخالف الحلفاء
وقوله اسلموهم اليهود وذلك انه لما اراد النبي صلى الله عليه وسلم
اجلاء بني النضير وحاصرهم بعث اليهم جماعة من منافقي المدينة
منهم عبد الله بن ابي بن سلول ان اثبتوا وتمنعوا فانا لن نسلمكم
ان قوتلتم قاتلنا معكم وان اخرجتم خرجنا معكم فتربصوا ذلك
من نصرهم فلم يفعلوا وقذف الله في قلوبهم الرعب وسألوا
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يجليهم ويكف عن دمائهم على
ان لهم ما حملت ابلهم من اموالهم فاجابهم فحملوا من اموالهم ما استقلت
به الابل فذهب اكثرهم الى الشام ولحقت طائفة بخيبر والحيرة

فانزل

فانزل الله تعالى هو الذي اخرج الذين كفروا من اهل الكتاب من
ديارهم لاول الحشر اي في اول حشرهم من جزيرة العرب اذ لم
يصبهم هذا البلاء قبل ذلك او في اول حشرهم الى القتال او الى
الشام واخر حشرهم اجلاء عمر اياهم من خيبر اليها او في اول
حشر الناس الى الشام واخر حشرهم انهم يحشرون اليه عند قيام
الساعة فيدركونهم هناك او ان نارًا تحشرهم من المشرق الى
المغرب وقد تقدم ان الحشر اخراج جمع من مكان الى مكان آخر

وتعدوا الى النبي حدودًا   كان فيها عليهم العدواء
ونهتهم وما انتهت عنه قوم   فأبيد الامار والنهاء
وتعاطوا في احمد منكر القو   ل ونطق الاراذل العوراء
كل رجس يزيده الخلق السو   ء سفاهًا والملة العوجاء
فانظروا كيف كان عاقبة القو   م وما ساق للبذي البذاء
وجد السب فيه سمًا ولم يد   ر اذ الميم في مواضع باء
كان من فيه قتله بيديه   فهو في سوء فعله الزباء
او هو النحل قرصها يجلب الحتـ   ـف اليها وما له انكاء
صرعت قومه حبائل بغي   مدها المكر منهم والدهاء
فاتتهم خيل الى الحرب تختا   ل وللخيل في الوغى خيلاء
قصدت فيهم القنا فقوافي الـ   ـطعن منها ما شانها الايطاء
واثارت بارض مكة نقعًا   ظن ان الغدو منها عشاء
احجمت عنده الحجون واكدى   دون اعطائه القليل كداء
ودهت اوجهًا بها وبيوتا   مل منها الاقواء والاكفاء
فدعوا احلم البرية والعفـ   ـو جواب الحليم والاغضاء
ناشدوه القربى التي من قريش   قطعتها الترات والشحناء
فعفا عفو قادر لم ينغصـ   ـه عليهم بما مضى اغراء
واذا كان القطع والوصل لله   تساوى التقريب والاقصاء
وسواء عليه فيما اتاه   من سواه الملام والاطراء
ولو ان انتقامه لهوى النفـ   ـس لدامت قطيعة وجفاء

تامرسه فى الامور فارضى الــله منه تباين ووفاء
فعله كله جميل وهل ينــضح الا بما حواه الاناء
اطرب السامعين ذكر علاه   يا لراح مالت به الندماء
النبى الامى اعلم من اسـند عنه الرواة والحكماء

اللغة تعدوا اى تجاوزوا الحدود ولم يمتنعوا مما منعهم الله من
ايذائه صلى الله عليه وسلم كان فيهما اى فى تعديهما والعدواء بعد
الدار وباد الشئ يبيد هلك واباد هم الله اهلكهم والامتاد
بالفتح صيغة المبالغة فى امر والتمادى كذلك فى ناه وفلان يتعاطى كذا
اى يخوض فيه والعوراء الكلمة القبيحة وهى السقطة قال الشاعر
واغفر عوراء الكريم ادخاره   واعرض عن شتم اللئيم تكرما
والرذل الدون الخسيس وقد رذل فلان يرذل رذالة ورذولة
فهو رذل ورذل الغير قوم رذول وارذال ورذلاء والرجس
القذر والعقاب والغضب وسفه الرجل بالكسر سفها وسفه
بالضم سفاها بالفتح وسفاهة والسفيه ضد الحليم واصله
للخفة ورجل اعوج بين العوج اى سيء الخلق والملة العوجاء
الباطلة والبذاء بالمعجمة والمد الفحش ويقال فلان بذى اللسان
والسب الشتم والزباء امراة كانت ملكة قتلت نفسها بالسم
لما ظفر بها عمرو ابن اخت جذيمة الابرش لما كان بينهما مما هو مشهور
خوفا من تعذيبه اياها والحتف الموت ويقال نكا فى العدو نكاية
اذا قتل فيهم وجرح والحبائل جمع حبالة وهى التى يصطاد بها
والحابل هو الذى ينصبها والدهاء جودة الراى ويقال رجل
داهية بين الدهى والدهاء بالكسر والمد والخيلاء الكبر واختال
تكبر والقنا جمع قناة وهى الرمح وقوافى الطعن جمع قافية اى
طعنة حاصلة بعد اخرى قبلها شانها اى عابها والايطاء تكرار
لفظ القافية والمراد به الطعنة التى تقع فى محل التى قبلها وثار
النقع اى سطع الغبار والعشى والعشية والعشاء من غروب الشمس
الى العتمة والغدو ما بين صلوة الغداة وطلوع الشمس ويقال

جمجم

جمجمة عن الشئ فاجحم اى كففته فكف والحجون بفتح الحاء جبل بمكة
ويقال اكدى الرجل اذا قل خيره وقوله تعالى واعطى قليلا واكدى
اى قطع القليل ويقال اكديت الرجل عن الشئ اذا رددته عنه
وكداء بالفتح والمد موضع باعلى مكة ينزل منه على الابطح ومقا بن
مكة يدخل منه الحاج وكدا بالضم والقصر موضع باسفلها
يخرج منه الحاج قرب شعب قعيقعان ودواهى الدهر ما يصيب
الناس من عظيم نوبه ويقال دهته داهية دهواء ودهياء
ويقال ما دهاك اى ما اصابك ويقال منزل قواء لا انيس به واقوت ت
الدار وقويت اى خلت والاقواء فى الشعر ان تختلف حركات
الروى فبعضه مرفوع وبعضه منصوب او مجرور ويقال
كفاه واكفاه اذا قلبه ومنعه وصرفه والاكفاء فى الشعر المخا لغة
بين هجاء احرف كان يكون بعضها ميما وبعضها باء مثلا وتقول
مللت الشئ اى سئمته والحلم اسم تفضيل من حلم بالكسر فهو حليم
والبرية الخلق واصله الهمز والجمع البرايا وعفوت عن ذنبه
اذا تركته ولم تعاقبه والاغضاء ادناء الجفون وناشده
مناشدة ونشدانا طلبه والقربى القرابة وقريش ولد النضر بن
كنانة والنضر احد اجداده صلى الله عليه وسلم والترات بمثناتين
جمع ترة وهى مصدر قولك وترته موتورا اى قتلت له قتيلا ولم يدرك
بدمه والشحناء العداوة والتنغيص التكدير ويقال نغص الله
عيشه اى كدره ويقال اغريت بين القوم واغريت الكلب بالصيد
اى حملته على اصطياده والاقصاء الابعاد والاطراء المبالغة فى
المدح ونقمت على الرجل انقم كضربت اضرب اذا عتبت عليه والقطيعة
مصدر قطع الرجل رحمه والجفاء خلاف البر ويقال جفوته فهو مجفو
والتباين التقاطع والوفاء ضد الغدر ويقال وفى بعهده واوفى
والنضح الرشح والاناء واحد الآنية وهو ظرف الماء وغيره والراح
الخمر والراحة والارتياح والندماء جمع نديم والرواة جمع راو و
الحكماء جمع حكيم الاعراب وتعدوا الواو عاطفة للجملة

التي بعدها على ما قبلها وهي جملة خدعوا بالمنافقين فيكون الضمير
لليهود ويجوز ان يجعل الضمير لجميع الكفرة من المنافقين واليهود ومن
لم يؤمن من قريش والى النبي متعلق بتعدوا وحدودا مفعول به
وجملة كان فيها العدواء صفة حدودا على تقدير مضاف اى في تعديها
او اليها نفسها مراعى فيها الصفة اى كان في تلك الحدود المتعداة
وعليهم حال ويجوز ان يجعل عليهم خبر كان وفيها حالا ونتهم جملة
فعلية تطلب قوم فاعلا وما انتهت فعلية تطلب قوم فاعلا ايضا
فقوم تنازعه الفعلان فاعمل الاول فيه واعمل الثاني في ضميره
وانث الفعلين وجوبا في الثاني وجوازا في الاول والفاء في قوله
فابيد سببية والاتمار نائب الفاعل بابيد والنهاء عطف على الاتمار
وفاعل تعاطوا الضمير العائد على القومين الآمرين والمأمورين
ومنكر القول مفعول تعاطوا وفي لجج متعلق بتعاطوا ونطق الاراذل
مبتدأ ومضاف اليه والعوراء خبر المبتدأ كل رجس اما مبتدأ
ومضاف اليه او بدل من العوراء فعلى الاول يكون جملة يزيده
خبرا وعلى الثاني صفة كل والسوء صفة الخلق وسفاها مفعول
ثان والملة العوجاء معطوفة على الخلق والعوجاء صفة الملة و
فاعل انظروا ضمير المخاطبين وكيف في موضع المفعول الثاني وعاقبة
القوم المفعول الاول وما موصولة ساق صلتها والبذاء فاعل
ساق والبذى متعلق بساق وجد فاعله ضمير يعود على البذى
والسب مفعول اول وفيه متعلق بالسب وضمير فيه للنبي صلى الله عليه
وسلم وبما هو المفعول الثاني وفاعل يديه ضمير البذى ومفعولا ادري
محذوفان للعلم بهما اى وجد الساب السب تما ولم يعلم بذلك واذ
تعليلية والميم مبتدأ وباء خبر وفي مواضع حال من رباء وقتله اسم
كان وبيديه الخبر ومن فيه حال فهو الفاء سببية وهو مبتدأ و
الزباء خبره وفي سوء فعله في سببية اى بسبب سوء فعله وهو قتل
نفسه بسبب ما اتصل بفيه من السم فانها لما لقيها عمرو ابن اخت جذيمة
بلعت السم وقالت بيدي لا بيد عمرو او عطف على جملة قوله فهو في

سوء

سوء فعله الزباء وهو مبتدأ والنحل خبره ووجه الشبه هو قوله
قرصها يجلب الحتف فانها اذا قرصت ماتت ونكايته في الملدوغ يسيرة
فقرصها مبتدأ ويجلب خبره والحتف مفعوله واليها متعلق بيجلب والواو
للحال وما نافية وانكاء مبتدأ وله الخبر والضمائر المذكورة للبذى وضميره
قرصها واليها للنحل وضمير له للقرص وعت فعلية فاعلها حبائل وقومه
مفعوله وهم اهل مكة بقرينة السياق وضمير قومه للنبي صلى الله عليه وسلم
ومدها فعلية صفة لحبائل والهاء للموصوف والمكر فاعل ومنهم حال
من المكر والضمير المجرور يعود على القوم والدهاء معطوف على المكر
فاتتهم الفاء سببية وخيل فاعل والى الحرب متعلق باتتهم وتختال
جملة حالية من الفاعل الذي هو خيل وللخيل خيلاء مبتدأ وخبر على
التقديم والتاخير وفي الوغى متعلق بخيلاء قصدت مبني للفاعل
وفيهم متعلق به والقنا فاعل والفاء في قوله فنقوا في سببية وقوا في
مبتدأ والطعن مضاف اليه ومنها متعلق بالطعن وضمير منها للقنا
ما شانه الا يطا جملة فعلية خبر المبتدأ وفي بعض النسخ ما شانها
وهو اظهر نظرا للقوافي والتذكير باعتبار الطعن واثارت فعلية
معطوفة على جملة قوله فاتتهم وفاعل الفعل ضمير الخيل ولذلك
لحقته تاء التانيث بارض مكة متعلق باثارت ومكة مضاف اليه و
نقعا مفعول اثارت ظلت مبني للمفعول وان واسمها وهو الغدق
وخبرها وهو عشاء واقعة موقع المفعول الاول الذي لم يسم فاعله
وضمير منها عائد على ارض مكة ومن بمعنى في ويجوز ان يعود على
الغبرة المفهومة من الغبار الذي هو النقع ويكون حينئذ في سببية
انجمت فعلية فاعلها المجون وعنده ظرف للانجام والضمير للنقع واكدى
فعلية معطوفة على ما قبلها وكدا فاعلها ودون اعطائه حال والقليل
مفعول المصدر الذي هو الاعطاء وضمير اعطائه لكدا وعاد على
متاخر لفظا فقط ودهت اوجها فعلية معطوفة على جملة اثارت
وفاعلها ضمير الخيل واوجها مفعوله وسوتا عطف على اوجها ثم بني
للمفعول والنائب الاقواء والاكفاء معطوف عليه ومنها متعلق بحل

وجملة مُلئتْ منها صفة لافواجا وبيوتا فدعوا فعلية والفاء سببية وفي الضمير
فاعل راجع لكفار مكة ولحلم مفعول له والبرية مضاف اليه والعفو مبتدأ
جواب الخبر والحليم مضاف اليه والاغضاء عطف على المبتدأ ناشدوه
بدل من دعوا والهاء مفعول تعود على النبي صلى الله عليه وسلم القربى على
حذف الجار اى بالقربى اى حلفوه بالقربى والتي صفة القربى ومن
قريش صلة التي وجملة قطعتها حال من القربى والضمير للقربى والترات
فاعل قطعتها او الشحناء عطف عليه فعفا فعلية والفاء سببية اى فبسبب المناشدة
عفا وفاعله ضمير النبي صلى الله عليه وسلم وعفو مفعول مطلق وقادر
مضاف اليه وجملة لم ينغصه صفة عفو وعليهم متعلق بينغصه
وضمير الجمع لقومه واغراء فاعل ينغصه وبما مضى صفة اغراء قد نمت
عليه فصارت حالا وما موصولة ومضى صلتها والقطع اسم كان والوصل عطف
عليه ولله الخبر تساوى جواب اذا وفاعله التقريب والاقصاء عطف عليه
والملام مبتدأ والاطراء عطف عليه وضمير عليه للنبي صلى الله عليه وسلم وقوله
سواء خبر المبتدأ ومن سواه وفيما اتاه حالان من الملام وما عطف عليه
ولو هي حرف شرط وفعل الشرط محذوف تقديره ثبت وان وصلتها
سادة مسد الفاعل ولدامت جواب لو وقطيعة فاعله امت و
جفاء عطف عليه قام فعل فاعله ضمير يعود على النبي صلى الله عليه وسلم
لله اى لاجل رضى الله وفي نسخة بالله وهو في موضع الحال اى مستعينا
او مستغنيا في الامور متعلق بقام فارضى الفاء للسببية ما بعدها عما قبلها
وهي جملة قام والاسم الكريم منصوب بارضى وتباين فاعله ووفاء
عطف عليه ومنه حال من الفاعل وما عطف عليه ويجوز ان يتعلق بارضى
فعله مبتدأ كله تاكيد له وجميل خبر المبتدأ وفاعل ينضح الاناء وقوله
الا بما حواه في موضع المفعول له تقدمه مع وجود الارجاع على حد قوله و
تفرين الا في مبانيها النحل لطرب السامعين فعل ومفعول وذكر علاه فاعله
مضاف اليه والهاء ايضا مضاف اليه باستغاث بها ولراح مستغاث ولذلك
فتحت لامه وجملة مالت به الندماء صفة لراح والندماء فاعل مالت
وبه متعلق بمالت والنبي خبر مبتدأ محذوف اى هذا الممدوح الكريم بما

ذكرنا

ذكرنا من بعض اوصافه هو النبي الامي الذي لا يكتب والامي صفته واعلم
صفة ثانية ومن مضاف اليه وهي موصول واسند صلته والرواة فاعله و
الحكماء عطف على الرواة وعنه متعلق باسند البديع استعمل الجناس في تعد
والعدواء وفي ختمه وفي البذي والبذاء وفي السب والسم وفي الخيل و
الخيلاء وفي اكدى وكداء وفي عفا وعفو وفي سواء وسواه وفي اجمته و
الجزر وفي الحلم والحليم والطباق بين الامار والنهاء والغدو والعشاء وبين
القطع والوصل وبين التقريب والاقصاء وبين الملام والاطراء وبين التبا
والوفاء والاقتباس في قوله فانظروا كيف كان عاقبة القوم وفي النبي
الامي واستعمل التلميح في قوله وتعدوا الى النبي حدودا وفي اتاه
نفعا واستعمل التعميم في قوله ونطق الارذل العوراء وكذلك في
قوله والعفو جواب الحليم والاغضاء وكذلك في قوله وهل ينضح الا
بما حواه الاناء وفيه المثل السائر واستعمل التعميم والاستعارة في قوله
يا لراح مالت به الندماء واستعمل التعليل في قوله اذ الميم في مواضع
باء ولمح من قوله تصدق القصيدة واستعار القوافي للطعن المتتابع
فذكر من لوازم المستعار الايطاء ولمح من ذكر البيوت بيوت الشعر
فذكر ما يختص بها من الاقواء والاكفاء واتى بالتورية في قوله الاقواء
والاكفاء واللف والنشر غير المرتب فرجع الاقواء للبيوت باعتبار لمح
بيوت الشعر والاكفاء للوجوه لانها لما تقطع الراس تنقلب وتكفا وفي بعض
النسخ الاكفاء اولا فيكون مرتبا واستعمل الاقواء في الخلو من حيث بيت السكنى
وفي تغيير القافية من حيث الشعر وكذلك الاكفاء من حيث تغيير حركة الروي
وفيها امور اخرى تركنا ذكرها خوف الاطالة المعنى ان الكفرة الذين لم يؤمنوا
بالنبي صلى الله عليه وسلم قد تعدوا حدود الله في امر النبي صلى الله عليه وسلم
وتوصلوا اليه بانواع الاذى قولا وفعلا فقالوا ساحر وكاهن وقالوا مجنون
وطاف هو يوما وابو بكر وعثمان رضي الله عنهما فلما مر بابي جهل وعقبة
ابن ابي معيط وامية بن خلف اسمعوه بعض ما يكره فعرف ذلك في وجهه
حتى وصل الى الطوفة الرابعة ناهضوه ووثب ابو جهل يريد ان ياخذ بمجامع
ثوبه فدفع عثمان ابا جهل فوقع على استه ودفع ابو بكر امية بن خلف ودفع

النبي صلى الله عليه وسلم عقبة بن ابي معيط فتفرقوا عنه ثم قال لهم
رسول الله صلى الله عليه وسلم والله لا تنتهون حتى يحل بكم عقابه عاجلا
فما منهم الا من اخذته رعدة وجعل النبي صلى الله عليه وسلم يقول بئس القوم
انتم لنبيكم ولما اراد مفارقة اصحابه في ذلك الوقت قال ابشروا بان الله
مظهر دينه ومتم كلمته وناصر نبيه ان هؤلاء الذين ترون مما يذبح
الله بايديكم عاجلا قال عثمان فوالله لقد رايتهم ذبحهم الله بايدينا
وكان من قول المنافقين في يوم الخندق كان محمد يعدنا ان ناكل كنوز
كسرى وقيصر واحدنا اليوم لا يامن على نفسه ان يذهب الى الغائط
وجاءت فوارس من قريش منهم عمرو بن عبد ود فركبوا خيلهم ثم اتوا حتى
اقبلوا على الخندق فتيمموا منه مكانا ضيقا فضربوا خيلهم فاقتحمت
منه فجالت بهم في السبخة بين سلع والخندق فخرج السيد علي بن ابي
طالب ونفر معه حتى اخذوا الثغرة التي اقتحمت منها خيلهم وقتل
علي بن ابي طالب عمرو بن عبد ود وابتلى الله الكفرة والمنافقين
بالجلاء وبعد الديار والهلاك ولقد نهى بعضهم بعضا عن التعرض
له وامره بالكف عنه فلم ينتهوا ولم ياتمروا واستمر كل من الفريقين
الآمرون والمامورون على ما هم عليه من الضلال والخذلان حتى
اهلكهم الله تعالى وابادهم فمن ذلك ان عتبة بن ربيعة قال يوما
لقومه بعد ما اسمعه النبي صلى الله عليه وسلم سورة فصلت يا معشر
قريش اطيعوني واجعلوها بي خلوا بين هذا الرجل وبين ما هو فيه
فاعتزلوه فوالله ليكونن لقوله الذي سمعت نبأ فان تصبه العرب
فقد كفيتموه بغيركم وان يظهر على العرب فملكه ملككم وعزه عزكم
وكنتم اسعد الناس به فقالوا سحرك والله يا ابا الوليد بلسانه قال هذا
رايي فيه فاصنعوا ما بدا لكم وقتل عتبة المذكور يوم بدر مشركا
ولم يزدهم ذلك الا طغيانا وايذاء له بالقول والفعل وشان الاراذل
الاخساء النطق بالفحش من القول فانهم لما جبلوا عليه من سوء الخلق
ومحبة ما هم عليه من الاعتقاد الفاسد الخبيث لا يزدادون الا رجسا
وحنقا وغضبا وبعدا عن الحلم والخير ولهذا كانت عاقبة امرهم ونهاية

مآلهم وغايته عذاب الدنيا والآخرة ثم كان عاقبة الذين اساؤا السوأى
ان كذبوا بآيات الله وكانوا بها يستهزؤن فحينئذ كان السب الواقع
منهم في حقه بسبب ما اوجبه من الهلاك سما مهلكا لفظا ومعنى اما
لفظا فلان الميم تكون باء في مواضع كثيرة كقولهم في بينه مينه وهي لغة
مازنية واما معنى فلانه اهلكهم كما يهلك السم بل ابلغ من ذلك لان
السم يهلك في الدنيا فقط وهذا يهلك في الدنيا والآخرة فكان الساب
قتل نفسه بيده بسبب ما صدر منه فيه فقد اشبه في هذا الفعل
التي الزباء بفتح الزاء وتشديد الموحدة حين قتلت نفسها بسبب
ما تناولته بفمها من يدها وهو السم وقد اشبه ايضا النحل من جهة
انه اذا قرص غيره يهلك فيكون قتله بسبب الابر فاه ومن جهة ان
الصادر من الساب ومن النحل قليل الجدوى في حقه وفي معنى ذلك
من عود سوء فعلهم عليهم ان ما كادوه به ونصبوه من حبائل البغي و
شركه ناشيا عن مكرهم ودهائهم مرعهم الله به وجعله عليهم لا لهم
فكلما تجمعوا لحربه وتحزبوا لقتاله وحاولوا اخفاء امره بدد جمعهم
وقتل ساداتهم واقوياءهم وزاده الله في اظهاره عليهم بخيله ورجله
هو الذي ايدك بنصره وبالمؤمنين فجعل سيوف رجاله عاملة في رقا بهم
ورماحهم في نحورهم وصدورهم ذلك جزيناهم بما كفروا وهل نجازي
الا الكفور وكثرة ذلك منهم تاتي الطعنة الثانية في موضع الاولى حتى
كانهما طعنة واحدة لفرط السرعة في الطعن ولم تزل خيله تثير الغبار
باراضيهم ومواضعهم حتى بارض مكة في غزوة الفتح حتى صار يظن
لكثرة كر الخيل عليهم وفرها وما اثاره ذلك من الغبار ان وقت
الغداة وقت العشاء من اظلام الغبار وكذلك اثارت خيله الغبار
بكدا وكداء فانه صلى الله عليه وسلم لما وصل الى ذي طوى فرق جيشه
فامر الزبير بن العوام ان يدخل في بعض الناس من كدا بالفتح وكان الز بير
على الميسرة وامر سعد بن عبادة ان يدخل في بعض الناس من كداء
بالمد اي جهة الجحون واجتمع الخيل بمكة شرفها الله تعالى فكان مما
حصل من النقع المتولد عن كثرة الخيل وكثرة كرها وفرها فيها فوق

ما حصل بكدا وكدا بحيث لا يقاوم ما بالحجون ولا ما بكدا من النقع
ما بكدا منه فلقلة ذلك فيهما بالنسبة الى ما في مكة كان ما في الحجون احجم
عن مقاومة ما بمكة وكان كدا اعز ذلك بقي قليل ولم يوجد فيه
شيء من ذلك يصلح للمقاومة ودهمت خيله وخياله بمكة وجوها من الناس
وبيوتا بها ولكثرة ما اقوى فيهما من البيوت اي خلا وكثرة ما انكفا من
الوجوه مثل الناظم الاقواء والاكفاء واتسعت عليهم الجيوش وكثرت
العساكر وتوفرت القبائل حتى صار ابو سفيان بعد ان اسلم ذلك
اليوم وقد اوقفه العباس بمضيق الوادي عند حطم الخيل بامره صلى
الله عليه وسلم لما مرت به القبائل على راياتها يسال عن كل قبيلة تمر
فيخبره بها العباس فيقول ما لي ولها حتى مر النبي صلى الله عليه وسلم
في كتيبته الخضراء من كثرة ما لبس فيها من الحديد فقال سبحان الله يا
عباس من هولاء قال العباس هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم في
المهاجرين والانصار فقال ابو سفيان ما لاحد بها اقبل ولا طاقة
والله يا ابا الفضل لقد اصبح ملك ابن اخيك الغداة عظيما قال
قلت يا ابا سفيان انها النبوة قال فنعم اذا فحين تحققوا قدرته
عليهم وانه لا قبل لهم به سالوا النبي صلى الله عليه وسلم في الابقاء
عليهم وناشدوه بما بينهم من الرحم التي تجمعهم في قريش وان كانت
قطعت لما بينهم من القتل والعداوة فحلم صلى الله عليه وسلم وعفى
وعفى عنهم وامر ان ينادي فيهم من دخل دار ابي سفيان فهو آمن
ومن اغلق بابه عليه فهو آمن ومن دخل المسجد فهو آمن ولم يمنعه
من ذلك ما سبق منهم لانه ما كان منه من مقاطعتهم كان لله وما كان
منه من صلة الرحم التي رعاها فيهم كان لله تعالى وما كان لله تعالى
فلا يمنعه منه صلى الله عليه وسلم مانع ولا يقطعه عنه قاطع وانما
يمنع الانتقام السابق من الحلم والاغضاء من كان انتقامه لهوى نفسه
وهو صلى الله عليه وسلم مبرا من اتباع الهوى ومنزه عن كل غرض لغير الله
تعالى لانه قائم لله تعالى فيحصل رضاه بكل ما ياتي من عند الله تعالى
لان الله تعالى جبل ذاته الشريفة على كل جميل فلا يصدر عنه الا الجميل

لان

لان الوعد لا ينفع الا بما يحويه ولهذا اذا جليت اوصافه الجميلة
على من يسمعها حصل له بها طرب فوق ما يحصل من طرب الراح اذا دا رت
على من شغف بها فمن اوصافه التي بهرت العقول انه كان اميا
لا يكتب ومع ذلك اطلعه الله على علم الاولين والآخرين وما كنت
تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك اذا لارتاب المبطلون بل هو آيات
بينات في صدور الذين اوتوا العلم وما يجحد بها الا الظالمون •

وعدتني ازديارة العام وجنا ء ومنت بوعدها الوجناء
افلا انطوي لها في اقتضائيـ ـه لتطوى ما بيننا الافلاء
بالوفا البطحاء يجفلها النيـ ـل وقد شف جوفها الاظماء
انكرت مصر فهي تنفر ما لا ح بناء لعينها او خلاء
فاقضت على مبارك هابر كتها فالبويب فالخضراء
فالقباب التي تليها فبير النـ ـخل والركب قائلون رواء
وغدت ايلة وحقل وقر خلفها فالمغارة الفيحاء
فعيون الاقصاب يتبعها النبـ ـك وتتلو كفافة العوجاء
حاورتها الحوراء شوقا فينبو ع فرقا لينبوع والحوراء
لاح بالدهنوين بدر لها بعـ ـد حنين وحنت الصفراء
ونضت بزوة ورابغ والجحـ ـفة عنها ما حاكه الانضاء
وارتها الخلاص بئر علي فعقاب السويق فالخلصاء
فهي من ماء بئر عسفان او من بطن مر ظمآنة خمصاء
قرب الزاهر المساجد منها بخطاها فالبطء منها وحاء
هذه عدة المنازل لا ما عد فيه السماك والعواء
فكاني بها ارحل من مـ ـكة شمسا سماؤها البيداء

اللغة وعد يستعمل في الخير والشر عند ذكر الموعود به فان لم يذكر بل
اقتصر على ذكر الوعد استعمل في الخير وعدو في الشر اوعد واذا ادخلوا
الباء في الشر جاؤوا بالالف والازديار افتعال من الزيارة واصله
ازتيار بالتاء ابدلت منها الدال لابدا لا مطردا والوجناء الناقة
الشديدة من الوجن وهي الارض الصلبة ومنت نعتا انطوي اي اقصد اليها

والطى ضد النشر اى اضم نفسى اليها لتطوى بسيرها الافلاء التى بيننا
واقتضى دينه وتقاضاه بمعنى والاقتضاء مصدر اقتضى وهو مضاف الى
الفاعل ناصبا للهاء ويقال اقتضانيه واقتضانى اياه والفلا والفلوات
جمع فلاة وهى المفازة ونطق به المصنف على افعال جمعا للقلة كانه لم
يكن اطلع على ذلك ويقال أفلى القوم اذا صاروا الى الفلا فيجوز ان
يكون الافلاء فى كلام المصنف بكسر الهمزة لا فتحها مصدر الأفلى بمعنى صار
الى الفلاة اى ليطوى الافلاء الذى هو المصير الى فلاة بعد اخرى ما بيننا
من بُعد المسافة وهذا احسن ويقال أَلِف فلان هذا الموضع يالفه
إلفا كعلمه يعلمه علما وآلفه الموضع يولفه ايلافا وآلفته اوالفه
مؤالفة وإلافا والوف فى كلام الناظم صيغة مبالغة من ألف كعالم
اسم فاعل من ألف كعلم والابطح مسيل متسع فيه دقاق الحصى والجمع
الاباطح والبطاح والبطيحة والبطحاء مثل الابطح ومنه بطحاء مكة
وهى المراد هنا ويقال اجفل القوم اى هربوا مسرعين وجفل اى اسرع
والجافل المنزعج فكانت الناقة تهرب من السيل وتنزعج منه لميلها الى البطحاء
وإلفها اياها وشف جسمه يشف اذا نحل وقد تشافقت ما فى الاناء
اذا شربته كله ولم يفضل فيه شئ وشفه الهم يشفه هزله ويجوز ان
يكون قوله شف من كل منهما اى هزلها جوفها الاظماء الى الماء اولم يفضل
فيه ريا والاظماء افعال من الظما وهو العطش ويقال اظمأته اعطشته
وانكر الشئ ينكره لم يعرفه ونفرت الدابة تنفر وتنفر نفورا ولاح
اى لمع والبناء البنيان من حائط اوبيت والخلا مقصور الحشيش
الرطب الواحدة خلاة وكانها انما تنكر الخلا المذكور حالة كونه مزروعا
لكونها اعتادت ان لا تاكل الخلا الا فى الخلاة لا جلوام السير كما انها
لالفها الفلاة تنكر البناء ويجوز ان يكون المراد بالخلا ما بين الابنية
مما لا بناء فيه من ارض مصر وهذا اقرب قوله فافضت كانه من الفيض
وهو الماء العذب او السايل وقايلون من القيلولة ويقال القوم رواء من الماء
والمحاورة المجاورة ودار فيحاء اى واسعة وحاك الثوب يحوكه
حوكا وحياكة نسجه ونضا ثوبه اى خلعه ويقال انضت الاسفار

الناقة فهى منضاة وانضى فلان بعيره اى هزله وقيل مصدر الانضاء
وخمصاء جوعانة والوجاء مقصورا او ممدودا السرعة والبطؤ نقيضها
والسماكان كوكبان نيران سماك الاعزل وهو من منازل القمر وسماك
الرامح وليس من المنازل والعواء من منازل القمر يمد ويقصر وهى خمسة
انجم والبيداء المفازة والجمع بيد واُرحل من الرحيل لامن الرحل وبقية
الالفاظ التى فى الابيات اسماء منازل فى طريق مكة وهى معروفة
الاعراب وجناء فاعل وعدتنى والياء مفعول وازدياده
منصوب بنزع الخافض اى بازدياده والعام ظرف والوجناء فاعل
منت وبوعدها متعلق بمنت واللام فى الوجناء للعهد الذكرى لتقدم
قوله وجناء كقوله كما ارسلنا الى فرعون رسولا فعصى فرعون الرسول
افلا الهمزة للاستفهام الانكارى والفاء للعطف والمعطوف عليه
محذوف اى اتباطا ولا انطوى لها متعلق بانطوى فى اقتضائيه
متعلق به ايضا والياء فى موضع الفاعل اضيف اليها المصدر فصارت
مجرورة والهاء منصوبة على انها مفعول المصدر والافلاء نايب
عن الفاعل رافعه تطوى وبيننا ظرف وما زائدة بالوف متعلق
بتطوى اى تطوى الافلاء التى بينه وبين مكة بناقة الوف فالوف
صفة لمحذوف وفى ذلك المحذوف ظاهر قايم مقام الضمير والبطحاء
مضاف اليه وتجفلها النيل جملة وقعت صفة لموصوف الوف وقد
الواو للحال وقد للتحقيق وشف فاعله الاظماء وجوفها مفعوله
والضمير للناقة وفاعل انكرت ضمير الناقة ومصر مفعوله فهى مبتدا
وجملة تنفر خبره وفاعل تنفر عائد على ما عاد عليه المبتدا وهو الناقة
وما مصدرية ظرفية ولاح فعل فاعله بناء لعينها متعلق بلاح او
خلاء عطف عليه فافضت جملة فاعلها قوله بركتها وعلى مباركها متعلق
بافضت وضمير مباركها للناقة فالبويب فالخضراء معطوفان على
بركتها وكذا قوله فالقباب عطف على بركتها والتى تليها صلة وموصول
والجملة صفة القباب والهاء فى تليها للمبارك السابقة على القباب وفاعل
تلى ضمير القباب فبير النخل معطوف كالذى قبله وبير مضاف الى النخل

والركب مبتدأ قايلون خبره رِواء خبر ثان والواو للحال وغدت
فاعله ايلة وحقل عطف على ايلة وقرئ كن لك وخلفها خبر غدت والضمير
المجرور عايد على الناقة فالمغارة عطف على ايلة والفيحاء صفة المغارة
فعيون الاقصاب معطوف كالذى قبله والاقصاب مضاف اليه وتبتغيها
النبك جملة حالية من عيون الاقصاب والضمير للعيون والعوجاء فاعل
تتلو وكفافة مفعوله حاورتها جملة فعلية وضميرها للناقة والحوراء
فاعل وشوقا تمييز فينبوع عطف على الحوراء فرقى الينبوع جملة فعلية
والفاء عاطفة للجملة الفعلية على الجملة قبلها والحوراء عطف على
الينبوع لاح فعلية فاعلها بدر وبالدهنوين الباء ظرفية والدهنو ين
تثنية دهنا وكانه غلب اسمها على ما جاورها او هما موضعان كل
يسمى بالدهناء لها متعلق بلاح بعد ظرف وفي نسخة بدله قبل وهو
اوضح لان تحنينا بعد بدر وحنت فاعله الصفراء ونضت فاعله بزوة
ورابغ والجحفة معطوفان عليه وعنها متعلق بنضت وما مفعول وهو موصول
حاكه صلته والانضاء فاعل حاكه وارتها الخلاص فعل ومفعول وفاعله
هو بئر على فعقاب السويق عطف على بئر والسويق مضاف اليه فالخلصاء
عطف على بئر على فهى مبتدأ يعود على الناقة وظمآنة خمساء خبران
ومن ومجرورها متعلق بظمآنة وقوله او عن بطن مر عطف على قوله
من ماء بئر وانما كانت ظمآنة مع ورودها هذين الماءين اشتغالا بتعجيل
السير لتقريب الزاهر والمساجد فاعل قرب والزاهر مفعوله وهو بئر
عند ذى طوى والمساجد عند التنعيم وهو انتهاء الحل وابتداء
الحرم بخطاها جمع خطوة متعلق بقرب وضمير منها للناقة فالبطح
مبتدأ ووجاء خبره ومنها صفة الوجاء تقدمت عليه فصارت حالا
هذه عدة المنازل مبتدأ وخبر وكانه اراد ما اشتهر منها وقت
نظمه ذلك سواء كان منهلا او منزلا والا فقد بقى من المناهل والمنازل
اشياء لم يذكرها اى هذه هى المنازل المرغوب فيها المعتد بها لا
ما عُدَّ فيه السماك والعواء فانه لا يعتد بها كالاعتداد بما ذكر فلا
عاطفة وما موصولة وعُدَّ فيه صلة الموصول والهاء عايد للسماك

نايب الفاعل والعواء عطف على السماك فكانى كان واسمها والباء
فى بها اما للمصاحبة او للسبب او للاستعلاء اى كانى معها او بسببها
او عليها وهذا اظهر ارحل فعل وفاعل والجملة خبر كان ومن مكة متعلق
بارحل اى اسيرها فى ارض مكة ذاهبا الى بقية المشاعر كما تسير الشمس
فى افق السماء وسماؤها البيداء مبتدأ وخبر وضمير سماؤها اما للناقة
او للشمس لانه استعار اسم الشمس لها البديع استعمل الجناس فى وجناء و
الوجناء وفى انطوى ولتطوى وفى مباركها والبركة وفى حاورتها و
الحوراء وفى حنين وحنت ونضت والانضاء والخلاص والخلصاء
واعتبر الطباق بين البناء والخلاء والالف والاجفال واستعار
الشمس للناقة والسماء للبيداء واستعمل التتميم فى قوله وقد شفت
جوفها الاظماء المعنى لما ذكر فيما تقدم شيئا من اوصاف النبى صلى الله
عليه وسلم ولحواله وسيره ومغازيه وزيارته انتقل بطريق لطيف الى
ذكر دار بعثته وهجرته فحكى انه افضل العالمين كما هو مقرر فى الاذهان
فكذلك مكان اقامته حيا وميتا له الفضل على كل مكان واظهر التشوق
على زيارته وانه عزم على السير اليها على ناقة وجناء حققت له بسيرها
ما كان يرجوه من الزيارة لما لها من الشوق والميل الى تلك البقاع بحيث
يبعثها ذلك على هجر مواضع اقامتها واماكن تربيتها حتى صارت لشدة
ميلها الى بطحاء مكة وما فى معناها من معاهد الحبيب تنفر اذا لاح مواضع
منشاها ومرباها وتسكن الى البيداء وربابها ثم شرح سيرها الى تلك
المنازل والمناهل على وجه بديع واستعظم شان تلك المنازل و
فضلها على منازل القمر لكونها موصلة الى بقاع خير البشر ثم شبه
مسيرها الى تلك البقاع بسير الشمس فى السماء الى موضع غروبها
وشبه البيداء التى قطعتها الشمس واجاد فى هذا التشبيه الذى
اورده بطريق الاستعارة الخالية عن اللبس ثم اخذ يذكر مكة
والمدينة شرفهما الله تعالى فبدا بذكر مكة شرفها الله
تعالى لانها افضل واسبق وختم بذكر المدينة ليختم الكلام
فى ذلك بما يشم من طيبها ويُنشق فقال

قطعتها السماء التى صح

موضع البيت مهبط الوحي مأوى الـ   ـرسل حيث الانوار حيث البهاء
حيث فرض الطواف والسعي والحلـ   ـق ورمي الجمار والاهداء
حبذا حبذا معاهد منها   لم يغير آياتهن البلاء
حرم آمن وبيت حرام   ومقام فيه المقام تلاء
فقضينا بها مناسك لا يحـ   ـمد الا في فعلهن القضاء
ورمينا بها الفجاج الى طيـ   ـبة والسير بالمطايا رماء
فاصبنا عن قوسها غرض القر   ب ونعم الخبيئة الكوماء
فرأينا ارض الحبيب يغض الـ   ـطرف منها الضياء واللألاء
فكأن البيداء من حيثما قا   بلت العين روضة غناء
وكأن البقاع زرت عليها   طرفيها ملاءة حمراء
وكأن الارجاء ينشر نشر الـ   ـمسك فيها الجنوب والجربياء
فاذا شمت او شممت رباها   لاح منها برق وفاح كباء
اي نور واي نور شهدنا   يوم ابدت لنا القباب قباء
قر منها دمعي وفر اصطباري   فدموعي سيل وصبري جفاء
فترى الركب طائرين من الشو   ق الى طيبة لهم ضوضاء
فكأن الزوار ما مست البأ   ساء منهم خلقا ولا الضراء
كل نفس منها ابتهال وسؤل   ودعاء ورغبة وابتغاء
وزفير تظن منه صدورا   صادحات يعتادهن زقاء
وبكاء يغريه بالعين مد   ونحيب يحثه استعلاء
وجسوم كأنما رحضتها   من عظيم المهابة الرحضاء
ووجوه كأنما البستها   من حياء الوانها الحرباء
ودموع كأنما ارسلتها   من جفون سحابة وطفاء
فحططنا الرحال حيث يحط الـ   ـوزر عنا وترفع الحوباء
وقرأنا السلام اكرم خلق الـ   ـله من حيث يسمع الاقراء
وذهلنا عند اللقاء وكم أذ   هل صبا من الحبيب لقاء
ووجمنا من المهابة حتى   لا كلام منا ولا ايماء
ورجعنا وللقلوب التفاتا   ت اليه وللجسوم انثناء

وسمحنا بما نحب وقد يسمح عند الضرورة البخلاء

اللغة البيت الكعبة المهبط من هبط هبوطا نزل واهبطه انزله والوحي الكتاب وجمعه وحي كحلي وحلي والوحي الاشارة وكل كلام خفي ويقال اوى فلان الى منزله يأوي أويا على فعول والمأوى كل مكان يأوي اليه الشيء ليلا او نهارا والرسل جمع رسول وهو انسان اوحى الله اليه للعمل والتبليغ والبهاء الحسن يقال بهي الرجل وبهو وحيث ظرف مكان والطواف قطع ما حول البيت الشريف من المسافة بالمشي او الركوب والسعي قطع ما بين الصفا والمروة سبع مرات والحلق ازالة شعر الرأس بالموسى وفي معنى ازالة الكل ازالة البعض واقله ثلاث ويقوم مقامه التقصير وفي معنى الموسى كل مزيل والجمار ثلاث جمرة العقبة وجمرة الخيف والوسطى بينهما ورميها قذفها اي قذف كل واحدة منها بسبعة احجار في ايام التشريق ويكون في يوم النحر الى العقبة فقط والاهداء ذبح الهدي وهو ما يسوقه المحرم من النعم الى مكة تقربا الى الله تعالى ويطلق على ما ينجبر به اما لترك واجب او فعل حرام ولهذه الامور احكام كثيرة وتفاصيل منتشرة موضعها كتب الفروع حبذا كلمة تقال في المدح والثانية تأكيد لفظي للاولى معاهد جمع معهد والمعهد المنزل الذي لا يزال القوم اذا انتأوا عنه رجعوا اليه آيات جمع آية وهي العلامة وبلي الثوب يبلى بلى بكسر الباء فان فتحت الباء مددت ومكة حرم الله تعالى لانها داخل الحرم وهو محيط بها وحدوده معروفة والآمن اسم فاعل من الامن وهو ضد الخوف فهو آمن في نفسه وغيره آمن فيه وبيت حرام هو الكعبة ومقام بفتح الميم هو الحجر الذي كان يقوم عليه السيد ابرهيم عند بنائه البيت لما طال بناؤه وفيه المقام بضم الميم بمعنى الاقامة فقضينا اي فعلنا فان القضاء يطلق على الفعل وعلى الفراغ من الشيء ويصح هنا اي فرغنا تلك المناسك وهي جمع منسك والنسك العبادة والمراد الافعال المتقدمة وما يعتبر معها من وقوف عرفة ومزدلفة ومبيت

منىً والقضاء آخر البيت بمعنى الفراغ ولا يصح ان يكون بمعنى الفعل
ويصح ان يراد به القضاء الشرعي الذي هو ضد الاداء فان الاداء
الشرعي ما فعل في وقته والقضاء الشرعي ما فعل خارج وقته و
الحصر على الاول والثاني قد يستشكل وقد يقال في جوابه دفعاً
للاشكال على المعنى الاول انه لا يحصل فراغ العبادة مع بقاء وقتها الا
في الحج فان تأخر الطواف والسعي الى بعد ايام التشريق وان صح مفضول
بالنسبة الى فعله قبل وان كان الوقت باقيا بخلاف الصلوة مثلا فانه
ما دام وقتها الاستمرار فيها افضل من فراغها ويكفي في دفع الاشكال
ان يصح الحصر ولو في صورة والفجاج جمع فج وهو الطريق ودرسنا الفجاج
القيناها اي جعلنا ها خلفنا بالسير وطيبة مدينة النبي صلى الله عليه وسلم
والسير قطع المسافة والمطايا جمع مطية وهي ما يركبه الانسان من ناقة
وغيرها ويقال رميت السهم رمياً ورميت به وراميته مراماة ورماء
فكانه يقول سير المطايا اذا اسرعن في السير كالرمي بالسهام وهو
ولهذا قال فاصبنا عن قوسها اي قوس المطية لما بينهما من الشبه والغرض
ما يرمى اليه وهو للراكب قربه من مقصده والخبئ ما خبئ والخبئ
المخبوء والخبيئة المخبوءة والكوماء الناقة العظيمة السنام وغض
طرفه اي خفض بصره وتلالأ البرق لمع والروضة الغناء الكثيرة العشب
والنبات وقد تقدم ذكرها في كلامه والبقاع جمع بقعة ويقال
زررت القميص ازره بالضم زراً بالفتح اذا شددت ازراره
عليك والملاءة بالضم ممدود الريطة ولا تسمى ريطة الا اذا
كانت قطعة واحدة ولم تكن لفقين والارجاء جمع رجا والمراد به
الناحية مطلقا وان كانت في الاصل ناحية البئر ونشر المسك ريحه
ونشر الريح له تعميم الارجاء به والجنوب الريح التي تقابل الشمال
والجربياء بوزن فعلياء بالكسر والمد الريح التي تجري بين الشمال
والدبور وهي تقشع السحاب وشمت مخايل الشئ اذا تطلعت نحوها
ببصرك منتظراً له وشمت البرق اذا نظرت الى سحابته اين تمطر و
شممت اي ادركت بحاسة الشم والربا جمع ربوة مثلث الراء

وهي ما ارتفع من الارض والكباء ممدود ضرب من العود يقال
منه كبي ثوبه بالتشديد اي بخره وتكبى واكتبى اذا تبخر والنور
ضد الظلمة والنور بالفتح الزهر والقباب جمع قبة وقباء موضع
بالمدينة ويقال سال الماء وغيره يسيل سيلانا والسيل واحد السيول
والجفاء بالمد والضم الزبد والغثاء بالضم والمد ما يحمله السيل
وطيبة على وزن شيبة اسم مدينة النبي صلى الله عليه وسلم و
الضوضاء اصوات الناس وجلبتهم وكانه ابدل من الهاء آخره
الهمزة اذ اصلها ضوضاة والبأساء والضراء الشدة وبغيت الشئ
طلبته ويقال رغبت في الشئ رغبة ورغباً اذا اردته والسؤل
والابتهال والدعاء متقاربة المعنى والزفير اغتراق النفس للشدة
والصادحات جمع صادحة مؤنث صادح يقال صدح الطير اذا
صوت والزقاء الصياح والمد السيل يقال مد النهر والنحيب
رفع الصوت بالبكاء والحث على الشئ الحض عليه والاستعلاء المراد
به علو النفس بالصوت فيحصل بسببه الزيادة في النحيب وجسوم
جمع جسم رحضتها غسلتها والمرحاض المغتسل والرحضاء العرق
من اثر الحمى ووجوه جمع وجه والحرباء يطلق على معان منها انها
دويبة نحو القطاة تستقبل الشمس برأسها وهو المراد هنا والدموع ع
جمع دمع والجفون جمع جفن والوطفاء صفة السحابة اذا كانت
مسترخية الجوانب لكثرة مائها والرحال جمع رحل وحيث اسم مكان
والوزر الاثم والثقل والحوجاء الحاجة يقال ما في صدره به حوجاء
ولا لوجاء ويقال قرأت عليك السلام واقرأتك السلام والاقراء
مصدر اقرأتك والذهول الغفلة والصبابة رقة الشوق يقال
صببت كقنعت فانا صب وهي صبة والحبيب المحبوب ووجم من الامر
وجوماً كقعد قعوداً امسك عن الكلام فيه وهابه والمهابة الاجلال ل
والمخافة والتفات القلوب ميلها وانثناء الجسم انعطافه والسماحة
الجود وسمح بالشئ جاد به والبخلاء جمع بخيل الاعراب قوله موضع
البيت يجوز ان يجعل به الام مهكه ويجوز ان يجعل خبر المبتدأ محذوف

اى هى موضع البيت ومهبط الوحى اما نعت لموضع او عطف وحذف
حرف العطف واما بدل بعد بدل وكذا الاعراب فى قوله ماوى
الرسل وقوله حيث الانوار حيث البهاء حيث فرض الطواف وقوله
والسعى عطف على فرض لانه لا يتنفل به كالطواف والحلق كذلك
ورمى الجمار والاهداء كذلك حيث اريد به ما جبر به فعل حرام او ترك
واجب حبذا كلمة تقال للمدح والثانية تأكيد لها معاهد هو الممدوح
ومنها صفة معاهد والضمير لمكة والجملة الفعلية وهى لم يغير الى آخره
صفة ثانية للمعاهد ويجوز ان تعرب حالا لسبق الوصف بالمجرور
وآياتهن مفعول الفعل والبلاء فاعله حرم يجوز ان يجعل بدلا كالابدال
قبله ويجوز ان يجعل معطوفا على حذف حرف العطف وهو ضعيف او من
صفة حرم وبيت حرام يجوز جعله عطفا على حرم ويجوز ان يجعل معطوفا
على موضع البيت ومقام كذلك والجملة التى بعده صفة له والمقام
مبتدأ وتلاء خبره وفيه متعلق بالمقام فقضينا جملة مستأنفة و
الضمير فاعله ومناسك مفعوله والباء فى بها ظرف اى قضينا فيها و
جملة لا نجحد الى آخره صفة مناسك والقضاء فاعل يجحد والا ايجاب
للنفى السابق ورمينا جملة معطوفة على الجملة قبلها بها متعلق برمينا
والضمير للوجناء والفجاج مفعول رمينا والى طيبة حال اى سائرين
الى طيبة وجملة وللسير الى آخره مستأنفة مبنية لحال رميهم الفجاج
الى طيبة اى كان سيرا سريعا كانه فى السرعة المراماة بالنبال والفاء
فى فاصبنا سببية عاطفة لما بعدها من الجملة على الجملة قبلها وعن قوس
متعلق باصبنا والضمير للوجناء وغرض القرب مفعول ومضاف
اليه ونعم الخبيئة نعم فعل مدح والخبيئة فاعله والكوماء صفته
فرأينا ارض الحبيب فعل وفاعل ومفعول وقوله والطرف مفعول
والضياء فاعل والالاء عطف عليه وضمير منها الارض الحبيب ومن
اما للتعليل واما للابتداء وكانت البيداء كانت واسمها وروضة خبر
كانت وغناء صفتها ومن حيثما قابلت العين ما زائدة وقابلت العين
الجملة مضاف اليها حيث فهى فى محل جر وكانت البقاع كانت واسمها

زرت عليها الجملة خبر كانت وضمير عليها للبقاع ظرف فيهما مفعول زرت
وملاءة فاعل زرت وحمرا صفة ملاءة وكانت الارجاء الواو عاطفة
للجملة التى بعدها على الجملة قبلها وهى كانت واسمها وينشر الجملة خبر ونشر
مفعول ينشر والمسك مضاف اليه الجنوب فاعل ينشر والجرباء عطف
على الفاعل واذا ظرف فيه معنى الشرط وشمت فعل الشرط او شمت
عطف عليه ربابها مفعول احد الفعلين ومفعول الآخر محذوف
لدلالة المذكور لاح جواب اذا ومنها متعلق بلاح برق فاعل لاح
وفاح عطف على لاح وكباء فاعل فاح اى نور مبتدأ واى نور تمييز
عليه ومفعول شهدنا محذوف اى شهدناه والجملة خبر والمعنى نور
عظيم ونور نضير شهدناهما ويوم ظرف لشهدنا وهو مضاف
الى الجملة بعده وقباء فاعل ابدت والقباب مفعوله قر جملة فعلية
فاعلها دمعى ومنها متعلق بقر والضمير يعود على ربابها وقر اصطبارى
عطف على قر دمعى والياء فى الجملتين مضاف اليها فدمعى مبتدأ
وسيل خبره وصبرى جفاء كذلك والجملة الثانية معطوفة على الاولى
والجملتان مؤكدتان للمعنى الذى قبلهما ولذلك قرنتا بالفاء السببية
فترى جملة فعلية فاعلها ضمير المخاطب ومفعولها الركب وطائرين
حال وعن الشوق متعلق بطائرين والى طيبة متعلق بالشوق ولهم
ضوضاء اسمية حال عن الركب والزوار اسم كانت وجملة ماست
خبر كانت والبأساء فاعل مست وخلقا مفعوله ولا الضراء عطف
على البأساء باعادة النافى للتنصيص على نفى كل واحد منهما لا المجموع
كل نفس مبتدأ ومضاف اليه وابتهال مبتدأ ومنها خبره والجملة خبر
المبتدأ الاول وسؤل وما بعده معطوفات على ابتهال وزفير معطوف
ايضا على ابتهال ووصفه بقوله تظن منه صدورا والفاعل ضمير
المخاطب وصدورا مفعوله الاول ومنه متعلق بتظن وعن تعليلية
وصادحات مفعوله الثانى وهو صفة لمحذوف اقيم مقامه المذكور
اى طيورا صادحات وزقاء فاعل يعتادها ومفعوله الضمير و
الجملة صفة لصادحات وبكاء عطف على قوله ابتهال ومد فاعل

يغزيه والجملة صفة بكاء ونحيب عطف على ما عطف عليه بكاء واستعلاء
فاعل يجئه والهاء مفعوله والجملة صفة نحيب وجسوم عطف على
ابتهال وجملة كانما دحضتها صفة جسوم بتأويل الفعل اى مقول فيها
كانما الى آخره وما كافة وفاعل دحضتها الرحضاء وعن عظيم المهابة
متعلق بدحضتها وعن تعليلية وقوله ودجوه الى آخر البيت اعرابه
كاعراب البيت الذى قبله سواء والواو فيها مفعول لتأبى ولا لبثتها
والهاء مفعول به لاول وكذا الكلام فى قوله ودموع الى آخر البيت
فان اعرابه كاعراب قوله وجسوم الى آخره سواء فحططنا جملة فعلية
فاعلها الضمير والرحال مفعول وحيث ظرف مكان مضاف الى الجملة
بعده وهى يحط الوزر عنا والوزر نائب الفاعل وعنا متعلق بيحط
وترفع مبنى للمفعول والحوجاء نائب الفاعل والجملة معطوفة على
جملة يحط الوزر وجملة قرأنا معطوفة على جملة حططنا والسلام
مفعول قرأنا وفاعله الضمير المتصل واكرم منصوب على نزع الخافض
وخلق الله مضاف ومضاف اليه وعن حيث متعلق بقرأنا ومضاف
الى الجملة بعده وهى يسمع الاقراء والاقراء نائب الفاعل وجملة وذهلنا
معطوفة على جملة حططنا وعند ظرف لذهلنا وكم خبرية والمميز
محذوف واذهل صفة للمميز وفصبا مفعوله ولقاء فاعله وعن فيه
متعلق بلقاء ووجمنا عطف على حططنا وعن المهابة متعلق به ومن
تعليلية وحتى غاية لما قبلها وهى ابتدائية ولا كلام منا مبتدأ و
خبر ولا ايماء جملة معطوفة على الجملة التى قبلها والتقدير ولا ايماء
منا ورجعنا عطف على حططنا والضمير فاعله والواو فى قوله و
للقلوب حالية وهو خبر عن قوله التفاتات واليه متعلق بها وقوله
وللجسوم انثناء جملة اسمية معطوفة على الجملة قبلها وسمحنا جملة
معطوفة على الجملة قبلها وبما نحب متعلق بسمحنا وما موصولة وتحب
صلتها والعائد محذوف اى نحبه والبخلاء فاعل يسمح وعند الضرورة
ظرف ليسمح والجملة مؤكدة لما قبلها البديع استعمل الجناس فى قوله حرم
وحرام ومقام والمقام وفى قضينا والقضاء وبين رمينا والرماء

وبين يثرب ونشر وبين شمت وشممت ولاح وفلح ونود ونوز و
قباب وقباء وبين دحضتنا والرحضاء وحططنا ويحط وقرأنا
والاقراء وسمحنا ويسمح واستعمل التتميم فى قوله فدموعى الى آخره
وفى قوله وكم اذهل الى آخره واستعمل التلميح فى قوله حرم آمن و
فى قوله بيت حرام واستعمل اللف والنشر المرتب فى قوله اذا شمت البيت
ليرجع لاح برقا الى شمت وفلح بكاء الى شممت والايهام فى قوله غرض
القرب والاستعارة فى قوله فرمينا عن قوسها والطباق بين الحط
والرفع المعنى لما ذكر الناظم رحمه الله تعالى مكة المشرفة اخذ يذكر
شيئا من اوصافها التى شرفها الله بها على جميع البلاد وجعلها مثابة
وامنا للعباد فقال انها موضع بيت الله تعالى الذى هو الكعبة اذ اول
بيت وضع للناس للذى ببكة مباركا وهدى للعالمين وانها محل
نزول الوحى على انبياء الله ورسله عليهم الصلوة والسلام وانها مأوى الر سل
الكرام وانها محل الانوار ومحل البهاء على طول الليالى والايام و
انها محل فرض اركان الحج والعمرة وهى الطواف والسعى والحلق ومحل
واجبات الحج التى منها رمى الجمار والهدى الذى تفديه الواجبات
اذا تركت وكذلك هى محل الهدى الذى يساق الى مكة بدنا تقربا
الى الله تعالى ومدح معاهد مكة شرفها الله تعالى بانها على طول الازمان
لم يغيرها ما غير غيرها من الاماكن بل صانها الله تعالى لحرمتها لديه
وفضلها عنده وانها حرم آمن وانها بيت حرام اولم يروا انا
جعلنا حرما آمنا ذا امن لحرمة البيت الذى فيه يجبى ثمرات كل شىء
ويحمل اليه من كل جهة رزقا من لدنا ولكن اكثرهم لا يعلمون هذه الصفات
الجليلة فلا يقدرونها هذا الحرم العظيم قدره ويعرفوا له هذه الفضيلة
جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس يقوم به امر دينهم ودنياهم
يلوذ به الخائف ويأمن به الضعيف وتربح فيه التجار وتتوجه اليه
الحجاج والعمار وان فيها المقام الذى مدح الاقامة فيه فيه آيات
بينات مقام ابرهيم ومن دخله كان آمنا ووصف مكة بانه قضى بها
المناسك التى يحمد قضاؤها اى الفراغ منها ولو كان وقتها باقيا دون

غيرها فانه لا يجد الفراغ من افعاله ما دام وقته باقيا ثم ذكر ان
الوجناء التي حملته الى مكة قطع بها بعد ذلك السبل والفجاج الى طيبة وهي
مدينة النبي صلى الله عليه وسلم التي طيبها الله تعالى بجعلها دار هجرته
ومحل نصرته وموضع تربته صلى الله عليه وسلم وانه اصاب الغرض
الكامل وهو القرب منهما بواسطة هذه الوجناء السريعة السير
العظيمة السنام ثم اخذ يذكر انه لما قارب المدينة وكان بحيث
ينظر اليها والى ما حولها صار بصره لا يقوى على ادراك تلك البقاع
لما لابسها من النور والضياء لقربها منه صلى الله عليه وسلم وان كل
بقعة من تلك البقاع لما فيها من البهجة والانس والضياء والحسن روضة
كثيرة النبات والزهر دانية القطوف والثمر وصارت ايضا لكثرة
ما بها من الانوار والاضواء كانها داخل خيمة حمراء زرت عليها من جميع
جوانبها وانبث عبير المسك في تلك الارجاء وانتشروا وصلت الريح
تلك الرائحة الطيبة الى كل بقعة من تلك البقاع فظهر فيها من ذلك ما اظهر
بحيث صار القريب منها اذا شام ربوة من رباها يلوح له فيها برق لامع
واذا تشمم شيئا من ترابها يفوح له عرف عود ساطع وانه لما بدت له قباء
شهد من الانوار والازهار ما انعشه وادهشه وحصل له من فرط المهابة
وكمال الخشوع ما ازال ثابت صبره وارسل دمعه حتى كان دموعه ذهبت
ببصره كما تذهب السيول بالجفاء وان الزوار لكثرة ما بهم من الشوق الى
مقام سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم المثير لسرعة السير كالطائرين لهم
تصويت بالصلاة عليه والتسليم وصاروا لفرط اسراعهم وكثرة صلاتهم
وسلامهم وطلبهم من الله تعالى ودعائهم له وابتغائهم من فضله وتوسلهم
بهذا السيد العظيم ما مسهم من السفر تعب ولا نصب وربما حصل لهم من
فرط المهابة ووفور الخشوع ما حبس انفاسهم في صدورهم حتى يصير
لصدورهم ازيز فيقوم ذلك مقام النطق بافواههم بما تقدم فتصير
صدورهم كانها الطيور التي لها صياح وقام بهم ما اجرى المدامع الكثيرة
التي كثرتها كانما ارسلتها السحائب الغزيرة المياه من عيونهم لكثرة البكاء
والنحيب الذي هو ارتفاع اصواتهم بالبكاء وتزايد ذلك لما تصاعد

من

من انفاسهم فحالهم دائر من كثرة الشوق بين النطق بافواههم عند
انطلاق انفاسهم وبصدورهم عند انحباسها وبعيونهم وفرط نحيبهم
عند تصاعدها وصارت جسومهم لما قام بهم من شدة الهيبة
القادرة لتعب السير وسرعة الحركة هيما كانما غسلتها وفاض عليها
عرق الحمى وصارت وجوههم من حيائهم منه صلى الله عليه وسلم عند
قدومهم عليه مع ما حملوه من الاوزار في تلونها الذي ياخذها من كثرة
الحياء كانها الحرباء في تلونها ثم اخذ يذكر احوالهم بعد انتهاء سيرهم
فقال انهم حطوا رحالهم بفناء كرمه صلى الله عليه وسلم وان فناء
كرمه كما هو محل حط الرحال فهو محل حط الذنوب وقضاء الحوائج ولو
انهم اذ ظلموا انفسهم جاؤك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا
الله توابا رحيما وانهم اتوا بما يطلب منهم من الصلاة والتسليم على هذا النبي
الكريم وعلى ضجيعيه اللذين هما افضل البشر بعده رضي الله عنهما واشار
بقوله اكرم خلق الله وبقوله من حيث يسمع الاقراء الى انه صلى الله عليه
يسمع الصلاة من المصلي ويرد عليه ورده دعاء ودعاؤه لا يرد وفي
ذلك من المزية للمصلي ورفع الدرجة ما لا يخفى وايضا ففي مسلم من صلى
علي صلاة صلى الله عليه بها عشرا فقد تفضل الله على المصلي عليه مرة
بعشر صلوات يصليها عليه وهذا اعظم في كرمه صلى الله عليه وسلم من
الاول ثم اخذ يذكر حالهم عند لقاء القبر الشريف والحلول بمحل كرمه
المنيف وانه يحصل عند لقيته لزائريه ذهول عما عداه وان هذا شان
كل محب اذا لقي حبيبه يذهله لقاؤه عن كل شيء غيره حتى عن نفسه
وربما حصل له مع ذلك من فرط الاجلال وزيادة الهيبة ما منع لسانه
من النطق حتى لا يستطيع الكلام بما يريده ولا الايماء اليه وكم رمت
بث الشوق عند لقائه فلما التقينا ما نطقت ولا حرفا ثم رجع الى ذكر
حالته عند الرجوع الى وطنه بعد فراغ زيارته فقال انه لما فرغ من زيا رته
وتوجه الى وطنه كان قلبه متعلقا به ملتفتا اليه صلى الله عليه وسلم
وجسمه منجذبا منثنيا اليه لما عنده من الشوق والمحبة اللذين مقتضا هما
عدم المفارقة لكنه سمح بالمحبة من استمرار المقام لديه والاقامة عنده

لمكان الضرورة الداعية الى ذلك لوجود مقتضيات الرحيل وموانع الاقامة
وهذا كما ان البخيل بالمال يسمح به عند الضرورة الى صرفه ولا يستطيع الامساك

يا ابا القاسم الذي ضمن اقسا … مى عليه مدح له وثناء
بالعلوم التي عليك من الله … بلا كاتب لها املاء
ومسير الصبا بنصرك شهرا … فكانت الصبا لديك الرخاء
وعلي لما تفلت بعينيه … وكلتاهما معا رمداء
فغدا ناظرا بعيني عقاب … في غزاة لها العقاب لواء
وبريحانتين طيبهما منك … الذي اودعتهما الزهراء
كنت تأويهما اليك كما آ … وت من الخط نقطتيها الياء
من شهيدين ليس ينسيني الطف … مصابيهما ولا كربلاء
ما رعى فيهما ذمامك مرؤ … س وقد خان عهدك الرؤساء
ابدلوا الود والحفيظة في القر … بى وابدت ضبابها النافقاء
وقست منهم قلوب على من … بكت الارض فقدهم والسماء
فابكهم ما استطعت ان قليلا … في عظيم من المصاب البكاء
كل يوم وكل ارض لكربي … منهم كربلا وعاشوراء
آل بيت النبي ان فؤادي … ليس يسليه عنكم التأساء
غير اني فوضت امري الى الله … وتفويضي الامور براء
رب يوم بكربلاء مسيء … خففت بعض وزره الزوراء
والاعادي كان كل طريح … منهم الزق حل عنه الوكاء
آل بيت النبي طبتم فطاب الـ … مدح لي فيكم وطاب الرثاء
انا حسان مدحكم فاذا نحـ … ـت عليكم فانني الخنساء
سدتم الناس بالتقى وسواكم … سودته البيضاء والصفراء

اللغة ابو القاسم كنية النبي صلى الله عليه وسلم يحرم على غيره التكني بها سواء كان اسمه محمدا ام لا وسواء زمنه وما بعده لكن اختار النووي اختصاص ذلك بحياته كما هو مذهب مالك وتضمن الشيء الشيء اي اشتمل عليه والاقسام بكسر الهمزة مصدر اقسم وبفتحها جمع قسم والمراد هنا الاقسام على غيره ليفعلن كقولك اقسم عليك بالله لتفعلن ولا يكون

يمينا

يمينا من المقسم الا ان قصد يمين نفسه اما اذا قصد غيره او اطلق فلا بل يكون ذلك جاريا مجرى الشفاعة والاستعطاف كما هنا والمدح هو الثناء بالحسن والعلوم جمع علم والله علم على الواجب الوجود المستحق لجميع المحامد لا اله الا هو ويقال امليت الكتاب امليه املاء وامللته واستمللته الكتاب سألته ان يمليه علي والكاتب الذي يجمع حروف الخط بعضها الى بعض والمسير السير والصبا الريح التي مهبها مطلع الشمس عند استواء الليل والنهار والنصر اعانة المظلوم يقال نصر المظلوم اعانه والشهر ما بين الهلالين والرخاء بالضم الريح اللينة والرمد العين وجعها ورمداء مؤنث ارمد والعقاب طائر معروف قال في الكامل هو سيد الطير وهو شديد البصر ولهذا قالت العرب هو ابصر من عقاب والغزاة المذكورة هي غزوة خيبر وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما سار الى خيبر دفع الراية الى علي بن ابي طالب وكانت بيضاء فلما فتح بعض حصونها واراد فتح حصن آخر فبعث اليه ابا بكر فقاتل ورجع ولم يكن فتح وقد جهد ثم بعث اليه عمر بن الخطاب فقاتل ثم رجع ولم يكن فتح وقد جهد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاعطين الراية غدا رجلا يحب الله ورسوله يفتح الله على يديه ليس بفرار فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا وهو ارمد فتفل في عينيه ثم قال خذ هذه الراية فامض بها حتى يفتح الله عليك قال سلمة فخرج بها يهرول هرولة وانا خلفه نتبع اثره حتى ركز رايته في رضم من حجارة تحت الحصن فاطلع اليه يهودي من رأس الحصن فقال من انت قال علي بن ابي طالب فقال اليهودي علوتم وحق ما انزل على موسى بن عمران فما رجع حتى فتح الله على يديه قال ابو رافع ولما قاتل علي ذلك الوقت ضربه يهودي فطرح ترسه من يديه فاخذ بابا فترس به واستمر يقاتل حتى فتح الله عليه قال ابو رافع ولقد رأيتني في سبعة انا ثامنهم لا نستطيع ان نقلب ذلك الباب والريحانتان المراد بهما الحسن والحسين ابنا علي بن ابي طالب من فاطمة الزهراء رضي الله عنهم والطيب ما له رائحة طيبة والزهراء السيدة فاطمة بنته صلى الله عليه وسلم ورضي عنها واودعتهما اي حصل لهما ذلك بواسطة

النسبة تأويهما تضمهما آوت فتمت الياء هي المثناة بنقطتين من تحت
الشهيد المقتول ظلما والصابين تثنية مصاب اما مصدر ميمي او
اسمي كان والطف اسم موضع بناحية الكوفة وكربلاء موضع قتل
الحسين بن علي رضي الله عنهما والذمام بالمعجمة الحرمة والمراد بالرؤساء
المتبوعون وبالمرؤسين الاتباع والود مثلث الواو المودة والحفيظة
الحمية والنافقاء احدى جحرتي اليربوع الذي هو المراد بالضباب
يكتمها ويظهر غيرها وهو موضع يرققه فاذا اتي من قبل القاصعاء
ضرب النافقاء برأسه فانشق وخرج ولهذا يقال نفق اليربوع تنفيقا
قال في الصحاح ومنه اشتقاق المنافق في الدين انتهى وفي كلام الناظم
ايماء الى ذلك وقوة القلب غلظه وشدته والبكا بالقصر الدموع وخروجها
وبالمد الصوت الذي يكون مع ذلك وبكاء السماء والارض بكاء اهلهما
او المراد بكاء مهبط رزقه ومصعد عمله وموضع ركوعه وسجوده
والكرب الغم الذي يأخذ النفس وكربلا مكان قتل الحسين رضي الله عنه
كما تقدم وعاشوراء زمانه وبراء اي برئ او ذو براءة والتأساء
التعزية والزوراء بغداد تسمية لها باسم دجلتها والمراد من فيها من خلفاء
بني العباس والطريح المطروح وهو المرمي والزق السقاء والجمع ازقاق
وزقاق والوكاء هو ما يشد به رأس الزق ورثاء الميت البكاء عليه
وتعداد محاسنه وحسان بن ثابت صاحب النبي صلى الله عليه وسلم
ومادحه وهو من جملة شعرائه والخنساء هي اخت صخر وقد تقدم ذكرها
ولها في زمانه البدائع والبيضاء والصفراء الدرهم والدينار

الاعراب

يا ابا القاسم منادى مضاف والذي صفة للمنادى صلته الجملة الاسمية
وهي ضمن اقسامي مدح وعليه متعلق باقسامي وثناء معطوف على مدح
بالعلوم الباء للقسم والعلوم مجرور بها وهو المقسم به وكذا ما عطف عليه
باعادة العامل وتنزل التي صفة العلوم صلتها الجملة عليك املاء فاملاء مبتدأ
وعليك خبره والمجرورات متعلقات بالمبتدأ ومسير عطف على
العلوم والصبا مضاف اليه وبنصرك متعلق بمسير شهرا ظرف زمان
واسم كانت الصبا ولديك الرخاء بالجملة خبرها وعلى عطف على العلوم

ولما ظرف مضاف الى الجملة تفلت وبعينيه متعلق بتفلت وكلتاهما
مبتدأ ومعا حال مؤكدة ودماء خبره وغدا فاعلها ضمير علي و
هي بمعنى صار وناظرا حال وليس خبرا لالتزام تنكيره وفي غزاة
متعلق اما بتفلت واما بغدا واما بناظرا ويجوز ان يكون ظرفا
للجميع وبعيني متعلق بناظرا وعقاب مضاف اليه وقوله لها
العقاب لواء جملة اسمية صفة غزاة وبريحانتين عطف على
بالعلوم باعادة الخافض وطيبهما مبتدأ ومنك خبره والجملة صفة
لريحانتين والذي صفة الطيب واودعتهما بضم الهمزة مبنيا
للمفعول وهو خبر عن الزهراء والجملة صلة الموصول ونائب
الفاعل ضمير الزهراء وضميرهما هو المفعول الثاني ويجوز ان
يكون اودعتهما مبنيا للفاعل وضميرهما المفعول الاول والثاني
محذوف اي اياه عائدا الى الطيب وهو من باب اعطى كنت كان
واسمها وتأويهما فعل وفاعل ومفعول والجملة خبر كان واليك
متعلق بتأويهما وما مصدرية وآوت صلتها ومن الخط اي
من جملة حروف الخط والتاء فاعل آوت ونقطتيهما مفعوله و
من شهيدين صفة ريحانتين وهو من باب التجريد وجملة ليس
ينسيني الطف صفة شهيدين والطف اسم ليس وينسيني الخبر
والياء مفعول اول ومصابيهما المفعول الثاني ولا كربلاء عطف
على الطف باعادة النافي وجملة ما دعي فيهما ذمام مكرم رؤس
صفة ثانية لشهيدين او حال لوصفهما بالجملة السابقة وفيهما
متعلق بدعي وذمام مكرم مفعول به وقد للتحقيق والرؤساء فاعل
خان وعهدك مفعوله وضمير ابدلوا للمرؤسين والرؤساء وهو
فاعل والود مفعوله والحفيظة معطوفة عليه اي بضدهما وحذفه
للعلم به لان الود اذا زال لا يخلفه الا ضده والحفيظة كذلك
وفي القرآن صفة الود والحفيظة او يكون قد ضمن الابدال
معنى الازالة ويؤيده قوله وابدت ضبابها النافقاء اي ازالوا
هذا وابدوا هذا واقام الظاهر مقام المضمر وجملة وقست

عطف على جملة ابدلوا المودة وقلوب فاعل قست ومنهم حال منه
لتقدمه عليه على من متعلق بقست ومن موصول صلته الفعلية بعده
والارض فاعل بكت والسماء عطف عليه فابكيهم جملة فاعلها ضمير
المخاطب والمراد من يصلح للخطاب والضمير مفعوله وما مصدرية
ظرفية واستطعت صلتها اى مدة استطاعتك وان قليلا ان و
اسمها والبكاء خبرها وفى معناها المقايسة اى البكاء وان كثر
وبلغ الجهد فهو بالقياس الى ما عظم من المصاب قليل فيكون فى
عظيم متعلقا بالبكاء كل يوم مبتدأ وكل ارض عطف عليه و
اللام فى لكربى تعليلية ومن فى منهم للسببية اى لاجل كربى
عندى كل يوم يوم عاشوراء وكل ارض كربلاء وهما خبرا عن
كل يوم وما عطف عليه آل البيت منادى مضاف محذوف الاداة
وفؤادى اسم ان وجملة ليس يسليه خبر ان وعنكم متعلق بيسليه
والتأساء فاعله وغير بمعنى الا آتى ان واسمها فوضت امرى الى
الله خبرها والى الله متعلق بفوضت وتفويضى مبتدأ والامور
مفعوله وبراء خبره رب يوم فى موضع المبتدأ والباء فى بكربلاء
ظرفية مسى صفة يوم خففت بعض وزره الزوراء فى موضع
الخبر وبعض مفعول خففت والزوراء فاعله والاعادى مبتدأ
والواو للحال واسم كان كل طريح ومنهم صفة له والزرق خبر
كان وجملة حل عند الوكاء حال من الزرق آل بيت النبى منادى
مضاف محذوف الاداة طبتم فعلية فطاب المدح فعلية ايضا
معطوفة عليها بالفاء السببية ولى متعلق بطاب وفيكم متعلق
بالمدح وطاب الرثاء فعلية معطوفة على الجملة المقرونة بالفاء
وانا مبتدأ وحسان مدحكم خبره فاذا ظرف متضمن معنى الشرط
مضاف الى جملة نحت وعليكم متعلق بنحت فانى الخنساء اسمية
مقرونة بالفاء وجوبا لوقوعها جواب الشرط وسدتم فعلية
والناس مفعول الفعل وبالتقى متعلق بسدتم وسواكم مبتدأ
وسودته فعل ومفعول والبيضاء فاعل والصفراء معطوف

عليه البديع استعمل الجناس فى عقاب الطير وعقاب اللواء و
فى كربى وكربلاء وفى فوضت وتفويضى وفى طبتم وطاب و
سدتم وسودته ووزره والزوراء والاشتقاق فى القاسم
واقسامى وتأوى وآوت وفى ابكيهم والبكاء والطباق بين
وخان ومرؤس ورؤساء وبين المدح والرثاء والنوح والمدح
والبيضاء والصفراء والسماء والارض والكتابة والاملاء وقليل
وعظيم وراعى النظير فى المدح والثناء والصباء والرخاء والاستعا
فى قوله وابدت ضبابها النافقاء ولمن مكر بالحسن والحسين ابنى على
رضى الله عنهم والتجريد فى قوله بريحانتين من شهيدين وفيه ايضا
اقتباس بقوله صلى الله عليه وسلم هما ريحانتاى والتلميح فى قوله من
بكت الارض فقدهم والسماء المعنى نادى النبى صلى الله عليه وسلم
بكنيته المختصة به واقسم عليه باقسام كثيرة كلها تتضمن مدحه والثناء
عليه استعطافا فى اجابة سؤاله فى تامينه بالشفاعة فيه من موبقات
ذنوبه التى يخشى المؤاخذة بسببها كما سيأتى وجواب اقسام يأتى بعد
ذلك بابيات كثيرة فاقسم اولا بالعلوم التى اوحاها الله اليه وانزلها
عليه من غير واسطة كتاب ولا كاتب لانه صلى الله عليه وسلم كان لا يكتب
واوتى علم الاولين والاخرين زيادة فى المعجزة وما كنت تتلو من قبله من كتاب
ولا تخطه بيمينك اذا لارتاب المبطلون ثم اقسم ثانيا بتسيير الله ريح
الصبا الى العدو بسبب نصرة النبى صلى الله عليه وسلم شهرا اى بالامر
الذى هو سبب نصره وهو رعب اعدائه منه اى وجلهم وخوفهم لتوقعهم
محذورا من قبله صلى الله عليه وسلم وقد اقتبس هذا من الحديث الصحيح
المتفق عليه وهو من رواية جابر بن عبد الله ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال اعطيت خمسا لم يعطهن احد من الانبياء قبلى نصرت
بالرعب مسيرة شهر وجعلت لى الارض مسجدا وطهورا فايما رجل
من امتى ادركته الصلوة فليصل واحلت لى الغنائم ولم تحل لاحد
قبلى واعطيت الشفاعة وكان النبى يبعث الى قومه خاصة وبعثت
الى الناس عامة وقد اقتضى الحديث المذكور انه لا يمتنع لغيره وجد

الرعب في دون هذه المسافة وانه ليس لاحد غيره صلى الله عليه وسلم
اكثر منها لان المقام يقتضي ان المدة المذكورة هي غاية ما يكون
في ذلك وايضاً فلو وجد ذلك لغيره لشاركه في المدة المذكورة ورام
عليه فتفوت الخصوصية التي سبق الحديث لبيانها ثم شبه الصبا الحاملة
للرعب مسيرة شهر بالريح الرخاء المسخرة لسليمان صلى الله عليه وسلم
حيث كان غدوها شهراً ورواحها شهراً ومعجزة نبينا اعظم لانها
سُخرت لنفس السيد سليمان قد سخر لبعض صفات سيدنا رسول الله
صلى الله عليه وسلم وهي هيبته وتلك انما كانت تسير بتوسط امر السيد
سليمان وهذه تسير بامر الله تعالى من غير توسط امر منه صلى الله عليه وسلم
فهو من تشبيه الشيء الاعلى بالشيء العلي كقوله والشمس كالمرآة في كف
الاشل والقمر كوجه زين ثم اقسم ببعض آياته العظيمة صلى الله عليه وسلم
وهي بُرء عيني ابن عمه السيد علي بن ابي طالب كرم الله وجهه وهما في
شدة الرمد بمجرد تفلته فيهما ومخالطة ريقه الكريم لهما فزال رمدهما
وصارا في حدة الابصار يضرب بهما المثل كما يضرب ببصر العقاب
وقد ذكرنا قضيته بتمامها في بحث اللغة ثم أقسم بريحانتيِ النبي صلى الله
عليه وسلم وهما السيدان الحسن والحسين ابنا علي بن ابي طالب من سيدة نساء
العالمين فاطمة الزهراء ابنة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم لانهما اكتسبا
طيب الرائحة من طيب رائحته صلى الله عليه وسلم التي كانت تفوق المسك
وجميع انواع الطيب بواسطة امهما الزهراء رضي الله عنها وفي البخاري
عن عون عن ابيه ابي جحيفة قام الناس فجعلوا يأخذون يديه رسول
الله صلى الله عليه وسلم فيمسحون بهما وجوههم قال فاخذت بيده
فوضعتها على وجهي فاذا هي ابيض من الثلج واطيب من رائحة المسك وولد
الحسن بالمدينة في نصف رمضان سنة ثلاث من الهجرة وروى عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم احاديث كثيرة توفي بالمدينة مسموماً سنة تسع
واربعين وقيل سنة خمسين وقيل احدى وخمسين ودفن بالبقيع
وسماه النبي صلى الله عليه وسلم بالحسن وعق عنه يوم سابعه وامر
ان يُتصدق بوزن شعره فضة وكان خامس اهل الكساء والحسين

رضي

رضي الله عنه شقيقه ولد لخمس خلون من شعبان سنة اربع من الهجرة
قال صلى الله عليه وسلم حسين مني وانا من حسين احب الله من احب حسينا
حسين سبط من الاسباط وقد حج خمساً وعشرين حجة ماشيا وكان
فاضلاً كثير الصلوة والصوم والحج والصدقة وافعال الخير
قتل يوم الجمعة وقيل يوم السبت الموافق ليوم عاشوراء سنة احدى
وستين بكربلاء ببلاد العراق وقبره مشهور يزار ويتبرك به روى
البخاري عن اسامة عن الحسن قال كان النبي صلى الله عليه وسلم
يأخذني فيقعدني على فخذه ويقعد الحسين على فخذه الاخرى ثم
يضمنا ثم يقول اللهم اني ارحمهما فارحمهما وروى الترمذي و
قال حسن صحيح عن اسامة بن زيد قال طرقت النبي صلى الله عليه وسلم
ذات ليلة فخرج وهو مشتمل على شيء قلت فما هذا فكشفه فاذا حسن
وحسين على وركيه فقال اللهم هذان ابناي وابنا ابنتي اللهم اني
أُحبهما فأَحبهما وأَحبب من يُحبهما ولهذا شبه الناظم ضم النبي صلى الله
عليه وسلم لهما اليه بضم الياء نقطتيها اليها وقال صلى الله عليه وسلم
في حقهما فيما رواه البخاري عن ابن عمر رضي الله عنهما هما ريحانتاي
في الدنيا وذكر المصنف شهادتهما على وجه التجريد في قوله وبريحانتيه
على حد قولهم لي من فلان صديق حميم وان كل مسلم يجد في قلبه حزازة
والماً من مصابهما واخذهما على الوجه المذكور من جهة عدم مراعاة
حرمتهما وعدم الوفاء بما لهما من العهود والحقوق بل ابدل ما يجب لهما
من ذلك بضده فعومل بالقسوة والجفاء وضيعت حرمتهما وحقوقهما
ولم تبكهما تلك القلوب القاسية مع بكاء السماء والارض عليهما ومن كان
هذا حاله ينبغي التحزن لفقده والتألم لمصابه بحسب الاستطاعة لما
في ذلك من اظهار ما يجب اعتقاده في حقهما من الحرمة والجلالة وفي حق ن
شانئيهما من عظيم الجريمة وفرط الجرأة والجهالة والقيام لهما بما ذكر
من التحزن والتألم على ما ذكر قليل في جنب ما حصل لهما من المصاب
رضي الله عنهما واشار المصنف رحمه الله الى ما عنده من الوفاء لهما
والقيام بحقوقهما والتحزن والتحسر لمصابهما وان ذلك لازم له لا ينفك رقه

بلوٌ ولا تبل ولا غيرهما وان الازمنة وان تجددت وتعاقبت
والايام وان توالت وتتابعت فكل يوم وكل مكان يراه جزعظيم
ماعنده يوم فقدهما ومكانه وان قيام ذلك عنده انما هو مع
تفويضه الامور الى خالقها ومقدرها لا اله الا هو وتفويض
الامور الى الله تعالى مما يبرئ من الحول والقوة الا به تعالى وتقدس
ثم اخذ يشير الى شيء قد يخفف هذا الخطب الجسيم والمصاب العظيم
وهو ما ظهر من امر بني العباس الذين هم بنو عمهم بعد بني امية و
انتزاع الخلافة من ايديهم وظفرهم بهم ونصرهم عليهم ومآلها الى بني
العباس واستمرارها في ايديهم الى وقتنا هذا في الجملة ثم التفت الى خطاب
آل بيت النبي صلى الله عليه وسلم وهم علي وفاطمة وابناهما لان النبي صلى
الله عليه وسلم لف كساءه الذي كان عليه على هؤلاء الاربعة وقال انما
يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا فهؤلاء
الاربعة هم اهل البيت وهم مع النبي صلى الله عليه وسلم اصحاب الكساء
فكل واحد خامس اهل الكساء فقد حصل لهم بانضمامهم الى النبي صلى الله عليه وسلم
غاية الطيب مع ما لهم من الطيب المكتسب بواسطة الزهراء رضي الله
عنها ولذلك اخبر بطيبهم كلهم مع ما تقدم من اخباره بطيب الريحانتين
اللذين هما الحسن والحسين رضي الله عنهما واخبر بانهم كما طابوا نفو
واصولا وافعالا واقوالا طاب له المدح فيهم وطاب له رثاهم و
طاب له اظهار التحزن لهم والتأسف عليهم حتى لفرط ذلك صار كما
حين يمدحهم حسان شاعر النبي صلى الله عليه وسلم ومادحه واذا رثا
كانه الخنساء اخت صخر التي كان يضرب بها المثل في الرثاء لاخيها فكانت
الطيبات للطيبين والطيبون للطيبات ثم ذكر ان سيادتهم
للناس حصلت لهم بتقواهم المستفادة من قربهم له صلى الله عليه
وسلم وهي لا تزول ابدا وسيادة اضدادهم واعدائهم انما هي
بالدرهم والدينار وهما فانيان وفرق بين السيادتين • ولما
انتهى الكلام على اهل البيت اخذ في ذكر بقية اصحاب رسول
الله صلى الله عليه وسلم الذي استطرده اليه بقية الاقسام السابقة فقال

وباصحابك الذين هم بعدك فينا الهداة والاوصياء
احسنوا بعدك الخلافة في الدين وكل لما تولى ازاء
اغنياء نزاهة فقراء   علماء ائمة امراء
زهدوا في الدنيا فما عرف الميل اليها منهم ولا الرغباء
ارخصوا في الوغى نفوس ملوك   حاربوها اسلابها الغلاء
كلهم في احكامه ذو اجتهاد   وصواب وكلهم اكفاء
رضي الله عنهم ورضوا عنه فانى يخطو اليهم خطاء
جاء قوم من بعد قوم بحق   وعلى المنهج الحنيفي جاؤا
ما لموسى ولا لعيسى حوار   يون في فضلهم ولا انقباء
اللغة الصاحب هو الملازم والمراد به هنا من لقي النبي صلى الله
عليه وسلم مؤمنا والهداة جمع هاد وهو الدليل والمرشد و
الاوصياء جمع وصي ويقال اوصيت اليه جعلته وصيا احسنوا
اجادوا بعدك اي بعد وفاتك الخلافة عنك اي قاموا بعد وفاة
النبي صلى الله عليه وسلم باعباء امر الدين ومراعاة احواله اقتداء
به صلى الله عليه وسلم وكل واحد منهم لما تولاه من القيام بامر الدين
في كل بقعة وفي كل زمن او في بعض البقاع وبعض الازمان ازاء
ويقال للقيم بالامر هو ازاؤه اي قيم به وقائم به اغنياء جمع
غني ويقال فلان نزيه كريم اذا كان بعيدا من اللوم فقراء جمع
فقير علماء جمع عالم ائمة جمع امام امراء جمع امير زهدوا في
الدنيا اي تركوها وبعدوا عنها وسميت الدنيا لدنوها والجمع
دنا مثل كبرى وكبر والصغرى والصغر والميل الى الدنيا الاقبال
عليها وعلى طرق تحصيلها والرغباء فيها الزيادة في ذلك ارخصوا
في الوغى نفوس ملوك اي اكثر منهم قتل الملوك في الوقايع والحروب
التي بينهم لله تعالى فنصرهم الله عليهم والسلب ما يسلب من القتيل
من ثياب وما عليه والجمع اسلاب والاحكام جمع حكم والحكم الشرعي
هو خطاب الله تعالى المتعلق بافعال المكلفين بالاقتضاء او التخيير
والمراد حكم الحاكم وهو اظهار ذلك والاجتهاد بذل الجهد في ادراك

المقصود فقد يدرك ادراكا موافقا للواقع وهو الصواب وقد
لا يدرك بما يوافق الواقع وهو الخطأ والاكفاء جمع كفو اى كلهم
متساوون فى حسن الاجتهاد فى الاحكام واخراج الاجتهاد فيها على
وفق ما يعتبر فيه اصاب او اخطأ ويقال رضيت الشئ وارتضيته
ورضيت عنه رضى بالقصر مصدر والخطاء نقيض الصواب يمد
ويقصر والخطوة ما بين القدمين اى لا يصل اليهم الخطاء والقوم
الرجال وربما دخل فيه النساء وجمعه اقوام والحق ضد الباطل و
المنهاج والمنهج الطريق الواضح الحنيفى المستقيم وموسى هو موسى
ابن عمران نبى الله صلى الله عليه وسلم وعيسى هو ابن مريم صلى الله عليه وسلم
والحواريون جمع حوارى وهو الناصر وهم اصحاب عيسى والنقباء
جمع نقيب وهم من اصحاب السيد موسى صلى الله عليه وسلم **الاعراب**
وباصحابك معطوف على قوله بالعلوم والذين صفة لاصحاب و
جملة هم الهداة صلة والاوصياء عطف على الخبر وهو الهداة والظر ف
والمجرور متعلقان بالهداة وجملة احسنوا مستأنفة والخلافة
مفعوله وبعدك متعلق باحسنوا وفى الدين متعلق بالخلافة
وكل مبتدأ وازاء خبر لما تولى متعلق بازاء وما موصولة وتولى
صلته والعائد محذوف اى تولاه اغنياء خبر مبتدأ محذوف اى
هم اغنياء ونزاهة تمييز فقراء خبر ثان والمرفوعات الثلاثة بعد
ذلك اخبار ايضا زهدوا فعل وفاعل وفى الدنيا متعلق بزهدوا
والفاء فى فما سببية وما نافية وعرف مبنى للمفعول والميل نائب
عن الفاعل واليها متعلق بالميل ولا الرغباء معطوف على نائب
الفاعل باعادة النافى ارخصوا جملة فعلية وفى الوغى متعلق
بارخصوا ونفوس مفعول به وملوك مضاف اليه وحاربوها جملة
وقعت صفة لملوك واسلابها اغلاء مبتدأ وخبر واسلابها بالفتح
جمع سلب كجمل واجمال وقتب واقتاب واغلاء الظاهر انه بكسر
الهمزة وهو مصدر اغلى الله السعر كما ان مصدر ارخص الله السعر
الارخاص وكانه يقول انهم كما ارخصوا نفوس محاربيهم بالقتل فقد

اغلوا

اغلوا اسلابهم بواسطة كثرة ما سلبوه واجتمع عندهم من الاسلاب
فقابل المصنف بين ارخاص الانفس واغلاء الاموال التى هى الاسلاب
الماخوذة ممن قتلوه لكثرة ما قتلوا وسلبوا واما ما يوجد فى بعض
النسخ من ضبط أغلاء بفتح الهمزة فلا يظهر له وجه والمعنى انه كما
كان القتل ارخاصا للنفوس فالاسلاب اى اخذها اغلاء للاسلاب
كلهم مبتدأ وذو اجتهاد خبره وفى احكامه متعلق باجتهاد وصواب
عطف على اجتهاد وكلهم اكفاء مبتدأ وخبر والجملة معطوفة على الجملة
قبلها وعنهم متعلق برضى وعنه متعلق برضوا وأنى للاستفهام
الانكارى ومعناه النفى اى لا يخطو بسبب ذلك اليهم الخطاء ولا يتو قل
اليهم جاء قوم جملة فعلية مستأنفة وبحق متعلق بجاء وجاؤا جملة
معطوفة على الجملة قبلها وعلى المنهج متعلق بجاؤا والحنيفى صفة
المنهج وحواريون مبتدأ ونقباء معطوف عليه باعادة النافى و
لموسى خبر المبتدأ ولا لعيسى معطوف عليه باعادة النافى وفى فضلهم
صفة حواريون والنفى متسلط على الصفة اى لموسى نقباء ولعيسى
حواريون لكن لا يشابهون اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
فى فضلهم بل اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم افضل منهم **المعنى**
اقسم على النبى صلى الله عليه وسلم باصحابه رضى الله عنهم وهم كل من لقى
النبى صلى الله عليه وسلم مؤمنا بما جاء به ووصفهم بانهم هداة الامة
وهم الاوصياء بعده والائمة قال صلى الله عليه وسلم اصحابى كالنجوم
بايهم اقتديتم اهتديتم وانهم قاموا بالدين بعده احسن القيام
وكل منهم كان كفوا لما وليه بعد النبى صلى الله عليه وسلم من الخلافة
والامر والحكم وتدبير امور المسلمين وتجهيز الجيوش وحفظ الثغور
والحصون وكانوا اغنياء النفوس لا يلتفتون الى هذه الدنيا الفا نية
بل هم متنزهون عنها تاركون لها فقراء اليد منها بل كان همهم فى
العلوم والمعارف ائمة يقتدى بهم فيها وبعضهم قائم بالامامة
العظمى وبعضهم بالامارة على طائفة او على جهة وانهم عرفوا
الدنيا ومآلها فزهدوا فيها ولم يعرف لهم ميل اليها ولا رغبة فيها

لحقارتها فى اعينهم بالنسبة لما تحققوه من خير الآخرة المدخر لهم وانهم
لشدة باسهم وقيامهم فى الدين حاربوا اعداء الدين من الملوك فمن
دونهم حتى ارخصوا نفوسهم قتلا واسرا وسلبوهم برا وبحرا حتى غلا
جنس تلك الامتعة التى سلبوها لكثرة ما سلبوه وحازوه وان
احكامهم ليست صادرة عن هوى النفس بل هى ناشية عن الاجتهاد التام
المستوفى لشروط الاجتهاد المحصل للاجر اصابوا فيه او اخطاؤا عملا
بقوله صلى الله عليه وسلم من اجتهد واصاب فله اجران او اخطأ فله
اجر وكلهم فى ذلك متكافئون متساوون من حيث الاجتهاد وعدم
صدور شىء من الاحكام عن شهوة او غرض وانهم بسبب ذلك قد رضى
الله عنهم ورضوا بكل ما اتى من لدنه من السراء والضراء فلا يخطو اليهم
الخطاء ولا يتوصل اليهم وانهم وان سبقهم غيرهم الى الحق والصواب
فقد فازوا بالاستقامة فى جميع امورهم من الاحكام والعبادات و
الآراء والاجتهادات وان حوارى السيد عيسى ونقباء السيد موسى
صلى الله عليهما وسلم وان كان لهم مزية فى الفضل فهؤلاء افضل من
جهة ما خصوا به بركة صحبة سيد المرسلين وخاتم النبيين وامام
المتقين صلى الله عليه وسلم وعلى سائر الانبياء والمرسلين وعلى آله وصحبه اجمعين

بابى بكر الذى صح للنا   س به فى حياتك الاقتداء
والمهدّى يوم السقيفة لما   ارجف الناس انه الداداء
انقذ الدين بعدما كان للديـ   ـن على كل كربة اشفاء
انفق المال فى رضاك ولا مـ   ـن واعطى جما ولا اكداء
وابى حفص الذى اظهر الله   به الدين فارعوى الرقباء
والذى تقرب الاباعد فى الله   اليه وتبعد القرباء
عمر بن الخطاب من قوله الفصـ   ـل ومن حكمه السوى السواء
فر منه الشيطان اذ كان فارو   قا فللنار من سناه انبراء
وابن عفان ذى الايادى التى طا   ل الى المصطفى بها الاسداء
حفر البير جهز الجيش اهدى الـ   ـهدى لما ان صدته الاعداء
وابى ان يطوف بالبيت اذلم   يدن منه الى النبى فناء

فجزتهم

فجزتهم عنها ببيعة رضوا   ن يد من نبيه بيضاء
ادب عنده تضاعفت الاعـ   ـمال بالترك حبذا الادباء
وعلى صنو النبى ومن دين   فؤادى وداده والولاء
ووزير ابن عمه فى المعالى   ومن الاهل تسعد الوزراء
لم يزده كشف الغطاء يقينا   بل هو الشمس ما عليه غطاء

اللغة ابو بكر كنية الصديق واسمه عتيق رضى الله عنه والصديق
لقبه والاقتداء الائتمام فى الصلوة والمهدى المسكن للفتنة و
السقيفة هى سقيفة بنى ساعدة حين اجتمع اليها الانصار عقب
فة وفاة النبى صلى الله عليه وسلم لما ارجف الناس واضطربوا فى امر الخلافة
وقال الانصار منا امير ومنكم امير فقال الصديق لا بل نحن الامراء
وانتم الوزراء انه بالكسر والتشديد استينافية والداداء اى الهلاك
وانقذ الدين نجاه وخلصه والدين ما جاء به النبى صلى الله عليه وسلم
عن الله عز وجل والكربة الغم الذى يأخذ بالنفس والمراد ما يعرض
من المفاسد فى الدين والاشفاء الاشراف على الشىء يقال اشفى
على الموت اى قاربه انفق المال صرفه فى مصارف الخير فى رضاك
فى للتعليل والمن ذكر النعمة واعطى به جما اى عطاء كثيرا و
الاكداء القطع اى اعطى به ولم يقطع عطاءه بل استمر وابو حفص
هو عمر بن الخطاب والفصل بمعنى الفاصل بين الحق والباطل والسوى
المستوى الذى لا اعوجاج فيه والسواء العدل وفر فرارا هرب و
ق الشيطان ابليس ويطلق على كل عات متمرد من الجن والانس والفاروق
لقب عمر بن الخطاب رضى الله عنه والسنا مقصور الضوء والانبراء
الانمحاء وابن عفان هو السيد عثمان رضى الله عنه واليد الجارحة
جمعها ايدى وجمع الجمع ايادى وتطلق اليد ايضا على النعمة والاحسان
وهو المراد هنا وجمعت ايضا على ايدى وكانت ايادى التى نطق
بها المصنف جمع الجمع كما فى الجارحة والمصطفى هو النبى صلى الله عليه
وسلم والاسداء الاعطاء وفناء الدار ما امتد من جوانبها والجمع
افنية واليد الجارحة وبيضاء عظيمة ويقال الادب تحسن فهو اديب

والجمع ادباء وادَبُ النفس بُعدُها عما لا يليق وحبّذا كلمة مدح و
على هو ابن ابى طالب بن عبد المطلب والنبى صلى الله عليه وسلم هو محمد
ابن عبد الله بن عبد المطلب فهما صنوان لتفرّعهما عن اصل واحد
هو عبد المطلب فهما كالنخلتين اللتين تخرجان عن اصل واحد فكل واحد
منهما يسمّى صنوًا واذا خرج ثلاثة فكل واحد منهم يسمّى صنوًا والوُدّ
المحبة تقول وددتُ الرجل ودّه اذا احببته والولاء الموالاة و
وزير الانسان من يوازره ويحمل ثقله والمعالى جمع العلا وهو الرفعة
والشرف واليقين العلم الذى لا احتمال معه الاعراب بابى بكر
عطف على ما قبله لكن حذف منه حرف العطف وهو وما بعده
ابدال تفصيلية من قوله وباصحابك الذى صفة ابى بكر وصح الاقتداء
فعلية صلة الذى وللناس متعلق بصح والضمير المجرور بالباء
عائد على الذى وبه متعلق ايضا بصح وفى حياتك ظرف مضاف
الى الضمير المخاطب وهو متعلق ايضا بصح والمهتدى عطف على قوله
الذى صح فيكون صفة فى المعنى ايضا لابى بكر اى المسكّن للاضطراب
فى امر الخلافة يوم السقيفة ظرف للمهتدى لما ادجف اى وقت الار [جاف]
والناس فاعل ادجف وقوله انه الداداء جملة مستأنفة وان مكسورة
والضمير اسمها والدأداء خبرها اى ان ابا بكر هو المسكّن للاضطراب
المذكور لا غيره وجملة انقذ الدين حال من ابى بكر وفاعل انقذ ضميره
والدين مفعوله وبعد ظرف وما مصدرية وصلتها كان واسمها
وهو اشفاء وخبرها وهو للدين وعلى كل كريهة متعلق باشفاء وجملة [الحال الاولى فتكون من]
انفق المال حال ثانية اما عما عند الحال التى قبلها واما من ضمير جملة
الحال المتداخلة وفاعل انفق ضمير ابى بكر والمال مفعوله فى رضاك
[ق] متعلق بانفق ولا من لا واسمها وخبرها محذوف اى مقارن للانفاق
المذكور من هذا المنفق واعطى عطف على جملة انفق وفاعل اعطى
ضمير ابى بكر وجمًّا مفعول مطلق اى اعطاءً جمًّا ثم حذف الموصوف
واقيمت الصفة مقامه ولا اكداء عطف على قوله لا منّ واكداء
اسم لا على انها عاملة عمل كان والخبر محذوف اى ولا منعٌ موجودًا

منه

منه فيجوز تقديره معطوفا على محل لا مع اسمها كما فى قوله لا نسب اليوم ولا
خلة وابى حفص عطف على ابى بكر الذى صفة له واظهر الاسجلة فعلية صلة
الذى والضمير فى به عائد الموصول والدين مفعول لاظهر فارعوى عطف
على اظهر والرقباء فاعل والفاء سببية اى رجع الرقباء واقلعوا عما
كانوا عليه من الافساد فى الدين وعدم النصح له والذى عطف على الموصول
الواقع صفة لعمر رضى الله عنه وصلته تقرب وفاعله هو الاباعد
واليه متعلق بتقرب فى الله اى فى رضى الله اى لاجل رضى الله ففى تعليلية
وجملة تبعد القرباء عطف على جملة تقرب البعداء اى تبعد القرباء عنه
لرضى الله تعالى ايضا وحذف العلم بمعنى الاول وعمر بدل من ابى حفص وابن الخطاب
صفة عمر من موصول لقوله الفصل صلته والضمير عائد الموصول وقوله
مبتدأ والفصل خبر ومن موصول عطف على الموصول قبله وحكمه السواء
[دوقا] جملة اسمية صلة لمن والسوى صفة للمبتدأ وهو حكمه وجملة فرّ منه الشيطان
حالية والشيطان فاعل ومنه متعلق بفرّ اذ تعليلية كان اسمها ضمير عمر وفا
خبر فللنار التى هى اصل الشيطان وخلق منها ابتراء مبتدأ من نور عمر
رضى الله عنه فمن سناه متعلق بابتراء وابن عفان معطوف على ابى بكر
وذى الايادى صفته اى صاحبها والتى صفة الايادى وطال الاسداء
فعلية هى صلة التى وضميرها هو العائد والى المصطفى متعلق بطال
حفر البير فعلية فاعلها ضمير عثمان والبير مفعوله جهّز الجيش جملة ثانية
فاعلها ضميره ايضا والجيش مفعول لاهدى الهدى كذلك ولما ظرف مضاف
الى جملة صدّه الاعداء وضمير صدّه لعثمان والجمل الثلاث ابدال تفصيلية
من جملة طال وابى فعلية معطوفة على جملة حفر البير وفاعل ابى ضمير عثمان
وان يطوف مفعوله وبالبيت متعلق بيطوف اى امتنع عن الطواف بالكعبة
اذ ظرفية مضافة الى الجملة لم يدنُ فناء وضمير منه للبيت والى النبى صلى الله عليه وسلم
بيعته والفاء فى فجزته سببية فاعله يده وبيضاء صفة يده وعنها
متعلق بجزته وانث ضميره باعتبار الفعلة التى فعلها وهى الامتناع
[٥] عن الطواف فى غيبة النبى صلى الله عليه وسلم وببيعة الباء ظرفية وضوا
مضاف اليه ومن نجية متعلق بجزته ادبُ خبر مبتدأ محذوف اى هذا

الذى وقع من عثمان من الامتناع عن الطواف لغيبته صلى الله عليه وسلم
ادبٌ عظيم ضوعف لاجله الثواب وحبّذا فعل للمدح والادباء
فاعله وعلىّ معطوف على ابى بكر وصنو النبى صفة على وهو صفة ثانية
وهو موصول صلته الجملة بعده وهى قوله دينُ الى آخره ودينُ مبتدأ
مضاف الى فؤادى ووداده خبر المبتدأ والولاء عطف على وداده
ووزير عطف على صنو فهى صفة معطوفة وابن عمه مضاف ومضاف
اليه وفى المعالى متعلق بوزير وجملة تسعد الوزراء فعلية متعلقة
بقوله من الاهل لم يزده جملة فعلية حال من على وكشف الغطاء فاعل
يزده والهاء مفعول اوّل ويقيناً مفعول ثان وهو الشمس مبتدأ و
خبر وما عليه غطاء جملة حالية وغطاء مبتدأ وعليه خبر ويجوز ان
يجعل غطاء فاعلاً بقوله عليه لسبق النفى عليه وضمير هو اما اليقين
على اوله نفسه البديع استعمل الجناس فى قوله السوى السواء وفى قوله
اهدى الهدى وفى ادب وادباء والغطاء وغطاء وبين تبعد والاباعد
وتقرب والقرباء واستعمل الطباق بين ارجف وسكن الذى عبر عنه
بالمهدى وبين القرباء والاباعد وبين تبعد وتقرب وفى قوله ومن
الاهل تسعد الوزراء التتميم المعنى انه بعدما اقسم على النبى صلى الله
عليه وسلم بصفاته العظام واهل بيته الكرام ثم باصحابه على وجه الاجمال
من غير تفصيل اخذ يقسم بمن ثبت له من اصحابه على من سواه منهم التفضيل
وهم العشرة رضى الله عنهم وبدأ بافضلهم وهو السيد ابو بكر الصديق
خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم وافضل البشر بعده على التحقيق
وذكر من صفاته التى اختص بها اموراً منها ان المسلمين اقتدوا
به فى صلاتهم مع وجود رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك انه صلى الله
عليه وسلم لما مرض وانقطع عن الخروج الى الصلوة قال مُرُوا ابا بكر فليصل
بالناس فصلى بهم فلما كانوا فى صلوة الفجر يوم الاثنين وابو بكر يصلى بهم
كشف رسول الله صلى الله عليه وسلم سجف حجرته ونظر اليهم وهم فى صفوف
الصلوة ثم تبسم يضحك فنكص ابو بكر على عقبيه ليصل الصف وظن ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد ان يخرج الى الصلوة وهمّ المسلمون ان

يفتتنوا فى صلاتهم فرحاً به صلى الله عليه وسلم فاشار اليهم بيده ان اتموا
صلاتكم ثم دخل الحجرة وارخى الستر ومنها انه رضى الله عنه سكّن ما وقع
بين المهاجرين والانصار يوم وفاته فى سقيفة بنى ساعدة فى الفتنة
حين اضطربوا فى امر الامامة بعده ومن يخلفه صلى الله عليه وسلم فيها وذلك
ان الانصار اجتمعوا الى سعد بن عبادة فى سقيفة بنى ساعدة فقالوا منا
امير ومنكم امير فذهب الصديق والفاروق وامين الامة ابو عبيدة
فذهب عمر يتكلم فاسكته ابو بكر وكان عمر يقول والله ما اردت بذلك الا
انى هيأت كلاما قد اعجبنى حسبت ان لا يبلغه ابو بكر ثم تكلم ابو بكر فتكلم
ابلغ الناس قال فى كلامه نحن الامراء وانتم الوزراء فقال الحباب بن
المنذر والله لا نفعل منا امير ومنكم امير فقال ابو بكر لا ولكنا الامراء
وانتم الوزراء فاخذ عمر بيده فبايعه وبايعه الناس فقال قائل قتلتم
سعد بن عبادة فقال عمر قتله الله روى ذلك كله البخارى ومنها
انه انقذ الدين واهله من الخلل وحصول الفساد بينهم بعد اشرافهم
على ذلك وقد روى البخارى فى آخر قصة الوفاة ثم لقد بصّر ابو بكر
الناس الهدى وعرّفهم الحق الذى عليهم وخرجوا به يتلون وما محمد الا
رسول قد خلت من قبله الرسل الى قوله الشاكرين ومنها انه رضى الله عنه
انفق الاموال الكثيرة فى رضى الله تعالى من غير ان يتبع ذلك منّاً و
استمر على ذلك غير منيع ولقد اشترى بلالاً وجماعة من المسلمين كان
الكفار يؤذونهم فاعتقهم لله تعالى فهو الاتقى الذى يؤتى ماله يتزكى
وما لاحد عنده من نعمة تجزى الا ابتغاء وجه ربه الاعلى ولسوف يرضى
وفى البخارى ان النبى صلى الله عليه وسلم قال ان الله بعثنى اليكم فقلتم
كذب وقال ابو بكر صدق وواسانى بنفسه وماله فهل انتم تاركوا
لى صاحبى ثم بعد اقسامه بالصديق اقسم بالفاروق رضى الله عنهما
وهو ابو حفص عمر بن الخطاب رضى الله عنه ووصفه بانه الذى
اظهر الله به دين الاسلام وذلك مأخوذ مما رواه البخارى قال
عبد الله ما زلنا اعزة منذ اسلم عمر وارعواء الرقباء المراد منه
انكفافهم عن الافساد فى الدين ووصفه بانه تقرب للاباعد من نسبه

القائمين بما يجب من حقوق الاسلام لقيامهم به وتبعد الاقارب المخالفين له في القيام بما يجب من حق الايمان والاسلام وكل ذلك منه انما هو لله تعالى ووصفه بان قوله يفصل بين الحق والباطل وان احكامه على استواء واستقامة وان الشيطان يفر منه لانه الفاروق الذى يفرق بين الحق والباطل فلا يثبت الشيطان للقائه لكونه من نار فيغلبها نور السيد عمر ويضمحل مع نوره ومصداق ذلك قوله صلى الله عليه وسلم فيما رواه البخارى والذى نفسى بيده ما لقيك الشيطان سالكا فجا قط الا سلك فجا غير فجك • ثم اقسم بعثمان بن عفان رضى الله عنه ووصفه بكثرة اياديه ومكارمه واعطائه النبى صلى الله عليه وسلم وفى البخارى تعليقا بصيغة الجزم وحكمه حكم الصحيح المسند قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من يحفر بئر رومة فله الجنة فحفرها عثمان وقال من جهز جيش العسرة فله الجنة فجهزه عثمان وانه اهدى الى مكة الهدى حين صده المشركون عن الدخول اليها وانه أبى ان يطوف بالبيت حين ارسله صلى الله عليه وسلم الى اشراف قريش فى مكة يكلمهم فى امر الدخول الى مكة حين صدوه عن الدخول اليها فى عمرة الحديبية وانه صلى الله عليه وسلم لم يأت لحربهم ولا لقتالهم وانما جاء معظما للبيت الشريف فلما كلمهم فى ذلك لم يقبلوا وقالوا له ان شئت ان تطوف بالبيت فطف فقال ما كنت لافعل حتى يطوف رسول الله صلى الله عليه وسلم واحتبسته قريش عندهم فبلغه صلى الله عليه وسلم ان عثمان قتل فدعى الناس الى البيعة فكانت بيعة الرضوان تحت الشجرة قال ابن هشام فكان الناس يقولون بايعهم صلى الله عليه وسلم على الموت وكان جابر بن عبد الله يقول ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يبايعنا على الموت ولكن بايعنا على ان لا نفر ولم يتخلف عن مبايعته صلى الله عليه وسلم ممن حضره من المسلمين الا شخص واحد ثم بلغ النبى صلى الله عليه وسلم ان عثمان لم يقتل و انما ذكر عنه باطل وانه صلى الله عليه وسلم بايع لعثمان فضرب باحدى يديه على الاخرى وفى البخارى ان رجلا سأل ابن عمر فقال هل تعلم

ان عثمان فر يوم احد قال نعم قال الله اكبر قال هل تعلم انه تغيب عن بدر ولم يشهد قال نعم قال هل تعلم انه تغيب عن بيعة الرضوان ولم يشهدها قال نعم قال الله اكبر قال ابن عمر تعال ابين لك اما فراره يوم احد فاشهد ان الله عفى عنه وغفر له واما تغيبه عن بدر فانه كان تحته بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت مريضة فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لك اجر من شهد بدرا وسهمه واما تغيبه عن بيعة الرضوان فلو كان احد ببطن مكة اعز من عثمان لبعثه مكانه فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عثمان فكانت بيعة الرضوان بعدما ذهب عثمان الى مكة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده اليمنى هذه يد عثمان وضرب بها على يده فقال هذه لعثمان فقال ابن عمر اذهب بها الآن معك ولما ذكر المصنف ما صنعه السيد عثمان وتأدبه مع النبى صلى الله عليه وسلم قال هذا ادب حصل فيه

بامتناعه من الطواف فى غيبته صلى الله عليه وسلم صح

امر عظيم وفضل مستغرب جسيم وذلك انه ضوعف له ثواب ذلك العمل وهو الطواف بالبيت مع ترك العمل وكانت المضاعفة لاجل الترك وكان الترك هنا افضل من الفعل لما كان الترك المذكور لاجل النبى صلى الله عليه وسلم تأدبا معه ولم يكن فى ذلك الفعل لو فعله هذا الادب الذى حاز به السيد عثمان قصب السبق رضى الله عنه ولاجل هذا قال حبذا الادباء وهو تتميم لطيف الموقع جدا لا سيما مع الاحتياج الى القافية • ثم اقسم بعلى بن ابى طالب رابع الخلفاء الاربعة رضى الله عنهم اجمعين وهو صنو النبى صلى الله عليه وسلم فانه صلى الله عليه وسلم كما رواه البخارى قال له انت منى وانا منك وقد افاد الناظم انه يدين الله تعالى بمحبته وموالاته ونصرته وذكر ذلك فى حقه لانه تورع فى الخلافة وخرج عليه طوائف وان الحق كان معه وانه وجب نصره ولكن الله يفعل ما يشاء وفى الصحيحين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له اما ترضى ان تكون منى بمنزلة هرون من موسى غير انه لا نبى بعدى فلهذا قال الناظم ووزير ابن عمه الى آخر البيت وروى الترمذى انه صلى الله عليه وسلم قال لعلى انت اخى

فى الدنيا والآخرة واخبره النبى صلى الله عليه وسلم انه سيقتل قال
العلماء رضى الله عنهم انه علم وورد عنه آثار كثيرة تدل على انه علم
السنة والشهر والليلة التى يقتل فيها وانه خرج لصلوة الفجر
فصاحت الاوز فى وجهه فطردن عنه فقال دعوهن فانهن نوايح ثم
عبد الرحمن بن ملجم ضربه بسيف مسموم فى جبهته فاوصله دماغه ليلة
الجمعة ثم توفى فى الكوفة ليلة الاحد تاسع عشر شهر رمضان سنة
اربعين وكان من اليقين بالله ورسوله وما جاء به الرسول عن الله فى
غاية حتى كانه الشمس ليس دونها حجاب بحيث لو كشف الغطاء لم يزدد يقينا

وباقى اصحابك المظهر الـتر ... تيبُ فينا تفضيلهم والولاء
طلحة الخير المرتضيه رفيقاً ... ولحداً يوم فرت الرفقاء
وحواريك الزبير ابى القر ... م الذى انجبت به اسماء
والصفيين توأم الفضل سعد ... وسعيد اذ عدّت الاصفياء
وابن عوف من هونت نفسه الدنـيا ببذل يمده اثراء
والمكنى اباعبيدة اذ يعـزى اليه الامانة الامناء
وبحبيك نيرى فلك المجد وكل اتاه منك اتاء
وبام السبطين زوج على ... وبنيها ومن حوته العباء
وبازواجك اللواتى تشرفـن بان صانهن منك بناء
الامان الامان ان فؤادى ... من ذنوب اتيتهن هواء
قد تمسكت من ودادك بالحبـل الذى استمسكت به الشفعاء
وابى الله ان يمسنى السو ... ء بحال ولى اليك التجاء
قد رجوناك للامور التى ابـردها فى فؤادنا رمضاء
واتينا اليك انضاء فقر ... حملتنا الى الغنى انضاء
وانطوت فى الصدور حاجات نفس ... مالها عن ندى يديك انطواء
فاغثنا يا من هو الغوث والغيـ ... ـث اذا اجهد الورى اللأواء
والجواد الذى به تفرج الكر ... بة عنا وتكشف الغماء

اللغة باقى اصحابك من بقى من الصحابة العشرة ولم يذكره فيما سبق و
الاصحاب جمع صاحب المظهر المبين الترتيب تقديمهم على غيرهم فينا

اى لنا تفضيلهم والولاء موالاتهم ومناصرتهم طلحة الخير هو طلحة
ابن عبيد الله احد العشرة المشهود لهم بالجنة واحد الثمانية السابقين
الى الاسلام واحد الستة اصحاب الشورى فى امر الخلافة الذين توفى
رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنهم راض واحد الخمسة الذين اسلموا
على يد ابى بكر وسماه النبى صلى الله عليه وسلم طلحة الخير كما ذكره المصنف
وطلحة الجود وهو من السابقين الاولين وهو وان لم يشهد بدراً فقد
جعله النبى صلى الله عليه وسلم ممن شهدها اجراً وسهماً المرتضيه اى
الذى ارتضاه اى يوم وقعة احد فيها النبى صلى الله عليه وسلم واحد
بضمتين فرت هربت الرفقاء جمع رفيق وذلك ان الناس لما فروا عنه
صلى الله عليه وسلم يوم احد لم يبق معه الا طلحة وانه لاقى عنه ضربة
قصد بها فشلت يده رضى الله عنه والحوارى الناصر والزبير هو ابن
العوام وامه صفية عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو احد العشرة
ايضاً واحد الستة اصحاب الشورى الذين جعل عمر بن الخطاب الخلافة
فى احدهم وهو اول من سل سيفاً فى سبيل الله شهد بدراً واحداً و
الخندق والحديبية وخيبر وفتح مكة والطائف وشهد المشاهد
كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وشهد اليرموك وفتح مصر
وطلب النبى صلى الله عليه وسلم من يأتيه بخبر القوم يوم الاحزاب
فقال الزبير انا ثم طلب ثانيا فقال الزبير انا ثم ثالثا فقال انا
فعند ذلك قال النبى صلى الله عليه وسلم لكل نبى حوارى وحواريى
الزبير والقرم هو السيد المكرم والمراد به عبد الله بن الزبير وامه
اسماء بنت ابى بكر الصديق اخت السيدة عائشة رضى الله عنهما و
انجبت به اسماء اى اتت به نجيباً وهو صحابى بن صحابى لانه ولد بعد
عشرين شهراً من الهجرة وكان اول مولود بعد الهجرة وكنيته ابو بكر كجده
الصديق وكان صواماً قواماً وبويع له بالخلافة بعد موت يزيد
ابن معاوية سنة اربع وستين واطاعه اهل اليمن والحجاز والعراق
وخراسان وجدد عمارة الكعبة واستمر فى الخلافة الى ان حصره الحجاج
اول ليلة من ذى الحجة سنة اثنتين وسبعين وحج الحجاج بالناس ولم يزل

محامر له الى ان قتله يوم الثلاثا سابع عشر جمادى الاولى سنة ثلاث
وسبعين وكان اطلس لالحية له والصفيين تثنية صفي وهو المصطفى
وتوأم الفضل يقال اتأمت المرأة اذا ولدت اثنين والولدان توأما ن
ويقال لهما توأم هذا وهذه توأمة هذه فهما توأما الفضل اى ان
الفضل انجبهما الكثرة ما قام بهما منه او كانهما توأمان لما اشتركا فيه
من الفضائل الجليلة والصفات الجميلة وسعد هو ابن ابي وقاص وسعيد
ابن مالك وهما من العشرة المشهود لهم بالجنة وسعد بن ابي وقاص احد
الستة اصحاب الشورى واسلم قديما بعد اربعة وقيل بعد ستة وهو
اول من رمى بسهم في سبيل الله واول من اراق دما في سبيل الله شهد
المشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان يقال له فارس
الاسلام وسعيد اسلم ايضا قديما وشهد المشاهد كلها وعده البخاري
فيمن شهد بدرا وقيل لم يشهد وضرب له رسول الله صلى الله عليه وسلم
بسهمه واجره وكان كل من سعد وسعيد مجاب الدعوة وتوفي سعد
سنة خمس وخمسين وسعيد سنة خمسين والاصفياء جمع صفي وابن عوف
هو ابو محمد عبد الرحمن بن عوف الصحابي وامه الشفاء من بني زهرة
ولد بعد الفيل بعشر سنين واسلم قديما وهو احد العشرة المشهود لهم
بالجنة واحد الثمانية السابقين الى الاسلام واحد الستة الذين جعلت الخلافة
شورى بينهم واحد الخمسة الذين اسلموا على يد ابي بكر وتوفي النبي صلى الله
عليه وسلم وهو عنه راض وهاجر قديما وشهد مع رسول الله صلى الله عليه
وسلم المشاهد كلها ومن مناقبه التي لا توجد لغيره من الناس ان النبي صلى
الله عليه وسلم صلى وراءه في غزوة تبوك حين وجده قد صلى بالناس ركعة
وقولنا من الناس احترازا عن جبريل وقال صلى الله عليه وسلم عبد الرحمن
ابن عوف امين في السماء امين في الارض وكان كثير المال جدا محظوظا
في التجارة تصدق بشطر ماله اربعة آلاف ثم باربعين الفا ثم تصدق
باربعين الف دينار ثم بخمسمائة فرس في سبيل الله ثم بخمسمائة راحلة ثم
اوصى لامهات المؤمنين بحديقة بيعت باربعمائة الف واوصى بخمسين
الف دينار في سبيل الله واوصى لمن بقي ممن شهد بدرا لكل رجل باربعمائة

دينار وكانوا مائة واوصى بالف فرس في سبيل الله ولما توفي قال علي بن
ابي طالب اذهب يا ابن عوف ادركت صفوها وسبقت كدرها وخلف
ذهبا كثيرا قطع من تركته بالفؤوس حتى مجلت ايدي الرجال منه وترك
الف بعير ومائة فرس وثلاثة آلاف شاة ترعى توفي سنة ثنتين وثلثين
عن ثنتين او خمس وسبعين سنة ووصفه الناظم بانه هونت نفسه الدنيا
عليه بواسطة ما يبذله من الصدقات وغيره وكان بذله مستمرا من كثرة
غناه واثرائه والمكنى ابا عبيدة هو عامر ابو عبيدة بن عبد الله بن الجراح ح
وهو احد العشرة المشهود لهم بالجنة شهد بدرا وما بعدها من المشاهد
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم توفي سنة ثماني عشرة في طاعون عمواس
قرية بين الرملة وبيت المقدس وقوله اذ يعزى الى آخره اشارة الى قوله
صلى الله عليه وسلم كما في الصحيحين ان لكل امة امينا وامينا ايتها الامة
ابو عبيدة بن الجراح وبعميك تثنية عم وعما النبي صلى الله عليه وسلم
هما حمزة والعباس رضي الله عنهما ولدا عبد المطلب بن هاشم فاما حمزة
فيقال له اسد الله واسد رسوله وكنيته ابو عمارة وكان اخا النبي
صلى الله عليه وسلم من الرضاعة وكان اسن من رسول الله صلى الله عليه وسلم
بسنتين قيل وهو اول من عقد له النبي صلى الله عليه وسلم لواء في الاسلام
حين بعثه الى سيف البحر بكسر السين من ارض جهينة استشهد يوم احد
في نصف شوال السنة الثالثة من الهجرة بعد ان قتل احدا وثلاثين نفسا
من الكفار ودفن عند احد وقبره مشهور يزار ويتبرك به واما العباس
فهو ابو الفضل بن عبد المطلب كان ايضا اسن من رسول الله صلى الله
عليه وسلم بسنتين او ثلاث وكان رئيسا جليلا في قريش قبل الاسلام
وكانت اليه عمارة المسجد الحرام والسقاية ثم اسلم وشهد مع النبي صلى
الله عليه وسلم حنينا وثبت معه حين انهزم الناس وكان رسول الله
صلى الله عليه وسلم يكرمه ويعظمه ويجله وكان ذا رأي وكمال عقل
جوادا اعتق سبعين عبدا وكانت الصحابة تعظمه وتعمل برأيه توفي
بالمدينة لثنتي عشرة ليلة خلت من شهر رجب وقيل رمضان سنة اثنتين
وثلاثين وله نحو من ثمانية وثمانين سنة وقبره مشهور بالبقيع وكان عمر

يستسقى به عند القحط ونيّرىّ تثنية نيّر وهو الكوكب المضىء والفلك هو ما
تسير فيه الكواكب والمجد الكرم الذات واتاه منك إتاء اى جاءه وحصل
له منك اتاء وهو ما يستفاد من النعم والخيرات من غير تعب كحمل النخل وثمار
الاشجار ونحو ذلك وام السبطين هى السيدة فاطمة بنت النبى صلى الله عليه وسلم
من السيدة خديجة رضى الله عنهما زوج على بن ابى طالب رضى الله عنه وهى
اصغر بنات رسول الله صلى الله عليه وسلم على الصحيح وكان تزوج على
بها قبل وقعة احد وسنها حينئذ خمس عشرة سنة وخمسة اشهر وقال
المداينى انها ولدت قبل النبوة بخمس سنين فعلى هذا يكون سنها وقت
تزوجها بعلى نحو عشرين سنة وحينئذ يصح ما سيأتى من انها توفيت
وسنها تسع وعشرون وتوفيت بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم لستة
اشهر لثلاث خلون من رمضان سنة احدى عشرة وسنها تسع وعشرون
سنة وغسلها على واسماء بنت عميس وصلى عليها على واوصت ان تدفن
ليلا ونزل قبرها على والعباس والفضل ابنه وبنوها هم الحسن والحسين
ومحسن ومن حوته العباء هم على والحسن والحسين وفاطمة والنبى صلى
الله عليه وسلم وباز ولجت زوجات النبى صلى الله عليه وسلم خمس عشرة دخل
منهن بثلاث عشرة وجمع بين احدى عشرة واللواتى توفى عنهن سودة
وعايشة وحفصة وام حبيبة وام سلمة وزينب بنت جحش وميمونة و
جويرية وصفية واول من تزوج من النساء خديجة ولم يتزوج احدا
منهن فى حياتها ولا تزوج بكرا غير عايشة وكان له سريتان مارية
وريحانة بنت زيد وقد شرفنا الله ببنائه بهن اى دخوله بهن و
الامان الامان الاول مفعول به او مفعول مطلق والثانى تأكيد له
والعامل على الاول محذوف تقديره انلنا الامان او اعطنا الامان
وعلى الثانى آمنا الامان الذى يذهب خوفنا من وبال ذنوبنا التى
اتيناها وفعلناها وهو جواب هذه الاقسام السابقة والفؤاد القلب
والهواء الخالى عن الفهم لفرط الحياء والدهشة وتمسك بالشىء اعتصم
به والوداد المحبة والحبل العهد والحبل الامان والشفعاء جمع شافع
اى اعتصمت بالعهد او بالامان الذى اعتصم به الشافعون من الانبياء والاولياء

والعلماء والصالحين وابى الله اى لم يرض ان يمسّنى اى يصيبنى السوء العذاب
والالتجاء الاستناد والرجاء الامل ويقال رمضت قدمه من الرمضاء اى
احترقت ورمض يومنا اشتد حره والنضو بالكسر البعير المهزول والناقة
نضوة وقد انضتها الاسفار فهى منضاة وانضى فلان بعيره اى هزله
وانطوت فى الصدور اى كتمت فيها ما يمكن ان يخفى ويكتم عنك لانك تدرك
دواءها وشفاءها والغيث المطر يقال غاث المطر الارض اى اصابها
وغوّث تغويثا قال واغوثاه والاسم الغوث والمراد بالغوث
هنا المغيث وهو من يغيث المستغيث به واجهد الدابة اذا حمل عليها
ما لا تطيق والورى الخلق واللأواء الشدة وفى الحديث من كان له
ثلاث بنات فصبر على لأوائهن كن له حجابا من النار والجواد الكثير
الجود والكربة والكرب ما يأخذ النفس من الغم وغُمّ عليه الخبر
اى استعجم والغماء على فعلاء بالمد من غم الهلال على الناس اذا غُمّ
عنهم بغيم او غيره

الاعراب

وبا فى عطف على بالعلوم وبا فى
مضافا الى اصحاب المضاف الى ضمير المخاطب المظهر صفة اصحاب و
الترتيب فاعل المظهر وفينا متعلق بالمظهر او بالترتيب وتفضيلهم
مفعول المظهر والولاء اما عطف على الترتيب وهو مبتدأ خبره
محذوف اى والولاء كذلك اى وموالاتهم تظهر ترتيبهم فى الفضل
طلحة الخير خبر مبتدأ محذوف اى هم طلحة الخير ومن ذكر معه اى
الصحابة الذين رتبهم متفاوتة فى الفضل هم طلحة ومن بعده الى
آخر ما ذكر والمرتضيه صفة لطلحة والهاء مفعول اول ورفيقا
مفعول ثان واحد فاعل المرتضيه ويوم بدل من احد وفرقت
الرفقاء الجملة مضاف اليها يوم ولهذا بنى وفى بعض النسخ واحدا
بالنصب على انه صفة لرفيقا ويكون على هذا فاعل المرتضيه ضميرا يعود
على النبى صلى الله عليه وسلم اشارة الى انه لم يكن للنبى صلى الله عليه وسلم
فى ذلك اليوم رفيقا غيره حين فر غيره من الرفقاء عنه صلى الله عليه وسلم
وحواريك عطف على طلحة والزبير بدل منه وابى القرم صفة للزبير و
الذى صفة للقرم وصلته انجبت به اسماء والعائد الضمير المجرور بالباء

والصفيين عطف على طلحة وتوام الفضل صفة لهما وسعد وسعيد
بدل منهما وقوله ان عدت الاصفياء جملة شرط جوابها محذوف اى ان
عدت الاصفياء فهذان من جملتهم وكانه لمح من لفظى العلمين معنى السعادة
اى ان عدت الاصفياء فهذان من سعدائهم وابن عوف معطوف على طلحة الخير
ومن موصول واقع صفة لابن عوف وهونت فاعله نفسه والدنيا مفعوله
والجملة صلة الموصول والباء فى ببذل سببية اى بسبب البذل جود ا
وانضا الايدة فعل فاعله اثراء والهاء مفعوله والجملة صفة بذل
والاثراء كثرة المال ووفور الغنى والمكنى عطف على طلحة وفيه
ضمير هو نائب الفاعل وابا عبيدة مفعول ثان واذ اما ظرفية او
تعليلية وهى مضافة الى الجملة بعدها وهى يعزى الى اخره والامناء
فاعله والامانة مفعوله واليه متعلق بيعزى اى ينسب الامانة له و
اشار بذلك الى قوله صلى الله عليه وسلم وامينا ايتها الامة ابو عبيدة
ابن الجراح وقد تقدم فى تعريفه وبعميك هو عطف على قوله باصحابك
اى بالعلوم وباصحابك وبعميك ونيرى فلك المجد صفة وكل مبتدأ
وتنوينه عوض عما اضيف هو اليه واتاه فعل وفاعله اتاء ومنك
متعلق باتاه والجملة خبر المبتدأ وانما لم نجعل وبعميك معطوفا على
طلحة الخير لتصريحه بالباء ولمنافاة ذلك لقوله ومن حوته العباء
لدخوله صلى الله عليه وسلم لانه صلى الله عليه وسلم من جملة من حوته العباء وبا[السبطين]
عطف على قوله بالعلوم تثنية سبط وهو ولد البنت وزوج على بنتهما
ام وبنيها عطف على ام ومن عطف على ام ايضا وهى موصول وحوته
صلة الموصول وعائده والعباء فاعل حوته وبازواجك معطوف على قوله
بالعلوم ايضا واللواتى صفته وهى موصول وتشرفن صلة الموصول
وعائده وبانه الى اخره متعلق بتشرفن وصانهن صلة انه وبناء
فاعل صانهن ومنك صفة بناء تقدمت عليه صارت حالا والامان مفعول
لفعل محذوف حذف واقيم هو مقامه اى امنا الامان المطلوب منك
الحاصل بشفاعتك والامان الثانى تاكيد ان فؤادى ان واسمها وهواء
خبرها ومن فى من ذنوب تعليلية اى لاجل ذنوب وجملة اتيته من صفة

ذنوب

ذنوب وجملة انه وما بعدها علة لطلب الامان وتمسكت جملة فعلية
يجوز تقديرها حالا اى انلنى الامان ان فؤادى كذا حال كونى قد تمسكت
بعهدك وبالحبل متعلق بتمسكت كما يتعلق به قوله من وداد كى والذى
صفة الحبل واستمسكت صلة الذى والشفعاء فاعل استمسكت وبه متعلق
باستمسكت والى الله جملة فعلية وان يستغان مصدرية وما بعدها
صلتها وهما فى موضع مفعول الى والسوء فاعل يمسنى ويحال متعلق بيمسنى
والواو فى قوله وكى واو الحال والجملة بعده حالية والتجاء مبتدأ واليك
متعلق به وهو خبره وتجوز على قلة جعل التجاء فاعلا بالجار والمجرور
قد رجوناك قد للتحقيق ورجوناك فعل وفاعل ومفعول وللامور متعلق
برجوناك والتى صفة للامور وجملة ابردها رمضاء صلة الموصول
وفى فؤادنا متعلق بابردها واتينا عطف على رجونا واليك متعلق
باتينا وانضاء حال من فاعل اتينا وفقر مضاف اليه وحملتنا جملة
حالية مما عند الحال الاولى والى الغنى متعلق بحملتنا وانضاء فاعل
حملتنا وهذا نظير قولك جاء زيد ماشيا يضرب عمرا فى مجئ حالين عن
واحد احداهما مفردة والاخرى جملة وانطوت جملة معطوفة على جملة
حملتنا فهى حال فى المعنى وحاجات نفس فاعل بانطوت ومضاف اليه وما
نافية وانطواء مبتدأ ولها الخبر وعن ندى يديك متعلق بانطواء فيا من
فعل دعائى ونا مفعوله وفاعله ضمير المدعو ويا اداة نداء ومن منادى
وهو موصول صلته الجملة بعده اى هو الغوث والغيث عطف على الغوث
واذا ظرف مضاف الى الجملة بعده واللاواء فاعل اجهد والورى مفعوله
والجواد عطف على الغوث والذى صفته وبه تفرج الكربة صلة
الموصول وعائده والكربة نائب عن الفاعل بقوله تفرج وعنا متعلق
بتفرج والغماء نائب عن الفاعل بقوله تكشف والجملة معطوفة على الجملة
قبلها البديع استعمل الجناس فى قوله رفيقا والرفقاء وسعد وسعيد
والامانة والامناء واتاه واتاء وتمسكت واستمسكت وانطوت و
انطواء والغوث والغيث واستعمل الطباق فى ابردها ورمضاء وبين
الفقر والغنى المعنى لما اقسم فيما تقدم على النبى صلى الله عليه وسلم

بالعلوم التي اوتيها وببعض خصايصه الكريمة وبسيدي شباب اهل
الجنة وبالخلفاء الاربعة رضي الله عنهم اجمعين اخذ يقسم ايضا
ببقية العشرة المشهود لهم بالجنة وبعمته وبنته وزوجاته رضي الله
عنهم فقال وبباقي اصحابك اي اقسم عليك ببقية اصحابك العشرة الذين
شهدت لهم بالجنة وهم افضل ممن عداهم من الاصحاب بدليل قوله
المنظم المترتب فينا تفضيلهم على سواهم ولم يرد بقية الاصحاب
مطلقا لانه لم يرد في الجميع ترتيب يفيد تفضيل بعضهم على بعض
ثم اخذ في ذكر بقية العشرة وهم الستة الباقون فاولهم طلحة بن عبيد الله
الذي لازم النبي صلى الله عليه وسلم في يوم احد ولم يفر كما فر غيره
بل لازمه وولاه ونصره ووقى عنه ضربة قصد بها فاصابت يد
طلحة فشلت وثانيهم حواريه صلى الله عليه وسلم وهو الزبير بن العوام
رضي الله عنه وهو والد عبد الله بن الزبير صاحب رسول الله صلى الله
عليه وسلم الذي اتت به السيدة اسماء بنت ابي بكر الصديق رضي الله عنهم
فهو صحابي بن صحابي وثالثهم ورابعهم سعد بن ابي وقاص وسعيد
ابن زيد وهما في الفضل سواء كما يفيده قوله توأم الفضل وقوله الغنيمين
وخامسهم عبد الرحمن بن عوف الذي رزقه الله تعالى كثرة البذل و
الصدقة وامده بكثرة المال والغنى وسادسهم السيد ابو عبيدة الملقب
بامين الامة رضي الله عنهم اجمعين ثم اقسم بعمي النبي صلى الله عليه وسلم
وهما ابو عمارة حمزة وابو الفضل العباس ابنا عبد المطلب رضي الله عنهما
وهما النيران العظيمان في فلك المجد والسيادة الفائزان باوفر حظ من
السعادة ثم بالسيدة فاطمة الزهراء بنت سيد المرسلين زوج علي بن ابي
طالب وبنيها وهم الحسن والحسين ومحسن ومن جوته العباء وهم الحسن
والحسين وفاطمة وعلي والنبي صلى الله عليه وسلم وبزوجات النبي صلى الله
عليه وسلم اللاتي شرفهن الله ببركة صحبته لهن على نساء العالمين وفضلهن
من جميع الفتن ببركة كونهن تحت خير البشر والامان معمول لجواب القسم
وكانه يقول اقسمت عليك بمن اقسمت به ان تعطيني الامان من المؤاخذة
باثقال واوزار ذنوبي التي اكتسبتها بتحقيق شفاعتك في الى الله تعالى

التي لا ترد فضلا من الله تعالى وتكون سببا لنجاتي من مخوفاتي فاني قد
تمسكت من محبتك باوثق الاسباب كما استمسكت بها الشفعاء الذين
تصدر عنهم الشفاعة من بقية الانبياء والعلماء والصالحين اولي
الالباب وقد جرت عادة فضل الله تعالى وكرمه وجوده ان من التجا
اليك واستند لا يمسه الله تعالى بسوء في الاخرة لما وعد به على لسانك
من قوله قل يسمع وسل تعط واشفع تشفع وبقوله تعالى ولسوف
يعطيك ربك فترضى وقد قال بعض العلماء انه لا يرضى وواحد من امته
في النار ولاجل ذلك رجوناك ايها النبي الكريم والسيد العظيم للخلاص من
عهدة ما ارتكبناه من الذنوب العظيمة التي اسهلها واليرها يوجج نار الخوف
من المؤاخذة بها في قلوبنا وكان الحال في ذلك كما قال ابو الطيب

على قدر اهل العزم تاتي العزايم	وتاتي على قدر الكرام المكارم

وانت غني بالشفاعة وملئ بها وقد توجهنا اليك بقلوبنا وابصارنا
وابداننا والحال انا انضاء لكثرة ما حملنا من الافتقار الى شفاعتك التي هي
غاية مقصودنا ونهاية مآربنا وسؤلنا والاحتياج اليها وكان توجهنا
المذكور الى مغناك مع فقرنا على انضاء من الركاب قد اجهدها طول السير
الى ذلك الجناب طلبا للوقوف بساحة كرم ذلك الباب وحاجاتنا
الى شفاعتك فينا قائمة بنفوسنا باقية في خواطرنا وليس لنا انصراف
عن جودك ولا ارتحال عن ساحة كرمك بل هي لم تزل مستمطرة لندى
يديك وطامعة في النجاة بالشفاعة التي ماء لها اليك والمعول فيها ليس الا
عليك واذا كان هذا حالنا مع وفور جاهك العظيم وعظيم منزلتك عند
التواب الرحيم فاغثنا فانك انت الغوث المنقذ من الشدايد والغيث المريع
عند طلب الفوايد وازل شكوانا وادفع عنا شدايدنا ولا وانا فانت
الجواد الذي ببعض جوده يكشف كرب المكروبين وترال النقم عن الملهوفين الموجوعين

يا رحيما بالمؤمنين اذا ما	ذهلت عن ابنائها الرحماء
يا شفيعا في المذنبين اذا اشـ	ـفق من خوف ذنبه البرآء
جد لعاص وما سواي هو العا	صي ولكن تنكري استحياء
وتدارکه بالعناية مادا	م له بالذمام منك ذماء

اخرته الاعمال والمال عما ... قدم الصالحون والاغنياء
كل يوم ذنوبه صاعدات ... وعليها انفاسه صعداء
الف البطنة المبطئة السيـ ... ـر بدار بها البطان بطاء
فبكى ذنبه بقسوة قلب ... نهت الدمع فالبكاء مكاء
وغدا يعتب القضاء ولا عذ ... ر لعاص فيما يسوق القضاء
اوثقته من الذنوب ديون ... شددت في اقتضائها الغرماء
ما له حيلة سوى حيلة المو ... ثق اما توسل او دعاء
راجيا ان تعود اعماله السو ... ء بغفران الله وهي هباء
او ترى سيئاته حسنات ... فيقال استحالت الصهباء
كل امر تعنى به تقلب الاعـ ... ـيان فيه وتعجب البصراء
رب عين تفلت في ماءها الملـ ... ـح فاضحى وهو الفرات الرواء
آه مما جنيت ان كان يغني ... الف من عظيم ذنب وهاء
ارتجي التوبة النصوح وفي القلـ ... ـب نفاق وفي اللسان رياء
ومتى يستقيم قلبي وللجسـ ... ـم اعوجاج من كبرتي وانحناء
كنت في نومة الشباب فما استيـ ... ـقظت الا ولمتي شمطاء
وتماديت اقتفي اثر القو ... م فطالت مسافة واقتفاء
فوراء السارين وهو امامي ... سبل وعرة وارض عراء
حمد المدلجون غب سراهم ... وكفى من تخلف الابطاء
رحلة لم تزل يفندني الصيـ ... ـف اذا ما نويتها والشتاء
يتقي حر وجهي الحر والبر ... د وقد عز من لظى الاتقاء
ضقت ذرعا بما جنيت فيومي ... قمطرير وليلتي درعاء
وتذكرت رحمة الله فالبشـ ... ـر لوجهي اني انتحى تلقاء
فالح الرجاء والخوف بالقلـ ... ـب وللخوف والرجا احفاء
صاح لا تاس ان ضعفت عن الطا ... عة واستاثرت بها الاقوياء
ان لله رحمة واحق النـ ... ـاس منه بالرحمة الضعفاء
فابق في العرج عند منقلب الذو ... د ففي العود تسبق العرجاء
لا تقل حاسدا لغيرك هذا ... اثمرت نخله ونخلي عفاء

وأت بالمستطاع من عمل البر ... فقد يسقط الثمار الاتاء
وبحب النبي فابغ رضى الله ... ففي حبه الرضا والحباء

اللغة يا رحيما نداء يتضمن استعطافا واسترحاما والرحمة رقة في القلب والمؤمنون جمع مؤمن والايمان التصديق والاعمال شرطه مع التمكن لا شطره على الاصح ذهل نسي وغفل وابناء جمع ابن والرحماء جمع راحم والشفاعة السعي في اصلاح حال المشفوع فيه عند المشفوع اليه والمذنبون جمع مذنب والذنب ما عصى الله تعالى به كبيرا او صغيرا والاشفاق الخوف البراء جمع بريء بوزن فعيل والعاصي مرتكب المعصية والتنكر الاستحياء والاستحياء الحياء تذاكرني اي ذكر والعناية بالشيء بذل الهمة فيه والذمام بالمعجمة الحرمة والذماء بالمعجمة والمد بقية الروح في المذبوح اخرته اي خلفته عن السابقين الاعمال والمال اي عدمهما والصالحون جمع صالح والاغنياء جمع غني وذنوبه جمع ذنب صاعدات معروضة على الله الصعداء بالمد تنفس ممدود والبطنة امتلاء البطن من الطعام امتلاء شديدا والبطؤ نقيض السرعة السير قطع المسافة والبطان جمع بطين والبطاء جمع بطيء على فعيل وقسوة القلب غلظته و شدته والمكاء بالتخفيف الصفير ويقال قضاه اي صنعه و قدره ومنه القضاء والقدر ويقال عتب عليه اي وجد عليه و العذر الاعتذار اي لا يسقط اثم الذنب الاعتذار والموثق الاسير والديون جمع دين شددت الحث والاقتضاء الطلب الغرماء جمع غريم والحيلة على الشيء الاحتيال عليه بقصد طرق تحصيله ولو بوسائط والتوسل الى الشيء التقرب اليه بعمل من الاعمال والدعاء الطلب والرجاء الامل والاعمال السوء بمعنى السيئة والسيئة نقيض الحسنة والهباء غبار يرى في شعاع الشمس تطلع من الكوة والصهباء الخمر واعتنى بالشيء اهتم به ووجه همته اليه والاعيان جمع عين وهي ما شاهد بحاسة البصر مستقلا بنفسه والبصراء جمع بصير ورب عين المراد عين الماء

تفلتت اى بصقت والفرات العذب وهو اسم نهر بالكوفة ورواء
بالفتح والمد اى عذب فيه رى لشاربه آه كلمة تقال لاظهار التوجع
من شئ يؤلم قائلها الف اسم للهمزة من الكلمة المذكورة وها اسم لهاء
بها التوبة الرجوع عن الذنب النصوح الخالصة والمراد من النفا ق
التقصير فى تحصيلها اما بعدم الاقلاع عن بعض ما تاب عنه او
بعدم الندم على ما فات منه او بالقصد الى فعله او فعل شئ منه
فى المستقبل والرياء باللسان ان يتكلم بما يوافق التوبة وفى النفس
خلافه والكبرة الاسم من كبر بالكسر اى اسن والاعوجاج ضد الاستقا مة
ولخفى الشئ انعطف ولحية شمطاء خالط بياض الشعر منها السواد والشبا ب
والشبيبة الحداثة وهى خلاف الشيب وتماديت طلبت الغاية التى
وصل اليها السابقون والعراء بالمد الفضاء والسبل الوعرة التى يعسر
السير فيها لعدم سهولتها ادلج القوم اذا ساروا من اول الليل وغب
الشئ عاقبته والابطاء نقيض السرعة والفند الكذب والفند ضعف
الرأى ويصح ارادة كل منهما فى كلام الناظم على ما سيتبين لك وخد الوجه
ما بدا من الوجنة يقال لطمه على خد وجهه وعز الشئ يعز اذا قل و
لظى اسم من اسماء النار ويقال ضقت بالامر ذرعا اذا لم تطقه و
يوم قمطرير اى شديد والليلة الدرعاء بالمهملة ليست من الليالى
البيض بل هى احدى الثلاث التى تلى الثلاث البيض يقال فلان خس
البشر اى طلق المحيا الانحناء الاعتماد والميل فى كل وجه وجلس تلقاءه
اى حذاءه الاحفاء بالمهملة الاستقصاء والمنازعة ولج الرجاء
والخوف بالقلب اقاما به واستاثر بالشئ انفرد به والاقوياء جمع
قوى والضعفاء جمع ضعيف والعرج جمع اعرج وهو من به داء
خلقى يمنعه استقامة المشى والمنقلب الانقلاب والذود جماعة
الغنم والعرجاء مؤنثة الاعرج والعفاء بالفتح والمد التراب و
الاتاء صغار النخل والحباء العطاء الاعراب يا رحيما بالمؤمنين
منادى شبيه بالمضاف ولهذا نصب واذا ظرف وما زائدة وذ هلت
الرجاء فعلية اضيف اليها اذا وعن ابنائها متعلق بذهلت ويا

فى المذنبين كقوله يا رحيما بالمؤمنين فيكون منصوبا لكونه شبيها
بالمضاف واذا ظرف مضاف الى الجملة بعده وهى اشفق البراء ومن خوف
ذنبه متعلق باشفق وجعل لهم ذنوبا يشفقون منها نظرا الى الصغا ير
وسماهم براء نظرا الى الكبائر جد فعل امر فاعله ضمير المخاطب و
لعاص متعلق بجد اى بالرحمة والشفاعة وحذف ذلك للعلم به من
سياق الكلام وما نافية سواى مبتدأ هو العاصى مبتدأ وخبر والجملة
خبر المبتدأ اى ليس العاصى الا انا ولكن حرف استدراك تنكرى مبتدأ
استحياء خبره وتداركه فعل امر معطوف على جد لعاص والهاء عائد
عليه وبالعناية متعلق بتداركه وما ظرفية مصدرية ودام الجد ى
اخوات كان وذماء اسمها وبالذمام متعلق بذماء والباء سببية
والاحسن تعليق قوله بالذمام بقوله وتداركه فتكون الباء
قسمية ومنك متعلق بالذمام لخرته فعلية يجوز جعلها صفة
لعاص والاعمال هو الفاعل والمال عطف عليه وعما متعلق بلخرته
وما موصولة وصلتها قدم الصالحون والعائد محذوف والاغنياء
عطف عليه اى عدم الاعمال وعدم المال على حذف مضاف للعلم به
ويجوز ان يقدر لخرته الاعمال من حيث تكاسله عنها والمال من
حيث بخله به كل يوم ظرف الجملة بعده وهى قوله ذنوبه صاعدات
وهما مبتدأ وخبر وانفاسه صعداء مبتدأ وخبر وعليها حال
من ضمير صعداء ويجوز ان يكون من المبتدأ الف الجملة فعلية فاعلها
ضمير قوله لعاص فتكون الجملة اما صفة ثانية او حالا لوصفه بما قبلها
والبطنة مفعول والبطيئة صفة بطنة والسير مفعول للبطيئة والباء
فى بدار ظرفية ايضا اى فى دار فيها البطان جمع بطين بطا جمع بطئ والباء فيه تو
وهما مبتدأ وخبر والجملة صفة دار فبكى الفاء سببية وبكى فعل فاعله
ضمير عاص وذنبه مفعول بكى وبقسوة قلب اى مع قسوة قلب فالباء
بمعنى مع وقسوة مضاف الى قلب نفت الدمع فعلية وفاعلها ضمير
قسوة والدمع مفعولها فالبكاء مكاء مبتدأ وخبر والفاء سببية
اى فبسبب ذلك البكاء مكاء وغدا بمعنى صار واسمها ضمير يعود

على العاصى والقضاء مفعوله ولا عذر لو واسمها العاص متعلق بلا
فيما يسوق القضاء الجملة خبر لا وما موصول ويسوق صلتها والعا ئد
محذوف اى يسوقه والقضاء فاعل وثقته الجملة يجوز تقديرها
حالا من قوله لعاص لتقدم ما وصف به ويجوز ان تكون حالا من ضمير
يعود عليه فيما سبق وديون فاعل اوثقته ومن الذنوب صفة للديون
تقدمت عليه فصارت حالا وشددت فاعله الغرماء والجملة صفة
او حال لمن الذنوب وفى اقتضائها متعلق بشددت ما نافية ولا حيلة
مبتدأ وخبر على التقديم والتاخير وضمير له عائد على عاص سوى
بمعنى لا وحيلة مجرور بسوى لاضافته اليه والموثق مضاف اليه
واما توسل خبر لمبتدأ محذوف اى وحيلة الموثق اما توسل او دعاء
عطف عليه اى احد هذين الامرين راجيا حال من عاص او من ضمير
يعود عليه سابقا وان تعود مفعول راجيا واعماله فاعل تعود والسوء
صفة اعمال وهى هباء جملة حالية وبغفران الله متعلق بتعود والباء
سببية وتعلقها بمضمون وهى هباء احسن اى تعود مضمحلة بغفران الله
تعالى او ترى فعلية فعلها مبنى للمفعول سيئات نائب الفاعل حسنات
مفعول ثان والجملة معطوفة عليه وهى هباء اى راجيا ان تعود سيئاتـ تة
هباء لا وجود لها بمغفرة الله اياها او يبدلها الله حسنات وجملة اسقنا ت
الصهباء مفعول لفيقال قوله كل امر مبتدأ تعنى به الجملة صفة كل امر
او صفة امر تقلب فاعله الاعيان والجملة خبر كل امر وفيه هو الرابط
للخبر بالمبتدأ متعلق بتقلب وتعجب فاعله البصراء والجملة عطف على
الجملة قبلها والعائد محذوف اى وتعجب البصراء منه ورب للتكثير مجرو رها
عين وجملة تغلت خبر عين اى عيون كثيرة تغلت فيها وهى ملح فاضحى
اسمها ضمير الماء وهو الفرات الرواء الجملة خبر اضحى فهى فى محل نصب
آه كلمة توجع اما خبر مبتدأ او مفعول فعل محذوف اى مقولى آه او اقول
آه ان كان جملة شرط الف اسم كان ويغنى الجملة خبر وهاء عطف
على الف ومن عظيم ذنب متعلق بيغنى ومما جنيت متعلق بقولى او اقول
ويجوز ان يتعلق باه على معنى اتاوه مما جنيت آه تجى فعل فاعله

ضمير المتكلم والتوبة مفعول لادنجى والنصوح صفة التوبة والواو
فى قوله وفى القلب حالية ونفاق اما مبتدأ او فاعل بالظرف قبله و
فى اللسان رياء عطف على جملة وفى القلب نفاق ويستقيم فاعله قلبى
ومتى استفهام عن وقت استقامة قلبه والواو فى قوله وللجسم واو
الحال وللجسم اعوجاج مبتدأ وخبر والجملة حالية ومن كبر تى متعلق
باعوجاج والانحناء معطوف على اعوجاج كنت فى نومة الشباب كان
واسمها وخبرها فما استيقظت ما نافية والا ايجاب للنفى ولمتى
شمطاء مبتدأ وخبر والجملة حال فتماديت فعل وفاعل والجملة معطوفة
على الجملة قبلها واقتفى جملة هى حال من التاء واثر القوم مفعول اقتفى
والفاء فى فطالت سببية وفاعلها مسافة والجملة معطوفة على ما قبلها
واقتفاء معطوف على مسافة فوراء السارين ظرف مكان وهو خبر
عن قوله سبل وهو اما جملة اسمية معترضة بين المبتدأ والخبر وعرة
ن صفة سبل وارض عطف على قوله سبل وعراء صفة ارض وحد المنجو
فعلية مستانفة وغبت مفعول سراهم مضاف اليه وكفى فاعله الابطاء
ومن مفعول وهو موصول صلته تخلف ورحلة خبر مبتدأ محذوف
تقديره السير الى الله رحلة عظيمة لم تزل يفتدى الجملة خبر زال
والصيف فاعل الفعل واذ اظرف زمان وما زائدة ونوبتها الجملة
مضاف اليها اذا والشتاء معطوفة على الصيف يتقى فعلية فاعلها الحر
وحر مضاف الى وجهى والحر مفعول والبرد معطوف عليه وقد عز
الواو حالية وقد للتحقيق وعز الاتقاء فعلية هى حال ومن لظى متعلقة
بالاتقاء ضقت فعلية وذرعا تمييز بما متعلق بضقت وجنيت صلة
ما والعائد محذوف اى جنيته فيومى مبتدأ قمطرير خبره وليلتى مبتدأ
درعاء خبره والجملة معطوفة على الجملة وتذكرت فعلية ورحمة الله نعم
ومضاف اليه فالبشر مبتدأ والفاء سببية ولوجهى خبر المبتدأ اى نعم
عه لوجهى وانى انتحى ظرف مكان مضاف الى الجملة بعده وهى انتحى ومرفوع
هو ضمير الوجه وتلقاء خبر المبتدأ وهو البشر ولمح الرجاء فعلية
والخوف معطوف على الرجاء بالقلب متعلق بلمح والخفاء مبتدأ والخوف

خبره والرجاء معطوف على الخبر صاح منادى محذوف الاداة مرخم
لا تأس فعل نهى ان ضعفت جملة شرطية وعن الطاعة متعلق به
واستأثرت الواو للحال وفاعل استأثرت الاقوياء ان الله رحمة
ان واسمها وخبرها والحق الناس مبتدأ ومضاف اليه بالرحمة متعلق
باحق الضعفاء خبر احق فابق فعل امر فى العرج متعلق به عند متقلب
الذود ظرف مكان مضاف الى ما بعده وتسبق العرجاء فعلية وفى
العود متعلق بتسبق لا تقل جملة ناهية حاسدًا حال لغيرك متعلق
بحاسدًا هذا الى آخره مقول القول وأت جملة آمرة بالمستطاع متعلق
بأت من عمل البر صفة المستطاع فقد يسقط الثمار فعلية والثمار مفعول والوثا
فاعل فابغ جملة آمرة ورضى الله مفعول وحب النبى متعلق بفعل الامر
والرضا مبتدأ وفى حبه خبر والحباء معطوف عليه **البديع** استعمل
الجناس فى الرجيم والرجاء وفى عاص والعاصى والذمام والذماء
واعمال ومال وصاعدات وصعداء والبطاء وبطاء وبكاء و
مكاء واقتفى واقتفاء ووعرة وعراء وحر والحر ويتقى والاتقاء
وذرعا وذرعاء والعرج والعرجاء ورضى والرضا والحب و
الحباء واستعمل الطباق فى قوله اخرته وقوله قدم وبين الحسنات
والسيئات وبين الملح والفرات والاستقامة والاعوجاج والنوم
واليقظة ووراء وامام والصيف والشتاء والحر والبرد ويومى
وليلتى والرجاء والخوف والضعفاء والاقوياء واللف والنشر المرتب
فى ترجيع الصالحين والاغنياء الى الاعمال والمال وفى قوله حمد المدلجون
حيث رجعه للسارين وقوله وكم عن تخلف للابطاء حيث رجعه الى
ان وراء السارين هو امامه فليتأمل وفى ترجيع الرضا والحباء الى
قوله وحب النبى فابغ رضى الله واستعمل التلميح فى قوله ربت عين
تغلت الى آخره وفى قوله رحلة الى آخره وفى قوله ضقت ذرعا ويوم
قمطرير وفى قوله عراء وفى قوله يا رحيما بالمؤمنين واستعمل التتميم
فى قوله فيقال استحالت الصهباء وفى الابيات غير ذلك مما يستخرجه
الناظر **المعنى** ان الناظم نادى النبى صلى الله عليه وسلم نداء تضرع

وتحنن فقال يا رحيما بالمؤمنين فى ذلك اليوم العظيم والموقف
الخطب الجسيم وشفيعهم فى غفران الذنب وكشف الكرب حتى
يخاف البرآء من الذنوب فى المؤاخذة بالهفوة لشدة ما يرون من
المناقشة فى الحساب وهول العذاب وقد لمح فى ذلك قوله تعالى
لقد جاءكم رسول من انفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين
رؤف رحيم وقوله صلى الله عليه وسلم حكاية عما يقال له تكريما
وتعظيما ارفع رأسك وقل يسمع وسل تعط واشفع تشفع ثم بعد
ان ناداه بما اشار اليه من الصفات سأله ان يجود له بما يرومه ولم
يقصر طلبه على شىء معين قصدا الى ان يعم سؤاله كل ما يطلب فى ذلك
اليوم من غفر الذنب وكشف الكرب والبعد عن العذاب الاليم و
الفوز بانواع النعيم المقيم ورفع الدرجات والنظر الى رب
الارض والسموات واكد ذلك بسؤال العناية من النبى صلى الله عليه
وسلم به ما دام حيا ليوفق فلا يأتى من اعمال السوء بما يبعده عن مطلوبه
الاخروى والتفت عن التعبير عن نفسه بضمير التكلم كقوله
جد لى ونحوه الى التعبير عنه بما يعبر به عن الغائب وهو قوله
جد لعاص استحياء وخجلا من المواجهة بالتصريح بارتكابه القبائح
وتسترا واحتشاما عن خوضه فى بحار النقايص والفضائح ثم
اخذ يتحسر على ما اتفق له من التقصير فى صالح الاعمال ويتحزن
على ما فاته من بلوغ درجات الكمال وانه فاته بسبب تقصيره
درجات اهل الصلاح وبسبب عدم امتداد يده الى وجوه
البر من التصدق والاحسان رتب اهل البذل والسماح ثم
اعترف بذنوبه واقر بعيوبه واظهر التندم على ذلك والتحسر
مما هنالك وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا وآخر سيئا صالحا
عسى الله ان يتوب عليهم ان الله غفور رحيم وقد قال صلى الله عليه
وسلم الندم توبة وذكر ان سبب ارتكاب هذه الامور انه داوم
على الشهوات من المطاعم والمشارب التى تحصل البطنة المذهبة
للفطنة فتخلف بسببها عن مرافقة السائرين الى الله تعالى بمحاسن

الاعمال مستمرا على التباطؤ عن مصاحبتهم بالقعود في مطالب الاعمال
وانه وان بكى على ذنبه الذي صدر منه فهو بكاء داخلته قسوة قامت
بقلبه حتى صارت بحيث تمنع دمعه من الاسترسال فعاد بكاؤه كالصغير
الذي ليس معه من استرسال الدمع ورقة القلب فتيل ولا نقير فصار
يعتذر عن ذنوبه بما لا يجديه ويعتب عينا لا يسمع حين يعيده او
يبديه بل صار موثقا بالذنوب اسيرا لتلك الهفوات والعيوب وانه
صار في عقال ذنوبه كالمدين المغلوب الذي شدد غرماؤه في كسبه
ولم يظفروا منه بمطلوب وانه انقطعت حيلته لما قصر عن الوصول به
عمله فصار كالاسير الذي ليس له من اسباب التوصل الا الدعاء والتوسل
ثم اخبر انه له من حسن الرجاء في الله تعالى ان تعود هذه الاعمال التي
توجع من صدورها عنه وتأسف على حصولها منه مستورة بالغفران
وان لا يترتب عليها ما يخشاه من المؤاخذة والخسران وان الله تعالى
بعظيم فضله وكرمه وجزيل طوله وفيض نعمه يبدلها حسنات بصدق
توبته وكشف حوبته فبعد ان كانت قبيحة يعاقب عليها صارت حسنة
يحصل الفوز بالثواب لديها كما تكون الخمرة نجسة محرمة فتصير بالتخلل طاهرة
محترمة ثم اكد استعطاف النبي صلى الله عليه وسلم بما ذكره من معجزاته الكريمة
واقتصر على ما ذكره منها دون غيره لمناسبتها المقصوده وتوفيتها بمطلوبه
لانه طلب منه العناية به فناسب ان يقول كل امر تعنى به وتتوجه اليه
يحصل فيه بسبب عنايتك به وتوجهك اليه ما يقلب الاعيان ويعجب منه ذوو
البصائر والبصر وهذا شيء محسوس شاهد وليس المعاينة كالخبر ثم ذكر
من جزئيات ذلك التي استشهد بها على ما ذكره ان الملح الذي لا يستطاع
تناوله لاحد من الواردين قد صار بتفلته التي تفلها فيه عذبا فراتا
سائغا للشاربين ثم عاد الى التأوه والتوجع من ذنوبه زيادة في طلب
التحنن فقال آه مما جنيته على نفسي من الذنوب التي حملتني الآثام و
الكروب ولو كان التأوه يجدي نفعا لادمت على مواظبته والاكثار منه
استقالة ودفعا ثم اخذ يلوم نفسه على امور تصدر منه لا ينبغي صدورها
منها انه يرجي التوبة النصوح وهي التي لا يعود منها الى الذنب كما لا يعود

اللبن الى الضرع وهو مع ذلك مايل اليها بالجنان وذاكرها باللسان و
منها استبعاده لاستقامة قلبه من حيث انه فاته زمن الاستقامة الذي
هو ايام الشباب والعود رطيب واسترجاع الفائت حينئذ قريب وقد
وصل الى الشيخوخة التي هي زمن اعوجاج البدن وانحناء القامة فبعد
معها ما يطلب في اوده من الاستقامة ثم ذكر ما هو كالاعتذار من ان
زمن الشباب تكثر فيه الغفلات وتترادف فيه الهفوات وان غفلته
استحكمت عليه حتى صار كالنائم المستغرق الذي لا يفيق من نومه الا بمحرك
ومنبه فما استيقظ وتنبه الا وقد وجد نفسه قد اعتراه الشيب و
جنوده وتزاحمت عليه عطله وتفنيده بحيث انه صار اذا اراد اللحاق
بالسابقين الى المطالب والفائزين بنيل المآرب يطول عليه اقتفاء
اثرهم فيتعلل بما ينقل اليه من طيب خبرهم لما بينه وبينهم من السبل
الوعرة المسالك والمهامه الفيح التي ترمي في المهالك ثم توجع و
تحسر وتألم بذكره حالهم التي حمد واعقباها وفاته ولم يقدر على
ادراكها وذكر حاله التي هو عليها وهي لا ترضيه لتقاعدها عن الوصول
الى الغرض وانفكاكها وبعدها عن تلك اللطائف بل عن ادناها
ومنها ان هذه الرحلة التي يصل بها الى السابقين لم يزل يتوقع وجودها
وينويها صيفا وشتاء فاذا نوى ان يفعلها صيفا فذهب الصيف ولم
يفعلها فيه فندبه الصيف واذا نوى ان يفعلها شتاء فذهب الشتاء
ولم يفعل فندبه الشتاء فكل منهما يقول انت تعدني بالفعل ولا تفعل
ومنها ان حاله انه يتقي في وجهه حر الصيف وبرد الشتاء وما يتقيه
من ذلك ضرره يسير ولا يتقي حر لظى التي هي نزاعة للشوى وهو امر
خطير وشيء عسير ومنها انه لاجل هذه الامور التي اتصف
بها وقامت به فحاله في جميع ازمانه فكل من ايامه شديد
لما يكابده فيه من الخوف والندم على تأخره عن السابقين ولياليه
مظلمة غير نيرة لما يعتور عليه من الهموم والانكاد التي تحل المتألمين
ثم اخذ في التسلي عن هذه الامور بتذكره بسعة رحمة الله وانه
بتذكرها ينشرح صدره فيصير طلق المحيا على اي حالة كان والى

اى مكان توجه فيجد بذلك لطفا خفيا وانه لاجل ذلك يقوى رجاؤه
فى رحمة الله التى وسعت كل شىء ان رحمة الله قريب من المحسنين وان
كان قد زادعه الخوف من المؤاخذة بما اقترفه كغيره من المذنبين •
ثم انه جرد من نفسه شخصا ناداه وامره فقال لا تحزن ان ضعف قواك
عن كثرة الطاعة التى هى اعمال الخير وفاز بكثرتها ذووا القوة
فان ربكم ذو رحمة واسعة تعم القوى والضعيف والدنى والشريف
لكن لحوق الناس برحمته الضعفاء لانكسار خواطرهم بتخلفهم عن مراد هم
بواسطة العجز الناشئ عن الضعف فقد يحصل لهم من فيض رحمته
تعالى فوق ما يحصل للاقوياء فانه تعالى عند المنكسرة قلوبهم ولهذا
امره بتاسيه فى العرج الذين هم الضعفاء لانهم اقوى نية فى العبادة
وابعد عن الرياء فربما سبقوا الاقوياء بواسطة هذا الى النعيم المقيم
فحصلوا على امر عظيم كما ان الشاة العرجاء من الذود المتخلفة عن
السوابق منه اذا رجع الذود الى ورائه تصير امامهم فتسبقهم
الى الوصول وتفوز قبل بقية الذود بالمأمول ثم نهاه عن
معارضة الحسد بان يقول هذا القوى حصلت له بواسطة قوته
اعمال كثيرة فاتتنى بسبب ما فى من الضعف فان الضعيف
ربما فاز بسبب ضعفه بامر لا يحصل للقوى الناظر الى قوى
نفسه كما انه قد يحصل من صغار النخيل ثمرة لا تحصل من كبارها
ان الله لا ينظر الى صوركم بل ينظر الى قلوبكم ثم انه ارشده
الى ما هو وسيلة الى جلب كل خير ودفع كل نقمة وضير وهو حب
النبى صلى الله عليه وسلم فانه وسيلة الى رفيع رتب الارباب
ومالك الرقاب المنعم بسلوك طريق الصواب وسبب الى اسداء الخيرات
الدنيوية والاخروية والتوفيق للاعمال الصالحة السنية والفوز
بالمقامات العلية قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله وقد استعمل
المصنف التمثيل فى هذه الامور وهو باب عظيم من البلاغة وفن لطيف من البراعة

يا نبى الهدى استغاثة ملهو … ف اضرت بحاله الحوباء
يدعى الحب وهو يأمر بالسو … ء ومن لى ان تصدق الرغباء

اى حب يصح منه وطرفى … للكرى واصل وطيفك راء
ليت شعرى اذاك من عظم ذنب … ام حظوظ المتيمين خطاء
ان يكن عظم زلتى حجب رؤيا … ك فقد عز داء قلبى الدواء
كيف يصدى بالذنب قلب محب … وله ذكرك الجميل جلاء
هذه علتى وانت طبيبى … ليس يخفى عليك فى القلب داء
ومن الفوز ان ابثك شكوى … هى شكوى اليك وهى اقتضاء
ضمنتها مدائح مستطاب … فيك منها المديح والاصغاء
قل ما حاولت مديحك الا … ساعدتها ميم ودال وحاء
حق لى فيك ان اساجل قوما … سلمت منهم لدلوى الدلاء
ان لى غيرة وقد زاحمتنى … فى معانى مديحك الشعراء
ولقلبى فيك الغلو وانى … للسانى فى مدحك الغلواء
فاثب خاطرا الم به من … حك علما بانه اللألاء
حاك من صنعة القريض بردا … لك لم تحك وشيها صنعاء
اعجز الدر نظمه فاستوت فيـ … ـه اليدان الصناع والخرقاء
فارضه افصح امرئ نطق الضا … د فقامت تغار منها الظاء
ابذكر الآيات اوفيك مدحا … اين منى واين منها الوفاء
ام امارى بهن قوم نبى … ساء ما ظنه بى الاغبياء
ولك الامة التى غبطتها … بك لما اتيتها الانبياء
لم نخف بعدك الضلال وفينا … وارثوا نور هديك العلماء
فانقضت آى الانبياء وآيا … تك فى الناس ما لهن انقضاء
والكرامات منهم معجزات … حازها من نوالك الاولياء
ان من معجزاتك العجز عن وصـ … ـفك اذ لا يحده الاحصاء
كيف يستوعب الكلام سجايا … ك وهل تنزح البحار الركاء
ليس من غاية لوصفك ابغيـ … ـها وللقول غاية وانتهاء
انما فضلك الزمان وآيا … تك فيما نعده الآناء
لم اطل فى تعداد آيك نطقى … ومرادى بذلك استقصاء
غير انى ظمآن وجد وما لى … بقليل من الورود ارتواء

فسلامٌ عليك تترى من اللــــه ويبقى به لك البأواء
وسلامٌ عليك منك فما غيـــرك منه لك السلام كِفاء
وسلامٌ من كل من خلق اللـــه لتحيى بذكرك الأملاء
وسلامٌ على ضريحك تخضـــلّ به منه تربةٌ وعساء
وصلاةٌ كالمسك تحمله مــــنّى شمالٌ اليك او نكباء
وثناءٌ قدّمتُ بين يدَيْ نجـــواى اذ لم يكن لدىّ ثراء
ما اقام الصلاة من عبد اللــــه وقامت بربها الاشياء

اللغة الاستغاثة نداء من يخلص من شدة او يعين على مشقة واللهف
حزن وتحسر والملهوف المضطر يستغيث واللهفان المتحسر والحوبة
المسكنة والضعف ورغباء كصحراء مصدر رغب فى الشئ اذا اراده
والطرف العين والكرى النوم وواصل اسم فاعل من وصل وهو علم
على شخص كان لا يحسن النطق بالراء وطيف الخيال ما يأتى فى النوم ليت
شعرى اى ليتنى علمت والمتيمين جمع متيم يقال تيمه الحب اى عبده
وذلله فهو متيم والخطاء جمع خطوة وعز الشئ يعز عزا وعزازا اذا قل
بحيث لا يكاد يوجد فهو عزيز والداء المرض والجمع ادواء والدواء
ممدود واحد الادوية وصداء الحديد وسخه وصداء القلوب
الذنوب وجلوت السيف جلاء بالكسر اى صقلته والفوز النجاة والظفر
بالخير وبث الخبر نشره وابثثتك سرى اى اظهرته لك شكوت فلانا
اذا اخبرت عنه بسوء فعله والاسم الشكوى والاقتضاء الطلب المدائح
جمع مدحة وهى ما تضمن من الكلام ثناء حسنا وهو المدح والاصغاء
استماع المدح والثناء وحاولت الشئ اردته والمساجلة المفاخرة
بان يصنع مثل صنعه سلمت اذعنت والدلاء جمع دلو يقال ازدحم بالفتح
القوم على كذا وتزاحموا عليه والغيرة الاسم من قولك غار الرجل على
اهله يغار غيرا وغيرة الغلو مجاوزة الحد فكانّ قلبه فى المحبة جاوز
حد محبة غيره وتقدم فيها والغلواء الاسراع والتقدم وكانه
يقول ان امكن لقلبى الغلو فى المحبة والانفراد كيف يمكن
للسانى الاسراع والسبق فى المديح الى ما يصل اليه غيره اثبت اعط

الثواب واللألاء الفرح التام حاك نسج والقريض الشعر والبرود
جمع بُرد وهو من انواع الثياب والوشى كذلك وصنعاء بالمد
بلد باليمن موصوفة بجودة النسج وامرأة صناع اليدين اى
حاذقة ماهرة تعمل باليدين والخرقاء تأنيث الاخرق وهو ضد
الرفيق وماريت الرجل أماريه مراء اذا جادلته والاغبياء جمع
غبى بوزن فعيل القليل الفطنة والغبطة ان تتمنى مثل حال
المغبوط من غير ان تريد زواله عنه وليس بحسد تقول غبطته
اغبطه غبطا وغبطة يقال هدى هدى فلان اى سار
سيرته والتراث اصل التاء فيه واو تقول ورثت ارثا
وورثا ووراثة والسجية الخلق والطبيعة والركاء جمع ركوة
التى يملأ بها الماء والآناء الساعات واحدها انا مثل معًا
وامعاء ولا ينبغى ان يكون المراد الساعات الزمانية بل مجرد
اللحظات ولو قليلة جدا لان ذلك اوفى بالدلالة على زيادة
الآيات والاستقصاء للشئ بلوغ آخره وتقول ارتويت
من الماء ارتواء تترى مترادف يتبع بعضه بعضا والبأواء
الفخر وكفاء اى مكافى تقول كافأته على ما كان منه كفاء ومكا فاءة
جازيته والتكافؤ الاستواء والاملاء جمع ملأ بمعنى الجماعة تخضل
اى تبتل لانه لا تزال تمطرها سحائب الرضوان والوعساء الارض
الليّنة ذات الرمل والنكباء الريح الناكبة التى تنكب عن مهاب
الرياح والنكب جمع نكباء كحمر وحمراء فى الرياح اربع نكباء الصبا و
الجنوب وتسمى الازيب ونكباء الصبا والشمال وتسمى الصابية
ونكباء الشمال والدبور وتسمى الجربياء وتقدمت فى كلام الناظم
ونكباء الجنوب والدبور حارة وتسمى الهيف والثراء بالمثلثة
كثرة المال والاشياء جمع شئ والمراد الموجودات اى ان يوجد ها
منه تعالى وقوام الامر بالكسر عماده ونظامه يقال فلان قوام
اهل بيته وقيام اهل بيته وهو الذى يقيم شانهم وقوام الامر
ملاكه الذى يقوم به الاعراب نبى الهدى بالنصب لانه

منادى مضاف واستغاثة ملهوف يصح فيها الرفع على انها خبر مبتدأ
محذوف والنصب على انها مفعول مطلق على المعنى اى ناديت نداء
ملهوف او استغثت استغاثة ملهوف وللحوباء فاعل اضرت و
الجملة صفة ملهوف وبحاله متعلق باضرت وفاعل يدعى ضمير
ملهوف والحب مفعوله والجملة اما صفة ثانية لملهوف وحال منه
لوصفه وهو مبتدأ ويأمره فاعله ضمير ملهوف والجملة حال ايضاً
وبالسوء متعلق بيأمر ومن اسم استفهام وهو مبتدأ ولى فى
موضع الخبر وان تصدق على حذف الباء الجارة اى بان تصدق
الرغباء اى من لى بحصول صدقه غبتى والرغباء فاعل تصدق
اى حب استفهام انكارى وفاعل يصح ضمير الحب والجملة صفة
حب وفى نسخة فيه وفى اخرى منه والضمير فيهما عائد على الملهوف
وطرفى مبتدأ وواصل خبر وللكرى متعلق بواصل وطيفك راء
مبتدأ وخبر والجملة عطف على الجملة قبلها وهى جملة طرفى واصل
للكرى اى كيف يصح منى صدق المحبة وانا مواصل النوم والحال
ان طيفك لا يزورنى مع مواصلتى للنوم ولو كنت صادقا لالمّ بى
خيالك فى منامى وشعرى اسم ليت والخبر محذوف اى موجود اى
ليتنى علمت وذاك اسم اشارة الى ما وقع له من عدم المام الطيف
به مع كثرة نومه والهمزة للاستفهام وذاك مبتدأ وخبره من عظم
ذنب ارتكبته وحظوظ مبتدأ والمتيمين مضاف اليه وحظاء
خبر المبتدأ وام هى المعادلة للهمزة وهى متصلة اى اى الامرين
هو وان يكن اداة شرط وفعل الشرط مجزوم بها وعظم زلتى
اسم يكن ومضاف اليه وحجب رؤياك خبر كان ومضاف اليه
فقد الفاء واجبة هنا وعز فاعله الدواء والجملة جواب الشرط
وداء قلبى على حذف الجار اى على داء قلبى وقلب محب فاعل
يصدى وبالذنب متعلق بيصدى وكيف حال ولذا الواو واو
الحال وذكراك مبتدأ ومضاف اليه والجميل صفته وجلاء خبر
المبتدأ وله متعلق بجلاء وهذه مبتدأ وعلتى خبر وانت طبيبى

جملة اسمية معطوفة على الجملة قبلها او حال وليس اسمها داء وتخفى
عليك الجملة خبر ليس والجملة مستأنفة علل بها كونه طبيبه وان
اشك مبتدأ اى بثى ومن الفوز خبر المبتدأ وشكوى مفعول ثان
لابث والكاف مفعول اول هى شكوى مبتدأ وخبر والجملة صفة
شكوى واليك متعلق بشكوى الثانية وهى اقتضاء جملة اسمية
معطوفة على جملة هى شكوى اليك وضمير ضمنتها يعود على الشكوى
وضمنتها مبنى للمفعول ومدايح مرفوعه والمديح فاعل مستطاب
والاصغاء عطف عليه وفيك متعلق بمستطاب وكذلك منهما
ويصح تعلقهما بالمديح والتاء فى حاولت حرف يدل على تأنيث
فاعل حاول وهو ضمير المدايح او الشكوى وهو اقرب ومديحك
مفعول حاولت وميم ودال وحاء فاعل ساعدتها وها عائدة
على ما عاد عليه فاعل حاولت وما من قلّ ما مصدرية والمعنى
قلت محاولتها مديحك فى غير حال كونها مساعدة بهذه الحروف
الثلاثة فانها لا تقل حينئذ بل تكثر وحق مبنى للمفعول مرفوعه
ان اساجل وقوما مفعول اساجل وفيك متعلق بحق والدلاء
فاعل سلمت والجملة صفة قوما ومنهم حال من الفاعل مقدمة ولدلوى
متعلق بسلمت والمعنى فاخرت قوما فى مديحك ففخرتهم وغيره
اسم ان ولى خبرها وقد زحمتنى جملة حالية والفاعل فيها الشعراء
وفى معانى مديحك متعلق بزحمتنى والغلو مبتدأ خبره لقلبى و
فيك متعلق بالمبتدأ وانى اداة شرط فعله محذوف اى انى يكون
للسانى سبق غيرى والغلواء فاعل الفعل المحذوف وخاطرا
مفعول لاجل يلذ له مديحك صفة خاطرا ومديحك فاعل يلذ وعلما
مفعول لاجله وبان اللالاء ان واسمها وخبرها والباء متعلقة
بعلما وفاعل حاك ضمير خاطرا وبرودا مفعوله ومن صنعة القريض
حال من برودا او متعلق بحاك ولك صفة برودا ولم يكد وشيها
صنعاء فعل ومفعوله وفاعل والجملة صفة برودا او حال منها
لوصفها السابق بقوله لك اعجز الله نظمه فعل ومفعول وفاعل

والجملة اما حال او صفة او مستأنفة والفاء فى فاستوت سببية
والبدان فاعل استوت وفيه متعلق باستوت والصناع والخرقاء
بدل تفصيلى من البدان فارضه فاعله ضمير المخاطب والهاء يعنى
وانصح امرئ منادى محذوف الاداة ونطق الضاد صفة امرئ
والضاد منصوب بنزع الخافض اى بالضاد والفاء فى فقامت
سببية والظاء فاعل قامت وضمير منها عائد على الضاد وتغاد
فاعله ضمير الظاء وجملة تغاد منها حال من الظاء والهمزة فى أبذكر
للاستفهام الانكارى ومدحا مفعول ثان لاوفيك والكاف
مفعول اول وهما من باب اعطى وبذكر الآيات متعلق باوفيك
اين الوفاء مبتدأ وخبر ومنها متعلق بالوفاء واين خبر والمبتدأ
محذوف اى واين منى الوفاء وام هى المتصلة لان قبلها الهمزة التى
يطلب بها وبام التعيين اى أبذكرى الآيات أوفيك مدحا ام ذكرى
لها مماداة ومجادلة لقوم النبى المادحين له ليس الغرض واحدا
من الامرين ومن ظن بى شيئا منهما فهو غبى فأمادى عطف
على أوفيك وبهن متعلق بامادى والضمير للآيات وقوما
مفعول امادى ساء فعل الذم وما وصلتها فاعله اى ساء ظنهم
بى متعلق بظن والاغبياء فاعله وكم للامة مبتدأ وخبر والتى
موصول وقع صفة للامة وغبطتها صلة الموصول وعائده و
الانبياء فاعل غبطتها ولما ظرف أتيتها جملة اضيف اليها الظرف
والتاء فاعل وهى ضمير النبى صلى الله عليه وسلم والهاء للامة
لم نخف ناف ومنفى والضلال مفعول نخف وفاعله ضمير المتكلم او
ضمير الامة وبعدك ظرف متعلق بنخف الواو فى قوله وفينا حالية و
وارثوا مبتدأ وفينا خبره وفى نسخة قوله وفيها بعود الضمير على
الامة ووارثوا مضاف الى نور ونور الهدى المضاف الى الكاف
العائدة على النبى صلى الله عليه وسلم والعلماء بدل من المبتدأ او عطف
بيان والكرامات مبتدأ خبره قوله معجزات ومنهم متعلق بمحذوف اى
الكائنة منهم وجملة حازها صفة معجزات وفاعل حازها الاولياء

ومن نوالك متعلق بحازها والفاء فى فانقضت سببية وأى فاعل
انقضت والانبياء مضاف اليه وآياتك مبتدأ وجملة ما لهن انقضاء
خبره فما نافية وانقضاء لهن مبتدأ وخبر وفى الناس متعلق
بمحذوف اى كائنة فى الناس والعجز اسم ان ومن معجزاتك خبرها واذ
تعليلية والاحصاء فاعل يحده والهاء مفعوله عائدة على وصفك
الكلام فاعل يستوعب وسجاياك مفعوله وكيف حال والركاء فاعل
ينزح والبحار مفعوله وليس اسمها غاية المجرورة بمن الزائدة ولو صفة
متعلق بغاية وأبغيه لخبر ليس وفاعل الفعل ضمير المتكلم والهاء
مفعوله عائدة على اسم ليس وللقول غاية جملة من مبتدأ وخبر
على التقديم والتأخير وانتهاء عطف على غاية وفضلك مبتدأ
والزمان خبره وانما اداة الحصر وآياتك مبتدأ ومضاف اليه
والآناء خبره وفيما نعده جملة حالية من آياتك لم أطل جملة فاعلها
ضمير المتكلم ونطقى مفعوله وفى تعداد آيك متعلق باطل ومراد ى
الواو للحال ومرادى مبتدأ بذلك متعلق به استقصاء خبر المبتدأ
وأنى بفتح الهمزة لاضافة غير اليها مع معموليها والياء اسم ان و
ظمآن وجد خبر ومضاف اليه والاضافة على معنى اللام اى ظمآن
لاجل الوجد وما نافية وارتواء مبتدأ وخبره لى وبقليل متعلق
بارتواء ومن الورود متعلق بقليل وغير منصوبة على الاستثناء
وهو منقطع فسلام مبتدأ خبره عليك وتترى حال من الله متعلق بعم
والبأواء فاعل يبقى وبه متعلق بيبقى والضمير للسلام وكم متعلق
بيبقى ايضا وسلام عطف على فسلام وعليك خبره ومنك متعلق بسلام
وما نافية وغيركم مبتدأ السلام مبتدأ ثان ومنه متعلق بالسلام و
كفاء خبر المبتدأ الثانى والجملة خبر المبتدأ الاول وكم متعلق بكفاء
وسلام مبتدأ خبره محذوف اى عليك ومن كل متعلق به ومن خلق الله
موصول وصلته والعائد محذوف اى خلقه الله لتحيى اللام للعلة و
الاملاء فاعل تحيى وبذكرك متعلق بتحيى وسلام مبتدأ خبره على
وتخضل فاعله تربة وغناء صفته وضمير به للسلام وضمير منه

للضريح والجملة خبر ثان عن سلام وصلاة مبتدأ وكالمسك صفته والخبر
محذوف اى عليك وفاعل تحمله هى شمال ومنى متعلق بتحمله وكذا اليك او
نكباء عطف على شمال والجملة حال من المسك وثناء مبتدأ اى عليك وجملة
قدمت خبر المبتدأ اى قدمته وبين يديه متعلق بقدمت ونجواى
مضاف اليه واذ تحتمل الظرفية والتعليلية واسم يكن ثراء وخبره
لدى ما مصدرية ظرفية ومن فاعل اقام وعبد صلة من والاسم
الكريم مفعوله وقامت فاعله الاشياء وبه متعلق بقامت و
الجملة عطف على جملة اقام الصلاة من عبد الله والكلام على ما فى
هذه الابيات من البديع يستغنى عنه بالتأمل فيما سبق من انواعه
والله اعلم المعنى انه رحمه الله عاد الى الضراعة واظهار المسكنة و
الضعف وابداء التحسر والتحزن استعطافا مستغيثا بالنبى صلى الله
عليه وسلم ليتخلص ببركة شفاعته من فرطات الذنوب وليعان من لدنه
على دفع الشدائد والكروب ثم اخذ فى شرح تلك الفرطات وكشف
الحال عن تلك الورطات فذكر منها انه يدعى محبة الله ورسوله صلى
الله عليه وسلم وهو مع ذلك مخالف لاوامرهما الشريفة وهو مصر على
امر نفسه بما نهيا عنه من ارتكاب الشهوات الفانية وايثارها على
الاعمال الصالحة الباقية ومثل ذلك لا يلايم ادعاء المحبة فصارت
الدعوى حينئذ كاذبة او كالكاذبة لعدم استمراره على موجبها
بالمخالفة قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله ولهذا تمنى
صدق دعواه على وجه يصرح بفحواه فقال ومن لى ان تصدق
الرغباء فيصدقها لحصول الفوز بالنجاح وبتيسر الاقلاع والفلاح
ثم استنكر صحة صدق دعواه من وجه آخر وهو انه ملازم
للمنام ولذيذ الاحلام ولا يهم به طيف الحبيب ولا يحصل له من
زيارته نصيب بحيث صار حاله بالنسبة لذلك كحال واصل
الذى كان لا يحسن النطق بالراء فيتجنبها نطقا ويبدل
كلماتها بكلمات تؤدى المعنى تسترا وحذقا والمحب قل ان يغيب
عن فكرته وذهنه خيال محبوبه لانه غاية امله ونهاية مطلوبه

ثم لما كانت المحبة امرا وجدانيا يجده المحب من نفسه وجدانا
حقيقيا رجع عن انكار المحبة وحقق حصولها ثم ذكر ان تخلف
الطيف الشريف عنه ليس لفقدها فانها موجودة قطعا وقايمة
به صدقا بل لمانع قام به امتنع الطيف من الالمام به بسببه ثم
تردد فى ذلك المانع ما هو فجوز ان يكون هو ما يرتكبه من الذنوب
العظيمة ويلم به من الاسود الوخيمة وان يكون نقص حظه عند
محبوبه حتى انه لم يحظ من لدنه بمطلوبه ولا فاز عنده بمرغوبه
ثم كانه غلب على ظنه بعد تردده فى السبب انه انما هو عظم الذنب
دون نقص الحظ الموجب لزيادة الكرب فلذلك قال ان يكن
عظم زلتى التى ارتكبتها هو سبب حجبه رؤياك التى فقدتها
ومنعتها فهذا داء عظيم قام بى عز على دواؤه وبعد كل البعد
ان يحصل شفاؤه ثم اخذ يبعد ان يستمر بقلبه صداء الذنوب
وقد قام به محبة هذا المحبوب مستمر الذكر له بالصلاة والتسليم
والاستعانة على كشف الكروب مع ان فى ذكره من سقام الذنوب
شفاء ومن صداء الذنوب جلاء ثم كانه تحقق ما ظنه اولا
من ان العلة فيما ذكره هو ذنوبه العظيمة وهفواته الجسيمة
فقال صارخا كما يصرخ من غاب عنه شئ ثم وجده هذه علتى
وانت طبيبى اى هذه علتى التى لا علة لى سواها ولا سبب لما برانى
من الاسقام والالام الا اياها وانت طبيبى العالم بحقيقة دائى
الماهر فى معرفة دوائى الكاشف لضر بلوائى ثم انتقل يتكلم على
قصة شكواه التى رفعها اليه صلى الله عليه وسلم فقال انه يعد
نفسه فائزا بامر عظيم وخير جسيم حيث اطلعه على بثه وحزنه
ونشر لديه شيئا من سهل الامر وحزنه وتضمنت شكواه المذكورة
طلب برئه من دائه وتحصيل دوائه وشفائه وافصح عن قصته
بانها هى هذه القصيدة البديعة والمدحة الرفيعة وان
المدح فيه صلى الله عليه وسلم هو مقصودها الاعظم وان شكواه
المذكورة وان كانت فى ضمنها فهى لا تنكتم وانه ما وضعت له

من المدح والثناء مستطاب للاستماع كما يستطاب منه الانشاء
والانشاد في القلوب والاسماع ثم وصف هذه القصيدة العديمة
المثال البعيدة المنال بانها ببركة ممدوحها صلى الله عليه وسلم
لم تتوجه الى محاولة مدحه الا وساعدها ولم يتعسر عليها فكلما
ارادت ابراز معنى من معاني الاوصاف بادرت الالفاظ الى تأديته
لغاية اللطف والاسعاف ومن هذه حاله حق له ان يفاخر في مدحك
المادحين المفاخرين له في عصره ليحظى بوفور اجره وببركة هذه
النية الشريفة فخر نظمه على ما نظموا فاذعنوا له في ذلك وسلموا
ثم اخذ يقول ان لي غيرة على مدحك الشريف فاريد الفوز به
على وجه حسن لطيف وقد زاحمني الشعراء عليه وارادوا ان يسبقوني
اليه والواقع ان قلبي قد جاوز الحد في محبتك وكما وصلت في المحبة
الى غاية لم يصلوا اليها فكذلك لساني السبق والتقدم الى حسنه
ولطائفه التي لم يقدروا عليها وهذا ان قرأنا قولي انّي للساني
فهمنا الغلو بانّ المؤكدة والياء اسمها واما ان قرأناها وانّي
بفتح النون وتشديدها اداة شرط فكانه يقول لان امكن لقلبي
الغلو في المحبة والانفراد بها فكيف يمكن للساني الاسراع والسبق
في المديح الى ما لم يصل اليه غيره ثم انتقل بسؤال في الثواب على هذا
المدح الجليل الذي يستلذه خاطره لعلمه بما اشتمل عليه من الوصف
الجميل وهذا على عادة الشعراء في طلبهم الجائزة لاسيما من هذا
الممدوح الذي يجود بخيري الدنيا والآخرة ويرجع لمادحه بالجوائز
السنية الفاخرة ثم انتقل يعطف الممدوح على المادح طمعا
في انجاز ما سأله من الثواب لوجود ما يقتضي ذلك من الاسباب
وحملا له على اجابة السؤال بذكر ما اشتمل عليه النظم من المحاسن
ليفوز بالنوال فقال انه نسج برود المدح لم ينسج على منوالها
ولا سمحت قريحة حذاق صنعاء بمثالها كيف وقد فاقت فاخر
الدرر ولم يف فيها بالخبر عن الخبر واذا كان نظمها قد فاق الدرر
فلا مطمع في ادراك غايته بل يستوي الماهر من الشعراء وغيره في

العجز عنه والقصور عن بلوغ نهايته ثم سأله قبول هذا النظم وقال
فارض هذا النظم الذي لا يدرك من البشر ما فيه من الفصاحة على
الحقيقة سواك يا افصح العرب العرباء الذين يحسنون النطق
بالضاد التي لا يحسن غيرهم النطق بها لتعسرها على السنتهم اذ
ذاك قال صلى الله عليه وسلم انا افصح من نطق بالضاد بيد اني
من قريش واسترضعت في بني سعد فصار للضاد بذلك فخر ليس
لغيرها من الحروف المذكورة من قبل ومن بعد وان قاربها في
المخرج والذكر كالظاء المثالة ولاجل ذلك خصها بذكر الغيرة
دون غيرها ثم اعلم ان الله تعالى آتى هذا النبي الكريم صلى
الله عليه وسلم من جميل الخلال وجليل الصفات مع ما اوتيه من
الآيات والمعجزات والكرامات الظاهرات بحيث لا يمكن ان
تحصر عددا او لا سبيل لغيره من البشر الى مثله ابدا فاذا مدح بشيء
من الآيات او حمد ببعض جميل الصفات لا يكون ذلك موفيا بما يتعين
له من الواجبات بل لو مدح بجميع ما له من الآيات الكريمة كلها لم يكن
موفيا بقدر ذاته العظيمة وما يجب لها فلاجل ذلك قال الناظم
لا تظن اني اوفي مدحه بذكري جميع آياته ولا اني اجادل امته
بذكر صفاته فان من كان هذا ظنه فهو سيء الظن قليل الفطنة
ثم التفت الى خطاب النبي صلى الله عليه وسلم وذكر مدح امته التي
فضلت الامم بواسطة انتسابها اليه واجابتها لدعوته فقال
ولك ايها النبي الامة العظيمة التي تمنى الانبياء ان يكونوا من جملتهم
لعلو قدرهم وحسن طريقتهم كنتم خير امة اخرجت للناس
تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ثم اخبر
عن الامة انهم لا يخافون بعد وفاة نبيهم صلى الله عليه وسلم
الضلالة والخروج عن الرشاد بل لا يزالون قائمين بالحق
سالكين سبل السداد لوجود من هو من جملة الامة من العلماء
الاتقياء الذين اقتفوا في العلم والحلم آثار الانبياء قال صلى
الله عليه وسلم لا تزال طائفة من امتي ظاهرين على الحق حتى يأتي

امر الله اى الساعة وقال العلماء ورثة الانبياء لم يورثوا
دينارًا ولا درهمًا انما ورثوا العلم ولاجل ذلك كانت آية
نبينا صلى الله عليه وسلم باقية ببقائهم وآية غيره من الانبياء
صلوة الله وسلامه عليهم انقضت بانقضائهم • ثم ذكر منها ومناقب
امته صلى الله عليه وسلم ان الكرامات الصادرة عنهم معجزات
له صلى الله عليه وسلم وورثاه الاولياء الذين صدرت
عنهم تلك الكرامات لان ما كان معجزة لنبى جاز ان يكون كرامة
لولى قال بعضهم الا انهم لا ينتهون الى الولد دون
والد ولا الى قلب جماد بهيمة وفيه تخصيص لذلك الاطلاق
والفرق بين المعجزة والكرامة ان المعجزة مقرونة بالتحدى
دون الكرامة فانها لا تحدى معها كما وقع للسيد عمر رضى
الله عنه حيث جرى النيل بكتابه ورأى جيشه وهو بالمدينة
والجيش بنهاوند وسماع امير الجيش وهو سارية كلامه حيث
قال له محذرًا يا سارية الجبل وعدم تضرر خالد بن الوليد باكل
السم رضى الله عنهم اجمعين ثم ذكر شيئًا من معجزاته الشريفة
وهو عجز الواصفين عن استيعاب ما فيه من الفضائل و
الفواضل اذ هى لسعة الامداد • لا يحصرها الضبط بالاعداد •
ثم استدل على ذلك بانها لا تتناهى فانها فضل من الله تعالى
ومواهب وفضله ومواهبه لا غاية لها ولا انتهاء والقول
متناه لانه متركب من الحروف المتناهية وكل متركب من المتناهى
فهو متناه والمتناهى لا يحصر غير المتناهى وفى هذا الدليل
كلام ليس هذا موضع ذكره ثم ذكر ما يبعد الحصر ويقوى الدليل
المذكور وهو ان صفاته السنية • وخلاله البهية كالبحار اذ كل
صفة كبحر لكمالها ووفورها وانتشار ما يتشعب منها و
يتفرع عنها والقول بمنزلة الركاء التى يغترف بها من تلك
البحار فكما لا تنزح الركاء البحار فكذلك القول لا يحيط بتلك
الاوصاف ثم زاد الاستبعاد بتشبيه فضائله بالزمان حيث

لا حصر لآنائه وما يذكره من الفضائل بمنزلة الآناء فكما لا حصر
لآناء الزمان • فكذلك لا حصر لتعداد هذه الفضائل بالنطق
باللسان • ثم اجاب عن سؤال قد يورد عليه واعتراض
قد يبديه المعترض لديه • وتقرير السؤال انك اطلت فى هذه المنظومة
ذكر اوصافه العلية • وخلاله الجلية • وذلك يشعر بحاولة الاستقصا ئها
والتوصل الى انتهائها • وتقرير الجواب انى لم ارد بتلك
الاطالة الصادرة عنى فى تعداد آياته • استيفاء جميع
خلاله وصفاته • وانما انا عظيم الظمأ لاستماعها • وشديد
العطش الى سماعها • والاقتصار على ذكر اليسير منها لا يروينى •
ولا يبل غلتى ويكفينى • ثم اخذ يختم نظمه بذكر الصلاة
والسلام • على سيد الانبياء الكرام • عليه وعليهم الصلوات
والتسليم على طول الليالى والايام • فقال اذا كان هذا آخر
مديحى فيك فسلام عليك من الله تعالى اى مترادفًا يتبع بعضه
بعضا ويبقى لك به الشرف التام • والفخر العام • الى ان يرث
الله الارض • ويحشر عباده يوم العرض • ثم سلام عليك
منك فان السلام منك اعلى رتبة من السلام عليك من غيرك
من المخلوقين • اذ انت افضل الانبياء واجل المرسلين • والسلام
عليك من سواك • لا يكافئ ما صدر من السلام عليك من نفسك
اذ لا يصل احد الى علاك • ثم سلام عليك من كل من خلقه الله تعالى
من الانس والجن والملائكة والطيور والوحوش والبهائم وانما
طلبه من كل ملأ من هذه الاملاء بعد طلبه من الله ورسوله لان
منفعة ذلك تعود على الملأ الطالب له لما فيه من توفير اجره •
وحياة نفسه وقلبه بطيب ذكره • وقد جعل مراتب السلام ثلثة
اقسام ما طلبه من الله تعالى ثم ما طلبه من رسوله عليه الصلاة والسلام
ثم ما طلبه من جميع المخلوقات ثم ذكر الصلاة فقال وصلاة اى
من الله عليك وصلاة منك عليك وصلاة من كل من خلق الله عليك
لتصير الصلاة ذات ثلاث مراتب كما ذكره فى السلام اذ هما اخوان

يكره إفراد كل منهما عن الآخر ولا ينافي ذلك قوله كالمسك تحمله منى
شمال اليك او نكباء لان ذلك حال من صلاته هو وصلاته دعاء
بصلاة الله وبصلاة رسوله وبصلاة كل المخلوقات فدعاؤه
الصادر منه هو الذي شبهه بالمسك ومطلوبه صلاة الله على نبيه
صلى الله عليه وسلم يحصل له بها الشرف التام وصلاة منه على نفسه
الشريفة لانه اشرف المخلوقات فصلاته افضل صلاة تصدر عن
مخلوق فليس يوازيها صلاة من صلوات المخلوقين وصلاة من جميع
المخلوقات ليحصل لهم بها وفور الاجر وحياة القلب ثم لما ذكر الصلاة
والسلام عليه صلى الله عليه وسلم اخذ يسلم على ضريحه صلى الله عليه وسلم وهو
المكان المشتمل على جسده الشريف صلى الله عليه وسلم الذي هو
افضل بقعة في الارض والسماء

جزم الجميع بان خير الارض ما … قد حاز تربة احمد وحواها
ونعم لقد صدقوا بساكنها سمت … كالنفس حين زكت زكى مأواها

وقال

روحي الفداء لقبر انت ساكنه … فيه العفاف وفيه الجود والكرم

وكانه لاجل الشرف الذي انفرد به التحق بذوات الارواح وطلب
له ما يطلب لها من رحمة الله وفضله حتى يعمه ذلك ويعم ما
حوله من بقية تربته الشريفة وهذا على عادة العرب في مدحهم
الاطلال والمنازل والربوع والمساكن كقوله

الا يا اسلمي يا دار مي على البلا … ولا زال منهلا بجرعائك القطر

وقوله

الا عم صباحا ايها الطلل البالي … وهل يعمن من كان في العصر الخالي

وقوله

يا دار مية بالعليا فالسند

ولا يقال المراد بالضريح الذات الشريفة اطلاقا لاسم المحل على
الحال لانا نقول ذلك قد تقدم منه مع الصلاة فلا معنى لافراد
بعد ذلك السلام دون الصلاة فانه يصير مكروها بخلاف ما

ذكرناه من ان المراد البقعة فانه حينئذ لا كراهة في الافراد
ثم قال انه قدم بين يدي سؤاله النبي صلى الله عليه وسلم
فيما سأله فيه حيث قال جدلها ص الى الخزم وغير ذلك
ثناءه الحسن على النبي صلى الله عليه وسلم بما ذكره من المدح
في هذه القصيدة الشريفة امتثالا لقوله تعالى يا ايها الذين
آمنوا اذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجواكم صدقة
وهذا كان في صدر الاسلام واجبا وقيل مندوبا ثم نسخ بقوله تعالى
أأشفقتم ان تقدموا بين يدي نجواكم صدقات فاذ لم تفعلوا
وتاب الله عليكم فاقيموا الصلوة وآتوا الزكوة واطيعوا الله
ورسوله والله خبير بما تعملون ولا يلزم من نسخ الوجوب او
الندب الامتناع فلذلك اتى المصنف ببدل الصدقة وهو الثناء
حيث لم يكن له ثروة وغنى وقد روي عن علي بن ابي طالب رضي
الله عنه انه قال آية في كتاب الله لم يعمل بها غيري كان لي دينار
فصرفته فكنت اذا ناجيته تصدقت بدرهم فكانه لم يعمل بها
قبل النسخ غيره وبعد النسخ ارتفع الوجوب او الندب ثم
ابد صلاته وسلامه وثناءه على النبي صلى الله عليه وسلم
بمدة اقامة العابدين للصلاة المطلوبة من جملة عباداتهم
ومدة قيام الاشياء كلها بباريها وخالقها سبحانه وتعالى
وهذا يستغرق مدة الدنيا لبقاء العبادة ما بقيت الدنيا
لقوله لا تزال طائفة من امتي ظاهرين على الحق ولبقاء قيام
المخلوقات والموجودات بموجدها وخالقها سبحانه وتعالى
وذلك يستغرق ايضا مدة الآخرة التي لا نهاية لها وان كانت
دار جزاء لا دار عمل لان كل ما في الآخرة من النعيم المقيم موجود
بخلق الله تعالى قائم مستمر بتقدير العزيز العليم الذي خلق كل
شيء فقدره تقديرا لا اله الا هو العزيز الحكيم قال مصنف
هذا الكتاب الشيخ الامام العلامة شمس الدين محمد بن
عبد المنعم بن محمد الجوجري الشافعي رضي الله عنه ونفعنا

بعلومه والمسلمين هــــذا آخر ما علقناه على هذه القصيدة
السعيدة الشريفة بشرف من أنشئت في مدحه واشتملت على
جميع اوصافه صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم وانتهى ذلك
الا قليلا به في حادي عشر شوال المبارك سنة اثنتين وثماني
وثمانمائة ثم انتهى تبييضه وتحريره في خامس عشر شوال
المبارك سنة ثلاث وثماني وثمانمائة والحمد لله الذي هدا نا
لهذا وما كنا لنهتدي لولا ان هدانا الله اللهم اني اسألك
العفو عما طغى به اللسان وزلت به القدم • وعما اقترفته من
الذنوب واللمم • يا من لا راد لقضائه ولا معقب لما حكم •
اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما
كثيرا ابدا الى يوم الدين • ورضي الله عن سائر اصحاب رسول
الله اجمعين • وعن التابعين وتابع التابعين الى يوم الدين
والعلماء العاملين • وعن مؤلف هذه القصيدة الفريدة
والمدحة السعيدة • وعنا وعن والدينا ومشايخنا واحبابنا
واخواننا واصحابنا واهلينا وعن جميع المسلمين والحمد لله رب
العالمين وحسبنا الله ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم

قد وفقني الله العزيز الحميد • لاتمام تحرير هذا الشرح المختصر
المفيد • الحاوي لمهمات في ايضاح الفاظ القصيدة الهمزية •
في مدح سيد البرية • وانا الفقير عبد القادر الشهير
بسباهي • جنبه الله ان يعمل المناهي • بمدينة
كليس • صين اهلها عن ظلم كل لئيم و
خسيس • في يوم الاثنين العاشر
من شعبان المعظم • لسنة
ثمان وستين والف
من هجرة سيدنا محمد
صلى الله عليه
وسلم •

هذه قصيدة موسومة بذخر المعاد في
وزن بانت سعاد نظمها الشيخ الامام
شرف الدين ابو عبد الله محمد
البوصيري تجاوز الله
عن سيئاته بخدمته
لرسوله بمدح ذاته
وصفاته
م

الى متى انت باللذات مشغول … وانت عن كل ما قدمت مسؤول
فى كل يوم ترجى ان تتوب غدًا … وعقد عزمك بالتسويف محلول
اما يحثك فيما سر من عمل … يومًا نشاط وعما ساء تكسيل
فجرد العزم ان الموت صارمه … مجرد بيد الآمال مسلول
واقطع حبال الامانى التى اتصلت … فانما حبلها بالزور موصول
انفقت عمرك فى مال تحصله … وما على غير اثم منه محصول
ورحت تعمر دارًا لا بقاء لها … وانت عنها وان عمرت منقول
جاء النذير فشمر للمسير بلا … مهل فليس مع الانذار تمهيل
وصن مشيبك عن فعل تشان به … فكل ذى صبوة بالشيب معذول
لا تنكرن وفى الفودين قد طلعت … منه الثريا وفوق الرأس اكليل
فان ارواحنا مثل النجوم لها … من المنية تسيير وترحيل
وان طالعها منا وغاربها … جيل يمر ويأتى بعده جيل
حتى اذا بعث الله العباد الى … يوم به الحكم بين الخلق مفصول
تبين الربح والخسران فى امم … تخالفت بيننا منها الاقاويل
فاخسر الناس من كانت عقيدته … فى طيها النشور للخلق تعطيل
وامة تعبد الاوثان قد نصبت … لها التصاوير يومًا والتماثيل
وامة ذهبت للعجل عابدة … فنالها من عذاب الله تعجيل
وامة زعمت ان المسيح لها … رب غدا وهو مصلوب ومقتول
فثلثت واحدًا فردًا توحده … وللبصائر كالابصار تخييل
تبارك الله عما قال جاحده … وجل للحق عند النصر مخذول
والفوز فى امة ضوء الوضوء بها … قد زانها غرر منه وتحجيل
تظل تتلو كتاب الله ليس به … كسائر الكتب تحريف وتبديل
فالكتب والرسل عند الله درجات … ومنهم فاضل حقا ومفضول
والمصطفى خير خلق الله كلهم … له على الرسل ترجيح وتفضيل
محمد حجة الله التى ظهرت … بسنة ما لها فى الخلق تحويل
نجل الاكارم والقوم الذين لهم … على جميع الانام الطول والطول
من كمل الله معناه وصورته … فلم يفته مدى الحالين تكميل
وخصه بوقار قر منه له … فى انفس الخلق تعظيم وتبجيل
بادى السكينة فى سخط لديه ورضا … فلم يزل وهو موهوب ومأمول
يقابل البشر منه بالندى خلق … ذاك على العدل والاحسان مجبول
مذ آدم ولجين الوضع جوهره … المكنون فى انفس الاصداف محمول
فللنبوة اتمام ومبتدأ … به وللفخر تعجيل وتأجيل
اتت الى الناس عن آياته جمل … اعيت على الناس منهن التفاصيل
انبا سطيح وشق وابن ذى يزن … عنه وقس واحبار مقاويل
وعنه انبا موسى والمسيح وقد … اصغت حواريه الغر البهاليل
بانه خاتم الرسل المباح له … من الغنائم تقسيم وتنفيل
وليس اعدل منه الشاهدون له … ولا باعلم منه ان هم سئلوا
فان سالتهم عنه فلا حرج … ان المحك عن الدينار مسؤول
كم آية ظهرت فى حين مولده … به التباشير منها والتهاويل
علوم غيب فلا الارصاد حاكمة … ولا التقاويم فيها والجداول
اذ الهواتف والانوار شاهدها … لدى المسامع والابصار مقبول
ونار فارس اضحت وهى خامدة … ونورهم جامد والصرح متلول
ومذ هدانا الى الاسلام مبعثه … دهى الشياطين والاصنام تخذيل
وانظر سماء غدت مملوءة حرسا … كانها البيت لما جاءه الفيل
فاردت الجن عن سمع ملائكة … واردت البشر الطير الابابيل
كل غدا وله من جنسه رصد … للجن شهب وللانسان سجيل
لولا نبى الهدى ما كان فى فلك … على الشياطين الاملاك توكيل
لما تولت تولى كل مسترق … عن مقعد السمع منها وهو معزول
ان رمت اكبر آيات واكملها … كفاك من محكم القرآن تنزيل
وانظر فليس كمثل الله من احد … ولا كقول الذى من عنده قيل
او يستطاع له مثل المجىء به … والمستطاع من الافعال مفعول

لله كم أفحمت أفهاما مناحكم … منه وكم أعجز الألباب تأويل
يهدي الى كل رشد حين يبعثه … الى المسامع ترتيب وترتيل
تزداد منه على ترداده مقة … وكل قول على الترداد مملول
وربما مجه قلب به ريب … كما يمج دواء الداء معلول
ما بعد آياته حق لمتبع … وللحق ما بعده الا الاباطيل
وما محمد الا رحمة بعثت … للعالمين وفضل الله مبذول
هو الشفيع اذا كان المعاد غدا … واشتد للمحشر تخويف وتهويل
فما على غيره للناس معتمد … ولا على غيره للناس تعويل
ان امرأ شملته من شفاعته … عناية لامرؤ بالفوز مشمول
نال المقام الذي ما ناله احد … وطال لما ميز المقدار تنويل
وادرك السؤل لما قام مجتهدا … وما بكل اجتهاد يدرك السؤل
لو ان كل علا بالسعي مكتسب … ما جاز حين نزول الوحي تنزيل
اعلى المراتب عند الله رتبته … فاعلم فما موضع المحبوب مجهول
من قاب قوسين او ادنى له نزل … وحق منه له مثوى وتحليل
سرى الى المسجد الاقصى وعاد به … ليلا براق يباري البرق هذلول
يا حبذا حين قرب لا اكيفه … وحبذا حال وصل عنه مغفول
وكم مواهب لم تذر العباد بها … اتت اليه وستر الليل مسدول
هذا هو الفضل لا الدنيا وما جمعت … بالموازين منها والمكاييل
وكم اتت عن رسول الله بينة … في فضلها وافق المنقول معقول
نور فليس له فيء يرى وله … من الغمامة اني سار تظليل
ولا يرى في الثرى اثر لاخمصه … اذا مشى وله في الصخر توحيل
وبي اليه حنين الجذع من شغف … اذ ناله منه بعد القرب تزييل
فليت من وجهه حظي مقابلة … وليت حظي من كفيه تقبيل
بيض ميامين يستسقى الغمام بها … للشمس منها وللانوار تخجيل
ما ان تزال بها في كل نازلة … للقل كثر وللتصعيب تسهيل
فاعجب لافعالها ان كنت منكرها … واطرب اذا ذكرت تلك الاقاويل
كم عاود البرء من اعلاله جسد … بلمسه واستبان العقل مخبول

وردّ الكفين في ريّ وفي شبع … اذ ضاق باثنين مشروب ومأكول
وردّ ماء ونورا بعدما ذهبا … ريق له بكلا العينين منقول
ومنبع الماء عذبا من اصابعه … وذاك صنع به فيها جرى النيل
وكم دعا ومحيا الارض مكتئب … ثم انثنى وله بشر وتهليل
فاصبح المحل فيها لا محل له … وغال ذكر الغلا من خصبها غول
فبالظراب ضروب للغمام كما … عن البناء عزاليها معازيل
وآض من روضها جيد الوجود به … من لؤلؤ النور ترصيع وتكليل
وعسكر لجب قد لج في طلب … لغزوه غره باس وترعيل
دعا بالغول والبوار به … من الصبا والحصى والرعب منزول
واغبر تلحين اضحى الغار وهو به … كمثل قلبي معمور ومأهول
كانما المصطفى فيه وصاحبه ال … صديق ليثان قد آواهما غيل
وجلل الغار نسج العنكبوت على … وهن فيا حبذا نسج وتجليل
عناية ضل كيد المشركين بها … وما مكايدهم الا اضاليل
اذ ينظرون وهم لا يبصرونهما … كان ابصارهم من زيغها حول
ان يقطع الله عنا امة سفهت … نفوسها فلها بالكفر تغليل
فانما الرسل والاملاك شافعها … لوصلة منه تسآل وتطفيل
ما عذر من منع الصديق منطقه … ولو نبا عنه محسوس ومعقول
والذئب والعير والمولود صدقه … والظبي افصح نطقا وهو مكبول
والبدر بادر منشقا بدعوته … له كما شق جيب وهو مبتول
والنخل اثمر في عام وسر به … سلمان اذ بسقت منه العثاكيل
ان انكرت النصارى واليهود على … ما بينت منه توراة وانجيل
فقد تكرر منهم في جحودهم … للكفر كفر وللتجهيل تجهيل
قل للنصارى الاولى ساءت مقالتهم … فما لها غير محض الجهل تعليل
من اليهود استفدتم ذا الجحود كما … من الغراب استفاد الدفن قابيل
فان عندكم توراتهم صدقت … ولم تصدق لكم منهم اناجيل
ظلمتمونا فاضحوا ظالمين لكم … وذاك مثل قصاص فيه تعديل
منكم لنا ولكم من بعضكم شغل … والناس بالناس في الدنيا مشاغيل

لقد علمتم ولكن صدّكم حسدٌ ... أتى بمن جاءنا قومٌ مقابيل
أما عرفتم نبيّ الله معرفةَ الـ ... أبناء لكنكم قومٌ مثاكيل
هذا الذي كنتمُ تستفتحون به ... لو اهتدى منكم للرشد ضلّيل
فلا ترجّوا جزيل الاجر من عمل ... انّ الرجاء من الكفار مجزول
تبادرون برقٍ من جهالتكم ... به انتفاخٌ وجسمٌ فيه ترهيل
موتوا بغيظٍ كما قد مات قبلكمُ ... قابيل اذ قرّب القربان قابيل
يا خير من زُويت للناس مكرمةٌ ... عنه وفضلٌ وتحريمٌ وتحليل
كم قد أتت عنك أخبارٌ مخبّرةٌ ... في حسنها أشبه التفريعَ تأصيل
تسري الى النفس منها كلما وردت ... انفاسُ وردٍ سرت والورد مطلول
من كل لفظٍ بليغٍ راق جوهره ... كأنه السيف ماضٍ وهو مصقول
لم تبق ذكراً لذي نطقٍ فصاحته ... وهل تضيء مع الشمس القناديل
جاهدت في الله أبطال الضلال الى ... أن ظلّ للشرك بالتوحيد تبطيل
شكا حسامك ما تشكو جموعهمُ ... فغيره منها وفيها منه تفليل
لله يوم حنينٍ حين كان به ... كساعة البعث تهويلٌ وتطويل
ويوم أقبلت الاحزاب وانهزمت ... وكم خبا لهبٌ بالشرك مشغول
جاؤا بأسلحةٍ لم تحمِ حاملها ... انّ الكماة اذا لم ينصروا ميل
من بعد ما زُلزلت بالشرك أجنبةٌ ... وأنبتت حبلَ بأيدي الريب مفتول
وظنّ كل امرئٍ في قلبه مرضٌ ... بأنّ موعده بالنصر ممطول
فأنزل الله أملاكاً مسوّمةً ... لبوسها من سكيناتٍ سرابيل
شاكي السلاح فما تشكو الكلال ولا ... صنع الإله لها نسجٌ وبالبيل
من كل موضونةٍ حصداء سابغةٍ ... تردّ حدّ المنايا وهو مفلول
وكلّ بتّارٍ للحق المبين به ... وللضلالة تعديلٌ وتميل
لم تبق للشرك من قلبٍ ولا سببٍ ... الّا غدا وهو متبول ومبتول
ويوم بدرٍ اذ الاسلام قد طلعت ... به بدورٌ لها بالنصر تكميل
سيئت بما سرّنا الكفار منه وقد ... أفنى سراتهمُ أسرٌ وتقتيل
كأنما هو عرسٌ فيه قد جليت ... على الظبا والقنا رؤسٌ مفاصيل
والخيل ترقص زهواً بالكماة وما ... غير السيوف بأيديها مناديل

ولا مهورُ سوى الارواح تبذلها الـ ... ـبيض البهاتير والسمر العطابيل
ولو ترى كلّ وصلٍ من كماتهمِ ... مفصّلاً وهو مكفوفٌ ومشلول
كالخرف اشكلت خطاً فاكثرها ... بالطعن والضرب منقوطٌ ومشكول
وكلّ بيتٍ حكى بيت العروض له ... بالبيض والسمر تقطيعٌ وتفعيل
وداخلت بالردى اجزاءهم عللٌ ... غدا المرفّل منها وهو مخذول
وكلّ ذي ترةٍ تغلي مراجله ... غلّاً يقاد ذليلاً وهو مغلول
وكلّ جرحٍ بجسمٍ يستهلّ دماً ... كأنه مبسمٌ بالراح معلول
وعاطلٍ من سلاحٍ قد غدا وله ... أساورٌ من حديدٍ او خلاخيل
فالارض من جثث القتلى مجلّلةٌ ... والترب من اعين الاحياء مبلول
غصّت قلوبٌ كما غصّ القليب بهم ... فللأسى فيهمِ والنار تأكيل
فاصبح البئر اذ اهل البوار به ... مثل الوطيس به جمرٌ زعابيل
واصبحت أيمات محصناتهمُ ... وأيماتهمُ ومنهم المثاكيل
لا تمسك الدمع من حزنٍ عيونهمُ ... الّا كما تمسك الماء الغرابيل
وصار فقرهمُ المسلمين غناً ... وفي المصائب تفويتٌ وتحصيل
ورداً وجوههمُ سوداً واعينهم ... بيضاً من الله تنكيلٌ وتشكيل
سالت وساءت عيونٌ منهمُ مثلاً ... كأنما كحلها بالشوك مسمول
أبغض بها مقلاً قد أشبهت لبناً ... طفا الذباب عليه وهو ممقول
ويوم عمّ قلوب المسلمين أسىً ... بفقد عمك والمفقود مجدول
ونال جدّ الثنايا الكسر في أحدٍ ... وجاء يجبر منها الكسر جبريل
وفي مواطن شتى كم أتاك بها ... نصرٌ من الله مضمونٌ ومأمول
وملّكت يدك اليمنى ملائكةً ... غرّاً كراماً وأبطالٌ بهاليل
يسارعون اذا ناديتهم لوغاً ... انّ الكرام اذا نودوا أهاليل
من كل نضوٍ نحولٍ ما يزال به ... الى المكارم حثٌّ وهو مهزول
بنانه بدم الاقران مختضبٌ ... وطرفه بسنا الايمان مكحول
آل النبي بنوا وما أشبهكم ... لقد تعذّر تشبيهٌ وتمثيل
وهل سبيلٌ الى مدحٍ يكون به ... لأهل بيت رسول الله تأهيل
يا قومِ بايعتكم أن لا شبيه لهم ... من الورى فاستقيلوا البيع او قولوا

جاءت على تلو آيات النبي لهم … دلائل هي للتاريخ تذييل
معاشرها رضوا التي لم تبتهج … بهم وما سخطوا التي لمتكول
وان من باع في الدنيا محبتهم … ببغضة الله في الاخرى لمنكول
وحب من نكلت عنهم خواطره … ان مات او عاش تنكيل وتنكيل
ان المودة في قربى النبي غنا … لا تستميل فؤادي عنه تمويل
فكم لاصحابه الغر الكرام يد … عند الاله لها في الفضل تخويل
قوم لهم في الوغا من خوف ربهم … حسن ابتلاء وفي الطاعات تبتيل
كانهم في محاريب ملائكة … وفي حروب اعاديهم رآبيل
حكى الغباوة قلبي حين كان بها … للآل تغطية والصحب تخليل
ولي فؤاد ونطق بالوداد لهم … وبالمدائح مشغوف ومشغول
فان ظننت بهم ختلا لبعضهم … اني اذا بغرور النفس مختول
ايمة الدين كل في مجادلة … الى الصواب باجتهاد منه موكول
ليقضي الله امرا كان قدره … وكل ما قدر الرحمن مفعول
حسبي اذا ما مدحت المصطفى مدحي … في الحشر تزكية منه وتعديل
مدح به ثقلت ميزان قائله … وخف عنه من الاوزار تثقيل
وكيف تاتي جنانا وصافه همم … بر وقعاء قطوف العز تذليل
وليس يدرك ادنى وصفه بشر … ايقطع الارض ساع وهو مكبول
كل البلاغة عي في مناقبه … اذا تفكرت والتكثير تقليل
لو اجمع الخلق ان يحصوا محاسنه … اعيتهم جملة منها وتفصيل
عذرا اليك رسول الله من كلمي … ان الكريم لذي العذر مقبول
ان لم يكن منطقي في طيبه عسلا … فانه بمديح منك معسول
ما حلة بجلال منك قد رقمت … ما في محاسنها للعيب تخليل
جاءت بحبي وتصديقي اليك وما … حبي مشوب ولا التصديق مدخول
البستها منك حسنا فازدهت شرفا … بها الخواطر منا والتآويل
لم انتحلها ولم اغصب معانيها … وغير مدحك مغصوب ومنحول
وما على قول كعب ان توازنه … وربما وازن الدر المثاقيل
وهل تعادل حسنا ومنطقها … عن منطق العرب العرباء معدول

وحيث كنا معا نرمي الى غرض … فحبذا ناضل منا ومنضول
ان اقف آثاره اتي الغداة بها … على طريق نجاح منك مدلول
لما غفرت لذنبا وصنت دما … لولا ذمامك اضحى وهو مطلول
رجوت غفران ذنب موجب تلفا … به من النفس املاء وتسويل
وليس غيرك لي مولى اؤمله … عند الاله وحسبي منك تاميل
ولي فؤاد محب ليس يقنعه … غير اللقاء فما يشفيه تعليل
يميل نحوك شوقا وتخييل لي … كانما بيننا من شقة ميل
يهم بالسعي والاقدار تمسكه … وكيف يعدو جواد وهو مشكول
متى تجوب رسول الله نحوك بي … تلك الجبال النجيبات المراسيل
فانثني وبدي بالفوز ظافرة … وثوب ذنبي من الآثام مغسول
في معشر اخلصوا لله دينهم … وفوضوا انهم نالوا وان نيلوا
شعث لهم من ثرى البيت الذي شرفت … به النبيون تطييب وتكحيل
محلقي ارؤسا زينت وجوههم … حسنا به فكان الحلق ترجيل
قد رحب البيت شوقا والمقام بهم … والحجر والحجر الملثوم والميل
نذرت ان جمعت شملي ببابك او … شفت فؤادي به قوداء شمليل
ابل من طيبة بالدمع طيب ثرى … لغلتي وغليلي منه تبليل
دامت عليك صلاة الله يكفلها … من المهيمن ابلاغ وتوصيل
ما لاح ضوء صباح واستتر به … من الكواكب قنديل فقنديل

حسبي الله وحده
من الكتب التي وقفها الفقير
الى آلاء ربه ذي المواهب
محمد المدعو بين الصدور [illegible]
١١٧٥ وكفى عبده